منهاج الشريعة

في الرد على ابن تيمية

تأليف

آية الله المجاهد الكبير

العلّامة السيّد محمّد مهدي الكاظمي القزويني

(١٢٨٢هـ - ١٣٥٨هـ)

علي وشيعته هم الفائزون

تحقيق

السيد مرتضى مير سجادي

الجزء الرابع

منهاج الشريعة
في الردّ على ابن تيمية

تأليف

آية الله المجاهد الكبير

العلاّمة السيد محمد مهدي الكاظمي القزويني قدس سره

(١٢٨٢ ـ ١٣٥٨ هـ)

الجزء الرابع

تحقيق

السيد مرتضى ميرسجّادي

سرشناسه :	كاظمی قزوینی، محمد مهدی، ۱۸۶۵ - ۱۹۳۹م.
عنوان قراردادی :	منهاج‌السنة‌النبویه فی نقض کلام‌الشیعة‌القدریه. شرح
عنوان و نام پدیدآور :	منهاج الشريعة فی‌الرد علی‌ابن‌تیمیه/ تالیف محمدمهدی الکاظمی‌القزوینی؛ تحقیق سیدمرتضی میرسجادی.
مشخصات نشر :	قم: محلاتی، ۱۳۸۸-
مشخصات ظاهری :	ج.
شابک :	دوره ۸-۷۱-۷٤٥٥-۹٦٤-۹۷۸ : ج۱. ۱-۷۰-۷٤٥٥-۹٦٤-۹۷۸. ج۳.۵-۸۵-۷٤٥٥-۹٦٤-۹۷۸ . ج٤. ٥-۲۸-٥٦٥۹-٦۲۲-۹۷۸
وضعیت فهرست نویسی :	فیپا
یادداشت :	عربی.
یادداشت :	کتاب حاضر ردیه‌ای است بر کتاب ((منهاج السنه النبویه فی‌نقض کلام الشیعه والقدریه)) ابن تیمیه که آن خود ردیه‌ای است که ابن تیمیه بر کتاب ((منهاج الکرامه فی‌معرفه الامامه)) علامه حلی نوشته است.
یادداشت :	ج.۳ (چاپ اول: ۱۳۹۶) (فیپا).
یادداشت :	ج.۴ (چاپ اول: ۱۴۰۰) (فیپا).
موضوع :	علامه‌حلی، حسن‌بن‌یوسف، ۷۲۶-۶۴۸ق. منهاج‌الکرامة فی معرفة‌الامامه -- نقد و تفسیر
موضوع :	ابن‌تیمیه، احمدبن عبدالحلیم، ۶۶۱- ۷۲۸ ق . منهاج‌السنة‌النبویه فی نقض‌الشیعة‌القدریه -- نقد و تفسیر
موضوع :	امامت -- دفاعیه‌ها Imamate -- Apologetic works ائمه اثناعشر Imams (Shiites) شیعه -- دفاعیه‌ها Shi'ah -- Apologetic works
شناسه افزوده :	میرسجادی، مرتضی
شناسه افزوده :	علامه‌حلی، حسن‌بن‌یوسف، ۷۲۶-۶۴۸ق. منهاج‌الکرامة فی معرفة‌الامامه. شرح
شناسه افزوده :	ابن‌تیمیه، احمدبن عبدالحلیم، ۶۶۱- ۷۲۸ ق . منهاج‌السنة‌النبویه فی نقض‌الشیعة‌القدریه. شرح
رده بندی کنگره :	۱۳۸۸ ۸۰۲۸ م ۷۵ ع/BP ۲۲۳
رده بندی دیویی :	۲۹۷/۴۵
شماره کتابشناسی ملی :	۲۱۰۲۳۳۶
اطلاعات رکورد کتابشناسی :	فیپا

منشورات العطار
ALATTAR PUBLICATION
07814115123

هوية الكتاب:

الكتاب: منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج٤

تأليف: العلامة السيد محمد مهدي الكاظمي القزويني

تحقيق: السيد مرتضى ميرسجادي

الناشر: العطار

المطبعة: احسان

الاخراج الفني: كمبيوتر المجتبى عليه السلام

الطبعة: الأولى ١٤٠٠ هـ ش ـ ١٤٤٣ هـ ق

العدد: ٢٠٠ نسخة / عدد الصفحات: ٨٩٨ صفحة وزيري

الترقيم الدولي (ISBN): ٥ ـ ٢٨ ـ ٥٦٥٩ ـ ٦٢٢ ـ ٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمّد وآله الطاهرين سيّما بقيّة الله في الأرضين واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللَّهُمَّ كُنْ لوَلِيِّكَ الحجة بن الحسن
صلواتك عَلَيه وَعَلى آبائه في هَذه
السَّاعَة وَفي كُلِّ سَاعَة وَليّاً وَحَافظاً
وَقَائداً وَنَاصراً وَدَليلاً وَعَيْناً
حَتَّى تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعاً
وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلاً

قال السني:

وأمّا قول الشيعي، أنّهم يقولون: الإمام بعد الرسولﷺ أبو بكر بمبايعة عمر برضى أربعة، فيقال له: ليس هذا قول أئمة أهل السنّة، وإن كان بعض المتكلّمين قال بانعقادها بذلك، وبعضهم قال: تنعقد بمبايعة رجلين، وبعضهم قال: تنعقد بمبايعة رجل.

وقول أئمة أهل السنّة إنّما يصير الرجل إماماً بمبايعة أهل الشوكة، الذين يحصل بطاعتهم له، المقصود من إمامته، فهي ملك وسلطان لن تحصل بمبايعته، حتى العشرة والعشرين؛ ولذلك لمّا بويع عليعليه السلام وصار معه شوكة، صار إماماً، ولو كان جماعة في سفر. فالسنّة بجعل أحدهم أميرهم، فإن أمره أهل القدرة فقد ثبتت امارته؛ فإنّ المقصود منها عمل أعمال لن تحصل بدون قدرة، والقدرة على سياسة الناس، إمّا بطاعتهم له وإمّا بقهره لهم من هذه الجهة.

قال أحمد في رسالة عبدوس بن مالك: أصول السنّة عندنا التمسّك بما كان عليه أصحاب رسول اللهﷺ ومن وليّ فأجمع عليه الناس عليه عن رضا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمّي أميرالمؤمنين، فدفع الصدقات إليه جائز برّاً كان أو فاجراً..

وقال: في نقل إسحاق بن منصور وقد سئل عن حديث النبيﷺ: «من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية..» - ما معناه - فقال: تدري ما الإمام؟ الإمام الذي يجتمع عليه المسلمون كلّهم يقولون هذا إمام.

والبحث هنا في مقامين: أحدهما في كون أبي بكر كان هو المستحق لذلك، وانّ مبايعتهم له ممّا يحبّه الله ورسوله، وقد دّل على ذلك النصوص وإجماع المسلمين والثاني أنّه متى صار إماماً فذلك بمبايعة أهل القدرة له، ومثله عمر إنّما صار إماماً بعد عهد أبي بكر له؛ لما بايعوه وأطاعوه، ولو قدر أنّ طائفة بايعت عمر وامتنعت طائفة لم يصير إماماً.

فابن أبي قحافة بايعه الصحابة الذينهم بطانة رسول اللهﷺ الذين صار بهم للدين قوة وعزّة وبهم قهر المشركين وبهم فتحت جزيرة العرب، فجمهور المبايعين للرسولﷺ قد بايعوه، وأمّا كون عمر سبق إلى البيعة، ففي كل بيعة يلزم وجود سابق.

فالدين الحقّ يلزم فيه وجود الكتاب الهادي والسيف الناصر كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾.

والكتاب يبيّن ما أمر الله به وما نهى عنه والسيف ينصر ذلك ويؤيّده، وابن أبي قحافة ثبتت إمامته بالكتاب والسّنة، إنّ الله أمر بمبايعته والذين بايعوه هم أهل السيف المطيعون لله في ذلك فصار خليفة النبيﷺ بالكتاب والحديد، ومثله عمر(١).

(١) منهاج السنة ج١: ص٥٢٦

قلت:

إنتهى مقاله هنا ملخصاً من تكريره وحشوه، وفيه وجوه من البهتان والفساد، يعرفها الناقد الناظر إلى ما مضى نقله وبيانه(١).

والغالب يعرفونها بعد تنبيه عليها، فمن هذه الجهة نشير إليها:

أحدها: ما زعمه من ذهاب بعضهم إلى ثبوت إمامة الرجل بمبايعة من ذكر وليس ذلك مذهب أئمة السنة(٢).

---

(١) لو تامل الباحث في كلامه يرى بوضوح افتراءاته المضحكة وسيأتي تفصيل ذلك فيما يلي.

(٢) لا يخفى أنّ السقيفة وما حدث فيها من التشاجر والتنازع قد رويت عن أهل السنة بطرق صحيحة، وبما أنّ جميع أهل السنّة يخضعون لما يرويه البخاري في صحيحه، فسنتأمّل في ما حدث في السقيفة من خلال الرواية التي رواها البخاري في صحيحه؛ لنرى ماتدلّ عليه من دلالات الواضحة، وعلى أهل السنّة أن يتأمّلوا فيها بعين البصيرة، وليس بفكر مسبق الرأي، وإليك نص الرواية: فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن إبن عباس أنّه قال: كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبدالرحمن بن عوف، فبينما أنا عند عمر بن الخطاب في آخر حجّة حجّها إذ رجع إلى عبدالرحمن فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم، فقال: هل لك فلان؟ يقول: لو قد مات عنر لقد بايعت فلاناً، فوالله مت كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمّت، فغضب عمر، ثم قال: إنّي إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذرهم....

فقال ابن عباس: فقدمنا في عقب ذي الحجّة، فلمّا كان يوم الجمعة عجلنّا الرواح حين زالت الشمس.... فجلي عمر المنبر، فلمّا سكت المؤذنون قام فأُثنى على الله، ثم قال: أمّا بعد فإنّي قائل لكم مقلة قد قدّر لي أن أقولها لا أدري لعلّها بين يدي أحلى فمن عقلها، وعاها ←

➔

فليحدّث بها حيث انتهيت به راحلته ومن خشي أن لا يعقلها فلا أحلّ لأحد أن يكذّب عليّ....

ثم قال: انّه بلغني أنّ قائلاً منكم يقول: والله لو مات عمر بايعت فلاناً، فلا تقترن امرؤ أن يقول إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمّت وتمّت، ألا وإنّها كانت كذلك، ولكنّ الله وقى شرّها وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر، من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو، ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا وإنّه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيهﷺ أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة وخالف عنّا علي والزبير ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر، انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نريدهم، فلمّا دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان فذكرا ما تمالأ عليه القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين، فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم اقضوا أمركم، فقلت: والله لنأتينهم، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة، فقلت: ما له؟ قالوا: يوعك، فلمّا جلسنا قليلاً تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط وقد دفت دافة من قومكم فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر فلما سكت أردت أن أتكلم وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر وكنت أداري منه بعض الحد، فلمّا أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوقر والله ما ترك من كلمة أعجبتني.... (ثم قال:) ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسباً وداراً وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيّهما شئتم، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، فلم أكره ممّا قال غيرها كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر اللهم إلا أن تسول إلي نفسي عند

➔

➔

الموت شيئاً لا أجده الآن، فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، منّا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، ثم بايعته الأنصار ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة؟! فقلت: قتل الله سعد بن عبادة، قال عمر: وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما لا نرضى وإما نخالفهم فيكون فساد، فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا.... (صحيح البخاري ج٨: ص٢٧، كتاب المحاربين، باب رجم الحبلى من الزنا إذا احصنت).

فكما ترى أن الرواية تدلّ بوضوح على انّ البيعة تمت في السقيفة في حال صخب وليس في حال تشاور، وتدلّ على أنّ أهل الحل والعقد لم يقبلوا بما جرى في السقيفة، بل كان ذلك رغماً عنهم، وفي هذا الحديث المقبول عند جميع أهل السنة والجماعة عدة أمور للإحتجاج عليهم.

الأوّل: أنّ الرواية صريحة في أنّ بيعة أبي بكر كانت في اجواء التنازع والتشاجر حتى إنجرت إلى البيعة عن فجأة، وجديرة أن تكون مهيّجة هي أنّها كانت فتنة وشراً، حسب ما جاء في هذا الحديث.

الثاني: المستفاد من التشاجر والتنازع الواقع بين المهاجرين والأنصار عدم وجود أهل الحل والعقد المقبول عند المسلمين بينهم حيث لو كان هناك أهل الحلّ والعقد لم تتحقق البيعة فجاة.

مضافاً إلى أنّ أهل الحلّ والعقد عند أهل السنّة والجماعة لابدّ أن يكون من القبائل المختلفة من المهاجرين والأنصار لا من بعضها ومن الواضح أنّ بني هاشم لم يكونوا حاضرين في السقيفة. وعليه لا معنى للبيعة الصحيحة عند أهل السنّة والجماعة في مثل ما حدث في السقيفة.

➔

فإنّه البهتان البيّن على جمهور أهل مذهبه؛ لأنّ القاضي عبدالجبار نقل في المغني عن جميع من قال بأنّ الخليفة يصير باختيار الناس له: انعقاد البيعة له رجل عن رضا أربعة، ثم نقل المنازعة عنهم بانعقاد إمامته بأقلّ من ذلك[1].

➔

الثالث: قد صرح عمر الخطاب كما في الحديث أنّ الأنصار خالفونا بأسرهم وخالف عنّا علي عليه السلام والزبير ومن تبعهما؛ فظاهر كلامه يشعر بأنّ أكثر الصحابة كانوا مخالفين لبيعة أبي بكر؛ ولذلك أن البيعة حصلت عن غفلة، وعندما كانت نار التنازع والتشاجرمشتعلة بينهم، فلم يكن هناك أحد من أهل البيت عليهم السلام ولا من المتابعين لهم بل أكثرهم من بني امية والمنافقين وجماعة من قريش وأكثرهم الطلقاء الذين استسلموا بعد فتح مكة وجماعة من الأنصار فلا معنى للقول بأن البيعة حصلت بأهل الحلّ والعقد.

(١) قال القاضي عبدالجبار المتوفى سنة ٤١٥ هـ في المغني: وإن أقام بعض أهل الحل والعقد إماماً سقط الوجوب نصب الإمام عن الباقين، وصار من أقاموه إماماً ويلزمهم إظهار ذلك بالمكاتبة والمراسلة؛ لئلا يتشاغل غيرهم بإمام غيره، وقد وقعت الكفاية ، ولئلا يؤدي ذلك إلى الفتنة ، فعدم مباية سائر أفراد امة لا يؤثر في انعقاد الإمامة ، لأنّ العقد تمّ بمجرد مبايعة أهل الحل والعقد ، ولا يكون العقد صحيحاً إذا لم يبايع الإمام أهل الحل والعقد (المغني في أبواب التوحيد والعدل إملاء القاضي عبد الجبار بن أحمد: ص١١).

هذا مذهب جمهور أهل السنّة في الإمامة. وحيث إن نظرية الاختيار هي الأساس في شرعية الإمامة عند أهل السنّة، في مقابل نظرية النصّ التي يتبناها الشيعة الإمامية.

وإجمال النقد: أنّه لا يعتمد شئ على ما ذكره القاضي عبد الجبار في نظرية الاختيار نصاً صريحاً من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله. فلا نجد نصّاً في الكتاب وما صح من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله في الإذن بولاية من اختاره المسلمون إماماً لهم باتفاق أهل الحل والعقد، أو بأكثريتهم، أو بمبايعة خمسة أو ثلاثة أو واحد من أهل الحل والعقد، أو بمبايعة جمع

➔

ونقل صاحب كتاب المواقف وشارحه عن الجمهور مثل ما نقله القاضي عنهم(١).

➔
غفير من الناس. ولا نجد إذناً من الله تعالى بولاية من تغلب على الأمر بالعنف والقوة. ولا يصح إسناد شيء من هذه الولايات إلى الله تعالى، ولا نجد في النصوص الإسلامية إثباتا لشرعية شيء من هذه الولايات على الإطلاق وبناءً على ذلك فإنّ إسناد شئ من هذه الولايات إلى الله تعالى يعد من الافتراء على الله الذي تستنكره الآية الكريمة: ﴿**قُلْ آللَّـهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ**﴾ (يونس:٥٩) والولاية والحاكمية والسيادة على الناس لله تعالى فقط، في محكم كتاب الله: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّـهِ**﴾ (يوسف:٤٠، ٦٧ والأنعام:٥٧) وعليه فإنّ الولاية من دون إذن الله ولاية محرمة يحظرها الله تعالى على عباده تعالى: ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ**﴾ (الأعراف:٣) ﴿**وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّـهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ**﴾ (هود:٢٠) فإذا كانت الولاية من دون إذن الله محظورة ومحرمة على المؤمنين، وهو صريح القرآن، ولم تكن الولاية بالاختيار يعتمد إذناً صريحاً من الله ورسوله في نص من كتاب الله أو ما صحّ من سنة رسول الله ﷺ، فلا محالة لا يبقى دليل على شرعية مثل هذه الولايات مهما يكن حجم أهل الحلّ والعقد ومساحة البيعة، فإذا سقطت نظرية الاختيار عن الاعتبار فلا محالة تكون نظرية (النص) هي الأساس في مسألة الولاية والإمامة. وهذا إجمال للنقد. ولا بد لهذا الإجمال من تفصيل وشرح في ضوء كتاب الله وسنه رسول الله ﷺ الذي سيأتي بيانه في محله إن شاء الله تعالى.

(١) قال القاضي عبد الرحمن الإيجي الشافعي المتوفى سنة ٧٥٦ من الهجرة في المواقف: وتثبت الإمامة ببيعة أهل الحلّ والعقد، خلافاً للشيعة.... إذا ثبت حصول الإمامة بالاختيار والبيعة.

فاعلم أنّ ذلك لا يفتقر إلى الإجماع إذ لم يقم دليل من العقل أو السمع، بل الواحد أو الاثنان من أهل الحلّ والعقد (المواقف ص٣: ص ٥٩٠ في المقصد الثالث).

➔

بل ونقل عنهم كونها تنعقد بأقل من ذلك، ومثّل له بإنعقاد البيعة في السقيفة بنفس مبايعة عمر وبإنعقادها لعثمان بنفس مبايعة عبدالرحمن[1].

➔

وقال القاضي الجرجاني في شرح المواقف: (وتثبت الإمامة) أيضاً (ببيعة أهل الحلّ والعقد) عند أهل السنة والجماعة والمعتزلة والصالحية من الزيدية (خلافاً للشيعة)..... (وإذا ثبت حصول الإمامة بالإختيار والبيعة فأعلم إنّ ذلك) الحصول (لا يفتقر إلى الإجماع) من جميع أهل الحلّ والعقد (إذا لم يقم عليه) أي على هذا الإفتقار (دليل من العقل أو السمع بل الواحد والإثنين من أهل الحلّ والعقد كاف) في ثبوت الإمامة ووجوب اتباع الإمام على أهل الإسلام... (انظر شرح المواقف ج٨: ص٢٥٢).

أقول: أوّلاً، إن الإمامة ما هي إلا نيابة عن النبوّة في كلّ ما هو من شؤونها، وهل تتوقف النبوّة على موافقة أهل الشوكة؟ فإنه لو تمّ ما ذكره، للزم إنكار نبوّة الأنبياء الذين لم يوافقهم أهل الشوكة بل حاربوهم وقتلوهم.

ثانياً: إنّ المقصود من الإمامة استمرار وظائف النبوّة، يقوم بها الإمام نيابة عن النبيﷺ، ومن الواضح أنّ هذا المقصود لا يعتمد على القدرة والسلطان، بل القدرة والسلطان من أسباب حصوله، وهذا صريح الآية المباركة: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾ (سورة الحديد:٢٥) وسنذكر تفصيل البحث في محله.

(١) قال صاحب المواقف: وإذا ثبت حصول الإمامة بالإختيار والبيعة فأعلم أنّ ذلك لا يفتقر إلى الإجماع إذ لم يقم عليه دليل من العقل أو السمع بل الواحد والإثنان من أهل الحلّ والعقد كاف؛ لعلمنا أنّ الصحابة اكتفوا بذلك، كعقد عمر لأبي بكر وعقد عبدالرحمن بن عوف لعثمان ولم يشترطوا اجتماع من في المدينة فضلاً عن إجماع الأمّة ، هذا ولم ينكر عليهم أحد. (انظر المواقف للإيجي ج٣: ص٥٩٠ وفي شرح المواقف للجرجاني ج٨: ص٣٥١).

➔

وحسب طالب الحق في معرفة بهتان السنّي نقل من نبهّنا عليهم هنا لما قاله الشيعي ناسياً له إليهم[١].

←

أقول: لا شك أنّ سبب هذا الاختلاف هوعدم وجود دليل شرعي على أنّ اختيار الإمام موكول إلى الأمّة؛ ولذلك ذهب كل واحد منهم إلى ما استظهره من الحوادث الواقعة في السقيفة، وتاريخ الخلافة الغاصبة. وهذا الإختلاف الفاحش في كيفيّة عقد الإمامة، يعرب عن بطلان نفس الأصل؛ لأنّه إذا كانت الإمامة مفوّضة إلى الأُمّة، لكان على النبي الأكرمصلى الله عليه وآله بيان تفاصيلها وخصوصيّاتها وخطوطها العريضة، وأنّه هل تنعقد بواحد أو إثنين من الصحابة؟ أو تنعقد بأهل الحلّ والعقد منهم؟ أو بحضور الصحابة عند رحلة النبيصلى الله عليه وآله أو رحلة الإمام السابق؟ أو باتّفاق جميع المسلمين بأنفسهم، أو بممثّليهم؟

ولا يخفى أنّ عقد الإمامة لرجل في الإسلام ليس أقلّ من عقد النكاح بين الزوجين الّذي اهتمّ به القرآن والسنّة، وقد إهتم الإسلام بخصوص النكاح وشؤونه وأحكامه، من خلال الآيات والروايات الكثيرة. والعجب أنّ عقد الإمامة الّذي تتوقّف عليه حياة الأُمّة، لم يطرح في النصوص، لا كتاباً ولا سنّة - على حد زعم القوم - ولم تُبَيَّن حدوده ولا شرائطه، ولا سائر مسائله الّتي كان يواجهها المسلمون بعد وفاة النبي الأكرمصلى الله عليه وآله مباشرة!! ولكن عقد النكاح الذي سهل فيه الشارع الأقدس فيه الشرائط والأحكام الكثيرة.

(١) لا شك أنّه لو تأمل الباحث في كتب أهل السنة والجماعة وفي باب الإمامة يجد أنّهم أولاً بكلّ قوة يذكرون أنّ الخلافة عندهم تنعقد بالإجماع أو بالشورى أو ببيعة أهل الحلّ والعقد الذين يمثلون ساحة واسعة من الأمّة، ولكنّ عندما يذكرون إنعقاد الخلافة لخلفائهم في السقيفة ومن كان على نهجها فلا يشترطون في ذلك الكيفيّة والكمّيّة، بل يعتبرون ما حدث في التأريخ مشروعاً عندهم وإن كان على خلاف ما أسسوه في باب الخلافة، وإليك ما جاء في كتبهم: قال أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (المتوفى سنة ٤٥٠ هـ) في كتابه الأحكام السلطانية: اختلف العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم

←

➔

على مذاهب شتى: فقالت طائفة: لا تنعقد إلا بجمهور أهل العقد والحلّ من كل بلد؛ ليكون الرضا به عاماً والتسليم لإمامته إجماعاً.....، وقالت طائفة أخرى: أقل من تنعقد به منهم الإمامة خمسة يجتمعون على غقدها أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة، استدلالاً بأمرين، أحدهما: أنّ بيعة أبي بكر إنعقدت بخمسة إجتمعوا عليها...ثم تابعهم الناس فيها....، والثاني: أنّ عمربن الخطاب جعل الشورى ستة ليعقد لأحدهم برضا الخمسة، وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلّمين. وقال الآخرون من علماء الكوفة: تنعقد بثلاثة يتولاهم أحدهم برضا الإثنين..... وقالت طائفة أخرى: تنعقد بواحد... (الأحكام السلطانية: ص٦-٧).

و قال أبو علي الجبائي (المتوفى سنة ٣٠٣ هـ) أنّ الإمام تنعقد بخمسة يجتمعون على عقدها (انظر الفصل في الملل والنحل لابن حزم ج٤: ص١٦٧ نقلاً عن الجبائي).

وقال جلال الدين المحلّى في شرحه على منهاج الطالبين للنووي: أنّ الإمامة تنعقد بالبيعة من قبل أربعة (شرح جلال الدين المحلّى على منهاج الطالبين ج٤: ص١٧٣).

ونقل فيه عن جماعة: أنّ الإمامة تنعقد بمبايـة ثلاثة؛ لأنّها جماعة لا يجوز مخالفتهم (انظر شرح منهاج الطالبين ج٤: ص١٧٣).

وقال بعضهم: إنّ الإمامة تنعقد ببيعة رجلين من أهل الورع والإجتهاد وهو رأي منسوب إلى سليمان بن جرير الزيدي وطائفة من المعتزلة (انظر اصول الدين للبغدادي: ص٢٨١ برواية الدكتور محمد رأفت عثمان في كتابه رئاسة الدولة: ص٢٦٥).

وذهب بعضهم إلى انعقاد الإمامة ببيعة عدد محدود وقليل، ولا مزيد أن نطيل الوقت بذكر ذلك؛ لأنه يكفينا في الردّ على ابن تيمية قول النووي المقبول عند أهل السنة والجماعة (لاحظ منهاج الطالبين للنووي ج٧: ص٣٩). والمهم أنّ هذه الأقوال صريحة في أنّ المعتبر عندهم في باب الإمامة والخلافة هو ما حدث في التاريخ وإن كان القانون والقاعدة الكلية عندهم غير ذلك. فمن الواضح لدى الخبير أنّه لا دليل على دعواهم في باب إنعقاد الإمامة بالإجماع أو بالشورى أو ببيعة أهل الحلّ والعقد،كما لا دليل على

➔

وثانيها: ما زعمه السنّي من توقف إمامة الرجل على بيعة ذوي الشوكة له، فانّه من عجيب المشاقات لله[1].

➔

صحة خلافة ما حدث في التاريخ، بل أنّ ما بنوا عليه مخالف للشريعة المقدسة كما سيتبين من خلال المباحث الآتية.

(١) وبعبارة أوضح أنّ ما نسبه ابن تيمية إلى أهل السنة بطلانه أوضح من أن يخفى؛ حيث أولاً: أنّ علماء الكلام من أهل السنة والجماعة لم يذكروا ذلك ولا يوجد هذه الدعوى في كتبهم بل غاية ما ذكروه هو انّ الإمامة تثبت عندهم بانتخاب أهل الحلّ والعقد، والفرق بين الأمرين واضح، فإنّ معنى أهل الشوكة هو أن يتمّ الأمر بالشوكة والجلالة والقوّة والبأس، ومعنى أهل الحلّ والعقد "أهل تحليل الأمور وربطها" وإن لم يتحقق الأمر بالشوكة، وهذا الإصطلاح كناية عن أهل الإجتهاد حسب ما قاله النووي في شرح صحيح مسلم ج٥: ص١٤٩.

وثانياً: أنّ الإمامة عند أهل السنة والجماعة هي النيابة عن النبيﷺ في كل ما هو من شؤونها، وهل تتوقف النبوة على موافقة أهل الشوكة، فإنّه أصر على هذا الكلام البائس الذي ينتهي إلى انكار النبوة حيث لو كان هذا الأمر معتبراً لكان اعتباره في باب النبوة بالأولوية؛ لأنّ الإمام نائب عن النبي، فلو كان تثبيت الإمامة بأهل الشوكة فتثبيت للنبي أيضاً بالضرورة. ولكن بطلان هذا الكلام من أوضح الواضحات عندهم؛ حيث أنّ النبوة ليست عندهم إلا بإرسال من الله عزّ وجلّ.

وثالثاً: أنّ سعد بن عبادة الذي حضر في السقيفة كان من أهل الشوكة؛ لأنّه كان زعيم الأنصار وهو من كبار الصحابة عندهم فكيف لم يعتنوا بمخالفته، بل أنّهم قتلوه!!!!

إذن ما ذكره ابن تيمية، أولاً: يكون مخالفاً لقول الله عزّ وجلّ حيث قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ االنَّاسُ بِالْقِسْطِ...**﴾ (سورة الحديد:٢٥) لأنّ الرسالة إنّما هي عن طريق إرسال الله عزّ وجلّ، وحيث أنّ الإمامة نيابة

➔

فإنّ موسى (على نبينا وآله وعليه الصلاة والتسليم) قد جعل أخاه هارون خليفة على قومه لمّا عزم على المضي إلى المناجات بدون جعل الشوكة له فاستضعفه القوم فلم يطيعوه[1].

➔

عن النبوة فالقول فيه أيضاً بتعيين الله عزّ وجلّ، فاعتبار تثبيتها بأهل الشوكة مخالف للقرآن الكريم.

وثانياً: أنّ ما وقع في السقيفة مخالف لما قاله ابن تيمية، فقوله مخالف لإجماع أهل السنة والجماعة لا يوافق ما حدث في السقيفة كما لا يخفى.

(١) لقد ذكر تبارك وتعالى قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم وبيّن فيه أنّه لمّا جعل موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام خليفةً وإماماً له عند ذهابه إلى جبل طور فلم يطيعوا أمر نبيّهم، وخالفوه، فاستضعفوا إمامهم كما قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة الأعراف:١٤٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الأعراف: ١٥٠). فالقرآن الكريم يستعرض ردة فعل موسى عليه السلام الشديدةفي قبال تخلف امته عن طاعة خليفته اخاه هارون عليه السلام.

وفي الحقيقة كان هذا الموقف من موسى عليه السلام من أجل وثنية بني اسرائيل وانحرافهم في تلك المدة القليلة التي غاب فيها من أنظارهم؛ فإنّ المنافقين من بني اسرائيل استغلوا الفرصة لا سيمّا انّ أكثرهم كانوا صاحب الأموال والثروات كالسامري الذي صنع العجل من حلّيهم وأموالهم، ومن هنا يتبّين أن صاحب الشوكة في عصر موسى عليه السلام هم أهل النفاق من بني اسرائيل الذين جعلوا ما عندهم من الحلّي والأموال في اختيار السامري

➔

ومن الضروري ثبوت إمامته عليهم(١).

وقد نصّ أهل ألسنّة بأجمعهم على صيرورة الرجل إماماً بنفس من جعل من سبقه(٢).

➔

وهو صنع بها العجل فيتّضح من الآيات المباركة أنّ اختيار الخليفة لم يكن من قبل أهل الشوكة بل كان من قبل نبي الله موسى عليه السلام، فلا يبقى إلا أن يكون مقصود ابن تيمية المنافقين الذين هم أهل الشوكة!!

وثانياً: إذا كان أهل الشوكة من المنافقين كيف يجوز لهم اختيار الإمام وأن تكون الخلافة بموافقتهم؟!!!

(١) أي ثبوت إمامة هارون عليه السلام على قوم موسى عليه السلام بجعل من نبي الله موسى عليه السلام كما قال تعالى: ﴿**وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي**﴾... (سورة الأعراف: ١٤٢).

فمن اين يدعي إبن تيمية نصب الخليفة بأهل الشوكة؟!!

أليس أنّ القران الكريم صريح في أنّ الإمام والخليفة منصوباً من قبل النبي؟ أليس أنّ نبي الله موسى عليه السلام اختار خليفته؟ والقرآن أيدّ هذه الإمامة والخلافة ؟

(٢) لا شك أنّ علماء أهل السنّة والجماعة قد اتّفقوا على أنّ الإمامة تنعقد من جهتين، أحدهما: باختيار أهل الحلّ والعقد، والثاني: بعهد من الخليفة والإمام السابق، نعم اختلفوا في عدد أهل الحل والعقد الذين تنعقد الإمامة بهم.

وإمّا انعقادها بعهد الإمام من قبل فقد صرحوا باعتباره؛ لأنّ أبابكر قد عهد بخلافة عمر، ليكون خليفة من بعده، قال النووي: أجمعوا على انعقاد الخلافة بالاستخلاف.... (انظر شرح صحيح مسلم ج١٢: ص٢٠٥). وكذلك ابن حجر في فتح الباري ج١٣: ص١٧٨ والعيني في عمدة القاري ج٢٤: ص٣٨٩ والمباركفوري في التحفة الأحوذي ج٦: ص٣٩٧ وغيرهم. فإنّه كما ترى أنّهم قد أخذوا شرعية خلافة خلفائهم من تاريخ الخلافة عندهم، لا بالدليل الشرعي. وإذا أخذنا بعين الاعتبار شائعة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ترك أمّته

➔

قال ابن حزم في الفصل: لم يخالف في ذلك أحد[١].

ونصّ النووي في منهاجه على كونهم مجمعين على صيرورة الرجل خليفة بنصب من تقدّم عليه له خليفة من بعده[٢].

➔

ولا راعي لها، أو خلى على الناس أمرهم، نجد أن فعل الخلفاء هو السند الشرعي الوحيد في هذه الناحية، وسند الإجماع ما هو إلا دعوى تفتقر إلى دليل، فمن يجرؤ على مخالفة الغالب؟ وهل يتحقّق الإجماع بالإكراه؟!!

فالحقيقة الثابتة عندهم هي أن الخليفة هو من غلب على الأمر سواء كانت الغلبة بالسيف أو بتعيين سلطان غالب، وأنه لا بديل أمام الأمة، فإمّا الموافقة أو إعمال القدرة على المخالف، فالموافقة أسلم!

وأنت تلاحظ أن هذه القواعد وضعية علماء السوء والمتزلّفين إلى حكّام الجور، بمعنى أن الحكام قد وضعوها وأمروا العلماء المنتمين اليهم بالإفتاء حسب ما يعجبهم، فما جاء في كتبهم لا علاقة للشرع بها. لأن التشريع منحصر بالله وبرسوله، ولا يملك أياً كان أن يشترك مع الله والرسول في هذه المهمة!

(١) قال ابن حزم: أمّا عقد الإمامة فبوجوه..... الثالث: يعهد الإمام عند وفاته خليفة المسلمين إلى رجل...... وقد انعقد الإجماع بالنسبة للطريقة الأخيرة...... (انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج٤: ص١٦٩).

أقول: ولعل أجمل تفسير لهذه الدعوى الباطلة، ما ذهب إليه الدكتور طه حسين من أن بيعة أبي بكر لم تتم في أول أمرها عن ملأ من جماعة المسلمين، وعن تشاور، وإحالة للرأي وإنما تمّت فجأة. وسنذكر تفصيل الكلام في محله إن شاء الله تعالى.

(٢) انظر شرح صحيح مسلم للنووي ج١٢: ص٢٠٥. وملخص الكلام: أنّ فكرة الإمامة عند أهل السنة والجماعة واضحة، ومذكورة في كتبهم، فهي عندهم غير محددة لأبعاد خاصة من جهة الشرع، بل هي تنعقد عندهم بنفس الأسباب التي حصلت بها في السقيفة

➔

إلى غير هذه من كلماتهم، المعلوم منها ثبوت إمامة الرجل بنفس جعل من تقدّمة له إماماً بدون حاجة إلى جعل قوة وشوكة له(١).

➔

وما كانت سبباً لخلافة أبي بكر، ثم تحقّق به خلافة عمر وبعد ذلك خلافة عثمان، سواء كان السبب بيعة الصحابة ولو كانت البيعة من شخص واحد كبيعة عمر لأبي بكر أو بالنصب،كنصب أبي بكر عمر للخلافة، أو بالشورى كما جعل ذلك عمر لانتخاب الخليفة، أو بالقدرة والسلطة على الرعية كما تحقق الأمر في عهد معاوية أو بأمر آخر سواء كان بالإنتخاب، أو بالقوة، أوالشوكة، فعلى كل حال أنّ الإمام عندهم كبقية أفراد الرعية ليس له مزية على ساير الناس وإن حصلت له الخلافة بأحد الأسباب المذكورة؛ لأنّ هذه الأسباب لا يغير ذاته ولا خصوصياته، وإنّما حصلت له كما تحصل الرئاسة لأحد الناس العاديين.

وعليه من كان حاكماً فهو الإمام عندهم، إن لم يغلب عليه حاكم آخر فإذا غلب عليه حاكم آخر بالسيف فهو الإمام، ويجب عليهم طاعته، وأن يدينو له بالسمع والطاعة وإن كان فاسقاً وفاجراً وظالماً، قال التفتازاني: "ولا يَنْعَزِلُ الإمام بالفسق، أو بالخروج عن طاعة الله تعالى، والجور (أي الظلم على عباد الله)، لأنّه قد ظهر الفسق، وانتشر الجور من الأئمة والأُمراء بعد الخلفاء الراشدين، والسلف كانوا ينقادون لهم، ويقيمون الجُمَع والأعياد بإذنهم، ولا يرون الخروج عليهم. ونَقَل عن كتب الشافعية أنّ القاضي ينعزل بالفسق بخلاف الإمام، والفرق أن في انعزاله ووجوب نصب غيره إثارة الفتنة، لما له من الشوكة، بخلاف القاضي (انظر شرح المقاصد للتفتازاني ج٢: ص٢٧٢).

وبعبارة أوضح: أنّ انعقاد الإمامة عند أهل السنة والجماعة إنّما يكون على أساس ما حدث في تاريخ خلفائهم وانطلاقاً من مجريات واقع الخلافة عندهم كما تقدّمت الإشارة إليه في المباحث السابقة.

(١) وبعبارة أوضح: أنّه اتّفقت كلمات أهل السنّة والجماعة على جواز عهد الإمامة بعهد من

➔

فإنّ حصول القوة والشوكة له تابعان لطاعة الناس له، فحاله حال النبي من هذه الجهة، فالنبي نبي بنفس جعل الله سبحانه له نبياً، ولو لم تصر له قوة وشوكة، بل ولو لم يصدّقه الناس ولم يطيعوه(١).

←

قبله؛ وذلك استدلّوا بفعل أبي بكر حيث عهد بها عمر بن الخطاب فأثبتوا له الإمامة بذلك.

وأيضاً استدلوا بفعل عمر حيث عهد بها إلى أهل الشورى (انظر الأحكام السلطانية للماوردي: ص١٠ والمواقف للقاضي الإيجي ج٣: ص٥٨٩ وغيرها من المصادر). فليس هناك من يقول باشتراط القوة والشوكة فلاحظ.

(٢) من الواضح أنّ القوة والشوكة تابعتان للطاعة والإنقياد لأوامر الحاكم، والحاكمية السياسية قد تكون لمن فرض الله طاعته كالنبي صلى الله عليه وآله كما في قوله تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ...**﴾ (سورة النساء:٥٣) والمستفاد من آية الكريمة أنّ طاعة الرسول صلى الله عليه وآله في الحقيقة هي طاعة الله؛ حيث أنّ الله تبارك وتعالى أمر بذلك كما أنّ المستفاد من الآية أيضاً عصمة الرسول صلى الله عليه وآله الذي أوجب الله تعالى طاعته على الإطلاق فالاية الكريمة تدّل على أنّ للنبي صلى الله عليه وآله ولاية على الناس وقيمومية على الدين وعندئذ تكون القوة والشكوكة الحاصلتان من طاعة النبي صلى الله عليه وآله تابعتان للحاكمية التي حصلت بأمر الله تعالى.

وقد تكون القوة والشوكة حاصلة من الحاكمية السياسية التي لم يجعل الله لها الولاية على الناس، بل هي قد تكون سلطة مخالفة لولاية الله عزّ وجلّ كما أنّ القدرات التي واجهت الأنبياء هي القدرات السياسية الحاكمة على رقاب الناس ان ذاك وقد أشار تبارك وتعالى بذلك في قوله: ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا...**﴾ (سورة الأنعام:٣٤) فحال الإمام والخليفة بعد الرسول صلى الله عليه وآله يكون كذلك أي إمّا أن يكون له الحاكمية والقدرة فيحصل له القوة والشوكة، وإمّا أن لا يكون

←

ومن جعله النبي خليفة من بعده، ومن جعله الخليفة خليفته من بعده يصير خليفة ولو لم تطعه رعيته حسبما عرفت في قصة موسى وهارون عليهما السلام، فإنّ الذي على الله سبحانه إقامة الحجّة على الخلق بإرسال الرسول إليهم، التي يعلمون بها صدقه(١).

➔

له ذلك، فمع فرض وجود الولاية الإلهية له تكون الحاكمية له،كالأنبياء الذين لهم الولاية، وإنّ عدم طاعة الرعية للإمام أو النبي الذي له الولاية الإلهية لا يقدح في إمامته ورسالته، كما أن مخالفة الأمم السابقة لدعوة أنبيائهم، لم يسلب منهم مقام النبوة والرسالة؛ لأنّ الله تبارك تعالى أعطاهم ذلك المقام الرفيع، ومن أعطاه الله النبوة والرسالة أوجب طاعته على الناس سواء أطاعهم الناس أم لم يطيعوه.

(١) وبعبارة أوضح: أنّ وجوب طاعة من له الولاية الإلهية ثابتة من الله عزّ وجلّ بنص صريح في كتابه العزيز وهو قوله تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ....**﴾ (سورة النساء:٥٩) والمستفاد من الآية الكريمة أنّ طاعة الله لا تنفصل عن طاعة من له الولاية الإلهية؛ لأنّ الأمر بالطاعة من الله تبارك وتعالى على نحو الاطلاق يدلّ على العصمة وطاعة المعصوم واجبة بأمر الله سبحانه؛ فإنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿**وَمَن يطع اللَّهَ وَالرَّسولَ فَأولَئكَ مَعَ الَّذينَ أَنعَمَ اللَّه عَلَيهم منَ النَّبيّينَ وَالصّدّيقينَ وَالشّهَدَاء وَالصَّالحينَ وَحَسنَ أولَئكَ رَفيقاً**﴾ (سورة النساء:٦٩) وقال تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدخلهُ جَنَّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ خَالِدينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ**﴾ (سورة النساء:١٣) فالله تبارك وتعالى أعطاهم هذا المقام.

وبعبارة أخرى: أنّ الله تبارك وتعالى واجب الطاعة بالذات والمعصوم واجب الطاعة بالعرض ولعلّ تكرار لفظ أطيعوا في قوله تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾ اشارة إلى هذا المعنى أي الفرق بين الطاعتين. وعليه فمن رفض طاعة الرسول فإنّ رفضه لا يقدح في رسالة الرسول وولايته، كما أنّ من رفض طاعة الله لا يقدح في ربوبية الله عزّ وجلّ،

➔

وعلى الرسول جعل خليفة عليهم بعينه باسمه ونعته بحيث يمتاز بهما عن غيره(١).

➔

وكذلك من رفض طاعة الإمام.

ومن هنا يعرف أنّ طاعة أولى الأمر في الآية الشريفة أيضاً واجبة على الإطلاق بمثل طاعة الله والرسول وذلك بمقتضى العطف وظهور النصّ، فحال من رفض طاعة الإمام والخليفة بعد النبيﷺ حال من رفض طاعة النبيﷺ، وأيضاً أنّ عدم طاعته لا ينقدح بإمامته وولايته كما أنّ عدم طاعة الرسولﷺ لا ينقدح برسالته فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ حقيقة الإمامة والخلاقة هي استمرار لوظائف الرسالة السماوية، فيلزم ان تكون إمرة إلهية، التي تدخل في علم الكلام، وهي من مباحث الإرادة الإلهية، فلا بدّ أن تتحقّق بجعل من الله عزّ وجلّ، فإنّ الله تبارك وتعالى هو الذي يجعل من يراه صالحا لتصدي الرسالة، فكذلك الإمامة خليفة لما بعد الرسول؛ فإنّهما يتحققان بإرادة الله عزّ وجلّ.

ولايخفى أنّ لهذا المقام جهات عديدة، منها: الجهة الإجتماعية والسياسية ومنها: الجهة الدينية التي هي لا بدّ أن تبقى أثرها إلى يوم القيامة.

وهذين الجهتين لا بدّ وأن يكونا ظاهرين في الإمام، فإنّ الإمام لابدّ أن يكون أفضل الناس بعد رسول اللهﷺ، وكذلك لابد أن يكن أعلم الناس بأمور الدين. وقد بيّن النبي الأكرمﷺ للناس من له هذين الجهتين بأسمائهم وصفاتهم لئلا تقع الناس في الإنحراف والضلالة.

فالشيعة تعتقد أنّ النبيﷺ قد بيّن وأكّد على من هو الإمام والخليفة من بعده، ونصّ على خلفائه بأسمائهم وصفاتهم في الأحاديث المتواترة، وقد رواها علماء الإسلام ومحدّثيهم، حتى بعض علماء أهل السنّة والجماعة رووا هذه الأحاديث في أصح كتبهم، منها حديث الأئمة من بعدي اثنا عشر، وقد رواه البخاري ومسلم في صحيحهما كما ستأتي الاشارة

🡐

فمن تابعه وعمل بأمره ونهيه فقد عمل بقول الله ورسوله(١)

ومن عصاه ولم يتبعه فقد عصى الله ورسوله بعد قيام الحجة عليه وتبيّن سبيل الهدى لديه(٢).

إليه، بل وبعضهم روى الأحاديث التي فيها اسماء الأئمة الاثني عشر وصفاتهم بما هي كافية للإحتجاج عليهم (لاحظ فرائد السمطين للحمويني الجويني ج٢: ص١٣٢ ح٤٣١، وينابيع المودة ج٣: ص٣٨١).

(١) وذلك لقول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا....**﴾ (سورة الحشر:٧) وطبقاً لهذا الأصل القرآني يجب على جميع المسلمين أن يلتزموا باتباع أوامر رسول ربّ العالمينﷺ والالتزام بالاجتناب عمّا نهى عنه في الاعتقاد والقول والعمل ويؤيّد ذلك ما قاله تعالى في نهاية الآية: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾، فهدد سبحانه وتعالى من لم يلتزم أو من لم يعمل بذلك فينتظره العذاب الشديد.

وهناك آيات عديدة أخرى تدّل بالصراحة على أنّ طاعة النبيﷺ واجبة كطاعة الله عزّ وجلّ مثل قوله تعالى: ﴿**مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً**﴾ (سورة النساء:٨٠). ومعنى ذلك أنّه لا انفصال بين طاعة الله وطاعة رسوله؛ وذلك لأنّ الرسولﷺ لا يخطو خطوة إلا بأمر الله عزّ وجلّ ولا يعمل إلا بإرادة الله، فكلّ ما يصدر منه من القول والفعل والتقرير يكون من الله عزّ وجلّ ومطابق لإرادته سبحانه وتعالى، وهذا حقيقة قوله تعالى حيث يقول على الإطلاق: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ**﴾، فمعناه أن العمل بما آتاه الرسولﷺ إنّما يكون امتثالاً لأمرالله سبحانه قبل أن يكون امتثالاً لأمر النبي ﷺ فلاحظ.

(٢) وتوضيح المقام أنّه اتّفق المسلمون على أن طاعة النبيﷺ فرض محتم على الناس، كطاعة اللّه تعالى، إذ هو سفيره الى العباد، وأمينه على الوحي، ومنار هدايته الوضاء. ثم إنّ واقع الطاعة هو: اتباعه في القول والفعل والتقرير، وتطبيق مبادئه الخالدة، التي بها سعد

المسلمون ونالوا آمالهم وأمانيهم، إلا بالتمسّك بها والحفاظ عليها. وما تخلفوا واستكانوا إلا باغفالها والانحراف عنها.

وقد حذّر تبارك وتعالى عن عصيانه صلى الله عليه وآله ومخالفته صلى الله عليه وآله، حيث قال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّات تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ* وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (سورة النساء:١٣-١٤).

وقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ* كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (سورة المجادلة:٢٠-٢١).

وقال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة النور:٦٣) ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة النور:٦٤).

وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (سورة النساء:٦٥) لقد أقسم تعالى _في هذه الآية_ بأنّ الأفراد لا يملكون إيماناً واقعيّاً إلا أن يتحاكموا إلى النبي صلى الله عليه وآله وقضائه ولم يتحاكموا إلى غيره؛ وذلك لأنّ الإيمان بالله غير قابل للفصل عن الإيمان بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله واتباع دينه.

وبعبارة أوضح: أنّه لا يتم العمل من المؤمن إلا باتباع الرسول صلى الله عليه وآله كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (سورة الأحزاب:٣٦) هذه الآية المباركة تؤكّد أيضاً على أنّ روح الإسلام التسليم لأوامر الله ورسوله صلى الله عليه وآله فيجب أن يكون

فأي معنى ومدخليّة لما زعمه السنّي من لزوم القدرة والشوكة في الخليفة حينئذ[١].

→

المؤمن تسليماً لأمر الله تعالى بلا قيد ولا شرط. وهذا الاتباع شرط في قبول الدين والأعمال، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (سورة النور:٥٤).

ومن البديهي أنّ الله تعالى غني عن طاعة الناس إلا أنّ هذا النوع من التسليم إنّما يكون لصالحهم كما أن الطبيب الحاذق يقول للمريض إنّني سأعالجك إذا أذعنت لأوامري تماماً، فإنّ المريض إذا خالف أمر الطبيب إنّما يعد الخسران اليه، والله تبارك وتعالى أسمى وأرحم بعباده من الطبيب فيقول تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ (سورة النساء:١١٥).

(١) وبعبارة أوضح أنّ مهمة الإمام نفس مهمة الرسول في هداية الناس وهذه المهمة لا تستلزم القدرة والشوكة.

وتوضيح المقام أنّ الإمام والخليفة هو الذي يفسّر القرآن ومعلّمه، كما أنّ النبيﷺ كان كذلك، وكما أنّ النبيﷺ كان يبين الأحكام للناس من الحلال والحرام، فالإمام كذلك، وأنّ النبيﷺ كان يصون المجتمع الديني من التحريف والشبهات التي قد تثير من قبل الأعداء وإلى غير ذلك من مهماته ووظائفه، فكذلك الإمام فإنّ وظيفته صيانة المجتمع من التحريف، وكبقية وظائف النبيﷺ تكون على عاتق الإمام، لأنّه قائم مقامه. فالإمام له الولاية على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم وإقامة العدل والحقّ بينهم وصيانتهم من التفرقة والاختلاف وغير ذلك، فكلّ هذه المسؤوليات لا تستلزم القوة والشوكة. كما أنّ عدم طاعة الإمام أو النبي لا تسلب مسؤولياتهما. وعليه أنّ منصب

←

فإن زعم السنّي أنّ المقصود من إمامته لن يحصل بغير الشوكة، قيل له: من الضروري كون المقصود من الخليفة هو القيام بالوظائف التي قام بها الرسولﷺ بالنسبة الى الخلق، من بيان الدين لهم، بأمره لهم بمعروف ونهيه لهم عن المنكر، وإقامة الحدود وتأمين السبل، وتسليم حقّ المظلوم من الظالم، وجهاد البغاة والكفرة وغير ذلك من وظائف الرسولﷺ، وجملة من هذه يفتقر جريانها في العالم إلى معاونة ذوي القوة والقدرة من متابعي النبيﷺ وخليفته، فان لم يطيعوه لن تحصل[1].

➔

الإمام كمنصب النبي يلزم أن يكون أنْ يكون الإمام أعلم أهل زمانه، وإلى غير ذلك من أوصاف النبي التي يجب أن يتصف بها الإمام.

(١) وملخص الكلام أنّ الإمام هو خليفة رسول اللهﷺ، فلا بدّ أن يقوم بوظائف الرسولﷺ ومسؤولياته، والتكاليف التي كانت على عاتقه؛ حيث أنّ حاجة الناس لم تنته بعد وفاة النبيﷺ فضرورة حاجة الناس إلى الرسالة السماوية تقتضي أن يكون الإمام والخليفة الذي يمثّل الرسولﷺ في جميع الجهات أن يقوم بوظائف صاحب الشريعة ليسدّ بذلك الفراغ الحاصل بوفاة الرسولﷺ، وكذلك ليقوم بالوظائف التي كانت على عاتق الرسولﷺ. وأمّا الوظائف التي يلزم على الرسولﷺ أن يقوم بها فهي عبارة عن: أولاً التصدي للشؤون الدينية وهي تشمل:

ألف) بيان أحكام الدين الحلال والحرام، لا سيمّا الأحكام المستحدثة والتي لا يوجد لها نصّ في الكتاب والسنّة النبوية العطرة بخصوصها، وإنّما يشملها العمومات والإطلاقات في الأدلة المعتبرة التي لا يمكن بيانها إلا من علّمه النبيﷺ ذلك.

ب) نشر العقيدة الإسلامية الحقة وبيان التوجيه الديني وتثقيف المسلمين.

ج) حفظ الشريعة من الشبهات التي قد تثيرها أعداء الإسلام والجواب عنها، وحفظ المسلمين

➔

فعدم حصولها ناش من معصية الرعية لسلطانها الشرعي، فعدم حصول المقصود حينئذ مسبب عن معصية الناس خاصة، وليس عن تقصير وقصور في الرسولصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِه وخليفته[1].

➔

من الانحراف، والسد أمام التيّرات الملحدة والكافرة.

ثانياً: التصدي لشؤون المسلمين الدنيوية وهي عبارة عن:

ألف) تنظيم أمور الناس الداخلية وترتيب أمور معاشهم.

ب) الدفاع عن الأمّة من العدوان الداخلي والخارجي، وحفظ ثغور الإسلام.

ثالثاً: رفع الخصومات والحكم بين أفراد الرعية وحلّ نزاعاتهم.

فهذه أهمّ وظائف صاحب الرسالة التي كان رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِه يقوم بها في حياته، فيجب على الإمام وخليفته أن يقوم بها بعد رحليه ليسدّ بها الفراغ الحاصل من وفاته.

وعليه يجب على الناس معرفة إمام زمانهم وهو الإمام الذي له مواصفات النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِه ليقوم مقامه، فعند ذلك تجب طاعته كوجوب طاعة النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِه على الإطلاق، كما وجبت عليهم معرفة النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِه، فلو لم يعرفوه أو عرفوه ولم يطيعوه، فليست الخسارة إلا لهم، وإن لم يحصل للنبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِه القدرة والشوكة الظاهرية، فالإمام كذلك فلو لم يعرفه الناس، أو عرفوه ولكن لم يطيعوه فانّهم يخسرون في الدنيا والآخرة بسبب عدم انتفاعهم منه؛ فإنّ عدم انتفاعهم من الإمام الذي هو منشأ لكل الخير سوف ترجع خسارته إليهم.

(١) وتوضيح المقام: أنّ الله تبارك وتعالى قد رسم لسعادة الإنسان الخطوط العريضة التي قام عليها الدين فأمر جميع الناس بطاعته وطاعة رسله وطاعة خلفاء رسله فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ (سورة النساء:٨٣) فجعل طاعة الإمام مساوية لطاعة الرسول، بل مساوية لطاعة الله عزّ وجلّ؛ ومعنى ذلك: أنّ قول الإمام وفعله وتقريره حجة كما أنّ قول

🡐

➔

وفعل وتقرير الرسول أيضاً حجة.

وفي بعض الآيات جعل الله طاعته في مقابل طاعة الشيطان، وذلك لتبيين أنّ الناس إمّا أن يدخلوا في طاعة الله ورسوله وخليفته وإمّا أن يتّبعوا الشيطان ليس إلا، فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾ (سورة البقرة:٢) وقد تكرّرت هذه العبارة في القرآن الكريم في عدة مواضع وهي تحذير من وسائس الشيطانية والحثّ على الابتعاد عنه؛ لأنّ اتّباعه موجب للخروج عن طاعة الله ورسوله والإمام المفترض الطاعة فيكون اتّباع الشيطان في مقابل طاعة الله ورسوله.

وعليه فإنّ طاعة الإمام إنّما تكون واجبة، كما طاعة الله عزّ وجلّ ورسوله واجبة، فطاعة الإمام كطاعة لله ورسوله كما يظهر ذلك من من قوله تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾. وعليه فمن لم يلتزم بطاعة الإمام فقد حرم نفسه من بركات طاعة الله ورسوله التي تكون مفتاحاً لكل خير وسعادة، قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ (سورة الرعد:٢٨). وهذه القاعدة العامة الأساسية جارية في حياة الإنسان حيث أنّ القرب من الله والابتعاد الشيطان لا يتحقّق إلا بالفوز والدخول في من قال تعالى في حقه: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ**﴾ (سورة الرعد:٢٩) وقد ذكر المفسرون في تفسير الآية: أنّ كلمة طوبى لها مفهوماً واسعاً وهي أحسن الأشياء وأفضل الحياة والعيشة وأفضل النعم وألطاف الإلهية، كل ذلك نتيجة الإيمان بالإمام المعصوم.

وعليه فإنّ عدم طاعة الناس الإمام المفترض الطاعة من قبل الله عزّ وجلّ ليس عن تقصير وقصور في تبليغ الرسولﷺ، بل الخسران العائد للرعية من عدم طاعتهم الإمام والسلطان الشرعي الذي أمر الله تعالى بطاعته، فلاحظ.

أما علم السنيّ من الفرقان العظيم بأنّ الله قد قصد من خلق الخلق العبادة له[(١)]؟

(١) هذه العبارة إشارة إلى قوله الله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (سورة الذاريات:٥٦)، والآية الكريمة صريحة في أنّ الجنّ والإنس لم يخلقوا إلاّ لأجل العبادة والرقى والتكامل، والسعادة إنّما تكون مرهونة بالعبادة، فالواقع أنّ معنى الآية: ما خلقت الجنّ والإنس إلا ليتكاملوا في أعلى درجات الإنسانية؛ لأنّ العبادة منهج لتربية الإنسان في الأبعاد المختلفة، فالعبادة بمعناها الشمولي هي التسليم المطلق لأمر الله عزّ وجلّ؛ وهي تهب الإنسان المعنوية بحيث يحصل له الصفات العالية ويتكامل بها في الأبعاد المختلفة؛ لأنّ التسليم لإرادة الله عزوجل موجب للقرب منه، وكلّما ازداد القرب من الله ارتقى الإنسان الدرجات التربية وبها تحصل الكمال، فبالإتقاء في العبودية يحصل للإنسان التكامل.

فالعبادة هدفها السامي تربية الإنسان وتكامله؛ إذ من الواضح أنّ الله تعالى غني عن عبادة مخلوقاته ولا يحتاج إليها وإنّما يحتاج إليها الإنسان لطي مراحل التكامل، فمتى أصبح الإنسان متصفاً بهذه الصفة العالية، يكون محققاً للغاية من خلق الإنسان.

وأمّا إذا تمردّ عن طاعة الله عزوجل فلا يحصل له السعادة والكمال أبداً، بل أنّه يقدم على سقوطه في الهلكات، وهو أشبه بحال المريض الذي وقف على رأسه الطبيب الحاذق ليعالجه ويعطيه الدواء للمعالجة، فإذا لم يفعل المريض ما أمره الطبيب للمعالجة فقد أهلك نفسه بسبب مرضه وعندئذ فلا عتب إلاّ على نفسه؛ لأنّه يقال له: لماذا ما عملت بأمر الطبيب وخالفته؟

هذا وإنّ الله أسمى وأرحم بعباده من مثل هذا الطبيب الحريص على علاج الناس؛ ولذلك قال تعالى: ﴿**وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِيناً**﴾ (سورة الأحزاب:٣٦)، ومعناه أنّ من لم يدخل في طاعة الله ورسوله فقد ضلّ الطريق وخسر السعادة وحرم نفسه عن التكامل.

←

ومعه وجد نقيض مقصوده حسبما قال سبحانه: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾(١).

➔

ومن هنا يعرف أنّ من لم يطع الله والرسول والإمام المفترض الطاعة فهو ضال وخارج عن طريق السعادة وهو خاسر خسراناً مبيناً، ومع ذلك أنّ مخالفته لا يمس القدرة الإلهية وإنّما يكون خسراناً لنفسه.

(١) سورة يوسف: ١٠٣، هذه الآية الكريمة تسلية من الله عزّ وجلّ لرسولهﷺ وذلك للتأكيد وبيان حقيقة هامة ألا وهي: أنّ أغلب الناس لا يهتدون إلى الحق، بل وأكثرالناس على الباطل مع أنّ سنّة الله هو تبيين الحق للناس بإرسال الرسل والتعاليم السماوية؛ فإنّه تعالى بعد ما انتهت قصة يوسف بكلّ دروسها التربوية ونتائجها القيمة إنتقل إلى الكلام حول النبي الأكرمﷺ حيث يقول له: إنّ ذلك ليس حال أهل مكة فقط، إن كانوا هم أشدّ من غيرهم من الأمم السابقة في المخالفة والعصيان، ولكن حيث أنّ النبيﷺ كان حريصاً على إيمانهم وهدايتهم خاصة قومه من قريش فلم يدع شيئاً في مجال الدعوة إلى الله عزّ وجلّ، ولكن مع ذلك لم يستجيبوا دعوة نبيّهم وفي الواقع لم يستجيبوا لدعوة الله عزّ وجلّ لانكبابهم على الدنيا وانجذاب نفوسهم إلى زينتها والإعراض عما أودع الله في فطرتهم من الميل إلى الحق.

وعلى أي حال كان لزاماً على الناس أن يؤمنوا بالنبيﷺ بعد مشاهداتهم الآيات الباهرة والبراهين الساطعة وسماعهم النصائح الوحيانية وكان المفروض أن يتفاعلوا بما جاء به النبيﷺ ولكن لم يلبّوا الدعوة إلى الحق كما كان الأمر كذلك في الأمم السابقة فقال تعالى تسلية للرسول: يا أيّها النبي اعلم ما أكثر الناس لو حرصت بمؤمنين فإنّ وصف "الحرص" دليل على شوق ولهفة النبيﷺ لأن يؤمن الناس بالله تعالى، ولكن ما الفائدة؟ فإنّ إصراره وشوقه إلى ذلك لم يكن كافياً في النتيجة، بل من الشرط للإيمان الإستعداد والقابليّة في نفس الأشخاص فكما الزراعة لا تتحقّق في الأرض المالح لعدم وجود

➔

وقال سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾(١).

➔

الاستعداد والقابلية فيها كذلك النفوس الممسوخة بالباطل.

فهذه الآية المباركة جاءت بعد ذكر قصة يوسف لتبيّن أنّ أبناء نبي الله يعقوب كانوا يعيشون في بيت النبوة والوحي ومع ذلك تجد كيف عصف بهم الأهواء حتى كادوا أن يقتلوا أخاهم، فكيف يتوقّع من جميع الناس الذين تربوا في المجتمعات الفاسدة أن يغلبوا على أهوائهم وشهواتهم مرّة واحدة وبشكل جماعي ويؤمنوا بالله الواحد القهار؟

فهذه الآية الكريمة تسلية لقلب النبي الأكرمﷺ حتى لا يستوحش من قلّة المؤمنين مع إصراره لإيمانهم ونجاتهم الجميع..

(١) سورة سبأ: ١٣، هذه الآية الكريمة جاءت بعد ذكر المواهب الإلهية إلى آل داود فتخاطبهم وتقول لهم: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾.

فالشكر عبارة عن: تقدير نعمة المنعم بحيث تظهر آثاره هذا التقدير في الأعضاء الظاهرية والباطنية فتظهر آثاره في القلب بصورة الخضوع والخشوع والمحبّة والخشية وأمثال ذلك، وعلى اللسان بصورة الثناء والمدح والحمد وأمثال ذلك، وفي الأعمال والأفعال بصورة الطاعة واستعمال الجوارح في رضاء المنعم.

قال المحقق الطوسي: الشكر أشرف الأعمال وأفضلها، وأعلم أنّ الشكر مقابلة النعمة بالقول والفعل والنيّة وله أركان ثلاثة: الأوّل: معرفة المنعم وصفاته اللائقة به، ومعرفة النعمة من حيث أنّها نعمة، ولا تتم تلك المعرفة إلا بأن يعرف أن النعم كلّها جلّيها وخفيها من الله سبحانه وأنّه المنعم الحقيقي وإنّ الأوساط منقادون لحكمه ومسخّرون لأمره.

الثاني: الحال التي هي ثمرة تلك المعرفة وهي الخضوع والتواضع والسرور بالنعم من حيث إنّها اكرام منه وعناية منه للمنعم عليه فيستوجب الشكر بما يكون منتهياً للقرب منه.

الثالث: العمل الذي هو ثمرة تلك الحالة فإنّ تلك الحالة إذا حصلت في القلب يحصل به

➔

فوجود ضدّ مقصوده من خلقه ليس لضعف في قدرته ، بل لمعصيتهم له بعد قيام الحجّة له عليهم بإرسال رسله بآياته الباهرة ، وبعد قيامها عليهم بنصب خلفائهم من بعدهم قادة لهم الى دين الله القويم(١) .

➔

نشاط العمل الموجب للقرب من المنعم وهذا العمل يتعلّق بالقلب واللسان والجوارح (انظر بحار الانوار ج٧١: ص٣ نقلاً عن المحقق الطوسي).

وملخّص الكلام أنّ الشكر الذي أشارت له الآية الكريمة هو الشكر على نحو الإطلاق كي يشمل القليل منه؛ وذلك لتفهيم أنّ العاملون به على نحو الحقيقة قليلون جدّاً، نعم الشكر اللساني دون العملي قد يكون موجوداً ولكنّ المقصود بالآية هو الشكر العملي وهم الشكرين الذين يصدر من العباد المطيعون لربّ العالمين حقّ طاعة. فمعنى الآية: وقليل من عبادي المطيعون الشكور.

(١) وبعبارة أوضح أنّ ارسال الرسل وانزال الكتب ونصب الأولياء إنّما يكون لإقامة الحجّة على الخلق كي تكون هدايتهم بذلك بعد اقامة الحجة عليهم، وعليه فإنّ عدم إيمانهم بعد اقامة الحجة عليهم لا يكون دليلاً على عدم قدرة ربّ العالمين من هداية الناس أجمعين، ولو شاء الله لهداهم أجمعين بالقوة والجبر، ولكن ليس ذلك من حكمة ربّ العالمين، إذ الإيمان هو الاعتقاد الراسخ بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان ولا يمكن فيه الجبر؛ لأنّ السعادة والتوفيق يحصلان بالهداية التي تحصل بطيب النفس كما قال تعالى: ﴿**فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ..**﴾ (سورة يونس:١٠٨) وقال تعالى: ﴿**وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا...**﴾ (سورة الإسراء:١٥).

فعدم إيمان الناس باله ربّ العالمين ليس معناه عدم وجود القدرة والشوكة لله سبحانه؛ إذ أنّ الله تبارك وتعالى غني عن عباده فلو لم يؤمن الناس به بأجمعهم فلا ينقص من قدرته تبارك وتعالى، قال الله تعالى: ﴿**إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ**﴾ (سورة الزمر:٦)؛ ومعنى هذه الآية الكريمة أن لا

➔

فعلم مما بيّناه فساد ما زعمه السنّيّ بمخالفته للشريعة[1].

وثالثها: ما زعمه من صيرورة علي عليه السلام إماماً بعد مبايعة الناس له بعد قتل عثمان[2].

➔

تتصوّروا إنّ إيمانكم بالله يكون فيه النفع لربّ العالمين فلا ينتفع الله بإيمانكم لأنّه غني عن عباده.

وملخّص الكلام أن هذه الآيات المذكورة في المتن لسان حال عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله للناس: بأنّي لست مأموراً بإجباركم على قبول الحقّ والإيمان بالله؛ لأنّ الإيمان هو الاعتقاد القلبي ولا معنى للاجبار فيه، فتريد الآية أن تقول: إذا آمنتم بالله فإنّ ايمانكم ينفعكم في الدنيا والآخرة وعدم إيمانكم ضرره عائد إليكم فمن ضلّ فإنّما يضلّ نفسه ومن اهتدى فإنّما يهتدي لنفسه.

إذن عدم إيمان الناس بالله تبارك وتعالى وبانبيائه وأوصياء انبيائه لا يكون من جهة عدم القدرة والشوكة لرب العالمين ولا لعدم شوكة أنبيائه وخلفائهم ، بل إنّما يكون إثمه وضرره للناس فلاحظ.

(١) وملخّص الكلام أنّ ما زعمه ابن تيمية مخالف لصريح القران وضرورة الإسلام؛ حيث أنّ إجماع المسلمين قائم على أنّ الإيمان الإجباري لا يكون إيماناً حقيقياً، وأنّ صريح القرآن دالّ على أنّ أغلب الأنبياء كانوا مقهورين في أمّتهم، كما أنّ صريح القرآن أكثر الناس أهل العصيان والتمرّد على الله سبحانه وهذا لا يعني عدم وجود القدرة والشوكة لله رب العالمين ولا لرسله وخلفائه كما هو واضح ظاهر.

(٢) لايخفى على الخبير بطلان هذه الدعوى؛ لأنّ من الواضح أنّ المنظور الإسلامي للخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله أوسع من القيادة السياسية فحسب؛ حيث أنّ الخلافة في الإسلام عبارة عن نيابة الرسول صلى الله عليه وآله في جميع الأمور والجهات التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتولاها، وبعبارة أوضح الخلافة هي القيام مقام رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع المسؤوليات التي كانت على

➔

فإنّه من عظيم المشاقات لله سبحانه ولرسولهﷺ لما تقدّم من السنن العديدة الصحيحة عند من تُسمّى بأهل السنة التي دلّت على إمامته على الخلق عامة بعد الرسولﷺ دون غيره ممن بايعهم الجمهور، فقامت الحجة على الجمهور بما سمعوه من السنن المشار إليها وغيرها مما يأتي[1].

➔

عاتق رسول اللهﷺ سوى نزول الوحي عليه ومن تلك المسؤوليات القيادة السياسية، فالتصدي للحكومة الذي ركز عليه ابن تيمية هو أحد صلاحيات الخلافة لا تمامه؛ لأنّ إجماع المسلمين قائم على أنّ خليفة رسول اللهﷺ هو الذي يقوم مقام رسول اللهﷺ وله جميع مسؤوليات النبيﷺ ليسدّ الفراغ، ومقتضى ذلك تحميل جميع المسؤوليات عليه سوى نزول الوحي عليه.

والمسؤوليات التي كانت على عاتق النبيﷺ هي عبارة عن:

١- بيان وتفسير القرآن الكريم

٢- دفع الشبهات التي قد تثير بين المسلمين

٣- تعليم الناس الأحكام الأسلامية

٤- رفع الخصومة بالقضاء بين المسلمين

٥- التصدي للحكومة الإسلامية

وغيرها من المسؤوليات، فما زعمه ابن تيمية بطلانه أوضح من أن يخفى؛ لأنّ ما قصده من الخلافة هي، خلافة الرسولﷺ على نحو الإطلاق ، ولكن استدلّ على ذلك بما يستند إليه العرف في انتخاب الرئيس للحكومة لا الخلافة الشرعة التي قامت الأدلة الشرعية على اعتبارها، والفرق بين الأمرين واضح ظاهر.

(١) لا شك أنّ الخلافة على نحو الإطلاق لا تقل عن النبوة؛ لأنّ الخليفة هو النائب عن النبيﷺ في جميع المسؤوليات لا القيادة السياسية فحسب، فيلزم أن تكون الخلافة بالنص كما أنّ النبوة تكون من قبل الله عزّ وجلّ.

➔

والعجب العجيب ما نقله عن إمامه أحمد: من تفسير خبر من مات وليس عليه امام[١].

المعلوم الصحة لديه؛ حيث لم يناقش في سنده، بل بيّن معناه وهو في المعنى مطابق لخبر: من مات ولم يعرف إمام زمانه وغيره ممّا مضى[٢]

➔

ومن هنا أنّ الشيعة الإمامية يستدلون بالأدلة المتفقة بين جميع المسلمين على خلافة الأئمة الإثني عشر، فيستدلون بالقرآن والروايات المتواترة بين جميع المسلمين على إمامة أميرالمؤمنين والأئمة من العترة الطاهرةعليهم السلام كآية الولاية والمباهلة والتطهير وغيرها من الآيات والأحاديث المتواترة كحديث الغدير وحديث الثقلين وحديث السفينة وحديث الكساء وغيرها الدالة على امامة ائمة أهل البيتعليهم السلام، وهي أحاديث متواترة لدى الفريقين وسيأتي ذكرها والإستدلال بها مفصلاً إن شاء اله تعالى.

(١) انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٩٦

(٢) هذا الحديث بهذا اللفظ ذكره جملة من كبار علماء أهل السنة في كتبهم وصحّحوه، بل ذكروا ما ورد قريب من هذا المضمون متظافراً، ممّا يرجع مضمونها إلى عدم خلوّ كل عصر من إمام تجب على الناس طاعته، لشرعية إمامته، إلا أنّهم عجزوا عن الأخذ بمضمونه؛ حيث لا إمام لهم في أكثر الأعصار بعد وفات النبيصلى الله عليه وآله ولا مجال لهم للعمل بمضمونها، وإليك بعض هذه النصوص، منها: قولهصلى الله عليه وآله: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» (انظر ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج٣: ص٤٧٥).

منها قولهصلى الله عليه وآله: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٩٦، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٥: ص٢١٨، ومسند الشاميين ج٢: ص٤٣٧، وحلية الأولياء لأبي نعيم ج٣ ص٢٢٤ وغيرها).

منها، قولهصلى الله عليه وآله: «من مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهلية» (انظر كتاب السنة لأبي عاصم ج٢: ص٥٠٣، ومسند أبي يعلى الموصلي ج١٣: ص٣٦٦، والمعجم الأوسط للطبراني ج٢:

➔

فإنّ تفسيره له بما نقله السنيّ عنه هنا مناقض للسنن التي نقلها هو في مسنده بالطرق الصحيحة المعروفة المشهورة المعتمد عليها عنده وعند غيره[1].

➔

ص٣٦١، وكنز العمال للمتقي الهندي ج١: ص٢٠٧ وغيرها).

منها قولهﷺ: من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢٢ كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، والسنن الكبرى للبيهقي ج٨: ص١٥٦، مجمع الزوائد للهيثمي ج٥: ص٢١٨ وغيرها).

ونحو ذلك مما يرجع إلى عدم خلوّ كل عصر من إمام تجب على الناس طاعته، لشرعية إمامته ومعنى ذلك وجوب معرفة الإمام أوّلاً ثم التسليم له ثانياً وعدم خلو زمان منه ثالثاً.

فهذه الروايات مطابقة لمدلول قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**﴾ (سورة الاسراء:٧١)، حيث يدل على أن لكلّ إنسان إماماً يدعى به. وعليه فإنّ جميع هذه الألفاظ المختلفة يرجع الى معنى واحد وهو وجود الإمام الذي تجب طاعته في كل عصر وزمان.

(١) وتوضيح المقام أن ما نسبه ابن تيمية إلى أحمد بن حنبل في رسالته الى عبدوس بن مالك العطار في تفسير الحديث، مردود بالوجوه التالية:

الأوّل: لا شك أنّ ما قصده أحمد بن حنبل في تفسير الحديث: من أنّ الإمام هو الذي يجتمع عليه الناس لا توجد قرينة على هذه الدعوى؛ حيث أن الحديث بالفاظه المختلفة مطلقة، لا يوجد قيد فيه، وحيث أنّ رسول اللهﷺ حكيم وكان في مقام البيان ولم يقيّد قوله بالقيد المذكور فما ادعاه باطل لعدم وجود الدليل عليه.

وبعبارة أخرى: لو كان مقصود النبيﷺ من الإمام من يجتمع عليه الناس لبيّنه ولأقام عليه القرينة في اللفظ وحيث لم ينصب قرينة على التقييد يحمل كلامهﷺ على الإطلاق ومعناه أنّ الإمام الذي يجب على الناس بيعته لا يشترط فيه أن يجمع الناس عليه وهذا خلاف ما فسّره أحمد بن حنبل...

➔

مثل خبر«ولي كلّ مؤمن بعدي»(١)

➔

الثاني: أنّ حديث «من مات وليس له امام....» قد ورد بألفاظ متعددة ولم يرد فيها هذا القيد ولا يوجد حديث صحيح عند الفريقين يقيّده ومعناه أنّ هذا الحديث لا يمكن حمله على التقييد مطلقاً سواء كان بلفظ معرفة الإمام أو بلفظ آخر.

الثالث: ما ذكره أحمد بن حنبل من تفسير الحديث، فإنّه مناقض لما رواه في فضل مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام وأفضلية أهل البيت عليهم السلام حيث أنّه يدلّ بالصراحة على أنّهم أولى من غيرهم سواء أجتمع الناس عليهم أم لم يجتمعوا، وأيضاً سواء اجتمع الناس على غيرهم أم لا. بل وكثير منها تدلّ بالصراحة على إمامة مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام.

(١) لقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عبدالله بن حصين، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سرية وأمّر عليهم علي بن أبي طالب فأحدث شيئاً في سفؤه فتعاهد، قال عفان: فتعاهد أربعة من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أن يذكروا أمره لرسول الله صلى الله عليه وآله قال عمران: وكذا إذا قدمنا من سفر بدأنا برسول الله صلى الله عليه وآله فسلّمنا عليه، قال: فدخلوا عليه، فقام رجل منهم فقال: يا رسول الله إنّ علياً فعل كذا وكذا، فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وآله، ثم قام الثاني فقال: يا رسول الله إنّ علياً فعل كذا وكذا، فأعرض عنه، ثم قام الثالث فقال: يا رسول الله إنّ علياً فعل كذا وكذا، فأعرض عنه، ثم قام الرابع فقال: يا رسول الله إنّ عليّاً فعل كذا وكذا، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله على الرابع وقد تغيّروجهه فقال: «دعوا علياً، إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي» (مسند احمد بن حنبل ج٤: ص٤٣٨). ورواه الترمذي في سننه ج٥: ص٢٩٦ والنسائي في فضائل الصحابة: ص١٥ وفي سننه الكبرى ج٥: ص٤٥ والحاكم النيسابوري في مستدركه ج٢: ص١٢٤ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٢٠ وابن أبي شيبة في المصنف ج٧: ص٥٠٤ وغيرهم.

وهذا الحديث يدلّ بالصراحة على أنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولي كل مؤمن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فهو أولى بكل مؤمن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. وهل هذا المعنى يجتمع مع تفسير أحمد في قوله: أنّ الإمام من يجتمع الناس عليه؟

وخبر خليفتي فيكم[(١)].

وخبر عشر خصال الذي تضمن كون خليفة علياً عليه السلام[(٢)].

(١) أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن عباد بن عبدالله الأسدي عن علي قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ قال: جمع النبي صلى الله عليه وآله من أهل بيته، فأجمع ثلاثون فأكلوا وشربوا، قال: فقال لهم: «من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنّة ويكون خليفتي في أهلي؟» فقال علي: أنا (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١١١)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١١٢، والطبراني في معجمه الأوسط ج٤: ص٢٩٦، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج١: ص٢٢٥، والمتقي الهندي في كنز العمال ج١٣: ص١٢٩، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج٢: ص٢٥٦، وابن كثير الشامي في تفسيره ج٢: ص٢٦٢، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤: ص٢٢، وابن الأثير في البداية والنهاية ج٣: ص٥٢، وغيرهم وهذا الحديث أيضاً يدلّ بالصراحة على أنّ مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام هو الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٢) لقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن عمرو بن ميمون قال: إني لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط، فقالوا: يابن عباس، إما أن تقوم معنا وإما أن تخلونا هؤلاء، قال: فقال ابن عباس: بل أقوم معكم، قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى، قال فابتدؤا فتحدثوا فلا ندري ما قالوا، قال: فجاء ابن عباس ينفض ثوبه ويقول: أف وتف، وقعوا في رجل له بضع عشرة فضائل ليست لأحد غيره، وقعوا في رجل قال له النبي صلى الله عليه وآله: «لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً، يحب الله ورسوله»، قال: فاستشرف لها من استشرف، قال صلى الله عليه وآله: «أين علي»، قالوا: هو في الرحل يطحن، قال صلى الله عليه وآله: «وما كان أحدكم ليطحن؟» قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد يبصر، قال: فنفث في عينيه ثم هزّ الراية ثلاثاً فأعطاها إياه، فجاء بصفية بنت حيى، قال: ثم بعث فلاناً بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها منه، قال: «لا يذهب بها إلا رجل مني وأنا منه»، قال: وقال لبني عمه: «أيكم يواليني في الدنيا والآخرة؟» قال: وعلي معه جالس، فأبوا، فقال علي: «أنا أواليك في الدنيا والآخرة» قال: «أنت وليي في الدنيا والآخرة» قال: فتركه ثم أقبل على رجل منهم، فقال: «أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة؟»

←

←

فأبوا، قال: فقال علي: «أنا أواليك في الدنيا والآخرة» فقال: «أنت وليي في الدنيا والآخرة»، قال: وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة، قال: وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً» قال وشرى على نفسه، لبس ثوب النبي صلى الله عليه وآله ثم نام مكانه، قال: وكان المشركون يرمون رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء أبو بكر وعلي نائم، قال: وأبو بكر يحسب أنه نبي الله، قال: فقال: يا نبي الله، قال: فقال له علي: «إن نبي الله صلى الله عليه وآله قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه»، قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار، قال: وجعل علي يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله وهو يتضور قد لف رأسه في الثوب لا يخرجه حتى أصبح ثم كشف عن رأسه، فقالوا: إنك للئيم، كان صاحبك نراميه فلا يتضور وأنت تتضور وقد استنكرنا ذلك، قال: وخرج بالناس في غزوة تبوك، قال: فقال له علي: «أخرج معك» قال: فقال له نبي الله: «لا» فبكى علي، فقال له: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي، إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي» قال: وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنت وليي في كل مؤمن بعدي»، وقال: «سدوا أبواب المسجد غير باب علي» فقال: فيدخل المسجد جنباً وهو طريقه لبس له طريق غيره، قال: وقال: «من كنت مولاه فإنّ مولاه علي»، قال: وأخبرنا الله عزّ وجلّ في القرآن أنه قد رضى عنهم عن أصحاب الشجرة فعلم ما في قلوبهم، هل حدثنا أنه سخط عليهم بعد قال: وقال نبي الله صلى الله عليه وآله لعمر حين قال: ائذن لي فلأضرب عنقه، قال: «أو كنت فاعلاً وما يدريك لعل الله قد اطلع إلى أهل بدر» فقال: «اعملوا ما شئتم» (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٣٣١). ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ج٢: ص١٢٢، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١١٩، والنسائي في سننه الكبرى ج٥: ص١١٢، وفي خصائصه: ص٦٢، والطبراني في المعجم الكبير ج١٢: ص٧٧، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج١: ص١٧٤، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٩٨، وابن حجر في الاصابة ج٤: ص٤٦٦ وغيرهم. وهذا الحديث أيضاً يدلّ على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وخلافته بلا فصل.

وخبر «إنّي تارك فيكم خليفتين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[١]. وغيرذلك من السنن التي ضمنها مسنده[٢]. وهي بأجمعها دلّت على إمامة علي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله[٣].

---

(١) أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود مابين السماء والأرض، أو ما بين السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص١٨١)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج١: ص١٧٠، والطبراني في المعجم الكبير ج٥: ص١٥٩، وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة ج٦: ص١٥٨ وغيرهم.

(٢) فإنّ السنن والروايات التي رواها أحمد بن حنبل في فضائل مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام الدالّة على إمامته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل كثيرة جداً لا يسع المجال لذكرها في المقام. وكلّها مناقضة لما نسبه ابن تيمية إليه في رسالته الى عبدوس بن مالك العطار في تفسير الحديث المذكور، من أنّ الإمام هو الذي يجتمع عليه الناس، ومن تلك السنن والروايات التي رواها أحمد في مسنده حديث المنزلة (انظر مسند أحمد ج١: ص١٧٢)، ومنها حديث الراية (انظر مسند أحمد ج١: ص١٣٢)، ومنها حديث الطير (انظر مسند أحمد ج١: ص١٣٥) وفي فضائل الصحابة ج٢: ص٨٠٢ ومنها، حديث المؤاخات (انظر كتاب فضائل الصحابة لأحمد ج٢: ص٧٦٥) ورواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة عن مسند أحمد (انظر ينابيع المودة ج١: ص١٧٧)، ومنها حديث «من آذى علياً فقد آذاني...» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٤٨٣)، ومنها حديث خاصف النعل (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٣٣)؛ وغير ذلك من الروايات والسنن التي رواها أحمد بن حنبل وهي كثيرة جدّاً.

(٣) لا شكّ أنّ هذه الروايات الكثيرة وغيرها التي نقلها أحمد بن حنبل وغيره من علماء الاسلام، المتضمنة لإمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل، مضافاً إلى ما ورد من القرائن والمؤيدات كثيرة في الروايات الكثيرة جداً ←

فليت شعري ما وجه تركه لها وذهابه إلى إمامة غير علي عليه السلام ووُلده؟ فهل نسخها صاحب الشريعة صلى الله عليه وآله في عصره؟ فأين الخبر الناسخ(١)؟

وهو بنفسه روى خبر السقيفة المتضمن لقول عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة(٢).

➔

وسيأتي البحث فيها إن شاء الله مفصلاً. واجمال البحث أنّ هذه النصوص والروايات على طوائف متعددة:

الطائفة الأولى: "هي الروايات الدالة على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وولايته ووجوب طاعته كوجوب طاعة النبي صلى الله عليه وآله وذلك كآية الولاية وحديث الغدير وغيرها من النصوص".

الطائفة الثانية: "هي الروايات الدالة على أنّ الإمامة في أهل البيت عليهم السلام حصراً وذلك كحديث الثقلين وغيرها".

الطائفة الثالثة: "الدالة على أنّ أئمة بعد النبي صلى الله عليه وآله، اثنى عشر لا أقل ولا أكثر وهذه الطائفة أيضا لا تنطبق الا على أئمة أهل البيت عليهم السلام وسيأتي تفصيل الكلام في ذلك إن شاء الله تعالى".

(١) وبعبارة أوضح أنّ هذه النصوص واضحة الحجية والدلالة عند جميع المسلمين وبعضها متواترة لدى جميع المسلمين، فيجب على جميع المسلمين الالتزام بها؛ لأنّه يجب عليهم العمل بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله الا أن يكون هناك ناسخاً، ومن الواضح أن الناسخ لا بدّ من وجودها واثباتها قال الله تعالى: ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**...﴾ (سورة البقرة:١٠٦) ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾.

(٢) لقد أخرج أحمد في مسنده، بسنده عن ابن عباس أنّه قال في حديث طويل، أسموه بحديث السقيفة، قال: قال عمر: "إنما كانت بيعة أبي بكر فَلْتَة وتمَّت، ألا وإنّها قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرَّها... مَن بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايَع هو

➔

وروى قول عُمر إن أستخلف، فقد استخلف من هو خير مني... إلى آخره[1].

وغير ذلك ممّا دلّ على عدم النصّ على من قال بإمامتهم وسمّاهم

➔

ولا الذي بايعَه تغرَّة أن يُقتَلا" (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٥٥)، ورواه البخاري في صحيحه ج٨: ص٢٦، كتاب المحاربين، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت وغيره. وفي رواية أخرى: ألا إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة، وقى الله المؤمنين شرَّها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه وذكر هذا الحديث من علماء أهل السنة (انظر تاريخ الخلفاء: ص٥١، البداية والنهاية ج٥: ص٢١٥، السيرة النبوية ج٤: ص٦٥٧. الكامل في التاريخ ج٢: ص٣٢٦، الرياض النضرة ج١: ص٢٣٣، مختصر التحفة الاثني عشرية: ص٢٤٣).

فقول عمر: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة معناه: أن البيعة تحقّقت بلا مشورة، قال ابن منظور في لسان العرب: "يقال: كان ذلك الأمر فلتة، أي فجأة إذا لم يكن عن تدبّر ولا تروّ، والفلتة: الأمر يقع من غير إحكام".

وقال ابن الأثير في تفسير ذلك: أراد بالفلتة الفجأة... والفلتة كل شيء.

(١) رواه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه عن ابن عمر، أن عمر قيل له: ألا تستخلف؟ فقال: إن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله ﷺ وإن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني أبوبكر (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٤٣)، ورواه البخاري في صحيحه بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن عمر قال: قيل لعمر بن الخطاب: ألا تستخلف؟ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله ﷺ فأثنوا عليه (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٢٦ كتاب الأحكام، باب الإستخلاف) فالحديث صريح في انكار وجود النصّ على خلافة أبي بكر لصحة خلافة أبي بكر بتصريح عمر بن الخطاب.

الجمهور بأمير المؤمنين[(١)].

---

(١) لقد وردت روايات كثيرة تدّل على أنّه لا يوجد نص على خلافة أبي بكر، وهي كثيرة، بل أصبحت من الضروريات عند أهل السنة؛ إذ أنّهم يقولون: إنّما بادر أهل السقيفة لانتخاب أبي بكر لأنّ النبيﷺ لم يستخلف، ويستدلون على ذلك بأدّلة، منها: قول أبي بكر في مرضه الذي مات فيه: "قال: وددت أنّي سألت رسول اللهﷺ لمن هذا الأمر؟ فلا ينازعه أحد. ووددت أني كنت سألته هل للأنصار هي هذا الأمر نصيب؟ (انظر تأريخ الطبري ج٢: ص ٦٢٠)، فإنّ من هذا الأمر هو أمر الخلافة، ولذلك استدلوا بهذا النص على عدم وجود النصّ على خلافة أحد.

ومنها: اعتراف عمر بن الخطاب لبيان وجه معارضته للنبيﷺ عن الوصية في مرض وفاته؛ بأن يكتب كتاباً ما إن تمسّكوا به لن يضلوا بعده أبداً، فعندما سألوه إبن عباس عن ذلك؟ قال: لقد كان رسول الله من أمره ذروة من قول وأراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك.. (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص٤٥) وإلى غير ذلك من الأدلة والنصوص وسنذكر جميعها إن شاء الله في محله.

ثم إنّ لقب أميرالمؤمنين، لم يكن معروفا لأحد قبل الإسلام، وإنّما ورد به روايات في حق الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام، وفي الحقيقة هو اسم رباني منحه الله تعالى للإمام علي بن ابي طالبعليه السلام، فلا يجوز لأحد ان يتسمى به. كما أن المعروف ان كل ألقابهعليه السلام كالصديق والفاروق وغيرها من الله عزّ وجلّ وهذا موثق ليس في كتبنا فقط بل في كتب صحاح أهل السنة، فعلى سبيل المثال فقد أخرج النسائي بسنده عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله قال: قال علي بن ابي طالبعليه السلام: «أنا عبد الله وأخو رسولهﷺ وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذباً صليت» (انظر السنن الكبرى للنسائي ج٥: ص١٠٧)، ورواه إبن أبي العاصم في الآحاد والمثاني ج١: ص١٨٢، وابن أبي شيبة في المصنف ج٦: ص٣٦٨، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ج١: ص٣٦٤، والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٤: ص٣٨٨، والطبراني في المعجم الكبير ج٦: ص٢٦٩، وابن ماجه في سننه ج١: ص٤٤، وغيرهم. وهناك روايات كثيرة بهذا ←

➔

المضمون أو قريب لم نذكرها رعايةً للاختصار.

وقد روى الشيخ الصدوق رحمه الله في الأمالي بسنده عن ابن أبي عمير، عن حمزة بن حمران، عن أبيه، عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه جاء إليه رجل، فقال له: يا أبا الحسن، إنك تدعى أمير المؤمنين، فمن أمرك عليهم؟ قال عليه السلام: «الله جل جلاله أمرني عليهم». فجاء الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، أيصدق علي فيما يقول إن الله أمره على خلقه؟ فغضب النبي صلى الله عليه وآله وقال: «إنا علياً أمير المؤمنين بولاية من الله عزّ وجلّ، عقدها له فوق عرشه، وأشهد على ذلك ملائكته، أن علياً خليفة الله، وحجة الله، وأنّه لإمام المسلمين، طاعته مقرونة بطاعة الله، ومعصيته مقرونة بمعصية الله، فمن جهله فقد جهلني، ومن عرفه فقد عرفني، ومن أنكر إمامته فقد أنكر نبوتي، ومن جحد إمرته فقد جحد رسالتي، ومن دفع فضله فقد تنقصني، ومن قاتله فقد قاتلني، ومن سبّه فقد سبّني، لأنه مني، خلق من طينتي، وهو زوج فاطمة ابنتي، وأبو ولدي الحسن والحسين»، ثم قال صلى الله عليه وآله: «أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين حجج الله على خلقه، أعداؤنا أعداء الله، وأولياؤنا أولياء الله» (الأمالي للشيخ الصدوق: ص١٩٤).

روى الشيخ الماحوزي عن الفقيه رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني في كتاب المناقب في فضل آل أبي طالب: "أن أبا بكر لما بويع للخلافة يوم السقيفة اجتمعوا في أول جمعة، وقام أبو بكر على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب، فقام إليه علي عليه السلام وذكره بحقه وما هو الواجب له، وما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّه يوم الغدير وغيره من المواقف التي نص فيها، وبين لهم بذلك وجوب الخلافة له من بعده، وأنه القائم بالأمر دون من عداه، وذكره باقامة الله وعيد الآخرة. ثم انه (سلام الله عليه) استشهد جماعة من الصحابة، فقال: «رحم الله امرئ سمع مقالة رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الغدير، فليقم وليشهد بما سمع»، فقام يومئذ من المسجد اثنا عشر رجلاً، ستة من المهاجرين، وستة من الأنصار، فشهدوا بحضرة الجماعة بما قاله النبي صلى الله عليه وآله في يوم الغدير، وما أكّده من الوصية في حقه عليه السلام.

➔

وهل نزل عليه جبرئيل بأنّ تلك السنن منسوخة وقد كتم نسخها من هو رحمة للعالمين ﷺ(١)؟! أم جرى على سيرة جمهور الصحابة في

➔

وقالوا: يا أبا بكر رد الحق إلى أهله، انك سمعت كما سمعنا، وشهدت كما شهدنا، أما تذكر قول النبي ﷺ لك ولعمر لما سلم على علي بامرة المؤمنين، فقلت: ما أفبأمر من الله ورسوله؟ فقال (صلوات الله وتسليماته عليه): «نعم، فقمتما، أما أنت يا أبا بكر فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين، وأما أنت يا عمر فقلت: بخ بخ لك يابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، خف الله يا أبا بكر وانصف الرجل، ولا تظلم أهل البيت حقهم، ولا تسلبهم ملكهم الذي جعل الله لهم، وتكلم كل واحد بكلام يشبه هذا الكلام، حتى أفحم على المنبر، ولم يستطع أن يرد جواباً. فلما فرغ القوم من كلامهم» قال أبو بكر: أيها الناس أقيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم، فقام إليه عمر عجلاً، وقال: لا نقيلك ولا نستقيلك، قدمك رسول الله علينا في حياته، فكيف لا نقدمك بعد وفاته؟ ثم قال: يا لكع إذا كنت لا تقوم بحجة فلم أقمت نفسك في هذا المقام؟ والله لقد هممت أن أخلعها منك وأجعلها في أبي عبيدة، ثم أنزله من المنبر وخرجوا من المسجد، ولم ينتظم في ذلك اليوم أمر جماعتهم (كتاب الأربعين للماحوزي: ص٢٥٩).

وروى العلامة المجلسي بسنده عن بريدة الأسلمي قال كنا نسلم على علي بن أبي طالب عليه السلام بحضرة رسول الله ﷺ بإمرة المؤمنين نقول: «السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، ويردّ علينا» (انظر بحار الأنوار ج٣٧: ص٣٢٤).

(١) هذا الاستفهام انكاري للتوبيخ وهو أسلوب معروف في اللغة العربية كما استعمله الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم عندما أراد أن يبين عدم رضاه مما يقوله الكفار والمشركون أو مما يفعلونه، فيستنكر عليهم ويوبخهم بما يقولون وما يصنعون، فمثلاً قول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ من شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ

➔

المخالفة لسنة الرسولﷺ متابعاً لمن قال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ (١).

➔

تَحْكُمُونَ﴾ (يونس:٣٥)، قال أهل التفسير: "فما لكم" أي: فأي شيء لكم في عبادة الأوثان كيف تحكمون أي لأنفسكم وتقضون بهذا الباطل الصراح، تعبدون آلهة لا تغني عن أنفسها شيئاً إلا أن يفعل بها، والله يفعل ما يشاء فتتركون عبادته، ألا تعلمون أن من يهدي إلى الحق أحق أن يتبع من الذي لا يهتدي إلى شيء، إلا أن يهديه إليه هاد غيره، فتتركوا اتباع من لا يهتدي إلى شيء وعبادته، وتتبعوا من يهديكم في ظلمات البرّ والبحر، وتخلصوا له العبادة فتفردوه بها وحده، دون ما تشركونه فيها من آلهتكم وأوثانكم؟ وهكذا بقية الآيات فإذا تتبعتها في أماكنها المختلفة وأخذت بداية سياقها وجدت الاستفهام فيها للإنكار وتوبيخ الكفار وتقريعهم وإقامة الحجة عليهم، اقرأ مثلاً قول الله تعالى: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ* مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾. وقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ وإلى غير ذلك من الآيات.

فالسؤال التوبيخي هنا من ابن تيمية ومن سار على نهجه هو أنّه مع وجود تلك الأدلة والنصوص على خلاف ما زعمه فما هو الدليل على ادعائه؟ وهل أنّه يدعي نزول الوحي عليه؟!!!!!!

(١) سورة الزخرف:٢٣، هذه الآية الكريمة تبين حقيقة هامة، وهي، بيان الذريعة التي تمسك بها المشركون والكفار الذين صدوا عن سبيل التوحيد وحاربوا الأنبياء؛ لأجل الحفظ على التقاليد الجاهلية التي وصلتهم من آبائهم، وإحياء سننهم التي جرت عادتهم عليها، فكانوا يستعملون مختلف الأساليب والحيل للصدّ عن طريق الحق، وما جاء به الأنبياء والرسل بكل قوة؛ حيث وجدوا أنفسهم مترفين ومغرورين من جهة الثروة والمال ومغروقين في أهوائهم وشهواتهم لئلا تتبيّن الحقيقة ولا يدخل أحد من الناس في زمرة الحقّ، بل كانوا يسعون الى تحذير الناس وابقائهم في الجهل بالفساد والتعدي والظلم

➔

ورابعها: ما نقله عن إمامه أحمد من كون أصول السنّة عنده المتابعة للصحابة؛ فإنّه من عظيم المخالفات لله ورسوله[1].

←

والمعصية واظهار الرذائل في المجتمع.

وجدير بالذكر أن القرآن الكريم ينقل عن لسان هؤلاء بأنّ ما كانوا يفعلونه ليس فقط اعمالهم، فقال تعالى: ﴿**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ**﴾ (سورة الزخرف:٢٢)، فالتعبير بالمهتدون اشارة إلى جهلهم بآثار السوء من تقاليد الجاهلية، وفي الآية الثانية يقول تعالى: ﴿**إِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ**﴾، فالظاهر من هذا التعبير إشارة إلى إصرارهم على اتّباع آبائهم مع علمهم بأنّ آبائهم غير محقّين، بل كانوا يذعنون ببطلان ما فعله آبائهم بعد ما جائهم الحق مبيناً، فالآية الكريمة فيها نوع من التسلية للنبي الأكرمصلى الله عليه وآله والمؤمنون ليعلموا أن ذرائع المشركين والكفار ليست بشيء جديد، وإنّما هو طريق قد سلكه المنحرفين والضالين على مر الأعصار والتأريخ.

ومن هنا يتبين أن ما سلكه ابن تيمية في مقام البحث مطابق لما سلكه المشركون والكفار حسب ما ذكره الله تبارك وتعالى عنهم في قرآن الكريم؛ حيث أنّه غمض عيناه عن الأدّلة القرآنية وجعل صوته منضماً إلى أصوات الكفار والمشركين ليصد سبيل الحق، ولئلا يطلع أحد من أهل السنة الحقيقة فينقلبوا عما كانوا عليه، فأراد بهذا الاسلوب إحياء سنة المشركين المتعصبين على الكفر والشرك ليتعلمها أهل نحلته، فلاحظ.

(١) فلا شك أن أصول أهل السنة ليست متابعة الصحابة؛ لأنّ المقصود من أصولهم عقيدتهم، والعقيدة شيء، ومتابعة الصحابة شيء آخر.

وبعبارة أوضح أنّ المتابعة من مقولة الفعل، ومرجعه إلى التكليف وفروع الدين، بخلاف العقيدة، فإنّها من الأمور القلبية التي ترتبط بإيمان الإنسان وما يضمر في قلبه من أصول العقيدة كالتوحيد والنبوة والمعاد. وعليه ما ذكره ابن تيمة في المقام ليس إلا خلط وخبط أو الكذب على الله ورسولهصلى الله عليه وآله.

فـإنّ الله سـبحانه بـيّن فـي محكـم فرقانـه العظـيم بآيـة ﴿انقلبــتم﴾[1]

(١) قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ من قَبْله ٱلرُّسُلُ أَفإِنْ مَّـاتَ أَوْ قُتِـلَ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَـيْئاً وَسَـيَجْزِي ٱللَّـهُ ٱلشَّاكِرِينَ﴾ (سورة آل عمران:١٤٤) هذه الآية الكريمة نزلت في يوم أحد حين ما شاع أن رسول اللهﷺ قتل فانهزم الناس وولوا العدو أدبارهم وانكشف ضعف ايمانهم حتى أنّهم قالوا: قتل محمد، فالتحقوا بدينكم الأوّل (انظر تفسير الطبري ج٤: ص١٥١).

فالانقلاب على عقبيه أي رجوع الى السابق قال الراغب: ورجع على عقبيه إذا انثنى راجعاً، وانقلب على عقبيه نحو رجع على حافرته، ونحو ارتدا على آثارهما قصصا، وقولهم رجع عوده إلى بدئه (المفردات في غريب القرآن ج١: ص٣٤٠). وحيث جعل تبارك وتعالى الانقلاب على الأعقاب جزاءً للشرط الذي هو موت الرسولﷺ أو قتله، أفاد ذلك أن المراد به الرجوع عن الدين، أي "الرجوع إلى الكفر بعد الإيمان". وفيه أخرج ابن جرير عن السدى قال: "فشا في الناس يوم أحد أن رسول اللهﷺ قد قتل، فقال بعض أصحاب الصخرة، ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبي، فيأخذ لنا أماناً من أبى سفيان، يا قوم أن محمّداً قتل فارجعوا إلى قومكم، قبل أن يأتوكم فيقتلونكم، قال أنس بن النضر، يا قوم إن كان محمّد قد قتل فإن رب محمّد لم يقتل، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمّد، اللهم إني أعتذر إليك ممّا يقول هؤلاء، وأبرء إليك ممّا جاء به هؤلاء، فشدّ بسيفه فقاتل حتى قتل، فأنزل الله وما محمد إلا رسول الآية.." (الدر المنثور ج٢: ص٢٥٢). فالآية تكشف الحقيقة عن عقيدة الصحابة وايمانهم عندما رجّحوا الكفر على الإسلام في ساحة الحرب بحجة أنّ الرسولﷺ قتل. ومعنى ذلك: أنّ الاعتقاد بالاسلام عندهم مادام رسول اللهﷺ حيّاً فإذا مات انقلبوا على أعقابهم، أي "انقلبوا إلى ما كانوا عليه في الجاهليه من الكفر والشرك".

ولا شك أن دلالة الآية تعّم معركة أحد؛ إذ لا دليل على نفي إمكان وقوع الانقلاب والردة عن الصحابة، وعليه لا معنى لقول أحمد بن حنبل من أن معنى من مات وليس له امام...

←

صيرورة الصحابة بعد رحلة خير رسله صلى الله عليه وآله من الدنيا قسمين: الغالب منهم منقلبون على العقب، وقليل منهم ثابتون على الدين[1].

➔

التمسك بقول الصحابة؛ فإنّ صريح الآية أنّ الصحابة كانوا كان اعتقادهم بالإسلام في حيات النبي صلى الله عليه وآله فحسب ولم يبقوا على ايمانهم بعد وفاته صلى الله عليه وآله، إلا الذين استثناهم القرآن الكريم من الثابتين في العقيدة وسمّاهم الشاكرين، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ آية الإنقلاب صريحة وجليّة في أن الصحابة سينقلبون على أعقابهم بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله مباشرة إلا الشاكرين، الذين استثناهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾، فالآية الكريمة قسّمت الصحابة إلى قسمين: قسم عبّر عنهم بالمنقلبين وهم الأكثرية وقسم عبّر عنهم بالشاكرين وهم الأقليّة.

والجدير بالذكر أنّ القرآن الكريم استخدم عبارة الإنقلاب وهي توحي التراجع الى الوراء، والإرتداد ومعناه لأهل الردة إلى الجاهلية. فالآية الكريمة صريحة وجلية في أنّه لا يثبت منهم إلا القليل، أي الثابتين الذين لا ينقلبون وهم الذين عبّر عنهم الله سبحانه بالشاكرين، فالشاكرون لا يكونون إلا قلة قليلة كما دل على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ (سورة سبأ:١٣).

وكما دلّت عليه أيضاً الأحاديث النبوية الشريفة التي فسّرت هذا الإنقلاب، وسوف نذكرها إن شاء الله في محله، وعليه فلايمكن تفسير الآية الكريمة بطليحة وسجاح والأسود العنسي، وذلك حفاظاً على القدح في أكثرية الصحابة، فهؤلاء قد انقلبوا وارتدوا عن الإسلام، كما لا يمكن تفسير الآية الكريمة بمالك بن نويرة وأتباعه الذين منعوا الزكاة في زمن أبي بكر لعدة أسباب، منها: أنهم إنّما منعوها ولم يعطوها إلى أبي بكر تريثا منهم حتى يعرفوا حقيقة الأمر، إذ أنّهم حجوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع وقد بايعوا الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في غدير خم بعد ما نصبه رسول الله صلى الله عليه وآله للخلافة كما بايعه أبو بكر نفسه، ففوجئوا عند قدوم رسول الخليفة بنعي رسول الله صلى الله عليه وآله

➔

وإمامه أحمد بنفسه روى حديث الحوض في مسنده، من عدة طرق عن جماعة من الصحابة، وقد تضمن لرده غالبهم بعد فوت نبيّهم صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ[1].

➔

وطلبه الزكاة باسم الخليفة الجديد أبي بكر، وهي قضية لا يريد التاريخ الغوص في أعماقها حفاظاً على القدح الصحابة لاسيما في الخليفة.

(١) لقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن ابن عباس أنّه قال: سمعت رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يقول: «أنا فرطكم على الحوض فمن أفلح ويؤتى بأقوام فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أي رب، فيقال: ما زالوا بعدك يرتدون على أعقابهم» (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٢٥٧).

وأخرج أيضاً بسنده عن الأعمش عن شقيق عن عبدالله، قال: قال رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «أنا فرطكم على الحوض ولأنازعنّ أقواماً ثم لأعلنّ فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٣٨٤).

وأخرج أيضا بسنده عن أبي وائل عن عبدالله، قال: قال رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «إنّي فرطكم على الحوض وإنّي سأفارغ رجالاً فأغلب عليهم، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك» (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٤٠٢).

وأخرج أيضاً بسنده عن مغيرة عن أبي وائل عن عبدالله عن النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال: «أنا فرطكم على الحوض وليرفضنّ لي رجال منكم، ثم ليختلجنّ دوني، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال لي: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٤٣٩).

وأخرج أيضاً بسنده عن أنس بن مالك عن النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال: «ليرون الحوض على رجال حتى إذا رأيتهم رفعوا إليّ فاختلجوا دوني، فلأقولنّ: يا رب أصحابي، أصحابي، فيقال إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٢٨١).

وأخرج أيضا بسنده عن أبي بكرة، قال: قال رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «ليرون على الحوض رجال ممن صحبني ورآني حتى إذا رفعوا إليّ ورأيتهم اختلجوا دوني، فلأقولنّ: يا رب أصحابي، أصحابي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٤٨).

➔

فيلزم على طالب الحق حينئذ البحث عن الحق من السنّة المعروفة المشهورة ليعرف المنقلب عن العقب من الصحابة، والمرتد منهم(١)

←

وأخرج أيضاً بسنده عن حذيفة أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليرون على الحوض أقوام فيختلجون دوني، فأقول: رب أصحابي، أصحابي فيقال لي: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (مسند أحد بن حنبل ج٥: ص٣٨٨).

وأخرج أيضاً بسنده عن عائشة أنّها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنّي أنتظر من يرده عليّ منكم، فليقطعنّ رجال دوني، فلأقولنّ: يا رب أمّتي، أمّتي، فليقالنّ لي: إنّك لا تدري ما عملوا بعدك، ما زالوا يرجعون على أعقابهم» (مسند أحمد بن حنبل ج٦: ص١٢١). وإلى غير ذلك ممّا رواه في هذا أحمد بن حنبل بهذه المضامين، وهي تدّل على ارتداد أكثر الصحابة، كما أنّ آية انقلبتم تدّل على ذلك فلاحظ.

(١) لا يخفى على الباحث الخبير أنّ روايات الواردة في تفسير الآية الكريمة من طرق أهل السنة والجماعة، الدالة على ارتداد الصحابة بعد النبي ﷺ بالغة عن حد التواتر، وقد رواها اصحاب الصحاح والمسانيد من علماء أهل السنة الجماعة، بأسناد متعددة عن الصحابة نفسهم، عن رسول الله ﷺ، كما رواها علماء التفسير من أهل السنة، ولا شك أنّ معنى الإرتداد هو الرجوع الى الكفر والشرك (انظر تفسير الطبري ج٤: ص١٤٧).

وممّا يؤيّد ذلك أنّ الإستفهام في الآية الكريمة ليس على حقيقة؛ لأنّه يلزم جهله تعالى، وهو محال فالاستفهام للإنكار، أو للتوبيخ، وهما يقتضيان الوقوع والتحقق إذ كل من الإنكار والتوبيخ يدلان على أمر محقق بالضرورة، فيكون الإنقلاب بعد وفاة رسول الله ﷺ أمر محقق الوقوع؛ ولذلك قال تعالى بصيغة الماضي (انقلبتم) تنبيهاً على تحقّقه.

وفي الواقع أنّ الله تعالى أخبر في هذه الآية الكريمة عن ارتداد الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ ليبيّن أنّ أكثر من رأى النبي ﷺ بأم عينيهم سيرتدّون على أعقابهم ويدخلون في الكفر والشرك مع أنّهم إذعانهم بحقانية النبي الأكرم ﷺ وكون الأدلة كانت عندهم واضحة؛

←

فيقال لصاحب المسند، من قال بقوله قد رويتم في المسند وفي غيره خبر الثقلين(١) عن نيف وعشرين صحابياً من طرقه صحيحة وحسنة على خطاب

➔

لأنّهم سمعوا الآية وتفسيرها من النبي الأكرمﷺ ونقلوها بأنفسهم للأجيال المتأخرة، فلاحظ.

(١) إن حديث الثقلين من أشهر الأحاديث النبوية الشريفة، وقد أخرجه الحفاظ وأئمة الحديث من أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم وسننهم وجميع المعاجم للروايات من أهل السنة والجماعة، بطرق كثيرة صحيحة عن بضع وعشرين صحابيّاً متواتر في جميع طبقاته. فالكتب التي حفلت به هذا الحديث اكثر من ان تحصي، وطرقه الي الصحابة كثيرة، ورواته منهم كثيرون جدا وفي أعلي درجات الصحة، كما شهد بذلك الحاكم وغيره. فممن روى هذا الحديث، أحمد بن حنبل في مسنده بطرق عديدة، فقد روى بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللهﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وأنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص١٤).

وروى بسنده عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول اللهﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا الحوض عليّ» (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص١٨٢).

وروى بسنده عن على بن ربيعة قال: لقيت زيد بن أرقم وهو داخل على المختار أو خارج من عنده، فقلت له: أسمعت رسول اللهﷺ يقول: «إنّي تارك فيكم الثقلين....»؟ قال: نعم (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٧١).

وروى بسنده عن علي بن زيد عن أنس بن مالك قال: أنّ قوماً ذكروا عند عبيدالله بن زياد الحوض فأنكره، وقال: ما الحوض؟ فبلغ ذيك أنس بن مالك، فقال: لا جرم والله لأفعلنّ فأتاه، فقال: ذكرتم الحوض؟ فقال عبيدالله: هل سمعت رسول اللهﷺ يذكره؟ فقال:

➔

صاحب الشريعة، صحابته؛ بلزوم متابعة القرآن وعترته أهل بيته؛ فإنّهما الهاديان إلى الحق من بعده، ولن يفترقا حتى الحوض[1].

نعم، يقول: أكثر من كذا وكذا مرّة، إنّ ما بين طرفيه كما بين أيلة ومكة، أو بين صنعآء ومكة، وآنيته لأكثر من عدد نجوم السماء (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٢٣٠).

وروى بسنده عن أبي حيان اليتمي، قال: حدثني يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سيرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول الله‌صلى الله عليه وآله وسمعت حديثه وغزوت معه وصليّت معه، لقد رأيت يا زيد خيراً كثيراً، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله‌صلى الله عليه وآله، فقال: يا ابن أخي والله لقد كبرت سنّي وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعى من رسول الله‌صلى الله عليه وآله فما حدثتكم، فاقبلوه ومالا فلا تكلّفونيه، ثم قال: قام رسول الله‌صلى الله عليه وآله يوماً خطيباً فينا بماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال‌صلى الله عليه وآله: «أما بعد، ألا يا أيها الناس، إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربّي عزّ وجلّ فأجيب وإنى تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله عزّ وجلّ فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه، قال‌صلى الله عليه وآله: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي» (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٣٦٦). وإلى غير ذلك مما رواه أحمد بن حنبل في مسنده وأرباب الصحاح والمسانيد من أهل السنة والجماعة فلاحظ.

(١) انظر الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي المكي: ص١٥٠. فإنّ حديث الثقلين يدّل على دوام بقاء العترة حتى الحوض، وأنهم عِدل الكتاب، واللازم التمسك بكل منهما والائتمام بهما. قال ابن حجر أيضاً بعد ذكر حديث الثقلين: ثم اعلم لحديث التمسك بهما طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابيّاً... وفي بعض تلك الطرق أنّه قال ذلك بحجّة الوداع بعرفة، وفي أخري أنّه قاله بالمدينة في مرضه، وقد امتلأت الحجرة بأصحابه. وفي

فيلزم على الصحابة وغيرهم متابعة العترة(١)، فالقائل بوجوب التمسك بما مضى عليه الصحابة مخالف لما نبّهنا عليه؛ فانّ السنّة المتظافرة المعلومة، مثل خبر المشار إليه قد دلّت على أنّ من خالفه من الصحابة، ومن تابعهم

←

أخري أنّه قال ذلك بغدير خم، وفي أخري أنّه قال ذلك لمّا قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف كما مرّ.

(١) وهذه النقطة مهمة جداً؛ حيث أنّ حديث الثقلين دلَّ بالصراحة على أن القرآن وأهل البيت عليهم السلام كلٌ منهما في جنب الآخر، وفي عرض الآخر، فهما وحدةٌ متكاملةٌ لا يمكن تجزئتها، أي: لا يمكن اتباع القرآن بدون الرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام، ولا يمكن اتباع أهل البيت عليهم السلام بدون اعتبار القرآن والاستفادة من القرآن.

وبعبارة أخرى أنّ القرآن وأهل البيت عليهم السلام وحدة متكاملة، كلٌ منهما عدلٌ للآخر، وكلٌ منهما يُكْمِل الآخر، وكلٌ منهما لا يمكن الاستفادة منه إلا بالرجوع إلى الآخر والاستناد إلى الآخر، ودلالة وهذا المعنى في غاية الوضوح إذ صريح قوله صلى الله عليه وآله في الحديث: «ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي»، وقال أيضًا: «فإنهما لن يفترقا» أي: لن يفترقا حتى في مقام الإتباع، نحن في مقام اتباعنا للقرآن لا يفترق اتباعنا للقرآن عن اتباعنا لأهل البيت عليهم السلام ولا يفترق اتباعنا لأهل البيت عليهم السلام عن اتباعنا للقرآن.

فيجب على الصحابة أن يتبعون النبي صلى الله عليه وآله فيما أمرهم بالتمسك بالعترة الطاهرة عليهم السلام كما يجب عليهم التمسك بالقرآن بل ويجب ذلك على جميع المسلمين؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وآله اعتبر التمسّك بهما معاً واقياً من الانزلاق في أودية الضلال، ومن الواضح أنّ عدم الوقوع في الضلال على الإطلاق لا يمكن إلا بالتمسك بهما على نحو الإطلاق كما هو واضح ظاهر.

ولا يخفى أنّ معنى التمسك بالقرآن، هو الأخذ بتعاليمه والسير على وفقها، وهو نفسه معنى التمسك بأهل البيت عليهم السلام عدل القرآن،كما هو ظاهر واضح.

مخالف للشريعة(١)

---

(١) وبعبارة أوضح أنّه بعد ثبوت صحة حديث الثقلين عند جميع المسلمين، وإقرار علماء اهل السنة بذلك، بل وحتى عند السلفية، فإنّه يدلّ على أنّ أهل البيت عليهم السلام أعلم الناس بالشريعة الإسلامية، وأعرفهم بتفاصيلها وأحكامها وجميع متعلّقاتها، لأنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله جعل أهل بيته عليهم السلام عدلاً للقران الكريم، وقال صلى الله عليه وآله "التمسّك بهما معاً" يكون سبباً للنجاة، ومعنى ذلك: كل ما يوجد في القرآن يوجد عند أهل البيت عليهم السلام فهم أعلم الناس وأعرف الناس بالأحكام وأعرف الناس بمضامين الإسلام السامية، فهم أولى بالقيادة، وهم أولى بالخلافة، وهم أولى بإمامة الناس.

ولكن مع الأسف الشديد أنّ التابعين لنهج الخلافة الغاصبة لا يوافقون هذه القراءة من الحديث، مع أنّهم نقلوا حديث الثقلين في أهم مصادرهم الحديثية وفي كتبهم المعروفة المعتمد عليها نقلوا هذا الحديث بعبارات عديدة، وبصيغ مختلفة، إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي، فتجاهلوا بالحق وأعرضوا عن معطيات الحديث.

وهذا الاتّجاه هو الإتجاه الأموي الذي أسّسه بنو أمية ونظر له ابن تيمية وسوقه الآن أتباع محمد بن عبد الوهاب والعلماء الذين يسيرون في ركب هذا الاتجاه ومع ذلك كله أنّ الحق نور لا يمكن إخماده، والشاهد على ذلك ما صرح به بعض العلماء التابعين لنهج الاموي في هذا المجال، ونحن نكتفي بالإشارة الى موردين:

المورد الأول: ما ورد في الرسالة الذهبية، للدكتور محمد علي البار، يقول: "والغريب حقاً أن حديث الثقلين هذا رغم وروده في صحيح مسلم وفي سنن الترمذي وصححه وحسنّه والحاكم النيسابوري في المستدرك ومسند الإمام أحمد وفي المعجم الكبير للطبراني وإسناده صحيح إلا أن معظم المعاصرين من العلماء والخطباء يجهله أويتجاهله ويريدون بدلاً عنه الإسلامية الأخرى الذين يرتزقون الذين هم مرتزقة هذه الدوائر"، حديث إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي وهو في موطأ الإمام مالك وفي سنده ضعف وانقطاع وإن كان متنه ومعناه صحيحاً، وكان من الواجب، (يعني

←

➔

مقتضى الأمانة العلمية) إيراد الحديثين كلاهما معاً، لأهميتهما في الباب، أما كتمان هذا الحديث الشريف الصحيح فهو من كتمان العلم الذي هدد الله ورسوله فاعله قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (الرسالة الذهبية، الدكتور محمد علي البار، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ص٢١) ثم يقرأ مجموعة من الروايات بهذا الإتجاه.

إذن هذا الإنسان يقول لماذا هذا التجاهل واقعاً لماذا هذا التجاهل، لماذا هذا الإقصاء.

المورد الثاني: هو ما ورد في كتاب باسم يسألونك، تأليف الدكتور حسام الدين عفانة، الأستاذ المشارك في الفقه والأصول كلية الدعوة وأصول الدين [يقول السائل] باعتبار أن الكتاب يسألونك مجموعة من الأسئلة، "يقول السائل: أنه قرأ في إحدى الصحف تعليقاً حول حديث الرسولﷺ: «تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا كتاب الله وأهل بيتي» (وقال المعلق على الحديث بعد أن نقل هذا الحديث): بأن النص الصحيح عند أهل السنة وهم أهل هذه البلاد [باعتبار أنه في الحجاز هم يعرفون هذه] يقول: المنطق السليم يقتضي أن رسول الله لا يقول وعترتي وإنما يقول وسنتي.

وكأنه القضايا لابد أن تقاس بالمنطق الوهابية لا بالنصوص الواردة «هو تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي»".(كتاب يسألونك، تأليف الدكتور حسام الدين عفانة، الأستاذ المشارك في الفقه والأصول كلية الدعوة وأصول الدين جامعة القدس، مكتبة دنديس، الطبعة الأولى سنة١٤٢١ من الهجرة، مطبوع في الضفة الغربية وكذلك المملكة الأردنية، ج٢، ص٤٢٤). إذن أن الحكم على الحديث لا يخضع لشيء وضعها المتعصبون للاعراض عما ورد في النصوص الصحيحة الثابت عند جميع المسلمين وإن انكره المبغضون لأهل البيت التابعين لنهج الاموي.

فهذا المنطق نحن نجده بشكل واضح وصريح في المنهج الأموي، وهذا الذي نجد امتداداته الآن عند الوهابية التابعين لهذا النهج الأموي الذي أسس له بنو أمية وإلا لماذا الاصرار على تجاهل هذا الحديث؟

🡐

ومن المعلوم مخالفة أبي بكر وعمر وعثمان ومن بايعهم ومن تابعهم عن رغبة ورضا؛ لخبر الثقلين وما بمعناه[١].

➔
والأمر واضح في غاية الوضوح حيث أنّ الرسول الأعظمﷺ عندما يقول: إنّي مخلف فيكم كتاب الله، واضح أن مقصوده كتاب الله مع تفسيره، وهو أحاديث الرسولﷺ، وعندما يقول: إني مخلف فيكم عترتي أهل بيتي، معناه أننا لا نستطيع فهم الدين إلا من خلال القرآن والعترة الطاهرة، ومعنى ذلك كما أنّ الرسولﷺ مفسّر للقرآن أيضاً العترة الطاهرةعليهم السلام يكون مفسّراً للقرآن، أي: لا يستطيع أحد فهم القرآن إلا بالرجوع الى أهل البيتعليهم السلام، فيجب على المسلمين كافة أن يرجعوا إلى كتاب الله والعترة الطاهرة بعد وفاة رسول اللهﷺ. إذن إن مخالفة الصحابة للحديث يعتبر مخالفة للرسول الأعظمﷺ ومخالفة الرسولﷺ مخالفة مخالفة لله سبحانه وتعالى ومعاندته، ومن عاند الله ورسوله فهو كافر فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ حديث الثقلين من الأحاديث المشهورة عند جميع المسلمين من الصحابة والتابعين إلى القرن الحاضر، والسرّ في شهرته تكرار النبيﷺ له في مواطن كثيرة، كحجّة الوداع بعرفة وبالمدينة في مرضه، وقد امتلات الحجرة بأصحابه. وبغدير خم، وبعد انصرافه من الطائف كما شهد به ابن حجر المكي الشافعي في صواعقه الذي ألّفه ردّاً على الشيعة، واهتماماً بالحديث لكونه وصيّة من رسول اللهﷺ، وقد أوصله ابن حجر في الصواعق المحرقة الي نيف وعشرين صحابياً، حيث قال: "ثم اعلم انّ لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابيا" (انظر الصواعق المحرقة لابن حجرالمكي: ص١٢٤). والحديث صريح في أنّ التمسك بأحد الثقلين لا يغني عن الأخر، ومقتضى ما تفيده كلمة (لن) التأبيدية، فيدّل على أنّ التمسك بهما يكون مانعاً عن الضلالة دائماً وأبداً، أي: إلى يوم القيامة.

وأيضاً يستفاد من الحديث عصمة أهل البيتعليهم السلام، لاقترانهم بالكتاب الذي لايأتيه الباطل من
➔

وبه عرف المنقلب على العقب وتميّز عن الشاكر: الثابت على الدين الحنيف[1].

→

بين يديه ولا من خلفه، وتصريحه صلى الله عليه وآله بعدم افتراقهم عنه، ومن البديهي ان صدور المخالفة منهم تعتبر اختلافاً مع القرآن، والحديث صريح في عدم افتراقهما حتي يردا الحوض، لأن من الواضح أنّ فاقد الشيء لا يعطيه كما هو معروف فلو لم يكن اهل البيت عليهم السلام معصومين من الضلالة والإنحراف، فكيف يصونوا الأمّة منه؟

وعليه أنّ دلالة حديث الثقلين على وجوب التمسك بأهل البيت عليهم السلام عند الصحابة وجميع المسلمين أمر لا يخفى على أحد فمخالفة خلفاء الجور ومن تبعهم، وانقطاعهم عن العترة الطاهرة عليهم السلام، مخالفة وانقطاع عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والإنقطاع عن النبي صلى الله عليه وآله انقطاع عن الله تعالى؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿**أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُول**......﴾. فمخالفة الخلفاء والصحابة لحديث الثقلين دليل على ضلالتهم فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ الله سبحانه وتعالى والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قد بينوا للأمة حقيقة الإمامة من خلال النصوص الصريحة الدالة على إمامة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأولاده المعصومين عليهم السلام وبهذه النصوص يتميز بين المؤمن وغيره.

والجدير بالذكر أن القرآن الكريم استخدم للتعبير عن الردة إلى الجاهلية كلمة ﴿**انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ**﴾ و"الأعقاب" جمع عقب (وزان خشن) بمعنى مؤخرة القدم، فهو تعبير موح يصور التراجع إلى الوراء والارتداد الواقعي، وهو أكثر إيحاءاً وأقوى تصويراً من لفظة الردة والرجوع والعودة، لأنّه بمعنى السير القهقري.

ثم إنه سبحانه يقول: ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا يعني أن العودة إلى الكفر والوثنية تضركم أنتم دون الله سبحانه، لأن أمثال هذا التراجع يسلب عنكم الخير والسعادة ، بل يوجب فقدان كل ما حصلتموه من العزّة والكرامة والمجد بسرعة.

ولهذا قال سبحانه: ﴿**وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾، وبذلك مدح القرآن الكريم استقامة أهل

←

ومما بيّناه علم فساد إمامة عامة من بـايعوهم مـن غيـر العتـرة المتقـدّم بيانهم وبيان عددهم من حيث مخالفة بيعتهم للشريعة[١]،

➔

الإيمان وصمودهم، ووصفهم بالـشاكرين لأنهـم أحـسنوا الاسـتفادة والانتفـاع بـالنعم فـي سبيل الله، وهذا أفضل مصاديق الشكر.

(١) لا يخفى أنّ الإمامة عند أهل السنة والجماعة هـي الرئاسـة الـسياسية، فيعتقـدون أنّ هـذه الزعامة تختص بـالأمور الدنيويـة فقـط، لا الدّينيـة والأخرويـة، وبـذلك أصـبحت الإمامـة والخلافة عندهم فرع من فروع الدّين، ولكن عندما يصلون إلـى مرحلـة الواقـع ويجـدون أنّ الإمام خليفة رسول اللهصلى الله عليه وآله ويجب أن يتصف بأمور ينبغي له خلافة الرسـولصلى الله عليه وآله أي يشترط فيه مايشترط في رسول اللهصلى الله عليه وآله كي يسدّ الفراغ الحاصل بعد فقدان الرسـولصلى الله عليه وآله بوفاته، فعند ذلك ينفـون عـن الإمـام جميـع الـشرائط ويقولـون أنّ الإمـام مـن لـه الرئاسـة الدنيوية كالسلاطين والأنظمة الحاكمة السياسية ولكن يـدعون أنّ لـه المـسئوؤلية الدينيـة أيضاً ولكن ليس لديهم دليل على اثبات ذلك.

والباحث عندما يراجع إلى المصادر الإسلامية الأصيلة كالقرآن الكـريم والـسنة النبويـة، يجـد بوضوح أنّ منصب الإمامـة هـو اصـطفاء مـن الله لهدايـة النـاس وإدارة شـؤونهم الدنيويـة والأخروية، وإنّ من أهمّ شؤون الإمامة هي هداية الناس إلى الله تعالى. وهذا ما يدلّ عليـه مجموعة من الآيات الكريمة التي تحدثت عن الإمامة، وقرنت الإمامة بالهدى، منهـا قولـه تعـالى: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَـامَ الـصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ**﴾ (سورة الانبياء:٣٧).

وقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّـا صَـبَرُوا وَكَـانُوا بِآيَاتِنَـا يُوقِنُـونَ**﴾ (سورة السجدة:٢٤)، فمهمة الإمام هي هداية النـاس وحفـظ الـدين مـن الإنـدراس سـواء وصل إلى الحكم والحكومة الظاهرية أم لم يصل إليها، ولكن عندما يكـون مبـسوط اليـد وحاكماً فبإمكانه أن يقوم بهـذين العملـين بأحـسن وجـه. وهنـاك أدلّـة مـن الـسنة النبويـة

←

وليس يتفاوت المخالفة لها فيمن بايعوهم عن رغبة ورضا، وفيمن غلب عليهم بالسيف، وفيمن نصّ عليه المتقدّم الذي ليس بإمام شرعاً؛ من حيث عدم تعيين السنّة لهم، وتعيينها لغيرهم (١).

كحديث الثقلين وأمثاله، المجمع عليه بين المسلمين من جهة اعتبارها سنداً ومتناً، وهي تدّل على إمامة أهل البيت عليهم السلام، وسيأتي الكلام فيه مفصلاً، فبيعة أهل السقيفة مخالفة صريحة للشريعة المقدسة؛ لأنّها مخالفة لصريح الكتاب والسنّة النبوية المجمع عليها، فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ طرق التي تنعقد به الإمامة عند أهل السنة متعددة، قال الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠: إختلف العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم، على مذاهب شتّى؛ فقالت طائفة: لا تنعقد إلا بجمهور أهل العقد والحلّ من كلّ بلد، ليكون الرضا به عاماً، والتسليم لإمامته إجماعاً، وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر على الخلافة باختيار من حضرها، ولم ينتظر ببيعته قدوم غائب عنها.

وقالت طائفة أخرى: أقلُّ ما تنعقد به منهم الإمامة، خمسة يجتمعون على عقدها، أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة، استدلالاً بأمرين: أحدهما: أنّ بيعة أبي بكر إنعقدت بخمسة إجتمعوا عليها ثمّ تابعهم الناس فيها، وهم عمر بن الخطاب، وأبو عبَيدة بن الجراح، وأُسيد بن حضير، وبشر بن سعد، وسالم مولى أبي حذيفة.

والثاني: أنّ عمر جعل الشورى في ستّة ليعقد لأحدهم برضا الخمسة. وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلّمين من أهل البصرة.

وقال آخرون من علماء الكوفة: تنعقد بثلاثة يتولّاها أحدهم برضا الإثنين، ليكونوا حاكماً وشاهدَيْن، كما يصحّ عقد النكاح بولي وشاهدين.

وقالت طائفة أُخرى: تنعقد بواحد، لأنّ العبّاس قال لعلي: امدُد يدك أُبايعك، فيقول الناس عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله بايعَ ابن عمّه، فلا يختلف عليك اثنان. ولأنّه حكم، ــ وحكمُ واحد نافذٌ

➔

(انظر الأحكام السلطانية: ص٦-٧)؛ فالأسباب التي تنعقد بها الإمامة عندهم كثيرة، وذلك لأن ما حدث في التأريخ صار عندهم دليلاً لإنعقاد الإمامة.

ولكن هذه الطرق كلّها مخالفة للشريعة المقدسة؛ لأنّها لا دليل عليها من القرآن والسنة النبوية الشريفة، بل الدليل قائم على خلافها، فأنّ الإمامة الإمامة الثابة في القرآن والسنّة النبوية هي الولاية الإلهية التي جعلها الله لمن شاء من عباده.

و قد نطق بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾ (سورة يس:١٢)، وقوله تعالى: ﴿**وَمِنْ قَبْلِه كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً**﴾ (سورة هود:١٧)، وقوله تعالى: ﴿**وَمِنْ قَبْلِه كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً**﴾. (سوره الأحقاف:١٢)، وقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**﴾ (سورة الاسراء:٢١)، فكلمة إمام، الواردة في هذه الآيات تكشف عن معنى الإمامة التي هي المرجع الوحيد لهداية الناس، وكما قال تعالى: ﴿**وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾ (سورة الفرقان:٧٤) وقال تعالى: ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا، قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي، قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ (سورة البقره:١٢٤)، وقال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾ (سورة الانبياء:٧٣)، وقال تعالى: ﴿**وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾ (سورة القصص:٥)، وقال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا**﴾ (سورة السجده:٢٤)، أنّ كلمة الإمام، الواردة في الآيات المباركة، تكشف جليّاً عن معنى المثل الأعلى، والقدوة الحسنة، والقيادة الراشدة والمرجعية الموثوقة، والهداية التي تقود حتما الى الصواب.

فالإمامه الشرعيه التي ساق اللّه تعالى مثالاً في القرآن الكريم وهي كإمامه إبراهيم والأئمة الذين جاءوا من بعده، يوضح بما لا يدع مجالاً للتاويل من أنّ الإمامة هي:

ألف) عهد من الله، فالإمامه عهد الله، وهذا العهد لا تناله إلا الصفوة من عباد الله، وهو حرام على الظالمين.

ب) ان الله سبحانه وتعالى، هو الذى يختار الأئمة، ويجعلهم ائمة، لأنه هو وحده القادر على

➔

➔

معرفة الصفوة معرفة قائمة على الجزم واليقين، فاستعمل كلمة جاعلك، ونجعلهم، وجعلناهم الدالة على أنّ هذا المنصب إلهي.

ج) والعلامة الثالثة للإمامة الشرعية أن الامام يهدي بأمر اللّه، ويقود الناس وفق التعاليم الإلهيه العالم بها علماً قائماً على الجزم واليقين. ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾، وقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا**﴾.

وفي مقابل ذلك بيّن تبارك وتعالى أئمة الضلال، وهم الأئمة الذين يدعون الى الضلالة والنار، فقال تعالى: فقاتلوا أئمة الكفر أنّهم لا ايمان لهم (سورة التوبة:١٢) وقال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ**﴾ (سورة القصص:٤١)، وبهذا الملاك الواضح تنكشف الإمامة الشرعية عن غير الشرعية؛ لأنّ الله سبحانه تعالى قد وضّح معالم الإمامة غير الشرعية، وساق مثلاً لها إمامة فرعون وجنوده، وأئمة الكفر من قبله، ومن بعده، كزعامة بطون قريش التي اخرجت النبيﷺ وحاربته وصدت عن سبيل الله حتى أحيط بها، وقد حدد، سبحانه وتعالى، مميّزات تلك الإمامه غير الشرعيه ومعالمها تحديداً لا يحتمل التاويل وهي:

الف) الإمام غير الشرعي رجل ظالم، وعرّفه بالظلم لأنّ في الظلم يجتمع كل قبح وعدوان، وهو غير جدير بالإمامه التي هي عهد الله، فضلاً عن عدم اتصافه بصفاتها، وعدم أهليته لها، لكل هذا فهي محرمه عليه.

ب) وعلى الرغم من ان الإمام غير الشرعى يعلم بعدم اهليته للإمامه الشرعية ويعلم بحرمتها عليه، وعدم أهليته لها، ومع علمه بوجود الإمام الشرعي إلا ان هذا الرجل تجاهل الشرعية تجاهلاً كاملاً وجمع اسباب القوة والتغلب والقهر، واستولى على منصب الامامة الشرعية بالغصب والقهر، بعد أن اقصى الإمام الشرعى عن منصبه وحمل الناس بالقوة على القبول بهذا الوضع الشاذ الذى فرضه.

ج) ومن مميزات إمامة فرعون وجنوده وائمة الكفر من بعدهم، ومن قبلهم، أن الإمام المتغلب يعطل الشرع الإلهي، أي التعاليم الإلهيه: (أمر اللّه) ويستبدله، بإرائة الخاصة،

➔

فما قاله إمامهم أحمد قد ثبت فساده بنفس ما ثبت عنده من السنن في مسنده[(١)].

➔

واجتهاداته الشخصية، ويفرض بالقوه والقهر تلك الآراء والإجتهادات حتى تكون، مع الأيام، بمثابة شرع بديل للشرع الإلهي خاصه القواعد المتعلقه بمنصب الإمام.

د) ومن مميزات إمامة فرعون القدرة على تحريف الكلم عن مواضعه وقلب الحقائق، فهو يسمى الصلاح الإلهي فساداً، ويدعو فساده صلاحاً، انظر إلى قوله تعالى، على لسان فرعون، مخاطباً قومه: ﴿**إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ**﴾ (سورة غافر:٢٦)، ونرى فرعون يطعن بالإمام الشرعي، ويصفه بانه مهين، ولا يكاد يبين. ولا مجال للمقارنة بين الفرعون وموسى عليه السلام. انظر إلى قوله تعالى، وهو ينقل هذه الظاهرة على لسان فرعون، مخاطباً الملأ من أهل مصر: ﴿**أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ**﴾ (سورة الزخرف:٥٢).

وقد يقولون في هذا المقام ما يضحك به الثكلى، من أنّ الإمام الشرعي هو الأفضل، ولكن الله – والعياذ بالله – قدّم المفضول على الأفضل لمصلحة رئاها الناس، أو أن العرب لا تجتمع على إمام من بني هاشم، لأنّها تأنف أن تكون النبوة والإمامة معاً في البطن الهاشمي!! إلى ذلك من خزعبلات التي يسخر كل وسائل الإعلام لتضليل الناس وإبعادهم عن الشرع الإلهي.

وأمّا الإمامة في سنة الرسول صلى الله عليه وآله هي تنصب الإمام بأمر الله عزّ وجلّ ومهمة الرسول صلى الله عليه وآله الأولى التبليغ لما أمره الله تعالى، ثم تعيين الإمام وتنصيبه بأوضح البيان وبإقامة الحجة على الجميع، في روايات عديدة التي تكون بعضها متواترة لدى جميع المسلمين وسنذكرها إن شاء الله تعالى.

(١) لايخفى أنّ أحمد بن حنبل قد روى الروايات الكثيرة الدالة على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في مسنده كحديث الثقلين وحديث الغدير

➔

وخامسها: ما زعمه من استحقاق أبي بكر لصيرورته إماماً[١]؛ فأنّك عرفت فساده من السنّة التي دّلت على إمامة عليعليه السلام[١] ومن السنّة التي دلّت على عدم لياقته للتقدّم، حتى على مثل أسامة بن زيد[٢]

→

وحديث المنزلة وحديث السفينة وغيرها من الأحاديث، ومضافاً إلى ما رواه في فضل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ممّا يدلّ على أفضليته على جميع الناس بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله وكذلك في كتابه الفضائل بأسناد صحيحة وهي تدلّ على إمامة أمير المؤمنينعليه السلام وأهل البيت المعصومينعليهم السلام كما مرّ ذكر بعضها، وسيأتي ذكرها مفصلاً إن شاء الله تعالى في محله، فهذه الأحاديث وغيرها تثبت بطلان دعوى أحمد بن حنبل في رسالته إلى عبدوس كما هو واضح ظاهر.

(١) لاشك أنّه لا بدَّ للخليفة أن يكون متحلياً بنفس الصفات والكمالات التي كان يتحلى بها النبي الأكرمصلى الله عليه وآله؛ لأنّ الإمام هو من ينوب عن الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله في أمور الدين والدنيا بعد رحيله من دار الدنيا، وهو في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وكلّما اعتبرها من المصالح الدنيوية والأخروية. قال صاحب المواقف: إنها خلافة الرسولصلى الله عليه وآله في إقامة الدين وحفظ حوزة الملة بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة (المواقف: ص٣٣).

وقال أبوالحسين الماوردي: الامامة الإسلامية هي موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا (الأحكام السلطانية: ص٣). وإلى غير ذلك من أقوالهم، فعلى ضوء ما أسّسه وقرّره علماء الكلام من أهل السنّة، في الشروط المعتبرة في الامام، وأنّه لولا تلك الشروط لما جاز انتخاب ذلك الشخص واختياره إماماً بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله حيث أنّهم يقولون بأنّ الامامة تكون بالاختيار والانتخاب، وعلى هذا الأساس يعيّنون له الأوصاف والشروط التي لابدّ من توفّرها فيه حتى يُنتخب، ونحن نتكلّم معهم على أساس تلك الشروط، المعتبرة عندهم بالاجماع وعلى ضوء كلمات كبار علمائهم. فإذا الإمام ينوب

←

➔
عن رسول الله صلى الله عليه وآله لا بدّ له من أوصاف الرسول صلى الله عليه وآله، ومن الواضح أنّ الرسول صلى الله عليه وآله كان معصوماً بإجماع المسلمين، فيلزم أن يكون الإمام كذلك معصوماً، وإلا لا يمكن حراسة الدين بمن ليس له صفات الرسول صلى الله عليه وآله فمما ذكره علماء أهل السنة في تعريف الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله يعرف أنّ أبا بكر لا يليق بمقام الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حيث أنّه لم يتّصف بأوصاف رسول الله صلى الله عليه وآله كما لا يخفى ذلك على أحد.

(١) قد تقدمت الإشارة الى بعض النصوص الروايات الصحيحة في أصح كتب أهل السنة ومصادرهم المعتبرة الدالة على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كحديث الثقلين وحديث الغدير وحديث المنزلة وحديث السفينة وغيرها من الأحاديث والنصوص والأدلة التي سنذكرها إن شاء الله تعالى من خلال المباحث الآتية، فإنّها تدّل على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بلعتراف جميع علماء أهل السنة بصحة تلك الأدلة وتمامية دلالتها على ذلك وإن انكروا الإمامة تعصباً وزوراً. فالباحث لو درس تلك النصوص والأدلة دراسة علمية مجردة عن الغرض والهوى لاعترف بإمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وعدم لياقة الآخرين بهذا المقام.

(٢) هذا دليل آخر على عدم صلاحية أبي بكر للإمامة؛ لأنّه خالف النبي صلى الله عليه وآله في تنفيذ جيش أسامة حينما قال صلى الله عليه وآله في مرضه حالاً بعد حال: «أنفذوا جيش أسامة»، وكان أبوبكر وعمر بن الخطاب وعثمان في جملة من يجب عليهم النفوذ في جيشه (انظر السقيفة وفدك للجواهري: ص٧٦ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦، ص٥٣ والملل والنحل للشهرستاني ج١: ص٢١، والمواقف للإيجي ج٣: ص٦٥٠، وأبكار الأفكار في أصول الدين للآمدي ج٥: ص٣١، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي ج٢: ص٧١٤، وكشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ج٢: ص١٤٥، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ج٨: ص١٥، والسيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي ج٢: ص٥٦٠، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص١٩٤، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري ج١٠: ص٢١، ومسند أحمد، طبعة
➔

وأبي عبيدة وابن العاص[(١)]

وممّا صدر منه من قول: إنّ لي شيطاناً يغويني[(٢)]

➔

مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ٢٠٠١، ج٤٤ ص١٩٠، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٤٩ وغيرهم)، فلم يفعلوا ذلك مع أنّهم عرفوا قصد النبيﷺ في تنفيذ جيش أسامة؛ فجعل النبيﷺ أبا بكر وعمر وعثمان تحت إمرة أسامة، لأن غرضهﷺ من ذلك إبتعاد الثلاثة من المدينة؛ لئلا يتوثبوا على الإمامة، ولم يجعل الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في جيش أسامة، لأنّهﷺ كان يعلم بوفاته، فأراد أن يهيأ الأمور لإمامة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

والمهم أنّ أبا بكر كان تحت إمرة أسامة، وكان أسامة أفضل منه، حيث جعله النبيﷺ أميراً عليه، فإذا كان أسامة أفضل منه فليس من حقّه أن يتقدّم على من هو أفضل منه، فضلاً عن أن يكون إماماً لجميع المسلمين.

(١) هذا اشارة إلى ما ورد في مصادر أهل السنة من الأخبار والسيرة وغيرها التي نقلت غزوة ذات السلاسل، وملخّصها أنّ جمعاً مِنْ قبائل سليم كانوا يَستعدّون لغزو المدينة، فأرسَلَ النبيﷺ سرِّيّةً بقيادة عمرو بن العاص وكان تحت أمره أبو بكر وعمر، ثم أمّر عليهم أبي عبيدة، فكان أبو بكر تحت أمره (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١١٣ كتاب المغازي، باب غزوة ذات السلاسل، وصحيح مسلم ج٧: ص١٠٩ كتاب الفضائل، باب فضائل أبي بكر، والبداية والنهاية لابن كثير ج٤: ص٢٧٣ وغيرها).

فإنّ الأخبار والروايات التي وردت في أصحّ كتبهم صريحة في أنّ عمرو بن العاص وأبا عبيدة كانا أفضل من أبي بكر، لأنّهما كانا أمرين على أبي بكر وعمر، فإذا كان عمرو بن العاص وأبو عبيدة مقدماً على أبي بكر كيف يجوز له أن يقدم نفسه على جميع المسلمين، فلاحظ.

(٢) هذه العبارة اِشارة إلى قول أبي بكر على المنبر بعد استولائه على الحكم، فقد ذكر ابن

➔

➔

جرير الطبري في تاريخه بسنده عن عاصم بن عدي، قال: نادى منادي أبو بكر من بعد الغد من متوفى رسول ﷺ وساق الحديث... إلى أن قال: وقام أبوبكر في الناس، فحمد الله وأثنى عليه وقال يا أيها الناس..... (إلى أن قال): فإن استقمت فتابعوني وإن زغت فقوموني.....، إلى أن قال: وإنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا أتاني فاجتنبوني.... (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٢٤٥)، ورواه ابن سعد في طبقاته ج٣ ص١١٣، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ص٦، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٥ ص١٨٣، والمتقي الهندي في كنز العمال ج٣ ص١٣٥ وغيرهم.

ولا شك أنّ كل رواية وكل حدث مع مرور الأيام تظهر لها ابعاد واستنتاجات يقف عندها الباحث الكريم، واذا كان الباحث متجرّداً من عواطفه، ومتمسكاً بعقله، فيستنج ما من الأمور بمقتضى الإدراكات العقلية، فمن النتائج التي يتوصل إليها كل عاقل من هذا الإعتراف لأبي بكر أنّه في كان محلاً للإغوائات الشيطانية. وفي القرآن الكريم آيات تدّل على أنّ يستسخر بعض الناس في شبكاته فيجعلهم تحت سلطانهم، وقد قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ* وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ (سورة الحجر: ٤٢-٤٣)، وقال تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ* إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ**﴾ (سورة النحل:٩٩-١٠٠)، وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِيناً**﴾ (سورة النساء:٣٨)، وقال تعالى: ﴿**أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**﴾ (سورة مريم:٣٣). فالمستفاد من الآيات أنّ الشيطان ليس له على عباد الله سلطان، وإنّما سلطانه على الذين يتولّونه. ومن هنا يعرف معنى قول أبي بكر إنّ لي شيطاناً يعتريني؛ حيث أنّه طلب من الناس أن يجتنبوه اذا ما اعتراه الشيطان فمعناه أنّ الشيطان يغويه. إذن ما هي العلامات التي يعرف من خلالها ان الشيطان يغويه؟ ولماذا طلب من الناس أن يجتنبوه أثناء إعتراء الشيطان له؟

➔

➔

ولكل من عرف معنى اعتراء الشيطان له أن يسأل هل أنّ يتصور بعدهذا الإعتراف من أبي بكر أن لحظة من حياته تكون خالية من اغواء الشيطان له فيه؟ حيث أنّ هذا الإعتراف موجب لوجود الإحتمال في أي لحظة من لحظات حياته إلا وفيها إحتمال إعتراء الشيطان له فيه، فكيف يمكن الإعتماد على رجل يعتريه الشيطان؟!!

الاستنتاج الآخر: انّ هذا الشيطان هل كان يغويه حالما تسلم الخلافة ام قبل الخلافة؟ فإن قلتم قبل الخلافة، فهذا يعني أنّ هنالك تصرّفات شيطانية أقدم عليها الخليفة وقد تكون ذلك في الغار مع رسول الله ﷺ، وإن قلتم بعد الخلافة فهذا يعني أن الخلافة قرينة الشيطان، وأنتم تقولون أن رسول الله ﷺ قال لعمر: «ما سلكت فجاً إلا سلك الشيطان فجاً آخر...» (المصنف لابن أبي شيبه ج٧: ص٤٨٢)، وهذا يتطلب إما أن الشيطان مخصوص بأبي بكر دون غيره أو أن حديث الرسول ﷺ -والعياذ بالله- كذب؟!! ولكم الخيار.

والاستنتاج الآخر: أن مقتضى إعتراف أبي بكر أن يكون الشيطان قد اعتراه عندما منع فاطمة حقها في فدك، والذي افترى على رسول الله ﷺ في حديث انفرد به (نحن معاشر الانبياء لا نورث).

والإستنتاج الآخر: هو طلبه التقويم من غيره فهل ان غيره أفضل منه؟ وهل أن غيره لا شيطان له يعتريه؟ فإن كانت الاجابة نعم اذن لِم لَم يستلم غيره الخلافة؟ طالما أنه يقوّم الخليفة ولا شيطان يعتريه؟ أم أنه قصد بغيره أشخاص معينين ومقربين ومخولين في اتخاذ الأوامر بدلاً منه وعلى سبيل المثال عندما طالبت فاطمة عليها السلام بفدك فجاء عمر مستفهماً عن الأمر، فقال أبو بكر: إن فاطمة ادَّعت في فدك، وشهدَتْ لها أمّ أيمن وعلي، فكتبتُ لها. فأخذ عمر الكتاب من فاطمة عليها السلام فتفلَ فيه، ومزَّقه، وقال: هذا فَيء للمسلمين (انظر بحار الأنوار ج٢٩: ص١٢٨). فمن اعتراه الشيطان في هذه اللحظة؟ وهل الغير الذي يقوّم مقامه اثناء اعترائه الشيطان هو عمر بن الخطاب؟ فهذه الاستنتاجات وغيرها التي يمكن أن يستنتجها كل عاقل من إعتراف أبي بكر، فلاحظ.

ومن قول: وليتكم ولست بخيركم[١]، ومن حكمه في مقامات عديدة بغير ما نزل من عندالله[٢]، إلى غير ذلك من الجهات التي دلّت على عدم لياقته،

---

(١) هذا المقطع من خطبة أبي بكر يوم غصب الخلافة، رواها ابن هشام في سيرته ج٤: ص٢٤٠، وابن قتيبة في عيون الأخبار ج٢: ص٢٣٤، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١: ص١٦٩، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج١: ص٢١ وغيرهم. وهو اعتراف منه لعدم لياقته للخلافة، فإن كان صادقاً في قوله فلا يجوز له تقمص رداء الخلافة؛ لأنّه باعتراف نفسه لا دليل على تقدمه على غيره، بل هو مفضول ويجب تقدم الفاضل عليه عقلاً وشرعاً، وإن كان كاذباً في هذا القول فلا يليق له أمر الإمامة أيضاً؛ ضرورة اشتراط العدالة في الإمام والخليفة على مباني القوم، والكاذب غير عادل بالاتفاق. فعلى أي حال هذا المقطع يدلّ على عدم لياقته للخلافة والإمامة.

(٢) من الواضح الضروري أنّه لا يحق لأحد أن يحكم بغير ما أنزل الله، قال الله تعالى: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ (سورة المائدة:٥٠)، وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ (سورة المائدة:٤٤) والوجه في تحذر الآية، أنّ الحكم بغير ما أنزل الله يؤدي بالناس إلى الضلال كما يشمل التحدث بغير ما أنزل الله.

ومن الواضح لدي الخبير أن الكفر له مراتب درجات مختلفة، تبدأ من إنكار أساس وجود الله ويشمل الإنكار المسائل الدينية وغير ذلك فالكفر بعينه باعتباره قولاً في مقابل قول الله تعالى، أو اجتهاداً في مقابل النصوص القرآنية وروايات المعصومين عليهم السلام، ومن هنا حكم الله تعالى بكفر من شرّع في مقابل تشريعه عزّ وجلّ بقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ (سورة المائدة:٤٤)، ومن هنا يعرف معنى قوله تعالى ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ (سورة المائدة:٤٧) وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ (سورة المائدة:٤٥)، لأنّ المراتب في الحكم بغير ما أنزل الله مختلفة فبعضها تؤدي الى الكفر وبعضها الى الفسق ←

وقد تقدم غالبها[1].

➔

وبعضها إلى الظلم. ولعلّ هذا التنويع في اطلاق صفات مختلفة إنّما هو لبيان أنّ لكل حكم جوانب ثلاثة:

أحدها: بالمشروع الذي هو الله تعالى،

والثاني: يمس المنفذين للحكم كالقاضي والحاكم،

والثالث: يرتبط بالفرد والأفراد الذين يطبق عليهم الحكم.

والمهم أنّ الذي يحكم بغير ما أنزل الله فإنّه تجاوز القانون الإلهي ومن الواضح إنّ غصب الخلافة من أخطر التجاوز للقانون الإلهي، حيث بذلك يتحقق جميع أنواع ما حذر الله تعالى من الصفات للحكم بغير ما أنزل الله، فلاحظ.

(١) لا شك أنّ الغاصبين للخلافة قد خالفوا الدين والشريعة المقدسة في موارد كثيرة، ومرجع جميعها الى مخالفة الله ورسوله صلى الله عليه وآله، بعد علمهم بوجوب طاعتهما؛ لأنّ القرآن الكريم أمر في عديد من الآيات على وجوب طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وكون طاعتهما دليلاً على إيمان المؤمن، ولذلك قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ...**﴾ (سورة الأنفال:٢٠) فمع كون الخطاب متوجه للمؤمن والمؤمن لابدّ له من طاعة الله ورسوله والتسليم لأوامر الله ورسوله، ولكن مع ذلك أمر سبحانه وتعالى المؤمنين بالطاعة والتسليم لأوامر الله ورسوله ليبيّن أنّ الإيمان الحقيقي يقتضي الطاعة الحقيقية الخالصة دون الظاهرة، وإنّ شأن الإيمان الصادقين في إيمانهم: أنّهم إذا طالبهم أحد إلى حكم الله ورسوله في منازعاتهم وإلى شرع الله ودينه أن يبادروا الى القو : سمعاً وطاعةً، فعنذلك استحقوا بالسعادة والنجاة ولذلك قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في بيان معنى الإيمان أنّه تصديقٌ في القلب بالله تعالى وبما أنزل من كتاب على رسوله الأعظم صلى الله عليه وآله ولهذا التصديق ترجمة في الخارج عن طريق العمل، فعندما سئل عن الإيمان، قال عليه السلام: «الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان» (بحار الأنوار

➔

ومن هذه علم عدم محبة الله ورسوله لمبايعتهم له(١)، بل علم بغض

←

ج٦٦: ص٦٨) وهذه ثلاثة أمور لابد من تحققها ليتحقق الإيمان الحقيقي وهي عبارة عن التصديق بالله تعالى والقبول والإذعان بما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله من معتقدات حقّة. ولا يكتفى بهذا التصديق بل لابد من الأمر الثاني وهو العمل الجوارحي.

إذن يعرف بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة أنّ إدعاء الصحابة والغاصبين للخلافة للإيمان لا يتمّ إلا بالعمل بهما، فلاحظ.

(١) لا شك أنّ أعظم غايةٍ في حياة الإنسان هي النيل إلى رضا الله سبحانه وتعالى؛ وأنّ كلّ ما يوصل إلى حبّ الله -تعالى- ورضاه يوصل إلى حبّ الرسول صلى الله عليه وآله والعكس كذلك، فإنّ كلّ مداخل رضا الرسول صلى الله عليه وآله تستقرّ بالعبد موجب إلى رضا الله -تعالى- ومحبّته، والطريق الموصلة إلى هذه المحبة هي طاعة الله ورسوله، وقد قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾ (سورة آل عمران:٣١)، وإنّه تبارك وتعالى كتب على نفسه الرحمة فقال تعالى: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (سورة الأنعام:٥٤)، ومن مظاهر رحمته ارسال الرسل وانزال الكتب وما أجمل ما قاله الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في التعبير عن وظيفة الأنبياء تجاه الناس: «واصْطَفَى سُبْحَانَه مِنْ وُلْدِه (آدم) أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِه عَهْدَ اللَّه إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّه واتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَه، واجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِه، واقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِه، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَه، ووَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَه لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِه، ويُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِه، ويَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، ويُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، ويُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ، مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، ومِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ ومَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وآجَالٍ تُفْنِيهِمْ وأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ، ولَمْ يُخْلِ اللَّه سُبْحَانَه خَلْقَه مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ١).

→

➔

ثم بعث الله نبي الإسلامﷺ رحمة للعالمين فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الانبياء:١٠٧)، هذه الآية المباركة تقول أن عامة البشر في الدنيا سواء كان الكافر منهم والمؤمن، مشمولين لرحمتك لانك تكفلت بنشر الدين الذي ينقذ الجميع، فإذا كان جماعة قد انتفعوا به وآخرون لم ينتفعوا فأن ذلك يتعلق بهم أنفسهم، ولا يخدش في عمومية الرحمة.

إن التعبير بـ"العالمين" تشمل عموم البشر وعلى امتداد الإعصار والقرون، بمعنى آخر جميع الأمم والقوميات والأديان مشمولين بهذه الرحمة، وبمعنى الأقرب أن دين الأسلام دين أممي أو عالمي.

ولهذا يعتبرون هذه الآية المباركة إشارة الى خاتمية نبي الاسلامﷺ لأن وجوده رحمة وقدوة لكل الناس إلى نهاية الدنيا، حتى ان هذه الرحمة تشمل الملائكة أيضاً، ففي حديث شريف رويّ عن رسول اللهﷺ لمّا نزلت هذه الآية سأل النبيﷺ جبرائيل فقال: هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟ قال جبرائيل: نعم؛ إني كنت أخشى عاقبة الأمور، فأمنت بك لمّا اثنى الله عليّ بقوله عند ذي العرش مكين(تفسير مجمع البيان).

وعلى كل حال فإنّ الرحمة الإلهية مشمول لمن شمله محبة الله ورسولهﷺ والنيل إلى هذا المقام يقتضي طاعة الله ورسولهﷺ حق الطاعة، ومن الواضح أنّ الرحمة الإلهية ممتدة بامتداد الأئمة المعصومين عليهم السلام الذين أوجب الله طاعتهم على الخلق أجمعين فهم معدن الرحمة الإلهية، فإن ذواتهم المقدّسة رحمة، ووجودهم رحمة، وكلّما وصل للناس من الرحمة الإلهية فإنما هي بواسطتهم، ومن ينشد الرحمة يلجأ إليهم فيغمروه بها، لأنها بجميع أقسامها وأنواعها ومراتبها مستقرة وكامنة عندهم، فالأئمّة بلحاظ أصل خلقتهم "معادن رحمة الله" وبلحاظ ما أعطاهم من العلم والقدرة خزائن رحمة الله، فجميع النعم الإلهية المعنويّة والماديّة، الظاهريّة والباطنيّة كلّها رحمةٌ من الله التي تشمل أهل الإيمان فتشملهم محبة الله ورضاه ومحبة الرسولﷺ ورضاه.

وفي قبالهم من غضب الله عليه لإعراضه عن تلك الرحمة الإلهية ودخولهم في جملة أعداء

➔

الله ورسوله لبيعتهم له من حيث مخالفتها لما نزل من عنده على لسان خير رسلهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ[1]، وقد بلغهم ذلك فعرفوه ووعوه ولكنّهم خافوه مثل مخالفة

➔

الله بسبب غصب الخلافة أو الدخول في بيعة من غصب الخلافة، فهو مبغوض لله ولرسولهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ ولا تشملهم الرحمة والرضوان أبداً.

(١) وبعبارة أوضح أنّ أبا بكر تأمّر على الناس من دون أن يبيح الله تعالى له ذلك ولا رسولهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وطلب من الأمّة البيعة له والانقياد إلى طاعته طوعاً وكرهاً، فكان ذلك منه أول ظلم ظهر في الإسلام بعد وفاة رسول اللّهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ. ولمّا تسلّط على رقاب الناس طالبهم بالإنقاد له ظلماً وزوراً، وكان يأخذ من الناس ما أخذ رسول اللّهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ من الصدقات والأخماس وما شاكلها، ثم سمّى نفسه خليفة رسول الله ونفذت بذلك كتبه إلى الأمصار من خليفة رسول الله، فكانت هذه الحالة منه جامعة للظلم والمعصية والكذب على النبيّ الأعظمصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ. وذلك في حين أنّه كان يعلم أن الله ورسولهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ لم يجعلا له ذلك الشأن والمقام ولا إليه شيئاً منه، فكانت ادعائه ظلماً وجوراً وزوراً؛ إذ أنّه طالب بما ليس له بحق، وادعى إدعاءً باطلاً من أنه خليفة رسول الله وقد علم وعلم معه الخاص والعام أنّ الرسولصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ لم يستخلفه فكان ادعائه ظالماً وزوراً وكذباً على الله ورسولهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وصدق عليه قول النبيّصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ حيث قال: «من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار» (صحيح البخاري ج١: ص٣٥ كتاب العلم، باب من كذب على النبي). ولا شك أنّ من كذب على النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ فقد كذب على الله سبحانه، فقد حكى ابن حجر عن الجويني تكفير الكاذب على النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ (انظر فتح الباري ج١: ص١٨٠).

فإنّ الكذب على النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ كذب وافتراء على الله سبحانه؛ حيث أن ما أمر به النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قد أمر به الله، فيجب اتّباعه كوجوب اتباع أمر الله سبحانه، وما أخبر به النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يجب تصديقه كما يجب تصديق ما أخبر الله به.

ومن المعلوم أنّ من كذب على الله وامتنع من التزام أمره فهو كافر كما حكوا على مسيلمة

➔

قوم موسى لخليفته هارون(١)،

➔

الكذاب ونحوه من أنّ كافر وحلال الدم فكذلك من تعمد الكذب على النبيصلى الله عليه وآله؛ ولهذا جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ (سورة العنكبوت:٦٨). فإذا كان الكاذب على النبي مثل الكاذب على فهو محكوم بحكمه، مضافاً إلى أنّ التكذيب على الله والرسولصلى الله عليه وآله موجب للزيادة والنقيصة في الدين كما لايخفى ذلك على أحد، ومن هنا يظهر الوجه في الموجب لبغض الله ورسولهصلى الله عليه وآله لمن بايعه؛ فإنّ بيعة الجائر من موجبات غضب الله ورسولهصلى الله عليه وآله قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ (سورة الممتحنة:١٣)، والآية صريحة في أنّ بيعته منهية بنص القرآن ومبغوض لله تبارك وتعالى، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام: أنّ الله تبارك وتعالى أرسل نبيه موسىعليه السلام وأيّده بنبوة أخيه هارونعليه السلام إلى قوهما، وكانت رسالة موسىعليه السلام إلى فرعون وبني اسرائيل قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (سورة القصص:٤٣)، وجاء الردّ الفرعونيّ الذي كان يمثّل منطق الطّغاة الذين لا استعداد لهم للمناقشة في الأوضاع الجديدة التي لا تنسجم مع أوضاعهم ومصالحهم ومواقعهم، ولا طاقة لهم في مشاعرهم الذاتيّة للتفكير في الموضوع، أو لإدارة الحوار مع القوى المعارضة المضادّة، إلاّ بالتهديد بالقوّة التي يملكونها في مواجهة الضّعفاء الذين لا يملكون أيّ ميزان للقوّة الماديّة في حياتهم.

﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ﴾، سنقضي على الأجيال الجديدة الّتي قد تتحوَّل إلى قوّة شعبيّة لمصلحة موسىعليه السلام، فلا يبقى منهم أحد يقوى على المواجهة، وحمل السلاح، وتخريب الأوضاع، والسيطرة على السلطة، وإضعاف مواقعنا، لأنّ الذكور عادةً هم وقود الحرب

➔

➔

ومواقع القوّة فيها، ﴿وَنَسْتَحْيِـي نِسَاءهُمْ﴾، فنبقيهنَّ كإماء وخادمات، لأنّ النساء لا تمنح القيادة أو أيّة قوّة في المواجهة، فلا يمكن لموسى وأخيه هارون عليهما السلام أن يحصل من خلالهنّ على أيّة قوة، وبذلك لا يبقى - بفعل هذه الخطّة - أيّ شخصٍ قويٍّ في هذا الاتّجاه، ولن يبقى إلا نحن الأقوياء الحاكمون الّذين يمتدّ سلطاننا، وتتضاعف قوّتنا، وتخضع لنا الجماهير. وإنّ مسألة أخذ البيعة في السقيفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله مشابهة للحوادث الواقع في عصر موسى عليه السلام.

ولا شكّ أنّ مسألة البيعة لخلفاء الجائرين - وهي البيعة لغير المعصوم في مقابل المعصوم - من الأمور الموجبة لغضب رب العالمين؛ لأنّ الخليفة الجائر بالبيعة وفرض زعامته بالقهر والغلبة في مقابل المعصوم كان له دور المحاربة مع من نصّ عليه الله ورسوله صلى الله عليه وآله بالإمامة والخلافة والولاية. ولا شك أنّ لبيعة الجائر أثر سلبي في المجتمع وأفراده منذ غصب الخلافة وإلى يومنا هذا، وسيبقى بعد ذلك، وأنّ النصوص الدالّة على تنصيب الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام بالولاية والإمامة والخلافة بالمعنى الذي تتبناه الشيعة الإمامية موجودة في المصادر الإسلامية المتفق عليها بين جميع المسلمين، فيجب على جميع المسلمين من الصدر الأوّل إلى يوم القيامة أن يلتزموا بذلك، وسيوافيك بيان تلك النصوص التي لا يمكن يرفع اليد عنها إلاّ بإنكار الأصل الإسلام والخروج عن الدين الحنيف.

ومن أبرز مصاديق ذلك غصب الخلافة من أبي بكر، والبيعة التي أخذها من الناس في قبال النصوص القرآنية والحديثية التي سمعها من رسول الله صلى الله عليه وآله ووعاها؛ فإنّ السنة النبوية أكدت على مرجعية أهل البيت عليهم السلام في جميع الأمور الدنيوية والأخروية، ومن أوضحها حديث المنزلة وهو قول النبي الأكرم للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي» (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١٢٩ كتاب المغازي، باب غزوة تبوك وصحيح مسلم ج٧: ص١٢٠ كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن ابي طالب عليه السلام)؛ هذا الحديث من جهة السند من أصح الأحاديث عند أهل السنة والجماعة؛

➔

←

لأنّه أخرجه الشيخان البخاري ومسلم، من جهة الدلالة واضحة دلالة على إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام بعد الرسول صلى الله عليه وآله؛ إذ أنّ هارون كان خليفة موسى عليه السلام ونبيّاً وقد أثبت رسول الله صلى الله عليه وآله نفس هذه المنزله للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بلا استثناء إلاّ النبوة، فدلّ الحديث بصورة واضحة على إمامة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وكذلك حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين ولا يشك في صحته إلا الجاهل به أو المعاند، فقد روي بطرق كثيرة عن نيف وعشرين صحابي، وهناك كتب جمعت مصادر هذا الحديث وطرقه الكثيرة التي سيأتي إن شاء الله في محلّه، وقد روى أصحاب الصحاح والمسانيد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله حبل مدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض،فانظروا كيف تخلفوني»وغير ذلك من النصوص المتقاربة.

إن الإمعان في الحديث يعرب عن عصمة العترة الطاهرة، حيث قورنت بالقرآن الكريم وإنّهما لا يفترقان، ومن المعلوم أن القرآن الكريم كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكيف يمكن أن يكون قرناء القرآن وأعدله خاطئين فيما يحكمون، أو يقولون ويحدثون.

أضف إلى ذلك أن الحديث، يعد المتمسك بالعترة غير ضال، فلو كانوا غير معصومين من الخلاف والخطأ فكيف لا يضل المتمسك بهم؟

كما أنه يدل على أن الإهتداء بالكتاب والوقوف على معارفه وأسراره يحتاج إلى معلم خبير لا يخطأ في فهم حقائقه وتبيين معارفه، وليس ذلك إلا من جعلهم النبي صلى الله عليه وآله قرناء الكتاب إلى يوم القيامة وهم العترة الطاهرة عليهم السلام.

وقد شبههم في حديث آخر بسفينة نوح في أن من لجأ إليهم في الدين وأخذ أصوله وفروعه عنهم نجا من عذاب النار، ومن تخلف عنهم كمن تخلف يوم الطوفان عن سفينة نوح وأدركه الغرق، رواه المحدثون عن النبي صلى الله عليه وآله أنّ قال: «إنما مثل أهل بيتي في أمتي كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»، وللحديث طرق ومسانيد

→

وقد عرفت فيما مرّ بهتان ما زعموه نصّاً على إمامة أبي بكر من وجوه عديدة(١)، وفساد إجماعهم عليها من نفس قوله في مرض موته حيث تمنى المسالة من رسول الله صلى الله عليه وآله عن الخليفة بعده(٢)، ومن تمنى عمر ذلك الذي

←

كثيرة من أراد الوقوف عليها، فعليه بتعاليق (إحقاق الحق ج٩: ص ٢٧٠- ٢٩٣ ومستدرك الحاكم ج٢: ص٢٦٦ وغيره من المصادر)، فالإمام هو الذي نصبه الله تعالى إماماً وعيّنه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بالنصوص التي هي مورد التسالم بين المسلمين.

وعليه فإنّ أخذ البيعة من الناس في قبال هذه النصوص معلوم مبغوضتها لله ورسوله صلى الله عليه وآله وهو أمر واضح لدى كل من له المعرفة بالدين، فلاحظ.

(١) لقد تقدم البحث في عدم وجود دليل على خلافة أبي بكر ولو بأضعف الدلالة عند القوم، وأنّه لا يوجد نصّ على خلافة أبي بكر عند أهل السنة والجماعة؛ لأنّهم يقولون: أنّ اجتماع الصحابة في السقيفة كان بدعوى عدم وجود نصّ من النبي صلى الله عليه وآله على أمامة أحد، ولذلك لايمكنهم دعوى وجود النصّ على أبي بكر إلاّ دعوى النص الخفيّ الذي أعترفوا أيضاً بعدم دلالته حتى على أضعف الحالات كما وقع البحث في صلاة أبي بكر وتقدم البحث حوله فراجع.

(٢) لقد روى هذا الحديث عدة من علماء أهل السنة والجماعة بإسنادهم عن عبدالرحمن بن عوف قال: دخلت علي أبي بكر أعوده في مرضه الذي توفي فيه، فسلمت عليه، وسألته كيف أصبحت؟ فاستوى جالساً....، ثم قال: أما أني لا آسي على شيء إلا على ثلاث فعلتهن وددت أني لم أفعلهن، وثلاث لم أفعلهن وددت أني فعلتهن، وثلاث أني سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عنهن. فأما الثلاث اللاتي وددت أني لم أفعلهن، فوددت أني لم أكن كشفت بيت فاطمة الزهراء عليها السلام وتركته، وإن أغلق علي الحرب، وددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين أبي عبيدة أو عمر فكان أمير المؤمنين وكنت وزيراً.

←

هو اساس إمامة صاحبه[(١)] ومن تصديقهما للحسن والحسينعليهما السلام بأنّ المنبر منبر أبيهما[(٢)]، فانّه لو فرض حجة اجماعهم عليه لعلم به امامته، وكونه

➔

وودت أني حيث كنت وجهت خالد بن الوليد إلى أهل الردة أقمت بذي القصة، فإن ظفر المسلمون ظفروا وإلا كنت رداءً أو مدداً. وأما اللاتي وددت أني فعلتها، فوددت أني يوم أتيت بالأشعث أسيراً ضربت عنقه، فإنه يخيل إلي أنه لا يكون شر إلا طاء إليه. ووددت أني يوم أتيت بالفجاءة السلمي لم أكن أحرقه وقتلته سريحاً أو أطلقته نجيحاً، ووددت أني حيث وجهت خالد بن الوليد إلى الشام وجهت عمر إلى العراق فأكون قد بسطت يدي يميني وشمالي في سبيل الله عزّ وجلّ. وأما الثلاث اللاتي وددت أني سألت رسول اللهصلى الله عليه وآله عنهن، فوددت أني كنت سألته فيمن هذا الأمر فلا ينازعه أهله، ووددت أني كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر سبب؟ (انظر تاريخ مدينة دمشق لإبن عساكر ج٣٠: ص٤١٨ والمعجم الكبير للطبراني ج١: ص٦٢ ح٤٣ والتاريخ الطبري ج٢: ص٣٥٣ وحلية الأولياء لأبي نعيم ج٢: ص١٢٧ وغيرها من المصادر).

وإذا كان أبوبكر تمنى في آخر عمره أن يسأل رسول اللهصلى الله عليه وآله عن الخلافة أنّها لمن ستكون فكيف يمكن لهم دعوى وجود النصّ عليه ولو بأضعف الدلالة؛ إذ تكون تلك الدعوى تكذيباً لأبي بكر، وهل يرضى به أحد منهم؟

(١) لقد أخرج الطبراني بسنده عن أبي عبيدة الجراح عن أبيه قال: "دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه الذي توفي فيه.....، قال أبو بكر: وددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين عمر بن الخطاب أو أبوعبيدة الجراح، فكان أميراً وكنت وزيراً....." (انظر المعجم الكبير ج١: ص٦٢)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٣: ص٤٢٢، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغه ج٣: ص٤٧، والطبري في تاريخه ج٢: ص٦١٩ وغيرهم.

(٢) هذا المقطع إشارة إلى الروايات الواردة في المصادر السنية وهي تدلّ على أنّ الإمام

➔

الخليفة من الله، فأي معنى حينئذ لتمني المسألة عن الحقيقة[1]؟ وأي معنى

➔

الحسن والحسين عليهما السلام يفضحان أبا بكر وعمر، فمنها: ما رواه ابن عساكر بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قعد أبوبكر على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء الحسن بن علي فصعد المنبر وقال: «انزل عن منبر أبي»، فقال له أبوبكر: نعم إنه منبر أبيك وأبي لا منبر له، وإن كلّ ما عندنا منكم، فهل أنبت الشعر على رؤسنا إلا الله وأنتم (تاريخ مدينة دمشق ج٣٠: ص٢٠٧، ورواه المحب الطبري، في الرياض النضرة ج١: ص٢٠٣، والمتقي الهندي في كنز العمال ج٥: ص٦١٦ ح١٧٠٨٤٤، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٦: ص٤٢، والبلاذري في أنساب الأشراف ج٣: ص٢٧ وغيرهم).

ومنها : ما رواه ابن عساكر بسنده عن عبيد بن حنين عن حسين علي عليه السلام قال: «صعدت إلى عمر وهو على المنبر، فقلت: انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك، فقال: من علّمك هذا؟ قلت: ما علمنيه أحد، قال: منبر أبيك والله منبر أبيك والله، وهل أنبت على رؤوسنا الشعر إلاّ أنتم وجعلت تغشاناً» (تاريخ مدينة دمشق ج١٤: ص١٧٥ وج٣٠: ص٢٠٧) ورواه المحب الطبري في الرياض النضرة ج٢: ص٣٤١، والمتقي الهندي في كنز العمال ج١٣: ص٦٥٤ ح٣٧٦٦١ و٣٧٦٦٢، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج١: ص١٥١، وابن حجر في الإصابة ج٢: ص٦٩ وغيرهم.

فهذه الروايات تدلّ بالصراحة أنّ الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام يعلمان كل انسان قول كلمة الحق في وجه أهل الباطل والدفاع عن القيادة الحقة، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح: أنّه على فرض أنّ الإمامة تنعد بالإجماع، وأيضا على فرض أنّ الإجماع حجة شرعية، فدعوى الإجماع على خلافة أبي بكر تلزمهم القول بأنّ أبا بكر خليفة رسول الله شرعاً، وعليه يلزمهم العمل بما جاء من قبل الشرع، وإذا كان الأمر كذلك لماذا تمنى أبو بكر أن يكون أحد الرجلين، عمر أو أبا عبيدة خليفة رسول الله وهو وزير له؟ وقد تقدم ذكر مصدر هذا التمني في الأحاديث المروية في كتبهم (راجع المعجم الكبير للطبراني ج١: ص٦٢) فكيف يجوز له مخالفة الشرع؟!!!!

➔

لتصديقهما بأنّ الخليفة علي عليه السلام[1] فعلم عناد السنّي للحق بعد تبيينه عنده حتى قول إمامية[2].

سادسها: ما زعمه من عدم صيرورة عمر إماماً بنصّ أبي بكر عليه، بل إنّما صار إماماً لما بايعه أهل الشوكة؛ فإنّه معلوم الفساد عند أهل مذهبه[3]؛ فإنّهم مجمعون على ثبوت إمامة الرجل بطرق:

➔

فصاحب التمني بين الأمرين: إمّا أنه تمنى الأمر غير المشروع، أو كان كاذبا في قوله. وعلى كلا الحالتين يسلب عنه اللياقة للتصدي لمقام الخلافة كما هو ظاهر واضح.

(١) أي تصديق أبي بكر وعمر للإمام الحسن والحسين عليهما السلام بأن المنبر منبر أبيهما الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولا منبر لهما وأنّ جلوسهما على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله كان بالغصب والعدوان؟

(٢) فلا يخفى على الخبير بعد المراجعة إلى النصوص والأدلة أنّ ابن تيمية ليس لديه إلا التعصّب الأعمى الذي دفعه الى الإنكار والتكذيب، ولا يخفى أنّ إنكار النصوص الثابتة شرعاً يعد إنكاراً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله والمنكر لما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله فهو خارج عن الإسلام بالضرورة، فلاحظ.

(٣) لقد ذكر علماء أهل السنة والجماعة طريقة تولية عمر بن الخطاب للخلافة بعد أبي بكر وذلك عندما دنى أجل أبي بكر في مرضه قبل وفاته بخمسة عشر يوماً، فلما أحس بدنو أجله عهد في أثناء هذا المرض بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان وقرئ على المسلمين.

وقد ذكر أهل السير والتواريخ صيغة عهد أبي بكر بالخلافة لعمر بن الخطاب، فروى ابن سعد وغيره: أنّ أبا بكر لمّا استخبر عبد الرحمن بن عوف عن حاله، فقال أبوبكر: أخبرني عن عمر بن الخطاب، فقال عبد الرحمن: ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني..... ثم دعا أبو بكر عثمان بن عفان، فقال: أخبرني عن عمر، فقال: أنت أخبرنا به، فقال أبو بكر:

➔

➔

يرحمك الله والله لو تركته ما عدوتك.....، وسمع بعض أصحاب النبيﷺ عبد الرحمن وعثمان على أبي بكر وخلوتهما به، فدخلوا على أبي بكر فقال له قائل منهم: ما أنت قائل لربك إذ سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر: أجلسوني، فقال: أبالله تخوفوني؟ خاب من تزود من أمركم بظلم، أقول: اللهم استخلفت عليهم خير أهلك أبلغ عني ما قلت لك من وراءك، ثم اضطجع ودعا عثمان بن عفان فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب، إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب من الإثم والخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والسلام عليكم ورحمة الله، ثم أمر بالكتاب فختمه، ثم قال بعضهم لما أملى أبو بكر صدر هذا الكتاب: بقي ذكر عمر فذهب به قبل أن يسمي أحداً، فكتب عثمان: إني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ علي ما كتبت، فقرأ عليه ذكر عمر فكبر أبو بكر وقال: أراك خفت إن أقبلت نفسي في غشيتي تلك يختلف الناس فجزاك الله عن الإسلام وأهله خيراً، والله إن كنت لها لأهلاً، ثم أمره فخرج بالكتاب مختوماً ومعه عمر بن الخطاب وأسيد بن سعيد القرظي فقال عثمان للناس: أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟ فقالوا: نعم، وقال بعضهم: قد علمنا به. ثم دعا أبو بكر عمر خالياً فأوصاه بما أوصاه به ثم خرج من عنده، فرفع أبو بكر يديه مداً فقال: اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم وخفت عليهم الفتنة، فعملت فيهم بما أنت أعلم به واجتهدت لهم رأيي فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم وأحرصهم على ما أرشدهم، وقد حضرني من أمرك ما حضر فاخلفني فيهم..... (انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣: ص١٩٩)، ورواه ابن عساكر في تأريخ مدينة دمشق ج٣٠: ص٤١١، وابن الأثير في أسد الغابة ج٤: ص ٦٩، والبلاذري في أنساب الأشراف ج١٠: ص٨٨، وابن شبه في تأريخ المدينة ج٢: ص ٦٦٨،

🡐

منها: نصّ الخليفة السابق عليه. ومنها: مبايعة أرباب الحل والعقد. ومنها: غلبته بالسيف[(١)].

←

وابن الجوزي في المنتظم ج٤: ص١٢٦، والسيوطي في تأريخ الخلفاء: ص٩٢، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج١: ص١٦٠، والمتقي الهندي في كنز العمال ج٥: ص٦٧٥ ح١٤١٧٥ وغيرهم.

أقول: ومع قطع النظر عن النصوص التي دلّت بالصراحة على إمامة مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنّ من يراجع كتب أهل السنة والجماعة يجد بوضوح أنّه لا فضل لأبي بكر وعمر وعثمان على بقية الصحابة، بل أنّ وجوه الصحابة ورؤساء المهاجرين وأعيان السابقين كسلمان وعمار وأبي ذر والمقداد ونظائرهم كانت لهم الفضيلة على غيرهم بالنص من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فهم أولى من أبي بكر وعمر، وهؤلاء كانوا مخالفين لتولية أبي بكر وعمر وعثمان، كذلك الطبقة التي تليهم إلى أن تصل النوبة إلى بقية الصحابة، وهذا أمر واضح لدى كل من له أدنى معرفة بتاريخ الصحابة؛ نعم كانت العصابة الضالة من الصحابة الذين كانوا من الطلقاء وبني أمية وأضرابهم موافقين لتولية أبي بكر ووتوصيته لعمر، وهذا لا يعني الصحابة، فضلاً عن المؤمنين منهم، وذلك لأنّ من كان له الفضل فقد فضله النبي صلى الله عليه وآله بتصريحاته والنصوص الصحيحة التي صدرت منه في هذا المجال، وهي موجودة في كتب علماء أهل السنة، كما تقدمت الإشارة إلى بعضها، ولا يوجد فيها ما ورد في شأن أبي بكر وعمر وعثمان فأين الشوكة وأين الإجماع؟!!!

(١) لايخفى على الباحث الخبير أنّ عقيدة أهل السنّة في باب الإمامة أشبه بسياسة وقتيّة زمنيّة كرئيس دولة، ينتخبه الشعب أو نوّاب الأُمّة، أو يتسلّط على الشعب بانقلاب عسكري، وما شابه ذلك، فالإمام عند أهل السنة هو الحاكم العادي من الناس الذي يتسلط على الأمّة، فإنّ مثل هذا لا يشترط فيه سوى بعض المواصفات المعروفة عند أهل السياسة،

←

➔

وعلى ذلك يرجع تعيين الإمام عندهم إلى نفس الأُمّة، لا إلى الله سبحانه ولا إلى رسوله ﷺ، فهم متفقون على هذا الرأي، ولكن اختلفوا فيما تنعقد به الإمامة على أقوال شتّى وإليك بعض أقوالهم:

قال الإسفرائيني "المتوفى ٤٠٦ هـ" في كتاب الجنايات: "وتنعقد الإمامة بالقهر والإستيلاء، ولو كان فاسقاً أو جاهلاً أو عجميّاً" (انظر إحقاق الحقّ، للسيّد التستري ج٢: ص٣١٧ نقلاً عن كتاب الجنايات).

وقال الماوردي "المتوفى ٤٥٠ هـ": "إختلف العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم، على مذاهب شتّى؛ فقالت طائفة: لا تنعقد إلا بجمهور أهل العقد والحلّ من كلّ بلد، ليكون الرضا به عاماً، والتسليم لإمامته إجماعاً، وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر على الخلافة باختيار من حضرها، ولم ينتظر ببيعته قدوم غائب عنها.

وقالت طائفة أخرى: أقلُّ ما تنعقد به منهم الإمامة، خمسة يجتمعون على عقدها، أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة، استدلالاً بأمرين: أحدهما: أنّ بَيْعة أبي بكر إنعقدت بخمسة اجتمعوا عليها ثمّ تابعهم الناس فيها، وهم عمر بن الخطاب، وأبو عُبيدة بن الجراح، وأُسيد بن حضير، وبشر بن سعد، وسالم مولى أبي حُذيفة. والثاني: أنّ عمر جعل الشورى في ستّة ليعقد لأحدهم برضا الخمسة. وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلّمين من أهل البصرة.

وقال آخرون من علماء الكوفة: تنعقد بثلاثة يتولاها أحدهم برضا الإثنين، ليكونوا حاكماً وشاهدَيْن، كما يصحّ عقد النكاح بِوَلي وشاهدين.

وقالت طائفة أُخرى: تنعقد بواحد، لأنّ العبّاس قال لعلي: امدُدْ يدَكَ أُبايعك، فيقول الناس عمّ رسول الله ﷺ بايعَ ابن عمّه، فلا يختلف عليك اثنان. ولأنّه حكم، وحكم واحد نافذ" (انظر الأحكام السلطانيّة، لعلي بن محمد الماوردي: ص٦-٧).

وقال إمام الحرمين الجويني المتوفى ٤٧٨ هـ : "اعلموا أنّه لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع، بل تنعقد الإمامة، وإن لم تجمع الأُمّة على عَقْدها. والدليل عليه أنّ الإمامة لمّا عُقدت لأبي بكر، إبتدر لإمضاء أحكام المسلمين ولم يتأنّ لانتشار الأخبار إلى مَن نأى

➔

➔
من الصحابة في الأقطار، ولم يُنكر عليه منكر. فإذا لم يشترط الإجماع في عقد الإمامة لم يثبت عدد معدود، ولا حدّ محدود، فالوجه الحكم بأنّ الإمامة تنعقد بعقد واحد من أهل الحَلّ والعقد" (انظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: ص٤٢٤).

وقال القرطبي: "المتوفى ٦٧١ هـ": "فإنْ عَقَدها واحد من أهل الحلّ والعقد، فذلك ثابت، ويلزم الغير فعله، خلافاً لبعض الناس، حيث قال: لا تنعقد إلا بجماعة من أهل الحلّ والعقد، ودليلنا: أنّ عُمَر عقد البيعة لأبي بكر، ولم ينكر أحد من الصحابة ذلك. ولأنّه عَقد، فوجب أن لا يفتقر إلى عدد يعقدونه كسائر العقود" (انظر تفسير القرطبي ج١: ص٢٦٠).

وقال القاضي عضد الدين الإيجي "المتوفى ٧٥٧ هـ": "المقصد الثالث فيما تثبت به الإمامة، وأنّها تثبت بالنّصّ من الرسول، ومن الإمام السابق، بالإجماع، وتثبت ببيعة أهل الحلّ والعقد. لنا، ثبوت إمامة أبي بكر بالبيعة".

وقال: "وإذا ثبت حصول الإمام بالإختيار والبيعة، فاعلم أنّ ذلك لا يفتقر إلى الإجماع، إذ لم يقم عليه دليل من العقل أو السمع، بل الواحد والإثنان من أهل الحلّ والعقد، كاف، لعلمنا أنّ الصحابة، مع صلابتهم في الدين، اكتفوا بذلك، كعقد عمر لأبي بكر، وعقد عبد الرحمن بن عوف لعثمان، ولم يشترطوا اجتماع من في المدينة، فضلاً عن إجماعهم هذا، ولم ينكر عليه أحد، وعليه انطوت الأعصار إلى وقتنا هذا" (انظر المواقف: ٣٩٩-٤٠٠، ط عالم الكتب).

ومثله شارح المواقف السيّد شريف الجرجاني «المتوفى ٨١٦ هـ» (انظر شرح المواقف ج٨: ص٣٥١ – ٣٥٣)

وقال التفتازاني "المتوفى ٧٩١ هـ": "وتنعقد الإمامة بطرق: أحدها: بيعة أهل الحلّ والعقد من العلماء والرؤساء ووجوه النّاس الذين يتيسّر حضورهم من غير اشتراط عدد، ولا اتّفاق من في سائر البلاد، بل لو تعلّق الحلّ والعقد بواحد مطاع كفت بيعته.

الثاني: استخلاف الإمام وعهده، وجعله الأمر شورى بمنزلة الاستخلاف، إلا أنّ المستخلَف
➔

➔
عليه غير متعيّن فيتشاورون، ويتّفقون على أحدهم، وإذا خلع الإمام نفسه كان كموته، فينتقل الأمر إلى ولي العهد.

الثالث: القهر والإستيلاء، فإذا مات الإمام وتصدّى للإمامة من يستجمع شرائطها من غير بيعة واستخلاف، وقهر الناس بشوكته، انعقدت الخلافة له وكذا إذا كان فاسقاً أو جاهلاً على الأظهر" (انظر شرح المقاصد ج٢: ص٢٧٢).

لكنّ أهل السنّة إذا أمعنت النظر في هذه الأقوال وأنصفت تجد بوضوح أنّه لا أساس لما يقولون به في مسألة الامامة، بل إنّ غاية ما يحاولونه توجيه ما فعله القوم، وتبرير ما هو الواقع تاريخياً، أمّا أنّ الحق ما هو؟ وما الذي أراده الله ورسوله ﷺ منهم؟ ليس في ذلك ما يدّل عليه، فإنّ موقف أصحاب هذه الأقوال في المسألة، موقف من اعتقد بصحّة خلافة الخلفاء بلا تصور دليل شرعي، من الكتاب والسنّة النبويّة، لأنّ ما استدلّوا به موقوف على ما تحقق في التاريخ، فحيث ما كانت الأحداث التاريخية بالنسبة إلى خلفائهم فصدروا القرار عليها، وبنوا عليها الآراء والأقوال، وعلى هذا أساس صار رأياً لهم، من انعقادها بواحد أو اثنين، أو اتّفاق من تيسّر حضوره، دون النائين من الصحابة، وغير ذلك من الأقوال في هذا المجال. غير أنّه لا يخفى الخبير أنّ هذا النمط من الإستدلال، إستدلال بالمدّعى على نفس المدّعى، وهو دور واضح.

كما أنهم يحاولون الردّ على الأدلة العقلية والنصوص المتفق عليها بين الأمّة الإسلامية حفظاً لهذه الآراء والوجوه البائسة التي قد تنسب إلى بعض الطلقاء وبني أمية ويسمّوهم الصحابة للتوجيه عما ارتكبوه.

والعجب من القرطبي الذي يقول: ...... ولم ينكر أحد من الصحابة ذلك. أي بما ارتكبه الصحابه بعد وفاة رسول الله ﷺ ولعلّه لم يقرأ مأساة السقيفة بين المهاجرين والأنصار، وإلا فالإعتراض والنزاع كان قائماً على قدم وساق ويكفي في ذلك مراجعة كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة، وتاريخ الطبري، وسيرة ابن هشام، وكتاب السقيفة لأبي بكر الجوهري المتوفّى عام ٢٨٠ هـ وغيرهم. فيما يأتي من المباحث وسنشير إلى بعض
➔

➔

تلك الوقائع.

فهؤلاء الأعلام كيف سكتوا عن الإعتراضات الهائلة التي توجهت من نفس الصحابة من الأنصار والمهاجرين على خلافة الخلفاء، الذين تمّت بيعتهم ، ببيعة الخمسة في السقيفة، أو بيعة أبي بكر لعمر، أو بشورى الستّة، فإنّ من كان ملمّاً بالتاريخ ومهتمّاً به، يرى كيف كانت عقيرة كثير من الصحابة مرتفعة بالإعتراض.

ويكفي في ذلك قول الطبري حيث يقول: أنّه قام الحباب بن المنذر - وانتضى سيفه - وقال: "أنا جُذَيْلها المُحَكَك، وعُذَيْقُها المُرَجَّب، أنا أبو شبل، في عرينة الأسد، يعزى إليّ الأسد، فحامله عمر، فضرب يده، فندر السيف، فأخذه، ثمّ وثب على سعد - بن عبادة - ووثبوا على سعد وتتابع القوم على البيعة، وبايع سعد، وكانت فلتة كفلتات الجاهليّة، قام أبو بكر دونها، وقال قائل حين أُوطئ سعد: قتلتم سعداً. فقال عمر: قتله الله، إنّه منافق. واعترض عمر بالسيف صخرة فقطعه (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٤٥٩).

وفي رواية أخرى للطبري أنّ عمر قام على رأس سعد، وقال: لقد هممت أن أطأك حتّى تندر عضوك. فأخذ سعد بلحية عمر، وقال: والله لو حصحصت منه شعرة ما رجعت وفيك واضحة، أمّا والله لو أنّ بي قوة ما أقوى على النهوض لسمعت منّي في أقطارها وسككها زئيراً يُجْحِرك وأصحابك - أيّ يلزمهم دخول الجحر، وهو كناية عن شدّة التضييق، - أما والله، إذاً لألحقنّك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع، احملوني من هذا المكان. فحملوه، فأدخلوه في داره. وتُرك إيّاماً، ثمّ بعث إليه أن أقبل، فبايع، فقد بايع الناس، وبايع قومك. فقال: أما والله حتّى أرميكم بما في كنانتي من نبلي وأخضب سنان رمحي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي، فلا أفعل. وأيم الله، لو أنّ الجنّ اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتّى أعرض على ربّي، وأعلم ما حسابي. فكان سعد لا يصلّي بصلاتهم ولا يجمع معهم، ولا يفيض معهم إفاضتهم، فلم يزل كذلك حتّى هلك أبو بكر (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٤٦٠).

هذه نبذة يسيرة من الأصوات المُدَوّية التي عارضت الخلافة والخليفة المنتخب، وكم لها من

➔

➔

نظير في السقيفة والشورى وغيرهما ضربنا عنه صفحاً. أفيصحّ بعد ذلك قول القرطبي: "ولم ينكر أحد من الصحابة ذلك"، وكأن الحباب، وسعداً، وابنه قيس، وعامّة الخزرجيين، وبني هاشم، والزبير، لم يكونوا من الصحابة؟!

وثانياً: إنّ هذا الإختلاف الفاحش في كيفيّة عقد الإمامة، يعرب عن بطلان نفس الأصل؛ لأنّه إذا كانت الإمامة مفوّضة إلى الأمّة، كان على النبي الأكرمصلى الله عليه وآله بيان تفاصيلها وخصوصيّاتها وخطوطها العريضة، وأنّه هل تنعقد بواحد أو إثنين من الصحابة؟ أو تنعقد بأهل الحلّ والعقد منهم؟ أو بالصحابة وحضورهم عند رحلة النبيصلى الله عليه وآله، أو رحلة الإمام السابق؟ أو باتّفاق جميع المسلمين بأنفسهم، أو بممثليهم؟ وليس عقد الإمامة لرجل، أقلّ من عقد النكاح بين الزوجين الذي اهتمّ القرآن والسنّة ببيانه وتحديده، كما اهتمّت السنّة على الخصوص بشؤونه وأحكامه.

والعجب أنّ عقد الإمامة الذي تتوقّف عليه حياة الأمّة، لم يطرح في النصوص، لا كتاباً ولا سنّة - على زعم القوم - ولم تبيّن حدوده ولا شرائطه، ولا سائر مسائله الّتي كان يواجهها المسلمون بعد وفاة النبي الأكرمصلى الله عليه وآله مباشرة!!

وبالجملة فإنّ اختلافهم في شرائط الإمام وطرق انعقاد الإمامة، جعل الخلافة وبالاً على المسلمين، حتّى أخذت لنفسها شكلاً يختلف كلّ الإختلاف عن الشكل الّذي ينبغي أن تكون عليه؛ إذ قد أصبحت الخلافة الإسلاميّة، إمبراطوريّة، وملكاً عضوضاً، يتناقلها رجال العيث والفساد، من يد فاسق، إلى آخر فاجر غارق في الهوى، إلى ثالث سفّاك متعصّب. وقد أعانهم في تسنم ذورة تلك العروش، مرتزقة من رجال متظاهرين باسم الدين، فبرّروا أفعالهم، ووجّهوا أعمالهم توجيهاً ملائماً للظروف السائدة، وصحّحوا إتّجاهاتهم السياسيّة الخاصّة، وخلقوا في ذلك أحاديث وسنن مفتعلة على صاحب الرسالةصلى الله عليه وآله، واصطنعوا لهذا وذاك فضائل، لتدعيم مراكزهم السياسيّة، ويكفيك النموذج التالي، لتقف على حقيقة تلك الأحاديث المفتراة.

رووا عن رسول اللهصلى الله عليه وآله أنّه قال: «يكون بعدي أئمّة لا يهتدون بهداي، ولا يَستَنّون بسنّتي،

➔

قال ابن عبدالبر: ولى عمر بعهد من أبي بكر، وجعله خليفة من بعده[١]، وبمعناه قال غيره[٢]. وقال النووي في منهاجه: بأنّهم مجمعون على ذلك[٣]. وقال شارح المقاصد وغيره: ويكفي البيعة وصيرورة الرجل إماماً برجل، ولم يخالف في ذلك سوى الشيعة والمعتزلة؛ لذهابهم إلى لزوم مبايعة خمسة[٤].

وسيقوم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس». قال الراوي: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع» (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢٠ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة، وفي باب حكم من فرَق أمر المسلمين نظيره، بل وفي البابين نظائر كثيرة لهذا الحديث). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام، وهذا غيض من فيض ما جاءت به كتب أهل السنة فاقض ما أنت قاض.

وملخص الكلام أنّ عقيدة أهل السنة في باب الإمامة هي أنّ الإمامة كسياسة وقتية زمنية، وإلى الإمام كسائس عاديّ يقود أمّته في حياتهم الدنيوية. ولأجل ذلك لا يكون الفسق والجور، وهتك الأستار، قادحاً في إمامتهم، كما أنّ التسلط على الرقاب بالقهر والإستيلاء، والنار والحرب، أحد الطُرق المسوغة للتربع على منصّة الإمامة.

فإذا كانت هذه هي حقيقة الإمامة عندهم، وكان هذا هو الإمام، فلا غرابة حينئذ في محو حقائق الرسالة الإلهية، فلاحظ.

(١) لاحظ الاستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص١١٥٠

(٢) راجع فتح الباري في شرح البخاري لابن حجر ج١٢: ص٢٦٣، وعمدة القاري في شرح البخاري للعيني ج٢٤: ص١٥٩، وتأريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٤٥ وغيرها من مصادرهم.

(٣) انظر المنهاج في شرح صحيح مسلم للنووي ج١٢: ص٢٠٠

(٤) انظر شرح المواقف ج ٨: ص٣٥١

وقال في فتح الباري: مثل ما قاله النووي[١]، والمنصف حسبه هذه الكلمات من الجماعة عن النقل عن غيرهم[٢].

---

(١) انظر فتح الباري في شرح البخاري لابن حجر ج١٢: ص٣٦٢

(٢) فإنّ الباحث الخبير لو راجع المصادر السنّية في المقام يحصل له القطع واليقين على عدم وجود دليل شرعي أو قاعدة دينية من العقلية والشرعية على انتخاب الخليفة من أتباع خلفاء السقيفة، فمثلاً يقولون: الدليل على ذلك هو إجماع الصّحابة...

في حين يعترفون بأنّ إمامة أبي بكر إنّما انعقدت ببيعة عمر بن الخطّاب وأبي عبيدة ابن الجراح فقط، وأن كان كثيراً من أعلام الصحابة امتنعوا عن البيعة، وعلى رأسهم الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام والسيدة الزهراءعليها السلام بضعة الرسولصلى الله عليه وآله،كما أنّ خلافة عمر لم تتحقق، بالبيعة ولا بالإجماع ولا بالشورى ولا بدليل شرعي آخر.

فإنّ من أسوأ المصائب التي أُبتليت بها الأمة الإسلامية هي مصيبة تصدي الخلفاء التي كانت تتبع عقلية الجاهلية الأولى؛ حيث إنّهم لم يروا أي مانع لتصدي الخلافة العظمى، حتى أنّ علمائهم لايرون باساً من كون الخليفة ظالماً وفاسقاً و... قال النوويّ: "لا تُنازِعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكَراً محقَّقاً تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحقّ حيث ما كنتم، وأمّا الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقةً ظالمين، وقد تظاهَرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنّة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق" (انظر المنهاج في شرح صحيح مسلم ج١٢: ص٢٢٩). وقد وصلوا الأمر إلى حد الكفر، قال ابن حجر: "وملخّصه أنّه ينعزل بالكفر إجماعاً؛ فيجب على كلّ مسلم القيام في ذلك، فمن قويَ على ذلك فله الثواب، ومن داهن فعليه الإثم" (انظر فتح الباري لابن حجر في شرح البخاري ج١٣: ص١٢٣). بل وقال مفتي السعودية عبد العزيز بن باز أحد شيوخ الوهابية والسلفية: "إذا رأى المسلمون كفراً بَواحاً عندهم من الله فيه برهان فلا بأس أن يخرجوا على هذا السلطانِ لإزالته إذا كان عندهم قدرة، أمّا إذا لم تكن عندهم قدرةٌ فلا يخرجون، أو كان

←

وسابعها: ما زعمه من مبايعة بطانة[1] الرسول صلى الله عليه وآله أبا بكر

←

الخروج يسبّب شرّاً أكثر فليس لهم الخروج؛ رعايةً للمصالح العامّة، والقاعدة الشرعية المجمع عليها أنه: لا يجوز إزالة الشرّ بما هو أشرّ منه، بل يجب درْء الشرّ بما يزيله أو يخفّفه، أمّا درء الشرّ بشرّ أكثر فلا يجوز بإجماعِ المسلمين" (انظر مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري: ص٢٤).

ولذلك اعترف بعض المنصفين من علمائهم بعدم لياقة خلفائهم للتصدي لمقام الإمامة، يقول ابن أبي الحديد: "وقد صرّح شيخنا أبو القاسم البلخي بهذا، وصرّح به تلامذته وقالوا: لو نازع (الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام) عقيب وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسل سيفه لحكمنا بهلاك كلّ من خالفه وتقدّم عليه، كما حكمنا بهلاك من نازعه حين أظهر نفسه، ولكنه مالك الأمر وصاحب الخلافة، إذا طلبها وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها، وإذا أمسك عنها وجب علينا القول بعدالة من أغضى له عليها" ثم قال ابن أبي الحديد: "وهذا المذهب هو أعدل المذاهب عندي وبه أقول" (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص٢٩٦).

والعجب للغاية! أنّ عقد الإمامة الذي تتوقّف عليه حياة الأمّة، يقولون: "لو نازع..." وتغافلوا عن النصوص المتفق عليها بين الأمّة الإسلامية، وجعلوها وراء ظهورهم، وكلّ الأمور التي وقعوا فيها ناجمة عن انحرافهم عن الرسالة الإلهية واتباعهم الجاهلية الأولى.

(١) البطانة لغةً ما يبطّن به الثوب وغيره من الداخل، وجمعه البطائن، وهي مشتقة من البطن ضد الظهر من كل شيء، قال الله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ (سورة الرحمن:٥٤). فإنّ البطائن هنا مجاز يراد بها الأسفل. يقال للجهة السفلى: بطن، وللجهة العليا ظهر، فيقال: بطنت ثوبي بآخر إذا جعل تحت ثوبه آخر، فبطانة الثوب داخله وما لا يبدو منه، وضد البطانة الظهارة بكسر الظاء، ومن كلامهم: أفرشني ظهر أمره وبطنه، أي: علانيته وسره، شبهت العلانية بظهر الفراش والسر ببطن الفراش وهما الظهارة والبطانة، ولذلك أتبع هذا التشبيه باستعارة فلعل: أفرشني. فالبطانة: هي ما يظهر لرؤية

←

فإنّه تدليس منه بيّن؛ لماثبت في صحاحهم ومسند إمامهم أحمد وغيرها من صحفهم المعتمدة من السنة التي دلّت على كون بطانة النبيﷺ والخليفة على قسمين: بطانة خير وبطانة شر[1].

➔

الداخل للبيت فتكون الظهارة أحسن من البطانة في الفراش الواحد. وأيضاً قوله تعلى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة آل عمران:١١٨)؛ يقول تبارك وتعالى ناهياً عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة، أي: يطلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم، والمنافقون بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين خبالاً، أي: يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعونه من المكر والخديعة، ويودون ما يعنت المؤمنين ويخرجهم ويشق عليهم، وقد أخرج البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري، عن النبيﷺ، قال: ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشرّ وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى(صحيح البخاري ج٨: ص١٢١ كتاب الأحكام، باب الإمام وأهل مشورته، البطانة الدخلاء)؛ والحديث صريح في أن بطانة الشر بالنسبة للنبيﷺ؛ لأنه لا يتصور منه أن يصغى إليه، ولا يعمل بقوله لوجود العصمة، ومن هنا لابد لأهل السنة أن يلتزموا بلوازم هذا الحديث والقول بأنّ أبا بكر من الذين فيهم بطانة الشر لعدم عصمته متسالم عليه فالدعوى بأنّ بطانة الرسولﷺ بايعوا أبا بكر مردودة بالإجماع؛ لأنّ أبا بكر لم يكن معصوماً وإنّما الأمر يتضح بحديث البخاري وهو دال على أنّ من بايعه رغبة في بطانة الشر كما هو واضح ظاهر، فلاحظ.

(١) انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٢١ كتاب الأحكام، باب الإمام وأهل مشورته، البطانة الدخلاء، ومسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٢٩، وسنن النسائي ج٧: ص١٥٨، والسنن

➔

ومن المعلوم ممّا قدّمناه من السنن الصحيحة والنُقول الثابتة حتى عن ابن أبي قحافة كون بطانة التي بايعته عن رغبة ورضا بطانة الشرّ؛ من حيث مخالفتها للسنن العديدة التي دلّت على تقدّم علي عليه السلام بالفضل على عامة الصحابة(١)،

➔

الكبرى للبيهقي ج١٠: ص١١١، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٥: ص٢١٠، ومسند أبي يعلى الموصلي ج٢: ص٤٥٨، وصحيح ابن حبان ج١٤: ص٧٠، والمعجم الكبير للطبراني ج٩: ص١٨٩ وغيرهم.

(١) لا شك ولا شبهة في أنّه لم تعرف الدنيا رجلاً جمع الفضائل ومكارم الأخلاق - بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله - كالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد سبق الأولين، وأعجز الآخرين، ففضائله أكثر من أن تحصى، ومناقبه أبعد من أن تتناهى، والحديث عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام طويل، لا تسعه المجلدات، ولا تحصيه الأرقام ولكن ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه، وحسبنا أن نشير هنا إلى بعض الروايات التي رواها علماء أهل السنة في أوثق مصادرهم في الحديث والتفسير والرجال بطرق عديدة باسنادهم عن الخلفاء وهي دالة على أفضلية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على من سوى النبي صلى الله عليه وآله المستلزمة لإمامته وخلافته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فمنها: ما رواه ابن حجر العسقلاني بإسناده عن أبي الأسود الدؤلي قال: "سمعت أبا بكر يقول: أيها الناس، عليكم بعلي بن أبي طالب، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «علي خير من طلعت عليه الشمس وغربت بعدي»" (انظر لسان الميزان ج٦: ص٧٨ ترجمة المغيرة بن سعيد البجلي رقم الترجمة ٢٨١).

ومنها: ما رواه ابن المغازلي الشافعي وغيره من الحفاظ بإسنادهم عن عائشة قالت: "رأيت أبا بكر يكثر النظر إلى وجه علي عليه السلام، فقلت: يا أبه أراك تكثر النظر إلى وجه علي عليه السلام؟ فقال: يا بنية، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «النظر إلى وجه علي عليه السلام عبادة»" (انظر

➔

➔

مناقب لابن المغازلي: ص ٢١٠ ح ٢٥٢)؛ ورواه الخوارزمي في مناقبه: ص ٣٦٢ ح ٣٧٥، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٣٥٠، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص ١٢٠، وابن الجوزي في المسلسلات ج١٧: ص١٣ مخطوط، وغيرهم.

ومنها: ما رواه الخوارزمي بإسناده عن عثمان بن عفان قال: "سمعت عمر بن الخطاب قال: سمعت أبا بكر بن أبي قحافة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إن الله خلق من نور وجه علي بن أبي طالب ملائكة يسبحون ويقدسون ويكتبون ثواب ذلك لمحبيه ومحبي ولده»" (انظر مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ص٩٧).

ومنها: ما رواه المحب الطبري وغيره بإسنادهم عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: "يا علي، ما كنت لأتقدم رجلاً سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «علي مني كمنزلتي من ربي»" (انظر الرياض النضرة ج١: ص١٢٤).

ومنها: ما رواه المحب الطبري وآخرون بإسنادهم عن قيس بن أبي حازم قال: "التقى أبو بكر وعلي بن أبي طالب عليه السلام، فتبسم أبو بكر في وجه علي عليه السلام، فقال عليه السلام له: «ما لك تبسمت؟» قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي الجواز»" (انظر ذخائر العقبى: ص٧١، والرياض النضرة ج٣: ص١٣٧، والصواعق المحرقة لابن حجر: ص١٢٦ أخرجه عن ابن السمان، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ص٤١٩).

ومنها: ما رواه ابن عساكر الدمشقي وغيره من الحفاظ عن الحبشي بن جنادة قال: "كنت جالساً عند أبي بكر، فقال: من كانت له عند رسول الله صلى الله عليه وآله عدة، فليقم؛ فقام رجل فقال: إنه قد وعدني ثلاث حثيات من تمر. فقال أبو بكر: أرسلوا إلى علي عليه السلام، فجاء فقال أبو بكر: يا أبا الحسن، إن هذا يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وعده أن يحثي له ثلاث حثيات من تمر، فاحثها له، فحثاها، فقال أبو بكر: عدوها، فوجدوا في كل حثية ستين تمرة لا تزيد واحدة على الأخرى. فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله صلى الله عليه وآله، قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة الهجرة -ونحن خارجون من الغار نريد المدينة-: «يا أبا بكر، كفي وكف علي في العدل سواء»" (انظر تاريخ بغداد ج٥: ص٣٧ وج٨: ص٧٦، ورواه الخوارزمي في مناقبه: ص٢٩٦

➔

➔

ح٢٩٠، وابن المغازلي في مناقبه:ص١٢٩ ح١٧٠، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٦٩، والسيوطي في تاريخ الخلفاء: ص٩٣ ح٩٨، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٢٠، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة: ص٢٣٣ وص٢٥٢، والشيخ عبد القادر بن عبد الكريم الخيراني البريشي الشفشاوني في سعد الشموس والأقمار: ص٢١١، ومحمد صالح الحنفي في الكواكب الدري: ص١٢٢، الحمويني الجويني في فرائد السمطين ج١: ص٥٠ ح١٥).

ومنها ما رواه ابن عساكر عن الدارقطني بسنده عن أبي رافع، قال: "كنت قاعداً بعد ما بايع الناس أبا بكر، فسمعت أبا بكر يقول للعباس: أنشدك الله هل أن رسول اللهﷺ جمع بني عبد المطلب وأولادهم وأنت فيهم وجمعكم دون قريش، فقالﷺ: «يا بني عبد المطلب، إنه لم يبعث الله نبياً إلا جعل له من أهله أخاً ووزيراً ووصيّاً وخليفة في أهله، فمن منكم -يقوم و- يبايعني على أن يكون أخي ووزيري ووصيي وخليفتي في أهلي؟» فلم يقم منكم أحد؛ فقالﷺ: «يا بني عبد المطلب، كونوا في الإسلام رؤساء ولا تكونوا أذناباً، والله ليقومن قائمكم أو لتكونن في غيركم ثم لتندمن؛ فقام عليعليه السلام من بينكم، فبايعه على ما شرط له ودعا إليه»" (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٥٠، وابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث: ص٣٥).

وأخرج محمد بن جرير الطبري بإسناده عن أبي رافع مولى رسول اللهﷺ أنه كان عند أبي بكر إذ جاء عليعليه السلام والعباس، فقال العباس: أنا عم رسول الله ووارثه وقد حال عليعليه السلام بيني وبين تركته؛ فقال أبو بكر: فأين كنت يا عباس حين جمع النبيﷺ بني عبد المطلب وأنت أحدهم فقال: «أيكم يؤازرني ويكون وصيي، وخليفتي في أهلي، وينجز عدتي، ويقضي ديني؟» فقال له العباس: بمجلسك تقدمته وتأمرت عليه؟ -أي إن كان هكذا كما تقول: لماذا تقدمت عليه وغصبت أمره؟- فقال أبو بكر: أغدراً يا بني عبد المطلب؟ أي إنكما -يا علي ويا عباس- أردتما بدعوا كما هذه المصطنعة على إرث النبيﷺ وتركته، أن تأخذوا مني الاقرار والاعتراف بحق عليعليه السلام وأولويته للخلافة،

➔

➔

وتحكموا علي بما أتفوه به وأقوله بنفسي ولساني، يعني: تدينانى وتلزماني من فمي" (انظر المسترشد: ص٥٧٧ ح٢٤٩).

ورواه اليعقوبي في تاريخه ج٢: ص١٥٨ وذكره ضمن الحوار الذي دار بين عمر بن الخطاب وبين ابن عباس. وأشار إلى هذا الحديث ابن عبد ربه في العقد الفريد ج٢: ص٤١٢ ولكنه حرف وشوه المتن منه.

وأمّا ابن عساكر الدمشقي فعند ما نقل الحديث أسقط منه صدره -أي مجيء العباس وعلي عليه السلام إلى أبي بكر وهما يتحاكمان إليه مسألة إرث رسول الله صلى الله عليه وآله- وهكذا أسقط ذيله- أي كلمة العباس لأبي بكر حيث يدينه على تقدمه وتأمره على الإمام علي عليه السلام ممّا يدل على مخالفة أبي بكر لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله. وعلى الرغم من أن الحديث الذي رواه ابن عساكر مبتور الصدر والذيل لكنه يكشف عن حقيقة في غاية الأهمية وهي: إثبات الخلافة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وأنه متقدم في إيمانه وإسلامه على غيره.

وملخص القول: إن أبا بكر حين يروي هذا الحديث فمعناه أنّه يعترف ويقر بأفضلية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وإلا يلزم تكذيب النبي صلى الله عليه وآله، وهذا الاعتراف خير دليل وأفضل شاهد على أن عليّاً عليه السلام أقدم الناس إسلاماً، وأنه أوّل من آمن وأعلن حمايته للنبي صلى الله عليه وآله ومناصرته إياه في بدء الدعوة وأن النبي صلى الله عليه وآله قلده في مقابل هذه الأمور وسام الأخوة والوزارة والوصاية والخلافة من بعده.

ومنها: ما رواه المحب الطبري وآخرون من حفّاظ أهل السنة ومحدثيهم بإسنادهم عن أبي بكر قال: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله خيم خيمة وهو متكئ على قوس عربية وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال: «يا معشر المسلمين، أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، وحرب لمن حاربهم، لا يحبهم إلا سعيد الجد، طيب الولادة، ولا يبغضهم إلا شقي الجد، ردئ الولادة»" (انظر الرياض النضرة ج٣: ص١٥٤). وزاد الخطيب الخوارزمي فيما أخرجه: "فقال رجل لزيد -راوي الحديث-: يا زيد، أأنت سمعت هذا

🡐

والتي دلّت على إمامته عليهم[1]،

➔

منه -أي من أبي بكر-؟ قال زيد: اي ورب الكعبة" (انظر المناقب للخوارزمي: ص٢٩٦ ح٢٩١).

ومنها: ما رواه الشيخ عبيد الله الآمرتسري الحنفي عن طريق الحافظ ابن مردويه الأصفهاني بإسناده عن سالم مولى أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام قال: "كنت مع علي عليه السلام في أرض نعمل، إذ جاء أبو بكر وعمر إلى علي عليه السلام وقالا: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقيل لهما: أكنتما تسلمان عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله بإمرة المؤمنين؟ قال عمر: هكذا أمرنا النبي صلى الله عليه وآله" (انظر المناقب للخوارزمي: ص٨٨ ح٧٩، وأرجح المطالب لعبيد الله الآمرتسري: ص٤٥٤ أخرجه عن ابن مردويه).

ومنها ما رواه ابن حجر العسقلاني بسنده عن أبي بكر قال: إن على الصراط لعقبة لا يجوزها أحد إلا بجواز من علي بن أبي طالب عليه السلام (انظر لسان الميزان لابن حجر ج٤: ص١١١ في ترجمة عبيد الله بن لؤلؤ بن جعفر بن حمويه رقم ٢٢٥). وإلى غير ذلك من النصوص والروايات التي دلّت على أفضلية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على من على وجه الأرض بعد النبي صلى الله عليه وآله حتى على جميع الأنبياء فضلاً عن الصحابة، وبعد نقل هذه الروايات عن أبي بكر وغيره من أصحاب السقيفة، فإنّ من بايعه عن رغبة ورضا بطانة الشرّ حسب ما رواه البخاري في الرواية المتقدم ذكرها، فلاحظ.

(١) فإنّ الأدلة والنصوص الدالة على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من كتب أهل السنة كثيرة جداً، وقد أخرجها جهابذة العلماء والمفسرين والمحدثين والمؤرخين منهم، سواء كانت أدلّةً من القرآن الكريم، كآية الإنذار والولاية وآية التطهير والمودة وغيرها، أم من السنة الصحيحة كحديث الغدير والمنزلة والثقلين وغيرها من الأحاديث الناصة على ولايته وخلافته وإمامته. ولاشك أن كل من يؤمن بنبوة النبي صلى الله عليه وآله من أنه لا ينطق من الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ينبغي أن يؤمن بهذه الأحاديث، لئلا يشاقق الله ورسوله صلى الله عليه وآله، ويتبع غير سبيل المؤمنين وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ**

➔

➔

مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (سورة النساء:١١٥).

ولأجل هذا نذكر جملة من الأدلة على سبيل المثال والإختصارمما رواه الخلفاء الثلاثة، ليتضح للقارئ الكريم أنّ معتقد الشيعة في الإمامة ثابتة بالأدلة والنصوص من مصادر أهل السنة والتي رواها خلفائهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله على خلافة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، منها: ما أخرجه أحمد بن حنبل وغيره من المحدثين والمؤرخين من أهل السنة باسنادهم عن أبي بكر: "انّ النبي صلى الله عليه وآله بعثه بالبراءة لأهل مكة وإبلاغهم ببعض الآيات من سورة التوبة، وفيها -أيضاً- لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله مدة فأجله إلى مدته، والله برئ من المشركين ورسوله.

فسار بها ثلاثاً متوجهاً نحو مكة. ثم قال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «الحقه»، فرد علي عليه السلام أبا بكر وبلغها أنت.

قال: ففعل – علي عليه السلام – ما أمر. فلمّا قدم أبو بكر على النبي صلى الله عليه وآله بكى، فقال: يا رسول الله، حدث في شيء؟

قال صلى الله عليه وآله: «ما حدث فيك إلا خير، ولكن أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني» (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٣ وج١: ص٧، كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص٢٥٤، وأنساب الأشراف للبلاذري ج٢: ص٨٨٦ والبداية والنهاية لابن كثير ج٧: ص٣٥٧ ـ ٣٥٨ وفيه : أو «رجل من أهل بيتي»، البيان والتعريف لابن حمزة الحسيني ج١:ص٣٧٨ ح٤٤١ أخرجه عن أحمد بن حنبل وابن خزيمة وأبي عوانة). ولا يخفى أن رواة هذه القصة أكثر من اثني عشر صحابياً غير أبي بكر ممن رووا حديث البراءة، ولكن اعتراف وإقرار أبي بكر بنفسه بأن النبي صلى الله عليه وآله عزله عن القيام بهذه المهمة الدينية ذات أهمية كبرى وكرامة عظمي للامام علي عليه السلام، وانّ هذا العزل لم يكن إلا بأمر إلهي أوحي إلى النبي صلى الله عليه وآله بأن يعزل أبا بكر وينصب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مكانه للقيام بهذه

➔

➔
المهمة وإبلاغ البراءة لاهل مكة، وان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد أدى هذا الأمر بأبلغ وجه وأتمه كما مر في الحديث.

ومنها: حديث الغدير الذي روى مائة وعشر من كبار صحابة النبي صلى الله عليه وآله وثمانون وأربع راو من التابعين وكذا أخرج ما يربو عن أربعمائة عالم ومحدث ومفسر ومؤرخ ورجالي وكثير من رجال العلم والأدب المعتمد عليهم عند أهل السنة.

وحديث الغدير هو: لما كان النبي صلى الله عليه وآله راجعاً من حجته - حجة الوداع - وذلك في السنة العاشرة الهجرية نزل عليه الوحي يأمره باكمال الدين يعني تبلغ تلك المسالة المصيرية أي تعيين الإمام والخليفة من بعده، فأمر الناس بتجهيز مقدمات ذاك الأمر مثل الإعلان بتريث المسلمين الحجاج وتوقفهم في محل يعرف بغدير خم وهو مفترق الطرق المؤدية إلى مكة والمدينة وغيرها، وأمر صلى الله عليه وآله بارجاع الذين سبقوا الاخرين بالذهاب وإيقاف القادمين، حتى تجمع آنذاك في ذاك المحل مائة وعشرون ألف حاجّاً من شتى أقطار البلاد الاسلامية.

وكان ذلك اليوم يوما حاراً هاجراً شديد الرمضاء والشمس ساطعة حرارتها على رؤوسهم، وقد اشتعلت أرض الحجاز، فأمرهم النبي صلى الله عليه وآله بأن يصنعوا له من جهاز الجمال والمراكب مكاناً مرتفعاً كالمنبر، حيث يراه الحاضرون جميعاً ويسمعون كلامه، فوقف النبي صلى الله عليه وآله على ذاك الموضع المنبري وخطب الناس خطبة غراء وقال فيما قاله صلى الله عليه وآله: «أيها الناس... من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله...».

وغير ذلك من العبارات الباهرة حيث شبه النبي صلى الله عليه وآله الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بنفسه وبأنه ولي الناس والقائم بأمرهم، وطاعته فرض واجب، وأنه الخليفة من بعده. ولكي يصد أمام ملابسات المنافقين وشبهات المخالفين لمولوية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وخلافته، أخذ بيد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ورفعه عالياً حيث يراه جميع الحضار والمجتمعين في هذا المؤتمر العالمي،
➔

➔

ثم دعاﷺ يتولى علياًعليه السلام وينصره ولعن من عاداه وخذله، وبعد ذلك أمر الناس الذين اجتمعوا في هذا المؤتمر بأن يقوموا فرداً فرداً ويبايعوا عليّاً ويسلموا عليه بالامرة والخلافة طوعا. وقد طالت هذه البيعة من ضحى ذاك اليوم حتى غروبه، وحتى نساء النبيﷺ وسائر المؤمنات جئن فوضعن أيديهن في الطشت الذي وضع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام يده فيه وهو خلف الخيمة فبايعنه على الخلافة والولاية، وبهذه الطريقة أعلن المسلمون آنذاك بأجمعهم التزامهم بالانقياد والطاعة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، ومن أراد الوقوف على التفصيل بالنسبة الى أسناد حديث الغدير ومعرفة أسماء رواته وأسماء الحفاظ والمصادر التي أخرجت هذا الحديث فليراجع كتاب الغدير للعلامة الاميني، المجلد الاول ج١: ص١٤-١٥٨، حيث أنه روى عن ثلاثمائة وستّين عالماً وستة وعشرين كتاباً من علماء أهل السنة وكتبهم؛ ومن رواة هذا الحديث الخلفاء الثلاثة.

واستقصى العلامة التستري في كتابه القيم إحقاق الحق ج٢: ص٤١٥-٥٠١ وقد أوصل عدد رواة هذا الحديث إلى أربعمائة راو.

إن أبا بكر وعمر وعثمان كانوا في مقدمة الرواة لحديث الغدير الذين نقلوا قول النبيﷺ للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه».

الثانية: روى أكثر من ستّين عالماً وحافظاً ومؤرخاً بانّ أبا بكر وعمر هما أول من بارك وهنّا علياً بالخلافة والولاية وقالا له: بخ بخ لك يا علي، أو قالا له: أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن.

وذلك عندما انتهت مراسيم حفل الغدير، وإعلان النبيﷺ بأن علياًعليه السلام هو مولى المؤمنين وبعد ما أمر الناس بالبيعة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام. وممن روى حديث الغدير - حديث من كنت مولاه فعلي مولاه - عن أبي بكر: القاضي أبو بكر الجعابي (المتوفى ٣٥٦هـ(روى حديث الغدير عن مائة وخمس وعشرين طريقاً من الصحابة، منهم أبي بكر(انظر المناقب للسروي ج٣: ص٢٥). ومنصور اللاتي الرازي - من

⬅

➔

أعلام القرن الخامس – في كتابه "حديث الغدير" أسماء من روى حديث الغدير مرتباً على حروف المعجم، وذكر منهم أبا بكر (انظر المناقب للسروي ج٣: ص٢٥). وقال ابن المغازلي الشافعي (المتوفى ٤٨٤ هـ): وقد روى حديث غدير خم عن رسول الله صلى الله عليه وآله نحو من مائة نفس، منهم العشرة المبشرة، وهم: أبو بكر وعثمان وطلحة والزبير... وهو حديث ثابت لا أعرف له علة، تفرد علي عليه السلام بهذه الفضيلة ليس يشركه فيها أحد (انظر المناقب لابن المغازلي: ص٢٧ ذيل ح٣٩)، وأخرجه أيضاً العلامة الجزري الشافعي في كتابيه "أسنى المطالب" وأسمى المناقب في تهذيب أسنى المطالب (انظر أسنى المطالب: ص٣٥). وروى المؤرخ العلامة زيني دحلان عن أبي بكر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار» (انظر فتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين بهامش السيرة النبوية لزيني دحلان ج٢: ص١٦١).

وإليك – أيها القارئ الممجد – بعض النماذج من تلك العبارات التهنة التي رويت عن أبي بكر وعمر معاً أو انفرد به أحدهما مما روي في مصادر أهل السنة المعتمد عليها عندهم:

فقد أخرج ابن حجر الهيثمي (المتوفى٩٣٢ هـ (في كتابه الصواعق عن الدار قطني تهنئة أبي بكر وعمر للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقولهما: بخ بخ لك يابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة (انظر الصواعق المحرقة: ص٤٤).

وكذلك قولهما: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة (انظر تفسير محمد بن جرير الطبري ج٣: ص٤٢٨).

وكذلك قولهما: هنيئا لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى جميع المؤمنين والمؤمنات (انظر تذكرة الخواص للحافظ أبي المظفر شمس الدين سبط بن الجوزي الحنفي: ص٢٩).

وكذلك قولهما: هنيئا لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة (انظر

➔

➔

التفسير الكبير لفخر الدين الرزاي الشافعي ج١٢: ص٤٩ في تفسير قوله تعالى: يا أيها الرسول بلغ.....).

ومنها: ما أخرجه السيوطي وآخرون من أعلام الحديث عند أهل السنة بطرق عديدة عن صفوان بن سليم أو عامر الشعبي قالا: إن خالد بن الوليد كتب إلى أبي بكر، أنه وجد في بعض نواحي العرب رجلاً ينكح كما تنكح المرأة. فاستشار أبو بكر أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وفيهم أمير المؤمنين علي عليه السلام وكان أشدهم قولاً.

فقال عليه السلام: إن هذا الذنب لم تعص به أمة من الأمم إلا واحدة، فصنع الله بها ما قد علمتم، أرى أن تحرقه بالنار.

فأجمع رأي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله على أن يحرقوه بالنار. فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد بأن يحرقه، فحرقه، ثم حرقهم ابن الزبير في أمارته، ثم حرقهم هشام بن عبد الملك (راجع: الدر المنثور ج٣: ص٣٤٦، وأيضاً السيوطي في مسند علي بن أبي طالب: ص٢٥٦ ح٧٩٩، والمحلى لابن حزم ج١١: ص٣٨١ والتمهيد لابن عبد البر ج٥: ص٣١٥، والمتقي الهندي في كنز العمال ج٥: ص٤٦٩ ح١٣٦٤٣، والقاضي نور الله التستري في احقاق الحق ج١٥: ص٨ وغيرهم).

ومنها: ما أخرجه جمال الدين الموصلي الحنفي المشهور بابن حسنويه (المتوفى ٦٨٠ هـ) بسنده عن أنس بن مالك، قال: "لما كان يوم المؤاخاة وآخى النبي صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والانصار، وعلي عليه السلام واقف يراه ويعلم مكانه لم يؤاخ بينه وبين أحد، فانصرف علي عليه السلام باكي العين. قال صلى الله عليه وآله: «يا بلال، اذهب فائتني به». فمضى بلال وأتى علياً عليه السلام وقد دخل منزله فرأته فاطمة عليها السلام فقالت: «ما يبكيك لا أبكى الله عينيك؟» قال عليه السلام: «يا فاطمة، آخى النبي صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف يراني ويعلم مكاني لم يؤاخ بيني وبين أحد». قالت عليها السلام: «لا يحزنك، لعلك إنما أخرك لنفسه». فطرق بلال الباب وقال: يا علي، أجب رسول الله صلى الله عليه وآله. فأتى علي عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «ما يبكيك، يا أمير المؤمنين؟» فقال علي عليه السلام: «آخيت بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف تعرف مكاني لم

🡐

➔
تؤاخ بيني وبين أحد»، فقال ﷺ: «يا علي، إنّما أخّرتك لنفسي كما أمرني ربي، قم، يا أبا الحسن»، فأخذ بيده ورقى المنبر وقال: «اللهم إن هذا مني وأنا منه، ألا إنه بمنزلة هارون من موسى، أيها الناس، ألست أولى بكم من أنفسكم؟» قالوا: بلى؛ قال ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه، ومن كنت وليه فعلي وليه، اللهم إني قد بلغت ما أمرتني به». ثم نزل. وقد سرّ علي عليه السلام، فجعل الناس يبايعونه وعمر بن الخطاب يقول: بخ بخ لك يابن أبي طالب، أصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة، امرأة من يعاديك طالق طلقة» (انظر المناقب لابن المغازلي: ص٤٣، وأرجح المطالب لعبيد الله أمرتسرى: ص٤٢٥، والرياض النضرة لمحب الطبري ج٣: ص١٢٦).

ومنها: ما رواه المتقي الهندي بسنده عن المأمون لعباسي عن الرشيد، قال: "حدثني المهدي، قال: حدثني المنصور، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عبد الله بن عباس، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: كفوا عن ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام فقد رأيت من رسول الله ﷺ فيه خصالاً لأن تكون لي واحدة منهن في آل الخطاب أحب إلي مما طلعت عليه الشمس.

كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فانتهيت إلى باب أم سلمة وعلي عليه السلام قائم على الباب فقلنا: أردنا رسول الله ﷺ. فقال عليه السلام: «يخرج إليكم». فخرج رسول الله ﷺ فسرنا إليه فاتكاً على علي بن أبي طالب عليه السلام ثم ضرب بيده منكبه ثم قال: «إنك مخاصم تخاصم، أنت أول المؤمنين إيماناً، وأعلمهم بأيام الله، وأوفاهم بعهده، وأقسمهم بالسوية، وأرأفهم بالرعية، وأعظمهم رزية، وأنت عاضدي وغاسلي ودافني، والمتقدم إلى كل شديدة وكريهة، ولن ترجع بعدي كافراً، وأنت تتقدمني بلواء الحمد، وتذود عن حوضي»" (انظر كنز العمال ج١٣: ص١١٧ ح٣٦٣٧٨)، ورواه غير واحد من أعلام الحديث والتاريخ، كالإسكافي غي نقض العثمانية: ص٢٩٢، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٥٨، وابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة ج١٣: ص٢٣٠، وخطيب خوارزم في المناقب: ص٥٤، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٠٩
➔

➔
و١١٨، والسيوطي في اللئالي المصنوعة ج١: ص٣٢٣ وغيرهم وزاد الأمر تسري ما هذا لفظه: «يا علي، من أحبك فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أحب الله تعالى أدخله الجنة، ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغضه الله تعالى وأدخله النار» (انظر أرجح المطالب: ص٥١٨).

ومنها ما رواه الشيخ بهاء الدين أبو القاسم القفطي الشافعي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: "قال عمر بن الخطاب: كنت أجفو علياًعليه السلام، فلقيني النبيصلى الله عليه وآله فقال: «آذيتني يا عمر!» فقلت: بأيش؟ قالصلى الله عليه وآله: «تجفو علياً! من آذى علياً فقد آذاني»، فقلت: والله لا أجفو علياً أبد" (انظر الأنباء المستطابة للشيخ بهاء الدين أبو القاسم القفطي الشافعي: ص٦٤، والتدوين في أخبار قزوين للرافعي القزويني ج٣: ص٣٩٠، وملحقات إحقاق الحق ج١٦: ص٥٩٢ وج٢١: ص٥٤٢).

أقول: طبقاً لهذه الرواية فإنّ من آذى علياًعليه السلام آذى النبيصلى الله عليه وآله، وجفاءه جفاء النبيصلى الله عليه وآله.

وقال الألباني في معنى الجفاء: إن جفاء النبيصلى الله عليه وآله من الذنوب الكبائر إن لم يكن كفراً (انظر الأحاديث الضعيفة للألباني ج١: ص٦١).

نعم، نسأل علماء أهل السنة ما حكم من عاهد النبيصلى الله عليه وآله وحلف قسماً بالله عز وجل وأعطى النبيصلى الله عليه وآله عهداً بأن لا يجفو علياًعليه السلام أبداً؟

وهل أنّ إحراق باب دار الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام من قبل الخليفة عمر بن الخطاب الذي عاهد النبيصلى الله عليه وآله وحلف قسماً بالله عز وجل وأعطى النبيصلى الله عليه وآله عهداً بأن لا يجفو علياًعليه السلام أبداً، ليس من الجفاء؟!!!

ومنها: ما أخرجه محمد صالح الكشفي الترمذي بسنده عن عمر بن الخطاب، قال: سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالبعليه السلام: «من أحبك يا علي كان مع النبيين في درجتهم يوم القيامة، ومن مات يبغضك فلا يبالي مات يهودياً أو نصرانياً» (انظر المناقب المرتضوية للكشفي الترمذي: ص١١٧، والكواكب الدري: ص١٢٥).

ومنها: ما أخرجه الحافظ محمد صالح الكشفي الترمذي الحنفي بسنده عن عمر بن الخطاب،
➔

➔

عن سلمان قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله في غمرات الموت فقلت: يا رسول الله، هل أوصيت؟ قال صلى الله عليه وآله: «يا سلمان، أتدري من الأوصياء؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال صلى الله عليه وآله: «آدم عليه السلام وكان وصية شيث وكان أفضل من تركه بعده وكان من ولده، وكان وصي نوح عليه السلام سام وكان أفضل من تركه بعده، وكان وصي موسى عليه السلام يوشع وكان أفضل من تركه بعده، وكان وصي سليمان عليه السلام آصف بن برخيا وكان أفضل من تركه بعده، وكان وصي عيسى عليه السلام شمعون بن برخيا وكان أفضل من تركه بعده؛ وإني أوصيت إلى علي عليه السلام، وهو أفضل من أتركه بعدي (انظر كوكب الدري: ص١٣٣ المنقبة١٥٨، المناقب المرتضوية: ص١٢٨، ينابيع المودة: ص٢٥٣ أخرجه عن ابن عمر، عن سلمان).

ويستفاد من هذه الرواية: أن المراد بالوصي من يكون خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الذي طاعته واجبة، وشخصيته مرموقة، والذي به تقام الشريعة، ويدوم الدين — الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله من عند الله عز وجل - به ويستفاد منها أيضاً أن النبي صلى الله عليه وآله هو الذي يعيّن الوصي والخليفة من بعده بأمر من الله جل شأنه، وليس تعيينه منوطاً باختيار غيره.

ومنها: ما أخرج علي بن شهاب الدين الهمداني وغيره من الحفاظ والمحدّثين باسنادهم عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما عقد المؤاخاة بين أصحابه: «هذا علي أخي في الدنيا والآخرة، وخليفتي في أهلي، ووصيي في أمتي، ووارث علمي، وقاضي ديني، له مني ما لي منه، نفعه نفعي، وضرّه ضرّي، من أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني» (انظر الكوكب الدري: ص١٣٣ المنقبة رقم١٥٨، والمناقب المرتضوية: ص١٢٨، ينابيع المودة: ص٢٥٣ أخرجه عن ابن عمر، عن سلمان)، وإلى غير ذلك من الروايات وهذه نبذه يسيرة من النصوص التي أخرجها علماء أهل السنة وهي تدلّ على أفضلية مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على جميع الصحابة وأحقّيته بالإمامة عليهم، فلاحظ.

والتي دلّت على تأخر رتبة أبي بكر حتى عن أسامة بن زيد(١)

(١) لقد أجمع أهل السير والأخبار على أنّ أبا بكر وعمر كانا في الجيش أسامة بن زيد، الذي أمر النبيصلى الله عليه وآله بتجهيزه في أواخر حياته الشريفة بقيادة الصحابي الشاب أسامة بن زيد، كما نصّ عليه العلماء وأرسلوا ذلك في كتبهم إرسال المسلمات ولمّا كان أسامة شاباً، لم يتجاوز الثامنة عشر من عمره حين بعثه النبيصلى الله عليه وآله، فإن البعض أكثروا الطعن في تأميره وتوليته أمر قيادة الجيش، وشاع بينهم القيل والقال، فعن عبد الله بن عمر قال: "بعث رسول اللهصلى الله عليه وآله بعثاً، وأمَّر عليهم أسامة بن زيد، فطُعِن في إمارته، فقالصلى الله عليه وآله: «إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبله، وايم الله إن كان لخليقاً للإمرة، وإن كان لمن أحب الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليَّ بعده»" (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢١٣ كتاب المناقب، باب مناقب زيد بن حارثة)؛ ثم بلغ النبيصلى الله عليه وآله بأمر هذه الإعتراضات، فخطبصلى الله عليه وآله في الناس قائلاً: «أيها الناس، فما مقالة قد بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة! ولئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وايم الله إن كان للإمارة لخليقاً، وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليَّ.....»، إن الكفاءة هي المعيار الأول في القانون المحمدي، وإن قيادة الشباب لتدلّ على نضج الأمّة وقوتها وحيويتها وقدرتها على مواجهة ما هي مقبلة عليه من الأخطار الجسام والمهام العظام (انظر الطبقات لإبن سعد ج٢: ص١٩٠)؛ ويخرج جيش أسامة، ويسير معه أبو بكر على قدميه وأسامة على فرسه، وأخذ الناس يلتفون حول أسامة، وينتظمون في جيشه تحت إمرته، فسار بهم حتى نزلوا مكاناً يسمّى: الجُرْف، على بعد خمسة كيلو مترات ونصف من المدينة المنورة إلى جهة الشام، إلا أن الأخبار وصلتهم عن مرض النبيصلى الله عليه وآله، فتوقف الجيش عن السير، فوصل اخبارهم إلى النبيصلى الله عليه وآله، فغضبصلى الله عليه وآله غضباً شديداً، فخرج معصب الرأس وهو يحضهم على التعجيل بإنفاذ الجيش، فجعل يقول: «انفذوا جيش أسامة، لعن الله من تخلّف عن جيش اسامة» (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص٢٣ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص٥٢).

←

وأبي عبيدة وابن العاص[(١)]،

➔

ثم تخلف منهم عن الجيش وفي أوّلهم أبو بكر وعمر، فتخلّف أبو بكر عن جيش أسامة بعد أن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن له عذر، وقد سبب هو وعمر وأبو عبيدة بتخلفهم هذا وتضعضع الجيش، وظل رسول الله صلى الله عليه وآله يصر ويصر وهم يتخلّفون حتى قال صلى الله عليه وآله: «انفذوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عن جيش أسامة» ثلاثاً، نعم كان أسامة بن زيد دون العشرين وتحت قيادته المهاجرين ومنهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة الجراح، ولم يبق معه في المدينة سوى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وحاول أبو بكر وعصبته عمر وأبو عبيدة ومن دخل في حزبهم من الرجال مخالفين لأمر الرسالة، ومن النساء عائشة وحفصة، ومن لف لفهن من النساء ويحرضنهم على البقاء وعدم تنفيذ أمر الحملة حتى شملهم اللعن وقد أيد ذلك أبو بكر نفسه في مرض موته على فراش الموت، وكرّر أسفه على تخلفه عن جيش أسامة (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص٥١)، ولكن هيهات حتى لو نفذه لشملته آية الفرار كما شملته من قبل لعن رسول الله صلى الله عليه وآله على تخلفه عن جيش أسامة.

وعلى أي تقدير فإنّ أبا بكر كان في الرتبة متأخّرة عن أسامة لكونه تحت إمرته في بعث رسول الله صلى الله عليه وآله أسامة كما هو واضح ظاهر، فكيف له أن يتقدم عليه مع أنّ النبي صلى الله عليه وآله أخرّه عنه؟!

(١) لقد روى المؤرخون والمحدثون في حوادث السنة الثانية من الهجرة غزوة ذات السلاسل (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١١٣ كتاب المغازي، باب غزوة ذات السلاسل).

وهذه الغزوة بدأت من حين تجمع قبيلة بني قضاعة وغيرهم للهجوم على المدينة المنورة فاجتمعوا أطراف المدينة فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله عمرو بن العاص بعد إسلامه بسنة وعقد له لواء في سراة المهاجرين والأنصار... (انظر سبيل الهدى والرشاد للصالحي الشامي ج ٦: ص١٦٧).

وأخرج ابن عساكر أنّ النبي صلى الله عليه وآله عندما بعث عمرو بن العاص إلى بلاد بلي وعذرة وبني

➔

والنُقول التي دلّت على بُعد أبي بكر عن هذه المنزلة من حيث مشاقاته لله سبحانه ولرسولهﷺ زمن حياته وبعد وفاته حسبما مضى شطر منها ويأتي شطر (١)

القين في غزوة ذات السلاسل فكانوا هؤلاء من أرحام عمرو بن العاص؛ لأنّ أم العاص بن الوائل بلوية، فأراد النبيﷺ أن يتألّفهم بعمرو... (انظر تأريخ مدينة دمشق ج٢: ٢٢).

وأخرج ابن سعد: لمّا وصل عمرو بن العاص مع السرية التي عبأها النبيﷺ وبعثها القوم فقبل أن يصل عمرو اليهم بعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول اللهﷺ يستمده، فبعث رسول اللهﷺ أباعبيدة بن الجراح في مأتين وعقد له لواء وأرسل معه سراة المهاجرين والأنصار وفيهم أبوبكر وعمر وأمره أن يلحق بعمرو وأن يكونا جميعاً، ولا يختلفا، فلحق بعمرو. فأراد أبوعبيدة أن يؤم الناس فقال عمرو: إنّما قدمت عليّ مدداً وأنا الأمير، فأطاع أبوعبيدة وكان يصلّي بالناس... (انظر الطبقات لابن سعد ج٢: ص١٣١).

وأضاف ابن الجوزي إلى ما رواه ابن سعد أنّ عمرو بن العاص قد أجنب في ليلة وصلى بأصابه صلاة الصبح وهو جنت... (انظر المنتظم ج٣: ص١٢١). فهذه الروايات وغيرها تدلّ بالصراحة على أنّ أبا بكر كان تحت إمرة أبي عبيدة ثم عمرو بن العاص وقد صلّى خلف عمرو الذي كان جنباً وهذا شأن أبي بكر وعمر حيث كانا تحت أوامر أبي عبيدة وعمرو بن العاص وهما مقدمين عليه فضلاً عن أفضل الناس بعد رسول اللهﷺ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام.

(١) لا شك أن الباحث لو درس التأريخ والسيرة والحديث والتفسير وغير ذلك دراسة علمية موضوعية بقصد التمحيص يجد أنّ ما فعله الخلفاء في حياة النبيﷺ وبعد وفاته إنّما كان مستهدفاً للوصول الى القدرة والرئاسة بأي وسيلة كان؛ ولذلك لو تأمّلنا في دور الخلفاء الثلاثة والخطوات التى اتخذوها نصل إلى هذه النتيجة التي سجلها عليهم صحاح أهل السنة ومسانيدهم وكتب التاريخ المعتمدة لديهم، فقد أخرج البخاري في صحيحه

➔

بسنده عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا أبا بكر وعمر رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وآله حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع: لا أحفظ اسمه فقال أبو بكر لعمر: «ما أردت إلا خلافي قال ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم ....» (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١١٦ كتاب المغازي، باب وفد بني تميم وج٦: ص٤٦ كتاب التفسير، تفسير سورة الحجرات). فالباحث لو وفق عند هذه الرواية التي رواها أصح كتبهم ويتأمّل فيها يجد بوضوح أنّ أبا بكر وعمر لم يتأدّبا بحضرة الرسول صلى الله عليه وآله وقد سمحا لأنفسهما بأن يقدما بين يدي الله ورسوله صلى الله عليه وآله بغير إذن، ولا طلب منهما رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبديا رأيهما في تأمير أحد من بني تميم، ثم لم يكتفيا حتى تشاجرا بحضرته وارتفعت أصواتهما أمامه من غير احترام ولا مبالاة بما تفرضه عليهما الأخلاق والآداب التي لا يمكن لأي أحد من الصحابة أن يجهلها أو يتجاهلها بعد ما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله حياته في تعليمهم وتربيتهم، فهذه الرواية تثبت بما لا يدع مجالاً للشك بأن الحادثة وقعت في أواخر أيام النبي صلى الله عليه وآله، إذ أن وفد بني تميم قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله في السنة التاسعة للهجرة ولم يعش بعدها رسول الله صلى الله عليه وآله إلا بضعة شهور كما يشهد بذلك كل المؤرخين والمحدثين الذين ذكروا قدوم الوفود على رسول الله صلى الله عليه وآله والتي تحدث عنها القرآن الكريم، الذي فيه التنديد والتهديد لأبي بكر وعمر بأن يحبط الله أعمالهما إن عادا لمثلها، حتى أن راوي هذه الحادثة بدأت كلامه بقوله: "كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر"، فالتاريخ والأحداث التي ذكرها المحدثون تثبت أنّ ما فعله الشيخان أبوبكر وعمر مخالفة صريحة لأوامر الله ورسوله صلى الله عليه وآله ولم يكن لديهما أي مانع من ارتكاب تلك الجريمة للوصول إلى القدرة السياسية، كما يجد الباحث تخلفهما عن جيش أسامة مع علمهما بما أمر به النبي صلى الله عليه وآله وتأكيده على التحاقهما بجيش أسامة، حتى شملهما اللعن من النبي صلى الله عليه وآله بسبب عدم الالتحاق بجيش أسامة كما تقدمت الإشارة الى ذلك، وكذلك ما فعلوه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، فإنّ أوّل خطوة اتخذها الشيخان هو ابعاد

➔

فإن قال بجهاد المبايعين له قام الدين وقويت شوكة المسلمين(١)،

أهل البيت عليهم السلام عن ساحة الحكم ومنعهم عن كل نشاط ديني وسياسي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يسمحوا لهم المجال في أداء دورهم أصلاً، لئلا يعرف الناس حقيقة شأنهم ومقامهم، ولذلك هجموا على بيت الزهراء عليها السلام لأنّ الناس كانوا يعرفون منزلة ذلك البيت العظيم، فأرادوا بذلك أن يعلنوا إعلاناً عاماً من أنّهم لا مانع لديهم من إرتكاب أكبر جريمة للوصول إلى أهدافهم، وإن كانت الجريمة هي أيذاء الزهراء عليها السلام وإغضابها التي هي مساوية لإيذاء النبي صلى الله عليه وآله وإغضابه، بل هي مساوية لإغضاب الله عزّ وجلّ، وانتهاء أمرهم إلى مخالفة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وشمولهم لقول الله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً* الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً* أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً* ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً﴾ (سورة الكهف: ١٠٣ و١٠٤ و١٠٥ و١٠٦)؛ وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾ الروايات التي تقول أنّ المراد بهم أهل البدعة كما في الرواية التي ابراهيم بن محمد الثقفي في كتاب الغارات بسنده عن أصبغ بن نباته عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: "هم الكفرة الذين ابتدعوا في الدين وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً" (انظر الغارات ج١: ص١٨٠).

وهناك مخالفات لأوامر الله ورسوله صلى الله عليه وآله التي ارتكبها الخلفاء الثلاثة وهي كثيرة سوف نذكرها إن شاء الله تعالى وسيتبين للقارئ الكريم من أنّ هذه المخالفات هي التي سببت إنحراف الأمة وإضلالهم، فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ الفتوحات بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله لم تكن مطابقاً للضوابط الاسلامية وإنّما كانت حركة توسعية من الخلفاء الثلاثة وكلّ الحكّام غير المعصومين، فلا مبرر لها في الإسلام؛ لأنّ الله تعالى قد بيّن في كتابه العزيز أن العقيدة والإيمان لا بدّ أن تأتي عن

➔

قناعة تامة، لقبول ذلك والدخول فيه عن اختيار حتى يؤتي ثمرته فقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة:٢٥٦)، ولهذا لا يمكننا أن نحمل تصرفاتهم على الاسلام؛ فلا يمكن إدخال الناس بالإسلام بواسطة الجبر والقسر والقوة. بل يجب أن يكون عن قناعة واختيار، وهذا أيضاً لا يتعارض مع الجهاد؛ لأنّ الجهاد له أسبابه ومبرراته وآلياته وكيفية خوضه بعد إقامة الحجة والبرهان والحوار مع الطرف المقابل، حتى يصل الى العناد والجحود واللجوء الى الخيار العسكري، وقصد إسكات الحق وإذلاله، فحينئذ يحق الدفاع عن النفس والكرامة والدين وحرية المعتقد كما هو ظاهر من سيرة المعصومين عليهم السلام، والشاهد على ذلك أنّه لم يثبت ان الجيش الاسلامي بأمر الرسول صلى الله عليه وآله قد هاجم مدينةً آمنةً أو مجتمعاً آمنا مسالماً بدون مبرّر، بل التحديد يثبت أنّ كلّ حرب من الحروب أو فتح من تلك الفتوحات كان لسبب مبرّر للقتال، من قبيل قتل دعاة رسول الله صلى الله عليه وآله حيث كانوا يذهبون لنشر الدعوة الاسلامية في بعض البلدان فيتعرضون للقتل، أو من قبيل اضطهاد طغاة تلك البلدان والتعرض بحقّ كلّ من ينتمي إلى الإسلام في تلك البلدان. هذا بالنسبة إلى المجتمعات الكافرة فلا يكون ذلك من باب إكراه الناس على الدخول في الدين واعتناقه.

وأما المجتمعات المسالمة التي لم تعلن الحرب على المسلمين ولا على الدولة الاسلامية ولا على دعاة الاسلام ولم تشكل خطراً على الاسلام والمسلمين، أولئك الذين لم يخرجوكم من دياركم ولم يظاهروا على إخراجكم ولم يقاتلوكم، فمثل هذا الصنف الكافر المسالم لم يثبت انه صلى الله عليه وآله شنّ عليهم الحرب، ولم يثبت تقرير أحد المعصومين عليهم السلام على الحرب معهم، بل سيرة أهل البيت عليهم السلام كانت على دعوة الناس إلى الإسلام بالأخلاق الإسلامية المتعالية، وجذبهم إلى الإسلام بالسيرة الطيبة، حتى عرف الناس أنّ ركن الإسلام هو حسن الخلق، ولذلك قال صلى الله عليه وآله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (انظر السنن الكبرى للبيهقي ج١٠: ص١٩٢)؛ وكذا أنّ أفضلية المؤمنين ترجع إلى تفاضلهم في الأخلاق كما

➔

➔
في الحديث العوف، قيل يا رسول الله أي المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسنهم خلقاً» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٧٨)، وعلى هذه قامت سيرة أهل البيت عليهم السلام.

أمّا أغلب فتوحات الخلفاء إنما كانت من أجل توسيع رقعة الحكم الغاصب للخلافة من أصحابها الحقيقيين أمير المؤمنين وأبنائه الميامين عليهم السلام، بل كانت ضرراً على الإسلام ووبالاً عليه، وذلك لأمور:

الأول: لو كانت تلك الفتوحات لله تعالى لكان اتّبعها اهتمام القائمين بها من الحكّام والساسة بإرشاد الناس في تلك البلاد المفتوحة وتعليمهم وتثقيفهم وتربيتهم تربية دينية صالحة، بحيث يتحول الإسلام في نفوسهم إلى طاقة عقائدية تشحذ الهمم نحو الفضيلة والتكامل، وتبنّيهم لأحكام الإسلام والدفاع عنها، فلما لم يكن شيء من هذا حاصلاً في تلك البلاد، علمنا أن فتوحاتهم لم تكن فتحاً للإسلام، ولذلك تجد أنّ بعض هذه الفتوحات التي تمت على يد الثلاثة المتقدّمين، وفُتحت البلدان ثم عادت إلى الكفر والعصيان، لأنّ الهدف لم يكن هداية الناس وإنّما كان السلطة على رقابهم. قال الطبري: إن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان وكانوا يجبون أحياناً مائة ألف ويقولون هذا صلحنا، وأحياناً مائتي ألف، وأحياناً ثلثمائة ألف وكانوا ربما أعطوا ذلك وربما منعوه ثم امتنعوا وكفروا فلم يعطوا خراجاً حتى أتاهم يزيد بن المهلب فلم يعازه أحد حين قدمها، فلما صالح صولا وفتح البحيرة ودهستان صالح أهل جرجان على صلح سعيد بن العاص... (انظر تاريخ الطبري ج٣: ص٢٢٥).

فكان همّ خلفاء الفتوحات جلب النفائس والحلي والدراهم والجواري، أو تثبيت القدرة والسلطة بعقلية الجاهلية، التي كانت تعتبرآن ذاك عند القبائل العربية الجاهلية، حيث كانت فيهم نشوة الفتح، والعصبية الجاهلية فلم يكن هدفهم إلا السلطة.

وقال ابن الأثير: إن معاوية بن أبي سفيان عزل معاوية بن حُديج عن أفريقية، واستعمل عليها عقبة بن نافع الفهري، وكان مقيماً ببرقة وزويلة مذ فتحها أيام عمروفبن العاص...، فلما استعمله معاوية سيّر إليه عشرة آلاف فارس، فدخل أفريقية وانضاف إليه من أسلم من
➔

➔
البربر فكثر جمعه، ووضع السيف في أهل البلاد لأنهم كانوا إذا دخل إليهم أمير أطاعوا وأظهر بعضهم الإسلام، فإذا عاد الأمير عنهم نكثوا وارتدّ من أسلم (انظر الكامل لابن الأثير ج٣: ص٤٦٥).

وهكذا نجد عدم اهتمام كثير من الخلفاء والصحابة بالإسلام كعقيدة ثابتة، لذا قال موسى بن يسار: إن أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كانوا أعراباً جفاة، فجئنا نحن أبناء فارس فلخصنا هذا الدين (انظرميزان الاعتدال للذهبي ج٤: ص٢٢٧ في ترجمة موسى بن يسار الأسواري).

الثاني: أدت سياسة التمييز في العطاء، وتفضيل العرب على العجم، والهيمنة والسيطرة التي كانت سائدة بين أواسط الحكام وأتباعهم، مضافاً إلى وفور النعم، إلى الإعجاب بالنفس والغرور، مع عدم وجود روادع دينية أو وجدانية لديهم، فنال الأمة منهم كل مكروه، وأصيب الإسلام على أيديهم في مقاتله. لقد انبهر أصحاب تلك الفتوحات بالمناصب التي كانوا فيها، وأسالت لعابهم الجواري الحسان، وتملك البلدان، فشمخ كل منهم بأنفه، ونظر في عطفه، وتكبّر وتجبّر، لأنه لم يتعامل مع الواقع الجديد بعقلية الرجل المسلم الواعي والهادف، بل بعقلية الجاهلية، التي تعتبر القبيلة لا الأمة أساساً، والفرد لا الجماعة ميزاناً ومنطلقاً لتعامله مع الآخرين، فكان جلّ اهتمامهم بتقوية أمرهم، وتثبيت سلطانهم، فصاروا يجمعون الأنصار بالمال وبالإغراء بالمناصب وغير ذلك من سياسات، كالترهيب والقمع في كثير من الأحيان، واستمرّوا في بسط نفوذهم وسلطانهم على أساس أنه ملك قبلي.

الثالث: أنّ أبا بكر وعمر وعثمان كانوا يفرّون ويهربون في معارك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عن ساحة القتال، فلا يعقل توسعة الإسلام بجهادهم ، فقد أخرج ابن عساكر بسنده عن أنس أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شاور الناس يوم بدر، فتكلّم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقالت الأنصار: يا رسول الله، فقال المقداد بن الأسود: والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن أن نخيضها البحر لأخضناها ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد فعلنا فشأنك يا رسول الله... (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٦٠ ص١٥٩).
🡐

➔
وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن زائدة عن عاصم عن شقيق قال لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد ابن عقبة فقال له الوليد: ما لي أراك قد جفوت عثمان، فقال له عبد الرحمن: أبلغه اني لم أفر يوم عينين، قال عاصم: يقول يوم أحد ولم أتخلف يوم بدر ولم أترك سنة عمر، قال: فانطلق، فخبر ذلك عثمان، قال: فقال: أمّا قوله أني لم أفر يوم عينين فكيف يعيرني بذنب وقد عفا الله عنه، فقال: إنّ الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انّما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم، وأمّا قوله اني تخلفت يوم بدر، فإني كنت أمرض رقية بنت رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ حين ماتت وقد ضرب لي رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ بسهمي ومن ضرب له رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ بسهمه فقد شهد... (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٦٨).

وأخرج الشافعي بسنده عن أبى محمد مولى أبى قتادة عن أبى قتادة قال: خرجنا مع رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ عام خيبر فلما التقينا كانت للمسلمين جولة، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين، قال: فاستدرت له حتى أتيته من ورائه، قال: فضربته على حبل عاتقه ضربة وأقبل على فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت ثم أدركه الموت، فأرسلني فلحقت عمر بن الخطاب، فقلت له: ما بال الناس؟ فقال: أمر الله ثم إن الناس رجعوا، فقال رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه»، فقمت فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست، ثم قال رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه» فقمت فقال رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «مالك يا أبا قتادة؟» فقصصت عليه القصة، فقال رجل من القوم: صدق يا رسول الله وسلب ذلك القتيل عندي فأرضه منه، فقال أبو بكر: لاها الله إذا لا يعمد إلى أسد من أسد الله عزوجل يقاتل عن الله وعن رسوله فيعطيك سلبه، فقال رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «صدق فأعطه إياه» فأعطانيه فبعت الدرع وابتعت به مخرفا في بنى سلمة فإنه لأول مال تأثلته في الاسلام، (قال الشافعي) هذا حديث ثابت معروف عندنا (انظر كتاب الام للشافعي ج٤: ص١٤٩).

وأخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن نعيم بن حكيم عن أبي موسى الحنفي عن علي عَلَيْهِالسَّلَامُ
➔

➔

قال: سار النبي صلى الله عليه وآله إلى خيبر، فلما أتاها بعث عمر وبعث معه الناس إلى مدينتهم أو قصرهم، فقاتلوهم فلم يلبثوا أن هزموا عمر وأصحابه، فجاؤوا يجبنونه ويجبنهم، فسار النبي صلى الله عليه وآله الحديث؛ هذا حديث صحيح الاِسناد ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص٣٧).

وأخرج أيضاً بسنده عن جابر أن النبي صلى الله عليه وآله دفع الراية يوم خيبر إلى عمر، فانطلق فرجع يجبن أصحابه ويجبنونه، هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص٣٨).

وأخرج بسنده عن جابر بن عبد الله قال: لما كان يوم خيبر بعث رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً فجبن، فجاء محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله لم أر كاليوم قط قتل محمود بن مسلمة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإنكم لا تدرون ما تبتلون معهم وإذا لقيتموهم فقولوا اللهم أنت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وإنما تقتلهم أنت ثم ألزموا الأرض جلوساً، فإذ غشوكم فانهضوا وكبروا»، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لأبعثن غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّانه، لا يولى الدبر، يفتح الله على يديه» فتشرف لها الناس وعلي يومئذ أرمد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «سر»، فقال: «يا رسول الله، ما أبصر موضعاً»، فتفل في عينيه وعقد له ودفع إليه الراية فقال علي: «يا رسول الله على ما أقاتلهم؟» فقال صلى الله عليه وآله: «على أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد حقنوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقهما وحسابهم على الله عزّ وجلّ»؛ قال: فلقيهم ففتح الله عليه قد اتفق الشيخان على اخراج حديث الراية يعنى ولم يخرجاه بهذه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص٣٨). وإلى غير ذلك من الروايات التي أخرجها كبارعلماء أهل السنة وهي التي تدلّ على فرار الخلفاء عن ساحة القتال وهم يعلمون حرمة الفرار من الزحف مطلقاً؛ لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ (سورة الأنفال:١٥).

➔

➔

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال، قال رسول اللّهﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» قيل يا رسول الله وما هن؟ قالﷺ: «الشرك باللّه، والسحر، وقتل النفس التي حرم اللّه إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات...» (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٣٣، كتاب المحاربين، باب رمي المحصنات، وصحيح مسلم ج١: ص٦٤ كتاب الايمان، باب الكبائر). فمع أنّ الفرار من الزحف كان عندهم من الكبائر كتاباً وسنة لم يبالوا منه في الحروب، لا يدري: أخليفة كانوا هؤلاء أم ملك، فإن معاوية بن أبي سفيان كان يعتبر نفسه ملكاً بالفعل، وكذلك كان يعتبره الكثيرون، بل إنّ عمر نفسه قد اعتبر نفسه ملكاً في بعض المناسبات لقد اعتبر معاوية والأمويون أنفسهم ملوكاً قيصريين، وأن الدين عندهم مجرد شعار يخدم هذا المُلك ويقويه، وكل ما كان مانعاً من الوصول إلى ما يبتغون، كانوا يدمرونه ويستأصلونه من جذوره.

فالمستفيدون الحقيقيون من تلك الفتوحات هم خصوص هذه الطبقة من المترفين المتجبّرين من أدعياء الإسلام، كانوا يكيدون للإسلام باسمه، فهم أصحاب القرار لذا عبّر العامة عنهم ب(أهل الحل والعقد) يحلّون ويعقّدون بأنفسهم من دون استشارة أحد من المسلمين، لأن القرار بأيديهم، والله تعالى سلّطهم على عبيده فهم خدم عندهم لا يلوون على شيء إلا بإشارتهم، فهذا النمط من الحكّام هم المستفيدون حقاً، لذا قد بلغت الثروات في عهد الخلفاء الثلاثة الأُول أرقاماً خيالية، حسبما أفادت النصوص التاريخية، فقد نجد أن عمربن الخطّاب الذي يقال عنه أنه من أزهد الناس الذي لا أساس له وأنه كان يرتزق من بيت المال، وغيرها من الفضائل التي أصبغوها عليه، نجده قد أصدق زوجته أربعين ألف درهم أو دينار، وقيل مائة ألف (انظر الفتوحات الإسلامية للدحلان ج٢: ص٥٥)، كما أنه أعطى صهراً له قدم عليه من مكّة عشرة آلاف درهم من صلب ماله (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٤: ص٣٣١)، وقد ملك أربعة آلاف فرس (انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٤٤)، إلى غير ذلك مما يجده المتتبع لمسيرة الثلاثة.

➔

قيل له: نفرض صدق ذلك ونجيب بما ثبت في الصحيحين وغيرهما من قول النبيصَلَّاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: إنّ الله ليؤيد الدين بالرجل الفاجر[1]،

➔

كما أن عمر بن الخطّاب قد حاول أخذ الجزية من رجل أسلم، على اعتبار أنه: إنما أسلم متعوذاً، فقال له ذلك الشخص: إن في الإسلام لمعاذاً! فقال عمر: صدقت أن في الإسلام لمعاذاً (انظر المصنف لعبدالرزاق الصنعاني ج٦: ص٩٤ ح١٠١١١).

وها ذاك خالد بن الوليد فسيف الشيطان المسلول على المؤمنين الموحّدين لا سيّما الصدّيقة الطاهرة الزكية فاطمةعَلَيْهَاالسَّلَامُ لعن الله من ظلمها وآذاها فيخاطب جنوده ويرغّبهم بأرض السواد: "ألا ترون إلى الطعام كرفغ التراب؟ وبالله، لو لم يلزمنا الجهاد في الله، والدعاء إلى الله عزّ وجلّ، ولم يكن إلا المعاش لكان الرأي: أن نقارع على هذا الريف، حتى نكون أولى به، ونولي الجوع والإقلال من تولّى، ممن إثّاقل عما أنتم عليه" (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٥٥٢).

وعلى كل حال، فإنّ فتوحات الخلفاء كانت من أجل الغنائم والأموال، وهذه الصفة المميزة ثابتة لأكثر تلك الفتوحات، فلم توجب الرغبة في الإسلام فضلاً عن إيجاد الشوكة للمسلمين فقول المصنفرَحِمَهُاللهُ: على فرض وجودها معناه أنّه مع تغامض عن تلك الحقيقة...، فلاحظ.

(١) انظر صحيح البخاري ج٤: ص٣٤ كتاب دعاء النبيصَلَّاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاسق، وج٥: ص٧٥ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر وصحيح مسلم ج١: ص٧٤ كتاب الإيمان، باب بيان غلط تحريم قتل الانسان نفسه. لا يخفى على الخبير أنّ معنى التأييد المشروعية، فما ذكر بعض علماء أهل السنة في شرح الحديث من أنّ التاييد بمعنى النصر تدليس واضح، لأنّ معنى التاييد كما في قاموس اللغة العربية هو المساندة التي فيها جهة المشروعية.

وعليه فأنّ معنى وقوله: إنّ الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، أي: إنّ الله يعطي المشروعية

➔

فقوة الدين بجهادهم غير مستلزمة لحسن حالهم[١]، وجمهورهم حسبما عرفت فيما مضى مخالفون لخبر الثقلين[٢]

➔

للدين بالرجل الفاسق (والعياذ بالله) فما استنكره علماء أهل السنّة من أنّه كيف يمكن القدح في عمل الخلفاء مع أن الفتوحات الإسلامية كانت على يد أبي بكر وعمر وعثمان فشوكة الدين كانت بجهاد المبايعين له، فنقول: أوّلاً: أن الفتوحات لم تكن موجبة لشوكة الإسلام بل قد ذكرنا أنّ الإسلام قد تضرر بها.

وثانياً: على فرض القبول، إنّكم رويتم في أصح كتبكم من إنّ الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، فلا بدّ لكم من قبول تطبيق المدلول على المقام.

وثالثا: نسأل: هل أنّ أبا بكر وعمر وعثمان كانوا أفضل من رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأن قولكم أنّ البلاد فتحت في عهدهم، لا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله معناه أن الله تعالى أيد دينه بالخلفاء الثلاثة ولم يؤيد رسوله صلى الله عليه وآله، وكأن الإسلام كان مرهوب الجانب في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ومرغوب في عهدهم الشيوخ الثلاثة، بل معنى قولهم أنّه لم ير المسلمون عهداً أعز الله فيه الإسلام أكثر من عهد الخلفاء الثلاثة!!!!

(١) وبعبارة أوضح أنّه بعد قبول صحّة حديث "إنّ الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر"، وقبول معناه حسب مدلوله، يجب عليهم الالتزام بلوازمه، ومن لوازمه أنّ قوة الدين بجهادهم لا تكون مستلزمة لحسن حالهم، بل لا بد لهم من قبول إنّ الله قد يؤيد دينه بالرجل الفاجر حسب ما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري وجميع أرباب الصحاح والمسانيد منهم، فلاحظ.

(٢) لايخفى أنّ حديث الثقلين من الأحاديث المشهورة التي اتفق على روايتها الفريقان، وقد رواه أجلاء علماء أهل السنة في صحاحهم، بأسانيدهم المتعددة، قال ابن حجر: ثم اعلم انّ لحديث التمسك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً (انظر الصواعق: ص١٤٨ الباب الحادي عشر، الفصل الأوّل).

➔

➔
وقد ورد هذا الحديث بألسنة مختلفة ، ولكن المعنى واحد يتضمن على حقائق جوهرية وليتبين من خلاله حقيقة الخلافة بوضوح وجلاء ، وهي تحكي عن استخلاف رسول الله صلى الله عليه وآله لعترته الطاهرة من بعده، مبيناً في عبارات صريحة، موضحاً أنّ طريق النجاة والسلامة من الضلال والإنحراف انّما يكون منحصراً في التمسك بالثقلين. غير أنّ بعض المتعصبين من أهل السنة كالبخاري لم يستخرجوا الحديث في كبيهم تعصباً، فترى أنّ البخاري أخرج في الجزء الثامن من صحيحه كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، ولكن لم يذكر فيه حديث الثقلين، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام واختصره إلى غاية الإختصار، ورغم أنّ الحديث ليس فيه ذكراً للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلا أنّ فيه اشارة إلى واقعة الغدير، ففهم مسلم أنّ الحديث صدر في فضيلة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

والباحث عندما يراجع الى الحديث يجد أنّ مسلماً حيث لم يمكنه انكار الحديث لشهرته عند المحدثين وعلماء أهل السنة والجماعة، فلم ير إلا اختصاره لغاية ما أمكنه، فلم يراعي الأمانة في النقل؛ لئلا يستدلّ المنصب بالحديث على إمامة أهل البيت عليهم السلام.

ولهذه الجهة وقع البخاري في معضلة لن يمكنه الخلاص منها، فأخرج في كتاب الوصية، باباً بعنوان: هل أوصى النبي صلى الله عليه وآله وفي حديث أخرجه فيه بسنده عن طلحة بن مصرف أنّه قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى: هل كان النبي صلى الله عليه وآله أوصى؟ فقال: لا، فقلت: كيف كتب على الناس الوصية أو أمروا بالوصية؟ قال: أوصى بكتاب الله (انظر صحيح البخاري ج٦: ص ٢٤٠ كتاب الوصية، باب هل أوصى النبي صلى الله عليه وآله). قال ابن حجر في شرح هذا الحديث: أنّه قال القرطبي: واستبعاد طلحة واضح....... فاعتراضه بأنّ الله كتب على المسلمين الوصية وأمروا به فكيف لم يفعلها النبي صلى الله عليه وآله؟ فأجابه عبدالله بن أبي أوفى..... أوصى بكتاب الله، أي: بالتمسك به والعمل بمقتضاه، ولعله اشارة لقوله: تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا كتاب الله.... (انظر فتح الباري في شرح البخاري ج٥: ص٢٥٨).
➔

وغيره من السنن التي دلّت على إمامة عليعليه السلام وولدهعليهم السلام[(١)].

➔
فإنّه كما ترى رغم التعصب المقيت للرأي من البخاري لم يمكنه انكاره حديث الثقلين حيث أنّ مكانة هذا الحديث المرموق عند المحدثين وعلماء الإسلام، بل وله ارتباط وثيق بمعالم الدين والروايات؛ فلا يمكن انكاره، فالبخاري وإن لم يذكر الحديث بألفاظه كي ينكره من أصله، ولكن لم يمكنه ذلك لوجود المعاني والمعرفة المطوية فيه في الأحاديث الصحيحة. فرغم انكاره لهذا الحديث معناه مستقر في الأحاديث الصحيحة.

وأمّا أهل السنة، التابعين لخلافة السقيفة، فإنّهم وإن لم ينكروا حديث الثقلين لتواتره وشهرته عند علماء الإسلام إلا أنّهم خالفوا مدلوه ومعطياته، وفي الواقع أنّهم خالفوا أمر الله تعالى حيث يقول: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ (سورة الحشر:٧) وقوله تعالى: ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً**﴾ (سورة النساء:٨٠) وقوله تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ**﴾ (سورة المائدة:٩٢) وقوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ (سورة النور:٥٦)، هذه الآيات صريحة في أنّ وجوب طاعة النبيصلى الله عليه وآله كوجوب طاعة الله، وأن ما جاء به النبيصلى الله عليه وآله فهو أمرالله، فمخالفة أهل السنة لقول النبيصلى الله عليه وآله مخالفة لقول الله عزّ وجلّ، فقال عز من قال: ﴿**لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (سورة النور:٦٣ و٦٤)، فالتحذير صريح في الآية الكريمة، ولا يتمّ ايمان المؤمن إلا بطاعة الله ورسولهصلى الله عليه وآله، وتجدر الإشارة إلى أن علماء الأصول فسّروا عبارة فليحذر الذين يخالفون عن أمره بأنّ أوامر الرسولصلى الله عليه وآله تدل على الوجوب، فراجع علم الأصول.

(١) لقد تظافرت الأدلة من الكتاب والسنة على أنّ الإمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي
➔

➔

طالبعليه السلام، وإمامة الأئمة الأحد عشر بعد أمير المؤمنينعليه السلام من ابنه الإمام الحسنعليه السلام إلى الحجة المهدي (صلوات الله عليهم) الأئمة المعصومينعليهم السلام، من خلال الأحاديث التي رواها علماء الإسلام من الفريقين بأسانيد معتبرة كثيرة جداً، وقد رواها علماء أهل السنة في أشهر الكتب وأصحّها عندهم، نذكر هنا بعض ما ورد في كتبهم من باب المثال، فمنها ما أخرجه أحمد بن حنبل والهيثمي والسيوطي وغيرهم بإسنادهم عن زيد بن ثابت، قال: قال رسولصلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم خليفتين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض جميعاً» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص١٨٢ ومجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١٦٢ والجامع الصغير للسيوطي ج١: ص٤٠٢ ح٢٦٣١)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في المعجم الكبير، ورجاله ثقات. وقد صحّحه الإلباني في كتابه سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٣: ص٢٢٧ ح٢٩٨٠.

فهذا الحديث الذي ورد بألسنة مختلفة متواتر بطرقه العديدة، ويدلّ على مكانة أهل البيتعليهم السلام ومرجعيّتهم بالإضافة إلى القرآن الكريم، والتعبير عنهما بالخليفتين أو بالثقلين وربط العترة بالقرآن من جهة أخرى للدلالة على الأهمية البالغة، والتعبير بأنّهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض لبيان عدم إنفكاكهما عن القرآن الكريم إلى يوم القيامة، وضرورة الرجوع إليهم في معرفة الدين والقرآن الكريم ومضامينه العالية وتقديمهم على سائر الأمة في أوضح الدلالة.

وقولهصلى الله عليه وآله: «أنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض»، يدلّ على عصمتهم وعدم كونهم في معرض الإنحراف والتأثر بالباطل، وإنّما هم دائماً إلى جانب القرآن الكريم والقرآن إلى جانبهم، وأن نهجهم متطابق مع ما في كتاب الله عزّ وجلّ تطابقاً تاماً.

ومن الواضح أن مكانة أهل البيتعليهم السلام بهذا المقدار ليست ناشئة من القرابة فقط، وإنما هي لقربهم من الله عزّ وجلّ واستحقاقهم في ذاتهم لهذه الكرامة، ويدلّ عليه ما سيأتي بيانه من الأدلة إن شاء الله تعالى.

ومنها: حديث السفينة، فقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن أبي ذر، عن

⬅

➔

النبيصَلَّالِلَّهُوَآلِه قال: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، مَن ركبها نجى، ومَن تخلّف عنها غرق» (انظر المستدرك على الصحيحين ج٢: ص٣٤٣ وج٣: ص١٥١)، ورواه الهيثمي في محمج الزوائد ج٩: ص١٦٨، والطبراني في معجمه الكبير ج٣: ص٤٥، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: ج١٢ ص٩١ وغيرهم وقال ابن حجر: "جاء من طرق عديدة يقوّي بعضها بعضاً: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا». وفي رواية مسلم: «ومن تخلّف عنها غرق»" الصواعق المحرقة: ص١٥٠.

ومن قوله: رواية مسلم يعرف أن يد التحريف لعبت دورها في حذف الرواية من كتاب صحيح مسلم، وقد أشار محمّد بن إدريس الشافعي إمام الشافعية في أبياته إلى صحّة هذا الحديث على ما نقله العلاّمة الفاضل العجيلي في ذخيرة الآل:

ولمّا رأيتُ الناس قد ذهبت بهم ... مذاهبُهم في أبحر الغيِّ والجهلِ
ركبتُ على اسم الله في سفن النَّجا ... وهم آلُ بيت المصطفى خاتمِ الرُّسْلِ
وأمسكتُ حبلَ الله وهو ولاؤهم ... كما قد أُمرنا بالتمسك بالحبلِ
إذا افترقَت في الدين سبعونَ فرقةً ... ونَيفاً، كما قد صَحَّ في مُحكَم النقلِ
ولم يكُ ناجٍ منهمُ غير فرقة ... فقُل لي بها يا ذا الرجاحة والعقلِ
أفي فرَق الهُلاّك آلُ محمدٍ ... أم الفرقة اللاتي نجت منهمُ ؟! قُل لي
فإن قلتَ: في الناجين ، فالقولُ واحدٌ ... وإن قلتَ: في الهُلاّك، حفتَ عن العدل
إذا كان مولى القوم منهم.. فإنني ... رَضيتُ بهم ما زالَ في ظلّهم ظلّي
فخَلِّ علياً لي إماماً ونسلهُ ... وأنت من الباقين في سائرِ الحِلِّ

(انظر كتاب النصائح الكافية لمحمد بن عقيل: ص٢٢٣)

ومنها حديث المنزلة، وهو من الأحاديث المتواترة التي أخرجها علماء الإسلام من الفريقين بأسانيدهم المعتبرة، ورواها علماء أهل السنة في أشهركتبهم وأصحها عندهم كالبخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي والنسائي وابن ماجة وأبو داود الطيالسي وأبو بكر بن أبي عاصم وأحمد بن حنبل وغيرهم من الحفّاظ الذين هم في غاية الكثرة بإسنادهم عن رسول اللهصَلَّالِلَّهُوَآلِه، ولا بأس أن نذكر هنا لفظين من ألفاظ الحديث ما أخرجه غالبية الحفاظ

➔

➔

فقد أخرج جماعة كبيرة من حفاظ أهل السنة باِسنادهم عن النبيﷺ أنه قال لأمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢٠٨ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم وج٥: ص١٢٩ كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، وصحيح مسلم ج٧: ص١٢٠ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالبعليه السلام، مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٢٣، وسنن ابن ماجة ج١: ص٤٥، وسنن الترمذي ج٥: ٢٠٤ والسنن الكبرى للنسائي ج٥: ص٤٤ ومسند أبي داود الطيالسي: ص٢٨ وكتاب السنة لإبن أبي عاصم: ص٥٥١).

وأخرج جماعة من حفّاظهم بإسنادهم عن ابن عباس، عن النبيﷺ أنه قال لأمير المؤمنينعليه السلام: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي»، ثم قال: «أنت خليفتي يعني في كل مؤمن بعدي» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٢٣١، وكتاب السنة لابن أبي عاصم: ص٥٥١، والسنن الكبرى للنسائي ج٥: ص١١٢ والمعجم الكبير للطبراني ج١٢: ص٧٨ وغيرهم).

وأخرج جماعة من حفاظهم بإسنادهم عن النبيﷺ قال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي، إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٣٣١، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٣٣، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١٢٠، والمعجم الكبير للطبراني ج١٢: ص٧٨ وغيرهم).

وهذا الحديث صريح الدلالة في تنصيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام للخلافة والإمامة، بل يدلّ عليه باللفظ الأول أيضاً، حيث أنه يقوم مقام النبيﷺ بكل شيء بإستثناء النبوة، ولأجل أنّ هارونعليه السلام قام مقام موسىعليه السلام في جميع الأمور إستثنىﷺ أمر النبوة.

ولو قيل أنّ الحديث يدلّ على أنّ هارونعليه السلام توفي في حياة موسىعليه السلام، قيل في الجواب ما

➔

وثامنها: ما زعمه من لزوم الدين الحق للكتاب الهادي والسيف الناصر، فإنّه من بهتانه البيّن على الله سبحانه[1]،

➔

أجاب الحافظ ابن حجر: ولما كان هارون عليه السلام المشبه به إنما كان خليفة في حياة موسى عليه السلام دل ذلك على تخصيص خلافة علي عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله بحياته، والله أعلم (انظر فتح الباري في شرح البخاري ج٧: ص٦٠).

ويمكن الجواب عنه بأن وجه الشبه إنّما هو في مقام هارون (عليه وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة والسلام)، حيث كان خليفة موسى (عليه وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة والسلام)، واستثناء النبوة إنّما هو لبيان ذلك المقام، وأنه خليفة له بنفس ذلك المستوى، ولا يمكن أن يعبر بذلك جزافاً بالنسبة لمن لا ينطق عن الهوى ولا يقول إلا ما أوحي إليه من رب العلمين عزّ وجلّ.

ومعناه كما أنّ هارون عليه السلام كان خليفة موسى عليه السلام ولو كان حياً لبقي على خلافته بعد موسى عليه السلام فنفس هذا المقام، أي الخلافة يكون لأمير المؤمنين عليه السلام.

وهناك روايات كثيرة لايمكننا استقصائها في هذه العجالة، وقد رواها علماء أهل السنة والجماعة وهي تدل بالصراحة على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة الطاهرين المعصومين من أهل البيت عليهم السلام، وبالرغم من روايتهم لهذه النصوص لم يلتزموا بمضامينها، فلاحظ.

(١) من الأكاذيب التي يرددها أعداء الإسلام والمسلمين أن الإسلام قام على السيف، وهذه الدعوى الباطلة الظالمة كثيراً ما يرددها المستشرقون للطعن في الإسلام بأنّه انتشر الإسلام بالسيف، وإنما دخل الناس فيه، بالقهر والإكراه، وقد اتخذوا من تشريع الجهاد في الإسلام وسيلة لهذا التجني الكاذب الآثم، وعندما نأتي إلى دليل أعداء الإسلام نجد أنّهم يستدلون كلام أعداء أهل البيت كابن تيمية وأضرابه، حيث أنّهم كالمستشرقين يرددون هذه المقولة الباطلة، فيقولون: بأنّ الله بعث النبي صلى الله عليه وآله بالكتاب الهادي، والسيف الناصر.

➔

➔

والباحث عندما يراجع الى المصادر الإسلامية ويدرس فيها دراسة علمية بقصد التمحيص يجد أنّ إقامة الدين، بنيانها وتثبيت أركانها، إنّما كانت قائمة على الحجة والبرهان، لا على الجهل والبهتان؛ فإنّ الله سبحانه أمر رسوله ﷺ أن يدعو الناس بالحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالطريق الأحسن، فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة النحل:١٢٥)، فإنّ الحكمة: بمعنى العلم والمنطق والإستدلال، ومن خلالها يتم التمييز ما بين المقعول وغير المقعول؛ حيث إنّها مقترنة بأقوال حكيمة وتصرفات هادفة بسلوك يكتسب الفرد بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد أُطلقت الحكمة على العلم والمنطق والإستدلال لقدرتها على جذب الآخرين. بل وفسّرت الحكمة - كما في المفردات - بإصابة الحق بالعلم والعقل، والموعظة كما عن الخليل - بأنه التذكير بالخير فيما يرق له القلب (انظر المفردات في غريب القرآن للراغب: ص٥٢٧ نقلاً عن الخليل). فأوّل خطوة على طريق الدعوة إلى الحقّ هي التمكن من الإستدلال وفق المنطق السليم، أو النفوذ إلى داخل فكر الناس ومحاولة تحريك وإيقاظ عقولهم، كخطوة أُولى في هذا الطريق.

والخطوة الثّانية في طريق الدعوة إلى الله، بالإستفادة من عملية تحريك الوجدان الإنساني، وذلك لما للموعظة الحسنة من أثر دقيق وفاعل على عاطفة الإنسان وأحاسيسه، وتوجيه مختلف طبقات الناس نحو الحقّ وفي الحقيقة فإنّ "الحكمة" تستثمر البُعد العقلي للإنسان، و"الموعظة الحسنة" تتعامل مع البُعد العاطفي له.

والخطوة الثالثة: تختصّ بتخلية أذهان الطرف المخالف من الشبهات العالقة فيه والأفكار المغلوطة ليكون مستعداً لتلقي الحق عند المناظرة.

وبديهي أن تكون المجادلة والمناظرة ذات جدوى إذا كانت (بالتي هي أحسن)، أي أن يحكمها الحق والعدل والصحة والأمانة والصدق، وتكون خالية من أيّة إهانة أو تحقير أو تكبر أو مغالطة.

➔

إنّ دين نوح وصالح وشعيب ويعقوب وعيسى وغيرهم عليهم السلام من رسل الله خالية من السيف الناصر[1]،

➔

وبعبارة شاملة: أن تحافظ على كل الأبعاد الإنسانية السليمة عند المناظرة وفي ذيل الآية، يقول تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ فالآية تشير إلى أنّ وظيفتكم هي الدعوة إلى طريق الحق بالطرق الثلاثة المتقدمة، أمّا مسألة من الذي سيهتدي ومن سيبقى على ضلاله، فعلم ذلك عند اللّه وحده سبحانه، وإنّما أمر سبحانه بهذه الأوامر الثلاثة لأنّه يعلم الكيفية التي تؤثر بالضالين لأجل توجيههم وهدايتهم.

فالتأمّل في هذه المعاني يعطي أن المراد بالحكمة هي الحجة التي تنتج الحق الذي لا مرية فيه ولا وهن ولا إبهام والموعظة هو البيان الذي تلين به النفس ويرق له القلب، لما فيه من صلاح حال السامع من الغبر والعبر وجميل الثناء ومحمود الأثر ونحو ذلك، فبهذه تتم الدعوة في الإسلام لا بالسيف والقهر والإكراه كما يدعي ابن تيمية.

(١) لا شك أنّ منهج جميع الأنبياء في الدعوة إلى الله إنّما كانت بالحكمة والموعظة الحسنة التي هي مبنية على العقل والفطرة، قال الله تعالى: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ**﴾ (سورة البقرة:٢١٣)، هذه الآية الكريمة تبيّن حقيقة بعث الأنبياء، وأنّه سبحانه وتعالى من لطفه لم يترك الخلق عبثاً حائرين، بل أرسل إليهم الأنبياء مبشرين ومنذرين، ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته، وأيدهم بالمعجزات والآيات البينات، فقوله تعالى: بعث الله الأنبياء مبشرين ومنذرين مشعر إلى أن تبشير الأنبياء وإنذارهم يتوجه الإنسان إلى المبدأ والمعاد ويلفت النظر إلى أن وراء هذا العالم جزاء على الأعمال فيحس أنّ مصيره مرتبط مباشرة بتعاليم الأنبياء وما ورد في الكتب السماوية من الأحكام والقوانين الإلهية لحل التناقضات والنزاعات المختلفة بين أفراد البشر، لذلك

➔

➔

تقول الآية: وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس في ما اختلفوا فيه: وذلك بالتمسك بتعاليم الأنبياء وما ورد في كتبهم السماوية لإطفاء نار الخلافات والنزاعات المتنوّعة الاختلافات الفكرية والعقائدية والإجتماعية والأخلاقية، فالدين الإلهي هو السبب الوحيد لسعادة هذا النوع الإنساني، والمصلح لأمر حياته، يصلح الفطرة بالفطرة ويعدل قواها المختلفة عند طغيانها، وينظم للإنسان سلك حياته الدنيوية والأخروية، والمادية والمعنوية، فهذا إجمال تاريخ بعث الأنبياء على ما تعطيه هذه الآية الشريفة بأنّ الله سبحانه شرع الشرائع والقوانين واضعاً ذلك على أساس التوحيد، والاعتقاد والأخلاق والأفعال.

وبعبارة أخرى وضع التشريع مبني على أساس تعليم الناس وتعريفهم ما هو حقيقة أمرهم من مبدئهم إلى معادهم، وأنهم يجب أن يسلكوا في هذه الدنيا حياة تنفعهم في غد، ويعملوا في العاجل ما يعيشون به في الآجل، فالتشريع الديني والتقنين الإلهي هو الذي بني على العلم فقط دون غيره، فقارن بعثة الأنبياء بالتبشير والإنذار بإنزال الكتاب المشتمل على الأحكام والشرائع الرافعة لاختلافهم، ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**﴾ (سورة الجاثية:٢٤)، فإنهم إنّما كانوا يصرون على قولهم ذلك، لا لدفع القول بالمعاد فحسب، بل لأن القول بالمعاد والدعوة إليه كان يستتبع تطبيق الحياة الدنيوية على الحياة بنحو العبودية، وطاعة قوانين دينية مشتملة على مواد وأحكام تشريعية: من العبادات والمعاملات والسياسات.

وبالجملة فإنّ بعث الأنبياء، ودعوتهم الناس الى الدين والشرائع السماوية، كانت بالحكمة والموعظة الحسنة، لا بالسيف والقهر والاكراه كما يتبين هذه الحقيقة من خلال البحث والتحقيق في القرآن وما ورد في تفسيرالآيات العديدة من القرآن الكريم وتاريخ الأنبياء، فلاحظ.

بل مضى على دين سيد رسله صلى الله عليه وآله ثلاث عشر سنة وهو خال من السيف الناصر(١)،

---

(١) لقد ذكرت كتب السيرة أن دعوة النبي صلى الله عليه وآله في البداية كانت سرية، فبدأ صلى الله عليه وآله بدعوة أهل بيته، ثمّ الأقربين فالأقربين، وكانت الدعوة حينها سرّيّةً؛ دون أن تعلم بها قريش، فأوّل من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (انظر المستدرك للحاكم ج٣ ص١٣٦ وصحّحه الذهبي في الهامش، وتاريخ بغداد للخطيب ج٢ ص٨١، والإستيعاب "بهامش الإصابة" ج٣ ص٢٨، ومناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للكوفي ج١ ص٢٨٠، والتمهيد لابن عبد البر ج٢ ص٣٠٥، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٢٢٩، وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٤١ و٤٢ و٤٣، وميزان الإعتدال ج٢ ص٣ و٤١٦، ولسان الميزان ج٢ ص٤١٤ وج٣ ص٢٨٣، ومناقب للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لابن مردويه ص٦٦، وفيض القدير ج٤ ص٤٧٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ج١٣ ص٢٢٥، والإكمال في أسماء الرجال ص١٢٧، والكامل لابن عدي ج٤ ص٢٩١، وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٤٠، والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص٨، والعثمانية للجاحظ ص٢٩١، وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج١ ص٣٨، وينابيع المودة ج٢ ص٢٣٩ و٢٨٩)، ثم خديجة بنت خويلد عليها السلام، وهكذا كان الأمر في البداية، إلى أن أمر الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وآله في السنة الثالثة من الهجرة بدعوته الأقربين من عشيرته، وكان الذين دخلوا في الإسلام عدداً قليلاً، لذلك حين نزلت الآية: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ (الشعراء:٢١٤) وقوله تعالى: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (سورة الحجر:٩٤) أُمر النبي صلى الله عليه وآله أن يجعل دعوته علنية، وبدأ ذلك بدعوة أهله وأقربائه، وأما كيفية إبلاغه وإنذاره إيّاهم، فهو بإجمال أنه دعا النبي عشيرته إلى بيت عمه أبي طالب، وكانوا في ذلك اليوم حوالي أربعين رجلاً، وكان ممن حضر هذه الدعوة بعض أعمام النبي صلى الله عليه وآله كأبي طالب والحمزة وأبو لهب والعباس، وبعد أن تناولوا الطعام، وأراد النبي صلى الله عليه وآله أن يؤدي ما عليه، تكلم أبو لهب كلمات أحبط بها خطة النبي صلى الله عليه وآله، لذا فقد دعاهم النبي صلى الله عليه وآله في اليوم التالي أيضاً وبعد أن تناولوا الطعام، قال صلى الله عليه وآله: «يا بني ←

➔

عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم بخير الدنيا والآخرة... وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على أمري هذا، على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟» فأحجم القوم عنها غير الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان أصغرهم (سناً)، فقال: «يا نبيّ الله، أنا أكون وزيرك عليه»، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله برقبته، وقال: «إنّ هذا وصييّ وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا» فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع له. وقد نقل هذا الحديث كثير من علماء أهل السنة كابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي، والثعلبي، كما نقله ابن الأثير وأبو الفداء، وجماعة آخرون، كما سنذكر مصادرها إن شاء الله في محله.

وبهذا الحديث يعرف أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان وحيداً حينذاك، وكيف ردّوا عليه دعوته بالسخرية والاستهزاء، وكيف وقف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى جانب النبي صلى الله عليه وآله في وحدته ناصراً ومعيناً.

فما كان من قريش إلا أن تصدّت لتلك الدعوة، وبدأت تُعارضها بكلّ ما تملكه من الأساليب، والاتّجاهات؛ إذ لجأت إلى التهديد، والتخويف، وغيرها، مع ذلك ثبت رسول الله صلى الله عليه وآله على دعوته، واستمرّ الجهر بالدعوة إلى حين الهجرة إلى المدينة المنوّرة، فتعرُّض رسول الله صلى الله عليه وآله للضرب من قِبَل قريش، وكان ممن يؤذي الرسول صلى الله عليه وآله آن ذاك عمّه أبو لهب وزوجته؛ فقد كانا من أشدّ الأعداء للنبيّ صلى الله عليه وآله، والدعوة، حتى نزلت الآيات: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ* مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ* سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ* وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ* فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ**﴾ (سورة المسد:١-٥)، وقد دافع عن النبي صلى الله عليه وآله آنذاك الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأبوه، قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: "ولم أستجز أن أقعد عن تعظيم أبي طالب، فإني أعلم أنه لولاه لما قامت للإسلام دعامة، وأعلم أن حقه واجب على كل مسلم في الدنيا إلى أن تقوم الساعة، فكتبت:

➔

فيلزم على زعم السنّي عدم حقيقة دينهم لعدم وجود السيف الناصر عندهم[(١)]،

➔

ولولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخصا فقاما
فذاك بمكة آوى وحامى وهذا بيثرب جس الحماما
تكفل عبد مناف بأمر وأودى فكان علي تماما...

وأدل دليل على إيمان أبي طالب عليه السلام أشعاره الصريحة بتصديق النبي صلى الله عليه وآله ودين الإسلام، المطبوعة في ديوانه وفي كثير من كتب التاريخ والأدب..." (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٤: ص٨٣ و٨٤).

وقد استمر رسول الله صلى الله عليه وآله دعوته في تلك الأجواء بمكة، وكان يتحمل أشد الإيذاء من قريش، كما أنّ أصحابه كانوا في معرض الإيذاء في سبيل هذه الدعوة، حتى بعثهم النبي صلى الله عليه وآله إلى حبشة، واستمرت إيذاء النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته وأتباعه قتلاً وتعذيباً وتشريداً مدة ثلاث عشر سنة في مكة وشعب أبي طالب. فالقول بأنّه انتشر الإسلام بالسيف قول باطل، إذ لو كان انتشر بالسيف فكيف كان السيف مسلولاً على النبي صلى الله عليه وآله وأتباعه قتلاً وتعذيباً وتشريداً طوال ثلاث عشر سنوات في مكة.

(١) وبعبارة أوضح ما زعمه ابن تيمية: من أنّ دين الحق يلزم فيه وجود الكتاب والسيف الناصر، يستلزم عدم حقانيت الإسلام؛ لأنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لم يقم بالسيف مدة ثلاث عشر سنة في مكة، فحسب زعم ابن تيمية انتشار الإسلام في هذه المدة يكون على باطل؛ لأنّه لم يستقر بالسيف، فهذه الدعوى واضحة البطلان؛ لأنّ ما فعله النبي صلى الله عليه وآله إنّما كان بأمر الله عزّ وجلّ، قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ (سورة فصلت:٣٣)، وبالرغم من أن الآية استفهامية، إلا أن الاستفهام هنا إنكاري، بمعنى أنه ليس هناك أفضل من كلام الشخص الذي يدعو إلى الله وينادي بالتوحيد، ثم يؤكد دعوته اللفظية هذه ويقرنها بالفعل والعمل الصالح.

➔

➔

فالآية الكريمة هذه ترسم ثلاث صفات لذي القول الحسن هي: الدعوة إلى الله، والعمل الصالح، والتسليم، حيال الحق، وهي الأركان الإيمانية الثلاثة (الإقرار باللسان، والعمل بالأركان، والإيمان بالقلب) وليس فيها القيام بالسيف. وبعد بيان الدعوة إلى الله وأوصاف الدعاة إلى الله، شرحت الآية الكريمة أسلوب الدعوة وطريقتها، فقال تعالى: ﴿**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ (سورة فصلت:٣٤)، هذه الآية تبين لنا في الوقت الذي لا يملك فيه أعداؤكم سوى سلاح الافتراء والاستهزاء والسخرية والكلام البذئ وأنواع الضغوط والظلم، يجب أن يكون سلاحكم - أنتم الدعاة - التقوى الطهر وقول الحق واللين والرفق والمحبة، وهذا المنهج الرباني في الدعوة إلى الإسلام، فإذا كان أحد أركان الدعوة والهداية إلى الله الكتاب، فيلزم على ابن تيمية وأتباعه أن يلتزموا بقول الله عزّ وجلّ.

ثم التمسك بسيرة رسول الله ﷺ ولقد قدم لنا رسول الله ﷺ والأئمة المعصومين من أهل بيته عليهم السلام خير أسوة وقدوة في تنفيذ هذا البرنامج والالتزام به، كما علمونا بالالتزام بهذا البرنامج الإلهي الذي يعتبر أحد الأسباب التي أدت بالاسلام في ذلك العصر المظلم إلى الاتساع والانتشار.

واليوم يشهد علم النفس العديد من البحوث والدراسات حول وسائل التأثير على الآخرين، إلا أنها تعتبر شيئاً تافهاً في مقابل عظمة الآيات أعلاه، خصوصاً وأن البحوث هذه عادة ما تتعامل مع ظواهر الإنسان وتستهدف الكسب السريع العاجل ولو من خلال التمويه والخداع، لكن البرنامج القرآني يخوض في أعماق النفس البشرية ويؤسّس قواعد تأثيره على مضمون الإيمان والتقوى.

واليوم، ما أحلى أن يلتزم المسلمون ببرنامج دينهم، ويعمدون إلى نشر الإسلام في عالم متلهم إلى قيم السماء. فتعتبر الدعوة إلى الله سبحانه من أفضل الأعمال وأجلّها، فهي شعار أتباع الرسل عليهم السلام، ولها فضائل عديدةٌ، لقد دعا النبي ﷺ لمن بلّغ قوله إلى غيره، فقال: «فوالّه

➔

نعم قد نصر سبحانه جملة من رسله بعقوبات سماوية من صاعقة وريح وصيحة ورجفة وغيرها وأرضية من خسف وزلزلة وقلب عمارة وغيرها(١)،

➔

لأن يهدي الله رجلاً بك، خيرٌ لك من أن يكون لك حُمر النعم» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢٠٧ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، وج٥: ص٧٧ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، وصحيح مسلم ج٧: ص١٢٢ كتاب الفضائل، باب فضائل علي أبي طالب عليه السلام)، وقال صلى الله عليه وآله: «من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله» (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٤١ كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره) فأنّ الدعوة إلى الله تعالى، والعلم الذي ينشره المسلم بين الناس، هما من الأمور التي يلحق المسلم أجرها بعد موته، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفَع به، أو ولد صالح يدعو له» (انظر سنن النسائي ج٦: ص٢٥١)، وإلى غير ذلك من الروايات، وليس فيها أنّ السيف، من أركان الدعوة ونشر الدين، فلاحظ.

(١) لا شك أنّ القرآن الكريم كتاب أنزله الله عزّ وجلّ لهداية البشرية جمعاء وقد ذكر الله عزّ وجلّ فيه أديان الناس السابقة، وكان من جملة ما جاء به القصص القرآني، والكثير من الدروس والعبر والأحداث التي جرت على الأمم السابقة بكل صدق وحقيقة، كي تكون عبرة لأصحاب العقول، وما أجرى الله سبحانه وتعالى من سننه في الأقوام السابقة قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ**﴾ (سورة الحجر: ١٠-١٣)، فالآيات فيها الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وآله بأنّه مع وضوح البلاغ والتأكيد وبيان المنطق الرباني وإظهار المعجزات، ترى المتعصبين المستهزئين لا يؤمنون به وهو ليس بجديد وقد خلت سنة الأولين، ويصل أمر الغارقين في شهواتهم والمصرين في

➔

➔
عنادهم على الباطل إلى أنهم لا يؤمنون حتى ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون ومع ذلك لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون.

عجبا، أن يصل الإنسان لهذا الدرك من العناد والتعصب!

فتفيدنا الآية بأنّ أساليب أهل الضلال الرامية لتخدير الناس ومحاولة تفريقهم وإبعادهم عن أولياء الله لا تختص بزمان ومكان معينين، بل هي ممارسة موجودة منذ القدم وباقية ما بقي صراع الحق ضد الباطل على الأرض فذكر تعالى سنن الأولين في القرآن للمواساة وتسلية الرسول صلى الله عليه وآله.

ومن تلك الآيات التي تدل على المقام قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**﴾ (سورة فصلت:١٧)، هذه الآية تتحدث عن قوم ثمود ومصيرهم، حيث تقول: إن الله قد بعث الرسل والأنبياء لهم مع الدلائل البينة، إلا أنهم: استحبوا العمى على الهدى؛ لذلك: فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون، ولقد وهبهم الله أراضي خصبة خضراء مغمورة، وبساتين ذات نعم كثيرة، وكانوا يبذلون الكثير من جهدهم في الزراعة. وأيضاً وهبهم الله العمر الطويل والأجسام القوية، وكانوا مهرة في البناء القوي المتماسك، حيث يقول القرآن عنهم في ذلك وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين (سورة الحجر:٨٢)، فجاءهم نبيّهم بمنطق قوي وقلب ملؤه الحب، ومعه المعاجز الإلهية، إلا أن هؤلاء ذلك القوم كانوا مغرورين، مستعلين رفضوا دعوته، بل آذوه إلا القليل منهم، ولذلك شملهم الله بعقابه في الدنيا، ولن يغني ذلك عن عذاب الآخرة شيئاً، فأصيبوا بزلزلة عظيمة، فبقيت أجسادهم في المنازل بدون حراك فقال تعالى بشأنهم: ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا في دَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾ (سورة الأعراف:٧٨)، وفي سورة الحاقة قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ**﴾ (سورة الحاقة:٥)، وفي سورة هود قال تعالى: ﴿**وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾ (سورة هود:٦٧)،
➔

➔

فيظهر التعبير: بالرجفة، والطاغية، والصيحة، والصاعقة ترجع إلى حقيقة واحدة، لأن الصاعقة لها صوت مخيف، بحيث يمكن أن نسميها بالصيحة السماوية، ولها أيضاً ناراً محرقة، وهي عندما تسقط على منطقة معينة تحدث هزّة شديدة، وكذلك هي وسيلة للتخريب في الواقع، وهؤلاء القوم قد واجهتهم عوامل مختلفة للموت في إطار حادثة واحدة، بحيث أن كل عامل لوحده يكفي لإبادتهم كالصيحة المميتة مثلاً، أو الهزّة الأرضية القاتلة، أو النار المحرقة، وأخيراً الصاعقة المخيفة، فالآيات تتحدث عن وصف قوم ثمود وما كان بهم من حالات حتى شملهم العذاب؛ فإنّهم استحبّوا العمى على الهدى، وهذه هي عين الهداية التكوينيّة والتوصّل نحو الهدف.

وبعبارة أوضح: أنّ الهداية على نوعين: الهداية التشريعيّة وهي تشمل إرائة الطريق والكشف عنه بجميع العلائم؛ والهداية التكوينيّة التي هي في واقعها الإيصال إلى المطلوب أو الوصول إلى الهدف. وقد تجمعت الهدايتان معاً في الآيات المذكرة في المقام، فتتحدث أولاً عن هداية قوم ثمود وهذه هي الهداية التشريعيّة التي استبانوا من خلالها الطريق، ثم أضافت الآية عن وصف حالهم بأنهم استحبّوا العمى على الهدى، فأخذتهم العذاب، وهذه هي عين الهداية التكوينيّة والتوصّل نحو الهدف.

وهكذا فإن الهداية بمعناها الأول قد تمّت من خلال بعثة الرسل والأنبياء، أما الهداية بمعناها الثاني والتي ترتبط بحالهم وشمولهم العذاب الإلهي بسبب غرورهم وتكبّرهم وعلوّهم؛ لأنهم: استحبّوا العمى على الهدى.

وهذا - بحدّ ذاته - دليل على مبدأ حرّيّة الإرادة الإنسانية وعدم الجبر. وبذلك تحقّقت النوع الثاني من الهداية الإلهية.

ولكن قد يتسائل عن مصير الأشخاص الذين آمنوا بصالح عليه السلام بين هذه الأمواج القاتلة من الصواعق، فهل احترقوا بنيران غيرهم؟

القرآن يجيبنا على ذلك بقول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾ (سورة فصلت:١٨)، لقد أنجى هذه المجموعة إيمانها وتقواها، بينما شمل العذاب تلك الكثرة

🡐

وذلك بعد قيام الحجة من الرسل على الناس وطغيانهم على رسلهم بعد قيامها وعنادهم للحق وشدة فسادهم، فانتقام سبحانه منهم نصرة لرسله في الدنيا قبل العقبى[1].

➔

الطاغية بسبب كفرها وعنادها، فأنقذ الله المؤمنين الذين آمنوا وكانوا يتّقون، وهذه في الواقع هي عين الهداية التكوينيّة والتوصّل نحو الهدف. إذ بنجاتهم إهتدوا هداية كاملة.

وعليه فإنّ الله تعالى يهدي الناس بهذين الهدايتين، فإن شئت سمي الهداية التكوينيّة النصر الإلهي للأنبياء عليهم السلام كما استدركه المصنف رحمه الله في كلامه، فلاحظ.

(١) لا يخفى إنّ سنة الله اقتضت أن لا يعذب الله أحداً إلا بعد الإنذار والإعذار على ألسنة الرسل عليهم السلام، وهذا القانون الإلهي لن يقبل التغيير أبداً، قال تعالى: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ (سورة الإسراء:١٥)، فإنّ عذاب الطغاة وعقابهم إنّما يكون بعد إقامة الحجّة وقطع العذر، وكما قال تعالى: ﴿**رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً**﴾ (سورة النساء:١٦٥)، هذه الآية تشير إلى موضوع دقيق، وهو أن طريق الحق واضح وبيّن؛ إذ أن الله تعالى أرسل الرسل مع الكتب السماوية والمعاجز الساطعة، إتماماً للحجّة ونفياً للعذر، لئلا يقول أحد: إنما كان شقاؤنا بسبب عدم وجود الدليل، إذ لو كان فينا قائد إلهي لكنا من أهل الهداية ومن الناجين، فسنّة الله قائمة على عدم تعذيب أية أمة قبل إرسال الرسل إليها؛ ولذلك قال تعالى: ﴿**كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ**﴾ (سورة الملك:٩)، فإنه تعالى يتحدّث في هذه الآية عن الأشخاص الذين يعرضون على النار يوم القيامة بسبب طغيانهم واتخاذهم طريق الكفر والشرك، فيسألون عنهم ألم يأتكم نذير؟ كما قال تعالى: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ (سورة الزمر:٧١)،

➔

➔

فـ ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾؛ حيث قامت عليهم الحجّة الإلهية، فيقولون نعم، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ (سورة الملك:٩)، وهكذا يأتي الاعتراف: نعم قد جاءنا الرسل إلا أنّنا كذّبناهم ولم نسمع نداءهم المحيي للنفوس بل خالفناهم وعارضناهم واعتبرناهم ضالّين، وأخرجناهم من بين صفوفنا، وأبعدناهم عنا، فيقذفون في العذاب الإلهي، وكذلك الأمر في تعذيب الأقوام الظالمة في الدنيا؛ فإنّ القانون الإلهي في هلاك الأقوام الظالمة قائمة على اتمام الحجة عليهم أيضا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (سورة النحل:٣٦)، فالسنة الإلهية اقتضت في البداية جعل الهداية التشريعيّة ببعث الأنبياء ودعوة الناس إلى التوحيد والهداية ورفض الطاغوت تماشيا مع الفطرة الإنسانية، ومن ثم فمن التجاوب مع الدعوة يكون جديراً باللطف الإلهي وتدركه الهداية التكوينيّة، وأمّا أولئك الذين تحدَّوا رسل الله وهددوهم وتعالَوا عليهم ورفضوا الإيمان بالمعجزات التي أرسلها الله إليهم فهم الظالمون لأنفسهم، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً﴾ (سورة الكهف:٥٩) فإنّ من ظلم من السابقين ليكون مصيره عبرة لمن يسمع، فتقول الآية: إن هذه المدن والقرى أمامكم، ولكم أن تشاهدوا خرابها والدمارالذي حل فيها من العذاب، وقد أهلكنا أهلها بما ارتكبوا من الظلم، وقد جعلنا موعداً لمهلكهم، فهذه المراتب قد جاءت في قوله تعالى: ﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ (سورة الإسراء: ١٥) وتوضح المقام أنّه أربعة أحكام أساسيّة فيما يخص مسألة الحساب، والجزاء على الأعمال، وهذه الأحكام هي: أولاً تقرر أن من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه حيث تعود النتيجة عليه.

وثانياً: تقرر أن من ضل فإنما يضل عليها ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ

🡐

➔

لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (سورة الإسراء:٧).

وثالثاً: تقول الآية: ولا تزر وازرة وزر أخرى، والوزر بمعنى الحمل الثقيل. وأيضا تأتي بمعنى المسؤولية، لأن المسؤولية - أيضاً - حمل معنوي ثقيل على عاتق الإنسان، فإذا قيل للوزير وزيراً، فإنّما هو لتحمله المسؤولية الثقيلة على عاتقه من قبل الناس أو الأمير والحاكم.

طبعاً هذا القانون الكلي الذي تقرره آية ولا تزر وازرة وزر أخرى لا يتنافى مع ما جاء في قوله تعالى:﴿**لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**﴾ (سورة النحل:٢٥)، لأن هؤلاء بسبب تضليلهم للآخرين يكونون فاعلين للذنب أيضاً، أو يعتبرون بحكم الفاعلين له، ولذلك فهم في واقع الأمر يتحملون أوزارهم وذنوبهم، وبتعبير آخر: فإن هنا هو في حكم الفاعل أو المباشر، لأنّه السبب.

كذلك الأمر فيما ورد من الروايات متعددة حول مسألة السنّة السيّئة والسنّة الحسنة، والتي كان مؤداها يعني أن من سنّ سنّة سيّئة أو حسنة فإنه سيكون له أجر من نصيب العاملين بها، وهو شريكهم في جزائها وعواقبها، وهذا الأمر هو الآخر لا يتنافى مع قاعدة ولا تزر وازرة وزر أخرى لأن المؤسّس للسنّة، يعتبر في الحقيقة أحد أجزاء العلة التامة للعمل، وهو بالتالي شريك في العمل والجزاء.

الحكم الرابع يتمثل في قوله تعالى: وما كنا معذّبين حتى نبعث رسولاً يقوم ببيان التكليف وإلقاء الحجة.

فتلخص أنّ العذاب الإلهي في الدنيا على فرض كونه نصرة الهيّة، لا الهداية التكوينيّة، إنّما يكون بعد إقامة الحجّة التي هي من السنن الإلهية، وعليه فلا معنى للقول: من لزوم الدين الحق للكتاب الهادي والسيف الناصر؛ فإنّ دين الحق يستقرّ بالحجج الإلهية، لا بالسيف كما زعمه ابن تيمية، فلاحظ.

قال السنّي:

وأما قوله: ثم عثمان بن عفان بنصّ عمر على ستة هو أحدهم فاختاره بعضهم، فيقال له: لم يصر إماماً باختيار بعضهم، بل بمبايعة جميع المسلمين له، ولم يتخلف عن بيعة أحد. قال أحمد: ما كان في القوم مثل بيعة عثمان، كانت بإجماعهم، فلو لم يبايعه أهل الشوكة لم يصر إماماً، ولكن لما جعلها عمر شورى في ستة عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف.

ثم أن طلحة والزبير وسعد لم يختاروها واتفق الباقون على أن عبدالرحمن له تولية غيره من الباقين، فأقام عبد الرحمن ثلاثاً لم يغمض فيها بكثير نوم يشاور السابقين والتابعين لهم بإحسان، فأشار عليه المسلمون بتولية عثمان فبايعوه بدون رغبة دفعها إليهم وبغير رهبة بها أخافهم، ولذلك قال جماعة من السلف مثل أيوب السختياني وأحمد بن حنبل وقطني وغيرهم: من قدّم علياً على عثمان فقد أزرى بالصحابة فدلّ تقديمهم له على علي بعد تشاورهم على أفضلية من علي عليه السلام[1].

---

(١) منهاج السنة ج١: ص٥٣٢

قلت:

انتهى ملخصاً، وفيه من الفساد والباطل والبهتان ما نبيّنها بوجوه،

أحـدها: ما زعمه من عدم صيرورة عثمان إماماً بنفس مبايعة عبد الرحمن[١]؛

---

(١) لا يخفى على الخبير الباحث أنّ عثمان بن عفان وصل الخلافة بتدبير عمر بن الخطّاب وعبد الرحمن بن عوف، وذلك من خلال السياسية التي اتخذها عمر بن الخطاب عندما طُعن، فاختار ستة من كبار الصحابة، وهم الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، ودعاهم إليه، ثم ألزمهم أن يختاروا من بينهم واحداً، وأن يكون الإختيار على أساس الغالبية، لكن حدّد طريقة التعيين بحسب رغبته، فاستعمل أبا طلحة زيد بن سهل الأنصاري، وقال له: "إن رضي أربعة وخالف اثنان، فاضرب عنق الاثنين، وإن رضي ثلاثة وخالف ثلاثة، فاضرب أعناق الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن" (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٦٠). فعمر بن الخطاب يعلم إنّ عبد الرحمن بن عوف هو صهر عثمان بن عفّان؛ لأنّه تزوّج أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهي أُخت عثمان لأُمّه. وأيضاً كان يعلم أنّ عثمان يمثّل الأمويين، فأراد أن يسلطهم على المسلمين؛ كي تبتعد الخلافة عن بني هاشم.

ولا يخفى أنّ عبدالرحمن بن عوف لعب دوراً كبيراً في تولية عثمان الخلافة، يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة: إن عليّاً غضب يوم الشورى، وعرف ما دبّره عبد الرحمن بن عوف فقال له: «والله ما فعلتها إلا لأنّك رجوتَ منه ما رجا صاحبكما من صاحبه، دقَّ الله بينكما عطر منشم» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص١٨٨).

أما عطر منشم الذي دعا به الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عليهما فهو مَثلٌ سائر ←

➔
يقال: أشأم من عطر منشم، وهو يدلّ على النفور والمقاتلة. واستجاب الله دعاء الإمام، فلم تمض سنوات قليلة حتّى ضرب الله بينهم العداوة والبغضاء، وإذا بعبد الرحمن يُعادي صهره، ولا يكلّمه حتّى الموت، ولا يأذن له بالصلاة على جنازته.

ويتجلّى لنا أيضاً من هذا البحث الوجيز أنّ عبد الرحمن بن عوف هو رأس من رؤوس قريش الذين عملوا على طمس السنّة النبويّة وإبدالها ببدع الخليفتين. لإبعاد الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام عن الخلافة بشرطه الذي اشترطه عليه في تحكيم سنّة الخليفتين أبي بكر وعمر، لعلمه مسبقاً بأنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام لا يقبلُ بذلك الشرط أبداً لأنّ سنّتهما مُخالفة للكتاب والسنّة النبويّة.

كما يتجلّى لنا بأنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام هو الوحيد الذي ضحّى بالخلافة وما فيها، من أجل الحفاظ على السنّة المحمّدية التي جاء بها أخوه وابن عمّه النبي الأكرمصلى الله عليه وآله.

يقول المؤرخون أنّ عبد الرحمن بن عوف ندم أشدّ الندم لمّا رأى عثمان أعطى المناصب والولايات إلى أقاربه وحاباهم بالأموال الطائلة، فدخل عليه وعاتبهُ. فقال عثمان: "إنّ عمر كان يقطع قرابته في الله وأنا أصل قرابتي في الله"، قال عبد الرحمن: "لله عليَّ أن لا أكلّمك أبداً"، فلم يكلمه حتّى مات وهو هاجر لعثمان، ودخل عليه عثمان عائداً له في مرضه، فتحوّل عنه إلى الحائط ولم يكلّمه (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٢: ص٢٦٤).

وهذا وحده يكفينا دليلا على تعصُّب عبد الرحمن للبدع الجاهلية، وبُعده عن السنّة المحمّدية، ومشاركته الفعّالة في المؤامرة الكبرى للقضاء على العترة الطاهرة، وإبقاء الخلافة في حوزة قريش لتحكّم فيها كيف شاءت. فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن المسور بن مخرمة، قال : طرقني عبد الرحمن بعد هجيع من الليل، فضرب الباب حتى استيقظت، فقال: "أراك نائماً فوالله ما اكتحلت هذه اللّيلة بكبير نوم"، انطلق فادع الزبير وسعداً فدعوتهما له فشاورهُما، ثمّ دعاني فقال: "ادع لي إلى مَن كان حاضراً
➔

➔
من المهاجرين والأنصار"، وأرسل إلى أُمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجّة مع عمر، فلمّا اجتمعوا تشهّد عبد الرحمن ثمّ قال: "أمّا بعد يا علي إنّي قد نظرت في أمر الناس فلم أرَهم يَعدلونَ بعثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلاً"، ثمّ قال مخاطباً لعثمان: "أُبايعك على سنّة الله ورسوله والخليفتين من بعده"، فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون (صحيح البخاري ج٨: ص١٢٣ كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس). والباحث يفهم من هذه الرواية التي أخرجها البخاري بأنّ المؤامرة قد دبّرت بليل، ويفهم أيضاً السياسة التي استعملها عبد الرحمن بن عوف، وأن اختيار عمر له لم يكن عفوياً، بل كانت وفق خطة مدروسة كما يظهر من الرواية. فإنّ التأمّل في قول الراوي وهو المسور: "فدعوت له عليّاً فناجاه ثمّ قام عليّ من عنده وهو على مطمع...".

وهذا يدلّنا على أنّ عبد الرحمن بن عوف كان يتخيل أنّه هو الذي أطمع الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الخلافة، حتّى لا ينسحب الإمام من الشورى المزيّفة، ويتسبّب لهم في انقسام الأُمّة مرّة أُخرى، كما وقع عقيب بيعة أبي بكر في السقيفة. ويؤكّد صحّة هذا الاحتمال قول المسور: "وقد كان عبد الرحمن يخشى من عليّ شيئاً". ولكن الأمر ليس كما تخيّله عبد الرحمن؛ لأنّ الدافع الأساسي للامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من قبول شورى العمريّة هو ما قاله الإمام عليه السلام في جواب عمّه عبّاس حينما سأله عن ذلك، وإليك نص الحديث: ...فقال العباس: "يا أمير المؤمنين، أنّ عمر قد كتب اسمك في الشورى وجعلك آخر القوم، وهم يخرجونك منها، ولا تدخل في الشورى"، فلمّا بويع عثمان قال له العباس: "ألم أقل لك؟"، قال عليه السلام له: «يا عمّ، إنه قد خفي عليك أمر، أما سمعت قوله- عمر بن الخطاب - على المنبر: ما كان الله ليجمع لأهل هذا البيت الخلافة والنبوّة، فأردت أن يكذّب نفسه بلسانه فيعلم الناس أن قوله بالأمس كان كذباً باطلاً، وإنّا نصلح للخلافة»، فسكت العباس (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٩: ص٢٥٢، وعلل الشرائع للصدوق ج١: ص١٧١)، فجواب الإمام عليه السلام ناظر إلى قول عمر
➔

فإنّه بهتان بيّن على جمهور أهل مذهبه لما مضى نقله عنهم[(١)]

➔

ابن الخطاب حيث قال: "لايجتمع سيفان في غمد واحد، وإنّه والله لايرضى العرب أن نؤمّركم... لكم النبوّة والخلافة فتبجّحوا على قومكم بجحاً بجحاً؛ فاختارت قريشٌ لأنفسها" (انظر تاريخ الطبري ج٣: ص٢٨٩).

وعلى كل تقدير فإنّ التاريخ أكبر شاهد على أنّ خلافة عثمان كانت بتدبير عمر بن الخطاب وعبدالرحمن بن عوف وقد سجلها التاريخ، فلاحظ.

(١) لا يخفى أن المصادر السنّية صريحة في أنّ خلافة عثمان كانت ببيعة بعض أهل الشورى، حيث أنّها متفقة على أنّ عمر بن الخطاب حدّد طريقة انتخاب الخليفة بالشورى، فاختار ستة لتولي الأمر، وألزمهم على أن يختاروا من بينهم واحداً، ولكن حدّد طريقة التعيين بحسب رغبته. فإنّه قد أمرهم أن يجتمعوا في بيت أحدهم ويتشاوروا على أن يكون عبد الله بن عمر يحضر معهم ليستشيروه، ويصلي بالناس أثناء التشاور الصهيب الرومي، وقال له: "أنت أمير الصلاة في هذه الأيام الثلاثة" ، واستعمل أبا طلحة زيد بن سهل الأنصاري، وقال له: "إن رضي أربعة وخالف اثنان، فاضرب عنق الاثنين، وإن رضي ثلاثة وخالف ثلاثة، فاضرب أعناق الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن" (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٦٠)، وحدّد الفترة بثلاثة أيام، فقال لهم: "لا يأتي اليوم الرابع إلا وعليكم أمير"، وقال لهم: "فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم وثلاثة رجلاً منهم فحكموا عبد الله بن عمر، فأي الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف"، ووصف عبد الرحمن بن عوف بأنّه مسدد رشيد، فقال عنه: "ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف، مسدد رشيد، له من الله حافظ، فاسمعوا منه" (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٦٠). ثم طلب عمر أبا طلحة الأنصاري وقال له: "يا أبا طلحة، فاختر خمسين رجلاً من الأنصار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٦٠).

وقال للمقداد بن الأسود: "إذا وضعتموني في حفرتي، فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى

➔

➔

يختاروا رجلا منهم..." (انظر تاريخ الطبري ج٣: ص٢٩٤). وقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عمرو بن ميمون قال: "رأيت عمر بن الخطاب قبل أن يصاب بأيام بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف قال: كيف فعلتما، أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق؟ قالا: حملناها أمراً هي له مطيقة ما فيها كبير فضل قال: انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق، قال: قالا :لا، فقال عمر: لئن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبداً، قال: فما أتت عليه إلا رابعة حتى أصيب، قال: إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مر بين الصفين، قال: استووا حتى إذا لم ير فيهن خللاً، تقدّم فكبر وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول: قتلني أو أكلني الكلب حين طعنه، فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا ولا شمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنساً، فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون: سبحان الله سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس انظر من قتلني، فجال ساعة ثم جاء، فقال غلام المغيرة: قال الصنع، قال نعم، قال قاتله الله، لقد أمرت به معروفاً، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة وكان العباس أكثرهم رقيقاً، فقال: إن شئت فعلت أي إن شئت قتلنا، قال: كذبت بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا قبلتكم وحجوا حجكم، فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس وقائل يقول: أخاف عليه، فأتي بنبيذ فشربه فخرج من جوفه، ثم أتي بلبن فشربه فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت فدخلنا عليه، وجاء الناس فجعلوا يثنون عليه وجاء رجل شاب، فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ وقدم في الإسلام ما قد علمت ثم

➔

➔

وليت فعدلت ثم شهادة، قال: وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا علي الغلام، قال: يا ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك يا عبد الله بن عمر، انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه، قال: إن وفى له مال آل عمر فأده من أموالهم وإلا فسل في بني عدي بن كعب فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم إلى غيرهم فأد عني هذا المال انطلق إلى عائشة، فقل: يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي ولأوثرن به اليوم على نفسي، فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك، قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت، قال: الحمد لله ما كان من شيء أهم إلي من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني ثم سلم فقل يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين، وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها، فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال فولجت داخلا لهم فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين استخلف، قال: ما أجد أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنهم راض، فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن، وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية له فإن أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك وإلا فليستعن به أيكم ما أمر فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة، وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفى عن مسيئهم وأوصيه بأهل الأمصار خيرا فإنهم ردء الإسلام وجباة المال وغيظ العدو وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم وأوصيه بالأعراب خيرا فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ من

➔

وقد روى ما دّل عليه البخاري في صحيحه في باب فضائل عثمان، في حديث طويل منه قول عبد الرحمن بن عوف لعليعليه السلام: "فالله عليك لئن أمرتك لتعدلنّ، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن.. الحديث[1]".

➔

حواشي أموالهم ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسولهصلى الله عليه وآله أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم، فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي، فسلم عبد الله بن عمر، قال: يستأذن عمر بن الخطاب، قالت: أدخلوه فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه، فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن: أيّكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه؟ فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إلي؟ والله علي أن لا آل عن أفضلكم، قالا: نعم فأخذ بيد أحدهما، فقال: لك قرابة من رسول اللهصلى الله عليه وآله والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان فبايعه، فبايع له علي وولج أهل الدار فبايعوه" (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢٠٥ كتاب المناقب، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان). فصريح هذه الرواية أنّ بيعة عثمان تمّت ببعض أصحاب الشورى، وهناك مصادر كثيرة من أهل السنة نقلت هذه القصة؛ فلاحظ السنن الكبرى للبيهقي ج٨: ص١٥٠، وصحيح ابن حبان ج١٥: ص٣٥٥ وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٤٤: ص٤١٧ ورياض النضرة لمحب الطبري ج٣: ص٥٢ وأسد الغابة لابن الأثير ج٣: ص٣٨١، والمنتظم لابن الجوزي ج٤: ص٣٢١، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٥٠، وغيرها من المصادر السنيّة.

(١) انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢٠٥ كتاب المناقب، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان.

فإنّه يُعلم من قول عبدالرحمن كون إمارة عليعليه السلام وإمامته وإمارة عثمان وإمامته موقوفة على قوله[١]، وتمام الخبر أنّه قال لعثمان مثل ذلك، فلمّا أخذ الميثاق، قال: "ارفع يدك يا عثمان" فبايعه وبايع له عليعليه السلام انتهى[٢].

---

(١) وبعبارة أوضح إنّ الحديث صريح في أنّ طريقة انتخاب عثمان للخلافة كانت بالطريقة التي أملاها عمربن الخطاب على عبدالرحمن بن عوف، وجعل عبدالرحمن ذلك مناطاً لاختيار الخليفة فحسب، وقد أخرج هذا الحديث جميع أرباب الصحاح والمسانيد من أهل السنة بما فيهم البخاري ومسلم، وفيه أنّ عمر بن الخطاب اختار ستة من كبار الصحابة، كلهم يصلحون لتولي الأمر، وجعل مسؤولية اختيار خليفة المسلمين على عاتقهم. فكانت الشورى تدور بين هؤلاء الستّة، وفي الحديث دلالة واضحة على أن الخلافة وصلت لعثمان بهذه الطريقة المدبرة بتدبيرعمر بن الخطاب وعبدالرحمن بن عوف كما تقدمت الإشارة إليه، حيث أن طريقة التتعيين كانت محددة بما أمرهم عمر بن الخطاب، فلم يتجاوز الأمر من ذلك، ولو كان الأمر باختيار الستة بلا الزام ولا تحديد لأوكل الأمر إليهم بلا تدخل في كيفية الإنتخاب، فحديث البخاري صريح في أنّ عمربن الخطاب وضع بعض الضوابط والقوانين في الإنتخاب ليخرج من الستة من هو كان متعيناً عنده، وسنذكر تفصيل ذلك من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(٢) لا يخفى على الخبير أنّ قصة الشورى، وكيفية تولي عثمان الخلافة معتمدة على الرواية التي أخرجها البخاري في صحيحه، انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢٠٥ كتاب المناقب، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان. وقد تقدمت ذكرها، وفيها: أنّه بعد مقتل عمر بن الخطاب والانتهاء من دفنه، ذهب رهط الشورى وأعضاء مجلس المشورة، للإجتماع وللتشاور بينهم، أنّه فيمن يلي الخلافة، ففوض ثلاثة منهم ما لهم في ذلك إلى ثلاثة آخر، ففوض الزبير ما يستحقه من الإمارة إلى الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وفوض سعد ماله في ذلك إلى عبد الرحمن بن عوف وترك طلحة حقّه إلى عثمان بن عفان فقال عبد الرحمن للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وعثمان: "أيكما يبرأ ←

ولو توقفت إمامتهما على بيعة أهل الشوكة لقال لهما: من بايعه أهل الشوكة هو الذي يصير إماماً(١).

وثانيها: ما زعمه من مشاورة عبدالرحمن الصحابة في ذلك(٢)؛ فإنّه من عجيب المشاقات لله ورسوله صلى الله عليه وآله وغريب الغدر بالجهلة؛ فإنّ المشورة إنّما تجوز وتنفذ فيما لم يبين حكمه الله ورسوله صلى الله عليه وآله(١)

➔

من هذا الأمر فنفوض الأمر إليه؟" ثم قال عبد الرحمن: "إني أترك حقي من ذلك، واشترط بأنّ من يريد الخلافة يلزم عليه أن يحكُمَ فيهم بكتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسنّة الشيخين أبي بكر وعمر"، فلم يقَبلَ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هذا الشرط وقال :«على كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله»، ورفض سنّة الشيخين ولكن عثمان قَبِلَ هذه الشروط فبايعه عبد الرحمن بالخلافة، وبها تمت خلافة عثمان (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢٠٥ كتاب المناقب، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان). هذا ملخّص ما أجمع عليه علماء أهل السنة والجماعة، وعليه فإنّ هذا الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه، واعتمد عليه جميع أهل السنة والجماعة مخالف لما ادعاه ابن تيمية من أنّ خلافة عثمان كانت ببيعة أهل الشوكة؛ حيث أنّ الحديث صريح في أنّ تولية عثمان للخلافة كانت بتعيين الشورى الستة، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح: أنّه لو كانت بيعة المسلمين من شرائط الانتخاب في تولي خلافة عثمان، لذكره أولاً عمر بن الخطاب في الطريقة التي عيّنها لانتخاب الخليفة في الشورى، وثانياً: لذكره أعضاء الشورى حين التشاور، وثالثاً: لذكره البخاري في الرواية التي روى فيه قصة تولي عثمان للخلافة، وحيث لا يوجد شيئاً مما ذكره ابن تيمية في الروايات ولا في النصوص التاريخية فإنه دليل على عدم بيعة الناس له، فضلاً عما إدعاه ابن تيمية من أنّه بايعه أهل الشوكة، فلاحظ.

(٢) لا يخفى أنّ المصادر السنّية صريحة في أنّ خلافة عثمان كانت ببيعة أهل الشورى؛

➔

➔
وذلك باعتبار وصيّة عمر بن الخطاب حيث حدّد فيها طريقة الانتخاب ومدته، وعدد الأصوات الكافية لانتخاب الخليفة، وعقاب من يخالف أمر الجماعة المحددة في الشورى، ومنع الفوضى بحيث لا يسمحون لأحد يدخل أو يسمع ما يدور في المجلس، وقد تضمن المجلس ستة أشخاص، وهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله. وقد أمرهم أن يجتمعوا في بيت أحدهم ويتشاوروا وفيهم عبد الله بن عمر يحضر معهم مشيراً فقط وليس له من الأمر شيء، ويصلّي بالناس أثناء التشاور صهيب الرومي، وقال له: "أنت أمير الصلاة في هذه الأيام الثلاثة"، حتى لا يولي إمامة الصلاة أحداً من الستة فيصبح هذا ترشيحاً من عمر له بالخلافة. وحيث كان يعلم عمر بأنّ هؤلاء النفر على قلّتهم سيختلفون، ولذلك نراه - لحسم الخلاف - رجّح كفّه عبد الرحمن بن عوف فقال: إذا اختلفتُم فكونوا في الشقّ الذي فيه عبدالرحمن بن عوف، ونرى بعد ذلك بأنّهم اختاروا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ليكون خليفة، ولكنّهم اشترطوا عليه أن يحكم فيهم بكتاب الله وسنّة رسوله وسنّة الشيخين أبي بكر وعمر، وقَبِلَ عليّ عليه السلام كتاب الله وسنّة رسوله ورفض سنّة الشيخين، ولكن عثمان قبل هذه الشروط فبايعه عبد الرحمن بالخلافة، وبها تمت خلافة عثمان (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢٠٥ كتاب المناقب، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان). فصريح هذه الرواية أنّ بيعة عثمان تمّت ببعض اصحاب الشورى، وهناك مصادر كثيرة من أهل السنة نقلت هذه القصة؛ فلاحظ السنن الكبرى للبيهقي ج٨: ص١٥٠، وصحيح ابن حبان ج١٥: ص٣٥٥، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٤٤: ص٤١٧، ورياض النضرة لمحب الطبري ج٣: ص٥٢، وأسد الغابة لابن الأثير ج٣: ص٣٨١، والمنتظم لابن الجوزي ج٤: ص٣٢١، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٥٠ وغيرها من المصادر السنّية. فما زعمه ابن تيمية من مشاورة عبد الرحمن الصحابة في ذلك كذب صريح، وغدر بجهلة أهل السنة، الذين لم يراجعوا مصادر الحديث والتاريخ من علمائهم.

➔

(١) لا ريب في أنّ الشورى في الإسلام ليس لها دوراً حاسماً في اختيار الأمة؛ لأنّ الإسلام نظام كامل شامل للحياة، ولم يغفل عن تنظيم شؤون الحياة الانسانية الدنيوية والأخروية، من الشريعة والدين الواقعي.

ويتوضّح هذا بملاحظة النظم الاقتصادية والاجتماعية وتحديد أساليب السلوك الفردي والإجتماعي وتنظيم الأمور العائلية وغير ذلك. بل تدخل في هذا النظام الاسلامي جميع الشؤون الدينية من ضروريات الدين أو الفقه -على أقلّ تقدير - وهذا أمر الذي لا ينكره إلا مكابر، ومع هذا كيف نتصور إنّ الاسلام قد غفل جانب الحكم والإمامة، مع أنّها من أهم المسائل الحياتيّة للمجتمع الذي عمل على بنائه ووضع أسسه.

نعم يصف القرآن الكريم مجتمع المؤمنين بأن تكون من شؤونهم الخاصة الشورى في الأمر الذي يرتبط بهم؛ فقال تعالى: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾ (سورة الشورى:٣٨)، تشير الآية الكريمة إلى أنّ الشورى قضية اجتماعية المهمة في الصلح والحرب والأمور المهمة الأخرى، فالإنسان الواحد مهما كان قويّاً في فكره وبعيداً في نظره، إلا أنّه ينظر للقضايا المختلفة من زاوية واحدة أو عدة زوايا، وستختفي عنه الزوايا والأبعاد الأخرى، إلا أنّه بالتشاور حول القضايا المختلفة تقوم العقول والتجارب المختلفة بمساعدة بعضها البعض، وعند ذلك ستتوضح الأمور وتقل العيوب والنواقص وتقل المشاكل، إلاّ أنّ هناك بعض الامور لابّد من ملاحظتها:

أ- الشورى تختص بالأعمال التنفيذية ومعرفة الموضوع، وليست لمعرفة الأحكام؛ لأنّ الأحكام يجب أن تؤخذ من مصدر الوحي ومن الكتاب والسنة، وعبارة (أمرهم) في قوله تعالى: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾ (سورة الشورى:٣٨) تشير إلى هذا المعنى أيضاً، لأن الأحكام ليست من شأن الناس، بل هي من أمر الخالق. ولذا فلا أساس لما يقوله بعض المفسرين كالآلوسي من أن الشورى تشمل الأحكام أيضاً، حيث لا يوجد نصّ خاصّ بذلك، خاصّة وأنّنا نعتقد بعدم وجود أي أمر في الإسلام ليس له نص عام أو خاص صادر بشأنه، وإلا فما فائدة قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ**

➔

➔
نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (سورة المائدة:٣).

ب- قال بعض المفسرين إن شأن نزول عبارة: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ خاص بالأنصار حيث أنّ سورة الشورى مكّيّة، والآيات التي أعلاه نزلت في مكة كما يظهر منها أيضاً، فنزلت الآية بخصوص الأنصار الذين آمنوا قبل هجرة النبيﷺ وبايعوه في (العقبة)، إما لأن أعمالهم قبل الإسلام كانت وفقاً للشورى، أو هي إشارة إلى تلك المجموعة من الأنصار الذين آمنوا قبل هجرة النبيﷺ. وعليه تخص الآية بموردها الخاصة، فلا تعم غيرها.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (سورة آل عمران:١٥٩)، فإنّها أيضاً لا يدلّ على العموم؛ ومن أجل وضوح أمر لابد من ملاحظة الأمور التالية:

أولاً: إن المقصود بكلمة الأمر ليس على نحو الإطلاق والعموم بمعنى كل أمر؛ إذ أن النبيﷺ لم يكن يفعل ذلك.. فلم يكن يشاوروا في جميع الأمور كلها، كما أنهﷺ لم يشاورهم في أمر الخلافة، ولم يشاور أحداً في من يجعله خليفة له من بعده.

بل المقصود: هو أمر الحرب، فتكون الألف واللام في كلمة (الأمر) للعهد، لا الجنس؛ لأنّ الآيات السابقة واللاحقة لهذه الآية تتحدث عن الحرب دون سواها، فالتعدي عن ذلك إلى غيره يحتاج الى الدليل، واعتبار (ال) للجنس، للقول بأنّ الحكم بخصوص الحكم والحاكمية يحتاج إلى دليل، بل ظاهر الآية تمنع أن تكون للجنس فتكون (ال) عهدية.

ثانياً: إنّ الآية وإن كانت توجب المشاورة، لكنّها لا توجب الطاعة منه لهم فيما يشيرون به عليه، والإنصياع لرأيهم فيه. بل هي تعطيه حق اتخاذ القرار دونهم. فقد قالت: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾، ولا توجب عليه الإنصياع لا للأكثريّة ولا للأقلّيّة، أو للإجماع لو حصل، بل توجب عليه أختيار الرأي المناسب، سواء صدر من الأقلّيّة أو الأكثريّة، أو لم يصدر من أي منهم.

ثالثاً: تضمنت الآية ما يشير إلى أن هذه المشاورة قد جاءت على سبيل التأليف والتودد، بعد
➔

➔

أن صدر من المسلمين ما يحتاج إلى العفو عنهم، والتسامح واللين معهم، والإستغفار لهم. وأن لا يعاملهم بما يستحقونه. فقد قال تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**﴾ (سورة آل عمران:١٥٩)، فتقول: إن الأمر بالمشاورة لهم بعد صدور هذه الأفعال والقبائح، إنّما هو أمر عقيب توهم الحظر، إذ قد يتوهّم: أنّ أمثالهم لا تصح مشاورتهم، ولا الرفق بهم، ولا التودد لهم. فرفع الله تعالى عن نبيهﷺ هذا الحظر، وقال له: لا مانع من أن تفعل ذلك. والأمر عقيب توهّم الحظر لا يفيد أكثر من رفع الحظر عن الفعل.

رابعاً: ويدلّ على تقدم من عدم كون المشورة ملزمة: ما روي من أن الله ورسولهﷺ غنيان عن المشاورة (انظر الدر المنثور للسيوطي ج٢: ص٩٠). فأفاد ذلك: أن مشاورته لهم إنّما هي لمصلحة تعود إليهم هم، وهي تأليفهم، وإعادة الإعتبار إليهم، وبث الثقة في نفوسهم وما إلى ذلك.

خامساً: إن الآية تتحدث عن مشاورة الحاكم لرعيته، ولا تتحدث عن إنتاج السلطة من خلال الشورى كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾ فإنّ هذا الأمر ليس إلا أمراً تعليمياً أخلاقياً، وليس إلزامياً بحيث التخلف عنه يوجب العقاب، وإنما يمكن أن يوجب عدم الإلتزام بمقتضاه وقوع الإنسان في بعض الأخطاء، فيكون عليه هو أن يتحمل آثارها، ويعاني من نتائجها فالضمير في قوله تعالى: ﴿**أَمْرُهُمْ**﴾ يرجع إلى المؤمنين، والمراد به الأمر الذي يرتبط بهم؛ أي أن الشورى تكون في الأمور التي يرجع البيت والقرار فيها إلى المؤمنين وتكون من شؤونهم الخاصة بهم، وليس للشرع فيها إلزام أو مدخلية، كما في أمور معاشهم ونحوها، مما يفترض في الإنسان أن يقوم هو به. أما إذا كان ثمة قرار شرعي فمورد الحكم، والسياسة، والإدارة، وغير ذلك، لا يمكن أن يكون شورائياً، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ**

➔

وقـد علـم الـصحابة بأسـرهم مـن بيانـات الرسـولﷺ العديـدة إن

➔

﴿الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (سـورة الأحـزاب: ٣٦)، فنعلم أن روح الإسلام التسليم، ويجب أن يكون تسليما لأمر الله تعالى بدون قيـد أو شرط، وقد ورد هذا المعنى في آيات مختلفة من القرآن الكريم، وبعبارات مختلفة، ومـن جملتها الآية أعلاه، والتي تقول: بل يجب أن يجعلوا إرادتهم تبعاً لإرادة الله تعـالى، كمـا أن كل وجودهم من الـشعر حتـى أخمـص القـدمين مـرتبط بـه ومـذعن لـه فقولـه تعـالى: (قضى) هنا تعني القضاء التشريعي، والقانون والأمـر والحكـم والقـضاء، ومـن البـديهي أن الله تعالى غني عن طاعة الناس وتسليمهم، ولم يكـن النبـيﷺ ينظر بعـين الطمـع لهـذه الطاعة، بل هـي فـي الحقيقـة لمـصلحتهم ومنفعـتهم، فـإنّهم قـد يجهلونهـا لكـون علمهـم وآفاتهم محدودة، إلا أن الله تعالى يعلمها فيـأمر نبيـهﷺ بإبلاغهـا إن هـذه الحالـة تـشبه تماماً حالة الطبيب الماهر الذي يقول للمريض: إنّني أبـدأ بعلاجـك إذا أذعنـت لأوامـري تماماً، ولم تبد أي مخالفة تجاهها، وهذه الكلمات تبيّن غاية حـرص الطبيـب علـى عـلاج مريضه، والله تعالى أسمى وأرحم بعباده من مثل هذا الطبيب، ولـذلك أشـارت الآيـة إلـى هذه المسألة في نهايتها، حيث تقول ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً.

فسوف يضلّ طريق السعادة، ويسلك طريق الضلال والـضياع، لأنّـه لـم يعبـأ بـأمر رب الكـون الرحيم، وبأمر رسولهﷺ، ذلك الأمر الضامن لخيره وسـعادته، وأيـة ضـلالة أوضـح مـن هذه؟

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ﴾ وغيرها من الآيات التـي صـرحت بـأنّ الأمـور الدينية لا بدّ وأن تكون بأمر الله ورسولهﷺ.

وعليه فإنّ المشورة إنّما تجوّز وتنفّذ فيما لم يبـيّن حكمـه الله ورسـولهﷺ وأمّـا الأمـور التـي بيّنها الله تعالى كالإمامة لا تجوز المشورة فيها، فلاحظ.

الخليفة من بعده على أمته من جعله أخاه دون غيره منهم(١)

---

(١) هذه العبارة اشارة إلى حديث المؤاخاة، الذي رواه علماء الحديث والسيرة من الفريقين، ولا يخفى على الخبير ما له من الأهمية البالغة في الإسلام؛ إذ حديث المؤاخاة من الأحاديث التي أجمعت المصادر التأريخية على روايته لأنّ المؤاخاة من الأعمال الإبداعية المهمة في التأريخ الإسلامي والسيرة النبوية العطرة، وكان من أولى الدعائم التي اعتمدها الرسول صلى الله عليه وآله في رسالته الشريفة واستخدمها في دعوة الى الله، واستمرار الرسالة السماوية، حيث آخى صلى الله عليه وآله بين كل واحد من أصحابه ونظيره في الأوصاف والخصوصيات من المعرفة والإيمان والتقوى والنفاق وغير ذلك، فآخى بين سلمان وأبي ذر وبين عمّار وحذيفة وبين أبي بكر وعمر وبين عثمان وعبدالرحمن بن عوف وبين طلحة والزبير و....، ثم آخى بينه وبين الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وهذا الحديث مروي عن عشرات من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ورواه عنهم عشرات من التابعين، كما رواه علماء الإسلام في كتبهم، وإليك جملة ممن روى هذا الحديث من كبار علماء أهل السنة: فقد أخرجه الحاكم النيسابوري بسنده عن ابن عمر قال: "لما ورد رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة آخى بين أصحابه، فجاء علي عليه السلام تدمع عيناه فقال: «يا رسول الله، آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة» (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٤)، ورواه الترمذي في سننه ج٥: ص٣٠٠، وابن عبد البر في الاستيعاب ج٣: ص١٠٩٩، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١٣: ص٢٢٧، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٩٦، والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٢٤، وغيرهم، يقول محبّ الدين الطبريّ بعد نقل هذا الحديث: رواه الترمذيّ بسنده المتّصل، وقال: حديث حَسَن. وأخرجه البغويّ أيضاً في المصابيح وعدّه من الاحاديث الحسان.

وأخرج الطبراني بسنده عن جابربن عبدالله الانصاريّ قال: «على باب الجنّة مكتوب: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، عليّ أخو رسول الله» (انظر المعجم الوسطى ج٥: ص٣٤٣)؛ ورواه المحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٢٥، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ←

➔

ج٧: ص٢٩٨، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٥٩، وغيرهم.

وأخرج أحمد بن حنبل في المناقب بسنده عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «مكتوب على باب الجنّة: محمّد رسول الله، عليّ أخو رسول الله، قبل أن تخلق السماوات والأرض بألفي سنة» (انظر المناقب: ص ٢٨). ورواه المحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٢٥ وغيره.

وأخرج ابن المغازليّ الشافعيّ بسنده عن زيد بن أرقم أنّه قال: « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «إني مواخ بينكم كما آخى الله تعالى بين الملائكة»، ثم قال لعلي: «أنت أخي ورفيقي»، ثم تلا هذه الآية: «﴿**إِخْواناً على سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ**﴾ الأخلاَّءُ في اللَه يَنظُرُ بَعْضُهُمْ إلى بَعضٍ» (انظر المناقب لابن المغازلي: ص٤٢).

وأخرج ابن الصبّاغ المالكيّ عن ضياء الدين الخوارزميّ عن ابن عبّاس أنّه قال: رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «أنت أخي في الدنيا والآخرة»، ومن مناقب ضياء الدين الخوارزمي عن ابن عبّاس قال: لمّا آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه من المهاجرين والأنصار - وهو أنّه صلى الله عليه وآله آخى بين أبي بكر وعمر، وآخى بين عثمان وعبد الرحمن بن عوف، وآخى بين طلحة والزبير، وآخى بين أبي ذرّ الغفاري والمقداد (رضوان الله عليهم أجمعين) - ولم يؤاخ بين عليّ بن أبي طالب وبين أحد منهم، خرج عليّ مغضباً حتّى أتى جدولاً من الأرض وتوسّد ذراعه ونام فيه تسفي الريح عليه، فطلبه النبيّ صلى الله عليه وآله فوجده على تلك الصفة، فوكزه برجله، وقال له: «قم فما صلحت أن تكون إلا أبا تراب، أغضبت حين آخيتُ بين المهاجرين والأنصار ولم أُواخِ بينك وبين أحد منهم؟! أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي؟! ألا من أحبّك فقد حُفّ بالأمن والإيمان ، ومن أبغضك أماته الله ميتةً جاهلية» (انظر الفصول المهمة: ص٢٢٠).

وأخرج أحمد بن حنبل، بسنده عن عمر بن الخطاب قال: «إنّ النبي آخى بين الناس وترك علياً، حتى بقي آخرهم لا يرى له أخاً، فقال عليه السلام: «آخيت بين الناس وتركتني؟» قال صلى الله عليه وآله: «ولِمَ تراني تركتك؟ إنّي تركتك لنفسي، أنت أخي وأنا أخوك، فإن ذاكرك

🡐

←

ـ ناقشك ـ أحد فقل: أنا عبد الله، وأخو رسوله، لا يدّعيها بعدي إلا كذّاب» (فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢: ص٦١٧ ح١٠٥٥، وفي كتاب المناقب له: ص ١٢٠ ح١٧٧)، ورواه المحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٢٥. فحديث المؤاخاة من الأحاديث الثابتة عند علماء أهل السنة . قال العلامة الأميني في كتابه الغدير: "عجباً للصلافة التي تحدو الانسان لأن يقول: لا يصح غير حديث حسبه صحيحاً ويجهل مفاده أو يعلم ويحب أن يغري الأمة بالجهل، ثم يعطف على حديث اعترفت به الأمة جمعاء وجاء مثبتا في الصحاح والمسانيد ويراه باطلاً. أهكذا حب الشيء يعمي ويصم؟!! هذه الأخوة بالمعنى الخاص الثابتة لأمير المؤمنين مما يخص بهعليه السلام ولا يدعيها بعده إلا كذاب على ما ورد في الصحيح كما يأتي، وكانت مطردة بين الصحابة كلقب يعرف به ، تداولته الأندية، وحوته المحاورات، ووقع الحجاج به، وتضمنّه الشعر السائر، ولو ذهبنا إلى جمع شوارد هذا الباب لجاء منه كتاب ضخم غير أنا نختار منها نبذا آخى رسول اللهصلى الله عليه وآله بين أصحابه فآخى بين أبي بكر وعمر وفلان وفلان فجاءه عليعليه السلام فقال: «آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد»، فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «أنت أخي في الدنيا والآخرة»" (الغدير ج٣: ص١١٣).

أقول: ومن يراجع التاريخ، يلاحظ بأنّ عمر بن الخطاب هو أوّل من أنكر أخوة النبيصلى الله عليه وآله والإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام؛ وذلك عندما عندما هجم على بيت الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وأحرق باب الدار وكسر ضلع الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراءعليها السلام وجعل يجر ويسحب الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام إلى المسجد لأخذ البيعة بالقوة والقهر كما جاء في كتب التاريخ (انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ص١٩ — ٢٢).

أمّا الاستدلال بحديث المؤاخاة على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فواضح؛ لأنّ النبيصلى الله عليه وآله لم ير من أصحابه من يكون نظيره في جميع خصوصياته وصفاته الحميدة غير مولى الموحد الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فقد وجده وحيداً الذي يكون لائقاً لهذا المقام العظيم أعني الأخوة لرسول اللهصلى الله عليه وآله، وإذا كان الإمام

→

ومن جعله منه بمنزلة هارون من موسى في غير النبوة[(١)]

أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أخو الرسول صلى الله عليه وآله معناه أنّه نظيره في جميع خصوصياته وصفاته الحميدة، وإذا كان كذلك فمعناه أنّه بعد ارتحال النبي صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى هو الوحيد الذي يليق بالخلافة حيث أنّه الجامع لجميع صفاته الحميدة الموجودة في النبي صلى الله عليه وآله فبالدليل والنص أنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا شك أنّ الإمام والخليفة لابد وأن يكون أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فحديث المؤاخاة يدل على إمامة مولانا الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، فلاحظ.

(١) هذه العبارة اشارة إلى حديث المنزلة، وهو من الأحاديث الصحيحة المعروفة المشهورة عند أهل السنّة، وقد أخرجها جميع أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد، كما أنّ أهل السير والأخبار أرسله إرسال المسلمات؛ لأنّه رواه أكثر من ثلاثين صحابياً عن النبي صلى الله عليه وآله، وربّما يبلغون الأربعين إن أضفنا اليهم النساء كأم سلمة، وأسماء بنت عميس ونحوهما من الصحابيّات، وأمّهات المؤمنين. يقول إبن عبد البر: "هذا الحديث من أثبت الأخبار، وأصحّها، وطرق حديث سعد بن أبي وقاص كثيرة جداً..."، (ثم ذكر) عدة من الصحابة الذين رووا هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله...، ثم قال: "وجماعة يطول ذكرهم" (انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص١٠٩٧).

وذكر ابن حجر -عند شرح الحديث- أسماء عدة من الصحابة الذين رووا حديث المنزلة، (ثم قال) وقد استوعب طرقه ابن عساكر في ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.. (لاحظ فتح الباري في شرح البخاري ج٧: ص٦٠). ويقول الحاكم النيسابوري: وهذا الحديث دخل حد التواتر.. (انظر كفاية الطالب للحافظ الكنجي: ص٢٨٣، نقلاً عن الحاكم النيسابوري).

وقد أخرج البخاري ومسلم حديث المنزلة باسنادهما عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وآله قال للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون

➔

من موسى، إلا أنّه لا نبي بعدي» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢٠٨ كتاب المناقب، باب فضائل المهاجرين وفضلهم، ج٥: ص١٢٥ كتاب المغازي، باب غزوة تبوك وصحيح مسلم ج٧: ص١٢٠ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام)، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص١٧٧، وابن ماجة في سننه ج١: ص٤٣ ح١١٥، والترمذي في سننه ج٥: ص٣٠٢ ح٣٨٠٨، وغيرهم.

وأخرج الخطيب البغدادي في تاريخه هذا الحديث، حيث قال صلى الله عليه وآله: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي، ولو كان كنته» (انظر تاريخ بغداد ج٤: ص٥٦) ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص١٧٦ وأخرج الخطيب البغدادي أيضاً يسنده عن عمر بن الخطاب: "أنّه رأى رجلاً يسب علياً عليه السلام، فقال عمر: إنّي أظنّك منافقاً، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّما علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي» (انظر تاريخ بغداد ج٧: ص٤٥٣)، فالحديث من جهة السند في غاية الصحّة عند أهل السنة.

وأمّا من جهة الدلالة، فهو نصّ قاطع في خلافة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل؛ لأنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بيّن في هذا الحديث: أنّ جميع منازل هارون من موسى، أي جميع الفضائل والمناقب الثابتة لهارون من موسى في بني إسرائيل، تكون ثابتة للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالنسبة إلى نفسه صلى الله عليه وآله إلا النبوة، فلابدّ أن نبحث عن جميع تلك المنازل لنعرف معنى كلام رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فإنّ لفظ الحديث عام، والاستثناء «إلا أنه لا نبي بعدي» يؤكد هذه العموميّة، ولا يوجد أي قيد أو شرط في هذا الحديث يخصّصه ويقيّده، يوى ما استثناه النبي صلى الله عليه وآله. وعلى هذا الأساس يمكن أن يستفاد من هذا الحديث الأمور التالية:

١- إنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أفضل الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وآله كما كان لهارون مثل هذا المقام؛ لأنّ هارون عليه السلام كان أفضل الناس بعد موسى عليه السلام قال الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً﴾ (سورة مريم:٥٣).

➔

ومن دعا له بأن ينصر الله من ينصره ويخذل الله من خذله[١]

➔

٢- إنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وزير النبيصلى الله عليه وآله ومعاونه الخاص وعضده، وشريكه في قيادته؛ لأنّ القرآن أثبت جميع هذه المناصب لهارون عندما يقول حاكياً عن موسى قوله: ﴿**وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي* هَارُونَ أَخِي* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾ (سورة طه:٢٩- ٣٢).

٣- إنّه كان للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام مضافاً إلى الأخوة الإسلامية العامّة مقام الأخوة الخاصّة والمعنويّة للنبيّصلى الله عليه وآله.

٤- إنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام كان خليفة رسول اللهصلى الله عليه وآله ومع وجوده لم يكن أي شخص آخر يصلح لهذا المنصب.

هذه المنازل التي يخبر رسول اللهصلى الله عليه وآله في حديث المنزلة جميعها للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام والفارق الوحيد بين الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وهارون هو أنّ هارون كان نبياً والإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام كان إماماً وخليفة بعد النبيصلى الله عليه وآله لأنّ النبوة ختمت بنبي الإسلامصلى الله عليه وآله ولذلك ورود في الحديث الذي رواه الخطيب البغدادي: «ولو كان كنته» (انظر تاريخ بغداد ج٤: ص٥٦).

فحديث المنزلة بضميمة الآيات يدلّ بالصراحة على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فلاحظ.

(١) هذه العبارة اشارة إلى دعاء النبيصلى الله عليه وآله في حديث الغدير المتواتر بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم ونحلهم، كما لا يخفى على الخبير أهميّة هذا الحديث؛ من حيث ما يترتب عليه أساس الدين وقوام شريعة خير المرسلينصلى الله عليه وآله فلا يستريب أي ذي مسكة في أن شرف الشيء بشرف غايته، فعليه إن أوّل ما تكسبه الغايات أهمية كبرى من مواضيع هو ما أسّس عليه دين، أو جرت به نحلة، فإنّ واقعة (غدير خم) هي من أهمّ تلك القضايا التي يترتّب عليها استمرار الرسالة الإلهيّة، ولأهميّة هذه الواقعة رفع النبي الأكرمصلى الله عليه وآله

🡐

➔

يديه إلى السماء في ذلك الحشد الرهيب يوم غدير خم بعد تنصيب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام علماً للإمامة والخلافة، ودعى بهذا الدعاء: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه وانصر من نصره، واخذل من خذله....»، ودعاء النبيصلى الله عليه وآله مستجاب لا محالة.

وقد روى هذا الحديث كبار علماء أهل السنة، وجمعها العلامة الأميني في كتابه الغدير، وأثبت تواتر الحديث في كل طبقة من رواته، وقد أنهى الطرق من كتب أهل السنة الى مائة وعشرين صحابيّاً، وتسع وثمانين تابعيّاً، وثلاثة آلاف وخمسمائة من العلماء والمحدثين والمصنفين من أهل السنة الذين رووا هذا الحديث (انظر الغدير ج١: ص١٢ — ٣٣٥).

وقد اعترف ابن حجر الهيثمي وهو من الكبار علماء اهل السنّة، بأن اكثر من ثلاثين شخصاً من الصحابة نقلوا حديث الغدير مع هذه العبارة «اللهم وال من والاه . . .» وهذا نص عبارته: الحديث الرابع قالصلى الله عليه وآله يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» الحديث وقد مر. . أنه رواه عن النبيصلى الله عليه وآله ثلاثون صحابيا (انظر الصواعق المحرقة ج٢، ص٣٥٣ و٣٥٥، الفصل الثاني: في فضائل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام).

وكذلك العجلوني الذي هو من الكبار علماء أهل السنة، فإنّه قد كشف الخفاء فيما صرح به في المقام وهذا نص عبارته: «من كنت مولاه فعلي مولاه» رواه الطبراني وأحمد والضياء في المختارة عن زيد بن أرقم وعليّ وثلاثين من الصحابة بلفظ « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» فالحديث متواتر أو مشهور (انظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث علي ألسنة الناس، لإسماعيل بن محممد العجلوني الجراحي المتوفى ١١٦٢هـ ج٢: ص٣٦١).

وجمال الدين الزيلعي أيضاً هو من كبار علماء أهل السنة، يذكر أسماء أكثر من عشرة أشخاص من الصحابة ويقول: الحديث التاسع: (إلى أن قال): وذلك لدعوة نبينا «اللهم عاد

➔

➔

من عاداه» قلت: روى من حديث زيد بن أرقم ومن حديث البراء بن عازب ومن حديث سعد بن أبي وقاص ومن حديث طلحة بن عبيد الله وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وأنس بن مالك وابن عمر وجرير بن عبد الله البجلي وجابر بن عبد الله وحذيفة بن أسيد الغفاري وحبشي بن جنادة...، ثم وقع لي في كتاب الموالاة للحافظ أبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن عقدة فوجدته رواه عن جماعة آخرين من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين (انظر تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى ٧٦٢هـ)، ج٢: ص٢٣٤-٢٤٤).

وابن عبد البرّ أيضاً يذكر عدة من الصحابة الذين سمعوا هذه العبارة عن رسول الله صلى الله عليه وآله ونقلوها: وروى بريدة وأبو هريرة وجابر والبراء بن عازب وزيد بن أرقم كلّ واحد منهم عن النبي صلى الله عليه وآله، أنّه قال يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» (انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (المتوفى٤٦٣)، ج٣: ص١٠٩٩).

والتلمساني أيضاً يذكر عدّة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، الذين سمعوا هذه الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ونقلوها. وروى بريدة بن الحصيب وأبو هريرة والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وجابر بن عبد الله الأنصاريّ كلّ واحد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه» (انظر الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، محمد بن أبي بكر الانصاري التلمساني المعروف بالبري (المتوفى: ٦٤٤هـ)، ج١: ص٢٩٣).

وهل يستطيع أحد من علماء أهل السنة أن تصور أنّ هذه العدة من الصحابة كلهم يكذبون؟!!!!!

نعم قد أنكره ابن تيمية كإنكاره لأكثر ضروريات الدين، ونحن نذكرهنا جملة من علماء أهل السنة الذين نقلوا حديث الغدير مع هذا الدعاء من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «اللهم وال من

➔

➔

والاه...» وهم على قسمين:

الأوّل: العلماء الذين هم عاشوا قبل ابن تيمية والثاني: العلماء الذين هم بعد ابن تيمية وإليك نماذج منهم:

أمّا علماء أهل السنة الذين هم قبل ابن تيمية ورووا حديث الغدير وهذا الدعاء من النبي الأكرمﷺ: «اللهمّ والِ من والاه وعاد من عاداه...»:

١- ابن أبي شيبة، أستاذ البخاري (المتوفى ٢٣٥هـ) (انظر الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، ج٢: ص٦٨٢، وج٦: ص٣٦٨ ح٣٢٠٩١)

٢- أحمد بن حنبل امام الحنابلة (المتوفي٢٤١هـ) فى كتابيه مسند أحمد وفضائل الصحابة؛ (انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ج١: ص ١١٨)

٣- ابن ماجه القزويني (المتوفى٢٧٥هـ) فى سننه أحد الصحاح الستّة اهل السنة (انظر سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني ج١: ص ٤٣)

٤- أبوبكر البزار (المتوفى٢٩٢هـ) فى مسنده (انظرالبحر الزخار (مسند بزار) لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، ج١٠: ص٢١١)

٥- النسائي(المتوفى٣٠٣هـ) فى كتاب السنن الكبرى وأيضاً فى خصائص اميرالمؤمنين عليه السلام (انظر السنن الكبرى، لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (المتوفى٣٠٣هـ)، ج٥:ص٤٥، وخصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، لأحمد بن شعيب النسائي أبو عبد الرحمن(المتوفى٣٠٣هـ) ج١: ص٩٦)

٦- أبويعلى الموصلي (المتوفى٣٠٧هـ) فى مسنده (انظر مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، ج١: ص٤٢٨ وج١١: ص٣٠٧)

٧- الطحاوي (المتوفى٣٢١هـ): فى كتاب شرح مشكل الآثار (انظر شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ج٥: ص١٨ و١٩)

٨- ابن حبان (المتوفى٣٥٤هـ) فى صحيحه (انظر صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد

➔

➔

بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (المتوفى :٣٥٤هـ) ج١٥: ص٣٧٥)

٩- الطبراني (المتوفى ٣٦٠هـ) في المعجم الكبير والمعجم الاوسط (انظر المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، ج٥: ص١٦٦، دار النشر: مكتبة الزهراء - الموصل - ١٤٠٤ - ١٩٨٣)

١٠- الحاكم النيسابوري (المتوفى ٤٠٥هـ) في المستدرك (انظر المستدرك علي الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ج٣: ص ١١٨)

١١- الثعلبي (المتوفى ٤٢٧هـ) في تفسيره (انظر الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ج٤: ص١٢٦)

١٢- الجرجاني (المتوفى ٤٩٩هـ) في الامالي (انظر كتاب الأمالي وهي المعروفة بالأمالي الخميسية، المرشد بالله يحيي بن الحسين بن إسماعيل الحسني الشجري الجرجاني ج١: ص١٩٢)

١٣ - ابن عساكر (المتوفى ٥٧١هـ) في تاريخ مدينة دمشق (انظر تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل ، أبي القاسم علي بن الحسن إبن هبة الله بن عبد الله الشافعي ج ٤٢ : ص٢٠٩)

١٤- ابن أثير الجزري (المتوفى ٦٣٠هـ) في أسد الغابة (انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ج٣: ص٤٨٤)

١٥- المقدسي (المتوفى ٦٤٣هـ) في الأحاديث المختارة (انظر الأحاديث المختارة، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي ج٢، ص١٠٦) وغيرهم. فهؤلاء عدّة من العلماء الذين عاشوا، سنين وبل قرون قبل ولادة ابن تيمية، لهم باب مستقل لدعاء الرسول صلى الله عليه وآله: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه...» في حق امير المؤمنين عليه السلام، في كتبهم، وجمعوا الروايات المرتبطة، بها في ذيل حديث الغدير وعلى سبيل المثال، نذكر مثالين:

ألف: ابن حبان (المتوفى ٣٥٤هـ) العالم الشهير من أهل السنة:

🡐

➔

ذكر دعاء الرسول الأكرمﷺ بالولاية لمن والى الإمام امير المؤمنينعليه السلام والمعاداة لمن عاداه: «أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا أبو نعيم ويحيى بن آدم قالا: حدثنا فطر بن خليفة عن أبي الطفيل قال: قال علي: «أنشد الله كل امرئ سمع رسول اللهﷺ يقول يوم غدير خم لما قام»، فقام أناس فشهدوا أنهم سمعوه يقول: «ألستم تعلمون أني أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فإن هذا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، فخرجت وفي نفسي من ذلك شيء، فلقيت زيد بن أرقم فذكرت ذلك له فقال: قد سمعناه من رسول اللهﷺ يقول ذلك له (انظر صحيح محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (المتوفى ٣٥٤)، ج١٥: ص٣٧٥).

ب: أبو بكر الآجري(المتوفى ٣٦٠هـ): في كتابه الشريعة، باب ذكر دعاء النبيﷺ لمن والى الإمام امير المؤمنين على بن أبي طالبعليه السلام وتولاه ودعائه على من عاداه: «حدثنا أبو محمد عبد الله بن العباس الطيالسي، قال: حدثنا محمد بن موسي الحرشي، قال: حدثنا عثمان بن علي قال: حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطية، عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله: «من كنت مولاه فعلي مواه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه» (انظر كتاب الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري ج٤: ص٢٠٤٩). وإلى غير ذلك من علماء أهل السنة الذين رووا هذا الحديث. وكثيرمن هؤلاء العلماء الذين عاشوا قبل ابن تيمية قد اعترافوا بصحة سند هذا الحديث، واعتبار رواياتهم وعلى سبيل المثال نكتفى بذكر ثلاثة موارد منهم:

أ: أبو جعفر الطحاوي (المتوفى٣٢١هـ): وهو الذي يقول فيه الذهبي: الإمام العلامة الحافظ الكبير محدّث الديار المصريّة وفقيهها أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي صاحب التصانيف... (انظر سير أعلام النبلاء ج١٥: ص٢٧)؛ الطحاوي يقول: حدّثنا أحمد بن شعيب قال: أخبرنا محمد بن المثنى قال: حدثنا يحيى بن حماد قال: حدثنا أبو عوانة عن سليمان يعني إلاعمش

➔

➔

قال: حدثنا حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم، قال: لمّا رجع رسول الله صلى الله عليه وآله عن حجة الوداع ونزل بغدير خم أمر بدوحات فقممن، ثم قال: «كأني دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض»، ثم قال: «إن الله عز وجل مولاي ، وأنا ولي كل مؤمن»، ثم أخذ بيد علي عليه السلام فقال: «من كنت وليّه فهذا وليّه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»، فقلت لزيد: سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله؟، فقال: ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينيه، وسمعه بأذنيه، قال أبو جعفر: فهذا الحديث صحيح الإسناد، لا طعن لأحد في أحد من رواته (انظر شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ج٥: ص١٨ و١٩).

ب: الحاكم النيسابوري (المتوفى ٤٠٥هـ): حدّثنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن تميم الحنظلي ببغداد ثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي ثنا يحيي بن حماد، وحدّثني أبو بكر محمد بن بالويه وأبو بكر أحمد بن جعفر البزار قالا: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدّثني أبي ثنا يحيي بن حماد وثنا أبو نصر أحمد بن سهل الفقيه البخارى ثنا صالح بن محمد الحافظ البغدادي ثنا خلف بن سالم المخرمي ثنا يحيي بن حماد ثنا أبو عوانة عن سليمان الأعمش قال: ثنا حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم (رضي الله عنه) قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقمن فقال: «كأني قد دعيت فأجبت إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله تعالي وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يتفرقا حتي يردا علي الحوض»، ثم قال: «إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن» ثم أخذ بيد علي عليه السلام فقال: «من كنت مولاه فهذا وليّه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، وذكر الحديث بطوله هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله شاهده حديث سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل أيضاً صحيح علي شرطهما (انظر المستدرك علي الصحيحين، لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري (المتوفى ٤٠٥ هـ)، ج٣، ص١١٨).

➔

➔

ج: أبوطاهر المقدسي (المتوفى٦٤٣هـ): أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي إجازة قال: أنا أبو الفتح محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن الحارث المعلم فيما قرأت عليه من أصل سماعه، حدثكم أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن محمد بن سعيد الرازي، إملاء ثنا أبو الحسن علي بن حسان بن القاسم الجديلي ببغداد ثنا أبو جعفر محمد بن عبدالله بن سليمان الحضرمي ثنا محمود بن غيلان ثنا الفضل بن موسي السيناني ثنا الأعمش عن سعيد بن وهب قال: قال علي عليه السلام: أنشد الله من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم: «الله وليّي وأنا وليّ المؤمنين، من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره» قال: فقال سعيد: فقام إلي جنبي ستة قال: فقال زيد بن يثيع: قام من عندي ستة سئل الدارقطني عنه فقال: حدث به الأعمش وشعبة وإسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب عن علي وذكر ما فيه من الإختلاف، قال: وأشبهها بالصواب قول الأعمش وشعبة وإسرائيل ومن تابعهم وقد روي نحو هذا عن عبدالرحمن بن أبي ليلي عن علي عليه السلام (إسناده صحيح) (انظر الأحاديث المختارة، لأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي المتوفى: ٦٤٣هـ، ج٢: ص١٠٦).

وبه حدّثنا عبد الله بن أحمد ثنا علي بن حكيم الأودي أنا شريك عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب وعن زيد بن يثيع قالا نشد عليّ عليه السلام في الرحبة من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم إلا قام، قال: فقام من قبل سعيد ستة ومن قبل زيد ستة، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي يوم غدير خم: «اليس الله أولي بالمؤمنين» قالوا: بلى، قال صلى الله عليه وآله: «اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» (إسناده حسن) (انظر الأحاديث المختارة ج٢: ص١٠٥).

وأخبرنا عبدالله بن أحمد الحربي بها أن أبا القاسم هبة الله بن الحصين أخبرهم قراءة عليه أنا أبو علي بن المذهب أنا أبو بكر القطيعي ثنا عبدالله بن أحمد حدثني أبي ثنا حسين بن محمد وأبو نعيم المعني قثنا فطر عن أبي الطفيل قال: جمع علي بن أبي طالب عليه السلام الناس

🡐

➔

في الرحبة ثم قال: «أنشد بالله كل امرئ مسلم سمع رسول اللهﷺ يقول يوم غدير خم ما قال»، فقام إليه بعض الناس - قال أبو نعيم فقام ناس كثير- فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس: «أتعلمون أني أولي بالمؤمنين من أنفسهم» قالوا: «نعم يا رسول الله» قال: «من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال: فخرجت كأن في نفسي شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: إني سمعت علياً يقول كذا وكذا، قال: فما تنكر قد سمعت رسول اللهﷺ يقول ذلك له؛ رواه أبو حاتم البستي عن عبدالله الأزدي عن إسحاق بن إبراهيم عن أبي نعيم ويحيي بن آدم عن فطر بن خليفة بنحوه (إسناده حسن) (انظر الأحاديث المختارة ج٢: ص١٧٣).

وأمّا العلماء الذين عاصروا ابن تيمية وبعده، (يعني من أواسط قرن الثامن وبعده) ممّن اعترفوا بهذه العبارة في الحديث: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه...»، فقد ذكروا نفس الأحاديث المعتبرة في الكتب، ومن جملتهم:

١- المزي من علماء الرجال عند أهل السنة (المتوفى: ٧٤٢ هـ) في كتابه تهذيب الكمال (انظر تهذيب الكمال ليوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، ج١١: ص٩٠ وج١١: ص١٠٠).

٢- الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) فى تاريخ الإسلام (انظر تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ج٣: ص٦٣١).

٣- الزيعلي (المتوفى٧٦٢هـ) فى التخريج (انظر تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، ج٢: ص٢٣٤).

٤- اليافعي (المتوفى٧٦٨هـ) فى مرآة الجنان (انظر مرآة الجنان وعبرة اليقظان، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، ج١: ص١٠٩)

٥- ابن كثير الدمشقي (المتوفى٧٧٤هـ) فى السيرة النبويّة والبداية والنهاية (انظر السيرة النبوية لابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ج٤: ص ٤١٦).

٦- ابن أبي بكر الهيثمي (المتوفى٨٠٧ هـ) فى مجمع الزوائد (انظر مجمع الزوائد مجمع

➔

➔

الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي ج٩: ص١٠٧).

٧- ابن أبي بكر (المتوفى ٨٠٧ هـ) في موارد الظمآن (انظر موارد الظمآن إلي زوائد ابن حبان، علي بن أبي بكر الهيثمي أبو الحسن، ج١: ص٥٤٤).

٨- ابن حجر العسقلاني (المتوفى٨٥٢ هـ) فى كتاب المطالب العالية (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ج١٦: ص٩٧).

٩- الثعالبي (المتوفى٨٧٥ هـ) فى تفسيره (الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، ج٤: ص٩٢).

١٠- السيوطي (المتوفى٩١١هـ) فى تفسير درّ المنثور وجامع الأحاديث وأيضاً في كتابه تاريخ الخلفاء (انظر الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ج٣: ص١٠٥).

وكتاب الجامع الصغير له (انظر الجامع الصغير لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ج٣: ص١٠٥، وج٥: ص٤٠٠ وج١٦: ص٢٧٢).

وتاريخ الخلفاء له (انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ج١: ص١٦٩).

١١- ابن حجر الهيثمي(المتوفى٩٧٣هـ) فى الصواعق المحرقة (انظر الصواعق المحرقة علي أهل الرفض والضلال والزندقة، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيثمي ج١: ص١٠٦ وص١٠٧ وج٢: ص٣٥٥).

١٢- المتقي الهندي (المتوفى٩٧٥هـ) في كنز العمّال (انظر كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ج٥: ص١١٤).

١٣- الحلبي (المتوفى ١٠٤٤هـ) في السيرة الحلبيّة (انظر السيرة الحلبيّة في سيرة الأمين المأمون، علي بن برهان الدين الحلبي المتوفى: ج٣: ص٣٣٦).

١٤- العاصمي (المتوفى ١١١١هـ) في كتاب سمط النجوم (سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي ج٣: ص٣٦).

١٥- العجلوني(المتوفى ١١٦٢هـ) في كتاب كشف الخفاء (انظر كشف الخفاء ومزيل

➔

➔

الإلباس عما اشتهر من الأحاديث علي ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، ج٢: ص٣٦١).

١٦- الآلوسي (المتوفى ١٢٧٠هـ) في روح المعاني (انظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة أبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي ج٦: ص١٩٥).

وكثير من هؤلاء العلماء ممّن هم بعد ابن تيمية، اعترفوا بصحة سند الحديث، بل واعترفوا بتواتر هذه العبارة: «اللهم وال من والاه...» أو قوّة اسناده أو تصحيح بعضها والتحسين فى بعضها، فلنشير إلى بعض هذه الروايات على سبيل المثال:

أ: الذهبي، ممّن عاصر ابن تيمية (المتوفى٧٤٧هـ) فقد روى النسائي في سننه، عن محمد بن المثني عن يحيي بن حماد عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم، قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن ثم قال: «كأني قد دعيت فأجبت إني قد تركت فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتّى يردا علي الحوض»، ثم قال صلى الله عليه وآله: «الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن»، ثم أخذ بيد علي عليه السلام فقال: «من كنت مولاه فهذا وليّه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، فقلت لزيد: سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينيه وسمعه بأذنيه. قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: "وهذا حديث صحيح" (انظر السيرة النبوية لابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفي: ٧٧٤هـ ، ج٤: ص٤١٦، وفي البداية والنهاية له ج٥: ص٢٠٩).

وعن الذهبي: أن «من كنت مولاه فعلي مولاه» متواتر أتقين أن رسول الله صلى الله عليه وآله قاله وأما «اللهم وال من والاه» فزيادة قوية الإسناد (انظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة أبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي المتوفى: ١٢٧٠هـ، ج٦: ص١٩٥).

➔

←

ب: ابن كثير الدمشقي السلفي (المتوفى٧٧٤هـ) وقال النسائي في كتاب خصائص علي: حدّثنا الحسين بن حرب، حدّثنا الفضل بن موسي، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن وهب، قال: قال علي في الرحبة: «أنشد بالله رجلاً سمع رسول اللهﷺ يوم غدير خم يقول: إن الله ولي المؤمنين ومن كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه وانصر من نصره»، وكذلك رواه شعبة عن أبي إسحاق وهذا إسناد جيد (انظر السيرة النبوية لابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفي: ٧٧٤هـ ، ج٤: ص٤١٩).

ج: الهيثمي من أعلام القرن التاسع لأهل السنة (المتوفى ٨٠٧هـ). باب قولهﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه»: عن رباح بن الحارث قال جاء رهط إلي عليّ بالرحبة قالوا السلام عليك يا مولانا فقال: «كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟» قالوا: سمعنا رسول اللهﷺ يوم غدير خم يقول: «من كنت مولاه فهذا مولاه»، قال رباح: فلما مضوا تبعتهم، فقلت: من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري؛ رواه أحمد والطبراني إلا أنه قال قالوا سمعنا رسول اللهﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» وهذا أبو أيوب بيننا فحسر أبو أيوب العمامة عن وجهه ثم قال سمعت رسول اللهﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، ورجال أحمد ثقات (انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى ٨٠٧هـ، ج٩: ص١٠٣).

وعن عمرو بن ذي مر وسعيد بن وهب وعن زيد بن بثيع قالوا: سمعنا علياً يقول: «نشدت الله رجلاً سمع رسول اللهﷺ يقول يوم غدير خم لما قام»، فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أن رسول اللهﷺ قال: «ألست أولي بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلي يا رسول الله، قال: فأخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فهذا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحبّ من أحبّه وأبغض من يبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله». رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة (انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٩:

←

➔

ص١٠٤ و١٠٥).

وعن عبدالرحمن بن أبي ليلي قال شهدت علياً في الرحبة يناشد الناس: «أنشد الله من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه لما قام فشهد»، قال عبدالرحمن: فقام اثنا عشر بدرياً كأني أنظر إلي أحدهم عليه سراويل، فقالوا: نشهد أنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم: «ألست أولي بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمهاتهم؟» قلنا: بلي يا رسول الله، قال: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، رواه أبو يعلي ورجاله وثقوا (انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٩: ص١٠٦).

وعن زيد بن أرقم قال: نشد علي الناس: «أنشد الله رجلاً سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، فقام اثنا عشر بدرياً فشهدوا بذلك وكنت فيمن كتم فذهب بصري.

رواه الطبراني في الكبير والأوسط خالياً من ذهاب البصر والكتمان ودعاء علي وفي رواية عنده وكان علي دعا علي من كتم ورجال الأوسط ثقات (انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٩: ص١٠٦).

وعن حبشي بن جنادة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غديرخم: «اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأعن من أعانه»، رواه الطبراني ورجاله وثقوا (انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٩: ص١٠٦).

وعن سعيد بن وهب عن زيد بن بثيغ قال: نشد علي عليه السلام الناس في الرحبة من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم لما قام، قال: فقام من قبل سعيد ستة ومن قبل زيد سبعة فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم لعلي: «أليس أنا أولي بالمؤمنين؟» قالوا: بلى، قال: «اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، رواه عبد الله والبزار بنحوه أتم منه... وإسنادهما حسن (انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٩: ص١٠٧). وإلى غير ذلك من الروايات التي صحّحها علمائهم،

←

ويدير الحق معه حيث يدور[1]

➔

فالحديث بالغ عن حد التواتر.

وعندما نبحث وندرس دعاء النبيﷺ: «اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله»، ونتأمّل في الحديث، أنّه لماذا خص النبيﷺ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بهذه الدعوات التي لا يليق لها إلا أئمة الحق، وخلفاء الصدق؟ وما المهمة التي احتاجت إلى كل هذه المقدمات؟... وما الشيء الذي أمره الله بتبليغه؟... وأيّ مهمّة استوجبت من الله التأكيد، واقتضت الحث على تبليغها بما يشبه التهديد؟ وأي أمر يخشى النبيﷺ الفتنة بتبليغه ويحتاج إلى عصمة الله؟ نصل بوضوح الى هذه النتيجة: إنما أرادﷺ بيان ولاية مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام لأنّه امام للمسلمين وخليفة الله في أرضه ولولا أهميّة هذا المقام العظيم لما كان الإهتمام إلى هذا الحدّ.

(١) هذه العبارة اشارة إلى الحديث المعروف المشهور، الذي رواه أكثر من مائة حافظ ومحدّث وعالم من أهل السنّة في كتبهم، بألفاظ متقاربة وأسانيد عديدة، تفيد مجموعها التواتر، وقد رواه أكثر من عشرين صحابي، منهم أمير المؤمنينعليه السلام، أبو بكر، أبو ذر، عمّار، عبد الله بن عباس، أبو سعيد الخدري، سلمان، أبو أيّوب الأنصاري، جابر بن عبدالله، سعد بن أبي وقّاص، عائشة، أم سلمة عن النبي الأكرمﷺ، فهو من الأحاديث القطعيّة الثابتة عن رسول اللهﷺ، وإليك بعض تلك الآثار:

منها: ما رواه الترمذي بسنده عن عليعليه السلام عن النبيﷺ، وقد جاء فيه: «رحم الله عليّاً، اللهم أدر الحق معه حيث دار» (انظر سنن الترمذي ج٥: ص٢٩٧ ح٣٧٩٨)، ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٤، والطبراني في المعجم الأوسط ج٦: ص٩٥، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١٠: ص٢٧٠، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج١: ص٤٨، والسيوطي في الجامع الصغير ج٢: ص٩ ح٤٤١٢ وغيرهم.

➔

➔

ومنها: ما رواه الحاكم النيسابوري بسنده عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: لمّا سار علي عليه السلام إلى البصرة، دخل على أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله يودّعها فقالت: سر في حفظ الله وفي كنفه، فوالله إنك لعلى الحق والحق معك، ولولا أني أكره أن أعصي الله ورسوله - فإنّه أمرنا صلى الله عليه وآله أن نقرّ في بيوتنا - لسرت معك، ولكن والله لأرسلنّ معك من هو أفضل عندي وأعزّ علي من نفسي، ابني... قال الحاكم بعد أحاديث هذا ثالثها: هذه الأحاديث الثلاثة كلّها صحيحة على شرط الشيخين ولم يخرجاها (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١١٩).

ومنها: ما رواه أبو يعلى الموصلي، بسنده عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال: كنّا عند بيت النبي صلى الله عليه وآله في نفر من المهاجرين والأنصار فخرج علينا فقال: «ألا أخبركم بخياركم؟» قالوا: بلى، قال: «خياركم الموفون المطيبون»، إن الله يحب الخفي التقي قال: ومرّ علي بن أبي طالب فقال: «الحق مع ذا، الحق مع ذا» (انظر مسند أبي يعلى الموصلي ج٢: ص٣١٨)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٧: ص٢٣٥، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٤٩، والمتّقي الهندي في كنز العمّال ج١١: ص٦٢١ ح٣٣٠١٨ وغيرهم.

ومنها: ما رواه الخطيب البغدادي بسنده عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: "دخلت على أم سلمة فرأيتها تبكي وتذكر علياً. وقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «علي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة»" (انظر تاريخ بغداد ج١٤: ص٣٢٢)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٤٩ وغيره.

ومنها: ما رواه ابن عساكر بسنده عن عبيد الله بن عبد الله المديني قال حج معاوية بن أبي سفيان فمر بالمدينة فجلس في مجلس فيه سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس فالتفت إلى عبد الله بن عباس... فتركه وأقبل على سعد فقال: يا أبا إسحاق أنت الذي لم تعرف حقنا، وجلس فلم يكن معنا ولا علينا، قال: فقال سعد: إني رأيت الدنيا قد أظلمت، فقلت لبعيري إخ فأنختها حتى انكشفت، قال: فقال معاوية: لقد قرأت ما بين

➔

➔
اللوحين ما قرأت في كتاب الله عزّ وجلّ إخ، قال: فقال سعد: أما إذا أبيت فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: «أنت مع الحق والحق معك حيث ما دار»، قال: فقال معاوية: «لتأتيني على هذا ببينة»، قال: فقال سعد: هذه أمّ سلمة تشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقاموا جميعاً فدخلوا على أمّ سلمة فقالوا: يا أم المؤمنين إن الأكاذيب قد كثرت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا سعد يذكر عن النبي صلى الله عليه وآله ما لم نسمعه أنه قال صلى الله عليه وآله يعني لعلي: «أنت مع الحق والحق معك حيث ما دار»، فقالت أم سلمة: "في بيتي هذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي"، قال: فقال معاوية لسعد: يا أبا إسحاق ما كنت ألوم الآن إذ سمعت هذا مع من رسول الله صلى الله عليه وآله وجلست عن علي لو سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله لكنت خادماً لعلي حتى أموت (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٢٠: ص٣٦١) ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٧: ص٢٢٦ وغيره.

ومنها: ما رواه ابن مردويه، باسناده عن عائشة، أنّها لمّا عقر جملها ودخلت داراً بالبصرة فقال لها أخوها محمّد: أنشدك الله أتذكرين يوم حدّثتني عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «الحق لن يزال مع عليّ، وعلي مع الحق لن يختلفا ولن يفترقا»؟ قالت: «نعم». (انظر مناقب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لابن مردويه: ص١٦٤ ح٢٠٥) ورواه البدخشي في مفتاح النجاة: ص٦٥

ومنها ما رواه الزمخشري بسنده عن ابن عون قال:... استأذن أبو ثابت مولى علي بن أبي طالب عليه السلام على أم سلمة فقالت: مرحباً بك يا أبا ثابت ثم قالت: يا أبا ثابت أين طار قلبك حين طارت القلوب مطيرها؟ قال: تبع علياً عليه السلام، قالت: وفقت والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول: «علي مع الحق والقرآن والحق والقرآن مع علي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض» (انظر ربيع الأبرار للزمخشري ج٢: ص١٧٢)

ومنها: ما رواه الفخر الرازي في تفسيره عن البيهقي، وهو بسنده عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم (ثم قال البيهقي): روي الجهر عن عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأما أن علي بن أبي طالب عليه السلام
🡐

➔
كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله عليه السلام: «اللهم أدر الحق مع علي حيث دار» (انظر تفسير الفخر الرازي ج١: ص٢٠٥) وإلى غير ذلك من الروايات التي وردت بهذه المضامين، وهي كثيرة جداً، لا يمكن استقصائها.

وتقريب الإستدلال بها على امامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام واضح؛ حيث أنّ المراد بالحق هو المعيار للإيمان الصادق بالله عزوجل، ولذلك قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ (سورة الحج: ٦٢) فالآية تؤكد بأنّ المؤمنين ينسجمون مع قوانين التي ترتبط بشكل ما بالله تعالى هي حق أيضا. أما غيرها فباطل بمقدار ابتعادها عن الله عز وجل، والله حق وغيره باطل.

فقوله صلى الله عليه وآله: «علي مع الحق»، معناه أنّه عليه السلام هو المعيار للإيمان بالله عزوجل؛ لأنّ الحق دائما من ربك، قال الله تعالى: ﴿**الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾ (سورة آل عمران: ٦٠)، هذه الآية تؤكد بأنّ الإيمان الحقيقي بالله هو الإيمان بما جاء به من قبل الله عزوجل فمولانا أميرالمؤمنين عليه السلام هو الإمام وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر الله.

والشاهدعلى ذلك ما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه بسنده عن سليمان بن مهران الأعمش قال حدثنا إبراهيم عن علقمة والأسود قالا: أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين، فقلنا له: يا أبا أيوب إن الله أكرمك بنزول محمد صلى الله عليه وآله وبمجيء ناقته تفضلا من الله وإكراما لك حتى أناخت ببابك دون الناس، ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلا الله؟ فقال: يا هذا إن الرائد لا يكذب أهله، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرنا بقتال ثلاثة مع علي، بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين. فأما الناكثون فقد قابلناهم أهل الجمل طلحة والزبير، وأما القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم يعني معاوية، وأما المارقون فهم أهل الطرفاوات، وأهل السعيفات، وأهل النخيلات، وأهل النهروانات، والله ما أدري أين هم ولكن لا بد من قتالهم إن شاء الله ، قال : وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعمار: «يا عمار تقتلك الفئة الباغية، وأنت إذ ذاك مع الحق والحق معك، يا عمار بن ياسر،
➔

ومن قال في حقّه مخاطباً لبني عبد المطلب: «وخليفتي فيكم[1]»،

➔

إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع علي، فإنّه لن يدلّيك في ردى، ولن يخرجك من هدى، يا عمار من تقلّد سيفاً أعان به علياً على عدوّه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من در، ومن تقلّد سيفاً أعان به عدوّ علي عليه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من نار قلنا: يا هذا حسبك رحمك الله، حسبك رحمك الله» (انظر تاريخ بغداد ج١٣: ص١٨٨)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٧٢ وغيره.

(١) هذه العبارة اشارة إلى حديث يوم الدار، وهو من الأحاديث التي وردت في المصادر الموثوقة والمعتبرة لدى أهل السنة من التأريخ والسيرة وكتب التفسير والحديث، وملخّصه وفقاً لما ورد في التواريخ الإسلامية، أنّه أمر الله سبحانه نبيهﷺ في السنة الثالثة من البعثة بدعوته الأقربين من عشيرته إلى الإسلام؛ لأن دعوته حتى ذلك الحين كانت مخفية "سرّية"، وكان الذين دخلوا في الإسلام عدداً قليلاً، لذلك حين نزلت الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (سورة الشعراء:٢١٤)، ولا شكّ أنه للوصول إلى هدف حقّ، لا بدّ من الابتداء من الحلقات الأدنى والأصغر، فما أحسن أن يبدأ النبيﷺ دعوته من أقربائه وأرحامه، لأنهم يعرفون سوابقه النزيهة أكثر من سواهم كما أن علائق القربى والمودّة تستدعي الاصغاء إلى كلامه أكثر من غيرهم، وأن يكونوا أبعد من سواهم من حيث الحسد والحقد والمخاصمة، إضافة إلى ذلك فإن هذا الأمر يدل على أن النبيﷺ ليس لديه أيّة مداهنة ولا مساومة مع أحد، ليستثني أقرباءه المشركين عن دعوته إلى التوحيد والحق والعدل، وعندما نزلت هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة الحجر:٩٤) فاصدع، من مادة (صدع) وهي لغة بمعنى "الشقّ" بشكل مطلق، أو شقّ الأجسام المحكمة بما يكشف عمّا في داخلها، ويقال أيضاً لألم الرأس الشديد (صداع) وكأنّه من شدّته يريد أن يشقّ الرأس، وهي هنا بمعنى: الإظهار والإعلان والإفشاء.

➔

←

وعلى أية حال.. عندما أمر الله تعالى نبيهﷺ أن يجعل دعوته علنيّة، وأن يبدأ ذلك بدعوة أهله وأقربائه وعشيرته، فقام النبيﷺ بما ينبغي عليه من أجل تنفيذ هذا الأمر الإلهي.

والجدير بالذكر فإن الله يوصي النبي في دائرة أوسع فيقول: عليك أن تعامل أتباعك باللطف والمحبة: ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (سورة الشعراء:٢١٥)، وهذا التعبير الجميل الرائع كناية عن التواضع المشفوع بالمحبّة واللطف، كما أن الطيور تخفض أجنحتها لأفراخها محبّة منها لها، وتجعلها تحت أجنحتها لتكون مصانة من الحوادث المحتملة، ولتحفظها من التشتّت والتفرّق! فكذلك الأمر بالنسبة للنبيﷺ إذ أمر أن يخفض جناحه للمؤمنين الصادقين، وأما كيفيّة إبلاغه وإنذاره إياهم، فهو بإجمال أنه دعا النبيﷺ عشيرته إلى بيت عمه أبي طالب، وكانوا في ذلك اليوم حوالي أربعين رجلاً، وكان ممن حضر هذه الدعوة بعض أعمام النبيﷺ كأبي طالب والحمزة وأبو لهب والعبّاس، وبعد أن تناولوا الطعام، وأراد النبيﷺ أن يؤدي ما عليه، تكلّم أبو لهب كلمات أحبط بها خطة النبيﷺ، لذا فقد دعاهم النبيﷺ في اليوم التالي أيضاً وبعد أن تناولوا الطعام، قالﷺ: «يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم بخير الدنيا والآخرة... وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأيّكم يؤازرني على أمري هذا، على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟» فأحجم القوم عنها غير علي، وكان أصغرهم (سنّاً)، فقال: «يا نبي الله، أنا أكون وزيرك عليه»، فأخذ رسول اللهﷺ برقبته، وقال: «إن هذا وصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا» فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب أطع ابنك، قد أمرك أن تسمع لعلي وتطيعه.

وقد روي هذا الحديث أئمة أعلام من أهل السنّة، منهم: أحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص١٥٩ والنسائي في سنن الكبرى ج٥: ص١٢٦ وفي كتابه خصائص أميرالمؤمنينعليه السلام: ص٨٦، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١٣: ص٢١١، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٢٥، والزرندي الحنفي في نظم درر السمطين: ص٨٣، والمتقي الهندي في كنز العمال ج١٣: ص١١٤ ح٣٦٣٧١، والطبري في تفسيره ج١٩: ص١٤٩،

→

حسبما روى ذلك أحمد في مسنده[١] والمقدسي في المختارة[٢]

➔

والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج١: ص٤٨٦، والبغوي في تفسيره معالم التنزيل ج٣: ص٤٠٠، وابن كثير في تفسيره الموسوم بتفسير القرآن العظيم ج٣: ص٣٦٣، والسيوطي في الدر المنثور ج٥: ص٩٧، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٩، والمزي في تهذيب الكمال ج٩: ص١٤٧، وابن مردويه في كتابه مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام: ص٢٨٨ و٢٨٩، والطبري في تاريخه ج٢: ص٦٣، وابن الجوزي في المنتظم ج٢: ص٢٦٧، وابن الأثير في تاريخه الموسوم بالكامل في التاريخ ج٢: ص٦٢، وابن كثير في تاريخه البداية والنهاية ج٣: ص٥٣، والبيهقي في دلائل النبوة ج٢: ص١٨٠، وابن كثير في السيرة النبوية ج١: ص٤٥٨، ومحمد بن أحمد الدمشقي الماعوني في جواهر المطالب في مناقب علي ين أبي طالب عليه السلام: ص٨٠، والسيوطي في الخصائص الكبرى: ص١٢٣، والصالحي الشامي في سبل الهدى والرشاد ج٢: ص٣٢٤، والحلبي في السيرة الحلبية ج١: ص٤٥٩ وغيرهم.

والحديث صريح في أنّ النبي صلى الله عليه وآله أعلن خلافة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في بدأ دعوته إلى الإسلام، فبيّن في حديث يوم الدار ولاية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وإمامته وخلافته من أوّل يوم أمره الله تعالى بإعلان الدعوة إلى الإسلام بقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾؛ فقال صلى الله عليه وآله: «إنّ أوّل من يؤمن بي يكون وزيري وخليفتي من بعدي»، فلم يقم أحد غير الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقام وأعلن إيمانه وتصديقه لرسول الله صلى الله عليه وآله، فخرج القوم وهم يتمازحون مع أبي طالب ويقولون له: "أطع ابنك فقد جعله محمّداً أميراً عليك". فدلالة الحديث على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في غاية الوضوح، فلاحظ.

(١) انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١٥٩

(٢) انظر الفصول المختارة للمقدسي: ص١٧١

والطبري في تفسيره[١] وتاريخه[٢] وغيرهم[٣]. وصاحب العشر الخصال[٤]

---

(١) انظر تفسير الطبري ج١٩: ص١٤٩

(٢) انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٦٣

(٣) انظر التفسير المنير لمعالم التنزيل للجاوي ج٢ ص١١٨، وتفسير الخازن لعلاء الدين الشافعي ج٣ ص٣٧١

(٤) لقد أخرج كبار الحفاظ والمحدّثين من أهل السنّة والجماعة، رواية عشر خصال للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ولم تكن لغيره، وهي من الروايات المعروفة لدى علماء الإسلام، ورواه جملة من كبار المحدثين من أهل السنة، منهم الحاكم النيسابوري، في كتابه المستدرك على الصحيحين بسنده عن عمرو بن ميمون قال إني لجالس عند ابن عباس إذ اتاه تسعة رهط، فقالوا: "يا ابن عباس إمّا أن تقوم معنا وإمّا أن تخلو بنا من بين هؤلاء" قال: فقال ابن عباس: "بل أنا أقوم معكم"، قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى، قال: فابتدؤا فتحدّثوا فلا ندري ما قالوا، قال: فجاء ينفض ثوبه ويقول أف وتف وقعوا في رجل له بضع عشرة فضائل ليست لأحد غيره وقعوا في رجل قال له النبيصلى الله عليه وآله: «لأ بعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله»، فاستشرف لها مستشرف فقالصلى الله عليه وآله: «أين علي؟» فقالوا: إنّه في الرحى يطحن، قالصلى الله عليه وآله: «وما كان أحدهم ليطحن»، قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد ان يبصر، قال: فنفثصلى الله عليه وآله في عينيه ثم هزّ الراية ثلاثاً فأعطاها إياه، فجاء علي بصفية بنت حيي، قال ابن عباس: ثم بعث رسول اللهصلى الله عليه وآله فلاناً بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها منه وقال: «لا يذهب بها إلا رجل هو مني وأنا منه»، فقال ابن عباس: وقال النبيصلى الله عليه وآله لبني عمه: «أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة؟» قال وعلي جالس معهم، فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله واقبل على رجل منهم: «أيكم يواليني في الدنيا والآخرة؟»، فأبوا، فقال لعلي: «أنت وليي في الدنيا والآخرة»، قال ابن عباس: "وكان علي أول من آمن من الناس بعد خديجة رضي الله عنها"، قال: وأخذ رسول اللهصلى الله عليه وآله ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين وقال: ﴿**إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**

←

➔

ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، قال ابن عباس: وشرى علي نفسه فلبس ثوب النبيﷺ ثم نام مكانه، قال ابن عباس: وكان المشركون يرمون رسول اللهﷺ، فجاء أبو بكر وعلي نائم، قال: وأبو بكر يحسب أنه رسول اللهﷺ، قال: فقال: يا نبي الله، فقال له علي: «إن نبي اللهﷺ قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه»، قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار، قال: وجعل علي عليه السلام يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي اللهﷺ وهو يتضور وقد لفّ رأسه في الثوب لا يخرجه حتى أصبح ثم كشف عن رأسه، فقالوا: إنك للئيم وكان صاحبك لا يتضور ونحن نرميه وأنت تتضور وقد استنكرنا ذلك، فقال: ابن عباس وخرج رسول اللهﷺ في غزوة تبوك وخرج بالناس معه، قال: فقال له علي: «أخرج معك»، قال: فقال النبيﷺ: «لا» فبكى علي، فقالﷺ له: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي، أنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي»، قال ابن عباس: وقال له رسول اللهﷺ: «أنت ولي كل مؤمن بعدي ومؤمنة» قال ابن عباس: وسد رسول اللهﷺ أبواب المسجد غير باب علي، فكان يدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره، قال ابن عباس: وقال رسول اللهﷺ: «من كنت مولاه فإن مولاه علي»، قال ابن عباس: وقد أخبرنا الله عزّ وجلّ في القرآن أنه رضى عن أصحاب الشجرة فعلم ما في قلوبهم فهل أخبرنا أنه سخط عليهم بعد ذلك، قال ابن عباس: وقال نبي اللهﷺ لعمر حين قال: ائذن لي فاضرب عنقه، قال: «وكنت فاعلاً وما يدريك لعلّ الله قد اطّلع على أهل بدر»، فقال: «اعملوا ما شئتم»، (ثم قال:) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٣٤)، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص٣٣١، والنسائي في سنن الكبرى ج٥: ص١١٣، وفي خصائصه: ص٦٢، والطبراني في معجمه الكبير ج١٢: ص٧٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص ١٢٠، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٧٤، وابن حجر في الإصابة ج٤: ص٤٦٦، وغيرهم.

التي منها: ولي كل مؤمن بعده[١]، وإنّه متى مضى فهو خليفته[٢]

---

(١) لقد وردت هذه العبارة في أحاديث كثيرة منها: حديث عشر خصال المتقدم ذكره. وقوله صلى الله عليه وآله: «أنت ولي كل مؤمن بعدي ومؤمنة» (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٣٤). ومنها: ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عمران بن حصين، قال في حديث طويل.. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «دعوا علياً دعوا علياً، إنّ علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٤٢٨)، ورواه الترمذي في سننه ج٥: ص٢٩٢ ح٣٧٩٦، والنسائي في فضائل الصحابة: ص١٥، والطيالسي في مسنده: ص١١١، وابن أبي شيبة في كتابه المصنف ج٧: ص٥٠٤، والضحاك في الآحاد والمثاني ج٤: ص٢٧٩، وابن أبي عاصم في كتاب السنة: ص٥٥٠ وغيرهم.

والاستدلال بهذه الرواية على إمامة مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله بلا فصل واضح، لأنّ قوله صلى الله عليه وآله: «ولي كل مؤمن بعدي» بمعنى: الأولى بالقيام بالأمر من بعدي على نحو الإطلاق، كما هو المراد من الولي في قوله تعالى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ (سورة الأحزاب:٦) فقوله صلى الله عليه وآله: «ولي كل مؤمن بعدي» بمعنى أنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام وليّكم وصاحب الأمر من بعدي، فكما في الآية الولي بمعنى الأولى بالتصرّف، كذلك في الحديث، والشاهد على ذلك ما قاله النحّاس في معنى الولي، ما هذا نص عبارته: وحقيقة معنى الآية - والله جلّ وعزّ أعلم - أنّ النبي صلى الله عليه وآله إذا أمر بشيء أو نهى عنه، ثم خالفته النفس كان أمر النبي صلى الله عليه وآله ونهيه أولى بالاتباع من الناس (انظرمعاني القرآن للنحاس ج٥: ص٣٢٥).

(٢) هذه العبارة اشارة الى قول النبي صلى الله عليه وآله في حقّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام: «أنّه خليفتي من بعدي»، وهو حديث معروف، رواه كبار الحفاظ والمحدّثين من أهل السنة في كتبهم، بألفاظ متقاربة وأسانيد عديدة منهما: مارواه الحاكم النيسابوري في حديث عشر خصال المتقدم ذكره، وفيه:.. أنه لا ينبغي أن اذهب الا وأنت خليفتي (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٣٤)، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج١: ←

وأنه الذي يهتدي به المهتدون من بعده[(١)]،

➔

ص٣٣١، والنسائي في سنن الكبرى ج٥: ص١١٣، وفي خصائصه: ص ٦٢، والطبراني في معجمه الكبير ج١٢: ص٧٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٢٠، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٧٤، وابن حجر في الإصابة ج٤: ص٤٦٦، وغيرهم.

ومنها: ما رواه النسائي بسنده عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث طويل، وفيه: «أنت خليفتي يعني في كل مؤمن من بعدي» (انظر سنن الكبرى النسائي ج٥: ص١١٣).

ومنها: ما رواه الآلوسي في تفسيره، عند تفسير قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ**﴾ (سورة الأعراف:١٤٢)، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «يا علي أنت خليفتي من بعدي» (انظر تفسير الآلوسي ج١٨: ص٢٠٦) وغيرهم.

والإستدلال بها على إمامة مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام بعد النبي بلا فصل واضح؛ لأنّ قوله صلى الله عليه وآله: «يا علي أنت خليفتي، أو أنت خليفتي في كل مؤمن من بعدي، أو أنت خليفتي من بعدي»؛ صريح في الخلافة والإمامة بعد النبي صلى الله عليه وآله بلا فصل، حيث عندما يقول صلى الله عليه وآله: «خليفتي» فهو ظاهر في خلافته، وأمّا بقرينة قوله صلى الله عليه وآله: «من بعدي» فهو نصّ في المباشرة، وبعبارة أخرى: أن كلمة (بعد) قرينة على حمل الخلافة بالمباشرة، فالحديث نصّ صريح في إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مباشرة بعد النبي صلى الله عليه وآله، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة الى قول النبي صلى الله عليه وآله في حق الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد أخرجه كبار الحفاظ والمحدثين والمفسرين وأصحاب السير والتأريخ من أهل السنة، منهم: ابن مردويه في كتابه المناقب، عن ابن عباس قال: لمّا نزلت ﴿**إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ وضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على صدره فقال: «أنا المنذر» (وأومأ بيده إلى منكب عليّ عليه السلام فقال:) «أنت الهادي يا عليّ، بك يهتدي المهتدون من بعدي» (مناقب الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لابن مردويه: ص ٢٦٦ ح٤٠٥).

➔

إلى غير ذلك مما دلّ على إمامته(١)؛

➔

وأيضاً ابن مردويه، عن ابن عباس، قال: قال رسول اللهﷺ: «أنا المنذر وعليّ هادي - وأشار بيده إلى عليّ وقال -: بك يهتدي المهتدون» (مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام لابن مردويه: ص ٢٦٦ ح ٤٠٦)، ورواه ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة ج١: ص٥٧٤، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج٢: ص٢٤٧، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٢٥٩، والزرندي الحنفي في نظم درر السمطين: ص ٩٠، والمتقي الهندي في كنز العمال ج١١: ص ٦٢٠ ح ٣٣٠١٢ وغيرهم.

ومنهم ابن حجر قال: أخرجه الطبري، بإسناد حسن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية وضع رسول اللهﷺ يده على صدره وقالﷺ: «أنا المنذر» وأومأ إلى علي وقال: «أنت الهادي بك يهتدي المهتدون بعدي في قومي وأصلح (انظر فتح الباري ج٨: ص٢٨٥).

ومنهم الثعلبي في تفسيره قال: وروى السدي عن عبد الله بن علي قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ قال: قال النبيﷺ: «المنذر أنا، الهادي رجل من بني هاشم» يعني نفسه.

وروى عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية وضع رسول اللهﷺ يده على صدره فقال: «أنا المنذر» وأومأ بيده إلى منكب علي فقال: «فأنت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون من بعدي» (انظر تفسير الثعلبي ج٥: ص٢٧٢)، ورواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج١: ص٣٨٣، وابن الجوزي في زاد المسير ج٤: ص٢٢٨، والفخر الرازي في تفسيره ج١٩: ص١٤، والسيوطي في در المنثور للسيوطي ج٤: ص٤٥، والشوكاني في فتح القدير ج٣: ص ٧٠، والآلوسي في تفسيره ج١٣: ص١٠٨ وغيرهم.

(١) لا يخفى إنّ من يراجع كتب الحديث والتفسير والتاريخ والسير، يجدها طافحة

➔

فإن قيل من المحال اتفاق الجمهور من الصحابة على الباطل(١)،

←

بالنصوص والآثار الثابتة، والصحيحة، الدالة على إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولسوف لا يبقى لديه أدنى شك في أن النبي صلى الله عليه وآله لم يأل جهداً، ولم يدخر وسعاً في تأكيد هذا الأمر، وتثبيته، وقطع دابر مختلف التعلُّلات والمعاذير فيه، في كل زمان ومكان، وفي مختلف الظروف والأحوال، على مر العصور والدهور.

وقد استخدم في سبيل تحقيق هذا الهدف مختلف الطرق والأساليب التعبيرية، وشتى المضامين البيانية: فعلاً وقولاً، تصريحاً، وتلويحاً، إثباتاً لجانب ونفياً لجانب آخر، وترغيباً وترهيباً، إلى غير ذلك مما يكاد لا يمكن حصره، في تنوعه، وفي مناسباته.

وقد روى هذه النصوص والأدلة والروايات علماء الإسلام، كما رواه كبار الحفاظ والمحدثين والمفسرين وأصحاب السير والتأريخ من أهل السنة فما ذكره المصنف رحمه الله نبذة يسيرة من تلك النصوص والروايات، وهناك النصوص والآثار الدالة على امامة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كآية المباهلة، وآية التطهير، وآية كونوا مع الصادقين، وحديث لكل نبي وصي، وحديث المنزلة، وحديث الراية، وحديث سد الأبواب، وحديث إنّ علياً مني وأنا منه، وحديث الطير، وحديث أنا مدينة العلم، وحديث من آذى علياً، وحديث الثقلين وغيرها من الأحاديث والنصوص، فلاحظ.

(١) لايخفى على الخبير الباحث في المصادر الإسلامية والإستفادة من النصوص الدينية، أنّ موقف الإسلام من الصحابة عموماً لا قداسة لهم، بل هم كبقية الناس العاديين لم يقطع لهم بالسلامة والنجاة، فضلاً عن التقديس، فإنّ الصحبة بمجرّدها ـ وإنْ كانت عندنا فضيلة جليلة لكنّها ـ بما هي مِن حيث هي غير عاصمة عن الخطأ والضلالة، فالصحابة كغيرهم مِن الرجال، فيهم العدول، وفيهم الفساق، وفيهم المنافقين، لأنّ الصحبة تشمل كل من صحب النبي صلى الله عليه وآله أو رآه أو سمع منه صلى الله عليه وآله الحديث، فتشمل المؤمن والمنافق والعادل والفاسق والبر والفاجر... فالصحبة ليست بمجردها عاصمة تلبس صاحبها ايراد العدالة، وإنما تختلف منازلهم وتتفاوت درجاتهم بالأعمال. ولنا في كتاب الله وأحاديث رسول

←

➔

الله ﷺ كفاية عن التحمل في الاستدلال على ما نقول، والآثار شاهدة على ما نذهب اليه من شمول الصحبة وإن فيهم العدول من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ورسخت اقدامهم في العقيدة، وجرى الإيمان في عروقهم، وأخلصوا لله فكانوا بأعلى درجة من الكمال. وقد وصفهم الله عز وجل بقوله تعالى: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّه وَالَّذينَ مَعَهُ أَشدَّاءُ عَلَى الْكُفَّار رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّه وَرِضْوَانًا سيمَاهُمْ في وُجُوههم مِّنْ أَثَر السُّجُود ذَلكَ مَثَلُهُمْ في التَّوْرَاة وَمَثَلُهُمْ في الْإنجيل كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقه يُعْجبُ الزُّرَّاعَ ليَغيظَ بهمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالحَات منْهُم مَّغْفرَةً وَأَجْرًا عَظيمًا**﴾ (سورة الفتح:٢٩)، وهم المؤمنون كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمنُونَ الَّذينَ آمَنُوا باللَّه وَرَسُوله ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بأَمْوَالهمْ وَأَنفُسهمْ في سَبيل اللَّه أُولَئكَ هُمُ الصَّادقُونَ**﴾ (سورة الحجرات:١٥)، وهؤلاء كان عددهم قليل، بحيث لا يتجاوز عدد الأصابع.

فالباحث عندما يراجع الى مصادر الأصلية كاقرآن الكريم يرى فيه الآيات الكثيرة يصف الصحابة بأنّهم لم يؤمنوا حقاً، وانّما أسلموا ظاهراً كقوله تعالى: ﴿**الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللهُ عَلَى رَسُوله**﴾ (سورة التوبة:٩٧).

فتقول الآية: إن الأعراب، بحكم بُعدهم عن التعليم والتربية، وعدم سماعهم الآيات الربانية وكلام النبي ﷺ، أشد كفراً ونفاقاً من مشابهيهم في المدينة ولهذا البُعد والجهل فمن الطبيعي، بل الأولى أن يجهلوا الحدود والأحكام الإلهية التي نزلت على النبي ﷺ وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ﷺ فقرآن يؤكد أنّ الأعراب أشد كفراً من بقية الصحابة الذين كانت لهم الصحبة مع النبي ﷺ وكانوا حوله، لاسيّما بعد فتح مكة، حيث قال تعالى: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّه وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ في دين اللَّه أَفْوَاجًا**﴾ (سورة النصر:١ و٢)، فالآية فيها التصريح بأنّه بعد فتح مكة، دخلوا الإسلام أفواجاً، ولم تقل أنّهم آمنوا، وذلك كقوله تعالى: ﴿**قَالَت الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمنُوا**

➔

وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة الحجرات:١٤)، والفرق بين "الإسلام الظاهري" و"الإيمان" في أن: الإسلام له شكل ظاهري قانوني، فمن تشهد بالشهادتين بلسانه فهو في زمرة المسلمين وتجري عليه أحكام المسلمين، أما الإيمان فهو أمر واقعي وباطني، ومكانه قلب الإنسان لا ما يجري على اللسان أو ما يبدو ظاهرا كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (سورة الحجرات:١٥)، فأغلب الصحابة كان أسلامهم بشكل ظاهري ولذلك تجد في القرآن الكريم آيات عديدة تعتب عليهم بشدة وتوبخهم بما كانوا يفعلون، فمنها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (سورة النساء:٧٧).

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (سورة النور: ٤٧– ٥٢).

وفي بعضها تكشف عن حقيقة باطنهم كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي

➔

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ* وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ (سورة المائدة: ٥١-٥٣)، وإلى غير ذلك من الآيات التي ذمت الصحابة كما في سورة التوبة والمنافقين وغيرهما في مواضع كثيرة تتكلّم عنهم بالقدح والذمّ، حتى دعت إلى أن يسموا سورة التوبة بالفاضحة فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة قال التوبة هي الفاضحة ما زالت تنزل ومنهم ومنهم حتى ظنوا أنها لم تبق أحداً منهم الا ذكر فيها (انظر صحيح البخاري ج٦: ص٥٨ كتاب التفسير، باب تفسير سورة الحشر).

كما أنّ الأحاديث الكثيرة ممّا رواها علماء أهل السنة، تفيد ذم الصحابة والحط من شأنهم.. تجدها في الصحاح والمسانيد المعتبرة عندهم، منها: حديث الحوض، وحديث الإرتداد، وحديث: لا ترجعوا بعدي كفاراً، وحديث: الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل، وحديث: لا أدري ما تحدثون بعدي، وحديث اتّباع سنن اليهود والنصارى، وحديث التنافس، وحديث أن من أصحابي من لا يراني بعدي ولا أراه، وحديث إن في أصحابي منافقين، وحديث قد كثرت علي الكذابة، إلى غير ذلك من الأحاديث التي وردت في ذم الصحابة مجتمعين وفرادى، وقد جاوزت حد الحصر. ويكفيك منها ما ورد منها في نهي النبيﷺ عن الاقتداء بهم، وفيها إنّ من اقتداهم في النار، منها: ما رواه الهيثمي بسنده وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول اللهﷺ: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وإذا ذكر النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا». رواه الطبراني وفيه مسهر بن عبد الملك وثقه ابن حبان وغيره (انظر مجمع الزوائد ج٧: ص٢٠٢)، ورواه الطبراني في معجمه الكبير ج٢: ص٩٦، وابن عبد البر في الإستذكار ج٨: ص٢٦٧، وفي التمهيد ج٦: ص٦٨، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج١: ص٢٣، والسيوطي في الجامع الصغير ج١: ص٩٥، والمتقي الهندي في كنز العمال ج١: ص١٧٨، وابن عساكر في تاريخ مدينة

➔

قيل: ألم يتفق الجمهور من الصحابة على فعل الكبيرة الموبقة[(١)]،

➔

دمشق ج٤٩: ص ٤٠، وابن الأثير في اسد الغابة ج٣: ص ٢٠٠ وغيرهم.

قال الحافظ أحمد بن محمد بن علي بن احمد العاصمي في كتابه زين الفتى: وقال عليه السلام: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»، يعني عن الوقيعة فيهم، عن ذكر زلاتهم وما كان منهم في مقاماتهم، وأي عبد من عباد الله لم يزل ولو بطرفة!!. فليحذر العاقل في هذا الموضوع عن الوقيعة فيهم وذكر زلاتهم ومساويهم.

وأخبرني جدي أحمد بن المهاجر قال أخبر أبو علي الهروي، قال أخبرنا المأمون قال أخبرنا عطية عن ابن المبارك عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يكون من أصحابي إحداث بعدي، يعني الفتنة التي كانت بينهم، فيغفرها الله لهم لسابقتهم، إن اقتدى بهم قوم من بعدهم كبهم الله في نار جهنم» (لاحظ كتاب زين الفتى في شرح وتفسير سورة هل أتى للعاصمي، مخطوط)، وإلى غير ما ورد في حق الصحابة؛ فإنّ الجرائم التي ارتكبها المنافقون من الصحابة كثيرة جداً لا يسعنا المجال لذكرها، ويكفي للباحث أن يراجع المصادر في بغي البغاة من الصحابة، الذبن بغوا على الوصيِّ، وأخي النبي صلى الله عليه وآله، وسائر أهل بيته عليهم السلام، كابن هند، وابن النابغة، وابن الزرقاء، وابن عقبة، وابن أرطأة، وأمثالهم، فلا كرامة لهم، بل هم أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسوف يأتي البحث في أحوال الصحابة مفصلاً إن شاء الله تعالى. وملخّص الكلام أنّه لم يتفق الصحابة على خلافة خلفاء الجور، ومع فرض قبول أمر المحال، لا أثر لإتفاقهم بعد ما أمر الله تعالى بوجوب طاعة الأئمة المعصومين عليهم السلام، وتعيين الأئمة الإثني عشر من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وبعد أمر الله ورسوله ماهو قيمة إجتماع الصحابة؟!!

(١) لا يخفى أنّه نحن ليس عندنا أي نزاع شخصي مع أحد من الصحابة، وليس عندنا أي خصومة خاصة مع واحد منهم، وإنّما نريد أن نعرف ماذا يريده الله سبحانه وتعالى منّا، ونريد أن نعرف الذي يريد الله سبحانه وتعالى أن يكون قدوة لنا، وأسوة لنا، وواسطة بيننا وبينه في الدنيا والآخر، وعندما نجد في كتب علماء أهل السنة الطعن في الصحابة

➔

➔
وارتكابهم الجرائم والكبائر المعاصي، المستفادة من القرآن والسنّة النبوية الشريفة، فما هو ذنبنا من ذكر الآيات ورواياتهم؛ فإن القرآن الكريم التي تصف الصحابة بالفاسقين أو الكاذبين وغيرها من الصفات الرذيلة، كما أنّ الروايات الواردة في المصادر السنية وفي صحاحهم أن بعض الصحابة ارتدّوا بعد النبيﷺ أو أنهم أحدثوا في الدين، أو بدّلوا فيه، أو إنّهم يطردون عن الحوض يوم القيامة وسنذكر ان شاء الله هذه النصوص وغيرها في محله، فلماذا لا نخوض في ذلك؟!! وعلى سبيل المثال نذكر هنا ما جاء في بعض كتبهم من الروايات الدالة على أنّ بعض الصحابة كانوا يشربون الخمر بعد تحريمها فقد روى ابن حجر في الإصابة: أن الصحابي المُلقّب بـ"حمار" ! والذي اسمه "عبد الله" شرب الخمر في عهد عمر بن الخطاب، فأمر عمر به فضُرب الحد (انظر الإصابة لابن حجر ج٢: ص١٠٢).

وروى ابن الأثير في أسد الغابة أن الصحابي "نعيمان بن عمر" كان يشرب الخمر في زمن رسول اللهﷺ، فيضربه النبيﷺ بنعله، ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم ويحثون عليه التراب، فلمّا كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة: "لعنك الله"! فقال له النبيﷺ: «لا تفعل؛ فإنه يحب الله ورسوله» (أسد الغابة ج٥: ص٣٦).

وروى ابن حجر في الإصابة: أن الصحابي "علقمة بن علاثة" شرب الخمر، فقال ما نصه: "وقال أبو عبيدة: شرب علقمة الخمر فحدّه عمر، فارتد ولحق بالروم، فأكرمه ملك الروم وقال: أنت ابن عمّ عامر بن الطفيل فغضب، وقال: لا أراني أُعرف إلا بعامر، فرجع وأسلم"! أقول: سبب غضبه هو ما ذكر في ترجمته من توتّر العلاقة بينه وبين عامر(انظر الإصابة لابن حجر ج٤: ص٤٥٨).

وروى أيضاً أن الصحابي "قدامة بن مظعون" كان أحد السابقين الأولين، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً.. ثم ذكر ابن حجر رواية تقول إنه شرب الخمر حتى سكر، وأن عمر بن الخطاب أقام عليه الحدّ، وذلك بعد أن ثبت شرب الخمر عليه من خلال شهادة غير واحد؛ منهم زوجته وأبو هريرة (انظر الاصابة لابن حجر ج٥: ص٣٢٢).
➔

←

وأيضاً ذكر في ترجمة الصحابي "الوليد بن عقبة" ما يدل على أنه شرب المسكر، وصلّى بالناس في حالة السكر، وأنه الكاذب الفاسق الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا...**﴾، فممّا ذكره ابن حجر قول الحافظ ابن عبد البر: "لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن أنها نزلت فيه"، وممّا ذكره أيضاً: "قال مصعب الزبيري: وكان من رجال قريش وسراتهم، وقصة صلاته بالناس الصبح أربعاً وهو سكران مشهورة مخرّجة، وقصة عزله بعد أن ثبت عليه شرب الخمر مشهورة أيضاً مخرجة في الصحيحين (انظر الإصابة لابن حجر ج٦: ص٤٨١). فهذا الصحابي الوليد بن عقبة السكير عند أهل السنة، والفاسق من الصحابة، فمن نظر في ترجمته يراها مملوءة بالمخازي والمحرمات، قال ابن عبد البر: وله أخبار فيها نكارة وشناعة تقطع على سوء حاله وقبح أفعاله، غفر الله لنا وله (انظر الاستيعاب ج٤: ص١٥٥٤)، وإليك أخي القارئ بعض التفصيل في مخازي هذه الرجل: لقد أنزل الله تعالى في حقه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ (سورة الحجرات:٦)، قال ابن عبد البر في الإستيعاب: ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أن قوله عزّ وجلّ ﴿**إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ**﴾ نزلت في الوليد بن عقبة، وذلك أنه بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق مصدقاً، فأخبر عنهم أنهم ارتدّوا وأبوا من أداء الصدقة، وذلك أنهم خرجوا إليه فهابهم، ولم يعرف ما عندهم، فانصرف عنهم وأخبربما ذكرنا، فبعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت فيهم فأخبروه أنهم متمسكون بالإسلام، ونزلت ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ...**﴾ الآية روي عن مجاهد وقتادة مثل ما ذكرنا. ثم روى عن أبي ليلى مثل ذلك (انظرالاستيعاب لابن عبد البر ج٤: ص١٥٥٣).

وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن مصعب بن عبد الله الزبيري قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن عمرو بن أمية بن عبد شمس وكان أخا عثمان لأمّه وأمّهما

→

➔

أروى بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن عبد مناف عمة رسول الله صلى الله عليه وآله قتل النبي صلى الله عليه وآله عقبة بن أبي معيط في رجوعه وكان الوليد في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً وكان يكنى أبا وهب (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٠٢).

وقال الذهبي: روى ابن أبي ليلى، عن الحكم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال الوليد بن عقبة لعلي: أنا أحدّ منك سناناً، وأبسط لساناً وأملا للكتيبة. فقال علي: «اسكت، فإنما أنت فاسق»، فنزلت: ﴿**أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً**﴾ (السجدة:١٨)، قلت: إسناده قوي، لكن سياق الآية يدل، على أنه في أهل النار (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج٣: ص٤١٥).

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: وأسلم الوليد هذا يوم الفتح، وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله على صدقات بني المصطلق، فخرجوا يتلقونه فظن أنهم إنما خرجوا لقتاله فرجع، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فأراد أن يجهز لهم جيشاً، فبلغهم ذلك فجاء من جاء منهم ليعتذروا إليه، ويخبرونه بصورة ما وقع، فأنزل الله تعالى في الوليد ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ**﴾ ذكر ذلك غير واحد من المفسرين والله أعلم بصحة ذلك. وقد حكى أبو عمرو بن عبد البر على ذلك الإجماع (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج٨: ص٢١٦).

وقال ابن الكثير في تفسيره: قد ذكر كثير من المفسرين أنّ الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله على صدقات بني المصطلق، وقد روى ذلك من طرق ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك بني المصطلق... سمع الحارث بن ضرار الخزاعي رضي الله عنه يقول: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها، وقلت يا رسول الله: أرجع إليهم فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته وترسل إلي يا رسول الله رسولاً إبان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة؛ فلمّا جمع الحارث الزكاة ممن

➔

➔

استجاب له وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبعث.... وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق أي خاف فرجع حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إن الحارث قد منعني الزكاة وأراد قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وبعث البعث إلى الحارث (رضي الله عنه) وأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا هذا الحارث فلما غشيهم قال لهم إلى من بعثتم؟

قالوا: إليك قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، قال: لا والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق ما رأيته بتة ولا أتاني، فلمّا دخل الحارث على رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟» قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول الله صلى الله عليه وآله خشيت أن يكون كانت سخطة من الله تعالى ورسوله، قال: فنزلت الحجرات: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ**﴾ - إلى قوله حكيم -، ورواه ابن أبي حاتم عن المنذر بن شاذان التمار عن محمد بن سابق به ورواه الطبراني من حديث محمد بن سابق به غير أنه سماه الحارث بن سرار والصواب أنه الحارث بن ضرار كما تقدم. وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا جعفر بن عون عن موسى بن عبيدة عن ثابت مولى أمّ سلمة عن أمّ سلمة رضي الله عنها قالت: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً في صدقات بني المصطلق بعد الوقيعة فسمع بذلك القوم فتلقوه يعظمون أمر رسول الله صلى الله عليه وآله، قالت: فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله، قالت: فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: إن بني المصطلق قد منعوني صدقاتهم فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون، قالت: فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فصفوا له حين صلّى الظهر، فقالوا: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله بعثت إلينا رجلاً مصدّقا فسررنا بذلك وقرت به أعيننا ثم إنه رجع من بعض الطريق فخشينا أن يكون ذلك غضباً من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وآله فلم يزالوا يكلّمونه حتى جاء بلال (رضي الله عنه) فأذّن بصلاة العصر، قالت: ونزلت: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ**

➔

➔
فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.

وروى ابن جرير أيضا من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات وأنهم لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا يتلقون رسول رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه لما حدث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه رجع الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك غضباً شديداً فبينا هو يحدث نفسه أن يغزوهم إذ أتاه الوفد، فقالوا: يا رسول الله إنا حدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق وإنا خشينا إنّما رده كتاب جاء منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله وإن النبي صلى الله عليه وآله استغشهم وهم بهم فأنزل الله تبارك وتعالى عذرهم في الكتاب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ إلى آخر الآية. وقال مجاهد وقتادة أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق ليصدقهم فتلقوه بالصدقة فرجع، فقال: إن بني المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك زاد قتادة وأنهم قد ارتدّوا عن الإسلام فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد رضي الله عنه وأمره أن يتثبت ولا يعجل فانطلق حتى أتاهم ليلاً، فبعث عيونه فلمنا جاءوا أخبروا خالدا أنهم مستمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم فلمّا أصبحوا أتاهم خالد فرأى الذي يعجبه فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره الخبر فأنزل الله تعالى هذه الآية. قال قتادة فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «التثبت من الله والعجلة من الشيطان»؛ وكذا ذكر غير واحد من السلف منهم ابن أبي ليلى ويزيد بن رومان والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم في هذه الآية أنها نزلت في الوليد بن عقبة والله أعلم (انظر تفسير ابن الكثير ج٤: ص٢٠٩)، ومثله الطبري في تفسيره ج٢٦: ص١٢٣، والبغوي في تفسيره ج٤: ص٢١٤، النسفي في تفسيره ج٤: ص١٠٦، وابن الجوزي في تفسيره ج٧: ص ١٨٠، والسيوطي في تفسيره ج٥: ص١٧٨ وغيرهم.

وأخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن الأعمش عن زيد بن وهب قال أتى رجل عبد الله بن مسعود فقال: هل لك في الوليد بن عقبة ولحيته تقطر خمراً فقال إن رسول الله صلى الله عليه وآله نهانا
➔

➔
عن التجسس ان يظهر لنا نأخذه. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم ج٤: ص٢٧٧).

وأخرج عبد الرزاق الصنعاني في كتابه المصنف بسنده عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال: أصاب أمير الجيش -وهو الوليد بن عقبة – شراباً فسكر، فقال: الناس لأبي مسعود وحذيفة بن اليمان: أقيما عليه الحد، فقالا: لا نفعل، نحن بإزاء العدو، ونكره أن يعلموا، فيكون جرأة منهم علينا وضعفا بنا (انظر المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج٥: ص١٩٨ ح٩٣٧٢).

وقال ابن عبد البر: وروى جعفر بن سليمان، عن هشام بن حسان، عن ابن سيرين، قال: لما قدم الوليد بن عقبة أمير على الكوفة أتاه ابن مسعود فقال له: ما جاء بك؟ قال: جئت أميراً. فقال ابن مسعود: ما أدرى أصلحت بعدنا أم فسد الناس.

وله أخبار فيها نكارة وشناعة تقطع على سوء حاله وقبح أفعاله، غفر الله لنا وله، فلقد كان من رجال قريش ظرفاً وحلماً وشجاعة وأدباً، وكان من الشعراء المطبوعين، وكان الأصمعي وأبو عبيدة وابن الكلبي وغيرهم..: أخباره في شرب الخمر ومنادمته أبا زبيد الطائي مشهورة كثيرة، يسمج بنا ذكرها هنا، ونذكر منها طرفاً: ذكر عمر بن شبة، قال: حدثنا هارون بن معروف، قال: حدثنا ضمرة بن ربيعة، عن ابن شوذب، قال: صلّى الوليد ابن عقبة بأهل الكوفة صلاة الصبح أربع ركعات ثم التفت إليهم فقال: أزيدكم. فقال: عبد الله بن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم (الاستيعاب لابن عبد البر ج٤: ص١٥٥٤).

وأخرج البخاري بسنده عن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن ابن الأسود بن عبد يغوث قالا: ما يمنعك أن تكلّم عثمان لأخيه الوليد فقد أكثر الناس فيه فقصدت لعثمان حتى خرج إلى الصلاة، قلت: إن لي إليك حاجة وهي نصيحة لك، قال: يا أيها المرء منك قال معمر أراه، قال: أعوذ بالله منك، فانصرفت فرجعت إليهما إذ جاء رسول عثمان فأتيته فقال: ما نصيحتك؟ فقلت: إن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق وأنزل عليه الكتاب وكنت ممّن استجاب لله ولرسوله صلى الله عليه وآله، فهاجرت الهجرتين وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله ورأيت هديه
🡐

←

وقد أكثر الناس في شأن الوليد، قال: أدركت رسول الله ﷺ قلت: لا ولكن خلص إلى من علمه ما يخلص إلى العذراء في سترها قال اما بعد فان الله بعث محمداً ﷺ بالحق فكنت ممّن استجاب لله ولرسوله ﷺ وآمنت بما بعث به وهاجرت الهجرتين كما قلت وصحبت رسول الله ﷺ وبايعته فوالله ما غصبته ولا غشمته حتى توفاه الله ثم أبو بكر مثله ثم عمر مثله ثم استخلفت، أفليس لي من الحق مثل الذي لهم؟ قلت: بلى، قال: فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم أما ما ذكرت من شأن الوليد فسنأخذ فيه بالحق إن شاء الله تعالى ثم دعا علياً فأمره أن يجلده فجلده ثمانين (صحيح البخاري ج٤: ص٢٠٢ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم).

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن حضين بن المنذر أبو ساسان قال: شهدت عثمان بن عفان وأتى بالوليد قد صلّى الصبح ركعتين، ثم قال: أزيدكم، فشهد عليه رجلان أحدهما حمران أنه شرب الخمر وشهد آخر أنه رآه يتقيأ، فقال عثمان: إنه لم يتقيأ حتى شربها، فقال: يا علي قم فاجلده، فقال علي: «قم يا حسين فاجلده»، فقال الحسن: «ول حارها من تولى قارها» (فكأنه وجد عليه)، فقال: يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده، فجلده وعلي يعدّ حتى بلغ أربعين، فقال: امسك، ثم قال: جلد النبي (صلى الله عليه وسلم) أربعين وجلد أبو بكر أربعين وعمر ثمانين وكل سنة وهذا أحب إلي (انظر صحيح مسلم ج٥: ص١٢٦ كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها).

ثم أنّ سعيد بن العاص والي عثمان من بعد الوليد أبى أن يصعد على المنبر إلا بعد أن أمر بغسله، فقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن إسماعيل بن أبي خالد حدثني طارق بن شهاب الأحمسي قال استعمل عثمان بن عفان، الوليد بن عقبة بن أبي معيط وكان أخاه لأمه على الكوفة وأرضها وبها سعد بن أبي وقاص فقدم على سعد فأجلسه معه ولا يعلم بعلمه ثم قال: أبا وهب ما أقدمك؟ قال: قدمت عاملاً، قال: على أي شئ؟ قال: على عملك، فقال: والله ما أدرى أكست بعدي أم حمقت بعدك، فقال: والله ما كست بعدك ولا حمقت بعدي، ولكن القوم استأثروا عليك بسلطانهم، فقال: صدقت، ثم

→

➔

قال: سعد حدثني بحديثي ضياع واشترى بلحم امرئ لو شهد اليوم ناصره أيا عمراه ضياع الشرّ، قال الهيثم: ولمّا عزل عثمان الوليد بن عقبة عن الكوفة وولاها سعيد بن العاص، قال الهيثم: فحدثني إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال: لما قدم سعيد بن العاص قال اغسلوا المنبر لأصعد عليه أو يطهر فغسل المنبر حتى صعد سعيد بن العاص (انظرالمستدرك على الصحيحين للحاكم ج٣: ص١٠١).

وقد دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ولعنه فقد أخرج أبو يعلى الموصلي نعيم بن حكيم عن أبي مريم عن علي: أن امرأة الوليد بن عقبة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تشتكي الوليد أنه يضربها، فقال لها: «ارجعي فقولي له إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أجارني»، قال: فانطلقت فمكثت ساعة ثم جاءت فقالت: يا رسول الله ما أقلع عني، قال: فقطع رسول الله صلى الله عليه وآله هدبة من ثوبه فأعطاها فقال: «قولي إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أجارني هذه هدبة من ثوبه»، فمكث ساعة ثم إنها رجعت، فقالت: يا رسول الله ما زادني إلا ضرباً، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله يديه، فقال: «اللهم عليك بالوليد» مرّتين أو ثلاثاً (انظر مسند أبي يعلى الموصلي ج١: ص٢٥٣)، وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص١٥١، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٤: ص٣٣٢ وغيرهم.

وأخرج البيهقي في سننه الكبرى بسنده عن خالد عن أبي عثمان النهدي عن جندب البجلي أنه قتل ساحراً كان عند الوليد بن عقبة ثم قال: أتأتون السحر وأنتم تبصرون؟

وعن أبي سعيد بن أبي عمرو عن أبي العباس الأصم عن بحر بن نصر عن ابن وهب قال: أخبرني ابن لهيعة عن أبي الأسود أن الوليد ابن عقبة كان بالعراق يلعب بين يديه ساحر وكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيقوم خارجاً فيرتدّ إليه رأسه فقال: الناس سبحان الله يحيى الموتى ورآه رجل من صالح المهاجرين فنظر إليه فلمّا كان من الغد اشتمل على سيفه فذهب يلعب لعبه ذلك فاخترط الرجل سيفه فضرب عنقه فقال: إن كان صادقاً فليحى نفسه، وأمر به الوليد ديناراً صاحب السجن وكان رجلاً صالحاً فسجنه فأعجبه نحو الرجل، فقال: أفتستطيع أن تهرب؟ قال: نعم، قال: فاخرج لا يسألني الله عنك أبداً (انظر

➔

وهي الهرب من الزحف في أحد[(١)]

➔

سنن الكبرى للبيهقي ج٨: ص١٣٦)، وإلى غير ذلك مما ورد في حقّه. وهناك كثير من الصحابة الذين كانوا يرتكبون جميع المحرّمات والجرائم، فهؤلاء ونظائرهم من الصحابة، الذين لا يكون عددهم قليل، بل يشكلون الأكثريّة الساحقة منهم، كيف لا نقف عند أوصافهم ولا نستخبر أحوالهم؟ فقد تحدثت كتب السيرة أنّ الصحابة كانوا يشربون الخمر ويتهادونه... وهو فعل محرّم على جميع المسلمين. قال السرخسي في كتابه المبسوط: وقد بيّنّا أن المسكر ما يتعقّبه السكر وهو الكأس الأخير وعن إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ قال: أتى عمر بأعرابي سكران معه إداوة من نبيذ مثلث، فأراد عمر أن يجعل له مخرجاً فما أعياه إلا ذهاب عقله فأمر به فحبس حتى صحاً ثم ضربه الحدّ ودعا بإداوته وبها نبيذ فذاقه، فقال: أوه هذا فعل به هذا الفعل، فصبّ منها في اناء ثم صبّ عليه الماء فشرب وسقى أصحابه، وقال: إذا رابكم شرابكم فاكسروه بالماء... (انظر المبسوط للسرخسي ج٢٤: ص١١)، فإذا كان الخليفة والصحابه الذين كانوا معه يشربون الخمر فكيف بالناس العاديين؟!!! وهذه أمثلة وجيزة من ارتكاب الصحابة الجرائم والمعاصي في روايات علماء أهل السنة، فلاحظ.

(١) ذكر المؤرخون أنّ غزوة أُحد وقعت في السابع من شهر شوال في العام الثالث للهجرة، وكان جيش المسلمين بقيادة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، والمشركين من قريش يومئذ بقيادة أبي سفيان بن حرب. وإنّ غزوة أحد هي ثاني غزوة كبيرة يخوضها المسلمون، حيث حصلت بعد عام واحد من غزوة بدر، وسمّيت الغزوة بهذا الاسم نسبة إلى جبل أحد، وهي بالقرب من المدينة المنوّرة، الذي وقعت الغزوة في أحد السفوح الجنوبية له؛ وكان السبب الرئيسي للغزوة هو رغبة قريش في الإنتقام من المسلمين بعد أن ألحقوا بها الهزيمة في غزوة بدر، ومن أجل استعادة مكانتها بين القبائل العربية التي تضررت بعد واقعة بدر، فقامت بجمع حلفائها لمهاجمة المسلمين في المدينة المنورة، وكان عدد المقاتلين من قريش وحلفائها حوالي ثلاثة ألف، في حين كان عدد المقاتلين المسلمين

➔

➔

حوالي ألف، وانسحب منهم حوالي ثلاثمائة، ليصبح عددهم سبعمائة مقاتل.ولقد كان هناك خلاف شديد في الرأي بين المسلمين في هذه الأمور، فاختار النبيﷺ بعد المشاورة رأي الأغلبية، والتي كانت تتألف - في الأكثر من الشباب المتحمسين، وهو الخروج من المدينة ومقاتلة العدو خارجها، بعد الاستقرار عند جبل أحد.

ومن الطبيعي أن يكون هناك بين المسلمين من كان يخفي أشياء وأمورا يحجم عن الإفصاح بها لعلل خاصة، ولذلك نزلت قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة آل عمران:١٢١)، فمن الممكن أن تكون عبارة والله سميع عليم ناظرة إلى هذه الأمور المكنونة، فهوسبحانه سميع لما يقولون، عليم بما يضمرون، ثم عصمهم الله عزّ وجلّ، فنزلت قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (سورة آل عمران:١٢٢)، هذه الآية تشير إلى زاوية أخرى من هذا الحدث إذ تقول: وإذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليّهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون والطائفتان كما يذكر المؤرخون هما "بنو سلمة" من الأوس و"بنو حارثة" من الخزرج فقد صممت هاتان الطائفتان على التساهل في أمر هذه المعركة والرجوع إلى المدينة، وهمّتا بذلك وقد كان سبب هذا الموقف المتخاذل هو أنّهما كانتا ممن يؤيد فكرة البقاء في المدينة ومقاتلة الأعداء داخلها بدل الخروج منها، والقتال خارجها، وقد خالف النبيﷺ هذا الرأي، مضافا إلى أنّه لابد من التنبيه إلى نقطة هامة وهي أن ذكر هذه المقاطع من غزوة أحد بعد الآيات السابقة التي تحدثت عن لزوم عدم الوثوق بالكفار، إشارة إلى نموذج واحد من هذه الحقيقة، لأن النبيﷺ لم يسمح ببقاء اليهود - الذين تظاهروا بمساعدة المسلمين - في المعسكر الإسلامي، لأنّهم كانوا أجانب على كل حال، ولا يمكن السماح لهم بأن يبقوا بين صفوف المسلمين فيطلعوا على أسرارهم في تلك اللحظات الخطيرة، وأن يكونوا موضع اعتماد المسلمين في تلك المرحلة الحساسة.

فأصبح رسول اللهﷺ متهيأ للقتال فتعبَّأ رسول اللهﷺ مع أصحابه، وسوّى الصفوف،

➔

➔

وأعطى الراية بيد الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، ثمّ وضع مجموعة من الرماة خلف الجيش، وأوصاهم بالثبات وعدم ترك أماكنهم، وأكّد على ذلك، حتّى روي أنّهصلى الله عليه وآله أوصاهم بأنْ يلزموا مراكزهم ولا يتركوها، حتى في حالة النصر أو الهزيمة، ثم مرصلى الله عليه وآله على الرماة وكانوا خمسين رجلاً وعليهم عبدالله بن جبير فوعظهم وذكرهم، وقال: " اتقوا الله واصبروا، وإن رأيتمونا يخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل إليكم"، وأقامهم عند رأس الشعب، وكانت الهزيمة على المشركين، وحسهم المسلمون بالسيوف حساً، فقال أصحاب عبدالله بن جبير: الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟

فنشبَت الحرب بين الجانبين، فصاح طلحة بن أبي طلحة، وهو صاحب لواء المشركين: من يبارز؟ فبرز إليه الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فبدره بضربة على رأسه فقتله، ثمّ تقدّم بلواء المشركين أخوه والنساء خلفه، يحرّضن ويضربن بالدفوف، فتقدّم نحوه حمزة عم النبيصلى الله عليه وآله وضربه ضربة واحدة وصلت إلى رئته، فمات، وكان أصحاب اللواء يوم أُحد تسعة، قتلهم الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، لمّا قتل أصحاب اللواء انكشف المشركون منهزمين، وانتقضت صفوفهم، ونساؤهم يدعين بالوَيل بعد الفرح وضرب الدفوف.

ولمّا انهزم المشركون، تبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاءوا، حتى أخرجوهم من المعسكر، وانشغلوا بجمع الغنائم فلمّا رآهم الرماة الذين أوصاهم الرسولصلى الله عليه وآله بعدم ترك أماكنهم قال بعضهم لبعض: لمَ تقيمون هنا في غير شيء، لقد هزم الله العدو، وهؤلاء إخوانكم مشغولون بجمع الغنائم، فاذهبوا واغنموا معهم، فقال عبدالله بن جبير: أنسيتم قول رسول اللهصلى الله عليه وآله؟ أما أنا فلا أبرح موقفي الذي عهد إليّ فيه رسول اللهصلى الله عليه وآله، فتركوا أمره وعصوه بعد ما رأوا ما يحبّون، وأقبلوا على الغنائم، وهنا استغل خالد بن الوليد - الذي كان أحد امراء جيش المشركين - قلّة الرماة في ثغرة الجبل، وكان قد حاول مراراً أن يتسلل منها ولكنه كان يقابل في كل مرة نبال الرماة، فحمل بمن معه من الرجال على الرماة في حملة التفافيّة وبعد أن قاتل من بقي عند الثغرة وقتلهم بأجمعهم انحدر من

🡐

➔

الجبل وهاجم المسلمين الذين كانوا منشغلين بجمع الغنائم، وغافلين عما جرى فوق الجبل، ووقعوا في المسلمين ضرباً بالسيوف وطعناً بالرماح، ورمياً بالنبال، ورضخاً بالحجارة، وهم يصيحون تقويةً لجنود المشركين.

فأصبح المسلمون وسط الحلقة، وانتقضت سيوفهم، وأخذ يضرب بعضهم بعضاً من العجلة والدهشة فتفرّق أصحاب النبي صلى الله عليه وآله عنه، وأخذ المشركون يحملون عليه يريدون قتله، ويقول ابن الأثير في ذلك قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله يومَ أحد قتالاً شديداً، كسر أنفه ورباعيته السفلى، وسال الدم على وجهه الكريم، فصاح إبليس لعنه الله: قتل رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «أيها الناس أني رسول الله، إن الله قد وعدني النصر فإلى أين الفرار؟!!!».

فكانوا يسمعون الصوت ولا يلوون على شئ فانهزموا عن ساحة الحرب، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله غضباً شديداً، وكان إذا غضب انحدر من وجهه وجبهته مثل اللؤلؤ من العرق، فنظر فإذا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى جنبه، وكذلك حمزة بن عبد المطلب، وعدد قليل من أصحابه الخلص. فحمل الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام على جيش المشركين كالليث المغضب، وكذلك حمزة، فدافعوا دفاعاً عن النبي صلى الله عليه وآله مستميتاً، حتى قال جبرئيل في وصف مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أن هذه لهي المواساة يا رسول الله»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنه مني وأنا منه». وثاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة من أصحابه، وأصيب من المسلمين سبعون رجلاً منهم أربعة من المهاجرين: حمزة بن عبدالمطلب، وعبدالله بن جحش، ومصعب بن عمير، وشماس بن عثمان بن الشريد، والباقون من الأنصار قالت هند بنت عتبة - زوجة أبي سفيان - لِـ(وَحْشي): إن أنت تمكّنت من قتل محمّد، أو علي، أو حمزة بن عبد المطلب، سأعطيك جائزة، فأوعدها بقتل حمزة. ويقول وحشي: والله إنّي لأنظر إلى حمزة يهدّ الناس بسيفه، ما يلقي أحداً يمرّ به إلا قتله، فهززت حربتي فرميته، فوقعت في أربيته (أصل الفخذ)، حتى خرجت من بين رجليه، فوقع، فأمهلته حتى مات، وأخذت حربتي وانهزمت من

🡐

➔

المعسكر، وروي أنّ هند وقعت على القتلى، ولمّا وصلت إلى حمزة بقرت كبده فلاكته، فلم تستطع أن تسيغه فلفظته، ثمّ قطعت أنفه وأذنيه، وجعلت ذلك كالسوار في يديها، وقلائد في عنقها.

ثم قام أبوسفيان فنادى بعض المسلمين: أحي ابن أبي كبشة؟ فأمّا ابن أبي طالب، فقد رأيناه مكانه، فقال الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام: «إي والذي بعثه بالحق إنه ليسمع كلامك»، قال: إنّه قد كانت في قتلاكم مثله، والله ما أمرت ولا نهيت، إن ميعادنا بيننا وبينكم موسم بدر في قابل هذا الشهر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قل: نعم»، فقال: «نعم»، فقال أبوسفيان للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام: إن ابن قمية أخبرني أنّه قتل محمّداً وأنت أصدق عندي منه وأبر، ثم ولى إلى أصحابه وقال: اتخذوا الليل جملاً وانصرفوا.

وبعد انصراف جيش المشركين بعث رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقال له: «اتبعهم فانظر أين يريدون؟ فإن كانوا ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة، وإن كانوا ركبوا الإبل وساقوا الخيل فهم متوجهون إلى مكة، فوالله لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم فيها، ثمّ لأُناجزنّهم». فاتبعهم الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ورجع فقال: «رأيت خيلهم تضرب بأذنابها مجنوبة مدبرة، ورأيت القوم قد تجملوا سائرين، فطابت أنفس المسلمين بذهاب العدو فانتشروا يتتبعون قتلاهم، فلم يجدوا قتيلاً إلا وقد مثلوا به إلا حنظلة بن أبي عامر كان أبوه مع المشركين فترك له، ووجدوا حمزة قد شقّ بطنه، وجدع أنفه، وقطعت أذناه، وأخذ كبده»، فلما انتهى إليه رسول الله صلى الله عليه وآله خنقته العبرة وقال صلى الله عليه وآله: «لامثلن بسبعين من قريش» فأنزل الله سبحانه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ (سورة النحل:١٢٦)، فقال صلى الله عليه وآله: «بل أصبر»، وقال: «من ذلك الرجل الذي تغسله الملائكة في سفح الجبل؟»، فسألوا امرأته، فقالت: إنه خرج وهو جنب، وهو حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة (راجع تاريخ الطبري ج٢: ص١٨٧، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص١٦٢، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤: ص١٠٧، والبداية والنهاية لابن كثير ج٧: ص٢٥١،

➔

➔
وأنساب الأشراف للبلاذري ج١: ص٣٢٣، والسيرة النبوية لابن سيد الناس ج١: ص٤٢٥، والسيرة النبوية لابن كثير ج٣: ص١٨، وكفاية الطالب في خصائص الحبيب للسيوطي ج١: ص٢١٢، والسيرة الحلبية للحلبي ج٢: ص٤٨٧، والمغازي للواقدي: ج١ ص٢٢١ – ٢٢٣، والفصول المختارة للشيخ المفيد: ص١٤٥ وغيرها من المصادر).

والمهم هو ما جاء في جميع المصادر التاريخيّة والسيرة، وهو فرار الصحابة عن ساحة الحرب، ويعد هذا مصيبة للإسلام والمسلمين؛ حيث مع أنّهم كانوا يسمعون نداء رسول الله صلى الله عليه وآله، يا عباد الله، يا عباد الله، وهل يمكن أن ينكر أحد فرار الصحابة في تلك المعركة؟!!!

كلّا ثم كلّا، لا يمكن أبداً أن ينكر أحد فرار أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله فيا لها من كارثة، بل هي كبيرة من الكبائر، فهزموا وفرّوا عن ساحة الحرب إلا من يعدّون بالأصابع في تلك المعركة، ولا يمنع كونهم صحابة، أو كونهم أصبحوا في ما بعد ذوي مكانة أو مناصب في المجتمع الإسلامي في ما بعد، من القبول بهذه الحقيقة التاريخية المرّة.

فهذا هو ابن هشام المؤرخ الإسلامي الكبير يكتب في هذا الصدد قائلاً: إنتهى أنس بن النضر عمّ أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد اللّه في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بايديهم، فقال: ما يجلسكم؟ أي ما يقعدكم عن القتال والمقاومة. قالوا: قُتِل رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ فموتوا على ما مات عليه رسول اللّه صلى الله عليه وآله... (انظر السيرة النبوية لابن هشام: ج٢ ص٨٣).

أو قال: حسب رواية البغوي في تفسيره: فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك وسمي أنس: يا قوم إن كان محمد قد قُتل فإن ربّ محمد لم يقتل، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وموتوا على ما مات عليه صلى الله عليه وآله، ثم قال: اللّهم إني أعتذر إليك ممّا يقول هؤلاء يعني المسلمين، وأبرأ إليك ممّا جاء به هؤلاء يعني المنافقين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قُتل (انظر تفسير البغوي ج٢: ص١٧٧).

ويروي ابن هشام عن أنس بن مالك ابن أخ انس بن النضر لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ
➔

➔

سبعين جراحة فما عرفه إلا أخته عرفته ببنانه (انظر السيرة النبوية لابن هشام: ج٢ ص٨٣).

وكتب الواقدي في مغازيه:حدثني ابن أبي سبرة عن أبي بكر بن عبد اللّه بن أبي جهم واسم أبي جهم عبيد قال: كان خالد بن الوليد يحدث وهو بالشام يقول: الحمد للّه الذي هداني للإسلام، لقد رأيتني ورأيت عمر بن الخطاب حين جالوا وانهزموا يوم أحد وما معه أحد وأنّي لفي كتيبة خشناء فما عرفه منهم أحد غيري فنكبت عنه وخشيت إن أغريت به من معي أن يصمدوا له فنظرت إليه موجّهاً إلى الشعب (انظر المغازي للواقدي: ج١ ص٢٣٧).

وقد بلغ الانهزام والضعف النفسي ببعض الصحابة في هذه المعركة بحيث أخذ يفكر في التبري من الإسلام لينجو بنفسه فقال: ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أماناً من أبي سفيان (انظر بحار الأنوار: ج٢٠ ص٢٧).

ثم إنّ القرآن الكريم يكشف الحقايق عن هؤلاء الصحابة، فيرفع الغطاء ويمزق الحجب التي أسدلت على هذه المسألة، وتفيد بوضوح أن طائفة من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله اعتقدوا بأن ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله من الظفر، والنصرلا أساس له من الصحة، فإن الله تعالى يقول في هذا الصدد: ﴿**وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ**﴾ (سورة آل عمران:١٥٤)، هذه الآية تكشف الحقيقة عن ضمائر بعض الصحابة فتقول: عندما عاد المسلمون بعد تحمل خسائر عظيمة إلى المدينة كان يسأل أحدهم رفيقه: ألم يعدنا الله سبحانه بالفتح والنصر، فلماذا هزمنا في هذه المعركة؟

فكانت الآيات من بعدها، الحاضرة جواباً على هذا السؤال، وتوضيحا للعلل الحقيقيّة التي سببت تلك الهزيمة، وإليك فيما يلي تفسيرهذه الآيات باختصار، قال سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ**

➔

صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة آل عمران:١٥٢)، ففي هذه العبارة: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ....﴾ يشير القرآن الكريم بل ويصرّح بأن الله قد صدق وعده وأنزل النصر على المسلمين في بداية تلك المعركة، فقتلوا العدو، وفرقوا جمعهم ومزقوا شملهم ما داموا كانوا يتبعون تعاليم النبيﷺ ويتقيدون بأوامره، كانوا يتحلون بالثبات والإستقامة، فلم تلحق بهم الهزيمة إلا عندما وهنوا وتجاهلوا أوامر القيادة النبوية الدقيقة. وهذا يعنى أن عليهم أن لا يتوهموا بأن الوعد بالتأييد والنصر مطلق لا قيد له ولا شرط، بل كل الوعود الإلهية بالنصر مقيدة باتباع تعاليم الله بحذافيرها، والتمسك بأهدافها.

ثم إنّه سبحانه يقول: بعد بيان هذه الحقيقة حول النصر الإلهي وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون، أي: أنّ النبيﷺ قد وعد المسلمين بصراحة قبل أن يخوضوا معركة أحد بأنهم منتصرون في تلك المعركة، ووعد النبيﷺ هو الوعد الإلهي بلا ريب. وهذا قد يستفاد من لفظة عصيتم التي تفيد أن الأغلبية والأكثرية من الرماة قد عصت وتجاهلت تأكيدات النبيﷺ بالبقاء هناك.

ومن العجيب والمؤسف أن يسعى بعض الكتّاب من أهل السنّة اليوم إلى التغطية على كثير من المواقف والاعمال المشينة التي بدرت من بعض الصحابة كالذي مرّ عليك في معركة أُحد، ويحاول تجاوزها بنوع من التبرير البعيد عن روح الحقيقة كمحاولة للمحافظة على شأن جميع الصحابة، ومكانتهم على حين أن هذه التبريرات الفجة، وهذا التعصب اللامنطقي لا يمكنها أن تمنع من رؤية الحقيقة كما هي.

فأي كاتب يستطيع إنكار مفاد هذه الآية التي تصرح قائلة: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾ (سورة آل عمران:١٥٣).

إن هذه الآية تقصد اولئك الذين رآهم أنس بن النضر، ومن شابههم من الذين تركوا ساحة المعركة، ولجأوا إلى الجبل، وجلسوا يفكّرون في نجاة أنفسهم!!

فتقول الآية: تذكروا إذ فررتم من المعركة، وذهبتم تلوذون بالجبل أو تنتشرون في السهل،

➔

تاركين رسول الله صلى الله عليه وآله وحده بين المهاجمين المباغتين من المشركين وهو يدعوكم من ورائكم ويناديكم قائلا: إلي عباد الله، إلي عباد الله فإني رسول الله صلى الله عليه وآله وأنتم لا تلتفتون إلى الوراء أبداً، ولا تلبون نداء النبي صلى الله عليه وآله وفي ذلك الوقت أخذت الهموم والأحزان تترى عليكم فأثابكم غماً بغم لما أصابكم من النكسة ولفقدان مجموعة كبيرة من خيار فرسانكم وجنودكم ولما أصاب جماعة منكم من الجراحات والإصابات ولما بلغكم من شائعة قتل النبي صلى الله عليه وآله ولقد كان كل ذلك من نتائج مخالفتكم لأوامر القيادة النبوية، وتجاهلكم لتأكيداتها بالمحافظة على المواقع المناطة لكم.

ولقد كان هجوم تلك الغموم عليكم من أجل أن لا تحزنوا على ما فاتكم من غنائم الحرب، وما أصابكم من الجراحات في ساحة المعركة في سبيل تحقيق الانتصار لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم. والله خبير بما تعملون فهو يعرف جيدا من ثبت منكم وأطاع، وكان مجاهدا واقعياً، ومن هرب وعصى، وعلى ذلك فليس لأحد أن يخدع نفسه، فيدعي خلاف ما صدر منه في تلك الحادثة، فإذا كنتم من الفريق الأول بحق وصدق فاشكروه سبحانه، وإن لم تكونوا كذلك فتوبوا إليه واستغفروه من ذنوبكم.

والأوضح من الآية السابقة قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾ (سورة آل عمران:١٥٥)، هذه الآية ناظرة أيضاً إلى وقائع معركة أحد، وتقرر حقيقة أخرى للمسلمين، وهي أن الذنوب والانحرافات التي تصدر من الإنسان بسبب من وساوس الشيطان، تفرز آثاماً وذنوباً أخرى بسبب وجود القابلية الحاصلة في النفس الإنسانية نتيجة الذنوب السابقة، والتي تمهد لذنوب مماثلة وآثام أخرى، وإلا فإن القلوب والنفوس التي خلت وطهرت من آثار الذنوب السالفة لا تؤثر فيها الوساوس الشيطانية، ولا تتأثر بها، ولهذا قال سبحانه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾.

فالله تبارك تعالى يعاتب ويوبّخ الّذين تذرّعوا لفرارهم من المعركة بنبأ مقتل رسول الله صلى الله عليه وآله

➔

وخيبر[(١)]

على يد العدوّ، وراحوا يفكرون في الحصول على أمان من أبي سفيان بواسطة عبد اللّه بن أُبي اذ يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (سورة آل عمران:١٤٤).

وهناك الآيات القرآنية تمزق كل حجب الجهل والتعصب فبامكانك أيها القارئ الكريم أن تحصل على الحقائق المكتومة في هذا المجال بالتمعن في آيات من سورة آل عمران ٤٦.

فهذه الآيات تكشف بصورة كاملة عن عقيدة الشيعة حول أصحاب رسولﷺ حيث أنّ الشيعة تعتقد بأنه لم يكن جميع صحابة النبيّﷺ أوفياء لعقيدة التوحيد، متفانين في سبيله، بل كان كثيراً منهم الضعيف في إيمانه والمنافق في عمله، ومع ذلك كان بينهم المؤمنون والأتقياء والصالحون الأبرار وكان عددهم قلّة، فلاحظ.

(١) ذكرالمؤرخون وأصحاب السير أنّ غزوة خيبرحدثت في السنة السابعة للهجرة، وخيبر بلسان اليهود: الحصن، وهي مدينة كبيرة منيعة تعجّ بالحصون والدروع، تقع إلى جهة الشمال من المدينة المنورة، وكانت خيبر منطقة واسعة وخصبة تقع على بُعد اثنين وثلاثين فرسخاً من المدينة، وكان قد سكنها اليهود قبل بعثة النبيّﷺ وبنوا فيها سبع قلاع وحصون قوية لتحصنهم وتحفظهم.

وحيث أن التربة والمناخ في تلك المنطقة كانت صالحة للزراعة جدّاً، فسكّانها اليهود، وقد حصلوا فيها على مهارة كبرى في أمور الزراعة وجمع الثروات، وتهيئة وسائل الدفاع والقتال، وإعداد السلاح والقوّة.

وقد بنوا عند كل حصن من تلك الحصون برجاً للمراقبة، ولرصد كل التحركات خارج الحصن، ولأجل أن ينقل الحرّاس والمراقبون المستقرّون في هذه الأبراج الأخبار إلى

➔
داخل الحصن.

وقد كانت تلك البروج والحصون قد شيِّدت بحيث يسيطر سكّانها على خارج الحصن سيطرة كاملة وكانوا يستطيعون عن طريق المجانيق وغيرها من آلات الرمي إبعاد أي عدو، وافشال أيّة محاولة للاقتراب الى الحصن، وذلك برميه بالسهام أو بالأحجار وما شابهها.

وسبب غزوة خيبر عزم رسول الله صلى الله عليه وآله لإيقاف أذى يهود خيبر، وذلك عندما نقضوا عهدهم مع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وعقدوا حلفاً ضده مع قريش لحشدهم ضد المسلمين في غزوة الأحزاب، وكان يهود خيبر أهل خداع وتآمر، فقد شجّعوا جميع القبائل العربية على محاربة الإسلام والقضاء على الحكومة الإسلامية، واستطاع جيش الاحزاب المشرك بمساعدة يهود خيبر أن يتحركوا في يوم واحد من مختلف مناطق الجزيرة العربية لاجتياح المدينة واستئصال المسلمين في أكبر تحالف عسكري واتّحاد نظاميّ من نوعه في ذلك العصر، ولكن هذا الجيش المعتدي الظالم تفرّق بفعل تدابير رسول الاسلام صلى الله عليه وآله الحكيمة، وشجاعة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في ساحة الحرب، فعادت الأحزاب ومن جملتهم يهود خيبر متشتّتة متفرّقة إلى أوطانها تجرّ أذيال الخيبة والخسران، واستعادت عاصمة الإسلام استقرارها وأمنها.

فتوّجه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مدينة خيبر ليوقف يهود خيبر وقبائل نجد عند حدهم، حتى تعيش المنطقة بهدوء وأمن وسلام تام، وحتى يضمن للمسلمين العيش بسلام والتخلص من الصراعات الدامية والتفرغ لنشر الدين الإسلامي ودعوة القبائل إليه.

لم يكن بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين يهود خيبر عهد، بخلاف بني قنيقاع وبني النضير وبني قريظة، فقد كان بين الرسول صلى الله عليه وآله وبينهم عهد وميثاق، فكانوا يتظاهرون السلم مع المسلمين. فاستمرّ يهود خيبر في محاولاتهم ضد النبي صلى الله عليه وآله بأنحاء عديدة، فحملت هذه المحاولات العدائية رسول الله صلى الله عليه وآله على أن يقضي على بؤرة المؤامرة ومركز الفساد والخطر هذا، وأن يجرّد سكّانها جميعاً من السلاح؛ لأنّه كان يخشى أن يعود هذا الشعب
➔

➔
المعاند الخبيث - ببذل الأموال الطائلة - إلى تأليب العرب الوثنيين مرة أخرى ضد المسلمين ويعيدوا قصة الأحزاب مرة أخرى. وخاصة أن تعصّب اليهود لدينهم ومعتقدهم كان أشدّ من تعصّب قريش للوثنيّة، ولهذا التعصّب كان يسلم ألف مشرك وثنيّ ولا يدع يهودي واحد دينه، ومعتقده!!

فعزم رسول اللهﷺ على تحطيم قدرة الخيبريين وشوكتهم، وانتزاع السلاح منهم ورصد تحرّكاتهم، خاصّة أن الشعب اليهودي كان ضليعاً في الحروب التي دارت بين الروم والفرس في تلك العصور، وكان اليهود يتعاونون مع أحد الطرفين.

ومن هنا رأى رسول اللهﷺ أن من الحكمة بل ومن الضرورة بمكان أن يطفئ شرارة الخطر هذه إلى الأبد.

وكانت هذه الفرصة أفضل الفرص لهذا العمل، لأنّ بال النبيّﷺ كان قد فرغ من ناحية الجنوب (أي قريش) بعد صلح الحديبيّة، وكان يعلم أنّه لو أقدم على عمل ضد اليهود لم تمتد يد من جانب قريش لمساعدتهم، ولكي يمنع من وصول أيّة مساعدات وامدادات لهم من ناحية قبائل الشمال مثل غطفان الذين كانوا أصدقاء ليهود خيبر والمتعاونين معهم في معركة الاحزاب، فلهذه الاسباب والعوامل والاعتبارات أمر رسول اللهﷺ المسلمين بالتهيّؤ لغزو خيبر آخر مركز من مراكز اليهود في الجزيرة العربية. وقالﷺ: «لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد أما الغنيمة فلا». ثم إنّ رسول اللهﷺ استخلف على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي، ودفع راية بيضاء إلى الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وأمر بالتوجه إلى خيبر، ولكي تسرع الإبل في سيرها اذن لعامر بن الأكوع أن يحدوا بالإبل؛ لأنّ الابل تستحبّ بالحداء، وقد استشهد ابن الأكوع هذا في هذه الغزوة.

ولقد خرج مع رسول اللهﷺ إلى خيبر ما يقرب من ألف وستمائة مقاتل، بينهم مائتا فارس، وعندما أشرف رسول اللهﷺ على خيبر، تلك الحصون المنيعة التي قد كان بين سكان هذه الحصون البالغ عددهم عشرين ألفاً، ألفان من الفرسان الشجعان والصناديد الابطال الذين توفرت لهم كل ما يحتاجون إليه من الطعام والشراب، والذين أعدّت لهم في
➔

➔

المخازن كل ما يحتاجون إليه من الأسلحة والعتاد.

وكانت هذه الحصون من الإحكام والقوّة بحيث كان من المستحيل إحداث أيّة ثغرة في حيطانها أيضاً، ومن أراد الاقتراب إليها رمي بالسهام والأحجار فجرح بها أو قتل، فكانت تعدّ هذه الحصون - في الحقيقة - متاريس قويّة لمقاتلي اليهود. فواجه المسلمون في هذه الغزوة مثل هذا العدوّ المسلح، المتمنع بمثل هذه المتاريس القويّة، فكان لا بدّ لفتح هذه القلاع من استخدام تكتيك عسكري دقيق.

ولهذا فإنّ أوّل عمل قام به رسول الله ﷺ وأصحابه في هذا السبيل هو احتلال كل النقاط والطرق الحساسة ليلاً. وقد تمّ هذا العمل بسريّة وسرعة بالغة جداً بحيث لم يعرف به حتى مراقبو الابراج اليقظون أيضاً.

ولما كان صبيحة تلك الليلة خرج عمّال خيبر غادين إلى مزارعهم وبساتينهم وهم يحملون مساحيهم ومكاتيلهم واذا بهم يفاجاون بجنود الإسلام، وقد احتلّوا جميع النقاط الحساسة وسدّوا جميع الطرق عليهم بحيث لو قدموا شبراً لقبض عليهم، فأفزعهم ذلك وخافوا خوفاً شديداً، فأدبروا هراباً وهم يقولون: محمّد والجيش معه. وبادروا فوراً إلى إغلاق أبواب الحصون وإحكامها، وعقدوا شورى عسكرية في داخل حصنهم المركزي.

وكانت نتيجة الشورى العسكريّة اليهوديّة في هذه الغزوة هي أن يجعلوا الأطفال والنساء في أحد الحصون، ويجعلوا الذخيرة من الطعام في حصن آخر، ويستقر المقاتلون الشجعان على الأبراج ويدافعوا عن كل قلعة وحصن بالأحجار، ويخرج الابطال الصناديد من كل حصن ويقاتلوا المسلمين خارجه.

كانت هذه هي خطة اليهود لمواجهة جنود الاسلام، وقد أصروا على تنفيذها حتى آخر لحظة من القتال ولهذا استطاعوا أن يقاموا في وجه الجيش الاسلامي مدة شهر واحد تقريباً بحيث كانت محاولة فتح كل حصن من تلك الحصون تستغرق عشرة أيام دون نتيجة.

وكان لكلّ حصن من حصون خيبر السبعة اسم خاص يعرف به فهي عبارة عن: ناعم

🡐

➔
والقموص والكتيبة والنطاة، وشقّ وسطح، وسلالم، وربما سمّي بعض هذه الحصون باسم زعيم الحصن وسيّده، مثل حصن مرحب.

كما أنه كانوا قد بنوا عند كل حصن من تلك الحصون برجاً للمراقبة، ولرصد كل التحركات خارج الحصن، ولأجل أن ينقل الحراس والمراقبون المستقرون في هذه الأبراج الأخبار إلى داخل الحصن.

كانت هناك نقطة لا تحظى بأهمية تذكر من الناحية العسكريّة وكان مقاتلو اليهود يسيطرون عليها سيطرة كاملة، ولم يكن فيها أي مانع من استهداف مخيم المسلمين ورميها من جانب العدو.

والمستفاد من المصادر التاريخية هو أن جنود الاسلام حاصروا القلاع والحصون حصناً تلو حصن، وحاولوا قطع ارتباط الحصن المحاصر ببقية الحصون ثم فتحه، ثم محاصرة حصن آخر.

ولقد تم فتح هذه الحصون ببطء لأنها كانت مرتبطة ببعضها بارتباط سرّي، أو كان المقاتلون يدافعون عنها دفاعاً مستميتاً، ولكن الحصون التي كان الرعب والخوف يسيطر على مقاتليها وحرّاسها، أو التي ينقطع ارتباطها بالخارج بصورة كاملة كان يتم السيطرة عليها بسهولة، وتسفكُ فيها دماء أقلّ، ويتقدم العمل فيها بسرعة أكبر.

فحمل جنود الإسلام على حصن الوطيح، وسلالم، ولكنهم واجهوا مقاومة عنيفة من اليهود الذين كانوا يدافعون عنها خارجها، من هنا لم يستطع جنود الاسلام ان يحرزوا انتصاراً بل ظلّوا يجالدون مقاتلي اليهود أكثر من عشرة أيام، ولكنهم كانوا يعودون في كل يوم إلى مقرّهم من دون نتيجة.

فعندما فتح النبيﷺ حصون النطاة والشق: انهزم من سلم من يهود تلك الحصون إلى حصون الكتيبة، وهي ثلاثة حصون: القموص والوطيح وسلالم وكان أعظم حصون خيبر القموص، فتحصنوا فيه أشد التحصين، مغلقين عليهم لا يبرزون، وقد حاصروهم عشرين يوماً (انظر كتاب المغازي للواقدي ج٢: ص٦٧).
➔

➔

وكان النبي صلى الله عليه وآله يصلّي بالمسلمين كل يوم صلاة الفجر ثم يصطفّون ثم يذهبون لمهاجمة الحصن، وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر وأعطاه الرايته على رأس جماعة من المقاتلين المسلمين لفتح بعض حصون خيبر، ولكنهم رجعوا منهزمين، وكل من الأمير والجنود يلقي باللوم على الآخر، ويتهمه بالجبن والفرار. فأعطى النبي صلى الله عليه وآله الراية لعمر بن الخطاب على رأس جماعة أخرى، فكان كرفيقه رجع منهزماً فزعاً مرعوباً وهو يصف شجاعة مرحب وقوّته البالغة، فأغضب هذا العمل رسول الله صلى الله عليه وآله وفرسان الإسلام وقادة الجيش الاسلامي، فجمع رسول الله صلى الله عليه وآله جيشه وقال: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله يفتح على يديه كرّار غير فرّار».

وقد أثارت هذه الجملة الخالدة الحاكية عن فضيلة وشجاعة وتفوّق ذلك الفارس الذي قدر أن يكون الفتح على يديه وتميّزه المعنوي على غيره موجة من الفرح الممزوج بالاضطراب بين أفراد الجيش وقادته الشجعان.

فقد بات كل واحد منهم يتمّنى أن يكون هو صاحب هذا النوط الخالد والعظيم، وان تصيب القرعة اسمه.

وعند الصباح ومع طلوع الشمس التي شقت بأشعتها رداء الظلام، وأضاءت السهل والجبل، تجمّع قادة الجيش الاسلامي وفيهم الرجلان المنهزمان بالأمس حول رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يريدون بشوق بالغ أن يعرفوا من سيعطيه الراية اليوم، ولم يطل هذا الانتظار، فقد كسر رسول الله صلى الله عليه وآله جدار الصمت هذا عندما قال صلى الله عليه وآله: «أين علي؟» فقيل: يا رسول الله به رمد، وهو زاقد بناحية. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ائتوني بعليّ».

وإنّ هذه العبارة تكشف عن أن ما أصاب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من الرمد كان من الشدة بحيث سلبه القدرة على المشي، وعاقه عن الحركة.

فأمرّ رسول الله صلى الله عليه وآله يده الشريفة على عيني الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ودعا له بخير، فعوفي من ساعته، واستعادت عيناه عليه السلام سلامتها أفضل ممّا كانت بحيث لم يرمد عليه السلام حتى آخر حياته بفضل تلك المسحة النبوية المباركة.

➔

➔

ثم دفع رسول اللهﷺ اللواء إلى الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ودعا له بالنصر، كما أنّه أمر بأن يبعث إلى اليهود قبل قتالهم من يدعو رؤساء الحصون إلى الاسلام، فإن أبوا اعتناق الاسلام أخبرهم بوظائفهم في ظلّ الحكومة الإسلامية وأن عليهم أن يسلّموا أسلحتهم إلى الحكومة الإسلامية، ويعيشوا بحريّة وأمان تحت ظلّ هذه الحكومة شريطة أن يدفعوا الجزية.

واذا رفضوا ذاك قاتلهم، ثم قالﷺ للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «لئن يهدي اللّه بك رجلاً واحداً خير من أن يكون لك حمر النعم».

أجل إن النبي الاكرمﷺ يفكّر في هداية الناس حتى في أشدّ لحظات الحرب، وهذا يفيد بأن جميع حروب رسول اللّهﷺ كانت لهداية الناس لا غير.

عندما كلّف الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام من جانب النبيﷺ بفتح قلعتي سلالم والوطيح، وهما الحصنان اللذان عجز عن فتحهما الشيخان السابقان أبو بكر وعمر ووجها بفرار ضربة لا تجبر إلى شرف الجيش الإسلامي، فارتدى درعاً قويّاً وحمل سيفه الخاص ذا الفقار وراح يهرول بشجاعة منقطعة النظير نحو القلعتين المذكورتين، والجند خلفه، حتى ركز الراية التي أعطاها له رسول اللهﷺ على الأَرض تحت الحصن. ولما رأى اليهود انه دنا من الحصن خرج اليه كبار صناديدهم.

وكان أول من خرج اليه أخو مرحب ويدعى الحارث فتقدم إلى الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وصوته يدوي في ساحة القتال بحيث تأخر من كان خلف الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام من شدّة الفزع. ولكن لم يمض زمان حتى سقط الحارث على الأرض جثّة هامدة بضربة قاضية من الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام. فغضب مرحب بطل خيبر المعروف لمقتل أخيه الحارث وخرج من الحصن وهو غارق في السلاح، فقد لبس درعاً يمانيّاً، ووضع على رأسه خوذة منحوتة من حجارة خاصة، وتقدم إلى الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام كالفحل الصؤول يرتجز ويقول:

➔

→

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

إن غلب الدهر فاني أغلب والقرن عندي بالدما مخضّب

فأجابه الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام مرتجزاً وقد أظهر للعدو شخصيته العسكرية في رجزه:

أنا الذي سمّتني أمّي حَيدرة ضرغام آجام وليث قسورة

عبل الذراعين غليظ القيصرة كليث غابات كريه المنظرة

من إنشاد رجزهما تبادلا الضربات بالسيوف والرماح، فألقت قعقعة السيوف وصوت الرماح رعباً عجيباً في قلوب المشاهدين، وفجأة هبط سيف بطل الاسلام القاطع على المفرق من رأس مرحب بطل اليهود قدّت خوذته نصفين ونزلت على رأسه وشقّته نصفين الى أسنانه، ولقد كانت هذه الضربة من القوّة بحيث افزعت أكثر من خرج مع مرحب من أبطال اليهود وصناديدهم ففرّوا من فورهم، ولجأوا إلى الحصن، وبقي جماعة فقاتلوا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام منازلة فقاتلهم حتى قتلهم جميعاً، ثم لاحق الفارّين منهم حتى باب الحصن، فضربه عند الحصن رجل من اليهود فطاح ترسُه من يده فتناول الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام باباً كان على الحصن وانتزعه من مكانه، فترس به عن نفسه فلم يزل ذلك الباب في يده وهو يقاتل حتى فتح الله على يديه ثم القاه من يده حين فرغ، وقد حاول ثمانية من أبطال الإسلام ومنهم أبو رافع مولى رسول اللهصلى الله عليه وآله أن يقلبوا ذلك الباب أو يحرّكوه من مكانه فلم يقدروا على ذلك.

وهكذا فتحت القلعة التي عجز عن فتحها المسلمون عشرة أيام، في مدّة قصيرة على يد بطل الإسلام الأول الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ويقول المؤرخون: إن الباب الذي قلعه الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام كان من الصخر وكان طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعين. وقد نقل المؤرخون قضايا عجيبة حول قلع باب خيبر هذا وخصوصياته ومواصفاته، وعن بطولات الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في فتح هذا الحصن، يعجز عنها القدرة البشريّة المتعارفة، ولا يمكن أن تصدر منهم. ويقول

←

➔

الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام نفسه في هذا الصدد ما يرفع كل شك وإبهام قد يعترض المرء في هذا المجال: ما قلعتها بقوّة بشريّة ولكن قلعتها بقوّة الهية ونفس بلقاء ربّها مطمئنة رضية (انظر مشارق أنوار اليقين للحافظ البرسي: ص١٧٠).

ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي: قد حاول حمل هذا الباب أربعون رجلاً فلم يتمكّنوا، حتّى تكاملوا سبعين فتمّ لهم حمله، قال في ذلك:

يا قالع الباب التي عن هزّها   عجزت أكفّ أربعون وأربع

عندما افتتح حصن القموص سُبيت صفيّة بنت حيي بن أخطب وامرأة أخرى، فمرّ بهما بلال على القتلى فصاحت صفية صياحاً شديداً جزعة ممّا رأت، فكره رسول اللهصلى الله عليه وآله ما صنع بلال وقالصلى الله عليه وآله: «أذهبت منك الرحمة؟ تمرّ بجارية حديثة السنّ على القتلى؟» فقال بلال: يا رسول الله ما ظننت أنك تكره ذلك، وأحببت أن ترى مصارع أهلها.

ولم يكتف رسول اللهصلى الله عليه وآله بهذا القدر من تطييب خاطر صفيّة بل احترمها، وعيّن لها مكاناً خاصاً للاستراحة في المعسكر، واختارها زوجة لنفسه، وبهذا الطريق أزال آثار ذلك الصنيع السيّئ الذي قام به بلال. لقد تركت أخلاق رسول اللهصلى الله عليه وآله وتعامله الانساني الرفيع مع صفية أثراً حسناً في نفسها، فقد صارت في ما بعد من أزواج النبيصلى الله عليه وآله الوفيّات المخلصات، وقد حزنت عند وفاته، وبكت له أكثر من بقية ازواجه.

وقد نقلنا هذا الوجيز من مصادر أهل السنة والجماعة وهي: صحيح البخاري ج٤: ص١٢، كتاب دعاء النبيصلى الله عليه وآله، باب ما قيل في لواء النبيصلى الله عليه وآله وج٤: ص١٠٧ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٦: ص١٥٠، وتاريخ الطبري ج٢: ص٣٠٠، وفتح الباري لابن حجر ج٦: ص٩٠، وكتاب السنة لابن أبي عاصم: ص٥٩٤، والسنن الكبرى للنسائي ج٥: ص١٠٨، والخصائص له: ص٤٩، ومسند أبي يعلى الموصلي ج١: ص٢٩١، وصحيح ابن حبان ج١٥: ص٢٧٧، والمعجم الكبير للطبراني ج٦: ص١٥٢، والاستيعاب لابن عبد البر ج٣: ١٠٩٩، والدرر له: ص١٩٨، وشرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج١١: ص٢٢٦، والرياض النضرة للمحب الطبري ج٢: ص١٤٧، وتاريخ

➔

←

مدينة دمشق ج٤٢: ص٨٧، ومروج الذهب للمسعودي ج٣: ص١٤، وتاريخ الاسلام للذهبي ج٢: ص٤٠٧، والبداية والنهاية لابن كثير ج٤: ص٢١٢، وج٧: ٢٥١، والسيرة النبوية لابن هشام ج٢: ص٧٩٧، وتفسير الفخر الرازي ج١٣: ص٢٣، وتاريخ بغداد ج٨: ص٥، والطبقات لابن سعد ج٢: ص١١١، وكتاب المغازي للواقدي ج٢: ص٦٥١، والكامل في التاريخ لابن الاثير ج٢: ص٢١٩، والمنتظم لابن الجوزي ج٣: ص٢٩٦ وغيرها من المصادر التي نقلت هذه الواقعة مع بعض جزئياتها، وما رافقها وما أحاط بها من ظروف وأحداث، والمهم جميع هذه المصادر أكّدت على فرار أبي بكر وعمر من ساحة الحرب يوم خيبر، وهنا أسئلة نوجّهها إلى من أراد أن يعرف حقيقة الصحابة الذين هربوا من ساحة القتال في غزوة خيبر وغيرها من الغزوات وهي:

السؤال الأوّل: ماذا تفهم من قول النبيﷺ بعد هزيمة أبي بكر وعمر يومين متتالين: «أما والله لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرّار غير فرّار، لايرجع حتى يفتح الله على يديه»؟!

لا بدّ أن نبحث وندرس معنى يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله في الآيات والروايات ثم نعرف ماذا قصد رسول اللهﷺ وسنذكره إن شاء الله في محلّه.

السؤال الثاني: هل يفهم من هزيمة أبي بكر وعمر في خيبر وانتصار الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، أن اليهود لا يحقّق النصر عليهم إلا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وشيعته؟ وهذا أمر في كمال الوضوح، فهل لهم من الجواب عن ذلك؟

السؤال الثالث: أراد البخاري أن يغطي على فرار أبي بكر وعمر فطعن بالإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وقال إنه تخلف عن النبيﷺ في خيبر لأنّه كان أرمد، ثم تاب والتحق به!

فهكذا ذكر البخاري في الحديث الذي أخرجه في صحيحه: كان علي تخلف عن النبيﷺ في خيبر وكان به رمد، فقال: أنا أتخلف عن رسول اللهﷺ! فخرج علي فلحق بالنبيﷺفلما كان مساء الليلة التي فتحها في صباحها فقال رسول اللهﷺ:

←

➔
لأعطين الراية أو قال ليأخذن غداً رجل يحبه الله ورسوله أو قال يحب الله ورسوله يفتح الله عليه، فإذا نحن بعلي وما نرجوه، فقالوا هذا علي فأعطاه رسول الله الراية، ففتح الله عليه (انظر صحيح البخاري ج٤: ص١٢، كتاب دعاء النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، باب ما قيل في لواء النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وج٤: ص١٠٧ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم).

وأحس ابن حجر بالفضيحة فقال في شرحه: وقع في هذه الرواية اختصار وهو عند أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم من حديث بريدة بن الخصيب، قال: لما كان يوم خيبر أخذ أبو بكر اللواء فرجع ولم يفتح له، فلما كان الغد أخذه عمر فرجع ولم يفتح له، وقتل محمود بن مسلمة، فقال النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ :«لأدفعن لوائي غداً إلى رجل...»، وفي الباب عن أكثر من عشرة من الصحابة سردهم الحاكم في الإكليل، وأبو نعيم، والبيهقي في الدلائل (انظر فتح الباري في شرح البخاري ج٧: ص٣٦٥) ونحوه عمدة القاري. (انظر عمدة القاري في شرح البخاري ج١٤: ص٢١٣)؛ فما رأيكم في ذلك؟ سيتبين لك الوجه في ذلك أيها القارىء الكريم من خلال المراجعه الى القرآن الكريم ، وفيما سيأتي في الجواب عن السؤال الرابع.

السؤال الرابع: فسّروا لنا الحديث الذي رواه أحمد، ووثقه في الزوائد (ج٦: ص١٥١، وج٩: ص١٢٤): عن أبي سعيد الخدري أن رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ أخذ الراية فهزّها ثم قال: «من يأخذها بحقّها؟» فجاء فلان فقال: «أمطْ» (إذهب عني!). ثم جاء رجل آخر فقال: «أمط!» ثم قال النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «والذي كرّم وجه محمد لأعطينها رجلاً لا يفرّ، هاك يا علي!»، فانطلق حتى فتح الله عليه (انظر مسند أبو يعلى الموصلي ج٢: ص٤٩٩، ومسند أحمد بن حنبل ج٣: ص١٦، وتاريخ مدينة دمشق ج١: ص١٩٤، والبداية والنهاية ج٤ ص٣٨١) لماذا؟!!

ثم إنّهم لو تأمّلوا في الآيات القرآنية يعرفون حقيقة كبار الصحابة عندهم، بل خلفائهم الذين يعتبرونهم أفضل الناس بعد رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وهم خالفوا النصوص القرآنية في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ**
🡐

➔
﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (سورة الأنفال: ١٥- ١٦). فإنّ الحديث في هذين الآيتين عن الصحابة الذين فروا عن ساحة القتال فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾.

واستخدام كلمة (زحف) - في الآية - تشير إلى أنه بالرغم من أن عدوّكم قويّ وكثير، وأنتم قليلون، فلا ينبغي لكم الفرار من ساحة الحرب، وكما كان عدوكم كثيراً في ميدان بدر فثبتم وانتصرتم.

فالفرار من الحرب يعد في الإسلام من كبائر الذنوب، ولذلك تذكر الآية بعدها جزاء من يفرّ من ميدان الحرب مع الإشارة لمن يستثنون منهم فتقول: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾، وكما نرى فقد استثنت الآية صورتين من مسألة الفرار، ظاهرهما أنهما من صورة الفرار، غير أنهما في الحقيقة والواقع صورتان للقتال والجهاد:

الصورة الأولى: عبّر عنها بـمتحرّفاً لقتال ومتحرّف من مادة (التحرّف) أي الإبتعاد جانباً من الوسط نحو الأطراف والجوانب، والمقصود بهذه الجملة هو أن المقاتلين يقومون بتكتيك قتالي إزاء الأعداء، فيفرّون من أمامهم نحو الأطراف ليلحقهم الأعداء: ثم يغافلوهم في توجيه ضربة قوية إليهم واستخدام فن الهجوم والإنسحاب المتتابع وكما يقول العرب (الحرب كر وفرّ).

الصورة الثانية: أن يرى المقاتل نفسه وحيداً في ساحة القتال، فينسحب للإلتحاق بإخوانه المقاتلين وليهجم معهم من جديد على الأعداء.

وعلى كلّ حال، فلا ينبغي تفسير هذا التحريم بشكل جاف يتنافى وأساليب الحروب وخدعها، والتي هي أساس كثير من الانتصارات، والأمر واضح. وتختتم الآية محل البحث بالقول: إن جزاء من يفر مضافا إلى استحقاقه لغضب الله فان مصيره إلى النار: ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

➔

وحنين[(١)]؟!!

➔

والفعل "باء" مشتق من "البواء" ومعناه الرجوع واتخاذ المنزل، جذره في الأصل يعني تصفية محل ما وتسطيحه، وحيث إن الإنسان إذا نزل في محل عدله وسطحه، فقد جاءت هذه الكلمة هنا بهذا المعنى. وفي الآية إشارة إلى أن غضب الله مستمرّ ودائم عليهم، فكأنّهم قد اتخذوا منزلاً عند غضب الله وكلمة "المأوى" في الأصل معناها الملجأ وما نقرؤه في الآية، محل البحث ومأواه جهنم فهو إشارة إلى أن الفارين يطلبون ملجأ ومأوى من فرارهم لينقذوا أنفسهم من الهلكة، إلا أن ما يحصل هو خلاف ما يطلبون، إذ ستكون جهنم مأواهم، وليس ذلك في العالم الآخر فحسب، بل هو في هذا العالم إذ سيحترقون في جهنّم الذلّة والإنكسار والضياع، ولذا فقد جاء في عيون الأخبار عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في جواب أحد أصحابه حين سأله عن فلسفة تحريم الفرار من الجهاد فقال: «وحرّم الله الفرار من الزحف لما فيه من الوهن في الدين، والاستخفاف بالرسل والأئمة العادلة، وترك نصرتهم على الأعداء، والعقوبة على انكار ما دعوا إليه من الإقرار بالربوبية وإظهار العدل وترك الجور وإماتة الفساد، لما في ذلك من جرءة العدو على المسلمين، وما يكون من السبي والقتل وإبطال دين الله عز وجل وغيره من الفساد» (انظر عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢: ص٩٩). فهذه هي حقيقة الصحابة الذين فرّوا عن ساحة القتال في الغزوات، فخذلهم الله في الدنيا والآخرة.

(١) لقد كانت غزوة حنين في السنة الثامنة من الهجرة، حيث قامت الغزوة بين المسلمين وقبيلتي هوازن وثقيف، في وادي حنين، وهو واد بين مكة وطائف، وبدأت غزوة حنين بعد فتح مكّة، لمّا فتح الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله مكّة، أطاعته قبائل العرب إلا هوازن وثقيفاً، فإنّهم كانوا طغاة عتاة مردّة، فلما سمعت هوازن بفتح مكّة على يد رسول الله صلى الله عليه وآله دبّت حركة خاصة في قبائل هوازن وثقيف، وجرت اتصالات مكثفة بينها، وكان حلقة الاتصال، والمدبر الحقيقي لهذه التحركات شاب عرف بالفروسية والشجاعة يدعى مالك بن عوف النصري، وقد تقرّر بعد سلسلة من الاتصالات والمداولات بين زعماء هوازن

➔

➔

وثقيف أن تبادر القبيلتان المذكورتان إلى توجيه ضربة قوية إلى جيش المسلمين عبر خدعة عسكرية، قبل أن يغزوها الجنود في عقر دورها.

فاجتمعت القوات مع رئيسها مالك بن عوف النصري، فاجتمعوا حين بلغهم خروج رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ من المدينة، فظنّوا أنّه إنّما يريدهم، فلمّا بلغهم أنّه أتى مكّة عمدوا لحربه بعد مقامه بمكّة نصف شهر، فجاءوا حتّى نزلوا بحنين، وكان من تدبير هذا القائد أن اقترح على جيشه أن يجعلوا النساء والأطفال والأموال وراء ظهورهم، وعندما سألوه عن علّة ذلك قال: أردت من جعل كلّ رجل أهله وماله وولده ونساءه خلفه حتى يقاتل عنهم.

فحطّ مالك معهم النساء والصبيان والأموال، وجشم دريد بن الصمة شيخ كبير أعمى، ليس فيه شيء إلاّ التيمن برأيه، ومعرفته بالحرب وتجربته، وهو على هودج له يقاد به، فلّما نزل بأوطاس ـ وهو مكان بقرب حنين ـ قال: بأي واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: ما لي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشاة، وخوار البقر؟، قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، فقال دريد لمالك: لِمَ فعلت هذا؟ قال: سقت مع الناس أموالهم ونسائهم وأبناءهم، ليجعل كل رجل أهله وماله وراء ظهره فيكون أشدّ لحربه ، وكان دريد بن الصمة شيخ مجرب حنَّكته الحروب، فخالف هذه الخطة عندما سمعها، وجادل فيها مالكاً، واعتبرها خطة فاشلة من الناحية العسكريّة وقال للناس: يا قوم إنّ هذا فاضحكم في عورتكم، وممكّن منكم عدوّكم، وهل يرد المنهزم شيء؟ ولكن مالكاً لم يعر كلام هذا الشيخ ونصيحته اهتماماً وقال: - وهو يتّهمه بالجهل بفنون القتال الحديثة -: إنك قد كبرت، وكبر علمك، وحدث بعدك من هو أبصرُ بالحرب منك. ولقد أثبت المستقبل صحة ما قاله ذلك الشيخ المحنّك، فإن إشراك النساء والأطفال والأنعام في الحرب، وإخراجهم إلى ساحة القتال أحدث لمقاتلي ثقيف وهوازن مشاكل كثيرة، فيما بعد.

ثم إن رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ لما سمع بتحرّكات هاتين القبيلتين فجمع المسلمين ورغبهم في الجهاد ووعدهم النصر، وبعث عبد الله بن حدرد الأسلمي، وأمره أن يدخل في هوازن وثقيف

➔

➔
فيقيم فيهم حتى يعرف بنواياهم وخططهم، ثم يأتيه بخبرهم، فانطلق الرجل إليهم ثم عاد إلى رسول الله ﷺ بأخبارهم. فرغب رسول الله ﷺ الناس وخرجوا على رآياتهم، وعقد اللواء الاكبر، ودفعه إلى أميرالمؤمنين عليه السلام، وكل من دخل مكّة براية أمره أن يحملها، وخرج في اثني عشر ألف رجل، عشرة آلاف ممن كانوا معه، فمضوا حتى كان من القوم على مسيرة بعض ليلة.

وكان مالك بن عوف قائد هوازن وثقيف قد بعث بدوره ثلاثة جواسيس ليتجسّسوا له على المسلمين، ويأتوه بأخبارهم، فعادوا بأجمعهم فزعين ممّا شاهدوه من قوة المسلمين وكثرتهم.

فقرر قائد العدوّ أن يجبر ضعف جنوده وقلتهم باستخدام الخدع العسكريّة، والتوسل بأسلوب المباغتة ليفرق - بهجوم مفاجئ - صفوف المسلمين، ويهدم نظامهم وانسجامهم، ويصيبهم بالهرج والمرج، والفوضى والحيرة ليختلّ باختلال الجيش أمر القيادة، فلا تتمكن من ضبط الأمور، وتحقيق انتصار على المسلمين. ولتحقيق هذا الهدف هبط مالك بن عوف بجيشه في واد ينحدر إلى منطقة حنين، وأمر بأن يختفي الجنود والمقاتلون خلف الصخور والأحجار، وفي شغاف الجبال، وكل ما ارتفع من ذلك الوادي ونشز، حتى إذا انحدر جنود في هذا الوادي في غفلة من هذا التدبير، خرج رجال هوازن وثقيف من مكامنهم، وكمائنهم، ورموا المسلمين الغافلين عن خطة العدو، بالحجارة والنبل، ثم يخرج إليهم فريق في أسفل الوادي ويضربونهم بالسيوف!!.

خرج رسول الله ﷺ إلى حنين يوم السبت، لثلاث خلون من شوال، سنة ثمان من الهجرة، ووصل إليها مساء ليلة الثلاثاء، لعشر ليال خلون من شوال.

وكان الجيش الذي سار به رسول الله ﷺ إلى هوازن يبلغ اثنى عشر ألفاً من الجنود المسلحين: عشرة آلاف هم الذين صحبوه من المدينة، وشاركوا في فتح مكة، وألفان من رجال وشباب قريش الذين أسلموا بعد الفتح، وقد أوكل النبي ﷺ قيادتهم إلى أبي سفيان.
🡐

➔

ولقد كان مثل هذا الجيش العظيم والجمع الكبير قليل النظير، ونادر المثيل في تلك العصور، وقد أعجب أفراد هذا الجيش بكثرتهم على خلاف ما مضى فتجاهلوا التكتيكات النظامية الدقيقة، وغفلوا عن خطط العدو ونواياه فكان ذلك داعياً إلى هزيمتهم!!

فقد قال أبو بكر لمّا رأى كثرة المسلمين: لو لقينا بني شيبان ما بالينا، لن نغلب اليوم من قلّة (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج٤: ص٢٦٩). ولكنه لم يكن يعرف أن الانتصار ليس هو بكثرة الأفراد وضخامة الجيش، بل إن هذا العامل غير مهمّ بالقياس إلى بقية العوامل.

ولقد أشار القرآن الكريمُ إلى هذه الحقيقة إذ قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ (ورة التوبة:٢٥)، فأن الله سبحانه يدعوا المسلمين إلى التضحية والجهاد على جميع الصعد في سبيل الله وقلع جذور الشرك وعبادة الأوثان، فتقول الآية: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾، وكان جيش المسلمين يوم حنين زهاء اثني عشر ألفا، وهذا الرقم لم يسبق له مثيل في الحروب الإسلامية قبل ذلك الحين، حتى اغتر بعض المسلمين وقالوا: لن نغلب اليوم؛ وذلك لأنّه لم يتوغل الإيمان في قلوبهم فانكسر جيش المسلمين في البداية وكاد العدوّ أن يغلبهم لولا أنّ الله أنزل بلطفه مدده وجنوده فنجاهم ويصوّر القرآن هذه الهزيمة بقوله: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾.

وقال مالك بن عوف لقومه: ليصير كل رجل منكم أهله وماله خلف ظهره واكسروا جفون سيوفكم، واكمنوا في شعاب هذا الوادي وهذا الوادي وفي الشجر، فإذا كان في غبش الصبح فاحملوا حملة رجل واحد، وهدوا القوم ، فإن محمدا لم يلق أحداً يحسن الحرب.

قال: فلمّا صلّى رسول الله ﷺ الغداة انحدر في وادي حنين، وكان رسول الله ﷺ عارفاً بقوّة العدوّ وعناده فدعى صفوان بن أمية قبل مغادرة مكّة، واستعار منه مائة درع بأداتها كاملة عارية مضمونة، ولبس رسول الله ﷺ نفسه درعين كما لبس المغفر والبيضة، وركب بغلته البيضاء وسار خلف جيشه وسار حتى دنوا جميعاً من الوادي، فانحدرت

🡐

كتيبة بني سليم بقيادة خالد بن الوليد في وادي حنين، وبينما دخل أكثر الجنود ذلك الوادي حمل عليهم رجال هوازن من كمائنهم في مضيق الوادي وشعابه حملة رجل واحد، وأخذوا يرشقونهم بالحجارة والنبال، فألقت أصوات الحجارة والنبال فزعاً شديداً في قلوب المسلمين الذين مطروا بالسهام والنبال والحجارة من جانب، بينما احتوشهم فريق آخر من هوازن بسيوفهم ووقعوا فيهم ضرباً وقتلاً، فانهزمت بنو سليم، وانهزم من وراءهم، الجيش الإسلامي، ولم يبق أحد إلا انهزم، وبقي الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام يقاتلهم في نفر قليل ومرّ المنهزمون برسول الله صلى الله عليه وآله لا يلوون على شيء، وكان العباس آخذاً بلجام بلغة رسول الله صلى الله عليه وآله، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله ينادي، يا معشر الأنصار إلى أين؟ أنا رسول الله فلم يلو أحد عليه، وكانت نسيبة بنت كعب المازنية تحثو في وجوه المنهزمين التراب، وتقول، أين تفرون ؟ عن الله وعن رسوله؟ ومر بها عمر فقالت له: ويلك ما هذا الذي صنعت؟ فقال لها: هذا أمر الله!!!! (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١٠٠ كتاب المغازي، باب قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ...**﴾)، انظر أيها القارىء العزيز إلى افتراء الرجل على الله سبحانه؛ فإنّه كان يعلم أنّ الجهاد بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وأمره، أمر الله عز وجل، فمضافاً إلى ارتكابه جريمة الفرار عن ساحة المعركة فقد افترى على الله، وشمله قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ**﴾ (سورة يونس: ٦٩- ٧٠)، فتوجّه الخطاب في الآية إلى النبي صلى الله عليه وآله وتقول: ﴿**قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ**﴾، وعلى فرض أن هؤلاء يستطيعون بافتراءاتهم وأكاذيبهم أن ينالوا المال والمقام لعدة أيام، فإنّ ذلك متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب بما كانوا يفترون.

وفي الواقع أن هذين الآيتين ذكرتا نوعين من العقاب لهؤلاء الكذّابين، الذين افتروا على الله، الأول: إن هذا الكذب والافتراء لا يمكن أن يكون أساساً لفلاح ونجاح هؤلاء أبداً، ولا يوصلهم إلى هدفهم مطلقاً، بل إنّهم يصبحون حيارى تائهين تحيط التعاسة والشقاء

➔

والهزيمة بأطرافهم.

الثاني: على فرض أنّهم استطاعوا أن يستغفلوا الناس ويخدعوهم بهذه الكلمات لعدة أيام، ويصلوا عن طريق الديانة الوثنيّة إلى رفاه وعيش رغيد، إلا أن هذا التمتع لا دوام ولا بقاء له، والعذاب الإلهي الخالد في انتظارهم.

أجل لقد فعلت مكيدة هوازن فعلتها في قلوب المسلمين، فقد أوحشتها، وأصابت المسلمين بالفوضى، وخلخلت صفوفهم فلاذوا بالفرار من دون اختيار، وقد أخلّوا هم بنظامهم أكثر من ما فعله العدوّ بهم. أجل لقد فعلت مكيدة هوازن فعلتها في قلوب المسلمين، فقد أوحشتها، وأصابت المسلمين بالفوضى، وخلخلت صفوفهم فلاذوا بالفرار من دون اختيار، وقد أخلّوا هم بنظامهم أكثر من ما فعله العدوّ بهم. ففرح المنافقون في جيش رسول الله صلى الله عليه وآله لهذا الحادث، وسرّوا به سروراً عظيماً حتى قال أبو سفيان شامتاً: لا ينتهي هزيمتُهم دون البحر، وقال آخر: ألا بطل السحر اليوم، وقال ثالث: لا يجتبرها محمّد وأصحابه، وعزم رابع على اغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك الوضع المضطرب واطفاء شعلة رسالته المقدسة.

لقد أزعج فرار الصحابة من كان فيهم من المؤمنين حقّاً فاستغاثوا برسول الله صلى الله عليه وآله، وأدرك رسول الله صلى الله عليه وآله بأنه لو تأخّر لحظة واحدة عن فعل ما يجب أن يفعله لتغيّر وجهُ التاريخ ولتبدّل مسار البشرية، ولحطّم جيش الشرك جيش التوحيد. من هنا صاح بأعلى صوته وهو على بغلته: يا أنصار الله وأنصار رسوله أنا عبد الله ورسوله. قال هذا واندفع ببغلته إلى ساحة القتال في المكان الذي جعله مالك وجنوده مسرحاً لمهاجمة المسلمين ومباغتتهم وقتالهم، ومشى معه من لازمه في تلك اللحظات وثبتوا معه وعلى رأسهم الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي لم يغفل عن رسول الله صلى الله عليه وآله منذ بدء القتال لحظة واحدة، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله عمّه العباس الذي كان صاحب صوت عظيم أن ينادي في المسلمين الذين كانوا يواصلون فرارهم، ولا يلوون على شيء: يا معشر الأنصار، يا معشر السمرة. ويقصد من السمرة الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان،

➔

➔

فكان هذا النداء تذكيراً بتلك البيعة التي تعهدوا فيها لرسول الله صلى الله عليه وآله بأن ينصروه حتى الموت. فبلغت صرخات العباس مسامع المسلمين فثارت حمية بعضهم، وأخذوا يثوبون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يقولون: لبيك لبيك.

لقد أوجبت نداءات العباس المتلاحقة التي كانت تخبر وتنبئ في الحقيقة عن سلامة رسول الله صلى الله عليه وآله أن تعود الجماعات الهاربة من ساحة القتال الى رسول الله صلى الله عليه وآله وهي نادمة على فرارها ندماً شديداً، ونظّموا صفوفهم أمام العدو من جديد أفضل ممّا مضى، ثم حملوا حملة رجل واحد على العدوّ الغادر بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله لغسل ما لحق بهم من عار الفرار، واستطاعوا في أقصر مدّة من الوقت أن يجبروا العدوّ على الانسحاب والفرار والرسول صلى الله عليه وآله يقول تشجيعاً لهم، وتقوية لمعنويّاتهم، ولقد ذكر ارباب السير والتاريخ جانباً من بطولات الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وتضحياته في هذه الموقعة، بحيث تسبّب إرعاب رجال هوازن ومن ساعدهم من ثقيف، فانهزموا أمام هجوم المسلمين هزيمة قبيحة ومنكرة، تاركين وراءهم أموالهم ونساءهم وصبيانهم الذين أتو بهم الى ساحة المعركة، وجعلوهم خلف ظهورهم بناء على أوامر قائدهم مالك -كما أسلفنا- وفروا بعد أن قُتِلَ منهم جماعة إلى منطقة أوطاس ونخلة، وقلاع الطائف.

لقد بلغت خسائر المسلمين من الأرواح في هذه المعركة ثمانية أشخاص في مقابل أسر ستة آلاف نفر من العدو كما وأنّ المسلمين غنموا في هذه الواقعة أربعة وعشرين ألف بعير، وأربعين ألف رأس غنم، وأربعة آلاف أوقية من الفضة.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بأن يؤخذ الأسرى والغنائم إلى منطقة تدعى الجعرانة - وهي ماء بين الطائف ومكة - وكلّف أشخاصاً معيّنين بحراستها وحفظها وجعل الأسرى في بيوت خاصة، كما أمر بأن تحفظ الغنائم من دون أن يتصرف فيها أحد في ذلك المكان، ريثما يرى فيها رأيه، بعد ان يلاحق فلول العدو الذي فرّ إلى أوطاس ونخلة والطائف (انظر المغازي للواقدي ج٢: ص٩٠٢).

وينبغي أن نشير هنا إلى أمرين:

➔

➔

أحدهما: أنّه قد ذكر جميع أصحاب السير والتأريخ أنّ عدد الجيش الذي سار به رسول الله صلى الله عليه وآله إلى هوازن يبلغ اثنى عشر ألفاً من الجنود المسلّحين: عشرة آلاف هم الذين صحبوه من المدينة، وشاركوا في فتح مكة، وألفان من رجال وشباب قريش الذين أسلموا بعد الفتح، وقد أوكل النبي صلى الله عليه وآله قيادتهم إلى أبي سفيان. بينما كان عدد جيش الأعداء أقل بمراتب كثيرة منهم، ولذلك كان المسلمون يقولون: لو لقينا بني شيبان ما بالينا، لن نغلب اليوم من قلّة ، ولايخفى أنّ ما التحق بالنبي صلى الله عليه وآله من الطلقاء قريش كانوا من رجال الحرب، فكيف هؤلاء هربوا عن ساحة القتال منهزمين، فإنّا نشم رائحة التوطئة منهم مع الأعداء والذي يؤيد ذلك سرور الطلقاء والمنافقين من هذه الهزيمة الفاضحة، حتى قال أبو سفيان شامتاً: لا ينتهي هزيمتهم دون البحر(انظر المغازي للواقدي ج٢: ص٩١٠)، وقال آخر: ألا بطل السحر اليوم، وقال ثالث: لا يجتبرها محمّد وأصحابه (انظر المغازي للواقدي ج٢: ص٩١٠)، وعزم رابع على اغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك الوضع المضطرب واطفاء شعلة رسالته المقدسة (انظر تاريخ الذهبي ج٤: ص٢٣٨).

ثانيهما: فرارعمر بن الخطاب من الزحف الذي رواه جميع أصحاب الصحاح من أهل السنة، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي محمد مولى أبي قتادة، عن أبي قتادة قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله عام حنين، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة فرأيت رجلاً من المشركين علا رجلاً من المسلمين فاستدرت حتى أتيته من ورائه حتى ضربته بالسيف على حبل عاتقه فأقبل علي فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت ثم أدركه الموت فأرسلني فلحقت عمر بن الخطاب فقلت: ما بال الناس، قال: أمر الله، ثم إن الناس رجعوا وجلس النبي صلى الله عليه وآله فقال: من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه، فقمت فقلت: من يشهد لي ثم جلست، ثم قال: من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه، فقمت فقلت: من يشهد لي ثم جلست، ثم قال: الثالثة مثله فقمت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما لك يا أبا قتادة»، فاقتصصت عليه القصّة، فقال رجل: صدق يا رسول الله وسلبه عندي فأرضه عني فقال أبوبكر: لاها الله إذا لا يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل، عن الله ورسوله صلى الله عليه وآله يعطيك سلبه، فقال

🡐

فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما ما دّل على كون الكبائر سيّما

➔

النبيﷺ: «صدق» فأعطاه فبعت الدرع فابتعت به مخرفاً في بني سلمة فإنه لأوّل مال تأثلته في الإسلام (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١٠٠ كتاب المغازي، باب قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ...﴾).

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي قتادة قال: خرجنا مع رسول اللهﷺ عام حنين فلما التقينا كانت للمسلمين جولة قال: فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين فإستدرت إليه حتى أتيته من ورائه فضربته على حبل عاتقه وأقبل علي فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت ثم أدركه الموت فأرسلني فلحقت عمر بن الخطاب فقال: ما للناس فقلت أمر الله، ثم إن الناس رجعوا وجلس رسول اللهﷺ فقال: «من قتل قتيلاً له عليه بيّنة فله سلبه»، قال: فقمت فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست، ثم قال: مثل ذلك، فقال: فقمت فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست، ثم قال ذلك الثالثة، فقمت فقال رسول اللهﷺ: «ما لك يا أبا قتادة»، فقصصت عليه القصة فقال رجل من القوم: صدق يا رسول الله سلب ذلك القتيل عندي فأرضه من حقّه، وقال أبو بكر: لا ها الله إذا لا يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل، عن الله وعن رسوله فيعطيك سلبه، فقال رسول اللهﷺ: «صدق»، فأعطه إياه فأعطاني، قال: فبعت الدرع فابتعت به مخرفاً في بني سلمة فإنه لأوّل مال تأثلته في الإسلام، وفي حديث الليث، فقال أبو بكر: كلا، لا يعطيه أضيبع من قريش ويدع أسداً من أسد الله وفي حديث الليث لأوّل مال تأثلته (انظر صحيح مسلم ج٥: ص١٤٨ كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل).

وقد اتّفق جميع المسلمين على أن التولي يوم الزحف كبيرة من كبائر الذنوب، وجريمة من أخطر الجرائم التي توعد الله عزّ وجلّ مرتكبيها بعقوبات ثلاث الأولى غضب الله وسخطه على من فعله. والثانية: ادخاله جهنم، والثالثة: ذمّ مصيره والنهاية التي يؤول اليها، ولذلك قال: فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير، كما جاءت هذه الثلاثة في الآية المتقدم ذكرها.

الشرك بالله، والهرب من الزحف، وشهادة الزور...(إلى آخرها)[(١)]؛

ألم ينقم الصحابة على خير الرسلﷺ في تأميره لزيد بن حادثة وابنه أسامة عليهم حتى صعد المنبر وقال لهم: «قد نقمتم علي في تأميري أسامة مثل ما نقمتم علي في تأميري أباه من قبل »[(٢)]

---

(١) روى البخاري ومسلم: بسندهما عن أبي هريرة أن رسول اللهﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا يا رسول الله: وما هنّ؟ قالﷺ: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحقّ، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» (انظر صحيح البخاري ج٣: ص١٩٥ كتاب الوصايا، باب وما للوصي أن يعمل في مال اليتيم..، وج٨: ص٣٤ كتاب الديات، باب رمي المحصنات وقول الله عزّ وجلّ: ﴿**الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَات...**﴾، وصحيح مسلم ج١: ص٦٤ كتاب الإيمان، باب الكبائر والأكبر)، ورواه أبو داود في سننه ج١: ص٥٩٦ ح١٠٦، والترمذي في سننه ج٤: ص١٧٥، والنسائي في سننه ج٦: ص٢٥٧، والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج١: ص٥٩، والبيهقي في سننه الكبرى ج٣: ص٤٠٨، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٣: ص٧٢، وابن أبي شيبه في المصنف ج٨: ص٤٢٧، وغيرهم.

(٢) لقد ذكر المؤرخون أنّ زيد بن حارثة كان طفلاً خرجت مع أُمّه أيّام الجاهلية لزيارة عشيرتها – وهو يومئذ ابن ثمان سنين – فأغارت عليهم الخيل وأخذوهم سبايا، وجيء به إلى سوق عكّاظ فعرضوه للبيع، فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد لعمّته خديجة بنت خويلد، فلمّا تزوّجها رسول اللهﷺ وهبته له، فاعتقه وتبنّاه بعنوان ابن له قبل بعثتهﷺ ومنذ ذلك الحين دعي بزيد بن محمّد، حتّى جاء الإسلام فنزلت الآية الكريمة: ﴿**وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءكُمْ أَبْنَاءكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ* ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ**﴾ (سورة الأحزاب:٤ ـ ٥)، فدعي يومئذ بزيد بن حارثة، ونسب بعد ذلك

←

➔
كلّ من تبنّاه رجل من قريش إلى أبيه.
وكان من أصحاب النبيﷺ، وقد آخى رسول اللهﷺ بينه وبين عمّه حمزة بن عبد المطّلب، واشترك مع النبيﷺ في حروبه كلّها: بدر، وأُحد، والخندق... وخرج أميراً في سبع سرايا، ولم يسمّ أحداً من أصحاب النبيﷺ في القرآن باسمه غيره، واستشهد في جمادى الثانية سنة الثامنة للهجرة بغزوة مؤتة، ودفن بمنطقة مؤتة، وهي قرية من قرى البلقاء في حدود الشام، وقبره معروف يزار، وإبنه أسامة، كان أميراً على الجيش الذي جهّزه رسول اللهﷺ قبيل وفاته لقتال الروم، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عن عبد الله بن عمر، قال: بعث النبيﷺ بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد فطعن بعض الناس في امارته فقال النبيﷺ: «إن تطعنوا في امارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل وأيم الله إن كان لخليقاً للإمرة وإن كان لمن أحبّ الناس إليّ وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢١٣ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم)، ورواه الواقدي في كتابه المغازي بسنده عن أسامة بن زيد وفيه، قال أسامة:... فلمّا أصبح يوم الخميس عقد النبيﷺ لأسامة لواء بيده، ثم قال أغز بسم الله في سبيل الله فقاتل من كفر بالله فخرج بلوائه وعقوداً، فدفعه إلى بريدة بن الحصيب الأسلمي وعسكر بالجرف، فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزوة فيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقّاص وسعيد بن زيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم بن حريش، فتكلّم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين، فغضب رسول اللهﷺ غضباً شديداً، فخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أمّا بعد أيّها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله وأيم الله إن كان للامارة لخليقاً وإن ابنه من بعده لخليق للامارة وإن كان لمن أحبّ الناس إليّ وإنهما لمخيلان لكل خير واستوصوا به خيراً فإنّه من خياركم» ثم نزل... (انظر كتاب المغازي للواقدي ج٢:
➔

نقلناه بالمعنى

➔

ص١١١٨)، ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢: ص١٩٠، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٢: ص٥٥، والذهبي في تاريخ الإسلام ج٢: ص٧١٤، وابن سيد الناس في السيرة النبوية ج٢: ص٣٢٥، وابن حجر في فتح الباري ج٨: ص١١٥، والمتقي الهندي في كنز العمال ج١٠: ص٥٧٢ وغيرهم وفي جميعها أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يأمر بإنفاذ هذا الجيش ويقول مؤكّداً جهّزوا جيش أُسامة، وفي بعضها: «لعن الله من تخلّف عن جيش أُسامة» (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص٢٢). ومع ذلك طعنوا في تأمير رسول الله صلى الله عليه وآله أسامة، كما طعنوا من قبل في تأميره صلى الله عليه وآله زيد بن حارثة!!!

فالروايات صريحة في أنّ أكثريّة الصحابة نقموا على رسول الله صلى الله عليه وآله كما أنّ الروايات مصرّحة بأنّ الصحابة بما فيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وغيرهم تخلفوا عن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله في الالتحاق بجيش أسامة وشملهم اللعن من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، بل وشملهم قوله تعالى: ﴿**وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾ (سورة الفتح:٦)، هذه الآية تتحدّث عن عاقبة الذين غضب الله عليهم، فتقول: ﴿**وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ**﴾

أجل، لقد ظن المنافقون حين أمرهم النبي صلى الله عليه وآله بقبول إمارة زيد بن حارثه على الجيش، وكذلك في إمارة ابنه أسامة فهم ظانّين بالله والرسول صلى الله عليه وآله كما ظنّ المشركون بالله والرسول صلى الله عليه وآله فيشملهم اللعنة والعذاب وتصرح الآية: أنّ هؤلاء عقابهم يجعله تحت عناوين أربعة فيقول أولاً: ﴿**عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ**﴾، الدائرة: في اللغة هي الحوادث وما ينجم عنها أو ما يتفق للإنسان في حياته، فهي أعم من أن تكون حسنة أو سيئة غير أنها هنا بقرينة كلمة السوء يراد منها الحوادث غير المطلوبة. وثانياً: ﴿**وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ**﴾. وثالثاً: ﴿**وَلَعَنَهُمْ**﴾. ورابعاً وأخيراً: فإنه بالمرصاد ﴿**وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾.

عن الصحيحين وغيرهما؟[١]

ألم يقل له الصحابة حين مرورهم بسدرة في طريقهم إلى حنين كانت كفرة العرب تعكف حولها: «اجعل لنا مثلها» فقال لهمﷺ: «الله أكبر، قلتم مثل ما قال قوم موسى له: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، أنكم تركبون سنن الذين من قبلكم»[٢]؟ انتهى.

---

(١) انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢١٣ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، وج٧: ص٢١٧ كتاب الايمان والنذور، باب قول النبيﷺ وأيم الله، وصحيح مسلم ج٧: ص١٣١ كتاب الفضائل، باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد، وكتاب المغازي للواقدي ج٢: ص١١١٨، ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢: ص١٩٠، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٢: ص٥٥، والذهبي في تاريخ الإسلام ج٢: ص٧١٤، وابن سيّد الناس في السيرة النبوية ج٢: ص٣٢٥، وابن حجر في فتح الباري ج٨: ص١١٥، والمتّقي الهندي في كنز العمال ج١: ص٥٧٢، والملل والنحل للشهرستاني ج١: ص٢٢ وغيرهم.

(٢) أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن أبي واقد الليثي أنّهم خرجوا عن مكّة مع رسول اللهﷺ إلى حنين قال: وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، قال: فمررنا بسدرة خضراء عظيمة، قال: فقلنا يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط، فقال رسول اللهﷺ: «قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون انها لسنن لتركبن سنن من كان قبلكم سنة سنة» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٢١٨)، ورواه الترمذي في سننه ج٣: ص٣٢١ ح٢٢١٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٧: ص٢٤، والطيالسي في مسنده: ص١٩١، والحميدي في مسنده ج٢: ص٢٧٥، وابن أبي شيبة في المصنف ج٨: ص٦٢٤، وابن أبي عاصم في كتاب السنة: ص٢٧، والنسائي في سننه الكبرى ج٦: ص٢٤٦، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ج٣: ص٣٠ وغيرهم. وهذا الحديث يدلّ على أن بعض الصحابة لم ←

روى ما دّل عليه السيوطي في الـدر المنثـور(١) عـن ابـن أبـي شـيبة(٢) وأحمد(٣) والنسائي(٤) وابن جرير(٥) وابن المنذر(٦) وابـن أبـي حـاتم(٧) وأبـي الشيخ(٨) وابن مردويه(٩) فانظر(١٠).

يؤمنوا بالله، ولم يكن دخولهم في الإسلام عن عقيدة، فكانوا على جاهليتهم الأولى.

(١) انظر الدر المنثور للسيوطي ج٢: ص١١٤

(٢) انظر كتاب المصنف لابن أبي شيبة ج٨: ص٦٢٤

(٣) انظر مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٢١٨

(٤) انظر سنن الكبرى للنسائي ج٦: ص٢٤٦

(٥) انظر تفسير الطبري ج٩: ص٦١

(٦) انظر الدر المنثور للسيوطي ج٢: ص١١٤ نقلاً عن أبي بكر محمد بـن ابـراهيم بـن المنـذر النيسابوري

(٧) انظر نفسير ابن أبي حاتم الرازي ج٥: ص١٥٥٢

(٨) انظر تفسير الدر المنثور للسيوطي ج٢: ص١١٤ نقلاً عن أبي محمد، عبـد الله بـن محمـد بن جعفر بن حيان، الأصبهاني، المعروف بأبي الشيخ.

(٩) انظر تفسير الدر المنثور للسيوطي ج٢: ص١١٤ نقلاً عن أبي بكـر أحمـد بـن موسـى بـن مردويه.

(١٠) لا يخفى على الباحث الخبير أنّ الحديث فيه دلالة واضحة على أنّ الـصحابة طلبـوا مـن النبيﷺ أن يتخذوا الشجرة للعكوف عندها، وتعليق الأسـلحة بهـا تبركـاً كـالأمر الـذي طلبه بنو إسرائيل من موسىعليه السلام، فكذا أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن أبي واقـد الليثـي انّهم خرجوا عن مكة مع رسول اللهﷺ إلـى حنـين قـال: وكـان للكفـار سـدرة يعكفـون عندها ويعلقون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط قال فمررنا بسدرة خضراء عظيمـة قـال: فقلنا يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط فقال رسول اللهﷺ: «قلتم والذي نفسي بيده كما

فهل يستحيل في حق من هذه بعض مخالفاتهم لخير الرسلصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وهو معهم ، صدور المخالفة منهم لخليفة من بعدهصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وجعل غيره في مقامهصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ[1]؟

➔

قال قوم موسى: اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون انها لسنن لتركبن سنن من كان قبلكم سنة سنة» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٢١٨). فأخبر النبيصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أن هذا الأمر الذي طلبه أصحابه منهصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كالأمر الذي طلبه بنو إسرائيل من موسىعَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم قالصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إنكم قوم تجهلون انّها لسنن لتركبن سنن من كان قبلكم سنة سنة»، ومثله ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي سعيد الخدري أنّ النبيصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال: «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتّى لو سلكوا حجر ضبّ لسلكتموه»، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟» (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١٤٤ كتاب دعاء الرسولصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على الإسلام، باب ما ذكر عن بني اسرائيل)، وهذا الحديث بمعنى أن الرسولصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قد أخبر بأنّ أمّته ستفترق بعده، وأنّها ستتّبع سنن اليهود والنصارى شبراً بشبر وذراعاً بذراع. وأمّة اليهود وضعت أوّل بذور الافتراق يوم اتخذوا العجل وكادوا أن يقتلوا نبي الله هارونعَلَيْهِ السَّلَامُ. وظلّ خط العجل يعمل من بعد موسى وهارونعَلَيْهِمَا السَّلَامُ. فإذا كان هذا الشذوذ سينتقل إلى الأمّة بصورة أو بأخرى، فلا بدّ أن تكون هناك نصوص قاطعة. بأنّ ما كان في أمر الالوصاية والخلافة في الأنبياء، سيحدث في هذه الامة في أول الطريق، وعلى هذا يتمّ التطابق بين أمم استخلفها الله لينظر كيف يعملون. وهذا النص من النصوص الثابتة عند أهل القبلة، فلاحظ.

(١) لقد ظهرت الحقيقة بأجلى صورها وثبت أنّ الرسول الأكرمصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لم يرحل عن أُمّته إلاّ بعد أن نصب الإمام أميرالمؤمنينعَلَيْهِ السَّلَامُ للخلافة والقيادة، ولكن هناك سؤال يطرح نفسه وهو أنّه لو كان الحقّ كما نطقت به النصوص كتاباً وسنّة، فلماذا أعرض الجمهور عن ما أمروا أن يتمسّكوا به؟!!

➔

➔

وهذه هي الشبهة المهمّة في الباب، وهذا هو السؤال الّذي ترك العقول متحيرة تبحث عن جواب مقنع، وقد اعتمد على ذلك بعض المنصفين من أهل السنّة في ردّه لمذهب أهل البيتعليهم السلام، فقال: انظر إلى جمهور أهل القبلة والسواد الأعظم من ممثّلي هذه الملّة فإذا هم مع أهل البيت على خلاف ما توجبه ظواهر تلك الأدلّة، فانا أُؤامر منّي نفسين، نفساً تنزع إلى متابعة الأدلّة وأخرى تفزع إلى الأكثرية من أهل القبلة.

والاجابة عن الشبهة سهلة لمن راجع التاريخ وسيرة الصحابة في عصر الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله وبعده. فإنّ القرآن الكريم رغم أمره باتباع الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله وعدم التقدّم عليه، ورغم أمره بالتسليم له وأنّ الايمان رهنه، ورغم أنّه يندّد ببعض المسلمين الذين كانوا يتمنّون طاعة الرسول لهم في بعض المواقف وقال: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّه لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ**﴾ (سورة الحجرات:٧).

فالقرآن الكريم يقول: من حسن حظّكم أن فيكم رسول اللهصلى الله عليه وآله وهو مرتبط بعالم الوحي، فمتى ما بدت فيكم بوادر الانحراف فسيقوم بإرشادكم عن هذا الطريق، فلا تتوقّعوا أن يطيعكم ويتعلّم منكم، ولا تصرّوا وتلحوا عليه، فإنّ ذلك فيه عنت لكم وليس من مصلحتكم، ويشير القرآن معقباً في الآية إلى موهبة عظيمة أخرى من مواهب الله سبحانه فيقول: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ**﴾. وفي الحقيقة أن هذه التعابير إشارة لطيفة إلى قانون اللطف أي اللطف التكويني.

وتوضيح ذلك أنه حين يريد الشخص الحكيم أن يحقق أمراً فإنّه يوفر له جميع ما يلائمه من كل جهة ويصدق هذا الأصل في شأن الناس تماماً، فالله يريد أن يطوي الناس جميعا طريق الحق دون أن يقعوا تحت تأثير الإجبار بل برغبتهم وإرادتهم، ولذا يرسل إليهم الرسل والكتب السماوية من جهة، ويحبب إليهم الإيمان من جهة أخرى، ويضري شعلة العشق نحو طلب الحق والبحث عنه في داخل النفوس ويكره إليها الكفر والفسوق

➔

➔
والعصيان، وهكذا فإن كلّ إنسان مفطور على حبّ الإيمان والطهارة والتقوى، والبراءة من الكفر والذنب، إلا أنه من الممكن أن يتلوث ماء المعنويات المنصب في وجود الناس في المراحل المتتالية وذلك نتيجة للاختلاط بالمحيطات الموبوءة فيفقد صفاءه ويكتسب رائحة الذنب والكفر والعصيان هذه الموهبة الفطرية تدعو الناس إلى اتباع رسول الله ﷺ وعدم التقدم بين يديه، فالقرآن الكريم يقرر قاعدة كلية وعامة وفي نهاية هذه الآية لواجدي الصفات المذكورة [فيها] فتقول: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ**﴾؛ أي لو حفظتم هذه الموهبة الإلهية العشق للإيمان والتنفر من الكفر والفسوق ولم تلوثوا هذا النقاء والصفات الفطريّة، فإن الرشد والهداية دون أدنى شكّ في انتظاركم.

وممّا يستجلب النظر أن الجمل السابقة في الآية كانت بصيغة الخطاب للمؤمنين لكن هذه الجملة: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ**﴾ تتحدّث عنهم بصيغة الغائب ويبدو أن هذا التفاوت في التعبير جاء ليدلّ على أن هذا الحكم غير مختص بأصحاب النبي ﷺ، بل هو قانون عام، فكل من حفظ صفاءه الفطري في أي عصر وزمان هو من أهل الرشد والهداية والنجاة.

رغم كل ذلك نشاهد رجالاً يقفون أمام النبي ﷺ في غير واحد من المواقف ويخالفونه بعنف وقوّة ويقدّمون الاجتهاد والمصالح الشخصيّة على أوامر الرسول ﷺ في مواطن كثيرة، وإليك نزراً يسيراً منها وبالإلمام بها تسهل عليك الإجابة عن السرّ في مخالفة عدّة من الأصحاب لأمر النبي ﷺ في مسألة الوصاية والقيادة، فمثلاً لاحظوا مخالفتهم لأمر النبي ﷺ في صلح الحديبيّة، وملخّصه أنّه عندما دخلت السنة الثالثة للهجرة واشتاق النبي ﷺ إلى زيارة بيت الله فأعدّ العدّة للعمرة ومعه جمع من أصحابه وليس معهم من السلاح إلا سلاح المسافر، فلمّا وصلوا إلى أرض الحديبيّة، منعوا من مواصلة السير، فبعد تبادل الرسل بينه وبين رؤساء قريش اصطلحوا على وثيقة ذكرها أصحاب السيرة في كتبهم. فكانت نتيجة تلك الوثيقة رجوع النبي ﷺ إلى المدينة ومجيئه في العام القابل للزيارة، وقد ذكر فيها شروط للصلح أثارت حفيظة بعض المسلمين، حتّى أنّ عمر بن
🡐

➔
الخطاب وثب، فأتى أبا بكر فقال: أليس برسول الله؟ قال: «بلى»، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: «بلى»، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: «بلى»، قال: فعلان نعطى الدنيّة في ديننا (لاحظ صحيح البخاري ج٣: ص١٨٢ كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب وكتابة الشروط، وج٤: ص٧٠، باب دعاء النبيﷺ إلى الإسلام، وصحيح مسلم ج٥: ص١٧٥ كتاب المغازي، باب صلح الحديبية). فقد زعم الرجل أنّ البنود الواردة في صلح النبيﷺ تعني اعطاء الدنيّة في الدين، حتّى أنّ النبيﷺ أخبرهم حين الشخوص من المدينة أنّ الله سبحانه أراه في المنام أنّ المسلمين دخلوا المسجد الحرام، فلمّا انصرفوا ولم يدخلوا مكّة، قالوا: ما حلقنا ولا قصّرنا ولا دخلنا المسجد الحرام، فأنزل الله سبحانه قوله: **﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾** (سورة الفتح:٢٧)، ولو أراد المتتبّع أن يتعمّق في السير والتفاسير يجد أنّ مخالفة القوم للرسول الأكرمﷺ لم تكن مختصّة بموضوع دون موضوع، فكان تقديم الاجتهاد على النصّ شيئاً رائجاً عندهم ولنكتف في المقام بالمخالفتهم أيّام مرض الرسولﷺ فعن ابن عباس قال: لمّا اشتدّ بالنبيﷺ وجعه، قالﷺ: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده»، قال عمر: إنّ النبيﷺ غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط، قالﷺ: «قوموا عنّي ولا ينبغي عندي التنازع»، فخرج ابن عباس يقول: إنّ الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول اللهﷺ وبين كتاب (انظر صحيح البخاري ج١: ص٢٧ كتاب العلم، باب كتابة العلم). ولا يخفى إنّ الراوي نقل الرواية بالمعنى كي يخفّف من شدّة الصدمة التي تحصل فيما لو نقل الرواية بألفاظها، والشاهد على ما نقول أنّ البخاري نفسه روى الرواية بشكل آخر أيضاً، فروى عن ابن عباس إنه كان يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثمّ بكى حتّى بلّ دمعه الحصى، قلت: يا ابن عباس ما يوم الخميس؟ قال: اشتدّ برسول اللهﷺ وجعه فقال: «ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً»، فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما له؟ أهجر، استفهموه، فقالﷺ: «ذروني فالذي أنا فيه خير ممّا تدعونني إليه»، فأمرهم بثلاث قال: «أخرجوا
➔

➔

المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم...» والثالثة خير إمّا أن سكت عنها وإمّا أن قالها فنسيتها (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٦٦ كتاب دعاء النبيﷺ إلى الإسلام، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب....)، ولعلّ الثالثة الّتي نسيها الراوي هو الّذي كان أراد النبيﷺ أن يكتبه حفظاً لهم من الضلال ولكن ذكره شفاهاً عوض كتابته، لكنّ السياسة اضطرّت المحدّثين إلى ادّعاء نسيانه .

ولعلّ النبيﷺ أراد أن يكتب في مرضه تفصيل ما أوجبه عليهم في حديث الثقلين وتشهد بذلك وحدة لفظهما، حيث جاء في الثاني: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا كتاب اللّه وعترتي».

وقد فهم الخليفة عمر بن الخطاب ما يريده رسول الإسلامﷺ وحدّث به بعد مدّة من الزمن لابن عباس فقال له يوماً: يا عبدالله إنّ عليك دماء البدن إن كتمتها، هل بقي في نفس علي شيء من الخلافة؟ قال ابن عباس: قلت: نعم، قال: أو يزعم أنّ رسول اللهﷺ نصّ عليه؟ قلت: نعم، فقال عمر: لقد كان من رسول اللهﷺ في أمره ذروة من قول لا تثبت حجّة، ولا تقطع عذراً ولقد كان يربع في أمره وقتاً ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعت من ذلك اشفاقاً وحيطة على الإسلام، فعلم رسول الله أنّي علمت ما في نفسه فأمسك (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٣: ص١٧)، وكأنّ الرجل كان أشفق على الإسلام من رسول اللهﷺ.

والعجب أنّ أحمد أمين مع أنّه من أعداء الشيعة يعترف بما ذكرنا بصراحة. أراد رسول اللهﷺ في مرضه الّذي مات فيه أن يعيّن من يلي الأمر بعده ففي الصحين: البخاري ومسلم أنّ رسول اللهﷺ لمّا اصفرّ قالﷺ: «هلمّوا أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده»، وكان في البيت رجال منهم عمر بن الخطاب، فقال عمر: إنّ رسول اللهﷺ قد غلب عليه الوجع، وفي موضع آخر في صحيح البخاري أنّه قال: إنّ الرجل ليهجر وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله؛ فاختلف القوم واختصموا فمنهم من قال: قرّبوا إليه يكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم من قال القول ما قاله عمر، فلمّا أكثروا اللغط والاختلاف عندهﷺ

🡐

بعد النظر إلى ما دلّت عليه آية "انقلبتم"[(١)]

➔

قال: «قوموا» فقاموا. وترك الأمر خصوصاً لمن جعل المسلمين طوال عصرهم يختلفون على الخلافة حتّى عصرنا هذا بين السعوديين والهاشميين (انظر كتاب يوم الإسلام لأحمد أمين: ص٤١).

هذه نموذج من مخالفة القوم لصريح النصوص الصادرة عن النبي الأكرمﷺ، وهناك مخالفات عديدة منهم سوف نذكرها إن شاء الله تعالى وهي تعرب عن فقدانهم روح التسليم للنبيﷺ ولأحكامه، فلم يكونوا ملتزمين بما أمرهم الله عزّ وجلّ، حيث لم يوافق أهواءهم وأغراضهم، نعم، ربّما يوجد بينهم من كان أطوع للنبيﷺ من الظلّ لذي الظلّ، ولكن المتنفّذين لم يكونوا متعبّدين بالنصوص فضلاً عن تعبّدهم بالاشارات والرموز، وربّما كانوا يقابلون النبيﷺ بكلمات عنيفة يقابل بها من هو أقل منه شأناً، فلاحظ.

(١) قال الله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ (سورة آل عمران:١٤٤)، هذه الآية تعلّم حقيقة هامّة للمسلمين، وهي أنّ الإسلام لا ينتهي بموت النبيﷺ أو استشهاده، حتى إذا قتل النبيﷺ ونال الشهادة لا ينتهي كل شئ ولا يسقط واجب الجهاد والنضال عن كاهل المسلمين، بل إنّ هذا الواجب مستمر، وعليهم أن يواصلوه؛ لأنّ الإسلام هو الدين الحق الذي أنزل ليبقى خالداً إلى الأبد. فارتباط الحركة أو الدين بشخص معين حتى لو كان ذلك هو النبي الخاتمﷺ معناه توقف كل الفعاليات وكل تقدم بفقدانه وغيابه عن الساحة، وهذا النوع من الإرتباط هو أحد علائم النقص في الرشد الاجتماعي، فتركيز النبيﷺ وإصراره على مكافحة تقديس الفرد وعبادة الشخصية آية أخرى من آيات صدقه، ودليلاً آخر على حقانيته؛ لأنّ قيامه ودعوته لو كان لنفسه وبهدف تحقيق مصالحه الشخصية للزم أن

➔

➔

يعمق في الأذهان والقلوب هذه الفكرة، ويزيد من توجيه الأنظار إلى نفسه ، بحيث إذا غاب عنهم ذهب وانتهى كل شيء، ولكن القادة الصادقين كالنبي الأكرمﷺ لا يفعلون مثل هذا أبداً، بل يكافحونها بقوة، ويقولون: إن أهدافنا أعلى من أشخاصنا وهي لا تنتهي بموتنا وبغيابنا، ولهذا يقول القرآن الكريم: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ؟**...﴾ وهو بذلك يستنكر ما دار في خلد البعض أو قد يدور من أن كل شئ في هذا الدين ينتهي بغياب النبيﷺ. والجدير بالذكر أن القرآن استخدم للتعبير عن الردة إلى الجاهلية كلمة "انقلبتم على أعقابكم" والأعقاب جمع عقب (وزان خشن) بمعنى مؤخرة القدم، فهو تعبير موح يصور التراجع إلى الوراء والإرتداد الواقعي، وهو أكثر إيحاءاً وأقوى تصويراً من لفظة الردة والرجوع والعودة، لأنّه بمعنى السير القهقري.

ثم إنه سبحانه يقول: ﴿**وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا**...﴾، يعني أن العودة إلى الكفر والوثنيّة تضرّكم أنتم دون الله سبحانه، لأنّ أمثال هذا التراجع موجب لفقدان كلّ ما حصلتموه من العزّة والكرامة والمجد بسرعة كما حصل ذلك للأقليّة من أصحاب الرسولﷺ في معركة أحد؛ حيث استمرّوا على جهادهم رغم الصعوبات، وانتشار الخبر المفجع عن مقتل الرسول، كان من الطبيعي أن ينال صمودهم هذا وثباتهم التقدير اللائق، ولهذا قال سبحانه: ﴿**وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ وبذلك مدح القرآن الكريم استقامتهم وصمودهم، ووصفهم بالشاكرين لأنهم أحسنوا الاستفادة والانتفاع بالنعم في سبيل الله، وهذا أفضل مصاديق الشكر. فالدرس الذي تعطيه هذه الآية هو أبلغ وأفضل درس لجميع المسلمين في جميع العصور والأزمنة، فعليهم جميعاً أن يتعلّموا من القرآن أن لا يربطوا القضايا الإستراتيجيّة والأهداف العلياً والمصيريّة بالأشخاص، بل لا بدّ أن يلتفوا حول الأسس والمبادئ الخالدة التي لا تفنى ولا تتغيّر، ولا تتأثّر بتغير الأشخاص أو غيابهم عن الساحة بسبب الموت أو القتل حتى لو كان ذلك هو النبي الأكرمﷺ، لكيلا تتوقف عجلة المسيرة عن الحركة، ولا يتعطل دولاب العمل عن الدوران، بل إن ذلك هو

🡐

➔

رمز الخلود في أي مبدأ وحركة أساساً.

وعليه فإنّ الله تعالى بيّن في كتابه العزيز كفر الصحابة وانقلابهم على الشريعة الإلهية وحكم رسوله بعد وفاة الرسول الأكرمﷺ وترجيح الله واحتماله واجب الحدوث فهو لا يخطئ في ترجيح أو ما بينّه بشكل الاحتمال، فقوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً**﴾ مبين لهذه الحقيقة، أي: أفإن مات رسول اللهﷺ أو استشهد، فإنّ المسلمين سيكفرون وينقلبون على الأعقاب. وهذا ما حدث بالفعل، فقد حدث الانقلاب على سلطة النبيﷺ وأطاع المسلمون الطواغيت الذين استلموا السلطة بالقهر والمكر والخديعة بغير أمر من الله ولا رسولهﷺ وبذلك كانت طاعة عباد الله لهم طاعة لغير الله. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ (سورة المائدة:٥٤)، وفي هذه الآية الكريمة أيضاً الإنباء عن المرتدّين، الذين تنبأ القرآن بارتدادهم عن الدين الإسلامي الحنيف، وهذه الآية أتت بقانون عام يحمل انذارا لجميع المسلمين، فأكّدت أن من يرتدّ عن دينه فهو لن يضرّ الله بارتداده هذا أبداً، ولن يضرّ الدين ولا المجتمع الإسلامي؛ لأنّ الله كفيل بإرسال من لديهم الإستعداد في حماية هذا الدين، حيث تقول الآية الكريمة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ**﴾، ثم تتطرّق الآية إلى صفات هؤلاء الحماة الذين يتحمّلون مسؤولية الدفاع العظيمة، وتبينها على الوجه التالي، أولاً: إنهم يحبون الله ولا يفكرون بغير رضاه، فالله يحبّهم وهم يحبّونه، كما تقول الآية: ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾. وثانياً: يبدون التواضع والخضوع والرأفة أمام المؤمنين، حيث تقول الآية: ﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾، بينما هم أشداء، أقوياء أمام الأعداء الظالمين، فهم ﴿**أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾. وثالثاً: إن

🡐

➔
شغلهم الشاغل هو الجهاد في سبيل الله، إذ تقول الآية: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. وآخر صفة تذكرها الآية لهؤلاء العظام، هي أنّهم لا يخافون لوم اللائمين في طريقهم لتنفيذ أوامر الله والدفاع عن الحق، حيث تقول الآية: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾.

فهؤلاء بالإضافة إلى إمتلاكهم القدرة الجسمانيّة، يمتلكون الجرأة والشجاعة لمواجهة التقاليد الخاطئة، والوقوف بوجه الأغلبية المنحرفة التي اعتمدت على كثرتها في الاستهزاء بالمؤمنين، وهناك الكثير من الأفراد المعروفين بصفاتهم الطيّبة، لكنّهم يبدون الكثير من التحفّظ أمام الفوضى السائدة في المجتمع وهجوم الأفكار الخاطئة لدى سواد الناس أو من الأغلبيّة المنحرفة، ويتملّكهم الخوف والجبن، وسرعان ما يتركون الساحة ويخلونها للمنحرفين، في حين أن القائد المصلح ومن معه من الأفراد بحاجة إلى الجرأة والشهامة لتطبيق أفكارهم واصلاحاتهم. وعلى عكس هؤلاء فالذين لا يمتلكون هذه الصفات الروحية الرفيعة، يقفون سداً وحائلاً دون حصول الإصلاحات المطلوبة.

وهنا ترجيح آخر بالردّة والكفر للصحابة الذين انقلبوا على أعقابهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وأنهّم في ذلك الحين لا يحبّهم الله ولا يحبّونه لذلك وعدهم أن يأتي بغيرهم ويبدلهم.

فأخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «بينا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلمّ، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله!! قلت: عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلمّ، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقري فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم» (انظر صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٩ كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى إنّا أعطيناك الكوثر). فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الحديث الذي اشتهر بحديث الحوض انّهم سيريدون من بعده ويحدثون السنن ويبدّلون الدين، فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «سحقاً سحقاً حتى لا يبقى منهم مثل همل النعام» أي قلة قليلة، فهؤلاء الصحابة الذين يعبّر عنهم القرآن الكريم: بالمرتدين على الأعقاب، فلاحظ.

وخبر "الحوض"(١)؛

---

(١) إنّ حديث الحوض من أحاديث التي أخرجها جميع المحدّثين من أهل السنة بطرق متعدّدة وألفاظ مختلفة في صحاحهم ومسانيدهم، ولا يتطرّق إليه الشكّ؛ فقد أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إنكم تحشرون حفاة عراة، وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات اليمين وذات الشمال، فأقول: أصحابي أصحابي، فيقول: إنّهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول: كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص ١١٠ كتاب يدء الخلق، باب قول الله عزوجل: واتخذ الله ابراهيم خليلاً....، وج٤: ص١٤٢، كتاب بدء الخلق، باب واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها.....).

ورواه مسلم في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وآله قال: «ليردنّ علي الحوض رجال ممّن صاحبني حتى إذا رأيتهم ورفعوا إلي اختلجوا دوني، فلأقولن: أي رب أصيحابي أصيحابي، فليقالن لي: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص٧١ كتاب الفضائل باب اثبات حوض نبينا صلى الله عليه وآله).

وروى البخاري في صحيحه بسنده عن المغيرة بن النعمان، قال: سمعت سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: خطب رسول صلى الله عليه وآله فقال: «يا أيها الناس انّكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً»، ثم قال: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**...﴾ (إلى آخر الآية)، ثم قال: «ألا وإنّ أوّل الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وأنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصيحابي، فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم، فلمّا توفّيتني كنت أنت الرقيب عليهم، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم» (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١٩٢ كتاب التفسير، باب وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم).

وروى البخاري بسنده عن سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة، أنه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي، فيجلون عن الحوض، فأقول: يا

←

فإنّــه قــد علــم منهمــا ردة جمهــور الــصحابة منــذ فــارقهم خيــر الرسـلﷺ(١) وذلـك لـشغلهم قبـل تجهيـزهﷺ فـي جعـل خليفـة بـدل

➔

رب أصحابي، فيقول: إنـك لا علـم لـك بمـا أحـدثوا بعـدك، إنهـم ارتـدّوا علـى أدبـارهم القهقري» (انظر صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٨ كتاب الرقاق، باب وفـي الحـوض قـول الله إنا أعطيناك الكوثر). فهذه الأحاديث وغيرها صريحة جـدّاً، وواضـحة الدلالـةً، فـلا تقبـل التأويل، حيث فيها، قولهﷺ: «أصحابي»، أو قولهﷺ: فـأقول: «يـا رب أصـحابي»، فـلا إشكال فـي حملهـا علـى مـن صـحبهﷺ، كمـا لا اشـكال فـي معنـى المبـدّلين مـن بعـد النبيﷺ والمحدثين في الدين، فإنّ معناه واضح، حيث أنّ المقـصود بـه: هـو التحريـف في الدين والشريعة المقدّسة، فلا إشكال في حملها على إرتداد الصحابة، وهذا هو الـذي يقتضيه الظهور للعبارات المـذكورة، ولا يمكـن لأحـد أن يوجّـه هـذه الأحاديـث حـسب مشتهاه المذهبي، فلاحظ.

(١) إنّ قضية ارتداد غالبيّة الصحابة بعد وفاة رسول اللهﷺ، قد يثأر فـي مجـالس ومنتـديات التابعة للتيّارات الوهابية، ولكن الباحث لـو درس فـي النـصوص الإسـلامية دراسـة علميـة بعيدة عن الأهواء والميول والعواطف لوجد فيها الآيـات مـن القـرآن الكـريم، والروايـات الكثيرة من مصادر أهل السنة تدلّ بالصراحة على ارتـداد الـصحابة بعـد وفـاة النبـيﷺ، ومن جملـة الآيـات: آيـة انقلبـتم علـى أعقـابكم المتقـدّم ذكرهـا، ومـن الروايـات روايـة الحوض المتقدّم ذكرها في الصحيحين البخـاري ومـسلم، وهـي تـدلّ بالـصراحة علـى أنّ أكثر الصحابة ارتدّوا بعد النبيﷺ، ولم يخلص منهم ألا مثل همل النعم، لأنّهم أحـدثوا في الدين. ويستفاد من هذه النصوص المتقدّم، كثرة وقوع التحريف والتبديل في الـدين؛ حيث أنّ فيها عبارة: أقوام، فإذا كان الذين بدلوا أقواماً فلا ريب في أن الـذي بـدل يكـون كثيراً، لأنّ ما بدّله بعضهم لا يصحّ نسبته إلى غيره كما هو واضح ظاهر.

ثم أنّ الرجوع على أدبارهم القهقرى أيضاً يدلّ علـى الارتـداد؛ لأن لفـظ الرجـوع وإن كـان

➔

خليفتهﷺ الذي جعلهﷺ عليهم[(١)]،

➔

فيه الإطلاق إلا أنّ الرجوع من الدين ليس معناه إلا الارتداد، كما أنّ قولهﷺ: «أحدثوا» ظاهر في التحريف والبدعة في الدين، فهم أيضاً من أصحاب الخلود في النار، ولا يخفى على الخبير أنّ الخلود في جهنم يختصّ بالكافرين كما قال تعالى: ﴿**لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى**....﴾ (سورة الليل:١٥)، فالمقصود بـ(يصلى) جهنم هنا الخلود فيها، والخلود مختص بالكافرين، والقرينة على هذا القول أنّ لفظ أشقى، ﴿**الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى**﴾ فإنّ التكذيب إشارة إلى الكفر، والتولي إشارة إلى ترك الأعمال الصالحة، إذ هو ملازم للكفر، وقد يشير الفعلان إلى ترك الإيمان، ويكون التكذيب بنبي الاسلامﷺ، والتولي الإعراض عنه، فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ من إعجاز القرآن الكريم الإخبار عن غيب المستقبل، فقد أخبر القرآن الكريم بأمور كثيرة ستقع في المستقبل، ثم وقعت كما أخبره سبحانه وتعالى، ومن أمثلة الإعجاز الغيبي في القرآن إخبار القرآن عن الارتداد والرجوع على الأعقاب في قوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ (سورة آل عمران:١٤٤)، كما أنّ من إعجاز السنّة النبويّة الشريفة، الإخبار النبي الأكرمﷺ عن غيب المستقبل في الروايات التي أخبر بها عن مستقبل أمّته كحديث الحوض المتقدّم ذكره، ولا يخفى على الخبير دلالة الآية والحديث على انحراف الصحابة عن نهج رسول اللهﷺ والابتعاد عن المفاهيم والقيم الإسلامية المعبّر عنه بالارتداد والرجوع على الأعقاب والتقهقر، كما تقدم البحث في ذلك؛ وقد سجل التاريخ جملة كبيرة من الحوادث، التي تكشف عن حقيقة واقعة ولا مناص من الاعتراف بها، ويبدأ تاريخ ارتداد الصحابة من اليوم الذي انتقل فيه الرسول الأعظمﷺ إلى الرفيق الأعلى، حيث دان القوم بما حدث في السقيفة كأمر واقع لا مفرّ منه، فأنكروا نصوص

➔

➔
الولاية والخلافة والإمامة بعد الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله حتى نفّذوا مؤامراتهم في السقيفة مستغلين انشغالاً الإمام أمير المؤمنينعليه السلام وأهل البيتعليهم السلام بتجهيز رسول اللهصلى الله عليه وآله ودفنه، وقد دار بينهم النزاع والصراع للغلبة على السلطة، فلم يسفر عن رضا الجميع ولا عن اتفاقهم أو تشاورهم، بل تطاير الشر فيها، وكانت بيعتهم كما قال عمر: فلتة وقى الله شرّها (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٢٥ كتاب المحاربي، باب رجم الحبلى من الزنا). وامتدّ في تاريخ الأمة مدى سلبياته الخطيرة، والتي ترتّب عليها من نتائج وقرارات خطيرة، وصراعات متصلة على الخلافة وأمواجاً من تلك الفتنة التي هي أكثر الأحداث جذوراً، وأعمقها عللاً وأسباباً، وكذلك أشدها آثاراً لدى الناظرين إلى نتاجها وخلفياتها

الخطيرة التي برزت من يوم السقيفة وحتى يومنا هذا، وكانت من نتائجه المرة اختلاف الأمة وضلالتها، لعدم الأخذ بوصيّة النبيصلى الله عليه وآله من التمسك بالثقلين واتباعهما وهما: القرآن الكريم وأهل بيت نبيّهم المعصومينعليهم السلام، فحصلت هذه النتائج السيئة، والعواقب الوخيمة الناشئة من انحراف الصحابة وارتدادهم ورجوعهم على الأعقاب، دون أن تمدّ بصرها إلى أبعد من هذه وأعمتهم عن التأمّل في أبعادها.

قال الطبري: اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة، فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح، فقال: ما هذا؟ فقالوا: منّا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: منّا الأمراء ومنكم الوزراء - إلى أن قال: - فبايعه عمر وبايعه الناس، فقالت الأنصار - أو بعض الأنصار -: لا نبايع إلا عليّاً.... (ثمّ قال): أتى عمر بن الخطاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة؛ فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف فعثر، فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه.... .

وقال أيضاً: وتخلّف علي والزبير، واخترط الزبير سيفه وقال: لا أغمده حتّى يبايع علي. فبلغ لك أبا بكر وعمر فقالا: خذوا سيف الزبير (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٤٤٣ ـ ٤٤٤).

وقال اليعقوبي في تأريخه: ومالوا مع علي بن أبي طالب، منهم: العبّاس بن عبد المطلب،
➔

➔
والفضل بن العباس، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد بن العاص، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمّار بن ياسر، والبراء ابن عازب، وأبي بن كعب... (تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٠٣).

وروى الزبير بن بكار في الموفقيات: إن عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار كانوا لا يشكّون أنّ عليّاً هو صاحب الأمر.

وروى الجوهري في كتاب السقيفة: أنّ سلمان والزبير وبعض الأنصار كان هواهم أن يبايعوا عليّاً.

وروى أيضاً: أنّه لما بويع أبو بكر واستقرّ أمره، ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته، ولام بعضهم بعضاً، وهتفوا باسم الإمام علي، ولكنّه لم يوافقهم.. (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص٤٣ ـ ٤٤).

وروى ابن أبي الحديد بسنده عن المغيرة، أن سلمان والزبير وبعض الأنصار كان هواهم أن يبايعوا علياً بعد النبيﷺ، فلمّا بويع أبو بكر، قال سلمان للصحابة: أصبتم الخير، ولكن أخطأتم المعدن. قال: وفي رواية أخرى: أصبتم ذا السن منكم، ولكنكم أخطأتم أهل بيت نبيكم. أما لو جعلتموها فيهم ما اختلف منكم اثنان ولأكلتموها رغداً (انظر نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص٤٢).

وروى: كان أبو ذر وقت أخذ البيعة غائباً عن هذه الأحداث، فلمّا جاء قال: أصبتم قناعة، وتركتم قرابة، لو جعلتم الأمر في أهل بيت نبيّكم لما اختلف عليكم الاثنان (انظر نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص١٢).

وروى ابن قتيبة: أنّه قال عبدالله بن جعفر لمعاوية:.... أيم الله لو ولوه بعد نبيهم لوضعوا الأمر موضعه لحقه وصدقه، ولأطيع الرحمن وعصي الشيطان وما اختلف في الأمّة سيفان (انظر الامامة والسياسة لابن قتيبة ج١: ص١٩٥). وإلى غير ذلك من النصوص التي وردت في هذا المجال، وهي تدلّ على أنّ الصحابة جعلوا وصيّة النبي الأكرمﷺ وراء ظهورهم وعملوا في عباد الله بغير رضى الله، فأحلّوا حرامه وحرّموا حلاله، واستولاهم الشيطان، ➔

فتدبر في حال حياته ﷺ وبعد مماته ﷺ في تجرّئهم على مشاقاته ومخالفاته، فتبصّر فإنّ الحق لمن يخشى الله قد ظهر[١].

➔

وأوعدهم الأباطيل، ومناهم الأماني حتى أزاغهم عن الهدى، وقصد بهم فصل الردى وحبب إليهم الدنيا، فشملهم قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا* أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾ (سورة الكهف: ١٠٤– ١٠٥).

(١) لا ريب في إن الباحث المتجرّد عن الأهواء والميول لو درس المصادر الدينيّة بقصد التمحيص، سيكتشف أن الصحابة هم أوّل من خالف الله ورسوله ولم يكونوا جميعاً مطيعين متهالكين في طاعته ﷺ كما يدعي البعض، وإليك غيض من فيض من هذه المخالفات:

عن البراء بن عازب قال: جعل النبي ﷺ على الرجالة يوم أحد - وكانوا خمسين رجلاً - عبد الله بن جبير فقال: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، فهزموهم (هزيمة المشركين)، قال فأنا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون، فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين، فذاك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم، فلم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلاً فأصابوا منا سبعين (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢٦ كتاب دعاء النبي ﷺ إلى الاسلام، باب ما يكره التنازع والاختلاف في الحرب).

انظر إلى هؤلاء الصحابة يخالفون أوامر الرسول ﷺ علانيّة حتّى تسبّبوا في هزيمة المسلمين وشهادة خيار الصحابة كمصعب بن عمير وحمزة وغيرهما، ولو لم ينزلوا من الجبل

➔

➔

لكانت معركة أحد الضربة القاضية للمشركين، ولما تجرأوا بعدها على خوض حروب أخرى ضد الرسول صلى الله عليه وآله كغزوة الخندق وغيرها. ويا ليته كان فرارهم الأول بعد هزيمتهم، لكن أعادوا نفس الفعلة في غزوة حنين.

وإليك حادثة أخرى وقعت قبل أربعة أيام من وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وهي المعروفة برزية يوم الخميس، عن ابن عباس قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء، فقال: اشتدّ برسول الله صلى الله عليه وآله وجعه يوم الخميس فقال صلى الله عليه وآله: «إئتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبداً»، فتنازعوا – ولا ينبغي عند نبي تنازع – فقالوا: هجر رسول الله صلى الله عليه وآله، قال صلى الله عليه وآله: «دعوني فالذي أنا فيه خير ممّا تدعوني إليه»، وأوصى عند موته بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ونسيت الثالثة (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٣١ كتاب دعاء النبي صلى الله عليه وآله إلى الاسلام، باب هل يستشفع الى أهل الذمة معامتهم)، لاحظ هؤلاء الصحابة يأمرهم الرسول صلى الله عليه وآله فيقولون إن النبي صلى الله عليه وآله يهجر – والعياذ بالله – ومعنى يهجر واضح، أي: (يخرف)!! – نستجيربالله – ولا يطيعونه حتى يعرض عنهم ويا حسرة على ذلك الكتاب الذي لم يكتب والذي قال عنه الرسول صلى الله عليه وآله (لن تضلوا بعده) ولو فعل الصحابة ما أمروا به لما اختلف مسلمان إلى يوم القيامة، فانظر إلى ما جناه علينا الصحابة من الضلال وما حرّمونا منه.

وحديث آخر فعن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: بعث النبي صلى الله عليه وآله سرية وأمر عليهم رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه، فغضب عليهم وقال: أليس قد أمر النبي صلى الله عليه وآله أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: عزمت عليكم لما جمعتم حطباً وأوقدتم ناراً ثم دخلتم فيها، فجمعوا حطباً فأوقدوا، فلما هموا بالدخول نظر بعضهم إلى بعض قال بعضهم: إنما تبعنا النبي صلى الله عليه وآله فراراً من النار أفندخلها؟ فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه، فذكر للنبي صلى الله عليه وآله فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً إنما الطاعة في المعروف» (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٠٦ كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية). انظر إلى هذا الأمير المتلاعب كيف يأمر الصحابة بالهلاك

➔

➔

وسوء العاقبة في الدنيا والآخرة، وانظر استنكار الرسول لذلك الفعل وما قاله، والأعجب من هذا كلّه أنك تجد في كتب وصحاح أهل السنة أحاديث في الطاعة ما أنزل الله بها من سلطان، بل مخالفة لصريح القرآن والفطرة الإنسانيّة مثل هذا الحديث الآتي: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اسمعوا وأطيعوا وإن أستعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٠٥ كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية). فنقول: أولاً: حاشى لرسول الله صلى الله عليه وآله أن تصدر منه هكذا أوصاف في حق عباد الله، وهو الذي وصفه الله تعالى بالخلق العظيم ولا يعير الرسول صلى الله عليه وآله أحداً من الخلق ولا يقول رأس فلان ككذا ولا غيرها، وثانياً: أليس الله تعالى يقول: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّه مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ**﴾ (سورة هود:١١٣)، فالله ينهي عن طاعة الظالمين فكيف يأمر بها نبيّه؟!!

نعم، إن معاوية وملوك بني أمية وبني العباس وضعوا هذه الأحاديث حتى لا يخرج عليهم أحد ولا ينهاهم مسلم، وهل يريد الحكّام الظالمون أكثر من ذلك؟!!

وتعال إلى حديث آخر شبيه بالسابق، قال صلى الله عليه وآله: من رأى من أميره شيئاً فكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٠٥ كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية)، فلا شك أنّ هذا الحديث كذب صريح، وإلا لو كان صحيحاً فلماذا خالفه الصحابة أنفسهم، أليس قد فارق الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام جماعة المسلمين ولم يبايع أبا بكر؟ أليس قد خالفت عائشة هذا الحديث وخرجت على الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حرب الجمل مع طلحة والزبير؟! أليس قد فارق عبد الله بن عمر الجماعة ولم يبايع الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام طيلة خلافته ثم بايع بعد ذلك يزيد وعبدالملك بن مروان؟!!

وهناك حديث آخر يعارض هذه الأحاديث، يقول: عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله قال: السمع

➔

←

والطاعة على المرء المسلم فيما أحبّ أو كره ما لم يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٧ كتاب دعاء النبي صلى الله عليه وآله إلى الاسلام، باب السمع والطاعة للإمام).

وإليك فعلة شنيعة أخرى اقترفها صحابي ابن صحابي، فعن أسامة بن زيد بن حارثة قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الحرقة (قبيلة) من جهينة، قال فصبحنا القوم فهزمناهم، قال ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، قال: فكف عنه الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته، قال: فلمّا قدّمنا بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله، قال: فقال صلى الله عليه وآله لي: يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟! قال: قلت: يا رسول الله إنّما كان متعوذاً، (أي قالها خوفاً من القتل لا إيماناً) قال صلى الله عليه وآله: أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟ قال: فما زال يكرّرها عليّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم. (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٢٦ كتاب الديات، باب قول الله ومن أحياها..) والواقع أن الإنسان لا يجد ما يعلق عليه في هذه الحادثة، لذا نتركها للقارئ.

وإليك حادثة أخرى: عن أبي هريرة قال: شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لرجل ممن يدعي الإسلام: «هذا من أهل النار»، فلمّا حضر القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً فأصابته جراحة، فقيل: يا رسول الله الذي قلت إنه من أهل النار فإنه قد قاتل اليوم قتالاً شديداً وقد مات، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «إلى النار»، قال: فكاد بعض الناس أن يرتاب، فبينما هم على ذلك إذ قيل: إنه لم يمت ولكن به جراحاً شديداً، فلمّا كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه، فأخبر النبي صلى الله عليه وآله بذلك فقال صلى الله عليه وآله: «الله أكبر إني عبد الله ورسوله، ثم أمر بلالاً فنادى بالناس» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢٤ كتاب دعاء النبي صلى الله عليه وآله إلى الاسلام، باب إنّ الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر). هذا رجل مسلم، صحب النبي صلى الله عليه وآله وغزا معه، والله أعلم كم غزوة شارك فيها، ولم يكفر بالله ولم يرتدّ لكنه من أهل النار لأنه انتحر ولم يصبر على الجراح، ونكتفي بهذا القدر اليسير من مخالفات الصحابة لله ولرسوله صلى الله عليه وآله.

وثالثها: ما زعمه بقوله: فأشار المسلمون عليه بتولية عثمان[(١)]؛

---

(١) لقد تقدّم البحث عن كيفية تولي عثمان الخلافة، وإجماله: أنّ عثمان بن عفّان وصل الخلافة بتدبير من عمر بن الخطّاب وعبد الرحمن بن عوف، وذلك من خلال السياسية التي اتخذها عمر بن الخطاب عندما طعن، فاختار ستّة من كبار الصحابة، وهم الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقّاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، ودعاهم إليه، ثم ألزمهم أن يختاروا من بينهم واحداً، وأن يكون الإختيار على أساس الغالبية، لكن حدّد طريقة التعيين بحسب رغبته، فاستعمل أبا طلحة زيد بن سهل الأنصاري، وقال له: إن رضي أربعة وخالف اثنان، فاضرب عنق الاثنين، وإن رضي ثلاثة وخالف ثلاثة، فاضرب أعناق الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن. فعمر بن الخطاب كان يعلم إنّ عبد الرحمن بن عوف هو صهر عثمان بن عفّان؛ لأنّه تزوّج أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهي أُخت عثمان لأُمّه. وأيضاً كان يعلم أنّ عثمان يمثل الأمويين، فأراد أن يسلطهم على المسلمين؛ كي تبتعد الخلافة عن بني هاشم (لاحظ صحيح البخاري ج٤: ص٢٠٥ كتاب المناقب، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان).

ولا يخفى أنّ عبدالرحمن بن عوف لعب دوراً كبيراً في تولية خلافة عثمان، يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة: إن علياً غضب يوم الشورى، وعرف ما دبّره عبد الرحمن بن عوف فقال له: «والله ما فعلتها إلا لأنّك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه، دقّ الله بينكما عطر منشم» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص١٨٨).

أما عطر منشم الذي دعا به الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عليهما فهو مثل سائر يقال: أشأم من عطر منشم، وهو يدلّ على النفور والمقاتلة. واستجاب الله دعاء الإمام، فلم تمض سنوات قليلة حتّى ضرب الله بينهم العداوة والبغضاء، وإذا بعبد الرحمن يُعادي صهره، ولا يكلّمه حتّى الموت، ولا يأذن له بالصّلاة على جنازته.

ويتجلّى لنا أيضاً من هذا البحث الوجيز أنّ عبد الرحمن بن عوف هو رأس من رؤوس قريش الذين عملوا على طمس السنّة النبويّة وابدالها ببدع الخليفتين. لإبعاد الإمام أميرالمؤمنين ←

فإنّه من عجائب المناقضات لسنة سيد بني عدنان صلى الله عليه وآله[1]؛

←

علي بن أبي طالب عليه السلام عن الخلافة بشرطه الذي اشترطه عليه في تحكيم سنّة الخليفتين أبي بكر وعمر، لعلمه مسبقاً بأنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لا يقبل بذلك الشرط أبداً لأنّ سنّتهما مخالفة للكتاب والسنّة النبويّة.

كما يتجلّى لنا بأنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو الوحيد الذي ضحّى بالخلافة وما فيها، من أجل الحفاظ على السنّة المحمّدية التي جاء بها أخوه وابن عمّه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

يقول المؤرخون أنّ عبد الرحمن بن عوف ندم أشدّ الندم لمّا رأى عثمان أعطى المناصب والولايات إلى أقاربه وحاباهم بالأموال الطائلة، فدخل عليه وعاتبه.

فقال عثمان: إنّ عمر كان يقطع قرابته في الله وأنا أصل قرابتي في الله، قال عبد الرحمن: لله عليّ أن لا أكلّمك أبداً، فلم يكلمه حتّى مات وهو هاجر لعثمان، ودخل عليه عثمان عائداً له في مرضه، فتحوّل عنه إلى الحائط ولم يكلّمه (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٢: ص٢٦٤).

وهذا وحده يكفينا دليلاً على تعصّب عبد الرحمن للبدع الجاهلية، وبُعده عن السنّة المحمّدية، ومشاركته الفعّالة في المؤامرة الكبرى للقضاء على العترة الطاهرة عليهم السلام، وابقاء الخلافة في حوزة قريش تتحكّم فيها كيف شاءت.

كما أنّ الأدلة تدل بوضوح على أن عبدالرحمن نفسه كان يطمع بالخلافة ولو بعد عثمان كما سيأتي البحث حول هذا الموضوع. وعلى كل تقدير فإنّ التاريخ أكبر شاهد على أنّ خلافة عثمان كانت بتدبير عمر بن الخطاب وعبدالرحمن بن عوف، لا كما زعمه ابن تيمية، وقد سجلها الروايات الصحيحة عند أهل السنة، والنصوص التاريخية كما ستتضح من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(١) لا يخفى أنّ النصوص الاسلامية، والكلمات المأثورة عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله تدّل على أنّه صلى الله عليه وآله كان يعتبر أمر القيادة بعده مسألة إلهيّة وحقّاً خاصّاً لله جلّ جلاله؛ فإنّه لما دعا

←

➔

بني عامر إلى الاسلام وقد جاءوا في موسم الحج إلى مكة. قال رئيسهم: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ فأجابهﷺ بقوله: «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء» (انظرالسيرة النبوية لابن هشام ج٢: ص٤٢٤)، فلو كان أمر الخلافة بيد الأمّة لكان عليهﷺ أن يقول الأمر إلى الأمّة، أو إلى أهل الحلّ والعقد، أو ما يشابه ذلك، فتفويض أمر الخلافة إلى الله سبحانه ظاهرفي كونها كالنبوة يضعها سبحانه حيث يشاء، قال تعالى: ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ (سورة الأنعام:١٢٤) بديهي أن الرسالة لا علاقة لها بالأمورالقبلية أو الحاكم المتسلّط فعلا بالانتخاب أو بالقهر والغلبة؛ لأن شرطها الأول العصمة، وهي من الصفات التي لا يعلم بها إلا الله، وكما يلزم الاستعداد الروحي، وطهارة الضمير، والسجايا الإنسانية الأصيلة، والفكر السامي، والرأي السديد ثم التقوى إلى درجة العصمة فهذه الصفات، وخصوصاً الاستعداد لمقام الرسالة السماوية ومعدن الإمامة والخلافة. فما أبعد الفرق بين هذه الشروط وما كان يتصوره الجهلة، وبناءاً على ذلك، يكون اختيار الإمام بيد الله عزّ وجلّ كما أنّ اختيار كل رسول يكون بيده؛ فهو وحده الذي يعلم أين يضع رسالته. فاللسان في الموردين واحد. أضف إلى ذلك أن هناك نصوصاً تشير إلى ما في مرتكز العقل، من أن ترك الأمة بلا قائد وإمام قبيح على من بيده زمام الأمر، هذه عائشة تقول لعبد الله بن عمر: يا بني أبلغ عمر سلامي وقل له: لا تدع أمّة محمد بلا راع، وإنما قالت ذلك عندما اغتيل عمر وأحسّ بالموت، وأرسل ابنه إلى عائشة ليستأذن منها أن يدفن في بيتها مع رسول اللهﷺ (انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١: ص٢٨). وهذا عبد الله بن عمر يقول لأبيه إني سمعت الناس يقولون مقالة، فآليت أن أقولها لك، وزعموا أنك غير مستخلف، وأنه لو كان لك راعي إبل أو غنم ثم جاءك وتركها لرأيت أن قد ضيع، فرعاية الناس أشدّ (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٥، كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها)، وبذلك استصوب معاوية أخذه البيعة من الناس لابنه يزيد وقال: إني كرهت أن أدع أمة محمد بعدي كالضأن لا راعي لها (انظر تأريخ الطبري ج٤: ص٢٢٦). فإذا كان

➔

فإنّه قد ثبت في الصحيحين وغيرهما ما دلّ على بيانهﷺ للناس جميع ما يحتاجونه إلى يوم القيامة[1]؛

←

ترك الأمّة بلا راع أمراً غير صحيح في منطق العقل، فكيف يجوز لهؤلاء أن ينسبوا إلى النبي الأكرمﷺ إنّه ترك الأمّة بلا راع؟!! إنّ هذا ممّا يقضى منه العجب، فكأنّ هؤلاء كانوا أعطف على الأمّة من النبي الأكرمﷺ فالإمامة إمرة إلهية واستمرار لوظائف النبوة كلها سوى تحمل الوحي الإلهي، ومقتضى هذا إتصاف الإمام بالشروط المشترطة في النبيﷺ سوى كونه طرفا للوحي القرآني، وبناء على هذا ينحصر طريق ثبوت الإمامة بتنصيص من الله وتنصيب من النبيﷺ وهناك نصوص من القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة المتّفقة بين جميع المسلمين على اختلاف نحلهم وآرائهم، الدالّة على إمامة مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وخلافته بعد النبيﷺ بلا فصل وسيأتي البحث فيها مفصّلاً إن شاء الله تعالى.

(١) لقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة عن النبيﷺ: قال دعوني ما تركتكم إنّما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم (انظر صحيح البخاري ج٨ ص١٤٢ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول اللهﷺ)، ورواه ابن حبان في صحيحه ج١: ص٢٠٠، وابن الجوزي في كشف المشكل في حديث الصحيحين ج٣: ص٥٠٩، ورياض الصالحين للنووي ج١٣٥، والزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار ج١: ص٤٢٣، والسيوطي في اللمع في أسباب ورود الحديث: ص٥٢، والألباني في ارواء الغليل ج١: ص١٨٣ وغيرهم.

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة، قال: خطبنا رسول اللهﷺ فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحجّ فحجّوا»، فقال رجل: أكلّ عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول اللهﷺ: «لو قلت نعم لوجبت، ولمّا استطعتم»، ثم قال:

←

ومعه يزعمون أنّه لم يبين لهم عمدة ما يحتاجونه، وبه يهتدون إلى دينه، ويرشدون إلى معرفته وطاعته(١)،

«ذروني ما تركتكم، فإنّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه». (انظر صحيح مسلم ج٤: ص١٠٢ كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى الحج وغيره)، ورواه ابن حبان في صحيحه ج٩: ص١٨، والزيلعي ج١: ص٢٣٤ وغيرهم.

وأخرج مسلم أيضاً بسنده عن أبي هريرة كلهم قال عن النبيﷺ قال: «ذروني ما تركتكم» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص٩٢ كتاب الفضائل، باب توقيرهﷺ وترك إكثار سؤاله عمّا لا ضرورة إليه)، ورواه النووي في الأذكار النووية: ص٨ وفي رياض العالمين: ص٥١٩، وأبو نعيم في جزء نافع: ص٢١، والسيوطي في الجامع الصغير ج١: ص٦٦٤، وفي اللمع في أسباب ورود الحديث ج١: ص٥٢ ح٤٣٢٥، والمتّقي الهندي في كنز العمّال ج١: ص١٨١ ح٩١٦ وغيرهم.

(١) وتوضيح المقام أنّ ما أمر به رسول اللهﷺ يشتمل على العقائد والأحكام والآداب وغير ذلك، كما أنّ ما نهى عنهﷺ يشتمل على جميع ماكلّفنا رسول اللهﷺ الاجتناب عنه، فعندما يقولﷺ: فأتوا بما أمرتكم به على نحو الإطلاق، أي: ما توجه إليكم من الأمر فيما تحتاجون إليه في الموارد المذكورة، أو ما به تهتدون به إلى دين الله عزّ وجلّ، أو ما ترشدون إلى معرفة الله وطاعته.

بعبارة أخرى، أنّ معنى قولهﷺ: ما تركت من شيء يقرّبكم إلى الجنة إلا وقد حدّثتكم به، وما تركت من شيء يبعّدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به، أي: ليس شيء من الأشياء يقرّبكم إلى الجنة فقد أمرتكم به على نحو الإطلاق، وكذلك ليس شيء من الأشياء يقربكم إلى النارإلا قد نهيتكم عنه على نحو الإطلاق، فيشمل جميع الدين. فلم يبق رسول اللهﷺ شيء من الدين إلا قد بيّنه لنا. هذا معنى الحديث كما واضح ظاهر.

➔

وفي الحقيقة هذا معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً**﴾ (سورة المائدة:٣)، فأيّ يوم يا ترى هو ذلك اليوم الذي اجتمعت فيه هذه الأحداث المصيرية، وهي: إكمال الدين، وإتمام النعمة، وقبول الله لدين الإسلام ديناً ختامياً لكلّ البشريّة؟

ممّا لا شكّ فيه أن ذلك اليوم يكون يوماً عظيماً في تاريخ حياة النبي صلى الله عليه وآله ولا يمكن أن يكون يوماً عاديّاً كسائر الأيّام، ولأهميّة ذلك اليوم وعظمته نزلت هذه الآية المباركة، واتّفق المفسّرون جميعاً على نزولها قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وآله بشهور، ونقل الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في كتاب ما نزل من القرآن بحق الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن أبي سعيد الخدري وهو صحابي معروف، أنّ النبي صلى الله عليه وآله أعطى في يوم غدير خم علياً منصب الولاية... وإن الناس في ذلك اليوم لم يكادوا ليتفرقوا حتى نزلت آية: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...**﴾ فقال النبي صلى الله عليه وآله وفي تلك اللحظة: «الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي وبالولاية لعلي عليه السلام من بعدي»، ثم قال صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله...» (انظر الغدير ج١: ص١٨). والروايات الواردة في هذا المجال بالغ عن حد التواتر، فالمقصود بذلك اليوم الذي تحقّق فيه إكمال الدين هو يوم غدير خمّ أي اليوم الذي نصب النبي صلى الله عليه وآله الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بصورة رسميّة وعلنيّة خليفة له، حيث غشى الكفّار في هذا اليوم سيل من اليأس، وقد كانوا يتوهّمون أن دين الإسلام سينتهي بوفاة النبي صلى الله عليه وآله وأن الأوضاع ستعود إلى سابق عهد الجاهلية، لكنّهم حين شاهدوا أن النبي صلى الله عليه وآله أوصى بالخلافة بعده لرجل كان فريداً بين المسلمين في علمه وتقواه وقوّته وعدالته، وهو الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ورأوا النبي صلى الله عليه وآله وهو يأخذ البيعة للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أحاط بهم اليأس من كلّ جانب، وفقدوا الأمل فيما توقّعوه من شرّ لمستقبل الإسلام وأدركوا أن هذا الدين باق راسخ ففي يوم غدير خمّ أصبح الدين كاملاً، إذ لو لم يتم تعيين خليفة للنبي صلى الله عليه وآله ولو لم

➔

وهو الخليفة من بعده[1]،

➔

يتمّ تعيين وضع مستقبل الأمة الإسلامية، لم تكن لتكتمل الشريعة بدون ذلك ولم يكن ليكتمل الدين.

نعم في يوم غدير خمّ أكمل الله وأتمّ نعمته بتعيين الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، هذا الشخصيّة اللائقة الكفؤ، قائداً وزعيماً للأمّة بعد النبي صلى الله عليه وآله وفي هذا اليوم - أيضاً - رضي الله بالإسلام ديناً، بل خاتما للأديان، بعد أن اكتملت مشاريع هذا الدين، واجتمعت فيه الجهات المذكورة في الآية المباركة. وعليه لا بدّ للمسلمين أن يطيعوا أمر الرسول صلى الله عليه وآله في جميع ما أمرهم به، ومن تلك الأوامر أمره صلى الله عليه وآله بإمامة مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلاحظ.

(١) لا شك أنّ الإمامة والخلافة من أهم مسائل الإسلام؛ بحيث ورد عن النبي صلى الله عليه وآله من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية. (انظر شرح المقاصد للتفتازاني ج٥: ص٢٣٩، وكتاب شرح العقائد النسفية لنجم الدين النسفي: ص٢٣٢)، أو قريب من هذا المضمون وهو ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن نافع قال: جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع... زمن يزيد بن معاوية، فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة فقال إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثا سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقوله، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجّة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢٢، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع).

وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عبيد الله عن عبد الله بن عامر يعنى ابن ربيعة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من مات وليست عليه طاعة مات ميتة جاهلية» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٤٤٦). وأخرج أيضاً بسنده عن أبي صالح عن معاوية قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من مات بغير امام مات ميتة جاهلية» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٩٦). فهذه الأحاديث وإن كانت ألفاظها مختلفة إلا أنّ المعنى واحد؛ لأنّ مجموعها

➔

فتارة يبايعون بعض الصحابة بدون مشورة[1]،

تفيد وجوب طاعة الإمام الذي تجب على الأمة طاعته، وهو الامام والخليفة بعد النبيﷺ، فإذا كانت طاعة الإمام في الإسلام بهذا الحدّ من الأهميّة بحيث من لم يعرف امام زمانه، أو أنّ يعرفه ولكن لم يطيعه، مات ميتة جاهلية وكفر، فبديهي أن تكون الإمامة والخلافة من أهم مسائل الإسلام.

هذا ومن ناحية أخرى أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال: «إذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم» (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٤٢ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول اللهﷺ). وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة، قال:خطبنا رسول اللهﷺ فقال: «أيها الناس... ذروني ما تركتكم.... فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه» (انظر صحيح مسلم ج٤: ص١٠٢ كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى الحج وغيره). وقد تقدّم أن الأمر على نحو الإطلاق يشمل جميع مسائل الإسلام فضلاً عن أهمّها، وثبت بالأدلة القطعية أنّ الإمامة من أهمها كما سيتبيّن للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(١) لا شكّ أنّ أساس الإمامة عند أهل السنّة بُنيت على ما حدث في السقيفة؛ وحيث أنّ رواية السقيفة رويت في كتبهم ومصادرهم بطرق مختلفة، فنختار لكم ما هو المقبول عند كل أهل السنّة والجماعة، وهو الطريق الذي أخرجه البخاري في صحيحه، فبما أنّ جميع أهل السنة يقبلون بما يرويه البخاري، فسنتأمّل في السقيفة وروايتها المروية في صحيح البخاري لنرى ما تدلّ عليه من دلالات عميقة، فعلى أهل السنة أن يتأمّلوا فيها بعين بصيرة وليس بفكر مسبق الرأي.

وقبل ملاحظة الرواية لا بأس بالتأمّل في كلمات مشايخهم، فقد اتّفق مشايخ المتكلمين من أهل السّنة على كون الإمامة من الفروع الّتي يبحث عنها في الكتب الفقهيّة، فهم ينظرون إلى الإمام كرئيس دولة، ينتخبه الشعب أو نوّاب الأُمّة، أو يتسلّط عليها بانقلاب عسكري،

➔

وما شابه ذلك، فإنّ مثل هذا لا يشترط فيه سوى بعض المواصفات المعروفة من الأشخاص العاديين، ومن المعلوم أنّ الاعتقاد برئاسة رئيس جمهورية، أو رئيس وزراء، ليس من أصول الدين، وإنّما رئاسته وحكومته بالسيطرة على الحكم، رغبة أو رهبة، ولذلك لم ير أحد منهم الإعتقاد بالإمامة من الأُصول الدين، ولا يخفى على الخبير أنّ مبنى هذا الإعتقاد هو ما حدث في السقيفة؛ لأنّ ما جرى فيها صارت أساساً للإمامة والخلافة عندهم.

وأمّا رواية السقيفة فالتي رواها البخاري في صحيحه، تدلّ على أن البيعة تمّت في حال صخب وليس في حال تشاور وتدلّ على ان أهل الحلّ والعقد لم يقبلوا بما جرى في السقيفة بل كان ذلك رغماً عنهم ومداراتهم للوضع بعد ذلك خوفاً من الفساد، كلّ ذلك من كلام عمر بن الخطاب، وإليك نصّ الرواية: فقد أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس، قال: كنت اقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجّة حجّها إذ رجع إلي عبد الرحمن، فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم، فقال يا أمير المؤمنين: هل لك في فلان يقول لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمّت، فغضب عمر، ثم قال: إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذي يريدون أن يغصبوهم أمورهم، قال عبد الرحمن: فقلت يا أمير المؤمنين: لا تفعل، فإنّ الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير وأن لا يعوها وأن لا يضعوها على مواضعها فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنّة فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما قلت متمكّناً فيعي أهل العلم مقالتك ويضعونها على مواضعها، فقال عمر: أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة، قال ابن عباس: فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة فلما كان يوم الجمعة عجلنا الرواح حين زاغت الشمس حتى أجد سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا إلى ركن المنبر فجلست حوله تمس ركبتي ركبته فلم

➔

➔

أنشب أن خرج عمر بن الخطاب، فلمّا رأيته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل: ليقولن العشيّة مقالة لم يقلها منذ استخلف، فأنكر عليّ وقال: «ما عسيت أن يقول ما لم يقل قبله»، فجلس عمر على المنبر، فلمّا سكت المؤذّنون قام فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فإني قائل لكم مقلة قد قدر لي أن أقولها لا أدري لعلّها بين يدي أجلي فمن عقلها ووعاها فليحدّث بها حيث انتهت به راحلته ومن خشي أن لا يعقلها فلا أحلّ لأحد أن يكذب علي؛ إن الله بعث محمداًﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان ممّا أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها، فلذا رجم رسول اللهﷺ ورجمنا بعده، فأخشى أن طال بالناس زمان أن يقول قائل والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلّوا بترك فريضة أنزلها الله والرجم في كتاب الله حقّ على من زنى إذا أحصن من الرجال، والنساء إذا قامت البيّنة أو كان الحبل أو الاعتراف، ثم إنّا كنّا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم أو أن كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم إلا ثم إن رسول اللهﷺ قال: «لا تطروني كما أطرى عيسى بن مريم وقولوا عبد الله ورسوله»، ثم إنه بلغني أن قائلاً منكم يقول: والله لو مات عمر بايعت فلاناً، فلا يغترن امرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمّت إلا وأنها قد كانت كذلك ولكنّ الله وقى شرّها وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر من بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرّة أن يقتلا وانه قد كان من خبرنا حين توفي الله نبيهﷺ أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة وخالف عنّا علي والزبير ومن معهما واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نريدهم فلمّا دنونا منهم لقينا رجلان منهم صالحان فذكرا ما تمالى عليه القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين، فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم، اقضوا أمركم، فقلت: والله لنأتينهم، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا رجل مزمّل بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا سعد بن عبادة، فقلت: ماله؟ قالوا: يوعك، فلمّا

🡐

➔

جلسنا قليلاً تشهد خطيبهم، فأثنى على الله لما هو أهله، ثم قال: أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الاسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط وقد دفّت دافّة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر. فلمّا سكت أردت أن أتكلّم وكنت زوّرت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر وكنت إداري منه بعض الحدّ، فلمّا أردت أن أتكلّم قال أبو بكر على رسلك، فكرهت أن أغضبه، فتكلّم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوقر والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل حتى سكت، فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ولم يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحيّ من قريش هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيّهما شئتم، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجرّاح وهو جالس بيننا فلم أكره ممّا قال غيرها، كان والله أن أقدّم فتضرب عنقي لا يقرّبني ذلك من إثم أحبّ إلي من أن أتأمّرعلى قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تسوّل إلي نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن، فقال قائل الأنصار: أنا جذيلها المحكّك وعذيقها المرجّب، منّا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار، ونزونا على سعد بن عبادة، فقال: قائل منهم قتلتم سعد بن عبادة، فقلت: قتل الله سعد بن عبادة، قال عم:ر وأنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر خشينا أن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فأما بايعناهم على ما لا نرضى وأمّا نخالفهم فيكون فساد فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرّة أن يقتلا (صحيح البخاري ج٨: ص٢٥ كتاب المحاربين، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت).

وفي هذه الرواية عدّة ملاحظات:

الأولى: أنّ بيعة أبي بكر التي كانت فلتة هي بدعة في الدين، لم تكن من الله ولا من رسوله حيث قال: (فلا يغترن امرؤ أن يقول: إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت إلا وأنّها قد كانت كذلك) فتكون بيعته بدعة وليست سنة ليؤخذ بها وتتبع.

➔

➔

الثانية: إن رئيس الأنصار سعد بن عبادة ورأس الهاشميين الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكذلك الزبير من الهاشميّين كانوا مخالفين لهم وهم كبار أهل الحلّ والعقد فعلي زعيم الهاشميين وسعد زعيم الأنصار فمن أهل الحل والعقد اذا لم يكن هؤلاء فالبيعة لم يقبل بها اهل الحل والعقد؟

الثالثة: أن الأنصار كانوا يريدون أبعاد أبي بكر وجماعته عن الخلافة والاستئثار بها، حيث جاء في الحديث: (وقد دفّت دافّة من قومكم فإذاهم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر) فأين اعتقاد الأنصار من استحقاق أبي بكر بالخلافة وهم يريدون أن يختزلوهم من أصلهم وهي تدلّ على أنّ الأنصار يعتقدون أن لا استحقاق لهم في الخلافة.

الرابعة: إنّ أبا بكر لا يعتقد انّه منصب من رسول الله صلى الله عليه وآله ولذلك قدم على نفسه أحد رجلين وأمر الناس أن تبايع أحدهما فالصلاة لم تكن ترشيحاً له للخلافة كما يدعون، وإلا لما عرض الخلافة على غيره (وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيّهما شئتم فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح).

الخامسة: إن البيعة تمّت في حال حرب ولغط وليست في حال شورى (فقال قائل الأنصار: إنا جذيلها المحكّك وعذيقها المرجّب منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته) فالبيعة تمّت في حال اختلاف شديد وليس في حال وفاق.

السادسة: نزوا على سعد بن عبادة رئيس الأنصار وكادوا يقتلوه، لأنه معترض على قبول البيعة، فأين الشورى؟ أ ليس سعد بن عبادة من اهل الحلّ والعقد؟ (ونزونا على سعد بن عبادة فقال: قائل منهم قتلتم سعد بن عبادة، فقلت: قتل الله سعد بن عبادة) والمفروض أن يكون له رأي في القبول أو العدم ، لا أن يداس بالأقدام ويدعى عليه بالقتل لأنه لم يقبل بخلافتهم.

السابعة: إنّ أبا بكر وعمر عجلا بالخلافة قبل تجهيز رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّهم يخافون أن تذهب

➔

حتى قال المبتدي بمبايعته على المنبر في محضر من تابعه عليها كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه[1]،

←

الخلافة لغيرهم فيكونوا في أحد حالين: الاول: أن يبايعوا رجلا لا يرتضونه، والثاني: أن يخالفوا فيكون الفساد.

وعليه فقد كشف عمر عن سرّ خطير وهو أن الناس تابع الأول ولا تابع الأفضل فمن بايعوه أولاً لا يعدلوا به إلى غيره وإن كان غيره أصلح ويحتاج اصلاح الأمر إلى المخالفة وحصول الفساد، وهو عذر على السنّة أن يعرفوه في اعتذار للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حينما لم يحارب بعد أن بايعوا لأنه لو خالف لحصل الفساد (خشينا أن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلا منهم بعدنا فأما بايعناهم على ما لا نرضى وأما نخالفهم فيكون فساد).

الثامنة: إنّ بيعة أبي بكر عن غير مشورة ولكنها فلتة فالمفروض أن لا تعاد مرّة أخرى ولا يبايع غيره بدون مشورة ولا يبايع من بايعه أيضاً وهذا يعني أن المفروض أن لا يبايع عمر لأنه بايع أبا بكر عن غير مشورة بل استغل لغط الناس وبايعه والطروحات مازالت قائمة لم تستنفد (فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا).

وملخّص الكلام أن ما حدث في السقيفة لم تكن إلا مؤامرة من المؤامرات، لا الشورى ولا انتخاب ولا غير ذلك، فلاحظ.

(١) انظرصحيح البخاري ج٨: ص٢٥ كتاب المحاربين، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت. والمستفاد من هذه العبارات المتقدّمة التي نقلها البخاري، والتي أجمع علماء السنة على قبولها، الأمور التالية:

الأول: اشتمال السقيفة على أجواء النفاق وهو ما صرحت به عائشة بقولها: (وإن فيهم لنفاقاً) وقد فسّره ابن حجر في فتح الباري بقوله: أي إن فيهم بعض المنافقين (انظر فتح الباري

←

وصدر منه ما صدر من المشاقات لله ورسولهﷺ[1]،

➔

ج٧: ص٤١).

الثاني: أن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرّها، وهو ما أكده عمر بن الخطاب، فمعنى ذلك أن البيعة إنّما تمّت في أجواء اللغط والإختلاف، وليس في حالة من إستقرار المهاجرين والأنصار وغيرهم، وهو سيتّضح من خلال ملاحظة الرواية، حيث فيها: (فقال قائل الأنصار: إنا جذيلها المحكّك وعذيقها المرجّب، منّا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف فقلت: ابسط يدك يا ابا بكر فبسط يده فبايعته) فالبيعة تمّت في حال اختلاف شديد وليس في حال وفاق.

الثالث: رغم اتّفاق أهل السقيفة على الانتخاب، لم يتّفقوا على بيعة أبي بكر، وإنما خالف في ذلك جمع كبير من الصحابة، وخالف في ذلك سعد بن عبادة رئيس الأنصار، وبعض مؤيّديه، ففيها أنّهم كانوا يقولون: (ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة، فقلت: قتل الله سعد بن عبادة) والمفروض أن يكون له رأي في القبول أو العدم، لا أن يداس بالأقدام ويدعى عليه بالقتل، لأنه لم يقبل بخلافتهم. فكان عمر يردّ عليهم بقوله: (قتل الله سعد بن عبادة).

الرابع: أن البيعة تمّت في أجواء اللغط والإختلاف، وهو ما صرّح به عمر بقوله: (فكثر اللغط وارتفعت الأصوات، فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر...)، بل لم يقتصر فيها على الإختلاف في الكلام وتعدوا فيه تلك الحدود، حيث ضربوا سيد الخزرج سعد بن عبادة ووطئوه، وهو ما صرّح به عمر بقوله: (ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة، فقلنا: قتل الله سعد بن عبادة). يقول ابن الأثير: "وفي حديث السقيفة: (فنزونا على سعد، أي وقعوا عليه ووطئوه)" (انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ج٥: ص٤٤). فهذه الأمور وغيرها ظاهرة في أن بيعة أبي بكر تمّت في السقيفة في أجواء النفاق، وكانت فلتة وقى الله المسلمين شرّها، وهو ما أكّده عمر بن الخطاب، فلاحظ.

(١) لا يخفى على المتتبّع في الأخبار والآثار، المخالفات والتحريفات والبدع التي ارتكبها

➔

وفي مرض موته تمنى المسألة عن الخليفة(١)،

➔

أبو بكر؛ فإنّها كثيرة جدّاً، وقد رواها علماء الإسلام من الفريقين في كتبهم المعتبرة؛ ومن أهمّها غصب الخلافة يوم السقيفة عن أهلها وصاحبها الشرعي، الذي صار أصلاً وسبباً لتضليل الأمّة انحرافها عن المصير الذي رسمها الله ورسوله صلى الله عليه وآله لهم.

وفي الحقيقة أنّ غصب الخلافة قد أوجب حزناً طويلاً للمسلمين إلى يوم القيامة، فكلّ ما وقع بعد غصبها في الاسلام من الأعمال الشنيعة والأفعال القبيحة والحكومات الظالمة الردية وغير ذلك من غصب الأموال والخوض فيها بغير حقّ وإراقة الدّماء والتعدّي إلى حقوق المسلمين ونواميسهم وساير ما يتعلّق بذلك، ولا سيّما التشتّت والنفاق بينهم؛ فإنّها من تبعات السقيفة وسير الخلافة على غير محورها، وهي جريمة عظمى ليس فوقها جريمة، وفي الواقع أنّ ما فعله أبو بكرمن غصب الخلافة يعتبر ردّاً صريحاً ومعارضةً منه للنصوص كتاباً وسنةً، بل يعتبر محاولته لغصب الخلافة إعلاناً لحرب الله ورسوله صداً لإمتداد الرسالة السماوية. وسيّتضح لك ذلك من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(١) لقد أخرج الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه الذي توفي فيه، فسلّمت عليه وسألته: كيف أصبحت؟ فاستوى جالساً...، ثم قال: أما أني لا آسي على شئ إلا على ثلاث فعلتهن وددت أني لم أفعلهن وثلاث لم أفعلهن وددت أني فعلتهن وثلاث وددت أني سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عنهن، فأما الثلاث اللاتي وددت أني لم أفعلهن فوددت أني لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته وأن أغلق علي الحرب، وودت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين أبي عبيدة أو عمر فكان أمير المؤمنين وكنت وزيراً، ووددت أني حيث كنت وجهت خالد بن الوليد إلى أهل الردة أقمت بذي القصة فإن ظفر المسلمون ظفروا والا كنت ردءاً أو مدداً، وأمّا اللاتي وددت أني فعلتها فوددت أني يوم أتيت بالأشعث أسيراً ضربت عنقه فإنه يخيل إلي أنه يكون شرّ الإطار إليه، ووددت أني يوم أتيت بالفجاة السلمي لم أكن أحرقه وقتلته سريحاً أو أطلقته نجيحاً،

➔

ومعه جعل عمر خليفة بعده(١)

➔

وودت أني حيث وجهت خالد بن الوليد إلى الشام وجهت عمر إلى العراق فأكون قد بسطت يدي يميني وشمالي في سبيل الله عزّ وجلّ، وأما لثلاث اللاتي وددت أني سألت رسول الله ﷺ عنهن فوددت أني كنت سألته فيمن هذا الأمر فلا ينازعه أهله، ووددت أني كنت سألته هل للأنصار في هذا الامر سبب؟ ووددت أني سألته عن العمّة وبنت الأخ فإن في نفسي منهما حاجة (المعجم الكبير للطبراني ج١: ص٦٣)، ورواه الطبري في تاريخه ج٢: ٦١٩، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٣٠: ص٤١٨، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٢: ص٤٦ وغيرهم.

فقوله: ووددت أني كنت سألته فيمن هذا الأمر فلا ينازعه أهله.... معناه إنّه أراد التحريف في الدين والتكذيب لما جاء به رسول الله ﷺ حيث قرأنا في الحديث المتقدّم ذكره عن رسول الله ﷺ قال: «ما من شئ تحتاجّون إليه قد أمرتكم به......» (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٤٢ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ وصحيح مسلم ج٤: ص١٠٢ كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى الحج وغيره). فصريح هذا الحديث الذي أخرجه الشيخان البخاري ومسلم وهما من أصحّ الكتب عند القوم، إنّ رسول الله ﷺ بيّن لأمّته جميع ما يحتاجون إليه إلى يوم القيامة، ومن الواضح أنّ الإمامة والخلافة من أهمّ ما يحتاجون إليه الناس، فإنّها مشمولة لقوله ﷺ قد بينته لهم. وعليه فما ذكره أبو بكر تكذيب للنبي ﷺ ولا يخفى على العلماء والباحثين حكم من كذّب على النبي ﷺ.

وبعبارة أخرى أنّ الإلتزام بقول أبي بكر في هذا الحديث له لوازم، فالإلتزام به يستدعي الإلتزام بلوازمه، ومن لوازمه تكذيب الرسول ﷺ في حديث صحيح رواه البخاري ومسلم، وحكم المكذب على الرسول الصادق ﷺ من أوضح الواضحات، فلاحظ.

(١) لا شكّ إنّ من جرائم أبي بكر استخلافه عمر بن الخطاب من بعده، فقد ذكر المؤرخون: أنهّ لمّا نزل بأبي بكر الموت دعا عبد الرحمن بن عوف فقال: أخبرني عن عمر، فقال: هو

➔

➔

والله أفضل من رأيك فيه من رجل إلا إنه فيه غلظة.

فقال أبو بكر: ذلك لأنّه يراني رقيقاً، ولو أفضى الأمر أليه لترك كثيراً ممّا هو عليه، وقد رمقته فكنت إذا غضبت على رجل أراني الرضا عنه، وإذا لنت له أراني الشدة عليه. ودعا عثمان بن عفّان وقال له: أخبرني عن عمر. فقال: سريرته خير من علانيّته، وليس فينا مثله. فقال أبو بكر لهما: لا تذكرا ممّا قلت لكما شيئاً، ولو تركته ما عدوت عثمان، والخيرة له أن لا يلي من أموركم شيئاً، ولوددت أنّي كنت من أموركم خلواً، وكنت فيمن مضى من سلفكم، ودخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر فقال: استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه وكيف به إذا خلا بهم وأنت لاق ربك فسائلك عن رعيتك! فقال أبو بكر: أجلسوني؛ فأجلسوه. فقال: أبا الله تخوفني! إذا لقيت ربي فسألني؟ قلت: استخلفت على أهلك خير أهلك، ثم إنّ أبا بكر أحضر عثمان بن عفان خالياً لمكتب عهد عمر فقال له: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهِد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، أما بعد، ثم أغمي عليه، فكتب عثمان أما بعد. فإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكمِ خيراً. ثم أفاق أبو بكر فقال: أقرأ على فقرأ عليه فكبر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن مت في غشيتي، قال: نعم، قال: جزاك الله خيراً عن الاسلام وأهله، فلما كتب العهد أمر به أن يقرأ على الناس، فجمعهم، وأرسل الكتاب مع مولى له، ومعه عمر. فكان عمر يقول للناس: أنصتوا واسمعوا لخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنه لم يألكم نصحاً. فسكن الناس، فلما قرىء عليهم الكتاب سمعوا وأطاعوا، وكان أبو بكر أشرف على الناس وقال: "أترضون بمن استخلفت عليكم؟ فإنّي ما استخلفت عليكم ذا قرابة، وإني قد استخلفت عليكم عمر فاسمعوا له وأطيعوا، فإني والله ما آلوت من جهد الرأي". فقالوا: سمعنا وأطعنا. ثم أحضر أبو بكر عمر فقال له: إني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وأوصاه بتقوى الله، ثم قال يا عمر إنّ لله حقّاً بالليل ولا يقبله في النهار وحقّاً في النهار لا يقبله بالليل، وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة، ألم تر يا عمر إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحقّ وثقله عليهم؟ وحقّ

➔

➔

لميزان لا يوضع [فيه] غداً إلا حق أنّ يكون ثقيلاً. ألم تر يا عمر إنما خفت موازين من خفّت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل؟ وخفته عليهم؟ وحق لميزان أن لا يوضع فيه إلا باطل أن يكون خفيفاً. ألم تريا عمر، إنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغباً راهباً لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له، ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيديه. ألم تر يا عمر إنما ذكر الله أهل النار بأسوء أعمالهم فإذا ذكرتهم قلت: إنّي لأرجو أن لا أكون منهم؟ وإنه إنّما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنّه تجاوز لهم عما كان من سئ فإذا ذكرتهم قلت: أين عملي من أعمالهم؟ فإن حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إليك من حاضر من الموت، ولست بمعجزه (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص٤٢٧).

فهكذا كان استخلاف عمر، ولا يخفى على الخبير أنّ الاستيلاء على منصب الخلافة بالقوّة هو الذي أوجد سنّة الخلفاء لهذا النوع من الاستخلاف أو بشكل آخر، فيما كان مطابقاً لمصلحتهم؛ فإنّ منطق الجائر ليس المقارنة بين عمله وما جاء في الكتاب والسنّة النبويّة الشريفة، وإنّما يكون عمله بدعة عمليّة بديلة لكتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله، ولقد بيّن الله سبحانه في كتابه العزيز، والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في سنّته كافّة ما يجب بيانه في الإمامة والخلافة، والأحكام المتعلّقة بمن يخلف رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاته كما ورد في النصوص العديدة من المصادرالإسلامية، ولقد اختار الله تعالى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ليكون أولى من يخلف النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاته، وطوال عهد الرسالة الزاهر أنّ الرسول صلى الله عليه وآله كان يؤكد هذا الإختيار بكل وسائل التأكيد ويبيّنه بكل طرق البيان، وعندما حجّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حجّة الوداع، أوحى الله إليه أنه بعد عودته إلى المدينة لا يبقى في هذه الدنيا إلا أيّاماً، وسيمرض ويلتق بالرفيق الأعلى في مرضه، ولذلك أمره الله تعالى بأن ينصب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام رسميّاً خليفة من بعده، وأن يأخذ له البيعة من المسلمين حال حياته، فصدع الرسول صلى الله عليه وآله بأمر ربّه، وفي غدير خم نصب رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

←

➔

ليكون أول إمام بعده وفاة الرسولﷺ، ثم طلب من المسلمين أن يطيعوا ربهم ورسولهم فيبايعوا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، واستجاب المسلمون لأمر الله ورسولهﷺ، فبايعوا الإمامعليه السلام، وقدّموا له التهاني، وكان على رأس المبايعين والمهنئين الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان، بالإضافة إلى من سماهم عمر في ما بعد بأصحاب الشورى حيث بايعوه وقدموا له التهاني، ورضوا به وعرف المسلمون إمامهم بعد النبيﷺ كما ورد ذلك موثقاً في المصادر الإسلامية من الشيعة وأهل السنة، وقد تقدم بعضها وسوف يأتي إن شاء الله بالتفصيل، وكان الرسول الأعظمﷺ قد أعلن مراراً وتكراراً بأن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام هو أول من يخلفه بعد شهادته ابنه الإمام الحسنعليه السلام، وبعد شهادة الإمام الحسنعليه السلام، الإمام الحسينعليه السلام وهكذا تنتقل الخلافة من الإمام إلى الإمام حتّى يكتمل عددهم اثني عشر كلهم من ذريّة رسول اللهﷺ ومن صلب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، يتولّى كل واحد منهم الإمامة بعهد ممّن سبقه، واعتبر المسلمون ذلك ترتيبا إلهيّاً يحقّق مصلحة العباد، ويسند منصب الإمامة إلى الأعلم والأفضل والأقرب لله ولرسولهﷺ، ويقطع دابر التنافس على الرئاسة العامة، ويحقق الاستقرار، وبعد أن تمّ تنصيب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في غدير خم نزلت آية الإكمال ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**...﴾ وعاد الرسولﷺ ومن معه إلى المدينة ثم أصاب النبيﷺ المرض، كما أخبره ربه سبحانه، وبدأ النبيﷺ بتوديع أصحابه والاستعداد للقاء ربه!! والناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك كما قال الرسولﷺ.

فإذا كانت الإمامة مبينة وواضحة في الكتاب والسنة فأي منطق هذا الذي يساوي بين التابع والمتبوع ويضعهما في درجة واحدة!!

لاسيّما تاكيد القوم قاطعاً على أن سنة الخلفاء تختلف عن كتاب الله وسنة رسوله، على وتتضمن أحكاماً ليست واردة لا في كتاب الله ولا في سنة رسولهﷺ، ومع هذا يصرون على اتباع مشايخهم وخلفائهم مع أنّهم كانوا معارضين لكتاب الله وسنة رسولهﷺ!!

➔

وعمر زعم عدم نصّ رسول الله صلى الله عليه وآله على أبي بكر(١) وغيره(٢)

➔

ومن هنا يعرف أنّ أبا بكر كان يعلم استخلاف عمر بن الخطاب مخالف لما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأن الرسول صلى الله عليه وآله أكّد على أنّه بيّن للناس جميع ما يحتاجون إليه في حديث صحيح عند جميع المسلمين، ومن تلك الأمور التي بيّنها رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام والخليفة من بعده، فما فعله أبو بكر يعتبر معارضة للسنّة النبويّة العطرة، فلاحظ.

(١) لقد روى الترمذي بسنده عن الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: قيل لعمربن الخطاب: لو استخلفت، قال: إن أستخلف فقد استخلف أبو بكر وإن لم أستخلف لم يستخلف رسول الله صلى الله عليه وآله (وفي الحديث قصة طويلة). هذا حديث صحيح (سنن الترمذي ج٣: ص٣٤١ ح٢٣٢٧)، والحديث فيه جهات من البحث، الأولى: أنّ عمر بن الخطاب كّذب على رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يستخلف، وحكم من يطب الرسول صلى الله عليه وآله واضح.

الثانية: أنّ تكذيبه على رسول الله صلى الله عليه وآله يستلزم عدم وجود النصّ على أبي بكر كما قال المصنف رحمه الله.

الثالثة: أنّ اعترافه باستخلاف أبي بكر يستلزم مخالفة صاحبه لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله كما هو واضح ظاهر.

الرابعة: أنّ إنكاره لاستخلاف رسول الله صلى الله عليه وآله مخالف للنصّ المتسالم عليه بين جميع المسلمين وهو الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه من أنّه صلى الله عليه وآله بيّن للناس جميع ما يحتاجون إليه فإنكاره لقول رسول الله صلى الله عليه وآله يعتبرمعارضة للسنّة النبوية الشريفة، فلاحظ.

(٢) لايخفى إنّ أوّل ما يلفت انتباه الباحث عند دراسته لتاريخ صدر الإسلام هو مخالفة الخلفاء - لا سيما الأوّل والثاني - لكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، والشاهد على ذلك قول الإمام أميرالمؤمنين علي بن أب طالب عليه السلام في الشورى التي جعلها عمر بن الخطاب لتعيين الخليفة من بعده؛ إذ ورد في الأخبار التي رواها علماء أهل السنة أنّ عبد الرحمن بن عوف توجّه إلى الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في ذلك الاجتماع قائلاً:

➔

➔
لنا الله عليك، إن وليت هذا الأمر أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيّه وسيرة أبي بكر وعمر، فرفض الإمام أميرالمؤمنين علي بن أب طالب عليه السلام أن يسير بسيرتهما، وقال: «أسير فيكم بكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله ما استطعت» (أنظر: مجمع الزوائد للهيثمي ج٣: ص١٣٣، والبداية والنهاية لابن كثير ج٧: ص١٠٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣: ص٣٠٤، وتاريخ الطبري ج٤: ص٢٣٨، وكتاب السقيفة لأبي بكر الجوهري البغدادي: ص٨٥). وهذا يدلّ على مخالفة أبي بكر وعمر لكتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وآله حيث لو كان عملهما مطابقاً للكتاب والسنّة النبويّة، كان لعبدالرحمن بن عوف أن يقول للإمام عليه السلام أليس أنّ أبا بكر وعمر يعملان بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن عبدالرحمن لم يسأل هذا السؤال من الإمام لأنّه كان يعلم أنّ الامام عليه السلام سوف يجيبه، وبذلك يفتضح الخليفة الأوّل والثاني، فانصرف ولم يقل شيئاً. والتاريخ يكشف عن هذه الحقيقة بوضوح، وأمر أوضح من أن يخفى؛ حيث أنّ أبابكر وعمر قد إرتكبا الكثير من البدع والمخالفات والاجتهادات في مقابل النصّ وقد خالفا الكتاب والسنّة النبويّة صلى الله عليه وآله في مواضع عديدة لا يمكن إنكارها على أحد .

ونحن نذكر هنا بعض مخالفات عمر بن الخطاب للقرآن والسنّة النبويّة الشريفة؛ ليعرف القارئ الكريم مدى شخصية الرجل. وإليك بعض ما رواه علماء أهل السنة في المقام، فمنها: منعه فرض المؤلفة قلوبهم، فإنّه منع إعطاء الزكاة والصدقات لمؤلفة قلوبهم، فقد روى البيهقي في سننه الكبرى بسنده عن ابن سيرين عن عبيدة قال: جاء عيينة بن حصن والأقرع بن حابس إلى أبى بكر فقالا: يا خليفة رسول الله، ان عندنا أرضاً سبخة ليس فيها كلاء ولا منفعة، فإن رأيت أن تقطعناها لعلنا نزرعها ونحرثها فذكر الحديث في الاقطاع واشهاد عمر عليه ومحوه إياه، قال: فقال عمر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتألفكما والاسلام يومئذ ذليل وأن الله قد أعز الاسلام فاذهبا فاجهدا جهد كما لا أرعى الله عليكما إن رعيتما، ويذكر عن الشعبي أنه قال لم يبق من المؤلفة قلوبهم أحد إنما كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما استخلف أبو بكر انقطعت الرشا وعن الحسن، قال: أما المؤلّفة
🡐

➔

قلوبهم فليس اليوم (انظر انظر سنن البيهقي ج٧: ص٢٠). فصريح الحديث أنّ عمر بن الخطاب قال: "إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتألفكما والاسلام يومئذ ذليل وإن الله قد أعزّ الاسلام فاذهبا فاجهدا جهد..." وقد قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ (سورة التوبة:٦٠)، فعمر بن الخطاب خالف كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا العطاء المفروض، وقال: "إنّ الله قد أعزّ الإسلام" (انظر سنن البيهقي ج٧: ص٢٠، وكتاب المجموع للنووي ج٦: ص١٨٥).

ومنها: مخالفته لسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله في مراعاة المساواة بين المسلمين في بيت المال ففرّق في العطاء وتقسيم الأموال، قال ابن سعد في الطبقات: إنّ عمر فرض لأهل بدر من المهاجرين وقريش والعرب والموالي خمسة آلاف درهم وفرض لبني هاشم والحسن والحسين لكل واحد منهم خمسة آلاف درهم، وللعباس بن عبد المطلب ولمن شهد بدراً من المهاجرين والأنصار خمسة آلاف درهم، وللأنصار ومواليهم ولمن شهد أحداً أربعة آلاف درهم، ولعمر بن أبي سلمة، ولأسامة بن زيد أربعة آلاف درهم، ولمن هاجر قبل الفتح، ولعبد الله بن عمر ثلاثة آلاف درهم، ولنساء مهاجرات لكلّ واحدة منهن ثلاثة آلاف درهم، وفرض لأزواج النبي صلى الله عليه وآله ففضّل عليهن عائشة. فرض لها في اثني عشر ألف، ولسائرهن عشرة آلاف. غير جويرية وصفيّة إذ فرض لهما ستة آلاف وفرض لأبناء البدريّين ولمسلمة الفتح لكلّ رجل منهم ألفي درهم وفرض لأسماء بنت عميس، ولأم كلثوم بنت عقبة، ولأم عبد الله بن مسعود ألف درهم (انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣: ص٣٠٤).

وقال ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ: فرض للعباس وبدأ به، ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف (درهم)، ثم فرض لمن بعد بدر إلى الحديبية أربعة آلاف أربعة آلاف، ثم فرض لمن بعد الحديبيّة إلى أن أقلع أبو بكر عن أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف، ثم فرض لأهل القادسيّة وأهل الشام ألفين ألفين، وفرض لأهل البلاء النازع منهم ألفين

➔

➔

وخمسمائة ألفين وخمسمائة وفرض لمن بعد القادسيّة واليرموك ألفاً ألفاً، ثم فرض للروادف المثنى خمسمائة خمسمائة، ثم للروادف الليث بعدهم ثلاثمائة ثلاثمائة وأعطى نساء النبي صلى الله عليه وآله عشرة آلاف عشرة آلاف، إلا من جرى عليها الملك، فقال نسوة رسول الله صلى الله عليه وآله: ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفضّلنا عليهن في القسمة، فسو بيننا، ففعل وفضّل عائشة بألفين لمحبّة رسول الله صلى الله عليه وآله إياها! (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص٥٠٣).

فكان عمر يعطي لمقاتل معركة بدر خمسة آلاف درهم، ويعطي لأمّهات المؤمنين عشرة آلاف درهم، في حين كان يعطي عائشة اثني عشر ألف درهم؟ أي أن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وصي النبي صلى الله عليه وآله وأول مسلم وبطل الإسلام وزوج بنت النبي صلى الله عليه وآله وابن عمه يأخذ حوالي ثلث راتب عائشة؟!!!

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي طعناً على عمر بن الخطاب قائلاً: إنه كان يعطي من بيت المال ما لا يجوز، حتّى أنه كان يعطي عائشة وحفصة عشرة آلاف درهم في كل سنة، ومنع أهل البيت خمسهم الذي يجري مجرى الواصل إليهم من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنه كان عليه ثمانون ألف درهم من بيت المال على سبيل القرض. وقد أجاب قاضي القضاة، بأن دفعه إلى الأزواج جائز، من حيث أن لهن حقّاً في بيت المال، وللإمام ذلك على قدر ما يراه، وهذا الفعل قد فعله من قبله ومن بعده، ولو كان منكراً لما استمر عليه أمير المؤمنين (علي) عليه السلام وقد ثبت استمراره عليه ولو كان طعناً لوجب إذا كان يدفع إلى الحسن والحسين وإلى عبد الله بن جعفر وغيرهم من بيت المال شيئاً أن يكون في حكم الخائن، وكلّ ذلك يبطل ما قالوه، لأن بيت المال إنما يراد لوضع الأموال في حقوقها، ثم والى المتولي لأمر الاجتهاد في الكثرة والقلّة، فأمّا أمر الخمس فمن باب الاجتهاد، وقد اختلف الناس فيه فمنهم من جعله حقّاً لذوي القربى، وسهماً مفرداً لهم على ما يقتضيه ظاهر الآية، ومنهم من جعله حقّاً لهم من جهة الفقر، وأجراهم مجرى غيرهم وإن كانوا قد خصوا بالذكر، كما أجرى الأيتام، وإن خصّوا بالذكر مجرى غيرهم في أنهم يستحقون بالفقر والكلام في ذلك يطول، فلم يخرج عمر بما حكم عن طريقة الاجتهاد، ومن قدح

➔

➔

في ذلك فإنما يقدح في الاجتهاد وهو طريقة الصحابة، فأمّا اقتراضه من بيت المال، فإن صحّ فهو غير محظور، بل ربّما كان أحوط إذا كان على ثقة من رده بمعرفة الوجه الذي يمكنه منه الردّ.

وقد اعترض المرتضى فقال: أما تفضيل الأزواج فإنه لا يجوز، لأنه لا سبب فيهن يقتضي ذلك، وإنّما يفضّل الإمام في العطاء ذوي الأسباب المقتضية لذلك مثل الجهاد وغيره من الأمور العامّ نفعها للمسلمين، وقوله: إن لهن حقّاً في بيت المال، إلا أنه لا يقتضي تفضيلهن على غيرهن، وما عيب بدفع حقهن إليهن، وإنما عيب بالزيادة عليه، وما يعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام استمر على ذلك، وإن كان صحيحاً كما ادّعى، فالسبب الداعي إلى الاستمرار عليه هو السبب الداعي إلى الاستمرار على جميع الأحكام، فأمّا تعلقه بدفع أمير المؤمنين إلى الحسن والحسين وغيرهما شيئاً من بيت المال فعجب، لأنه لم يفضّل هؤلاء في العطية فيشبه ما ذكرناه في الأزواج، وأنما أعطاهم حقوقهم وسوى بينهم وبين غيرهم. فأما الخمس فهو للرسول ولأقربائه على ما نطق به القرآن، وإنما عنّى تعالى بقوله: ﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾، من كان من آل الرسول خاصّة لأدلة كثيرة لا حاجة بنا إلى ذكرها هنا. وأمّا الاجتهاد الذي عوّل عليه فليس عذراً في إخراج الخمس عن أهله فقد أبطلناه، وأما الاقتراض من بيت المال فهو مما يدعو إلى الريبة، ومن كان من التشدد والتحفظ والتقشّف على الحدّ الذي ذكره، كيف تطيب نفسه بالاقتراض من بيت المال وفيه حقوق الناس، وربّما مست الحاجة إلى الإخراج منها؟ وأي حاجة لمن كان جشب المأكل خشن الملبس يتبلغ بالقوت إلى اقتراض الأموال، فأما حكايته عن الفقهاء أن الاحتياط أن يحفظ مال الأيتام في ذمة الغني المأمون، فذلك إذا صح لم يكن نافعا له، لأن عمر لم يكن غنياً، ولو كان غنيّاً لما اقترض(انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٢: ص٢١٠).

وقد أيّد الحاكم في المستدرك هذا المطلب قائلاً: إن عمر فرض لأمّهات المؤمنين عشرة آلاف وزاد عائشة ألفين(انظرالمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٤: ص٨).

➔

➔

وبذلك يكون راتب عائشة يساوي راتب ستّة مقاتلين من مقاتلي القادسيّة والشام!! وبينما كان مقاتل القادسية الشهيرة يعيش بألفي درهم كانت حفصة وحدها تعيش بإثني عشر ألف درهم وبينما كانت عائشة تأخذ اثني عشر ألف درهم، كانت أختها أسماء بنت أبي بكر تأخذ ألف درهم! وهذا الشئ لا يقبله الناس، لأن الفرق الطبقي أصبح صارخاً. وما دام النبيﷺ لم يفضّل واحدة على أخرى، فلماذا نفضّل نحن عائشة على أسماء، وقد سار أبو بكر على نهج النبيﷺ فلم يفضل عائشة على أسماء كذلك سار الإمام عليعليه السلام على نهج النبيﷺ فلم يفضّل امرأة على أخرى؟!!

فيكون عمر أول من خالف تشريع رسول اللهﷺ ويذكر أن اللائي توفي عنهن الرسولﷺ من زوجاته هن: أم سلمة، أم حبيبة، عائشة، حفصة، صفية، زينب بنت جحش، سودة، ميمونة، فكيف تفضّل حفصة ابنته وعائشة ابنة رفيقه والمدافعة عنه وأم حبيبة ابنة أبي سفيان المتحالف مع الدولة على باقي النساء؟

وقد جاء في تاريخ ابن الجوزي: وفرض عمر لأهل بدر والمهاجرين والأنصار ستة آلاف، وفرض لأزواج النبيﷺ ففضل عليهن عائشة فرض لها اثني عشر ألفا ولسائرهن عشرة آلاف، غير جويرية وصفية فرض لها ستة آلاف ستة آلاف. وفرض للمهاجرات الأول أسماء بنت عميس وأسماء بنت أبي بكر وأم عبد الله بن مسعود ألفاً ألفاً (انظر تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي: ص٥٨).

وروى البيهقي بسنده عن سعيد بن المسيب: أن عمر بن الخطاب كتب المهاجرين على خمسة آلاف والأنصار على أربعة آلاف ومن لم يشهد بدراً من أبناء المهاجرين على أربعة آلاف فكان منهم عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي وأسامة بن زيد، ومحمد بن عبد الله بن جحش الأسدي، وعبد الله بن عمر، فقال عبد الرحمن بن عوف: إن ابن عمر ليس من هؤلاء انه وإنه فقال ابن عمر إن كان لي حق فأعطنيه والا فلا تعطني فقال عمر لابن عوف اكتبه على خمسة آلاف واكتبني على أربعة آلاف فقال عبد الله لا أريد هذا فقال عمر والله لا أجتمع أنا وأنت على خمسة آلاف (انظر السنن الكبرى

➔

وهو قد نصّ على كون الخليفة أحد الستة[١].

➔

للبيهقي ج٦: ص٣٥١).

وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء: أخرج أحمد في الزهد عن إسماعيل بن محمد، أن أبا بكر قسم قسما فسوى فيه بين الناس، فقال له عمر: تسوي بين أصحاب بدر وسواهم من الناس؟ فقال أبو بكر: إنما الدنيا بلاغ، وخير البلاغ أوسعه، وإنما فضلهم في أجورهم (تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١١٩).

وقال: أخرج عن سفيان بن أبي العوجاء قال: قال عمر بن الخطاب: والله ما أدري أخليفة أنا أم ملك؟ فإن كنت ملكاً فهذا أمر عظيم، فقال قائل: يا أمير المؤمنين، إن بينهما فرقاً، قال: ما هو؟ قال: الخليفة لا يأخذ إلا حقّاً ولا يضعه إلا في حقّ، وأنت بحمد الله كذلك، والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا، فسكت عمر(تاريخ الخلفاء: ص١٥٥).

وقد قال الماوردي في كتابه الأحكام السلطانيّة: وكان العمل في زمن النبيﷺ وأبي بكر جارياً على التسوية العامّة، إلا أن عمر رأى أن لا يجعل من قاتل رسول اللهﷺ كمن قاتل معه، فجعل الامتياز بحسب السابقة، فالذي قاتل يوم بدر يفضل من قاتل في فتوح العراق والشام، ومن هنا حدث التفاوت الملموس في الأعطيات وتشكل في طبقات ومراتب، فطائفة تأخذ عطاء كبيراً، وأخرى عطاء متوسطاً، والأكثرية يأخذون عطاء ضئيلاً... (انظر الأحكام السلطانية: ص١٧٧). وإلى غير ذلك ممّا ورد في المقام فإنّها صريحة في أنّه خالف السنّة النبويةﷺ، وهناك مخالفات كثيرة منه كبدعته صلاة التراويح ومنعه المتعة، وتغييره لسنّة رسول اللهﷺ في الطلاق وغيرها، فلا يسعنا المجال لاستقصائها فهذه المخالفات وغيرها منه مخالف للحديث الصحيح عندهم وهو قول رسول اللهﷺ بيّن للناس جميع ما يحتاجون إليه فمخالفته لقول الله ورسولهﷺ يعتبر معارضة صريحة لكلام الله عزوجل وسنّة رسول اللهﷺ، فلاحظ.

(١) لا شكّ أنّ الخلافة عند أهل السنة تنعقد لمن تمكّن له الرئاسة والقيادة على الأمة، فهم ينظرون إلى الإمام كرئيس دولة، ينتخبه الشعب أو نوّاب الأمّة، فهي لا تنفكّ عندهم عن

➔

➔
الطابع السطوي والتنفيذي والرئاسي، وعلى الرغم من خطورة الأمرعندهم في هذا المجال، وأهميته القصوى، فأنّهم يرون بأنّ هذا الأمر قد أوكل إلى الصحابة ابتداءً، وإلى الناس في كل عصر ليختاروا أولياء أمورهم، ولا ندري كيف يمكن الجمع بين الأهمية وبين إيكاله إلى عامة الناس؟!

وعلى أي حال فقد جاء عمر بن الخطّاب بطريقة جديدة غير التي ابتكرها الخليفة الأوّل، وإنّ هذه الطريقة لا تمتاز بكونها مخالفة للإسلام وللقوانين العالمية فحسب، بل للذوق البشري أيضاً.

فمثلاً طريقة اختيار وانتخاب الرئيس في الدول الديمقراطية يتمّ بإشراك الجماهير كلّها ومن ثمّ يتمّ فرز الأصوات، بشكل دقيق وتحت المراقبة للحيلولة دون احتواء الموقف أو التزوير أو الاحتيال... .

وأمّا المرشّحون للرئاسة فإنّ كلّ حزب يرشِّح واحداً وهكذا يتمّ التنافس الإيجابي إلى أن يفوز بها من يجمع أكثر الأصوات، وهكذا الأمر في المجالس، النيابيّة أو البلديات وأكثر من ذلك فإنّ المستبدّين إذا أرادوا أن يسيطروا على الانتخابات ويعيّنوا الرئيس بالقوّة، فإنّهم يمارسون استبدادهم ضمن الانتخابات لا أنّهم يلغونها أو يحرمون الناس من حقّ المشاركة، فيعملون مثلاً على تزييف الانتخابات بشكل أو بآخر وهذا يعني حرصهم على إقامة الانتخابات الحرّة وإشراك الجماهير فيها وإن كانت صوريّة.

ولكن عندما نأتي إلى الشورى التي أقامها عمر بن الخطّاب وهي طريقته الجديدة لإستخلاف الذي بعده، نجد أنّ الشورى العمريّة لا هي موافقة لسيرة وسنّة النبيّ ﷺ، ولا أنّها موافقة للانتخابات الديمقراطية الحقيقيّة أو الصوريّة، بل هي حالة ثالثة جديدة أشبه بالخنثى.

فقد ذكر المؤرِّخون أنّ عمر بن الخطّاب لمّا طعن جاءه بعض الناس وقالوا له: لو استخلفت؟ فقال: لو كان أبو عبيدة بن الجرّاح حيّاً استخلفته فإن سألني ربّي قلت: سمعت نبيّك يقول: إنّه أمين هذه الأمّة، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً استخلفته فإن سألني ربّي قلت: سمعت نبيّك يقول: إنّ سالماً شديد الحبّ لله، فقال له رجل: أدلّك عليه، عبدالله بن عمر
🡐

➔
فقال:... كيف أستخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته (انظرتاريخ الطبري ج٣: ص٢٩٢).
ثمّ قال عمر: وانظر فإن استخلفت فقد استخلف من هو خير منّي وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٢٦ كتاب الأحكام، باب الاستخلاف). ولن يضيع الله دينه، فخرج القوم من عنده ثمّ عادوا إليه فقالوا: لو عهدت عهداً؟ فقال: كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فأولّي رجلاً أمركم هو أحراكم أن يحملكم على الحقّ، وأشار إلى الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ثمّ غيّر رأيه فقال: عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: إنّهم من أهل الجنّة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ولست مدخله ولكن الستّة: عليّ وعثمان وعبد الرحمن وسعد بن أبي وقّاص والزبير وطلحة، فليختاروا منهم رجلاً ثمّ إنّه عاب هؤلاء الستّة!! فأقبل على سعد بن أبي وقّاص فقال: إنّما أنت صاحب مِقنب (جماعة الخيل) من هذه المقانب، تقاتل به وصاحب قنص وقوس وأسهم وما زهرة والخلافة وأمور الناس!! ثمّ أقبل على عبد الرحمن فقال: فلو وزن نصف إيمان المسلمين بايمانك لرجح.. ولكن ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك وما زهرة وهذا الأمر، ثمّ أقبل على الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فقال: لله أنت لولا دعابة فيك أما والله لئن ولّيتهم لتحملنّهم على الحقّ الواضح والمحجّة البيضاء، ثمّ أقبل على عثمان فقال: هيهاً إليك كأنّي بك قد قلّدتك قريش هذا الأمر لحبّها إيّاك فحملت بني أميّة وبني أبي معيط على رقاب الناس وآثرتهم بالفيء وأمّا طلحة فقد مات رسول اللهصلى الله عليه وآله ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب، حيث قال طلحة: ما الذي يغنيه حجابهنّ اليوم وسيموت غداً فننكحهنّ ولمّا وصل هذا الكلام لمسامع النبيّ تأثّر كثيراً وغضب على طلحة إلى أن مات. ثم قال عمر لأبي طلحة الأنصاري: يا أبا طلحة، إن الله طالما أعزّ بكم الإسلام فاختر خمسين رجلاً من الأنصار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم وقم على رؤوسهم فإن اجتمع خمسة وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف، وإن اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما، وإن رضي ثلاثة رجال وثلاثة رجال فحكموا عبد الله بن عمر، فإن لم يرضوا فكونوا مع الذين
➔

➔
فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع فيه الناس(انظر تاريخ الطبري ج٣: ص٢٩٢-٢٩٣).

فهذه هي الشورى العمريّة وهي مختزلة في كلمة واحدة: إما أن توافق وإلا قتلناك، ولم يستند في ذلك إلى دليل من الكتاب والسنّة بل اعتمد على نظره الخاصّ، ونحن نتحدى جميع من اتّخذ سيرة الصحابة وأقوالهم في عداد كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله من مصادر الشريعة الإسلاميّة أن يأتي بدليل يسند فعله على جميع المباني الشرعية عند أهل السنّة والجماعة، كي يتّخذ من السنّة العمريّة هذه سنداً لهذا الحكم في إقامة الخلافة.

على أنّ سنّته هذه مخالفة لسنّته وسنّة الخليفة الأوّل أبي بكر في إقامة حكم الخليفة الأوّل أبي بكر فإنّها كانت فلتة حسب تعبيره نفسه، وتقييمه لها وكذلك مخالفة - أيضاً - لسنّتهما في إقامة حكم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فإنّ الخليفة الأوّل ولّى الخليفة عمر على المسلمين من بعده، وكلاهما لم يستشيرا المسلمين في كلا المقامين، ومخالفة - أيضاً - لقول الخليفة عمر: لو كان أبو عبيدة حيّاً لاستخلفته ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً لاستخلفته، فإنّ هذا القول يخالف الالتزام بالشورى! وعلى فرض صحّة إقامة الخلافة على أساس الشورى العمريّة، فكيف ينبغي أن تكون الشورى؛ وكم ينبغي أن يكون عدد المتشاورين؟في الأغلب قالوا ينحصر عدد المتشاورين في ستّة، يبايع خمسة منهم السادس، أضف إلى ما سبق السؤال عن المسوّغ لإعطاء عبد الرحمن بن عوف خاصّة حقّ اتّخاذ القرار النهائيّ من دون الآخرين في تلك الشورى.

ثمّ ما المسوّغ لقتل من خالف قرار عبد الرحمن ورأيه؟!! ثمّ من الّذي كان يخشى منه المخالفة لرأي عبد الرحمن من دون الآخرين؟!!!

وأخيراً هل اتّبعت مدرسة الخلافة الشورى العمريّة مرّة واحدة وأقامت الخلافة كذلك لواحد من الخلفاء طوال القرون؟ هذه أسئلة تتوارد على الشورى العمرية؟!!

أمّا ما استدلّ به أتباع خلافة السقيفة في هذا الصدد، بالآية الكريمة: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ**﴾ فإنّه لايستفاد منها أكثر من رجحان التشاور بين المؤمنين في أمورهم لا وجوبه،
🡐

➔

فإنّه سبحانه وتعالى لو أراد الوجوب في هذا الأمر لقال: كتب الله على المؤمنين أو قال: فرض عليهم...، وإلى ما شابههما من الألفاظ الدالّة على وجوب الفعل على المؤمنين. ثم إنّ الآية في مقام توجيه الرسولﷺ أن يدعو المسلمين إلى القتال بأسلوب المشاورة؛ وليس بأسلوب الملوك الجبابرة الّذين يلقون أوامرهم إلى الناس بقولهم مثلاً: أصدرنا أمرنا الملكيّ بكذا. وقد صرّح الجليل سبحانه بعد هذه الجملة بأنّ رأي المسلمين ليس ملزماً لرسول اللهﷺ حيث قال: ﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ**﴾ (سورة ال عمران:١٥٩)، إذن القيام بالعمل يكون على أساس عزم الرسولﷺ وليس على ما يرتئيه المؤمنون، ويوضح ذلك بجلاء الأمثلة الّتي ذكرناها من مشاورة الرسولﷺ المسلمين في موارد كانت عاقبة الأمر معلومة لرسول اللهﷺ مسبقا مثل مشاورته إيّاهم للقتال في غزوة بدر.

ثمّ إنّ مشاوراتهﷺ كانت في مقام استجلاء رأي المسلمين في كيفيّة تنفيذ الأحكام الإسلاميّة وليست في مقام استنباط الحكم الشرعيّ بالتشاور، أضف إلى كلّ ذلك أنّ اللّه تعالى قال: ﴿**وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِيناً**﴾ (سورة الأحزاب:٣٦)، إذن فإنّ رجحان المشاورة ينحصر بمورد لم يقض الله ورسولهﷺ فيه أمراً وفي ما قضى الله ورسولهﷺ فيه أمراً، تكون المشاورة معصية لله ورسولهﷺ وضلالاً مبيناً.

ومضافاً إلى جميع ما تقدم أنّ البيعة لا تنعقد للقيام بمعصية الخالق ولا لمتجاهر بمعصية الخالق ولا بالإكراه وحدّ السيف، أمّا أصحاب مدرسة الخلافة فإنّهم قالوا: تنعقد الخلافة ببيعة خمسة، وقال بعضهم: تنعقد ببيعة واحد وضور شاهدين، واستدلّوا بعمل الصحابة. وهذا يتوقف على صحّة الاستدلال بعمل الصحابة في ما إذا اعتقدنا أنّ سيرة الصحابة مثل كتاب الله وسنّة رسولهﷺ مصدر للتشريع الإسلامي، ولكن لم يكن هذا مورد الاتفاق عندهم.

ثمّ إنّ عمل الصحابة يخالف بعضه البعض الآخر كما لا يخفى على أحد، ومن ثمّ وقع

➔

➔

الخلاف في آراء أتباع مدرسة الخلافة كما لا يخفى ذلك على الباحث. وعلى هذا بعمل أيّ من الصّحابة نقتدي وقول من منهم ومن الأتباع نأخذ؟!

فلم يبقى طريق للإستدلال لأهل السنة فيما فعله عمر بن الخطاب، ولذلك قال مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في الخطبة الشقشقية: «حتّى إذا مضى (أي عمر) لسبيله، جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم؛ فيا لله وللشورى؛ متى اعترض الرّيب فيّ مع الأوّل منهم، حتّى صرت أقرن إلى هذه النّظائر (يقصد بالجماعة الستة وهم: علي وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص). لكنّي أسففت إذ أسفّوا وطرت إذ طاروا. فصغا رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هن وهن» (نهج البلاغة: الخطبة٣).

«أيّها النّاس، إنّ أحقّ النّاس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه. فإن شغب شاغب استعتب، فإن أبى قوتل. ولعمري، لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتّى يحضرها عامّة النّاس، فما إلى ذلك سبيل. ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها، ثمّ ليس للشّاهد أن يرجع، ولا للغائب أن يختار» (الخطبة ١٧١، ٣٠٨).

ومن كتاب لهعليه السلام إلى معاوية: «... وإنّما الشّورى للمهاجرين والأنصار. فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضا. فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه. فإن أبى قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين. وولاه الله ما تولّى» (نهج البلاغة:الخطبة ٤٤٦).

أمّا ما استدلّوا به من كلام مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فإنّه كان في مقام الاحتجاج على معاوية وجماعته بما التزموا به، على أنّ إجماع الصحابة بما فيهم الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وسبطا الرسولصلى الله عليه وآله الحسن والحسينعليهما السلام حجّة. وهذا هو مفهوم كلام الإمامعليه السلام حيث قال: واعجباه أن تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصّحابة والقرابة؟ قال الشريف الرضي: وروي له شعر في هذا المعنى (يخاطب به أبا بكر).

➔

فانظر يا طالب الحق إلى هذه المناقضات وتبصّر منها في مخالفاتهم للشريعة؛ فهل تجوز في حق من بعث رحمة للعالمين صلى الله عليه وآله بيان حتّى المباحات للخلق وعدم بيان من يتبعونه من بعده المسيس لهم بشريعته[1]،

➔

فإن كنت بالشّورى ملكت أمورهم *** فكيف بهذا والمشيرون غيّب

وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم *** فغيرك أولى بالنّبيّ وأقرب

وملخّص الكلام أنّ الشورى العمريّة أيضاً مخالفة للحديث الذي رواه البخاري المتقدم ذكره، وفيه قول رسول الله صلى الله عليه وآله بيّن للناس جميع ما يحتاجون إليه فمخالفته لقول رسول الله صلى الله عليه وآله يعتبر معارضة صريحة لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ النصوص من الكتاب والسنّة تؤكّدان على أنّ الإسلام يعتبر دين كامل ومنهج شامل لجميع أمور الحياة الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿**وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ (سورة الأنعام:٥٩)، هذه الآية صريحة في بيان جميع الأمور غير أنّها متوقفة على بيان النبي صلى الله عليه وآله كما قال الله تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (سورة النحل:٤٤)، أي أنزلنا عليك القرآن لتبيّن تعاليمه ومفاهيمه، وتوقظ به الفكر الإنساني ليسيروا في طريق الحقّ بعد شعورهم بالمسؤوليّة الملقاة على عاتقهم، وليتّجهوا صوب الكمال؛ لأنّ الدين الإسلامي منهج شامل لجميع الأمور؛ فإنّ الله تبارك وتعالى كرّم الإنسان، واصطفاه على سائر خلقه، وجعله سيّداً في الأرض، وأمده بالوحي السماوي، والرعاية الإلهيّة، والشرع القويم، وأرسل له الأنبياء والرسل، وأنزل عليهم الكتب، ليسير على الهدي السديد، والصراط المستقيم، وشرع لهم الأحكام لبيان الحقوق والواجبات، ثم بعث الله خاتم أنبيائه، وجعل شريعته خاتمة الشرايع، ولذلك جعل لها شمولية مستوعبة لجميع الامور إلى يوم القيامة، غير أنّ المبين لها هم أهل الذكر الذين هم المسؤولون عنها، وقد أمر الله تعالى الرجوع إليهم في جميع الامور فقال تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ**

←

➔

إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة النحل:٤٣)، فإنّ الذكر: بمعنى العلم والاطلاع، وأهل الذكر هم أهل العلم والإطلاع الشامل لجميع المعلومات بإذن الله تبارك وتعالى، أي من له من شموليّة في الإطلاع بحيث يستوعب جميع العالمين والعارفين في كافة المجالات. يقول الراغب في مفرداته: إن الذكر على معنيين، الأول: الحفظ. والثاني التذكّر واستحضار الشئ في القلب. ولذلك قيل: الذكر ذكران، ذكر بالقلب وذكر باللسان.. ولذا رأينا أن الذكر يطلق على القرآن لأنه يعرض الحقائق ويكشفها (انظر المفردات في غريب القرآن للراغب: ص١٧٩). وهذا المعنى لا ينطبق إلا على النبيﷺ والمعصومين الذين تلوا الرسول الأعظمﷺ وقد وردت الروايات الكثيرة في المصادر الإسلامية المرويّة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام: "أن أهل الذكر هم النبيﷺ وآله الأئمة المعصومون عليهم السلام"، ومن هذه الروايات ما ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في جوابه عن معنى الآية أنه قال: «نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون» (انظر الكافي ج١: ص٢١٠ ح٣). وما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير الآية أنه قال: الذكر القرآن وآل الرسول أهل الذكر وهم المسؤولون (انظر بحار الأنوار ج ٢٣: ص١٧٥) وهناك روايات متعددة أخرى تحمل نفس هذا المعنى في كتب التفسير والحديث.

وفي تفاسير أهل السنّة أيضاً وردت بهذا المضمون، منها: ما ورد في التفسير الاثني عشري: عن ابن عباس في تفسير هذه الآية، قال: هو محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام هم أهل الذكر والعقل والبيان (انظر الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي ج٦: ص٢٧٠)؛ ومثله في شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج١: ص٤٣٢ وغيره، وهناك تفاسير كثيرة لأهل السنّة، رووا ما هو قريب من هذا المضمون في تفسير الآية الكريمة (لاحظ احقاق الحقّ للقاضي نور الله التستري ج٣: ص٤٢٨). فالذكر بمعناه الواسع القرآن وما يحتويه من كل شئ من الرطب واليابس، والذي هو مبيّن لهذا الكتاب العزيز، وبالطبع لا بدّ أن يكون محيطاً بجميع الحقائق في عالم الكون والملكوت والعوالم الأخرى، وهو لا يكون إلا النبي الأكرمﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام من بعده، فهم أهل

🡐

بل يَدَعهم على حالة الجهل بمن له لياقة بذلك[(١)].

فاختار الناس تبعاً لبعضهم من جرف نبذة من الشريعة، فحرّم ما حلّله الله وحلّل ما حرّمه الله، وخالف نبذة من كتاب الله وسنّة رسولهﷺ وسيرته حسبما عرفت جملة من مخالفات أبي بكر وعمر وعثمان فيما مضى[(٢)]

➔

الذكر كما ورد في الأحاديث المفسرة للآية الكريمة في المصادر الإسلامية من التفاسير الشيعة وأهل السنّة، وهي تؤكّد على أنّ أهل الذكر هم اهل بيت النبيﷺ. ويؤيّد ذلك في المعنى حديث الثقلين الذي سيأتي شرحه في محله إن شاء الله تعالى.

والمهمّ أنّ الإسلام دين كامل، قد شرع الله تعالى جميع ما يحتاجون اليه الناس الى يوم القيامة، حتى الأمور المباحة فكيف بالأمور الواجبة وكيف بالأمور التي هي أهم الأمور باعتراف الجميع، وهوالإمامة والخلافة، فالحديث المتقدّم ذكره والذي رواه البخاري تبيّن أنّ رسول اللهﷺ قد بيّن للناس جميع ما يحتاجون إليه، ولا بدّ أنّ تكون من تلك الأمور الإمامة التي هي من أهمها، لقولهﷺ: "جميع ما يحتاجون إليه الناس"، فيشمل الإمامة، بل أنّ الإمامة والخلافة على رأسها، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ رسالة خاتم النبيينﷺ تقتضي بيان كل ما يحتاج إإليه الناس، كما ورد في الحديث المتفق عليه بين جميع المسلمين، وقد رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال: «إذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم» (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٤٢ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول اللهﷺ). وعليه فلا يليق خاتم النبيينﷺ أنّ يترك الناس جاهلين بما يحتاجون إليه، لا سيّما إذا كان ذلك الشيء الذي يحتاج اليه الناس من أهم الأمور عندهم، فيكون ذلك نقضاً للغرض، فلاحظ.

(٢) وتوضيح المقام أنّه بعد ثبوت أنّ مهمّة النبيﷺ بيان ما يحتاج اليه الناس، قد ثبت أنّهﷺ قد أدى الوظيفة بأحسن الوجه، ولكن الناس خالفوا ما شرعه الله ورسولهﷺ

➔

وسيأتي بيان جملة منها.

←

فبالطبع يلزم من هذه المخالفة تحريم ما أحلّه الله وتحليل ما حرّمه الله، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا* وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (سورة البقرة:٢٢٨ - ٢٢٩). فالحدود الإلهية فالمقصود من الحدود الإلهية في هذه الآية وغيرها عبارة عن: القوانين الإلهية، والتعبير بالحد للتنبيه على أنّ القوانين الإلهية هي الخط الأحمر لا يجوز تجاوزها، فالمعصية ومخالفة هذه القوانين تعد تجاوزاً للحدّ، وفي الواقع أنّ بين الأعمال التي يؤدّيها الإنسان توجد مجموعة مناطق ممنوعة، أي يكون الدخول فيها خطراً، فترسم لنا القوانين والأحكام الإلهيّة، حدود هذه المناطق الممنوعة كالعلامات المنصوبة على المناطق الممنوعة، ولهذا نقرأ في سورة البقرة النهي عن الإقتراب من تلك الحدود وذلك في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ (سورة البقرة:١٨٧)، فإنّ الاقتراب منها يعرض الإنسان إلى خطر السقوط في الهاوية، وعليه لا بدّ لكلّ مؤمن أن يحافظ علّة حدود الله، ولا يتعدها، ومن الواضح عندما نريد أن نفهم معنى الحفاظ على حدود الله يجب علينا أن ننظر في حدود الله فى القرآن الكريم، والسنّة النبويّة الشريفة، فمن تعدى ذلك فهو من الظالمين، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة البقرة:٢٨٥)، وذلك لأنّ الظلم مقدمة للضلال. ومن هنا يتضح أن تحريم الحلال وتحليل الحرام مصدر للضلال؛ لأنّ فاعله قد تعدى حدود الله، وبنصّ القرآن ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، ومن أبرز مصاديق الظلم هو ما فعله الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان من المخالفات للشريعة المقدّسة التي قد تقدم ذكر بعض تلك المخالفات، ومن أهمّها غصب الخلافة كما ذكرنا الأدلة على ذلك من المصادر السنيّة، وعليه فإنّهم مشمولون لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، فهم في زمرة أهل الضلال، بنص هذه الآية المباركة، فلاحظ.

ورابعها: ما زعمه من مشاورة عبد الرحمن الصحابة والتابعين لهم بإحسان[(١)]؛

(١) لا يخفى على الباحث المتتبّع في الآثار والمتدبّر في الأخبار كذب ما زعمه ابن تيمية، حيث أنّه زعم أنّ عبد الرحمن بن عوف شاورالصحابة ثلاثة أيّام، حتى أشاروا عليه بتولية عثمان للخلافة، أوّلاً: أنّ عمر بن الخطاب أسّس الشورى الستّة لئلا يتدخل الصحابة في إختيار الخلافة، ولذلك أمرهم بانتخاب الخليفة في المدة التي عيّنه لهم، وكان عدد الأصوات كافية عنده لانتخاب الخليفة، وجعل العقاب على من خالف أمره، فكانت مسؤوليّة انتخاب الخليفة على عاتق الجماعة المحدّدة في الشورى، ومنع الفوضى بحيث لم يسمح لأحد أن يتدخل في ذلك أو يسمع ما يدور من الحوار في المجلس كما هو في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه (لاحظ صحيح البخاري ج٤: ص٢٠٥ كتاب المناقب، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان). وثانياً: أنّ حديث البخاري المتقدم ذكره واضحة الدلالة على أنّ اختيارالخمسة من الصحابة للترشيح ممن لهم العداء لأميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فجعل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام سادسهم لئلا يحصل توافق عليه؛ فجعل عبد الرحمن بن عوف الذي هو صهر عثمان، والذي كان من أكثر الناس حقداً على الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام رئيساً على مجلس الشورى، وقال: وإذا اختلفتم فكونوا في الشقّ الذي فيه عبد الرحمن بن عوف، فكان يعلم أنّ عبد الرحمن بن عوف ممن له العداء لمولانا أميرالمؤمنين عليه السلام، كما جعل في الشورى سعد بن أبي وقاص، الذي كان يكره الإمام عليه السلام كأخواله الأمويّين، فأمّه حمنة بنت سفيان بن أمية، وأيضاً جعل فيها عثمان بن عفان عميد الأسرة الأمويّة فمقصود الرجل من تأسيس هذه الشورى كما يقول المحققون إقصاء الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام عن الحكم، ومنحه للأمويّين! يقول العلائلي: إن حرص عمر على مصلحة المسلمين دفعة إلى اختيار هؤلاء الستّة من خيرة أهل المدينة دون أن يتبع سياسة سلفه وكان للأمويين حزب قوي في المدينة، ومن هنا مهد اختياره السبيل لمكائد الأمويّين، ودسائسهم هؤلاء الذين ناصبوا الاسلام العداء، ثم دخلوا فيه وسيلة لسد ←

فإنّه من عجيب الغشّ للغفلة الجهلة، بما وردت به الشريعة، فإنّهم لو

➔

مطامعهم، وتشييد صرح مجدهم على أكتاف المسلمين (انظر حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ باقر القرشي ج١: ص٢٦٧).

ثم ما هو المسوّغ لعمربن الخطاب إذ جعل عبدالرحمن بن عوف على رأس الشورى، بحيث يكون الترجيح مع المجموعة التي فيها عبدالرحمن، فأين الشورى وأين الانتخاب بعد هذا الترجيح؟!!

وماهو المسوغ لقتل من خالف قرار عبد الرحمن ورأيه؟!! وبالتالي من الّذي كان يخشى منه المخالفة لرأي عبد الرحمن من دون الآخرين؟

فقول ابن تيمية من أنّ عبدالرحمن تشاور الصحابة ثلاثة أيام من الغرائب التي يضحك الثكلى، لأنّ نفس جعله على رأس المجموعة من قبل عمر بن الخطاب مخالف للمعايير المرسومة في الشورى والانتخاب الحرّ، فبأي وجه شرعي أو عقلي أو عقلائي فعل ذلك الخليفة؟!!

وثالثاً: إذا كان رأي الصحابة - غير هؤلاء الستة الذين انتخبهم عمر الخطاب للشورى - دخيلاً في انتخاب الخليفة، فما هو الوجه في انتخاب الستّة بلا مشورة من الصحابة وترشيحهم للخلافة؟!!

ورابعاً: على فرض قبول الشورى، فإنّ المفروض أنّ الشورى بنفسها تقوم لهذه المهمة، فما هو الوجه على مشاورة عبدالرحمن الصحابة في انتخاب الخليفة؟!!

وخامساً: على فرض قبول الشورى وقبول المشورة من الصحابة ضمن وجود الشورى، فأين رأي الصحابة المخالفين للسقيفة، فلماذا لم يعتبروا آرائهم دخيلاً في الانتخاب؟ أليس أنّهم من الصحابة؟ وأليس كثيراً منهم من أهل الحلّ والعقد؟ فلماذا لم يعتنوا بآرائهم؟!!

فهذه أسئلة تتوارد على الشورى العمريّة واختيار عبد الرحمن فيها بعنوان رئيس الشورى، فلا معنى للترجيح من قبل الخليفة حتى عند الاختلاف كما هو واضح عند كل عاقل.

يعلمون بما فعله من وصفهم بالسابقين وبالتابعين لهم بإحسان لعرفوه غاشّاً لهم بأعظم الغش"[١].

ونحن بتوفيق الله سبحانه نجينا من بنظر إلى ما حررناه إلى هنا وفيما يأتي الغفلة من غشّ من كتم الحق عليهم[٢]،

---

(١) وتوضيح المقام أنّه بناءً على مسلك أهل السنّة، لو كان رأي الصحابة معتبراً عند الخليفة عمر بن الخطاب، لجعل الشورى بين جميع الصحابة، ولم يرشح الستة لانتخاب الخليفة من بينهم، وإذا كان رأي الخليفة عمر بن الخطاب ترشيح هذه الشورى وتعيين الخليفة بها، فبأي وجه جاز لابن تيمية أن يغيّر ما أسّسه عمر بن الخطاب في الشورى أليس أنّ ما فعله عمر حجة عليه؟!!

فلا شكّ أن ما زعمه ابن تيمية من أنّ عبد الرحمن بن عوف شاور الصحابة لانتخاب عثمان، معناه العمل على خلاف مقتضى الشورى العمريّة، إذ فلسفة جعل الشورى الستّة أن تكون المشورة محدّدة بهم، فالتشاور من خارج هذه المحدودة يعتبر نقضاً للقانون الذي أسّسه عمر بن الخطاب، ولايخفى أنّ هذا القانون يعتبر عند أهل السنة بمثابة أصل أساسي لإنتخاب الخليفة، ولا ندري هل أنّ ابن تيمية كان يريد غشّ نفسه، بهذه المقالة أو كان يريد أن يغشّ أهل نحلته من أهل السنّة والجماعة؟!!! أو أنّه عندما وجد فعل الخليفة عمر بن الخطاب على خلاف المعايير الثابتة عند العقلاء في الإنتخاب، فأراد أن يخالف رأي الخليفه والقانون الذي أسّسه، فالقضية أوضح من أن يخفى على أحد، فلاحظ.

(٢) لا يخفى أنّه بسبب اختلاط الأُمورعلى كثير من المسلمين، لقصورهم وعدم استعدادهم لفهم دليل الحق ومعرفته، وعدم تمييزهم بين الحقّ والباطل، فقد استغل ابن تيمية الناس الجهلة، فاستعمل طريقة الغشّ، والتزييف وأساليب الخدعة، وكتمان الحقّ، للحفاظ على الأصول المتناقضة عند أهل السنّة، وإن كان لا يمكنه غشّ أهل التحقيق والتثقيف حتى من أهل السنّة، ولذلك اعترض عليه كثير من أهل السنة ومنهم تقي الدين السبكي الذي رد عليه في كتابه الدرة المضية في الرد على ابن تيمية، وقال في مقدمة كتابه: أما بعد، ←

➔

فإنه لمّا أحدث ابن تيميّة ما أحدث في أصول العقائد، ونقض من دعائم الإسلام الأركان والمعاقد، بعد أن كان مستترا بتبعية الكتاب والسّنة، مظهراً أنه داع إلى الحقّ هاد إلى الجنة، فخرج عن الاتّباع إلى الابتداع، وشذّ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع، وقال بما يقتضي الجسميّة والتركيب في الذات المقدّس، وأن الافتقار إلى الجزء (أي افتقار الله إلى الجزء) ليس بمحال، وقال بحلول الحوادث بذات الله تعالى، وأن القرآن محدث تكلّم الله به بعد أن لم يكن، وأنه يتكلّم ويسكت ويحدث في ذاته الإرادات بحسب المخلوقات، وتعدى في ذلك إلى استلزام قدم العالم، والتزامه بالقول بأنّه لا أوّل للمخلوقات، فقال بحوادث لا أوّل لها، فأثبت الصفة القديمة حادثة والمخلوق الحادث قديما، ولم يجمع أحد هذين القولين في ملة من الملل ولا نحلة من النحل، فلم يدخل في فرقة من الفرق الثلاث والسبعين التي افترقت عليها الأمّة، ولا وقفت به مع أمّة من الأمم همّة، وكل ذلك وإن كان كفراً شنيعاً ممّا تقلّ جملته بالنسبة لما أحدث في الفروع (انظرمقدمة الدرة المضية في الرد على ابن تيمية) وإلى غير ذلك من أقوالهم في الرد عليه.

فالباحث الماهر يعرف من خلال كتب التاريخ أنّ ابن تيمية لعب دوراً كبيراً لإبعاد أهل السنّة عن سيرة أهل البيتعليهم السلام وكتمان الحق، وانكار ما جاء في القرآن والسنّة النبويّة في حقّهم، فاستمل سياسة الأمويّين وخلفاء الجور، لنصب العداوة والبغضاء لأهل البيتعليهم السلام، ولكن بهذه السياسة الغاشمة خرج من الحفرة ووقع في البئر، حيث أنّه مضافا إلى ما خالف كتاب الله وسنة رسولهصلى الله عليه وآله فقد خالف خلفاء أهل السنّة وخالف الصحابة وعلماء أهل السنة، مضافاً إلى جميع ذلك أنّ من ضروريّات الإسلام وجوب محبّة أهل البيتعليهم السلام حيث قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ (سورة الشورى:٢٣)، هذه الآية تدلّ على وجوب المودة لأهل البيتعليهم السلام الذين نصّ الحديث على تحديدهم، وقد أخرج كبار علماء أهل السنة ما تضافرت من الروايات، بل تواترت في تفسيرالآية الكريمة ومعنى القربى، منها: مارواه الطبراني بسنده

➔

➔

عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن بن عباس قال: لمّا نزلت ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «علي وفاطمة وابناهما». (انظر المعجم الكبير للطبراني ج١١: ص٣٥١)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٧: ص١٠٣، وأبو حاتم الرازي في تفسيره ج١٠: ص٢٢٧٦، والثعلبي في تفسيره ج٨: ص٢٧، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج١١: ص٣٥١، والزمخشري في الكشاف ج٣: ص٤٦٧، والفخر الرازي في تفسيره ج٢٧: ص١٦٦ وغيرهم.

وقد ورد في مستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري بسنده عن الإمام علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «عند استشهاد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقف الإمام الحسن بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يخطب في الناس، وكان ممّا قال: إنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم، فقال تبارك وتعالى لنبيه: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً، فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت» (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٧٣). وذكر السيوطي في الدر المنثور: في نهاية الآية التي نبحثها عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال في تفسير آية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ أن تحفظوني في أهل بيتي وتودوهم بي (انظر الدر المنثور ج٦: ص٧).

وروى الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل بسنده عن أبي أمامة الباهلي أن رسول الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال: «إن الله خلق الأنبياء من أشجار شتى، وأنا وعلي من شجرة واحدة، فأنا أصلها، وعلي فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين ثمارها، وأشياعنا أوراقها - حتى قال - لو أن عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام، ثم ألف عام، ثم ألف عام، حتى يصير كالشن البالي، ثم لم يدرك محبتنا كبه الله على منخريه في النار»، ثم تلا: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (انظر شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني

➔

➔

ج٢: ص٢٠٣).

والطريف في الأمر أن هذا الحديث اشتهر بدرجة بحيث أن الشاعر المعروف الكميت أشار إلى ذلك في أشعاره، فقال:

وجدنا لكم في آل حاميم آية * تأولها منا تقي ومعرب

وينقل السيوطي أيضاً في (الدر المنثور) عن ابن جرير عن أبي الديلم: عندما تأسر علي بن الحسين عليه السلام وأوقفوه في بوابة دمشق، قال رجل من أهل الشام، الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم؛ قال علي بن الحسين عليه السلام: «هل قرأت القرآن؟» قال: نعم، قال: «هل قرأت سور حم؟» قال: لا، قال: «أ لم تقرأ هذه الآية: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾» قال: أ أنتم الذين أشارت لهم هذه الآية؟ قال: «بلى» (انظر الدر المنثور ج٦: ص٧).

ونقل الزمخشري في تفسيره حديثاً وقد اقتبسه أيضاً الفخر الرازي والقرطبي في تفسيرهما، حيث يوضح هذا الحديث مقام آل محمّد وأهميّة حبّهم، فيقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمّد مات تائباً، ألا ومن مات على حبّ، ألا ومن مات على حب آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حب آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمّد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمّد لم يشم رائحة الجنة» (انظرالكشاف في حقائق غوامض التنزيل ج٣: ص٤٦٧، وتفسير الفخر الرازي ج٢٧: ص١٦٦، وتفسير القرطبي ج١٦: ص٢٣).

والطريف في الأمر أن الفخر الرازي بعد ذكر هذا الحديث الشريف الذي أرسله صاحب الكشّاف ارسال المسلّمات، يقول: وأنا أقول: آل محمّد هم الذين يؤوّل أمرهم إليه، فكلّ

➔

➔

من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل، ولا شكّ أن فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله أشدّ التعلّقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل، وأيضاً اختلف الناس في الآل فقيل هم الأقارب وقيل هم أمته فإن حملناه على القرابة فهم الآل وإن حملناه على الأمّة الذين قبلوا دعوته فهم أيضاً آل، فثبت أن على جميع التقديرات هم الآل، وأما غيرهم فيدخلون تحت لفظ الآل؟ فمختلف فيه، وروى فيه صاحب الكشّاف أنه لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال: «علي وفاطمة وابناهما»، فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبي، وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم ويدل عليه وجوه الأول: قوله تعالى: ﴿**إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ ووجه الاستدلال به ما سبق (انظر تفسير الفخر الرازي ج٢٧: ص١٦٦).

فثبت ممّا تقدّم عداء ابن تيمية لله سبحانه ولرسوله صلى الله عليه وآله ولأهل البيت عليهم السلام. وهو يعلم ذلك، وقد كتم الحقّ فشمله قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾ (سورة البقرة: ١٥٠)، هذه الآية الكريمة تتحدث عن هؤلاء بشدة وتقول: إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون، فالله سبحانه وعباده الصالحون وملائكته المقربون يلعنون من يكتم الحقّ.

وبعبارة أخرى، كلّ أنصار الحقّ يغضبون على من كتم الحق. وأية خيانة للعالم أكبر من محاولة العلماء كتمان آيات الله المودعة عندهم من أجل مصالحهم الشخصيّة ولتضليل الناس وعبارة من بعد ما بيناه للناس في الكتاب إشارة إلى أن هؤلاء الأفراد يصادرون في الواقع جهود الأنبياء وتضحيات أولياء الله الصالحين، وهو ذنب عظيم والفعل (يلعن) تكرّر في الآية للتأكيد، واستعمل بصيغة المضارع لبيان استمرار اللعن، ومن هنا فإن لعنة الله ولعنة اللاعنين تلاحق هؤلاء الكاتمين لآيات الله باستمرار، وذلك أقسى صور العقاب.

ثم البيّنات والهدى لهما معنى واسع يشمل كل وسائل الهداية والتوعية والإيقاظ وإنقاذ

➔

➔

الناسولما كان القرآن كتاب هداية، فإنه لا يغلق منافذ الأمل والتوبة أمام الأفراد، ولا يقطع أملهم في العودة مهما ارتكسوا في الذنوب، لذلك تبين الآية التالية طريق النجاة من هذا الذنب الكبير وتقول: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ عبارة ﴿**أَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ جاءت بعد عبارة فأولئك أتوب عليهم للدلالة على كثرة محبّة الله، وسبق عطفه على عباده التائبين. فيقول سبحانه لهؤلاء: إن تبتم، أي عدتم إلى نشر الحقائق، فأنا أعود أيضاً إلى إغداق الرحمة والمواهب عليكم.

ومن الملفت للنظر، أن الله لم يقل أنه يقبل التوبة ممّن تاب، بل يقول: من تاب فأنا أيضاً أتوب عليه، والفرق في التعبيرين واضح، فالثاني فيه من التودّد والتحنّن وإغداق اللطف ما لا يمكن وصفه، ثم استعمال الضمير (أنا) في هذا الموضع يستهدف نوعاً من التودد وبيان الارتباط المباشر بين المتكلم والسامع وخاصة إذا قال عظيم من العظماء: أنا أتكفل لك بالعمل الفلاني حيث يختلف عما لو قال: سنقوم نحن بانجاز العمل فالمحبة الكامنة في الأسلوب الأول غير خافية على أحد وكلمة تواب صيغة مبالغة تبعث الأمل في نفوس المذنبين وتمزق أستار اليأس، عن سماء أرواحهم خاصة وأنها اقترنت بكلمة (رحيم) التي تشير إلى الرحمة الإلهيّة الخاصّة.

ثم إنّ مفاسد كتمان الحقّ أو كتمان الحقائق من المسائل التي عانت منها المجتمعات البشريّة على مرّ التاريخ، وكان لها دوماً آثار سيئة عميقة استمرت قروناً وأعصاراً. ويتحمّل تبعة هذه المساوئ دون شك أولئك العلماء الذين يعلمون تلك الحقائق ويكتمونها ، لعلّ القرآن لم يهدّد ويذمّ فئة كما هدّد وذمّ هذه الفئة الكاتمة للحقائق. لأنّ عمل هؤلاء يجر أجيالاً متعاقبة إلى طريق الضلال والفساد، كما أنّ نشر الحقائق يدفع بالأمم إلى طريق الهداية والصلاح البشرية، وكتمان الحقائق عنها يعني صدّ البشريّة عن طريق تكاملها الفطري المرسوم لها، فلو أن علماء اليهود والنصارى أعلنوا ما عندهم من حقائق بشأن النبي الخاتم صلى الله عليه وآله، ونشروا ما جاء في العهدين من بشائر حول رسول الإسلام صلى الله عليه وآله ، لانضوى أهل الكتاب تحت راية الإسلام، ولأصبحوا مع المسلمين أمّة واحدة، وكتمان

➔

➔

الحقائق لا ينحصر في كتمان علامات النبوّة والبشائر بالنبي الخاتمﷺ، بل يشمل كتمان كلّ حقيقة تستطيع أن تدفع الناس إلى الفهم الصحيح بالمعنى الواسع لهذه الكلمة، فالسكوت في بعض المواضع من مصاديق كتمان الحقّ، وذلك لأنّ الناس يحتاجون بشدة إلى فهم الحقائق ويستطيع العلماء فيها أن يلبّوا هذه الحاجة.

وبعبارة أخرى: نشر الحقائق التي يعاني منها الناس لا يتوقّف على السؤال، وما يذهب إليه صاحب المنار من أن كتمان الحقائق يكون في مواضع السؤال ليس بصحيح. خاصّة وأن القرآن لا يتحدّث عن كتمان الحقائق فحسب، بل يتحدّث في مواضع أخرى عن تبيين الحقائق أيضاً، وهذا يرد على أولئك الذين يلتزمون جانب الصمت أمام الانحرافات بحجّة عدم وجود سائل يطرح عليهم سؤالاً بشأن تلك الانحرافات. يقول سبحانه: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ**﴾.

وجدير بالذكر أنّ إلهاء الناس بالمسائل الفرعيّة، لصرف أنظارهم عن المسائل الأساسيّة الحياتيّة نوع من كتمان الحقائق. حتى إذا لم يشمله تعبير كتمان الحقائق فهو مشمول له بملاك، وفلسفة كتمان الحقّ في الأحاديث حملت على كاتمي الحقّ، فروي عن رسول اللهﷺ قال: «من سئل عن علم يعلمه فكتم ألجم يوم القيامة بلجام من نار». ونعيد هنا القول أن ابتلاء الناس بمسألة والحاجة إلى بيانها يحلّ محلّ السؤال. وبيان الحقائق في هذه الحالة واجب، وسئل مولانا الامام أمير المؤمنينعليه السلام من شرّ خلق الله بعد إبليس وفرعون؟ قال: العلماء إذا فسدوا، هم المظهرون للأباطيل، الكاتمون للحقائق، وفيهم قال الله عزّ وجلّ: ﴿**أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ**﴾.

وأمّا معنى اللعن فهو في الأصل: الطرد والإبعاد الممزوج بالغضب والاستياء. فاللعن الإلهي إذن إبعاد الإنسان عن رحمة الله، وعن جميع المواهب المغدقة على عباده وما قيل بشأن تقسيم اللعن إلى: لعن في الآخرة، وهو العذاب والعقوبة، ولعن في الدنيا وهو سلب التوفيق، إنما هو من قبيل بيان المصداق، لا حصر اللعن بهذين القسمين وكلمة (اللاعِنُونَ) لها معنى واسع لا يقتصر على الملائكة والمؤمنين، بل يشمل كل الموجودات

⬅

ولبس الباطل لهم بلباس الحقّ[١]،

➔

التي تتحدث بلسان القال أو الحال. وفي بعض الروايات نرى أن كل الموجودات تدعو لطلب العلم كقول المعصوم‌عليه السلام: «وإنه يستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض حتى الحوت في البحر»، وإن استغفرت هذه الموجودات لطالب العالم، فمن الطبيعي أن تلعن كاتمه.

ثم إنّ كلمة (توّاب) صيغة مبالغة من تاب: عاد، وتبيّن حقيقة انفتاح باب التوبة أمام الإنسان، حتى ولو انخدع الإنسان بوساوس الشيطان بعد توبته، فيستطيع أن يتوب ثانية ويعود إلى الله ويكشف ما عنده من الحق، فالله توّاب، ولا يجوز اليأس من رحمته وعفوه.

(١) هذه العبارة اشارة الى قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (سورة البقرة:٤٢)، فاللبس بمعنى التغطية، ﴿**وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ**﴾: أي لا تغطّوا الحقّ بالباطل، ولا تستروه به حتّى يكون الحقّ مكتوماً ومغطّى بالباطل؛ فإنّ كتمان الحقّ، مثل خلط الحقّ بالباطل ذنب وجريمة، فالآية تقول لهم: قولوا الحقّ ولو على أنفسكم، ولا تشوّهوا وجه الحقيقة بخلطها بالباطل وإن تعرضت مصالحكم الآنية للخطر، فيجب على المؤمنين بمقتضى هذه الآية إظهار الحق والتصريح به، وقد استدلّ كثير من العلماء بهذه الآية على وجوب ذلك، كذلك المصنف‌رحمه الله أشار بالآية تنبيهاً لما فعله ابن تيمية كعادته هنا، من كتمان الحقّ، وتغطية الحقّ بالباطل، فيجب عليه بنصّ القرآن اظهار الحقّ،كما على هذا الأساس ورد عن مولانا أميرالمؤمنين‌عليه السلام كلام في غاية الدقّة والوصف فيمن يرتدي لباس الباطل بثياب الحق إشارة الى سبب اتّباع الناس للآراء الفاسدة وامتزاج الباطل بالحق بقوله: «إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع، وأحكام تبتدع، يخالَف فيها كتاب الله، ويتولّى عليها رجال رجالا على غير دين الله، فلو أن الباطل خلص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتادين، ولو أن الحقّ خلص من لبس الباطل لانقطعت عنه ألسن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيُمزجان،

➔

➔

فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه، وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى» (انظر نهج البلاغة، الخطبة: ٥٠).

فيقول الإمامعليه السلام: إنّ مبدأ وقوع الفتن المؤدّية إلى خراب العالم وفساده إنّما هو اتّباع الهوى والآراء الباطلة والأحكام المبتدعة الخارجة عن أوامر الله، وذلك أنّ المقصود من بعثة الرسل ووضع الشريعة إنّما هو نظام أحوال الخلق في أمر معاشهم ومعادهم فكان كلّ رأى ابتدع أو هوى اتّبع خارجاً عن كتاب الله وسنّة رسولهصلى الله عليه وآله سبباً لوقوع الفتنة وتبدّد نظام الموجود في هذا العالم. وذلك كأهواء البغاة وآراء الخوارج ونحوها. وقوله: فلو أنّ الباطل خلّص من مزاج الحقّ، إلى آخره، إشارة إلى أسباب تلك الآراء الفاسدة. ومدار تلك الأسباب على امتزاج المقدّمات الحقّة بالباطلة في الحجج الّتي يستعملها المبطلون في استعلام المجهولات فبيّن الإمامعليه السلام أنّ السبب هو ذلك الامتزاج بشرطيّتين متّصلتين:

إحداهما: قوله: فلو أنّ الباطل خلّص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتادين. ووجه الملازمة في هذه المتّصلة ظاهر؛ فإنّ مقدّمات الشبهة إذا كانت كلّها باطلة أدرك طالب الحقّ وجه فسادها بأدنى سعى ولم يخف عليه بطلانها، وأمّا استثناء نقيض تاليها فلأنّه لمّا خفى وجه البطلان فيها على طالب الحقّ لم يكن الباطل فيها خالصا من مزاج الحقّ فكان ذلك هو سبب الغلط واتّباع الباطل لأنّ النتيجة تتبع أخسّ المقدّمتين.

والثانية: قوله: ولو أنّ الحقّ خلّص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين، ووجه الملازمة أيضاً كما مرّ: أي إنّ مقدّمات الحجّة الّتي استعملها المبطلون لو كانت كلّها حقّة مرتّبة ترتيباً حقّاً لكانت النتيجة حقّاً تنقطع ألسنتهم عن العناد فيه والمخالفة له. وقد حذف الإمامعليه السلام كبرى هذين القياسين لأنّهما قياساً ضمير كما سبق، ثمّ أتى بالنتيجة أو ما في معناها وهو قوله: ولكن يؤخذ من هذا ضغث، ومن هذا ضغث: أي من الحقّ والباطل فيمزجان، ولفظ الضغث مستعار، ومقصوده بذلك التصريح بلزوم الآراء الباطلة والأهواء المبتدعة لمزج الحقّ بالباطل. ولذلك قال: وهنا لك يستولى الشيطان على أوليائه أي: إنّه يزيّن لهم اتّباع الأهواء والأحكام الخارجة عن كتاب الله بسبب إغوائهم عن تمييز

➔

فلقد ثبتت بحمد الله سبحانه إلى هنا إمامة علي عليه السلام بالسنن الصحيحة

➔ الحقّ من الباطل فيما سلكوه من الشبهة، وخير دليل على أنّ مثل ابن تيمية لا يريد الاّ لبس الحق بالباطل، فعندما يرى عجزه في البحث، يهرب بأيّ وسيلة حصلت له، إمّا بإنكار الضروريّات، وإمّا بالتكذيب على الله ورسوله صلى الله عليه وآله أو غير ذلك، فلا يريد أن يعترف بالحقّ، وهذه الصفات الذميمة واضحة منه في كتبه، فبدلاً من الاعتراف بالحق يسعى للتخلص منه، ويحاول جاهداً في تغطية الحق بأي نحو كان، وإن كان ذلك يؤدي الى التكذيب الله ورسوله صلى الله عليه وآله فكأنّما يرجو السلامة في الفتنة كما وصف الله تعالى المنافقين في قوله: ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ**﴾ (سورة التوبة:٤٩). هذه الآية تذكر أحد صفات المنافقين، فتقول: من صفاتهم أنّه متى أراد أن يتنصل من تحمّل المسؤوليّة يسعى للتذرع بشتى الحيل، كما تذرع المنافق جد بن قيس لعدم المشاركة في المعركة وميدان الجهاد، بأنه ربما تأسره الوجوه النضرة من بنات الروم وتختطف قلبه، فينسحب من المعركة ويقع في إشكال شرعي.

وعلى كل حال فإن القرآن يوجه الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله ليرد على مثل هذه الذرائع المفضوحة قائلاً: ومنهم من يقول أئذن لي ولا تفتني بالنساء والفتيات الروميّات الجميلات كما ويحتمل في شأن نزول الآية أن جد بن قيس كان يتذرع ببقاء امرأته وأطفاله وأمواله بلا حام ولا كفيل بعده ليتخلص من الجهاد ولكن القرآن يقول مجيباً عليه وأمثاله: ألا في الفتنة سقطوا وأن جهنم لمحيطة بالكافرين أي أن أمثال أولئك الذين تذرعوا بحجة الخوف من الذنب - هم الآن واقعون فيه فعلاً - وأن جهنم محيطة بهم، لأنّهم تركوا ما أمرهم الله ورسوله صلى الله عليه وآله به وراء ظهورهم وانصرفوا عن الجهاد بذريعة الشبهة الشرعية.

وقد بيّن تبارك وتعالى في قبال هذه الصفة الذميمة صفة المؤمن الحقيقي في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ (سورة الأنعام:٨٢).

العديدة التي يعلم منها من نظر إليها علماً يقيناً بإمامته[(١)]،

(١) لا شكّ أن مفهوم الإمامة كتاباً وسنة يبتني على الحجج الشرعية التي تتمثّل في النصوص القرآنية والسنّة النبويّة المتّفق عليها عند جميع المسلمين. فيلزم على كل مسلم العمل بها بإعتبار لزوم العمل بالحجّة، ووجوب السير على طبق الطريق المعتبر عند الشارع الأقدس؛ فقد قال الله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ (سورة النساء:٥٩)، هذه الآية تأمر المؤمنين - أولاً - بأن يطيعوا الله، فتكون طاعة الله واجبة عليهم بهذا النص، ثم طاعة الرسولﷺ، ومن البديهي أنّه يجب أن تنتهي جميع الطاعات إلى الله سبحانه؛ لأنّ كلّ ولاية وقيادة يجب أن تتبع من ولاية الله وذاته المقدّسة؛ إذ كلّ حاكميّة ومالكيّة يجب أن تكون بإذنه وبأمره، فطاعة الله في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ**﴾، هي الاطاعة الذاتية.

وفي المرحلة الثانية تأمر الآية باتّباع النبيﷺ وطاعته؛ لأنّه النبي المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، فالنبي هو خليفة الله بين الناس، وكلامه كلام الله، وقد أعطاه الله هذا المقام، فتجب طاعته بأمر الله.

وبعبارة أخرى أنّ طاعته ناشئة من طاعة الله سبحانه، وحيث تكون كذلك فإنّ طاعته واجبة بالعرض، فيجب على جميع المسلمين الطاعتين، واتباع أوامرهما، كما أنّ طاعة أولى الأمر أيضاً كطاعة النبيﷺ واجبة بأمر الله، لأنّ السياق والعطف على الإطلاق يدلان على أنّ اولى الأمر له جميع مواصفات النبيﷺ من العصمة والعلم وغيرها من الأوصاف التي تكون سبباً لوجوب طاعته، وإلاّ فلا يصح الإطلاق من الحكيم، فتجب طاعة اولى الأمر كطاعة النبيﷺ.

ثم إنّ المراد من الاختلاف والتنازع في الآية هو الاختلاف في الأحكام والقوانين الكلّيّة الإسلاميّة التي يعود أمر تشريعها إلى الله سبحانه ونبيهﷺ، وأمّا الإمامة والولاية فلا ←

➔

يدخلان في هذا النوع من النزاع؛ لأنّ الإمامة والولاية من المسائل التى يجب آن تكون إطاعته بآمر الله كما نصّت الآية على وجوب طاعته كطاعة النبيﷺ.

وعليه يجب على كافة المؤمنين الرجوع في مورد الإختلاف إلى الله والرسول وأولى الأمر.

ومن هنا يعرف أنّ جميع النصوص في باب الإمامة تجب أن تكون كالآية الشريفة متفق عليها بين جميع المسلمين، أو كالسنّة المتواترة المتّفق على قبولها بين جميع المسلمين فتكون حجّة عليهم، فالشيعة تعتقد إنّ النصوص الدالة على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام من هذا النوع من النصوص التي تكون حجّة على جميع المسلمين.

وبناءً على ذلك فإنّ أصل الإمامة ثابتة في القرآن الكريم باعتبار أنّها عهد من الله سبحانه ومنصب إلهي لمن يشاء من عباده وليست من تنصيب البشر ولا من الشورى، ولا ينالها الظالمون كما قال الله عزوجل: **﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾** (سورة البقرة:١٢٤)، هذه الآية الكريمة تتحدّث عن دراسة قرآنيّة بشأن الإمامة ومن يستحقها، فتقول: أن منزلة الإمامة الممنوحة لإبراهيمعليه السلام بعد كلّ الاختبارات التي وقعت، ونجح بها ابراهيم الخليلعليه السلام تفوق منزلة النبوّة والرسالة، فهذه هي الإمامة في القرآن. كما أنّ القرآن نصّ على أنّ وظيفة الإمام هي الهداية بأمر الله، وذلك في قوله تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾** (سورة السجدة:٢٤)، كما هو النصّ أيضاً على أنّ الإمام هو خليفة الله في الأرض وذلك في قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تعلمون﴾** (سورة البقرة:٣٠). فتبيّن من خلال هذه الآيات أنّ الإمامة ليست مطلق الهداية، بل هي الهداية التي تقع بأمر الله سبحانه. ويمكننا أن نلخص عقيدة الإمامة فى القرآن بما يلي:

١ـ وجوب الإمامة على الله.

➔

➔

٢ـ وجوب النص على الإمام من قبل الله عزّ وجلّ.

٣ـ وجوب عصمة الإمام.

٤ـ علم الإمام إلهام من الله.

٥ـ منزلة الإمام كمنزلة النبي باستثناء الوحي والكتاب.

لهذا السبب نجد أن علماء الشيعة يعتقدون في الإمامة ما فرضه الله في القرآن الكريم، فالإمامة عند الشيعة لم تتحقق عن اختيار ورغبة الناس بقبول شخص أو تعيينه، وإنّما يكون هذا المنصب خاضعاً لأرادة الله سبحانه يختار من يشاء من عباده ممن تتوفر فيه شروط الإمامة، ولهذا أنّ الشيعة تعتقد أنّ الإمامة خلافة إلهية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وتجب طاعة الامام على الأمّة كافّة، كما تجب طاعة النبي صلى الله عليه وآله كذلك. والأدلة التي ساقها الشيعة على تعيين النبي صلى الله عليه وآله لشخص الامام أميرالمؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام تبطل جميع الأقوال في الإمامة عدا قول الشيعة كما اتضح هذا أولاً، وأمّا ثانياً، فإنّ الأدلة التي اعتمدوها كلها من كتب أهل السنة، سواء كانت أدلة من القرآن الكريم، كآية الانذار والولاية وآية التطهير والمودة وغيرها، أم من السنّة الصحيحة كحديث الغدير والمنزلة والثقلين وغيرها من الأحاديث الناصّة على خلافة مولانا الامام أميرالمؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام. ولاشك أن كل من يؤمن بنبوة النبي صلى الله عليه وآله بأنّه لا ينطق من الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ينبغي أن يؤمن بهذه الأحاديث، لئلا يشاقق الله ورسوله، ويتبع غير سبيل المؤمنين كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾ (سورة النساء:١١٥)، ولأجل هذا نذكر جملة من الأدلة على سبيل المثال والاختصار، ليتّضح معتقد الشيعة في الإمامة وأنها بالنصّ، وهذه الأدّلة مقتبسة من مصادر أهل السنة الناصة على خلافة مولانا الامام أميرالمؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام.

النص الأوّل: آية الانذار أو الدار وهي قوله تعالى: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ (سورة الشعراء:٢١٤)، من الآيات الصريحة التي يستند عليها الشيعة في إثبات الوصية والنصّ

←

➔

للامام أميرالمؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام آية الانذار، التي أخرجها علماء أهل السنّة منها: ما أخرجه الطبري في تأريخه وابن الاثير في الكامل في حديث طويل عن مولانا الامام أميرالمؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام، وذلك عندما نزلت الآية: وأنذر عشيرتك الأقربين قول رسول اللهصلى الله عليه وآله «وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟» قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت: «.... أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه»، فأخذ برقبتي، ثم قال: «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا»، قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع (تاريخ الطبري ج٢: ص٣٢١)، ورواه ابن الأثير في الكامل في التاريخ ج٢: ص٤١ وغيره. يقول الشهرستاني: وأما تصريحاته - أي النبيصلى الله عليه وآله - فمثلما جرى في نأنأة الاسلام، - أي حين كان ضعيفاً - حين قال: «من الذي يبايعني على ماله؟» فبايعه جماعة. ثم قال: «من الذي يبايعني على روحه وهو وصي وولي هذا الأمر من بعدي؟» فلم يبايعه أحد حتى مدّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام يده فبايعه على روحه ووفى بذلك، حتى كانت قريش تعير أبا طالب أنه أمر عليك ابنك... (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص١٦٣)، وهذا الحديث الذي يدلّ على الوصاية من النبيصلى الله عليه وآله للامام أميرالمؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام قد أخرجه أصحاب التفسير من علماء السنة منهم: أبو الحسن النيسابوري في أسباب النزول: ص١٤٨، وابن حجر العسقلاني في الإصابة ج٤: ص٥٦٨، وأحمد في المسند ج١: ص١١١، والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٢: ص١٦٨، وابن كثير في تفسيره القرآن العظيم، ج٢: ص٣٥٠-٣٥١، والقندوزي في ينابيع المودة ج١: ص١٠٤، وغير هؤلاء من علماء السنّة وحفّاظهم. إذا نظرنا إلى هذا الحديث، نجد أن النبيصلى الله عليه وآله جعل الوصاية والخلافة للذي يؤازره على أمر الرسالة، ولم يؤازره على هذا الامر غير الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فتثبت بمقتضى ذلك وصايته وخلافته. ولما كان أهل البيتعليهم السلام أفضل من غيرهم بمقتضى قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (سورة

➔

➔

الشورى:٢٣)، فهؤلاء الذين أمر الله سبحانه المسلمين بمودّتهم ومحبّتهم لفضيلتهم على غيرهم، فمن طريق أولى أن تثبت الخلافة لهم، فاذا ثبتت الخلافة والوصاية لهم فتثبت إمامة مولانا المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على المسلمين كافة.

النص الثاني: آية الولاية، وهي قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ (سورة المائدة: ٥٥) هذه الآية الكريمة تدل على أن الولاية المطلقة لله سبحانه فهوالمتصرّف في شؤون عباده، ولما كان العطف في اللغة يفيد المشاركة في الحكم، فإنّ هذه الآية بمقتضى هذا العطف تكون للنبي صلى الله عليه وآله، وإذا ثبت ذلك، فيكون معناها المتصرّف في شؤون الغير هي الإمامة والخلافة المطلقة، فتكون ثابتة بمقتضى هذه الآية في ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾، وهذه الآية نزلت في الإمام المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام باتفاق أهل السنّة والشيعة، فهو المجمع عليه دون سواه. يقول الزمخشري في تفسيره: إنّها نزلت في علي عليه السلام حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح خاتمه كأنه مرجاً في خنصره فلم يتكلّف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته (انظر الكشاف للزمخشري ج١ ص٧١). وقال ابن كثير في تفسيره: وإنما وليكم الله... الآية عن غالب بن عبد الله سمعت مجاهدا يقول في قوله: إنما وليكم الله ورسوله... الآية، نزلت في علي بن أبي طالب، تصدّق وهو راكع، وقال عبد الرزاق، حدّثنا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله: إنما وليكم الله ورسوله... نزلت في علي بن أبي طالب. وروى ابن مردويه من طريق سفيان الثوري عن أبي سنان عن الضحاك عن ابن عباس قال: كان علي بن أبي طالب قائماً يصلي فمرّ سائل وهو راكع فأعطاه خاتمه فنزلت: إنما وليكم الله ورسوله... (انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢: ص٧١). وقد أخرج هذه الآية في الامام علي عليه السلام حفّاظ أهل السنّة ومفسّروهم، منهم: القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج٦: ص٢٢١، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج١: ص١٦١، والنيسابوري في أسباب النزول: ص١٣٢- ١٣٣، والسيوطي في الدر المنثور ج٢: ص٢٩٣، والفخر الرازي

➔

➔

في التفسير الكبير ج٣: ص٤١٧، وابن المغازلي في المناقب: ص١٩٣-١٩٤، ووالمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣، ص٣٠٨، وسبط بن الجوزي في تذكرة : ص١٥-١٦، وغير هؤلاء، يقول حسان بن ثابت في هذه المناسبة:

أبا حسن تفديك روحي ومهجتي وكل بطيء في الهوى ومسارع
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعا فدتك نفوس الخلق يا خير راكع
بخاتمك الميمون يا خير سيّد ويا خير شار ثم يا خير بايع
فأنزل فيك الله خير ولاية وبينها في محكمات الشرايع

(انظر ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج١: ص٦٢).

النصّ الثالث: آية التطهير، وهي قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ (سورة الأحزاب:٣٣).

وقبل أن نشير إلى معنى الآية وما ورد فيها من أقوال علماء أهل السنة ومفسّريهم، ننقل قول ابن تيمية في كتابه حقوق آل البيت بين السنّة والبدعة في بيان نزول هذه الآية. كما عن أم سلمة في قولها ولما بين سبحانه أنه يريد أن يذهب الرجس عن أهل البيت ويطهرهم تطهيراً. دعا النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ لأقرب أهل بيته وأعظمهم اختصاصاً، به وهم: علي، وفاطمة، رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، وسيدا شباب أهل الجنة، جمع الله لهم بين أن قضى لهم بالتطهير وبين أن قضى بكمال دعاء النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ فكان ذلك ملا دلنا على أن إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم نعمة من الله (انظر حقوق آل البيت لابن تيمية: ص١٠-١٢). وهذا يدلّ صراحة أن الآية نزلت في هؤلاء دون سواهم من نساء النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، فإنّ موقف ابن تيمية من أهل البيتعَلَيْهِمُالسَّلَامُ معلوم؛ إذ هو المنكر لكلّ ما يعتقده الشيعة، ومع هذا سلم بأنّ آية التطهير نزلت في الخمسة الطيّبة وهم الإمام أمير المؤمنينعَلَيْهِالسَّلَامُ، والصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراءعَلَيْهاالسَّلَامُ، والإمام الحسنعَلَيْهِالسَّلَامُ، والإمام الحسينعَلَيْهِالسَّلَامُ؛ وتأكيداً لهذا إليك ما جاء عن مفسري أهل السنّة ورواتهم، على سبيل المثال: فقد روى مسلم في صحيحه عن عائشة قالت: خرج النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء

➔

➔
الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (صحيح مسلم ج٧: ص١٣٠ كتاب الفضائل باب فضائل أهل بيت النبيﷺ)، وأنت ترى أن عائشة تعترّف بأن الآية لم تنزل فيهن، وهي أحدى نساء النبيﷺ، وروى ابن تيمية عن أم سلمة، وهي من نساء النبيﷺ أيضاً إن هذه الآية لما نزلت أدار النبيﷺ كساءه على علي وفاطمة والحسن والحسين (رضي الله عنهم) فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» (انظرحقوق آل البيت لإبن تيمية: ص١٠). وقال القرطبي في تفسير: هذه الآية وإن هذا الشيء جرى في الأخبار أن النبيﷺ لما نزلت عليه هذه الآية، دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين، فعمد النبيﷺ إلى كساء فلفّها عليهم، ثم ألوى بيده إلى السماء، فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» (انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٤: ص١٨٤). ويقول البيضاوي في تفسيره: وتخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما (رضي الله عنهم) لما روي أنه عليه الصلاة والسلام خرج ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود... (انظر أنوار التنزيل: ص٥٥٧). وقال ابن كثير في تفسيره: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس... الآية كانﷺ يمرّ بباب فاطمة رضي الله عنها ستّة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: «الصلاة يا أهل البيت، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً». وقد أخرجها ابن كثير في تفسيره بطرق مختلفة (انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٣: ص٤٨٣ و٤٨٥)، ولهذا يقول ابن حجر في صواعقه: إن أكثر المفسّرين على أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين (انظر الصواعق المحرقة، ص١٤١)، ويقول أيضاً: وصحّ أنهﷺ جعل على هؤلاء كساء وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي - أي خاصّتي - أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، فقالت أم سلمة: وأنا معهم؟ قال: «إنك على الخير» (انظر الصواعق المحرقة، ص١٤٣-١٤٤)، وروى ابن كثير عن عائشة قالت لابن عم ّلها حينما سألها عن عليعليه السلام: فقالت: تسألني عن رجل كان من أحب الناس
➔

➔

إلى رسول اللهﷺ وكانت تحته ابنته وأحبّ الناس إليه؟ لقد رأيت رسول اللهﷺ دعا علياً وفاطمة وحسنا وحسينا (رضي الله عنهم) فألقى عليهم ثوباً فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»، قالت: فدنوت منهم، فقلت: يا رسول الله وأنا من أهل بيتك؟ فقالﷺ: «تنحي فإنك على خير» (انظر تفسير القرآن العظيم، ج٣: ص٤٨٥ –٤٨٦)، وأخرج الحافظ الذهبي في تلخيصه على المستدرك في حديث صحيح عن ابن عباس قال:... وأخذ رسول الله ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين، وقال: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية»... صحيح. ثم قال: هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين وبهامش تلخيص الذهبي ج٣: ص١٣٢-١٣٣). هذا وقد أخرج هذه الرواية في تفسير الآية كثير من علماء أهل السنّة لا يسعنا المجال لذكرها. يقول الدكتور أحمد صبحي معلّقاً على آية التطهير: وهذا التفسير يفيد أن آل البيت بيت النبي هم المقصودون من لفظ القربى في الآية.... إذ أن ابن تيمية مع تطرّفه في معارضة تفسيرات الشيعة، قد سلم أنه ورد في الصحيح أن النبيﷺ قد خطب يوم غدير خمّ فقال: «أذكركم في أهل بيتي»، قالها ثلاثاً (انظر نظرية الامامة: ص١٨٤)، ولهذا يقول العلامة المناوي في فيض القدير في شرح الجامع الصغير للعلامة السيوطي في حديث صحيح:.. أهل بيتي: تفصيل بعد إجمال بدلاً او بياناً وهم أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً (انظر فيض القدير ج٣: ١٤- ١٥)؛ ومن كلّ هذا يظهر لنا أنّ ما أكّد عليه النبيﷺ من أجل تهيئة الجوّ لهم لاستلام الخلافة من بعده، وتنبيه المسلمين على أن هؤلاء هم الصفوة التي ينبغي أن يسند إليهم قيادة المسلمين وهناك نصوص كثيرة من آيات وروايات وهي تدلّ على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام سنذكرها ان شاء الله في محلّه. فما كان موقف لأهل السنّة أزاءها.

أما ازاء الدفاع عن مبدأ الاختيار فلم يكن موقفهم متماسكاً موحداً، ويرجع ذلك إلى اختلاف آرائهم في كيفيّة الاختيار، لذلك لا نجد عند متكلمي أهل السنّة موقفاً مجمعاً

➔

وثبت بالسنن الصحيحة العديدة بُعد الثلاثة عن هذه المنزلة[1]،

➔

عليه، الأمر الذي يسرعلى الشيعة نقد دعوى الاختيار والشورى العمريّة من أساسها واثبات تهافتها فضلاً عن عدم انطباقها في الواقع.

وعليه فقد ثبت أنّ الأدلّة الدالة على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام واضحة الدلالة كتاباً وسنةً، وكان الصحابة يعلمون ذلك علم اليقين، لأنّهم رووا لنا هذه الأحاديث، فإذا كان الأمر كذلك ومع ذلك استشارهم عبد الرحمن بن عوف فلا أثر لقولهم واستشارتهم بعد ثبوت أنّ قولهم في مقابل قول الله ورسولهصلى الله عليه وآله، فلاحظ.

(١) لا شكّ أنّ مقام الإمام وسمو مرتبة يجل عن أن ينال من ارتكب الكبائر والمعاصي ومارس في حياته أنواع الفسق والفجور والظلم؛ فإنّ الإمام قدوة للآخرين، ومنزلته منزلة قيادة البشريّة، فهو أسمى وأجلّ من أن ينال الظالم، سواء كان ظالماً لنفسه أو ظالماً لغيره، قال الله تعالى: ﴿**لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ (سورة البقرة:١٢٤)، واطلاق الآية تؤكّد على أنّ المقصود بالظلم ليس مقتصراً على ظلم الآخرين، بل الظلم مقابل العدل، وقد استعمل هنا بالمعنى الواسع للكلمة، ويقع في النقطة المقابلة للعدل: وهو وضع الشئ في محله، فالظلم إذن وضع الشخص أو العمل أو الشئ في غير مكانه المناسب. ولما كانت منزلة الإمامة والقيادة الظاهريّة والباطنيّة للبشريّة منزلة ذات مسؤوليّات جسيمة هائلة عظيمة، فإنّ لحظة من الذنب والمعصية خلال العمر تسبّب سلب لياقة هذه المنزلة عن الشخص. فما ظنّك بمن كان في أكثر أيام حياته في عصر الجاهلية من عبدة الأوثان والأصنام، فإنّ شرك أبي بكر وعمر وعثمان وعبادتهم للأصنام قبل إسلامه من المسلّمات القطعيّة عند أتباعهم فضلاً عن الشيعة، وقد أقرّ به جميع علمائهم ولم يتمكّنوا من إنكاره، ونحن نذكر هنا مورداً واحداً من باب المثال، فقد أخرج ابن اسحاق في كتابه السيرة النبويّة، قال: إن أبا بكر لقي رسول اللهصلى الله عليه وآله فقال: أحق ما تقول قريش يا محمد من تركك آلهتنا وتسفيهك عقولنا وتكفيرك آبائنا، فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «يا أبا بكر، إني رسول الله ونبيّه، بعثني لأبلغ رسالته فأدعوك إلى الله بالحق فوالله أنه للحقّ وأدعوك إلى الله يا أبا بكر

➔

➔

وحده لا شريك له، ولا يعبد غيره والموالاه على طاعته أهل طاعته»، وقرأ عليه القرآن فلم يقرّ ولم ينكر وأسلم وكفر بالأصنام وخلع الأنداد وأقرّ بحقّ الاسلام» (انظر سيرة أبي اسحاق، السيرة والمغازي ج٢: ص١٢٠)، فالإمامة عهد الهي لا تنال لمن كان ظالماً بحق الله عزّ وجلّ؛ والشرك من أعظم الظلم بالله تعالى، قال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ (سورة لقمان:١٣).

وأي ظلم أعظم منه، حيث جعلوا موجودات لا قيمة لها في مصاف الله ودرجته، هذا من جانب، ومن جانب آخر يجرون الناس إلى الضلال والانحراف، ويظلمونهم بجناياتهم وجرائمهم، وهم يظلمون أنفسهم أيضاً حيث ينزّلونها من قمّة عزّة العبوديّة لله ويهوون بها إلى منحدر ذلّة العبودية لغيره. فهذا نصّ جليّ دالّ على عدم لياقة أبي بكر للخلافة والإمامة، وهناك نصوص كثيرة تدلّ على أنّ الخلفاء الثلاثة كانوا من عبدة الأوثان في عصر الجاهلية، وسنذكرها إن شاء الله في محلّه.

والنتيجة أنّه ثبت بالأدلة القطعيّة من الكتاب والسنّة النبوية الشريفة عدم لياقة الخلفاء الثلاثة للإمامة والخلافة بنصّ القرآن الكريم والروايات الثابتة عند أهل السنّة، وإنّ عدم لياقتهم لمقام الإمامة والخلافة تكون من الجهات العديدة، ونحن ذكرنا هنا مورداً واحداً من باب المثال، وهناك موارد أخرى كثيرة سنذكرها في محله إن شاء الله تعالى. وأيضاً ثبت بالأدلة القطعيّة أنّ أتباع الخلفاء الثلاثة هم أهل الضلال؛ لأنّهم اتّبعوا من أثبت القرآن والسنّة النبويّة عدم لياقتهم للخلافة، فعلى فرض أن عبد الرحمن استشار الصحابة لخلافة عثمان، فهم كانوا ممّن اقتدوا بهؤلاء الذين لا يليقون بمنزلة الإمامة، فلا أثر لرأيهم؛ حيث أنّ رأيهم كان على خلاف ما أمرهم الله ورسوله صلى الله عليه وآله في الإقتداء بالأئمة من بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فإنّهم جعلوا أمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله وراء ظهورهم واقتدوا بالذي نهى الله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه وآله عن ذلك، فلاحظ.

وبما صدر منهم من المخالفات للشريعة[١]،

(١) لا يخفى أن مصيبة الأمّة الاسلامية انجرت عليها من الاجتهاد الذي دأب عليه الصحابة مقابل النصوص الصريحة، وعلى رأسهم الخلفاء الثلاثة، فاخترقت بذلك حدود الله ومحقت السنّة النبوية، وأصبح الناس التابعين لهم يرفضون النصوص الثابتة والمصادر التي يجب أن تؤخذ منها، بالرغم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حجّة على الناس ولم يكن مجرّد حاكم، بل كان مبلّغاً للشريعة من قبل الله، عالماً بها وبمعاني كتاب الله عزّ وجلّ، شاهداً على المسلمين، قائداً سياسيّاً يجب أن يطاع على كل حال سواء كان خائفاً ملاحقاً في غار ثور أو كان رئيساً للدولة منتصراً على الأعداء، فوجوب طاعته وكونه ولي الأمر، لم يكن بسبب حكمه للدولة، بل هو حكم فرضه الله على المسلمين؛ لأنّه حجّة الله عليهم، وقيادته في الناس سياسيّاً كانت إحدى مهامه لا كلها، فالمهم أنّ قوله وفعله وتقريره صلى الله عليه وآله حجة شرعيه، والمفروض أنّ هذه الحجة الشرعية تكون مستمرّة وممتداً بين الناس: ﴿**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ (سورة النساء:١٦٥)، وليسدّ الفراغ الحاصل بغيبة الرسول صلى الله عليه وآله، وهذا معنى الإمامة الإلهية.

ولكن الأحداث التي حدثت في السقيفة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله غيّرت مصير الأمّة عمّا رسمه الله رسوله صلى الله عليه وآله لهم، فما تتوقّع من مصير الحجّة بعده صلى الله عليه وآله على أرض الواقع؟

لا شكّ أنّ أحداث السقيفة وغصب الخلافة غيّرت هذا المصير، وجعلت الأمّة في الأجواء الخطرة بسبب اجتهادات الخلفاء في مقابل النصوص النبوية التي لا تعد لا تحصى، بل وحتى في حياة الرسول صلى الله عليه وآله كانت هذه المعارضات للسنّة النبويّة وأهل بيته المعصومين عليهم السلام ضدّ هذا المد الإلهي. فإنّ أوّل ما يلفت انتباه الباحث عند دراسته لتاريخ صدر الإسلام هو مخالفة الخلفاء - لا سيما الأوّل والثاني - لكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، والتاريخ يكشف بوضوح لمن يتتبّعه ويمعن النظر فيه برؤية موضوعيّة، أنّ أبا بكر وعمر قد ارتكبا الكثير من الاجتهادات في مقابل النصّ وخالفا الكتاب والسنّة، ونحن نذكر هنا بعض مخالفاتهم من باب المثال، فمنها مخالفة أبي بكر للقرآن والسنّة النبويّة في منع

←

➔

صديقة الطاهرة فاطمة الزهراءعليها السلام فدكاً، فنجد في العديد من النصوص تؤكّد بصراحة أن فدك كانت نحلة للزهراءعليها السلام، وأن النبيصلى الله عليه وآله قد أعطاها إياها خالصة قبل وفاته. ونذكر الآن بعض هذه النصوص على سبيل المثال لا الحصر، لقد أخرج الهيثمي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال لمّا نزلت ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ دعا رسول اللهصلى الله عليه وآله فاطمة فأعطاها فدك (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٧: ص٤٩)، ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٧: ص٤٩، وابن كثير في تفسيره ج٣: ص٣٩، والسيوطي في الدرّ المثور ج٤: ص١٧٧، والشوكاني في فتح القدير ج٣: ص٢٢٤ وغيرهم.

ولذلك قال مولانا أميرالمؤمنينعليه السلام في رسالته إلى عثمان بن حنيف: بلى كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السماء فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٥: ص٩٩). ففي هذا الكلام لمولانا أمير المؤمنينعليه السلام تصريح أن فدك كانت في أيديهم قبل أن يستولي عليها أبو بكر وعمر، ممّا يعني أنها لم تكن ميراثاً بل هي نحلة، فما ادعاه أبو بكر باطل بالنصوص التي أخرجها الفريقين.

وعلى فرض كون فدك إرثاً، فأيضاً من أوضح مخالفات أبي بكر للنصّ القرآني، منع فاطمة الزهراءعليها السلام بنت النبيّصلى الله عليه وآله من الميراث، بل وقد نسب أبو بكر حديثاً إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله تفرّد بنقله فزعم أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة، وبذلك زحزحوا عن الصديقة الطاهرةعليها السلام فدكاً، وقد احتجّت الزهراءعليها السلام عليه بقولها: «يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فرياً، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول : ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ﴾، وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريّا، إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً* يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾؟».

ثم قالت: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟! فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمّدصلى الله عليه وآله والموعد القيامة وعند

➔

→

الساعة ما تخسرون ولا ينفعكم إذ تندمون».

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار وقالت: «يا معشر الفتية وأعضاد الملّة وأنصار الإسلام ما هذه الغميزة في حقّي، والسنّة عن ظلامتي؟» (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٢٧)، وبذلك خالف أبو بكر سنّة رسول الله ﷺ وأغضب لأنّه ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم).

ومنها: منع تدوين الحديث، فمن مخالفات أبي بكر وعمر لسنّة رسول الله ﷺ منعهم لتدوين سنّته ﷺ، إذ بها نبذوا سنّة نبيّهم وراء ظهورهم فكانت عندهم نسيّاً منسيّاً، أضف إلى إحراق أبو بكر أحاديث رسول الله ﷺ التي جمعت في عهده (انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ج١: ص٥ والرياض النضرة للمحب الطبري ج٢: ص١٤٤، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٢: ص٦٠١، وكتاب حجية السنة لعبد الغني عبد الخالق: ص٣٩٤، وغيرهم)، لئلا تنتشر عند الصحابة وغيرهم من المسلمين الذين كانوا يتلهّفون لمعرفة سنّة نبيّهم ﷺ! وتابعه عمر متوخياً نفس السياسة بأسلوبه المعروف بالشدّة والغلظة، فهدّد وتوعّد وضرب من خالف منع تدوين الحديث!! (انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج٥: ص١٤٢ في ترجمة القاسم بن محمد، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٥: ص٥٩، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج١: ص١٩٣، والمعجم الأوسط للطبراني ج٢: ص٣٣٠ وغيرهم). وأمّا تبرير هذا الفعل لئلا تختلط السنّة بالقرآن، فإنّها حجّة واهية لا تقوم على أساس علمي، أذ كان بإمكان الخلفاء تخصيص مصحف خاص لكلّ منهما، كما هو الحال عندما دوّنت الأحاديث في عهد عمر بن عبد العزيز.

والحقيقة أنّ أبا بكر وعمر ومن تابعهما إنّما منعوا انتشار أحاديث رسول الله ﷺ، ليتّسع لهم المجال لتأويل الآيات القرآنية حسب أهوائهم، لأنّ القرآن الكريم كتاب القانون، والقانون العامّ حمّال ذو أوجه، فيمكن حمله على الوجوه المختلفة، أمّا السنّة النبويّة فهي كانت صريحة، لأنّها مفسّرة لكتاب الله عزّ وجلّ، فلا بدّ أن تكون صريحة. ومن هنا ترى

←

➔

أبا بكر وعمر خالفا سنّة الرسولﷺ، فقال عمر في حياة رسول اللهﷺ: حسبنا كتاب الله، كما ورد هذا الحديث في أصحّ كتب القوم. في حين أنّ رسول الله ﷺ أمرهم بكتابة الحديث كما أمرهم بكتابة القرآن، فقالﷺ: «اكتبوا هذا العلم، فإنكم تنتفعون به إما في دنياكم وإما في آخرتكم، وإن العلم لا يضيع صاحبه» (انظر كنز العمال للمتّقي الهندي ج١٠: ص٢٦٢ ح ٢٩٣٨٩). وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قلت: يا رسول الله إنا نسمع منك أحاديث لا نحفظها أفلا نكتبها؟ قال: «بلى فاكتبوها» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٢١٥)، ورواه الخطيب البغدادي في تقييد العلم: ص٧٤، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٢١: ص٢٥٩ وغيره.

وأخرج الطبراني بسنده عن عباية بن رفاعة عن رافع بن خديج قال: خرج علينا رسول اللهﷺ فقال: «تحدّثوا وليتبوأ من كذب علي مقعده من جنهم»، قلت: يا رسول الله إنا نسمع منك أشياء فنكتبها؟ فقال: «اكتبوا ولا حرج» (انظر المعجم الكبير للطبراني ج٤: ص٢٧٦)، ورواه الخطيب البغدادي في تقييد العلم: ص٧٢، والمتّقي الهندي ج١٠: ص٢٢٢ ح١٩٢٢٢ وغيرهم.

ومنها : قتل مانعي الزكاة، فمن مخالفات أبي بكر للسنّة النبويّة قتل المسلمين الأبرياء كمالك بن نويرة الصحابي الجليل، يقول ابن الأثير في أسد الغابة، في ترجمته: مالك بن نويرة المقتول المزني بزوجته في نفس الليلة ما يلي.. إلا أنه لم تظهر عليه ردة (يقصد مالك بن نويرة الصحابي الجليل) وأقام بالبطاح، فلما فرغ خالد من بني أسد وغطفان سار إلى مالك وقدم البطاح، فلم يجد به أحداً، كان مالك قد فرقهم ونهاهم عن الاجتماع (لو كان مالك مرتدّاً فعلاً لأعدّ العدّة لقتال خالد) (انظر اسد الغابة ج٤: ص٢٩).

وذكر المؤرخون: أنّ لمّا قدم خالد بن الوليد البطاح بث سراياه، فأتي بمالك بن نويرة ونفر من قومه. فاختلفت السرية فيهم، وكان فيهم أبو قتادة، وكان فيمن شهد أنهم أذنوا وأقاموا وصلوا، فحبسهم في ليلة باردة وأمر خالد فنادى: أدفئوا أسراكم - وهي في لغة كنانة القتل - فقتلوهم (انظر إلى مكر خالد وغدره)، فسمع خالد الواعية فخرج وقد قتلوا،

🡐

➔
فتزوّج خالد امرأته، فقال عمر لأبي بكر: سيف خالد فيه رهق وأكثر عليه، فقال أبو بكر: تأول فأخطأ ولا أشيم سيفاً سلّه الله على المشركين، وودى مالكاً، وقدم خالد على أبي بكر فقال له عمر: يا عدو الله قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على امرأته، لأرجمنّك وأبو قتادة يشهد أنهم أذّنوا وصلّوا ، وأبو بكر يرد السبي ويعطي دية مالك من بيت المال (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٥٠٤، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص٢٥٩، وأبو الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ج١٥: ص٢٠٣، وتاريخ الاسلام للذهبي ج٣: ص٣٦ وغيرهم)، فقد أجمع المؤرخون أنّ مالكاً كان من المسلمين غير أنّه امتنع عن إعطاء الزكاة للسلطة الجائرة، لعدم وثوقه بخلافة أبي بكر حتى ورد أنّ عمر قال له: يا أبا بكر، كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أُمرت أن أُقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقّه وحسابه على الله (انظر صحيح البخاري ج٢: ص١١٠ كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة)، لكن أبا بكر لم يبالي بما ذكّره عمر بسنّة الرسول صلى الله عليه وآله، وأجابه بعنف وشدّه حتّى تقاعد عمر بقوله ورضي به؛ ليستتب أمر الخلافة لهم ولا يجرأ أحد على الاعتراض عليهم.

والملفت للنظر أنّ في هذه القصة اعتراف ضمني من أبي بكرعلى أنّ عمله كان مخالفاً للسنّة النبويّة، إذ أنّه دفع ديّة مالك من بيت المال واعتذر عن قتله بعد ذلك، والمرتدّ لايعتذر عن قتله (انظر الإصابة لابن حجر العسقلاني ج ٥: ص٧٥٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج١: ص٣٦٦)، ولكن يا للتعصب من محفز للتبرير! إذ زعم البعض أنّ هؤلاء المسلمين ارتدّوا عن الإسلام فوجب قتلهم، وهذه الدعوى أبطلها أبو بكر نفسه، بدفع دية مالك من بيت المال!

ومنها: ترك إقامة الحدود، فمن مخالفات أبي بكر لكتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله عدم إقامته الحدّ على خالد بن الوليد بعد قتله مالك بن نويرة وزنى بزوجته من ليلته، وعندما وصل خبر ذلك إلى أبي بكر لم يجري عليه القصاص ولم يقم عليه حدّ الزاني ولم يضربه حدّ المفتري ولم يعزّره تعزير المعتدي على ما ملكته أيدي المسلمين! وإنّما دافع عنه وأمر
🡐

➔
خالد بطلاق زوجة مالك، بل أنّه غضب على بعض الصحابة الذين أنكروا على خالد (انظر الإصابة لابن حجر ج٥: ص٧٥٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج١: ص٣٦٦، وتاريخ الطبري ج٣: ص٢٧٨، وتاريخ أبي الفداء ج١: ص٢٢١، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص٣٥٨ وغيره).

ومنها: الابتداع في إقامة الحدود، وقد خالف أبو بكر سنّة رسول الله بأمره إحراق، فجاءة السلمي بالنار وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يعذّب بالنار إلا رب النار» (انظر سنن أبي داود ج٢: ص٤٠٥، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٦: ص٢٥١، ومسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٤٩٤ وغيرهم).

ومنها: مخالفة عمر بن الخطاب للسنّة النبويّة في جعله الشورى بينهم وفي وقت وفاته، على قول أبناء العامّة بإنّ الاستخلاف يتمّ بالشورى، فإنّ ذلك مخالف للقرآن والسنّة النبوية صلى الله عليه وآله (انظرالصواعق المحرقة لابن حجر ج١: ص٢٥٤، والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣: ص٢٠٧، وتاريخ الخلفاء للسيوطي : ص٨٢).

ومنها: مخالفة عمر للسنّة في بدعة صلاة التراويح، فقد جمع الناس على صلاة نافلة التراويح، مع اعترافه بأنّها بدعة! وذلك بقوله: إنّها بدعة ونعم البدعة (صحيح البخاري ج٢: ص٢٥٢ كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان).

وقد أخرج أصحاب الصحاح والسنن في باب نوافل الليل، إنّ خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة، فقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن زيد بن ثابت قال: احتجر رسول الله صلى الله عليه وآله حجيرة مخصفة أو حصيراً، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي إليها فتتبع إليه رجال وجاؤا يصلون بصلاته ثم جاؤوا ليلة فحضروا وأبطأ رسول الله صلى الله عليه وآله عنهم فلم يخرج إليهم فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب فخرج إليهم مغضباً، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما زال بكم صنيعكم حتى ظننت أنه سيكتب عليكم، فعليكم بالصلاة في بيوتكم، فإن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة» (صحيح البخاري ج٧: ص٩٩ كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدّة لأمر الله عزّ وجلّ).
🡐

←

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عمر عن النبيﷺ قال: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتّخذوها قبوراً» (صحيح مسلم ج٢: ص١٨٧ كتاب الصلاة، باب استحباب النافلة في البيت وجوازها في المسجد)، وإلى غير ذلك من الروايات التي تدلّ على أنّ رسول اللهﷺ كان يؤكّد على صلاة النوافل عموماً في البيوت؛ لأنّ هذا الأمر أقرب للإخلاص، وأدعى للقبول. بل وقد نهى رسول اللهﷺ عن صلاة النوافل جماعة، لمّا رأى بعض الأصحاب يصلّون خلفه خلسةً، ووجّههم إلى إخفاءِ النوافل، وعدمِ تشريع الجماعة فيها، كما سيأتي بيانه إن شاء الله في محلّه.

و منها: تغيير سنّة الرسولﷺ في الطلاق من الثلاث إلى الواحدة، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال: كان الطلاق على عهد رسول اللهﷺ وأبى بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: أن الناس قد استعجلوا في أمر، قد كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم (انظر صحيح مسلم ج٤: ص١٨٤ كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم إمراته ولم ينو الطلاق). وبهذا غيّر عمر سنّة رسول اللهﷺ وخالف الكتاب، حيث يقول الله تعالى: ﴿**الطَّلاقُ مَرَّتان فَإمْساكٌ بمَعْرُوف أَوْ تَسْرِيحٌ بإحْسان... تلْكَ حُدُودُ الله فَلا تَعْتَدُوها وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فَأُولئكَ هُمُ الظّالمُونَ**﴾ (سورة البقرة:٢٢٩)، وفسّرت هذه الآية بأنّ المرأة لا تحرم على زوجها إلا بعد ثلاث تطليقات، ولكن عمر بن الخطّاب تجاوز حدود الله بحكمه أن طلقة واحدة بلفظ الثلاثة توجب حرمة الزوجة على الزوج فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده، بسنده عن ابن عباس قال: طلق ركانة بن عبد يزيد أخو بنى مطلب امرأته ثلاثاً في مجلس واحد، فحزن عليها حزناً شديداً، قال: فسأله رسول اللهﷺ: «كيف طلقتها؟» قال: طلقتها ثلاثاً، قال: فقال: «في مجلس واحد؟» قال:نعم، قال: «فإنما تلك واحدة فارجعها إن شئت»، قال: فرجعها فكان ابن عباس يرى إنما الطلاق عند كلّ (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٢٦٥)، وفي رواية أن رجلاً طلق في عهد رسول اللهﷺ ثلاثاً في مجلس واحد، فقامﷺ غضبان وقال: «يلعب بكتاب الله وأنا بين

←

فمن مات من السابقين وتابعهم وهو معتقد بإمامتهم فهو مكذب بما نبهنّا عليه من السنن(١)،

➔

أظهركم» (انظرسنن النسائي ج٦: ص١٤٢). وإلى غير ذلك من مخالفاتهم لكتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله.

والنتيجة من اقتدى بالخلفاء الذين هم أهل البدعة، معناه أنّه اقتدى بأهل الضلالة، لأنّ كتبهم مليئة بالروايات التي تصرح بأنّ: كل بدعة ضلالة (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص١٢٦)، ورواه الدارمي في سننه ج١: ص٤٥، وابن ماجة في سننه ج١: ص١٦، والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج١: ص٩٦ وغيرهم، وكيف يجوز لعبد الرحمن بن عوف أن يستشير بمن اقتدي بأهل الضلال؟!!

(١) إنّ المتتبّع المنصف والطالب للحقيقة، إذا بذل جهده وسعى في سبيل الوصول إلى الحقّ، يستطيع أن يصل إلى نتيجة واضحة حاسمة في حقيقة إيمان الصحابة، وتعاملهم مع النصوص القرآنية والسنن النبويّة الشريفة، لا سيّما في الإمامة والخلافة بعد ثبوتها بالنصوص الثابتة عند الفريقين، وأنّ عمليّة تثبيت النصوص وترسيخه، مبيّن لموقف الصحابة من النصوص في الإمامة ومخالفتهم لما ورد من أحقيّة الامام أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة وإمامته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرة، وكذلك الأئمة الطاهرين عليهم السلام، فيدخلون في شمول من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية، وهذه الرواية من المشهورات مضموناً، وقد رواه الفريقان وأرسلوه إرسال المسلمات.

ولا يخفى أنّ هذا الحديث منقول في أصحّ كتب أهل السنّة من الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها، وسنبيّن للقارئ الكريم من خلال البحث في دلالته ومضامينه المتقاربة ، وأنّه ورد في أصح كتبهم، ودلالته واضحة على وحدة الموضوع والحكم. وإليك بعض نصوص الحديث:

فالحديث ورد بألفاظ مختلفة، والمعنى واحد، فمرّة ورد بهذا العنوان: «من مات ولم يعرف

➔

➔

إمام زمانه مات ميتةً جاهلية» (انظر شرح المقاصد للتفتازاني ج٥: ص٢٢٩، وشرح العقائد النسفية: ص٢٢٢). ومرّة أخرى بهذا العنوان: «من مات بغير إمام مات ميتةً جاهليـة» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٩٦، ومسند أبي داود الطيالسي: ص٢٥٩، والمعجـم الكبيـر للطبراني ج١٩: ص٣٣٨)، وثالثة بهذا العنوان: من مـات ولـيس فـي عنقـه بيعـة مـات ميتـة جاهلية (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢٢ كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمـر المـسلمين وهو مجتمع)، ورابعة بهذا العنوان: «من مات ولـيس عليـه إمـام فـإن موتتـه موتـة جاهليـة» (انظر المعجم الكبير للطبراني ج١٠: ص٢٨٩، وكنز العمال للمتقي الهندي ج١: ص٢٠٧)، وهناك ألفاظ أخرى للحديث مثل ما رواه مسلم في صحيحه: فإنـه لـيس أحـد مـن النـاس خرج من السلطان شبراً فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية (انظـر صـحيح مـسلم ج٦: ص٢٢ كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمـع)، وغيـره. فهـذه الأحاديـث من جهة الدلالة لا تستقيم إلا على أصول الامامية الاثني عشريّة، ولا تنطبق إلا علـى أئمـة أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّ من ادّعى أن المراد بالامام في هذه الأحاديـث هـو الإمـام المفتـرض الطاعة، ثم يأتي بما يعتقد به أهل السنّة في بـاب الإمامـة ومواصـفات الإمـام عنـدهم: مـن كونه السلطان أو الحاكم أو الملك مهما كانت صفته ولو كان فاسقاً ظالماً فاجراً، فعليه أن يثبت بالدليل أن معرفة الظالم الفاسق من الدين، وأنّ من لا يعرفـه سـيموت ميتـةً جاهليـة، فكيف يكون إماماً يا ترى؟ وكيف يجوز أن يـؤتمن الخـائن ويـتحكّم فـي نفـوس رعيتـه وفي مقدّرات الأمّة، ثمّ يأمر بلزوم طاعته؟!!!

هذا ومن ناحية أخرى إنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله قد أخبر بأنّ الخلفاء مـن بعـده اثنـا عـشر كمـا ورد هذا الحديث أيـضاً بألفـاظ مختلفـة فقـد روى هـذا الحـديث البخـاري فـي صـحيحه بسنده عن عبد الملك قال: سمعت جابر بن سمرة قال: سـمعت النبـي صلى الله عليه وآله يقـول: «يكـون اثنا عشر أميراً»، فقال كلمة لم أسـمعها، فقـال أبـي أنـه يقـول: «كلّهـم مـن قـريش» (انظـر صحيح البخاري ج٨: ص١٢٧ كتـاب الأحكـام، بـاب قبـل بـاب اخـراج الخـصوم وأهـل الريب عن البيوت). وروى مسلم في صحيحه بسنده عن جابر بن سـمرة قـال: دخلـت مـع

➔

➔

النبيﷺ فسمعته يقول: «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة» ثم تكلّم بكلام خفي عليّ، فقلت لأبي: ما قال؟ قال يقول: «كلّهم من قريش» (انظر صحيح مسلم ج٦ : ص٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش). وأيضاً روى بسنده عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبيﷺ يقول: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً»، ثم تكلّم النبيﷺ بكلمة خفيت علي، فسئلت أبي ماذا قال رسول اللهﷺ؟ فقال: يقول: «كلهم من قريش» (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش). وروى أيضاً بسنده عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبيﷺ يقول: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»، ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي ما قال؟ قال: يقول: «كلهم من قريش» (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش). وروى أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن الشعبي عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبيﷺ يقول: «يكون لهذه الأمة اثنا عشر خليفة» (انظرمسند أحمد بن حنبل ج٥: ص١٠٦). وروى الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن أبى يعقوب عن عون بن جحيفة عن أبيه قال: كنت مع عمي عند النبيﷺ فقال: «لا يزال أمر أمّتي صالحاً حتى يمضى اثنا عشر خليفة»، ثم قال كلمة، وخفض بها صوته، فقلت لعمي وكان أمامي: ما قال يا عمّ؟ قال: «كلهم من قريش» (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص٦١٨). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذا المضامين، وكلّها تدلّ بالصراحة على أنّ الخلفاء الرسولﷺ اثنا عشر، وهذا لا ينسجم إلا على ما عتقده الشيعة في باب الإمامة. وقد روى القندوزي الحنفي في ينابيع المودة، والزرندي في نظم درر السمطين، والخوارزمي الحنفي في مقتل الإمام الحسينعليه السلام وغيرهم الأئمة الطاهرينعليهم السلام بأسمائهم، فهذه النصوص وغيرها صريحة وواضحة رواها الصحابة والتابعين عن النبي الأكرمﷺ وبعد ثبوتها لايبقى مجال للإنكار فإنّ المنكر فهو مكذّب للنبيﷺ ولما جاء به ومن حاله كذلك لا أثر لمشورته، فلاحظ.

وليس يفيدهم سبقهم لما ثبت في الصحيحين وغيرهما من خبر الذي دّل على كون العبرة بالخاتمة، فقد روى الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حتى قرب موته فيصير من أهل النار، وقد ترى الرجل يعمل بعمل أهل النار حتى يقرب موته فيصير من أهل الجنة[١]. انتهى نقله بالمعنى[٢].

---

(١) انظر صحيح البخاري ج٣: ص٢٢٦ كتاب الجهاد والسير، باب لا يقول فلان شهيد وقال أبو هريرة: قال النبيﷺ: «الله أعلم بجهاد في سبيله»، وج٥: ص٧٤ كتاب المغازي، باب غزة خيبر، وصحيح مسلم ج١: ص٧٤ كتاب الايمان، باب بيان غلط تحريم قتل الإنسان نفسه، وج٨: ص٤٩ كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام).

(٢) وتوضيح المقام أنّ معنى قولهﷺ: «إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنّة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار، ثم يختم عمله بعمل أهل الجنة»، فيه تنبيه على الخوف من سوء الخاتمة، وأنّ اللطف الإلهي بتوفيق الرجل بالعمل الصالح لا يسلب منه الاختيار لزل الأقدام وسوء العاقبة بسبب ارتكاب عمل أهل النار، لأنّ الإخبارعن حال الرجل هو في علم الله سبحانه، وما في علم الله لا يسلب الاختيار من الإنسان، ونظيره ورد في المصادر الحديثية: من أنّ السعيد سعيد في بطن أمّه والشقيّ شقيّ في بطن أمّه؛ فإنّ معناه أنّ اللطف الإلهي وتوفيقه بالرجل، لا يلزم سلب الإختيار منه، فإذا كانت السعادة مكتوبةً له ليس معناه سلب الاختيار عنه؛ لأنّ معنى كونه سعيداً، مكتوبة في علم الله سبحانه، وأنّ علمه سبحانه بسعادة الرجل لا يلزم وجوده الشخص بلا اختيار وارادة؛ لأن العلم تابع للمعلوم ومطابق لما يقع في نفس الأمر، وهذا لا ينافي أنّ الرجل الذي عمل للجنة، قد يختار بعد ذلك العمل السوء وبسبب ذلك يدخل النار. وفي المقام أنّ الصحابة الذين استشارهم عبد الرحمن، فإن أشاروا بخلافة عثمان فهم أهل النار؛ لأنه بعملهم هذا أوّلاً: خالفوا النصوص الواردة في امامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وثانياً: أشاروا لخلافة من صدر منه المخالفات الكثيرة للشريعة المقدسة، وثالثةً: من جهة عدم لياقته بذلك المنصب العظيم، فلاحظ.

ويشهد لذلك خبر الحوض[1]،

(١) إنّ حديث الحوض من الأحاديث المتواترة التي نصّ على تواترها أهل السنّة قبل غيرهم.

قال النووي: قال القاضي عياض أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأوّل ولا يختلف فيه.

ثم قال: وقال القاضي: حديثه متواتر النقل روته خلائق من سعيد وجندب، وعبد الله بن عمرو، وابن عمرو بن العاص، وعائشة، وأمّ سلمة، وعقبة بن عامر، وابن مسعود، وحذيفة، وحارثة بن وهب، وأبي ذر، وثوبان، وأنس، وجابر بن سمرة، ورواه غير مسلم من رواية أبي بكر، وزيد بن أرقم، وأبي أمامة، وعبد الله بن زيد، وأبي برزة، وسويد بن جبلة، وعبد الله بن الصنابحي، والبراء بن عازب، وأسماء بنت أبي بكر، وخولة بنت قيس وغيرهم (انظر شرح مسلم للنووي ج١٥: ص٥٣).

وقال الكناني في نظم المتناثر: وأوردت فيه أحاديث كثيرة منها حديث الحوض من رواية نيّف وخمسين صحابياً (انظر نظم المتناثر من الحديث المتواتر لمحمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني الفاسي: ص١٨).

فهذا الحديث في الواقع من الأحاديث التي تتنافى مع ما ذهب إليه أهل في باب تكريم الصحابة وتقديسهم جميعاً، لذا تراهم ذهبوا ذات اليمين وذات الشمال في محاولة منهم لتأويله وصرفه عن ظاهره كي يتماشى مع متبنياتهم في صحّة خلافة الثلاثة بعد رسول الله ﷺ، وكذلك من دعوى عدالة الصحابة، مع أن هذين الأمرين، ونعني بهما صحة خلافة الثلاثة بعد رسول الله ﷺ وكذلك عدالة الصحابة، ليسا من الأمور المقطوع بها كي يستدعي ذلك تأويل النصوص المخالفة لهما، ومن هنا نجد - في بيان الإشكال الذي واجهه أهل السنة في هذه الأحاديث - مثل مالك بن أنس يعلن ندمه على تدوين حديث الحوض في كتابه الموطأ، وأيضاً الشافعي يظهر تأسفه لتدوين مالك لهذه الأحاديث، ولو كانت صحيحة.

قال الصديق المغربي في كتابه فتح الملك العلي: حكي عن مالك أنّه قال: ما ندمت على حديث أدخلته في الموطأ إلا هذا الحديث!!

←

➔

وعن الشافعي أنّه قال: ما علمنا في كتاب مالك حديثاً فيه إزراء على الصحابة إلا حديث الحوض، وودنا أنّه لم يذكره (انظر فتح الملك العلي لأحمد بن محمد بن الصديق الحسني المغربي الغماري: ص١٥١).

وعلى كل تقدير فإنّ حديث الحوض من الأحاديث الصحيحة، المتواترة عند أهل السنّة والجماعة، والتي لا يقبل التأويل؛ ولذلك تأسّف كبارهم من نقله فهم قد اعترفوا ضمناً بأنّ الحديث ظاهر في قدح الصحابة، وأن فيه إزراء عليهم، وعلى أية حال فاليك نص الحديث فقد أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس عن النبيﷺ قال: «إنكم تحشرون حفاة عراة، وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات اليمين وذات الشمال، فأقول: أصحابي أصحابي فيقول: إنّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول: كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص١١٠، كتاب بدء الخلق، باب قول الله عزّ وجلّ: واتخذ الله ابراهيم خليلاً....، وج٤: ص١٤٢، كتاب بدء الخلق، باب واذكر في كتاب مريم إذ انتبذت من أهلها.....)، ورواه مسلم في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك ان النبيﷺ قال: «ليردنّ علي الحوض رجال ممّن صاحبني حتى إذا رأيتهم ورفعوا إلي اختلجوا دوني، فلأقولن: أي رب أصيحابي أصيحابي، فليقالن لي: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص٧١ كتاب الفضائل باب اثبات حوض نبيناًﷺ).

وروى البخاري أيضاً في صحيحه بسنده عن المغيرة بن النعمان، قال: سمعت سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: خطب رسولﷺ فقال: «يا أيها الناس انّكم محشورون إلى الله حفاة عراة غُرْلاً»، ثم قال: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ...**﴾ (إلى آخر الآية) ثم قال: «ألا وإنّ أوّل الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم إلا وأنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصيحابي، فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ

🡐

الذي دلّ على دخول غالب الصحابة النار؛ لـردّتهم عـن الـدين منـذ فـارقهم سيد المرسلينﷺ(١)،

➔

فارقتهم» (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١٩٢ كتاب التفسير، باب وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم).

وروى البخاري بسنده عن سعيد بـن المسيب، عـن أبـي هريـرة أنـه كـان يحـدّث أن رسـول اللهﷺ قال: «يرد على يوم القيامة رهط من أصـحابي فيجلـون عـن الحـوض، فـأقول: يـا رب أصحابي، فيقول: إنـك لا علـم لـك بمـا أحـدثوا بعـدك، إنهـم ارتـدّوا علـى أدبـارهم القهقري» (انظر صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٨ كتاب الرقاق، باب وفـي الحـوض قـول الله إنا اعطيناك الكوثر). فهذه الأحاديث وغيرها صريحةٌ جـدّاً، وواضـحةٌ الدلالـة، فـلا تقبـل التأويل، حيث فيها، قولهﷺ: «أصحابي»، أو قولهﷺ: «فـأقول: يـا رب أصـحابي»، فـلا إشكال في حملها علـى مـن صـحبهﷺ، كمـا لا اشـكال فـي معنـى المبـدّلين مـن بعـد النبيﷺ والمحدّثين في الدين، فإنّ معناه واضـح، حيـث أنّ المقـصود بـه: هوالتحريـف في الدين والشريعة المقدّسة، فلا إشكال في حملها على ارتداد الصحابة، وهذا هـو الـذي يقتضيه الظهور للعبارات المـذكورة، ولا يمكـن لأحـد أن يوجّـه هـذه الأحاديـث حـسب مشتهاه المذهبي، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الخبير الباحـث فـي الآثـار والأخبـار والأحاديـث، إنّ قـضية ارتـداد غالبيّـة الصحابة بعد وفاة رسول اللهﷺ، قد يثأر علـى أهـل التحقيـق؛ لمـا فيـه القـدح للـصحابة، ولكن عندما يجد الباحث الآيات من القرآن الكريم، والروايات الكثيرة من مـصادر أهـل السنّة الدالّة على ارتداد الصحابة بعد وفاة النبيﷺ لا يمكنه رفع اليـد عنهـا، وقـد تقـدّم ذكر بعض الآيات وبعض الروايات من الصحيحين البخاري ومسلم، وهي تدل بالـصراحة على أنّ أكثر الصحابة ارتدّوا بعد النبـيﷺ، ولـم يخلـص مـنهم إات مثـل همـل الـنعم؛ لأنّهم أحدثوا في الدين. ويستفاد من هذه النصوص المتقدّم ذكرها كثرة وقوع التحريـف

➔

ومن الضروري عدم حدوث مخالفة منهم حين مفارقته لهم سوى بيعة السقيفة التي عرفت حالها في المخالفة للشريعة من جهات عديدة(١).

➔

والتبديل في الدين منهم؛ حيث أنّ فيها عبارة: أقوام، فإذا كان الذين بدّلوا وأحدثوا في الدين أقوام متعدّدة ، فلا ريب في أن الذي بدل يكون كثيراً، لأنّ ما بدلّه بعضهم لا يصحّ نسبته إلى غيره كما هو واضح ظاهر.

ثم أنّ الرجوع على أدبارهم القهقرى أيضاً يدلّ على الارتداد؛ لأن لفظ الرجوع وإن كان فيه الإطلاق إلا أنّ الرجوع من الدين ليس معناه إلا الارتداد،كما أنّ قولهﷺ: «أحدثوا» ظاهر في التحريف والبدعة في الدين، فهم أيضاً من أصحاب الخلود في النار، ولا يخفى على الخبير أنّ الخلود في جهنّم يختص بالكافرين كما قال تعالى: ﴿**لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى**....﴾ (سورة الليل: ١٥) فالمقصود بـ(يصلى) جهنم هنا الخلود فيها، والخلود مختصّ بالكافرين، والقرينة على هذا القول أنّ لفظ أشقى. الذي كذّب وتولّى، فإنّ التكذيب إشارة إلى الكفر، والتولّي إشارة إلى ترك الأعمال الصالحة، إذ هو ملازم للكفر، وقد يشير الفعلان إلى ترك الإيمان، ويكون التكذيب بنبي الاسلامﷺ، والتولي الإعراض عنه، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ حديث الحوض دألّ على ارتداد الصحابة بعد النبيﷺ؛ لأنّ فيه قولهﷺ: «فأقول يا رب أصحابي!! فيقول: انك لا علم لك بما أحدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقري» (انظر صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٨ كتاب الرقا، باب وفي الحوض قول الله إنا اعطيناك الكوثر). ومقتضى ذلك الارتداد أكثر الصحابة بعد وفاة النبيﷺ، ومن الواضح أنّ أوّل مخالفة حدث بعد وفاة النبيﷺ هي واقعة السقيفة التي كانت وضع حجر الأساس لتحقيق جميع المخالفات بعد ذلك، وجميع البدع في الدين، فإنّ اجتماع الصحابة فيها النابعة عن الأهواء والميول النفسانيّة كانت من أجل الوصول إلى السلطة، ولم يبالوا بما صدر منهم من المخالفة للدين والشريعة المقدّسة، ➔

➔

والآثار السلبيّة المترتّبة عليه؛ إذ كلّهم سمعوا من النبي الصادق صلى الله عليه وآله حديث الثقلين، أنّ إيمانهم انّما يكون موجباً للنجاة السعادة وعدم الانحراف والضلالة إذا هم تمسّكوا بالثقلين وهما القرآن والعترة الطاهرة، وهما الصراط المستقيم، وقدعبّر عنهما القرآن الكريم بالصراط المستقيم، وهو صراط النجاة في الإسلام، الذي دعا اليه القرآن بقوله تعالى: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**﴾ (سورة الحمد:٦-٧)، وقال تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (سورة الأنعام:١٥٣)، فإنّ الله سبحانه يأمر المسلمين ويدعوهم إلى صراط واحد، وسماه: الصراط المستقيم، وهذا هو طريق التوحيد، طريق الحق والعدل، طريق الطهر والتقوى الذي أمرنا أن نمشي فيه، ونتبعه، ونسلكه ولا نسلك الطرق المنحرفة والسبل الضالة؛ لأنّها لا تنتهي إلى السعادة التي أراد الله سبحانه لعباده.

ولا يخفى أنّ الطريق الذي أمر الله تبارك وتعالى السلوك منه، وهو الحكم الإلهي كما قال تعالى: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (سورة يوسف:٤٠) والمراد من الحكم هو الإيمان بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن هنا يعرف أنّ مقتضى هذه الآية والحديث الثقلين هو أنّ ما جاء به نبي الإسلام صلى الله عليه وآله إنّما كان ممتداً بالثقلين وغيره الضلالة، فالسقيفة وما جرت منها هي البدعة والضلالة؛ فإنّ الصحابة الذين أحدثوا هذه الواقعة قد خالفوا بعد النبي صلى الله عليه وآله مخالفةً مؤثرةً في انحراف الأمّة الإسلامية؛ إذ كانت هذه المخالفة سبباً وعلّة للبدع في الدين الحنيف؛ إذ منها صدرت الأحكام على خلاف ما أنزل الله وصار الحرام حلالاً، والحلال حراماً بغير إذن الله سبحانه وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِيناً**﴾ (سورة الأحزاب:٢٦)، فلا يحقّ لأحد أن يتدخل في سلطان الله وحظيرته،

➔

وخامسها: ما زعمه من كون بيعتهم لعثمان خالية من الرغبة والرهبة[1]؛ فإنّه من عظيم غشّه للغفلة[1]،

➔

ويعمل كيفما يشاء وكيف ما يقتضي مصلحته، فلذلك قال تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ**﴾ (سورة يونس:٥٩)، فالبدعة الصادرة من الصحابة أسّست أساساً ضد الدين كما أنّ المشركين أساساً ضد النبيﷺ في بداية الدعوة الإسلامية حيث جعلوا ما أنزل الله لهم من الرزق بعضه حراماً وبعضه حلالاً، فحرّموا الحلال وحلّلوا الحرام كما وبخهم تبارك وتعالى في قوله: ﴿**آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ**﴾ أي أنّه لم يأذن لكم في شئ من ذلك، بل أنتم تكذبون على الله، ثم يهدّدهم بالعذاب فيقول تعالى: ﴿**وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ**﴾ (سورة يونس:٦٠)، ويؤكّد عليه في آية أخرى ويقول سبحانه: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ**﴾ (سورة النحل:١١٦)، فإنّ أصحاب الأهواء موجودون في كل عصر زمان حتى في عصر الرسالة، فهؤلاء إجتمعوا في السقيفة بعد وفاة رسول اللهﷺ وأسّسوا بنيان المخالفة والبدعة في الدين كما لا يخفى ذلك على الباحث المتتبّع، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الباحث المتتبّع في الآثار والمتدبّر في الأخباركذب ما زعمه ابن تيمية من أنّ بيعة عثمان كانت خالية من الرغبة والرهبة، أوّلاً: لأنّ ترشيح الشورى في الستّة من عمر بن الخطاب من أبرز مصاديق الإستبداد وعدم الإعتناء بشأن الصحابة، بل قدح في عدالتهم؛ لأنّ العدالة تقتضي بيان ما هو الحق في جميع الأمور ومنها الانتخاب في الأمور وعلى حسب زعم القوم الانتخاب للخلافة، فالقول بعدالة الصحابة جمعاء يقتضي لزوم الدعوة من جميعهم للانتخاب، فتحديد الخليفة عمر بن الخطاب إنتخاب الخليفة

➔

←

بالشورى الستّة، مخالف لقانون عدالة الصحابة، بل ومخالف لإجراء العدالة في المجتمع؛ لأنّ الشورى الستّة مخالف للمعايير العقلية والعقلائيّة والعرفيّة فضلاً عن الحكم الشرعي، فما فعله الخليفة استبداد محض!!

وثانياً: إذا كان للصحابة رأي في الانتخاب فلماذا لم يستشير الخليفة الصحابة في انتخاب الستّة للشورى؛ فإنّ انتخاب الخليفة الشورى الستّة بلا مشورة من الصحابة معناه عدم دخالة الصحابة في الانتخاب؟ ومن الواضح أنّ الانتخاب بلا مشورة استبداد، كما هو واضح ظاهر، وهل يسمى الاستبداد الانتخاب الخالية من الرغبة والرهبة؟!! فهذه التسمية ممّا يضحك الثكلى.

وثالثاً: على فرض أنّ الشورى العمريّة هي أساس للانتخاب، فالمفروض أنّ الشورى بنفسها تقوم لهذه المهمّة، لا بالتدخّل من جانب الخليفة فيها، فما هو الوجه في تهديد الخليفة بقتل من لم يقبل انتخاب في الشورى؟ ولماذا تدخل الخليفة في وظائف الشورى وقال: إن اختلفتم فاجعلوا الخلافة في المجموعة التي فيها عبدالرحمن بن عوف؟!!

ورابعاً: على فرض قبول الشورى وقبول المشورة من الصحابة ضمن وجود الشورى، فأين رأي الصحابة المخالفين للسقيفة، فلماذا لم يعتبروا آرائهم في الخلافة؟ أليس أنّهم من الصحابة وأهل السنّة متّفقين على عدالتهم؟ وأليس كثيراً منهم من أهل الحلّ والعقد؟ فلماذا لم يعتنوا بآرائهم، وهل بعد ذلك يصح ادعاء تحقّق بيعة عثمان بلا رغبة ولا رهبة؟!! فهذه أسئلة وغيرها تتوارد على هذا الزعم الباطل من ابن تيمية ولا جواب لها.

(١) وتوضيح المقام أنّ اختلاط الأُمورعلى كثيرمن المسلمين صار سبباً للطمع والجشع وأخذ ما لا يحق أخذه، فقد استغل ابن تيمية هذه الظروف واستعمل الطرق المتعددة الملتوية، وأساليب الغشّ في كلماته، حيث أنّه كان يعلم أنّ المسلمين لم يستطيعوا التمييز بين الحقّ والباطل عندما لا يتمسّكون بوصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله حيث أمرهم بالتمسّك بالثقلين، حيث كان يعلم أنّ التمسّك بالثقلين يضمن عدم الوقوع في الضلالة، وأمّا من لم يتمسّك بهما فهو في معرض الإنزلاق والهلاك، فاستعمل طريقة الغشّ والتزييف واستعمال

←

ومثل هذه مقالة أهل مذهبه بالنسبة إلى أبي بكر وعمر[1]؛

➔ أسلوب الخدعة للحفّاظ على الأصول المتناقضة عند أهل السنّة. ولكن الباحث الخبير يعلم أنّه لا يمكن لابن تيمية التخلّص من الإشكال؛ حيث أنّ السؤال من أهل التحقيق متوجّه إليه، وهو لو كان رأي الصحابة معتبراً عند الخليفة عمر بن الخطاب، لجعل الشورى بين جميع الصحابة، ولماذا رشح الخليفة عمر بن الخطاب الستّة فقط لانتخاب الخليفة بلا مشورة من الصحابة، مع أن مسلك أهل السنة مبني على إجماع الأمّة؟!! ثم إنّ انتخاب الستّة للشورى نوع من الديكتاتوريّة التي هي مخالفة للانتخاب المرسوم في السيرة المتعارفة عند العقلاء والعرف العامّ، فضلاً عن الشرع الذي يجب اقامة الدليل عليها من الكتاب والسنّة النبويّة، فهذه الأسئلة ليست خفيّة على أهل التحقيق من أهل السنة، فالخبير يعلم أنّ ما استعمله ابن تيمية من الغش والخداع يزيد في الإشكال ويفسد عليه الأمر أكثر مما كان على أهل السنّة، فلاحظ.

(١) وبعبارة أخرى بناءً على مسلك أهل السنّة في مشروعيّة الخلافة والإمامة أنّ خلافة أبي بكر وعمر لم تكن عن طريق مشورة الصحابة، كذلك خلافة عثمان؛ لأنّه بناءً على مسلك أهل السنّة أنّ منصب الخلافة عندهم كانتخاب رئيس الدولة، فهو من الأموراالتي يجب أن تجري فيها المشاورة. ويتعلق بعميم شؤونهم فيجب أن يكون لهم رأي فيمن يولى عليهم. والمشاورة تستلزم أن يبدي كل واحد رأيه فيمن يراد انتخابه رئيساً للدولة، ولكن الأمر في السقيفة لم يكن كذلك؛ إذ النصوص التاريخية صريحة في أنّ عمر بن الخطاب بايع أبا بكر، وبها تمّت الخلافة لأبي بكر بلا بمشورة من الصحابة، ولذلك قال عمر بن الخطاب بعد ذلك أن بيعة أبي بكر كانت فلتة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى خلافة عمر؛ فإنّه تصدى الخلافة بتصيب أبي بكر لا بانتخاب الصحابة، وهكذا كان الأمر في خلافة عثمان؛ فإنّ الشورى العمريّة قد ضمّت بعض العناصر المدروسة من قبل الخليفة عمربن الخطاب لتمهيد السبيل لدى الأمويّين، وتشييد صرح مجدهم على أكتاف المسلمين. وسيتضح ذلك من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

ألم يعلم أهل السنّة بأنّ العبرة بالدليل دون زخرف القيل[(١)]؟

---

(١) وبعبارة أوضح أنّه لا ريب أنّ حقائق الإسلام ثابتة وخالدة بالأدلة المعتبرة عند المسلمين كافّة، على أنّه لا بدّ من إقامة الحجّة والدليل لإثباتها، فيلزم الرجوع فيها إلى ما ساق إليه الدليل من الكتاب والسنّة، لا إلى مثل هذه الدعاوى التي تشبّث به ابن تيمية، وهي العارية عن الدليل، فإنّ مجرد الدعوى وعدم إقامة الدليل ليس إلا القال والقيل بلا فائدة وثمرة علميّة.

ومن الواضح أنّ الدليل المعتبر والحجة المعتبرة عند جميع المسلمين القرآن الكريم والسنّة النبوية، ولا بدّ لهم الرجوع إلى الكتاب والسنّة في كل مسألة يقع الجدال بينهم فيها ، وهذا ما أمر به الله تعالى إذ قال: ﴿**فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوه إِلَى الله والرَّسُولِ**﴾ (سورة النساء:٥٩).

وقال تعالى: ﴿**فَلا وربِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ ويُسَلِّمُوا تَسْليماً**﴾ (سورة النساء:٦٥).

وقال تعالى: ﴿**وما كانَ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى الله ورَسُولُه أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ (سورة الأحزاب:٣٦) فكلّ (شيء) وقع التنازع فيه بين الأمّة، وكلّ أمر (شجر) بينهم، يجب ردّه إلى (الله والرسول)، وما كان لأحد منهم (إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)، بل (وربّك) إنّهم (لا يؤمنون) حتّى يحكّموا النبيّ صلى الله عليه وآله، (ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً) ممّا قضى (ويسلّموا تسليماً).

فالرجوع إلى القرآن الكريم واضح لا لبس فيه، لأنّ القرآن نزل بـ﴿**لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾ (سورة النحل:١٠٣)، فإن أمكن استظهار معنى اللفظ فيه ولو بمراجعة المعاجم اللغوية والكتب المعدّة لمعاني ألفاظه فهو.. وإلا وجب الرجوع إلى النبيّ صلى الله عليه وآله المبعوث به إلى الأمّة، فالمسلمون يحتاجون إلى السنّة النبويّة المعتبرة، لكونها المصدر الثاني، ولكونها -أيضاً- المرجع لفهم ما أغلق من ألفاظ القرآن، ومعرفة قيد ما أطلق، أو المخصّص لما ورد ظاهرا في العموم فيه، وهكذا.

←

فأيّ رغبة ورهبة صدرت وبانت من هبل والعزى ويعوق ونسر وبعل وغيرها؟ فعبدها الناس مخالفين لبينات الرسل ومعاجزهم التي خلقها سبحانه حجّة بينة دلّت على صدقهم[1]؟

➔

ومن هنا نعرف أنّه يجب على جميع المسلمين الإستدلال بما هو حجّة معتبرة عند المسلمين.

هذا في بيان الأمور الشرعية، وأمّا في المباحث العلمية، فأيضاً لا بدّ أن يدلي العالم بدليل علمي على رأيه، ويجتنب الأساليب الخدعة والغشّ، والخروج عن البحث وأن لا يتصرّف في كلام خصمه بزيادة فيه أو نقصان، ولا ينسب إليه شيئاً لا يقول به أو حجّة لا يعتبرها. فعند ذلك يكون البحث بحثاً علمياً منتجاً؛ لأنّ الهدف منه الوصول إلى الحقّ.

وأمّا ابن تيمية حيث أنّه لا يريد الوصول إلى الحقّ والحقيقة، فلا يكون في صدد اثبات مدعاه بالدليل العلمي، وإنّما يريد فرض عقائده على الجهال بالتعصب والإغفال والتزوير وما شابه ذلك، ليوهّم بذلك عند عموم أهل السنّة أنّه ثابت في طريقه ولو بالتعصب والعداء للشيعة، ولذلك لم يهمّه مخالفة الدين ولا مسلك العلماء والباحثين، بل غاية ما يريده الفساد والسفسطة للوصول إلى عداوة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، وإن كانت نتيجته الجحود لربّ العالمين، فلاحظ.

(١) إذا تأمّلنا في قصص المرسلين التي وردت في القرآن الكريم، وما حدث لهم مع أممهم، نجد أنّهم اتّفقوا جميعاً على دعوة واحدة، وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والإجتناب من الشرك، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ (سورة الأنبياء:٢٥)، وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ**﴾ (سورة النحل:٣٦). فأساس دعوة جميع الأنبياء واللبنة الأولى لتحرّكهم هي الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الطاغوت، وذلك لأن أسس التوحيد إذا لم تحكم ولم يطرد الطواغيت من بين المجتمعات البشريّة فلا يمكن إجراء أي برنامج إصلاحي، فجميع الرسل كان أول ما دعوا إليه هو التوحيد، توحيد الله،

➔

وما الرغبة التي دعت الصحابة إلى طلبهم من النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ جعل شجرة يعبدونها[1]؟!! ما الرغبة والرهبة التي دعت قوم موسىعَلَيْهِالسَّلَامُ إلى عبادة

→

وعبادة الله وتقواه وطاعته وطاعة رسله. ولكن لمّا وصلت الدعوة إلى الناس، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقّت عليه الضلالة، فالسنّة الإلهية اقتضت في البداية جعل الهداية التشريعيّة ببعث الأنبياء ليدعوا الناس إلى التوحيد ورفض الطاغوت تماشيا مع الفطرة الإنسانيّة، ومن ثم فإنّ الهداية إمّا تشريعيّة وإمّا تكوينيّة.

وأمّا من ضلّ فإنّه اختار وادي التيه والضلال، والسير على خلاف جعله الله لهم في التشريع وهو ما جاء به الأنبياء، والتكوين هو مخالفة الإنسان مع فطرته وعقله الذي جعلهما الله في الإنسان ليختار الطريق الحقّ والسعادة والنجاة، فالإنسان الذي يختار طريق الباطل فإنّه قد خالف عقله وفطرته قبل أن يخالف الشرع، فالأمم السابقة خالفوا التشريع وجعلوا حول الفطرة حجاباً داكناً وأغفلوا قوانينها، وجعلوا الآيات التشريعيّة والتكوينيّة وراء ظهورهم، وأغلقوا أعينهم وصمّوا أذانهم أمام دعوة الأنبياء، فعبدوا الأوثان والأصنام دون ربّ العالمين، فعبادة هبل والعزّى ويعوق ونسر وبعل وغيرها كانت مع وجود ما جاء به الرسلعَلَيْهِمُالسَّلَامُ من المعاجز والآيات الباهرات والبراهين الساطعة، مع أنّ فطرتهم كان مخالفاً لعبادة غير الله كما أنّ الرسول الباطني العقل كان ينهى عن ذلك، بل أنّ العقل والفطرة يصدقان الرسل، وهذا حجّة بيّنة دلّت على صدق ما جاء به الأنبياء، ومع ذلك كلّه فإنّ الآية الكريمة تقول: إنّهم كانوا يعبدون الطاغوت، والطاغوت صيغة مبالغة للطغيان أي التجاوز والتعدي وعبور الحدّ، فتطلق على كل ما يكون سبباً لتجاوز الحدّ المعقول، ولهذا يطلق اسم الطاغوت على الشيطان، الصنم، الحاكم المستبدّ، المستكبر وعلى كل مسير يؤدي إلى غير طريق الحقّ. فأيّ رغبة ورهبة صدرت وبانت من عبادة الطواغيت والأوثان والأصنام؟!!!

(١) لقد أخرج المحدّثون والمؤرخون من أهل السنّة أنّ النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ عندما خرج إلى غزوة

←

العجل من دون الله بعد تحقّق ايمانهم سنين عديدة[١]؟!!

➔

حنين مرّ على شجرة والناس حولها عاكفون، فطلب بعض الصحابة من النبيﷺ أنّه اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبيﷺ: «سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى: إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنّة من كان قبلكم». فأخرج الترمذي بسنده عن الزهري عن سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثي أن رسول اللهﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم قالوا: يا رسول الله لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبيﷺ: «سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم» (سنن الترمذي ج٣: ص٣٢٢ ح٢٢١٧)؛ ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن سنان بن أبي سنان الدؤلي ثم الجندعي عن أبي واقد الليثي أنهم خرجوا عن مكة مع رسول اللهﷺ إلى حنين قال وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط قال فمررنا بسدرة خضراء عظيمة قال: فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط، فقال رسول اللهﷺ: «قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى: اجعل لنا الها كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون انها لسنن لتركبن سنن من كان قبلكم سنة سنة» (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٢١٨)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ح٧: ص٢٤، وأبو داود الطيالسي في مسنده: ص١٩١، والحميدي في مسنده ج٢: ص٢٧٥، وابن أبي شيبة في المصنف ج٨: ص٦٣٤، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ج٣: ص٣٠، وابن حبان في صحيحه ج١٥: ص٩٤، والطبراني في المعجم الكبير ج٣: ص٢٤٤ الواقدي في المغازي ج٢: ص٨٩١، وابن كثير في البداية والنهاية ج١: ص٢٢١ وغيرهم.

ويظهر من خلال هذه الروايات أنّ بعض الصحابة كانوا يستمرون على فكرة الجاهلية الاولى، وهذه الفكرة دعت الصحابة إلى طلبهم من النبيﷺ أن جعل لهم شجرة يعبدونها؟!!

(١) هذه العبارة استشهاد بمقطع آخر من التاريخ، وهو قصّة عبادة العجل في غيبة

➔

➔

موسى عليه السلام، وفتنة بني إسرائيل بالعجل، وبذلك أصيب بني إسرائيل أكبر انحراف في تاريخهم الطويل، وهو الانحراف عن مبدأ التوحيد، والاتّجاه إلى عبادة العجل. وخلاصته، إن موسى عليه السلام بعد نجاة بني إسرائيل من قبضة الفراعنة أمر بالذهاب إلى جبل الطور مدّة ثلاثين ليلة لتسلم ألواح التوراة، ثم مدّت هذه الليالي إلى أربعين ليلة من أجل اختبار قومه. واستغلّ السامري الدجال هذه الفرصة، فجمع ما كان لدى بني إسرائيل من ذهب الفراعنة ومجوهراتهم، وصنع منها عجلاً له صوت خاص، ودعا بني إسرائيل لعبادته. فأتبعه أكثر بني إسرائيل، وبقي هارون - أخو موسى وخليفته - مع أقلية من القوم على دين التوحيد، وحاول هؤلاء الموحّدون الوقوف بوجه هذا الانحراف فلم يفلحوا، وأوشك المنحرفون أن يقضوا على حياة هارون أيضاً. بعد أن عاد موسى من جبل الطور تألّم كثيراً لمّا رآه من قومه، ووبخهم بشدة فثاب بنو إسرائيل إلى رشدهم، وأدركوا خطأهم وطلبوا التوبة، فجاءهم أمر السماء بتوبة ليس لها نظير، وقد ذكرت هذه الحادثة في القرآن الكريم في سورة الأعراف وسورة طه. لا شك أن عبادة عجل السامري لم تكن مسألة هينة، لأن بني إسرائيل شاهدوا ما شاهدوا من آيات الله ومعجزات نبيهم موسى عليه السلام، ثم نسوا ذلك دفعة، وخلال فترة قصيرة من غياب النبي انحرفوا تماماً عن مبدأ التوحيد وعن الدين الإلهي. كان لا بدّ من اقتلاع جذور هذه الظاهرة الخطرة، كي لا تعود إلى الظهور ثانية خاصة بعد وفاة صاحب الرسالة.

ومن هنا كانت الأوامر الإلهية بالتوبة شديدة لم يسبق لها نظير في تاريخ الأنبياء، وتقضي هذه الأوامر أن تقترن التوبة بإعدام جماعي لعدد كبير من المذنبين، على أيديهم أنفسهم. يشير القرآن إلى طريقة التوبة المطروحة على بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ (سورة البقرة:٥٤)؛ فطريقة تنفيذ هذا الإعدام لا تقلّ شدّة عن الإعدام نفسه، فقد صدرت الأوامر الإلهية أن يقتل المذنبون بعضهم بعضاً، وفي ذلك عذابان للمذنب: عذاب قتل

➔

ولـمَ لـم تـصر الرغبـة إلـى فرعـون والرهبـة منـه مانعتـان مـن إيمـان السحرة[(١)]؟

➔

الأصدقاء والمعارف على يديه، وما ينزل بـه - هـو نفـسه - مـن عـذاب القتـل. وجـاء فـي الأخبار أن موسى عليه السلام أمر في ليلة ظلمـاء كـلّ الجـانحين إلـى عبـادة العجـل، أن يغتـسلوا ويرتدوا الأكفان ويعملوا السيف بعضهم في البعض الآخر. ولعلّك تـسأل عـن الـسبب فـي قساوة هذه التوبة ولماذا لم يقبل الله تعالى منهم التوبة دون إراقة للدماء؟

الجواب: إن السبب في شدة هذا الحكم - كما ذكرنا - يعود إلى عظمة الذنب الذي ارتكبوه بعد كلّ ما شاهدوه من آيات ومعاجز، وإلى أن هذا الذنب يهدّد وجود الدعوة ومستقبلها لإن أصول ومبادئ جميع الأديان السماويّة يمكن اختزالها فـي التوحيـد، فلـو تزلـزل هـذا الأصل فإن ذلك يعني انهيار جميع اللبنات الفوقية والمباني الحضارية للـدين، فلـو تـساهل موسى عليه السلام مع ظاهرة عبادة العجل، لأمكن أن تبقى سنة في الأجيال القادمـة، خاصّـة وأن بني إسرائيل كانوا على مرّ التاريخ قوماً متعنتين لجوجين. ولا بـدّ إذن مـن عقـاب صـارم يبقى رادعاً للأجيال التالية عن السقوط في هاويـة الـشرك. ولعـلّ فـي عبـارة قولـه تعـالى:" ذلكم خير لكم" إشارة إلى هذا المعنى.

وعلى أيّ حال فالسؤال الذي يجب على ابـن تيميـة وأتباعـه الإجابـة عنـه هـو أنّـه إذا كانـت الرغبة والرهبة من الإسباب التي قديحصل بها الإيمان، فما هي الرغبة والرهبة التـي دعـت قوم موسى عليه السلام إلى عبادة العجل من دون الله بعد تحقق ايمانهم سنين عديدة؟!!

(١) هذه العبارة اشارة إلى قـصة اعجـاز نبـي الله موسـى عليه السلام وإيمـان الـسحرة بـه، وحيـث أن القـرآن الكـريم تحـدث عـن مواجهـة موسـى عليه السلام للـسحرة فـي سـورة طـه، والأعـراف، ويونس، والشعراء؛ فإنّ هذه القصة جميلة، وفيها الكثير من العبـر والتـي وصـلت إلينـا مـن القران الكريم ومن السنّة النبوية، والتي تحدث عن سـيرة أنبيـاء الله ومعجـزاتهم العديـدة، والتي تبيّن أن الله هو الخالق وهو القادر على كل شئ، وكيف يضع الله حكمته وقوته فـي

➔

مخلوقاته، وملخص ذلك كما في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ (سورة القصص:٣٦)، فانكروا ما وجدوه من آيات الله، وقالوا: "ما سمعنا بهذا في بآبائنا الأولين، فواجهوا موسى عليه السلام متوسّلين بحربة توسّل بها جميع الجبابرة والضالّون على طول التاريخ، حين رأوا المعاجز من أنبيائهم.. وهي حربة السحر؛ لأن الأنبياء يأتون بأمور خارقة للعادات، والسحر خارق للعادة، لكن أين هذا من هذه؟ السحرة أناس منحرفون وأهل دنيا وعبيد لها وأساس عملهم قائم على تحريف الحقائق، ويمكن معرفتهم جيّداً بهذه العلامة.. في حين أن دعوة الأنبياء ومحتواها شاهد على صدق معاجزهم، ثم إن السحرة طالما يعتمدون على القدرة البشريّة، فإنّ عملهم محدود، أما الأنبياء الذين يعتمدون على قوّة إلهية، فإن معاجزهم عظيمة وغير محدودة، والتعبير بالآيات البيّنات مبيّن لهذه الجهة، فتبديل العصا إلى ثعبان عظيم معجزة، وعودة الثعبان إلى عصا معجزة أخرى، بعد أن تمادى فرعون ومن معه من الناس على موسى عليه السلام واتّهموه بأنّه ساحر يريد اخراجهم من أرضهم، لكن موسى عليه السلام أجابهم بلهجة التهديد والوعيد، حيث يكشف لنا القرآن هذا الحوار: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، فتشاور فرعون مع حاشيته ووزرائه لإيجاد حلّ لما جاء به موسى عليه السلام وآياته، فقاموا بالاشارة إلى أن يجمع أفضل وأمهر السحرة في مصر ليأتوا بمثل ما جاء به موسى عليه السلام، حيث كان السحر منتشر في مصر بشكل كبير، فأتى السحرة إلى فرعون وقالوا له: "بما تعدنا إن كنّا نحن الغالبين؟"، فوعدهم بأنّه سوف يكون لهم أجراً كبيراً ويقرّبهم منه اذا تغلبوا على موسى عليه السلام. تمّ الاتفاق بين موسى عليه السلام وفرعون على يوم الزينة الذي سوف يلتقيانه به. وعندما بدا التحدي بين موسى عليه السلام والسحرة ألقى السحرة عصيهم وحبالهم وقد كانت ممتلئة بالزئبق وتخيلها الناس أنها ثعابين وحيّات تسعى، فابتسم وابتهج فرعون وجنوده، حيث ظنّ نفسهم أنّهم من الغالبين، وأمر الله عزّ وجلّ نبيه موسى عليه السلام أن يلقي بعصاه وما أن قام بالقاءها حتى تحوّلت إلى حيّة تسعى

ولِمَ لم تصر الرهبة من عتاة قريش[(١)]،

➔

تلقف حيّات السحرة وتأكلها. فاندهش فرعون وجنوده والحاضرين من قومه، وعلموا أنّ سحرهم لا يفعل مثل ما فعل موسى عليه السلام، وإن ما جاء به موسى عليه السلام كان بقدرة الله عزّ وجلّ، فخرّ السحرة ساجدين لله تعالى وقالوا: "آمنا برب موسى وهارون"، وقد أغضب هذا الأمر فرعون وجنوده من تصرّفهم وغضبوا غضباً شديداً، واتهمهم بأنّهم اتّفقوا مع موسى وأنّه هو كبيرهم الذي علّمهم السحر، وانقلبت المبارات بين فرعون وموسى عليه السلام والسحرة، وتمّ تهديد السحرة بالقتل والتعذيب ولكنهم صبروا واحتسبوا هذا الامر عند الله عزّ وجلّ، وانتصر فيها موسى عليه السلام على فرعون وجنوده.

وهنا أيضاً سؤال يتوجّه إلى ابن تيمية وأتباعه وهو أنّه إذا كان لفرعون الرهبة والقدرة لماذا لم تمنع هذه الرغبة والرهبة من إيمان السحرة؟!!

(١) لا يخفى على الخبير أنّ الدعوة الإسلاميّة في بداية أمرها كانت تتّخذ مجرى السرّية؛ وقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وآله بأمرمن الله بتبليغ الرسالة للأقربين، وكان صلى الله عليه وآله صاحب مكانة رفيعة في قريش، حيث كان من بني هاشم؛ أفضل الناس نسباً في مكّة، بالإضافة إلى محبّة خاصّة سببها حُسن خلقه، وكرم نفسه، وطهر قلبه، فقد كان يلقّب بالصادق الأمين قبل البعثة، ولكن لمّا جاءهم برسالة الإسلام، تحوّلت المحبّة إلى عداء شديد بكلّ أنواعها ومعانيها، وكانت تلك العداء تشتدّ كلّما دخلت دعوة الإسلام مرحلةً جديدةً، كما تنوّعت أساليب صدّهم عن سبيل الله، فتارةً بالترهيب والتهديد، وتارةً بالسياسة والترغيب، وأخرى بالقتل والتعذيب، وتارةً بالمقاطعة التي سنشير إلى بعض تلك المحاولات وصور ايذاء قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت محاولاتهم عديدة، وإليك بعض نماذجها:

١- استغلال نفوذ: عمّه أبي طالب وما يكنّه النبيّ صلى الله عليه وآله من احترام له لمنعه صلى الله عليه وآله من مواصلة دعوته، والطلب إليه بالتوقّف عن سبّ آلهتهم وتقبيح ديانتهم.

٢- الترغيب والترهيب: التعامل مع أبي طالب بالتهديد تارةً، وبعرض المال والثروة والرئاسة تارةً أخرى. وبعدما يئسوا من الحصول على النتيجة المطلوبة، عرضوا على أبي طالب أن

🡐

➔

يعطوه عمارة بن الوليد وكان أجمل وأقوى وأشعر فتى في قريش على أن يسلّمهم في مقابل ذلك محمّداًصلى الله عليه وآله ليقتلوه، فرفض أبو طالب ووبّخهم بقوله: «لبئس ما تسومونني عليه، أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا والله ما لا يكون أبداً». وجاؤوه مرّة وهدّدوه بالقتل هو وابن أخيه، فما كان من رسول اللهصلى الله عليه وآله إلا أن قال: «والله يا عمّ لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر، حتّى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته» (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٦٨).

٣- مفاوضة النبيّصلى الله عليه وآله ومساومته مباشرة: عن طريق إغرائه بالمال والجاه، ولكن النبيّصلى الله عليه وآله رفض عرضهم؛ لأنّه لا طمع له بالمال والسلطان.

٤- نهي الناس عن الالتقاء بالنبيّصلى الله عليه وآله، والاستماع إلى ما يتلوه من قرآن. وقد تحدّث القرآن عن ذلك: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾ (سورة فصلت:٢٦).

٥- التعرُّض لشخص النبيّصلى الله عليه وآله بالإيذاء المباشر: فرجموا بيته بالحجارة، وألقوا التراب على رأسه، ووضعوا الأشواك في طريقه وأمام داره، حتّى قالصلى الله عليه وآله: «ما أُوذي نبيّ مثل ما أُوذيت» (انظر بحار الأنوار ج٣٩: ص٥٥).

٦- مواجهة النبيّصلى الله عليه وآله: بالتكذيب، والسخريّة، والاستخفاف والاستهزاء، ورميه بأنواع التهم من قبيل ساحر ومجنون، وأنّه يُفرّق بين المرء وأبيه، وبين المرء وزوجه، وعشيرته ﴿**وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ**﴾ (سورة ص:٤)، واتّهموه بأنّه يتعلّم عند رجل نصرانيّ اسمه جبر.

وقد ردّ عليهم القرآن بقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ**﴾ (سورة النحل:١٠٣).

٧- الحصار في شعب أبي طالب، قدّرت قريش أنّ هذا الحصار سيؤدّي إلى أحد ثلاثة أمور: إمّا قيام بني هاشم بتسليمهم النبيّصلى الله عليه وآله ليقتلوه، وإمّا أن يتراجع النبيّصلى الله عليه وآله عن الدعوة، وإما القضاء عليه وعلى جميع من معه جوعاً وعطشاً تحت وطأة الحصار.

➔

←

استمرّ الحصار ثلاث سنوات، من السنة السادسة حتّى التاسعة للبعثة، وكان المسلمون خلاله ينفقون من أموال خديجة وأبي طالب، حتّى نفدت واضطروا إلى أن يقتاتوا بورق الشجر، ولم يكونوا يجسرون على الخروج من شعب أبي طالب إلا في موسم العمرة في رجب، وموسم الحجّ في ذي الحجّة، فكانوا يشترون حينئذ ويبيعون ضمن ظروف صعبة جدّاً. (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص٨٧).

وكان الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أثناء هذه المحنة يأتيهم بالطعام سرّاً من مكّة من حيث يمكن. وكان أبو طالب يحرس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه؛ خوفاً من أن يتسلّل أحد من المشركين إليه ويغتاله على حين غفلة، بل كان إذا حلّ الظلام ينقل النبيّ صلى الله عليه وآله من المكان الذي عرف أهل الشعب أنّه بات فيه، إلى مكان آخر، ويجعل ابنه الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في مكان النبيّ صلى الله عليه وآله حتّى إذا حصل أمر أصيب ولده دونه. وانتهى الحصار بعدما أكلت الأرضة ما في صحيفة المشركين التي تعاقدوا فيها على الحصار، وقيام جماعة منهم ممّن تربطهم ببني هاشم علاقات نسبيّة بنقض الصحيفة وإلغاء مفاعيلها، ومنهم من كان من الموقّعين على الصحيفة، وبذلك عاد بنو هاشم إلى مساكنهم (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص٣١-٣٢)، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله قد أخبر بأمر الصحيفة بواسطة أبي طالب، وهي من كراماته صلى الله عليه وآله حيث نزل عليه جبرئيل بأمرٍ من الله تعالى يخبره ففشل مخطّط الحصار للنبيّ صلى الله عليه وآله، ومن معه في شعب أبي طالب، وانتهى الأمر بانتصار النبيّ صلى الله عليه وآله وخروجه مع أصحابه من الحصار بعد سنوات مريرة. انتهى الحصار وانتهت بذلك أيّام حياة سندين عظيمين للنبيّ صلى الله عليه وآله في دعوته وهما: زوجته الوفيّة خديجة، وعمّه أبو طالب، وسمّى رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك العام بعام الحزن. في مكّة المكرّمة، كرّم الله تعالى نبيّه بمعجزة لم تكن لأحد من الأنبياء، وهي معجزة الإسراء والمعراج، وكان ذلك بروح النبيّ صلى الله عليه وآله وجسده معاً.

٨- محاولة دار الندوة: فقد عقد كبار المشركين من قريش اجتماعاً في دار الندوة؛ ليتشاوروا فيما بينهم بشأن الرسول صلى الله عليه وآله، وكيفيّة التخلّص منه، فعرض أحدهم تفويض شابّ من

←

➔

كـلّ قبيلـة يتّسم بـالقوة والغلظـة لهـذا الأمـر، فيأخـذ سـيفاً، ويحاصـروا بيـت الرسـول الكريمﷺ، ومن ثمّ يهجموا عليه هجمةً واحدة، ويقتلوه، فيتفـرّق دمـه بـين القبائـل، إلا أنّ الله سبحانه أخبر نبيّهﷺ بمحاولتهم، فبات تلك الليلة مولانا الإمام أميرالمـؤمنين علـي بن أبي طالبعليه السلام مكان رسولﷺ وافتدى بنفسه؛ ولهـذا سـمّيت تلـك الليلـة التاريخيـة بليلة المبيت، فنزل في شأنهعليه السلام قوله تعـالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَـن يَـشْرِي نَفْـسَهُ ابْتِغَـاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾ (سورة البقرة:٢٠٧)، ويحتمل في تفسير جملـة "والله رؤوف بالعباد" وتناسبها مع بداية الآية أنّ المراد هو بيان هذه الحقيقـة، وهـي وجـود مثـل هؤلاء الأفراد بين الناس لطف من الله سبحانه ورأفة بعباده، إذ لو لم يكن بـين النـاس مثـل هؤلاء الأفراد المضحين المتفـانين مقابـل تلـك العناصـر الخبيثـة لانهـدمت أركـان الـدين والمجتمع، لكن الله سـبحانه بفـضله ومنّـه يـدفع بهـؤلاء الـصديقين الأوليـاء خطـر أولئـك الأعداء.

و منها: محاولة عمير بن وهب الجمحي، روى ابن إسحاق في كتابه الـسيرة بـسنده عـن عـروة بن الزبير أنّه قال: جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهـل بـدر من قريش في الحجر بيسير وكان عمير بن وهب شيطانًا من شـياطين قـريش، وممّـن كـان يؤذي رسول اللهﷺ وأصحابه، ويلقون منه عناء وهو بمكّة، وكـان ابنـه وهـب بـن عميـر في أسارى بـدر، فـذكر أصـحاب القليـب ومـصابهم، فقـال صـفوان: "والله مـا فـي العـيش بعدهم خير". قال له عمير: صدقت، لـولا دَيـن علـي لـيس عنـدي قـضاؤه، وعيـال أخـشى عليهم الضيعة بعدي، لركبت إلى محمـد حتـى أقتلـه، فـإن لـي فـيهم علـة ابنـي أسـير فـي أيديهم.

قال: فاغتنمها صفوان بن أمية، فقال: عليّ دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم مـا بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم، فقال له عمير: فاكتم علي شأني وشأنك. قال: أفعل. ثـم إن عميراً أخذ سيفه وشحذه بالمعجمة أي سنّه وسمّه أي جعل فيه الـسمّ ثـم أنطلـق حتـى قدم المدينة فلما دخل على النبيﷺ فقال: أنعمـوا صـباحاً، فقـال رسـول الله ﷺ: «قـد

➔

بل وعقوباتهم الفادحة لمؤمني صدر البعثة مانعة من إيمان من عذبوه منهم

➔

أكرمنا الله بتحيّة خير من تحيّتك يا عمير بالسلام تحيّة أهل الجنة، ما جاء بك يا عمير؟» قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه، قال: «فما بال السيف في عنقك؟» قال: قبّحها الله من سيوف، وهل أغنت شيئاً؟ قال: أصدقني بالذي جئت له، قال: ما جئت إلا لذلك، فقال النبي ﷺ: «بلى قعدت أنت وصفوان بن أميّة في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين عليّ وعليّ عيالي لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني، والله حائل بيني وبينك»، فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا نكذّبك، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للاسلام، وساقني هذا المساق، ثم تشهد شهادة الحقّ، فقال رسول الله ﷺ: «فقّهوا أخاكم في دينه، وعلّموه القرآن، وأطلقوا له أسيره»، ففعلوا، ثم قال: يا رسول الله إني كنت جاهداً في إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله، وإني أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى الاسلام، لعلّ الله أن يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي أصحابك في دينهم، فأذن له، فلحق بمكّة، وكان صفوان حين خرج عمير يقول لقريش: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه، فحلف أن لا يكلّمه أبداً، ولا ينفعه بنفع أبداً، فلما قدم مكّة أقام بها يدعو إلى الاسلام ويؤدى من خالفه ، فأسلم على يديه ناس كثيرة.... (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص١٦٧، والبداية والنهاية لابن كثير ج٣: ص٣٨١، والسيرة الحلبية ج٢: ص٤٥٦). وإلى غير ذلك من موارد اغتيال النبي ﷺ وإيذائه ﷺ، فإذا كان عتاة قريش والأعداء الإسلام لديهم هذه الرهبة والسطوة والغلبة في بداية دعوة النبي ﷺ إلى الاسلام، وكانوا يريدون إطفاء نور الله، فهل وجود الرهبة من علائم الحقانية؟!!!

ومرجعة مؤمنهم إلى الكفر[1]؟

---

(١) لا يخفى على الباحث المتتبّع في الآثار والمتدبّر في الأخبار أساليب المشركين في مواجهة المسلمين بعد مدّة من بدأ الرسول الأعظمﷺ الدعوة إلى الإسلام، وبعد بناء القاعدة الصلبة للدعوة المتمثّلة بأولئك الروّاد الأوائل من المسلمين الذين انتموا للإسلام في أيّام غربته، تلقّى النبيّﷺ أمراً من الله تعالى بالمجاهرة بالدعوة وعدم الخوف من المشركين: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ* إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (سورة الحجرات:٩٤-٩٥).

ومن البديهي، أن الدعوة إلى التوحيد الخالص المصاحبة لتحطيم نظام الشرك وعبادة الأصنام في تلك البيئة وفترتها كانت في الواقع عملاً مخيفاً، واستهزاء المشركين وسخريّتهم كان معلوماً عند الله من قبل أن يمارس، ولهذا أراد الله تعالى تقوية قلب نبيّهﷺ كي لا يخشى المستهزئين، ويعلن رسالته بكلّ قوّة على الملأ ويشرع بجهاد منطقي معهم، فمنذ ذلك الوقت دخلت دعوة الرسولﷺ مرحلة جديدة؛ إذ كان ردّ فعل قريش أمام جهرهﷺ بالدعوة، أن أدبروا عنه وتنكّروا لدعوته خصوصاً بعدما ذكر آلهتهم وعابها. وبما أنّ النظام القبليّ الذي كان سائداً في مكّة، فلجأوا إلى المحاولات اتّباع سياسة الإرهاب والتعذيب: والتنكيل بالصفوة المؤمنين.

لمّا رأت قريش دخول خلق عظيم في الإسلام بدأت بالمواجهة الفعليّة. وعمل كفار قريش على إنزال أشدّ أنواع العذاب بالمسلمين، فكان ممّن عذّب في الله بلالاً، قال: وأما بلالاً فهانت عليه نفسه في الله عزّ وجلّ وهان على قومه فأخذوه فكتفوه ثم جعلوا في عنقه حبلا من ليف فدفعوه إلى صبيانهم فجعلوا يلعبون به بين أخشبي مكة فإذا ملوا تركوه (انظر أسد الغابة لابن الأثير ج١: ص٢٠٩).

وعمّار بن ياسر، وياسر أبوه، وسميّة أمّه، حتّى قتل أبو جهل سميّة، فكانت أوّل شهيدة في الإسلام.. عندها أمر النبيّﷺ المسلمين بالهجرة إلى الحبشة في السنة الخامسة من البعثة وقال لهم: «إنّ بها مَلِكاً لا يُظلم عنده أحد» (انظرتاريخ الطبري ج٢: ص٢٢٢). وإذا كان الملاك الحقّ الرهبة فإنّ المشركين الذين كانوا يعذّبون المسلمين في الصدر الأوّل كان ←

وما الرغبة والرهبة التي قد ردتا طليحة والعنبسي ومن تابعهما عن الدين[١]؟

➔

لديهم الرهبة؛ إذ كانوا يعذّبون المسلمين فكانوا غالبين بحسب الظاهر فهل وجود الرهبة من علائم الحقانية؟!!!

(١) فإنّ طليحة بن خويلد ارتدّ عن الإسلام وادّعى النبوة، وكذلك مسيلمة والعنسي، وهما أشهر من أن يعرفا. أمّا طليحة بن خويلد فهو من قادة حروب الردة بعد وفاة النبيصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سنّة الحادية عشرة من الهجرة، فادّعى النبوة في قومه بني أسد وتبعه بعض بني طي وغطفان في أرض نجد، واجتمع المرتدين لغزو المدينة بقيادته، كما جاء في تاريخ الطبري وابن الأثير (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٤٣١، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص٣٤٣).

وتتلخّص حكاية طليحة أنه ادّعى النبوّة في حياة رسول اللهصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فوجه إلى حربه ضرار بن الأوس، فأفلت منه، ولكن ضعف أمره.. ثم قوي بعد وفاة النبيصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لكثرة المرتدين، وعزم أن يغزو بهم المدينة ويحتلّها. قال ابن الأثير في حوادث سنة الحادية عشرة من الهجرة: ارتدّت العرب، وتضرّمت الأرض ناراً بعد وفاة رسول اللهصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سنة الحادية عشرة من الهجرة وارتدّت كلّ قبيلة عامّة أو خاصّة إلا قريشاً وثقيفاً، واستغلظ أمر مسيلمة وطليحة. ولمّا علم المسلمون بغزو طليحة المدينة تماسكوا واتّفق الصحابة كلمة واحدة على حربه، وخرج الإمام من عزلته، ورابط بنفسه في مكان قريب من المدينة، واقتدى به آخرون، وأغار طليحة على المدينة ليلاً، وكان المسلمون له بالمرصاد، فهزموه وفرقوا جمعه وقتلوا العديد من عسكره، ولم يصب أحد من المسلمين، ثم لحقت جيوش الإسلام بطليحة الفار، فانصرف عنه أصحابه بعد إيقانهم بكذبه، وهرب هو إلى الشام، ونزل ببني كلب، وأظهر التوبة والإسلام ليسلم من القتل ولمّا مات أبو بكر وبويع عمر أتاه وبايعه، فخشيت إن لم أنصر الاسلام وأهله أن أرى فيه ثلما أو هدما تكون المصيبة به

➔

➔

علي أعظم من فوت ولايتكم إلخ (انظر المغازي للواقدي ج١: ص٤٧٠).

وأمّا مسيلمة والعنسي فهما وكانا يستغويان أهل بلادهما إلا أنّه لم يظهر أمرهما إلا في حال مرض رسول الله ﷺ، وكان ﷺ قد لحقه مرض بعيد عوده من الحج ثم عوفي، ثم عاد فمرض مرض الموت، قال أبو مويهبة : لما رجع رسول الله ﷺ من حجّه طارت الاخبار بأنه قد اشتكى، فوثب الأسود باليمن ومسيلمة باليمامة فأمّا الأسود العنسي فاسمه عهيلة بن كعب، وكان كاهناً يشعبذ ويريهم الأعاجيب ويسمي منطقه قلب من يسمعه، وكان أول خروجه بعد حجّة رسول الله ﷺ فسار إلى صنعاء، فأخذها، فكتب فروة بن مسيك إلى رسول الله ﷺ بخبره وكان عامل رسول الله ﷺ على مراد، وخرج معاذ بن جبل هارباً حتى مرّ بأبي موسى الأشعري وهو بمارت فاقتحما حضر موت، ورجع عمروبن خالد إلى المدينة، وقتل شهر بن باذام وتزوج امرأته، وكانت ابنة عم فيروز، فأرسل رسول الله ﷺ إلى نفر من الأبناء رسولاً، وكتب إليهم أن يحاولوا الأسود إما غيلة، وإما مصادمة، وأمرهم أن يستنجدوا رجالاً سماهم لهم ممن حولهم من حمير وهمدان، وأرسل إلى أولئك النفر أن ينجدوهم، فدخلوا على زوجته فقالوا: هذا قد قتل أباك وزوجك فما عندك؟ قالت: هو أبغض خلق الله إلي، وهو مجرد، والحرس محيطون بقصره إلا هذه البيت، فانقبوا عليه، فنقبوا، ودخل فيروز الديلمي فخالطه فأخذ برأسه فقتله، فخار خوار ثور فابتدر الحرس الباب فقالوا: ما هذا؟ فقالت: النبي يوحى إليه ثم خمد، وقد كان يجئ إليه شيطان فيوسوس له فيغط ويعمل بما قاله، فلما طلع الفجر نادوا بشعارهم الذي بينهم ثم بالأذان وقالوا فيه: أشهد أن محمداً رسول الله، وأن عهيلة كذّاب، وشنوها غارة، وتراجع أصحاب رسول الله ﷺ إلى أعمالهم، وكتبوا إلى رسول الله ﷺ بالخبر فسبق خبر السماء إليه فخرج رسول الله ﷺ قبل موته بيوم أو بليلة فأخبر الناس بذلك، فقال: قتل الأسود البارحة، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين، قيل: ومن هو؟ قال فيروز، فاز فيروز، ووصل الكتاب ورسول الله ﷺ (انظر المنتظم لابن الجوزي ج٤: ص١٧).

➔

ومن حضر سبب كتمان الحق في الرغبة والرهبة حتى يزعم من تسمى بأهل السنّة أن بيعة الثلاثة خالية منهما فتصير حقاً[(١)]؟

➔

والنتيجة أنّ الإيمان الحقيقي هو الإيمان خالي من الرغبة والرهبة، فأين الرغبة والرهبة في ارتداد طليحة والعنبسي ومن تابعهما؟!!

(١) وتوضيح المقام أنّ ما زعمه ابن تيمية من أنّ بيعة الخلفاء الثلاثة كانت خالية من الرغبة والرهبة باطل، لأنّ هذه الدعوى متوقفة أولاً: على اثبات حصول البيعة، وثانياً: على إثبات أنّ البيعة الحاصلة كانت مشروعةً، وفلا بدّ له أولاً: أن يثبت هل أنّ البيعة حصلت لهم أم لا؟ من الواضح لدى الخبير أنّ البيعة المعتبرة عند أهل السنّة ليست كالانتخاب المتعارف في عصرنا، بل المعيار عندهم بتعيين الإمام شرعاً. أي مشروعة طريقة انتخاب الإمام، فلا بدّ أولاً من إثبات طريقة الانتخاب ومشروعيتها، ثم بيعة الناس له عن اختيار وطيّبة نفس، لا أنّ البيعة بنفسها توجب المشروعية. ولذلك اختلف أهل السنّة فيما تنعقد به الإمامة قبل البيعة، من أنّها هل تكون باختيار أهل الحلّ والعقد؟ أو بإجماع الأمّة؟ أو باختيار جماعة، واختلفوا في عدده، فاختار بعضهم كفاية اختيار الحاضرين منهم فقط، وبعضهم كفاية خمس نفرات، وبعضهم ثلاثة وبعضهم نفر واحد! فلا بدّ لابن تيمية من إثبات أنّ هذه الطريقة لاختيار الإمام مشروع في الإسلام، ويقيم الدليل على ذلك بالكتاب والسنّة. ثم بيعة الناس له عن الطوع والاختيار، فلا بدّ لابن تيميّة أولاً: من إثبات الدعوى في تعيين الإمام، ثم إثبات حصول البيعة الشرعيّة له، ثم يدعي أوصاف تلك البيعة بأنّها هل كانت خالية من الرغبة والرهبة أم لا؟

وبعبارة أخرى ثبت العرش ثم انقش!! فأولاً: لا بدّ له من اثبات تحقق البيعة المشروعة عند أهل السنّة والجماعة، ثم دعوى أوصافها، فلاحظ.

فيا عجبى منهم حيث يعرضون عن السنن الصحيحة ويتعلّقون بزخاريف المقال المعلوم فسادها بأدنى نظر وتروي فيهما نبهّنا عليه وما شابهه من المثال(١).

وسادسها: ما نقله عن أيوب وأحمد بن حنبل وقطني وغيرهم(٢)؛

---

(١) وبعبارة أوضح أنّ الجاهل كالأعمى لا يبصر، والجاهل المعاند دأبه التشبث بالكذب والإفتراء والدعوى بلا دليل وما شابه ذلك.

(٢) وملخّص الكلام أنّه وقع مشاجرة غير علميّة بين علماء أهل السنّة في تفضيل الصحابة بعضهم على بعض، وكذلك في تفضيل خلفائهم، بعضهم على بعض بلا ملاك في الأفضليّة؛ لأنّهم لم يقيموا الدليل على اعتبار أقوالهم، بل الدليل قائم على بطلان هذه الدعاوي؛ لأنّ التفضيل الصحيح هو ما كان مستنداً إلى الأدّلة المعتبرة من الكتاب والسنّة الصحيحة، فالدعوى أنّ أبا بكر أفضل الخلفاء، والخلفاء أفضل الصحابة مردود، أولاً: بعدم قيام الدليل عليه، وثانياً بالأخبارالمعتبرة عند أهل السنة؛ إذ لو كان التفضيل صحيحاً لماذا جعل النبيﷺ أسامة بن زيد أميراً علي أبي بكر وعمر وعثمان، عندما عقد له اللواء لغزو الروم، فأمر رسول اللهﷺ الخلفاء الثلاثة بالتحاقهم بجيش أسامة، يقول ابن حجر: كان تجهيز أسامة قبل موت الرسولﷺ بيومين فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر، ودعا أسامة فقال: سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش.. فعقد الرسول لأسامة لواء بيده. وكان ممن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر وأبي عبيدة وسعد وسعيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم.... (انظر فتح الباري ج٨: ص١٥٢). وهذا الخبر من المتواترات عند أهل السنّة والجماعة، فإذا كان أبو بكر تحت أمر أسامة معناه أنّ النبيﷺ فضله عليه وعلى خلفاء الثلاثة، وهذا دليل قطعي، ولا أثر لما نقل ابن تيمية عن أيوب السجستاني وأحمد بن حنبل وقطني وغيرهم؛ حيث أنّ دعوى التفضيل بلا دليل لا أثر له، فلاحظ.

فإنّه من أعظم المشاقات لله ورسولهﷺ وأقبحها وأغربها وأسخطها لله ورسولهﷺ(١)؛

---

(١) لا شكّ أنّ الباحث المتجرّد عن العصبيّة والطائفيّة لو راجع مصادر الحديث والتاريخ سيكتشف له أنّ الصحابة قد تمرّدوا عن أمر الله ورسولهﷺ، فهم أوّل من خالف الله ورسولهﷺ، بل المصادر المعتبرة عند أهل السنّة مشحونة بأنّ كبار الصحابة عند أهل السنّة كأبي بكر وعمر وعثمان كانوا أكثر الناس مخالفة لرسول اللهﷺ، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيّران أن يهلكا، أبا بكر وعمر!! رفعا أصواتهما عند النبيﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر... فقال أبو بكر لعمر: ما أردتَ إلا خلافي! قال: ما أردتُ خلافك. فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿**يا أيُّها الذينَ آمنوا لا تَرفعُوا أَصواتَكُمْ.....**﴾ (الآية)، قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمع رسول اللهﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه. ولم يذكر ذلك عن أبيه، يعني أبا بكر! (صحيح البخاري ج٦: ص٤٦ كتاب التفسير، باب تفسير سورة الحجرات، وج٨: ص١٤٥، كتاب الإعصام بالكتاب والسنة، باب ما يكرهمن التعمق والتنازع في العلم). فالتعابير الموجودة في الأخبار مشعر عن شدة المخالفة أبي بكر وعمر لله ورسوله، وهذا الحديث الصحيح عند جميع أهل السنّة فيه التصريح على ذلك، لأنّ الله تبارك وتعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾ (سورة الحجرات:٢). وهؤلاء الصحابة على رؤوس الأشهاد قد خالفوا الله ورسوله، بل ولم يكتفوا بذلك حيث كان لهما دوراً كبير في المخالفة لأوامرالله ورسولهﷺ والقيادة الإلهية، ومنها مخالفتهما قبل معركة بدر، فقد روى الواقدي في الغازي عن أبي قيس بن محرث، قال: وخرج رسول اللهﷺ فصام يوماً أو يومين، ثم رجع ونادى مناديه: يا معشر العصاة، إني مفطرٌ فأفطروا! وذلك أنه قد كان قال لهم قبل ذل أفطروا، فلم يفعلوا! ومضى ←

➔

رسول الله صلى الله عليه وآله حتى إذا كان دُوَين بدر، أتاه الخبر بمسير قريش، فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بمسيرهم، واستشار رسول الله صلى الله عليه وآله الناس، فقام أبو بكر فقال: وأحسن، ثم قام عمر فقال: وأحسن، ثم قال: يا رسول الله، إنها والله قريش وعزّها، والله ما ذلّت منذ عزّت، والله ما آمنت منذ كفرت، والله لا تسلم عزّها أبداً، ولتقاتلنّك، فاتّهب لذلك أهبته وأعدّ لذلك عدّته (انظر المغازي ج١: ص ٤٨). ولكن الطبري في تاريخه وابن هشام في سيرته لم يذكرا مقالة عمر المثبطة، واكتفيا بالقول: فقال وأحسن... (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٤٣٢، وسيرة ابن هشام ج٢: ص٢٥٣، وقال الذهبي: فاستشار الناس فقالوا خيراً، تاريخ الاسلام: المغازي: ٥١). وغير أنّ ما جاء في صحيح مسلم، يثبت أن مقالة عمر لم تترك أثراً حسناً في نفس النبي صلى الله عليه وآله لأنه قال: فتكلّم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلّم عمر فأعرض عنه... (انظر صحيح مسلم ج٥: ص ١٧٠ كتاب المغازي، باب فتح مكة). فلو كان أبو بكر وعمر قد أحسنا لما أعرض عنهما النبي صلى الله عليه وآله ويشبه هذا الموقف من الشيخين، موقفاً آخر لهما، فعن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «جاء أناس من قريش فقالوا: يا محمد، إنّا جيرانك وحلفاؤك، وإن أناساً من عبيدنا قد أتوك ليس بهم رغبة في الدين ولا رغبة في الفقه، وإنما فرّوا من ضياعنا وأموالنا فارددهم إلينا. فقال لأبي بكر: ما تقول؟ قال: صدقوا، إنهم لجيرانك وأحلافك! فتغيّر وجه رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال لعمر: ما تقول؟ قال: صدقوا، إنهم لجيرانك وحلفاؤك! فتغيّر وجه رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا معشر قريش، والله ليبعثن الله عليكم رجلاً قد امتحن الله قلبه بالإيمان، فيضربكم على الدين، أو يضرب بعضكم، فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله؟ قال: لا. قال عمر: أنا يا رسول الله؟ قال: لا، ولكنه الذي يخصف النعل! وكان قد أعطى علياً نعلاً يخصفها» (انظر فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج١: ص٨٠٦ ح١١٠٥، وخصائص أميرالمؤمنين عليه السلام للنسائي: ص٦٨). هذا، إضافة إلى موقف عمر بن الخطاب في صلح الحديبيّة وفي غيرها ومواقف غيره من الصحابة في كثير من المواطن.

ومن الأمور التي أصبح متسالماً عليها عند الجمهور هو حديث المغفرة لأهل بدر، وأصحاب

🡐

➔

الشجرة والعقبيين وما إلى ذلك، ويروون في ذلك أحاديث وروايات. منها ما ورد في قصة حاطب بن أبي بلتعة، والتي ملخصها أنه بعث امرأة لتخبر قريشاً عن مسير النبيﷺ لفتح مكة، فأعلمه الله بذلك فأرسل علياً والزبير فأخذا المرأة واسترجعا كتاب حاطب منها، فاتهم عمر حاطباً بالنفاق وحرّض النبي على قتله، فقال له النبيﷺ ضمن حديث: «لعل الله اطّلع إلى أهل بدر» فقال: «اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، وقد غفرت لكم...» (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١٠ كتاب المغازي، باب غزوة بدر). وعن جابر: أن غلام حاطب بن أبي بلتعة قال: يا رسول الله، والله ليدخلن حاطب النار، فقال النبيﷺ: "كذبت، إنه شهد بدراً والحديبية" (انظر صحيح مسلم ج٧: ص١٦٩ كتاب الفضائل، باب فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين). إن هذا يستلزم أن يكون أهل بدر مغفوراً لهم، وأن يكونوا جميعاً من أهل الجنّة مهما فعلوا، ولا يخفى على الباحث المحقّق ما يرمي إليه ذلك، فان عدداً من كبار الصحابة، أو بالأحرى معظمهم - ممن تلبسوا بالفتن بعد ذلك - هم من البدريّين، فجاءت هذه الأحاديث المفتعلة لتبرئ ساحتهم وتوحي بعفو الله عنهم حتى لو ارتكبوا كل تلك الأعمال الفظيعة. إلا أن الواقع يثبت عدم صحة مثل تلك الأحاديث التي اختلقتها يد السياسة، ففي ترجمة الصحابي ثعلبة بن حاطب، قال ابن عبد البر: شهد بدراً وأُحداً، وهو مانع الصدقة فيما قال قتادة وسعيد بن جبير، وفيه نزلت ﴿**وَمِنهُمْ مَنْ عاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتانَا مِنْ فَضله لنَصَّدّقَنَّ ولَنكونَنَّ مِنَ الصالحينَ* فلمّا آتاهُمْ مِنْ فَضله بَخلوُا به وَتولّوا وَهُم مُعرضُونَ* فأَعقَبَهُمْ نفاقاً في قُلوبهمْ إلى يَومَ يَلقونَهُ بما أَخلَفُوا اللهَ ما وَعدُوه وَما كانُوا يَكذبونَ**﴾ (سورة التوبة:٧٥ — ٧٧). قال الفخر الرازي: والمشهور في سبب نزول هذه الآية أن ثعلبة بن حاطب قال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً، فقالعليه السلام: "يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه"، فراجعه وقال: والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حقّ حقّه، فدعا له، فاتّخذ غنماً، فنمت كما ينمو الدود، حتى ضاقت بها المدينة، فنزل وادياً بها، فجعل يصلي الظهر والعصر ويترك ما سواهما، ثم

➔

➔

نمت وكثرت حتى ترك الصلوات إلا الجمعة، ثم ترك الجمعة، وطفق يتلقى الركبان يسأل عن الأخبار وسأل رسول الله ﷺ عنه، فأخبر بخبره، فقال: "يا ويح ثعلبة"، فنزل قوله ﴿**خُذْ مِنْ أَموالهمْ صَدَقة**﴾ فبعث إليه رجلين وقال: "مُرا بثعلبة فخذا صدقاته"، فعند ذلك قال لهما: ما هذه إلا جزية، أو أخت الجزية، فلم يدفع الصدقة، فأنزل الله تعالى ﴿**وَمنهمْ منْ عاهدَ اللهَ**﴾ فقيل له: قد أنزل فيك كذا وكذا، فأتى الرسول عليه السلام وسأله أن يقبل صدقته، فقال: "إن الله منعني من قبول ذلك"، فجعل يحثي التراب على رأسه، فقال (عليه الصلاة والسلام): "قد قلت لك فما أطعتني"، فرجع إلى منزله، وقُبض رسول الله ﷺ، ثم أتى أبا بكر بصدقته، فلم يقبلها اقتداء بالرسول ﷺ، ثم لم يقبلها عمر اقتداء بأبي بكر، ثم لم يقبلها عثمان، وهلك ثعلبة في خلافة عثمان (تفسير الفخر الرازي ج١٦: ص١٣٨). أخرج هذه القصة معظم المفسّرين، وتحيّر القرطبي في الأمر، فقال: وجاء فيمن شاهد بدراً يعارضه قوله تعالى في الآية: ﴿**فأَعقَبَهمُ نفاقاً في قُلوبهم....**﴾ (انظر الجامع لأحكام القران للقرطبي ج٨: ص٢٠٩) فهذا الصحابي، وإن كان بدرياً أُحدياً، إلا أن الله طبع على قلبه وأورثه نفاقاً، لخيانته ما عاهد الله ورسوله عليه!

وفي ترجمة معتب بن قشير، قال ابن حجر: ذكروه فيمن شهد العقبة، وقيل إنّه كان منافقاً، وأنه الذي قال يوم أُحد: لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا هاهنا! وقيل إنّه تاب، وقد ذكره ابن إسحاق فيمن شهد بدراً (انظر الإصابة لابن حجر ج٣: ص٤٤٣) فهذا أيضاً صحابي بدري أُحدي عقبي يقول مقالة ينزل فيها قرآن يتلى ذماً له.

قال السيوطي: أخرج ابن أبي حاتم عن السدي، قال: حفر رسول الله ﷺ الخندق واجتمعت قريش وكنانة وغطفان، فاستأجرهم أبو سفيان بلطيمة قريش، فأقبلوا حتى نزلوا بفنائه، فنزلت قريش أسفل الوادي، ونزلت غطفان عن يمين ذلك، وطليحة الأسدي في بني أسد يسار ذلك، وظاهرهم بنو قريظة من اليهود على قتال النبي ﷺ، فلما نزلوا بالنبي ﷺ تحصّن بالمدينة، وحفر النبي ﷺ الخندق، فبينما هو يضرب فيه بمعوله إذ وقع المعول في صفاً، فطارت منه كهيئة الشهاب من النار في السماء، وضرب الثاني فخرج مثل ذلك،

➔

➔
فرأى ذلك سلمان رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، قد رأيت يخرج من كل ضربة كهيئة الشهاب فسطع الى السماء، فقال: «لقد رأيت ذلك؟»، فقال: نعم يا رسول الله. قال: «تفتح لكم أبواب المدائن، وقصور الروم، ومدائن اليمن!» ففشا ذلك في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، فتحدّثوا به، فقال رجل من الأنصار يدعى قشير بن معتب أيعدنا محمد أن يفتح لنا مدائن اليمن، وبيض المدائن، وقصور الروم، وأحدنا لا يستطيع أن يقضي حاجته إلا قُتل، هذا والله الغرور! فأنزل الله تعالى في هذا ﴿**وَإِذْ يقولُ المُنافِقونَ والَّذينَ في قُلوبِهِمْ مَرضٌ ما وَعَدنا اللهُ وَرسُولُه إلاّ غُرور**﴾ (انظر الدر المنثور ج٥: ص١٨٧).

وفي معركة أُحد إنهزم معظم الصحابة وتركوا النبي صلى الله عليه وآله في مواجهة العدو، ولما ذاع في الناس أن النبي قد قُتل، قالت فرقة منهم "نلقي إليهم بأيدينا فإنهم قومنا وبنو عمّنا، وهذا يدلّ على أن هذه الفرقة ليست من الأنصار، بل من المهاجرين (انظر السيرة الحلبية ج٢: ص٢٧٧)؛ وإلى غير ذلك من المخالفات التي ارتكبها الصحابة لا سيّما الخلفاء الجور، وإذا كان هؤلاء الصحابة قد ذمّهم القرآن والسنّة النبويّة، فبأي دليل يفضّلون على غيرهم؟ وأمّا مخالفة غاصبين للخلافة فإنّها من أعظم المشاقات لله ورسوله صلى الله عليه وآله وأقبحها وأغربها وأسخطها لله ورسوله صلى الله عليه وآله وذلك يعرف من كلام الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبته الشقشقية الشهيرة التي ستأتي نبذ منها فيما بعد. ولقد حاول أبو بكر وعمر طمس الحقائق التي نزلت في ولاية الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ووصايته وما نزل فيه، بما لديهم من حول وقوة وبيدهم القدرة والسطوة فقربوا أعوانهم، والناس على دين ملوكهم، وأعطوهم المناصب والقدرة، وأبعدوا أولياء الله من آل البيت عليهم السلام وبني هاشم، والنخبة من الصحابة الموالين لآل البيت عليهم السلام وحجروا عليهم حتى الحديث والرواية وابداء الرأي ممّا يخالف آراءهم وأفكارهم، ومنعوهم من الخروج إلى خارج المدينة كما منعوا أعوانهم من التحدث واعلان الرواية، وكلّما مرّ الزمان ازدادوا ثباتاً وضعف آل البيت عليهم السلام وأعوانهم من الصحابة وقتلهم وتفرّقهم، وكثرت الحوادث الجديدة، وتباعدت العهود، وبدأ النسيان يستولي على الماضي ودخل
➔

فإنّ علياًعليه السلام حسبما عرفت إنّما تقدم على غيره من الخلق بعد خير الرسلصلى الله عليه وآله بأمر الله ورسولهصلى الله عليه وآله(١)،

في الاسلام عناصر جديدة من المنافقين وأعداء الاسلام من الطلقاء، ومن أولئك الذين لعنهم رسول اللهصلى الله عليه وآله وأهدر دماءهم من بني أمية وآل معيط وابن العاص والمغيرة بن شعبة وأشباههم، وهم يتحينون الفرص للوقيعة أكثر فأكثر، والطيور على أمثالها تقع، فقد جاء أبو بكر بعمر وآل أمية وجاء عمر بآل أميّة وابن العاص والمغيرة وأمثالهم، وجاء عثمان بآل أمية وآل معيط وكل من طرده رسول اللهصلى الله عليه وآله وأقصاه وحذر منه. فلو عددنا هذه المخالفات والمشاقات لله والرسولصلى الله عليه وآله لطال بنا المقام، وسنذكر التفاصيل في محلها إن شاء الله تعالى.

(١) لقد حفلت المصادر الإسلامية بالنصوص المتواترة والكثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية، والتي دلّت على إمامة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وأحقيّته بالخلافة والإمامة والقيادة بعد النبيصلى الله عليه وآله مباشرةً، وإنّ الآثار المرويّة على لسان النبيصلى الله عليه وآله تكشف اللثام عن وجه الحقيقة وتعرب عن التفاف ثلة من المهاجرين والأنصار حول الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في حياة الرسولصلى الله عليه وآله وكانوا معروفين بشيعة عليعليه السلام، وذلك لانّ النبيّصلى الله عليه وآله سمّاهم الشيعة ووصفهم بأنّهم الفائزون، وإليك بعض ما ورد في المقام فمنها: ما أخرجه ابن عساكر بسنده عن جابر بن عبد اللّه، قال: كنّا عند النبيصلى الله عليه وآله فأقبل عليّعليه السلام، فقالصلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، ونزلت: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾ (سورة البينة: ٧)، فكان أصحاب النبيصلى الله عليه وآله إذا أقبل عليّ قالوا: جاء خير البرية (الدر المنثور ج٦: ص٣٧٩). ومنها: ما أخرجه ابن عدي بسنده عن ابن عباس قال: لمّا نزلت: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾ قال رسول اللهصلى الله عليه وآله لعليّعليه السلام: «هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين» (انظر فتح القدير للشوكاني

فإنّ الله سبحانه قد حصر نطقه بالوحي فبيّن عن الوحي حسبما مضى نقله تقدم علي عليه السلام بالفضل على غيره، وبالنصوص العديدة على إمامته من بعده[1]،

ج٥: ص٤٧٧). ومنها: ما أخرجه الخوارزمي بسنده عن سلمان الفارسي: أنه سمع يقول صلى الله عليه وآله: «إن أخي ووزيري وخير من أخلفه بعدي علي بن أبي طالب عليه السلام» (المناقب للخوارزمي: ص١١٢ ح١٢١). ومنها: ما رواه الحمويني باسناده عن الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من لم يقل علي خير الناس فقد كفر» (فرائد السمطين ج١: ص١٥٤ ح١١٦)، ورواه ابن عساكر في ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ج٢: ص٤٤٤ ح٩٥٤ وغيره.

ومنها: ما أخرجه الكنجي الشافعي بسنده عن جابر قال: سئل عن علي، فقال: ذاك خير البشر لا يبغضه إلا كافر؛ وروي عن عطا قال: سألت عائشة عن علي عليه السلام فقالت: ذاك خير البشر، لا يشك فيه إلا كافر (كفاية الطالب: ص٢٤٦). وإلى غير ذلك من الروايات التي سيأتي ذكرها وهي كثيرة جداً، وهي تدلّ بالصراحة على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وتقدّمه على جميع الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ شيعته هم الفائزون على لسان النبي صلى الله عليه وآله، فلاحظ.

(١) لقد وردت آيات عديدة واضحة الدلالة في فضل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ذكرتها مصادر أهل السنّة، نذكر منها: قوله تعالى: ﴿**أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ**﴾ (سورة هود: ١١٧)؛ وقدجاء في تفسير الدر المنثور للسيوطي: أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الآية أنّه قال: «رسول الله صلى الله عليه وآله على بيّنة من ربّه وأنا شاهد منه» (الدر المنثور ج٣: ص٣٢٤). وأخرج ابن حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة عن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «ما من رجل من قريش إلا نزل فيه طائفة من القرآن»، فقال له رجل: ما

➔

نزل فيك؟ قال: «أما تقرأ سورة هود: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾، رسول الله صلى الله عليه وآله على بيّنة من ربّه وأنا شاهد منه» (الدر المنثور ج٣: ص٣٢٤).
وأخرج ابن مردويه من وجه آخر عن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ (أنا) وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ (علي)» (الدر المنثور ج٣: ص٣٢٤).

وجاء في تفسير القرطبي: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾، ابتداء والخبر محذوف، أي أفمن كان على بيّنة من ربّه في اتّباع النبي صلى الله عليه وآله ومعه من الفضل ما يتبيّن به كغيره ممّن يريد الحياة الدنيا وزينتها؟! عن عليّ بن الحسين والحسن بن أبي الحسن. وكذلك قال ابن زيد: إنّ الّذي على بيّنة هو من اتّبع النبي صلى الله عليه وآله، ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِد مِنْهُ﴾ من الله، وهو النَبي صلى الله عليه وآله وقيل المراد بقوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَة مِنْ ربّه﴾ النبي صلى الله عليه وآله والكلام راجع إلى قوله: وضائق به صدرك (سورة هود:١٢)، أي أفمن كان معه بيان من الله، ومعجزة كالقرآن، ومعه شاهد كجبريل – على ما يأتي – وقد بشّرت به الكتب السالفة يضيق صدره بالإبلاغ، وهو يعلم أنّ الله لا يسلمه، والهاء في ﴿رَبّه﴾ تعود عليه، ويتلوه شاهد منه. وروى عكرمة عن ابن عبّاس أنّه جبريل، وهو قول مجاهد والنخعي، والهاء في ﴿مِنْهُ﴾ لله عزّ وجلّ، أي ويتلو البيان والبرهان شاهد من الله عزّ وجلّ، وقال مجاهد: الشاهد ملك من الله عزّ وجلّ يحفظه ويسدّده، وقال الحسن البصريّ وقتادة: الشاهد لسان رسول الله صلى الله عليه وآله، قال محمّد بن عليّ بن الحنفيّة: قلت لأبي أنت الشاهد؟ فقال: وددت أن أكون أنا هو، ولكنّه لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وقيل: هو عليّ بن أبي طالب؛ روي عن ابن عبّاس أنّه قال: هو علي بن أبي طالب، وروي عن عليّ أنّه قال: «ما من رجل من قريش إلا وقد أنزلت فيه الآية والآيتان»، فقال له رجل: أيّ شيء نزل فيك؟ فقال علي: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِد منْهُ﴾ (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٩: ص١٦).

ومنها قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ (سورة السجدة:١٨)،
➔

➔

وقد جاء في تفسير الدر المنثور للسيوطي: أخرج أبو الفرج الإصبهاني في كتاب الأغاني، والواحدي وابن عدي وابن مردويه والخطيب وابن عساكر من طريق عن ابن عباس قال: قال الوليد بن عقبة للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: أنا أحدّ منك سناناً، وأبسط منك لساناً، وأملأ للكتيبة منك، فقال الإمام عليه السلام: «اسكت فإنّما أنت فاسق»، فنزلت: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ يعني بالمؤمن علياً، وبالفاسق الوليد بن عقبة بن أبي معيط. أخرج ابن إسحاق وابن جرير عن عطاء بن يسار قال: نزلت بالمدينة في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة، قال: كان بين الوليد وبين علي كلام، فقال الوليد بن عقبة: أنا أبسط منك لساناً...، فقال علي عليه السلام: «اسكت فإنّك فاسق»، فأنزل الله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾. أخرج ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾، قال: نزلت في علي بن أبي طالب يعني المؤمن، والوليد بن عقبة يعني الفاسق. أخرج ابن مردويه والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس في قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا...﴾ قال: أمّا المؤمن فعلي بن أبي طالب عليه السلام، وأمّا الفاسق فعقبة بن أبي معيط، وذلك لسباب كان بينهما فأنزل الله ذلك (انظر الدر المنثور ج٥: ص١٧٨).

وجاء في تفسير القرطبي، في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ أي ليس المؤمن كالفاسق، فلهذا آتينا هؤلاء المؤمنين الثواب العظيم، قال ابن عبّاس وعطاء بن يسار: نزلت الآية في عليّ بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وذلك أنّهما تلاحيا فقال له الوليد: أنا أبسط منك لساناً وأحدّ سناناً وأردّ للكتيبة - وروي وأملأ في الكتيبة - جسداً، فقال له علي: «اسكت! فإنّك فاسق»، فنزلت الآية.. وذكر الزجّاج والنحّاس أنّها نزلت في عليّ وعقبة بن أبي معيط، قال ابن عطيّة: وعلى هذا يلزم أن تكون الآية مكّيّة، لأنّ عقبة لم يكن بالمدينة، وإنّما قتل في طريق مكّة منصرف رسول الله صلى الله عليه وآله من بدر، ويعترض القول الآخر باطلاق اسم الفسق على الوليد، وذلك يحتمل أن يكون

🡐

➔

في صدر إسلام الوليد لشيء كان في نفسه، أو لمّا روي من نقله عن بني المصطلق ما لم يكن، حتّى نزلت فيه: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (سورة الحجرات: ٦) (انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٤: ص١٠٥).

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (سورة البينة:٧)، وقد جاء في تفسير الدر المنثور للسيوطي: أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنّا عند النبيﷺ فأقبل عليعليه السلام، فقال النبيﷺ: «والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة» ونزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾. فكان أصحاب النبيﷺ إذا أقبل علي قالوا : جاء خير البريّة. وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال: لمّا نزلت الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ قال رسول اللهﷺ لعلي: «هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين»، وأخرج ابن مردويه عن علي، قال: قال رسول اللهﷺ: «ألم تسمع قول الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ...﴾ الآية أنت وشيعتك موعدي وموعدكم الحوض (انظر الدر المنثور ج٦: ص١٦٩).

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (سورة الأحزاب:٣٣)، وقد جاء في تفسير سنن الترمذي في كتاب تفسير القرآن: عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبيﷺ قال: لمّا نزلت هذه الآية على النبيﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجلّلهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلّله بكساء، ثمّ قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: «أنت على مكانك، وأنت على خير» (سنن الترمذي ج٥: ص٢١ ح٣٢٥٨). أخبرنا علي بن زيد عن أنس بن مالك: أنّ رسول اللهﷺ كان يمرّ بباب فاطمة ستّة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: «الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾» (سنن الترمذي ج٥: ص٢١ ح٣٢٥٩).

➔

➔

وأمّا في كتاب المناقب: حدّثنا قتيبة بن سعيد حدّثنا محمّد بن سليمان الأصبهاني عن يحيى بن عبيد عن عطاء قال: لما نزلت هذه الآية على النبيﷺ ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ في بيت أم سلمة، فدعا النبيﷺ فاطمة وحسناً وحسيناً فجلّلهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلّله بكساء، ثمّ قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: «أنت على مكانك، وأنت إلى خير» (مناقب ابن مردويه: ص ٣٠ ح ٤٧٩).

وعن ابن أبي رباح عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبيﷺ: حدّثنا محمود بن غيلان حدّثنا أبو أحمد الزبيري حدّثنا سفيان عن زبيد عن شهر بن حوشب عن أم سلمة: أنّ النبيﷺ جلّل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساءً، ثمّ قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قالﷺ: «إنّك إلى خير» (سنن الترمذي ج٥: ص٢١ ح ٣٢٥٩)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح (سنن الترمذي ج٥: ص٣٦١ ح ٣٩٦٤).

أمّا قول صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة في تفسير هذه الآية: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ومحمّد بن عبد الله بن نمير، واللفظ لأبي بكر قالا: حدّثنا محمّد بن بشر عن زكريا عن مصعب بن شيبة عن صفيّة بنت شيبة قالت: قالت عائشة: خرجﷺ غداةً وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه ، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء علي فأدخله، ثمّ قال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾. (صحيح مسلم ج٧: ص١٣٠ كتاب الفضائل، باب فضائل أهل بيت النبيﷺ).

ومنها: قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾ (آل عمران:٦١)، وقدجاء في تفسير الترمذي في كتاب المناقب في تفسير

➔

➔
هذه الآية: عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما يمنعك أن تسبّ أبا تراب؟ قال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله ﷺ فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهنّ أحب إليّ من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي وخلّفه في بعض مغازيه، فقال له علي: «يا رسول الله تخلّفني مع النساء والصبيان؟»، فقال رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبوّة بعدي»، وسمعته يقول يوم خيبر: «لأعطينّ الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله»، قال: فتطاولنا لها، فقال: «ادعوا لي علياً»، فأتاه وبه رمد، فبصق في عينه، فدفع الراية إليه، ففتح الله عليه، وأنزلت هذه الآية ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ**﴾، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهلي» (سنن الترمذي ج٥: ص٣٠١ ح٣٨٠٨)، وأخرج السيوطي في تفسير هذه الآية: ﴿**فَمَنْ حَآجَّكَ**﴾ جادلك من النصارى ﴿**فيه من بَعْد مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ**﴾ بأمره ﴿**فَقُلْ**﴾ لهم ﴿**تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ**﴾ فنجمعهم ﴿**ثُمَّ نَبْتَهِلْ**﴾ نتضرّع في الدعاء ﴿**فَنَجْعَل لَّعْنَةُ الله عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾ بأن نقول: اللهم العن الكاذب في شأن عيسى، وقد دعا ﷺ وفد نجران لذلك لما حاجّوه به فقالوا: حتّى ننظر في أمرنا ثمّ نأتيك فقال ذوو رأيهم: لقد عرفتم نبوّته وأنّه ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا، فوادعوا الرجل وانصرفوا، فأتوا الرسول ﷺ وقد خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي وقال لهم: «إذا دعوت فأمّنوا»، فأبوا أن يلاعنوا وصالحوه على الجزية، رواه أبو نعيم وعن ابن عباس قال: لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً، وروي: لو خرجوا لاحترقوا (تفسير الجلالين للسيوطي: ص٧٥).

ومنها: قوله تعالى: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ (سورة الشورى:٢٣)، وقدجاء في تفسير القرطبي: قال الزجاج: إلا المودة استثناء ليس من الأول، أي إلا أن تودوني لقرابتي فتحفظوني. والخطاب لقريش خاصة، قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد
➔

➔

وأبو مالك والشعبي وغيرهم. قال الشعبي: أكثر الناس علينا في هذه الآية فكتبنا إلى ابن عباس نسأله عنها، فكتب أن رسول الله ﷺ كان أوسط الناس في قريش، فليس بطن من بطونهم إلا وقد ولده، فقال الله له: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، إلا أن تودوني في قرابتي منكم، أي تراعوا ما بيني وبينكم فتصدقوني فـ"الْقُرْبَى" ها هنا قرابة الرحم، كأنه قال: اتبعوني للقرابة إن لم تتبعوني للنبوة، قال عكرمة: وكانت قريش تصل أرحامها فلما بعث النبي ﷺ قطعته، فقال: «صلوني كما كنتم تفعلون». فالمعنى على هذا: قل لا أسألكم عليه أجراً لكن أذكركم قرابتي، على أنه استثناء ليس من الأول، ذكره النحاس. وفي البخاري عن طاوس عن ابن عباس أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد، فقال ابن عباس: عجلت! إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بينكم من القرابة، فهذا قول. وقيل: القربى قرابة الرسول ﷺ، أي لا أسألكم أجراً إلا أن تودوا قرابتي وأهل بيتي، كما أمر بإعظامهم ذوي القربى. وهذا قول علي بن حسين وعمرو بن شعيب والسدي. وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس: لما أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين نودهم؟ قال: «علي وفاطمة وأبناؤهما». ويدل عليه أيضاً ما روي عن علي رضي الله عنه قال: «شكوت إلى النبي ﷺ حسد الناس لي»، فقال: «أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا». وعن النبي ﷺ: «حرّمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطّلب، ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غداً إذا لقيني يوم القيامة». وقال الحسن وقتادة: المعنى إلا أن يتودّدوا إلى الله عزّ وجل ويتقرّبوا إليه بطاعته. فـ"الْقُرْبَى" على هذا بمعنى القربة. يقال: قربة وقربى بمعنى، كالزلفة والزلفى. وروى قزعة بن سويد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «قل لا أسألكم على ما آتيتكم به أجراً إلا أن توادوا وتقربوا إليه بالطاعة». وروى منصور وعوف عن

➔

➔

الحسن ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قال: يتودّدون إلى الله عزّ وجلّ ويتقرّبون منه بطاعته. وقال قوم: الآية منسوخة وإنما نزلت بمكة، وكان المشركون يؤذون رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فنزلت هذه الآية، وأمرهم الله بمودّة نبيّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وصلة رحمه، فلما هاجر آوته الأنصار ونصروه، وأراد الله أن يلحقه بإخوانه من الأنبياء حيث قالوا: ﴿وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ (سورة الشعراء:١٠٩)، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ (سورة سبأ:٤٧)....، وقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ (سورة الطور:٤٠)، قاله الضحاك والحسين بن الفضل. ورواه جويبر عن الضحاك عن ابن عباس. قال الثعلبي: وليس بالقوي، وكفى قبحاً بقول من يقول: إن التقرب إلى الله بطاعته ومودّة نبيّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وأهل بيته منسوخ، وقد سورة القلم قال النبي: «من مات على حب آل محمد مات شهيداً»، و«من مات على حب آل محمد جعل الله زوار قبره الملائكة والرحمة»، و«من مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه أيس اليوم من رحمة الله»، و«من مات على بغض آل محمد لم يرح رائحة الجنة»، و«من مات على بغض آل بيتي فلا نصيب له في شفاعتي»؛ قلت: وذكر هذا الخبر الزمخشري في تفسيره بأطول من هذا فقال: وقال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات في حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنّة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة». قال النحاس: ومذهب عكرمة ليست بمنسوخة، قال: كانوا يصلون أرحامهم، فلما بعث النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قطعوه فقال: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا أن تودوني وتحفظوني لقرابتي ولا

➔

➔

تكذّبوني»، قلت: وهذا هو معنى قول ابن عباس في البخاري والشعبي عنه بعينه، وعليه لا نسخ قال النحاس: وقول الحسن حسن، ويدلّ على صحّته الحديث المسند عن رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ كما حدثنا أحمد بن محمد الأزدي قال: أخبرنا الربيع بن سليمان المرادي قال: أخبرنا أسد ابن موسى قال: حدّثنا قزعة - وهو ابن يزيد البصري - قال: حدّثنا عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس أن رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال: «لا أسئلكم على ما أنبئكم به من البيّنات والهدى أجراً إلا أن توادوا الله عزّ وجلّ وأن تتقرّبوا إليه بطاعته». فهذا المبين عن الله عزّ وجلّ قد قال هذا، وكذا قالت الأنبياء صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ قبله: ﴿**إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ**﴾ (سورة سبأ:٤٧)؛ الثانية - واختلفوا في سبب نزولها - فقال ابن عباس: لما قدم النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق لا يسعها ما في يديه، فقالت الأنصار: إن هذا الرجل هداكم الله به وهو ابن أخيكم، وتنوبه نوائب وحقوق لا يسعها ما في يديه فنجمع له، ففعلوا، ثم أتوه به فنزلت. وقال الحسن: نزلت حين تفاخرت الأنصار والمهاجرون، فقالت الأنصار: نحن فعلنا، وفخرت المهاجرون بقرابتهم من رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، روى مقسم عن ابن عباس قال: سمع رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ شيئاً فخطب، فقال للأنصار: «ألم تكونوا أذلاء فأعزّكم الله بي؟ ألم تكونوا ضلالاً فهداكم الله بي؟ ألم تكونوا خائفين فأمنكم الله بي ألا تردون علي؟» فقالوا: بم نجيبك؟ قال صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «تقولون ألم يطردك قومك فآويناك، ألم يكذبك قومك فصدقناك...» فعدد عليهم، قال صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «فجثوا على ركبهم»، فقالوا: أنفسنا وأموالنا لك، فنزلت: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾. وقال قتادة: قال المشركون لعلّ محمداً فيما يتعاطاه يطلب أجراً، فنزلت هذه الآية، ليحثهم على مودته ومودّة أقربائه. قال الثعلبي: وهذا أشبه بالآية، لان السورة مكيّة..... (انظر تفسير القرطبي ج١٦: ص٢١)؛ وإلى غير ذلك من الآيات التي وردت في فضل وتقدم أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين عَلَيْهِمُالسَّلَامُ، قد ذكرها المفسرون من علماء أهل السنّة.

فعلم من ذلك كون المقدم لغيره عليه مزر بالله[١] ورسولهﷺ وناقض لما شرعاه[٢]،

(١) والمقصود بقوله مزر بالله... أي: له غرض فاسد، وبعبارة أخرى: يريد بذلك محاربة الله ورسوله وهي الكفر والارتداد وخرق ناموس الشريعة، والعمل على إطفاء نور الله تعالى، أو بمعنى الكفر.

(٢) لا يخفى على الخبير أنّه لو أردنا أن نذكر قصة السقيفة، والمكائد والحيل والخدع التي استخدمها المتآمرون وأصحاب الفتنة في السقيفة، عندما غصبوا الخلافة عن أهلها لطال بنا المقام، وكان الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام مأموراً بالصبر على ما سيجري عليه، كما ورد في الأحاديث الكثيرة المعتبرة لدي الفريقين، منها: ما أخرجه الطبراني بسنده عن بن عباس، قال: خرجت أنا والنبيﷺ والإمام علي بن أبي طالبعليه السلام في حشان المدينة فمررنا بحديقة، فقال عليعليه السلام: «ما أحسن هذه الحديقة يا رسول الله»، فقالﷺ: «حديقتك في الجنة أحسن منها» ثم أومأ بيده إلى رأسه ولحيته ثم بكى حتى علا بكاؤه، قيل: ما يبكيك؟ قالﷺ: «ضغائن في صدور قوم لا يبدونها لك حتى يفقدوني» (المعجم الكبير للطبراني ج١١: ص٦١). ونحن نذكر هنا بعض مواقف مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في قبال غصب الخلافة،كي يعرف القارئ الكريم عمق الإجرام التي ارتكبها أهل السقيفة من الصحابة والغاصبين للخلافة والإمامة، يقول الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعدهﷺ عن أهل بيته، ولا أنّهم منحوه عني من بعده، فما راعني إلا انثيال الناس إلى أبي بكر يبايعونه، فأمسكت حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به أعظم من فوت ولايتكم» (نهج البلاغة، الكتاب: ٦٢). وبالرغم من تلك الأحداث التي جرت بعد وفاة النبيﷺ كان الإمامعليه السلام هو الميزان في شؤون الحياة الإسلامية من قضاء واجتماع ←

➔

وإدارة امور المسلمين لإبقاء أصل الإسلام الذي هو رسالته صلى الله عليه وآله، فالإمام عليه السلام هو الوصي على هذه الأمّة، ويجب عليه تطبيق الرسالة الإسلامية.وإن غصب مقام الخلافة والحكومة وإحداث أنواع البدع في الدين لا يسلب المسؤولية عنه عليه السلام ورعايته ممّا يرتبط بمصالح الأمّة الإسلامية وشؤون الولاية على الناس، وحفظ الشريعة، وكفالة الأمّة، فالزعامة حقيقة تكون له، وهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله حقّاً، ولولا ذلك لاندرس الدين وضاعت آثار الشرع المبين. غير أنّ أبا بكر ومن تلاه من خلفاء الجور قادوا الإنقلاب على الرعية بالمؤامرة في السقيفة، بالعنف والإرهاب والغصب حتى استتب الأمر لأبي بكر. ولم تطل أيام أبي بكر فقد ألمت به الأمراض وأشرف على الموت، وقد صمّم على أن يولّي عمر الخلافة من بعده، فاعترض عليه أكثر المهاجرين والأنصار. لكن أبا بكر أصرّ على موقفه وأحضر عثمان وحده ليكتب عهده لعمر. فوصّى أبوبكر بعمر وكتبه عثمان، ولكن وقف الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هذه المخالفة للدين بروحٍ مغمورة بالمسؤولية إزاء الخلفاء حرصاً على مصلحة الدين، ممّا حتم عليهم أن يرجعوا إلى رأيه ومشورته في القضايا، وبهذه المناسبة يقول الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله، متعمّدين بخلافه، ناقضين لعهده، مغيّرين لسنّته، ولو حملت الناس على تركها، وحوّلتها إلى مواضعها، وإلى ما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، لتفرّق عني جندي، حتى أبقى وحدي، أو مع قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي، وفرض إمامتي من كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله» (نهج البلاغة: رقم الخطبة ١٠٣).

وقال أيضاً: «لو قد استوت قدماي من هذه المداحض لغيرت أشياء» (نهج البلاغة: كلمات القصار رقم ٢٧٢). وعلّق ابن أبي الحديد في شرحه على هذه الكلمة: لسنا نشكّ أنه كان يذهب في الأحكام الشرعيّة والقضايا إلى أشياء يخالف فيها أقوال الصحابة، نحو قطعه السارق من رؤوس الأصابع، وبيعه أمّهات الأولاد، وغير ذلك، وإنما كان يمنعه من تغيير أحكام من تقدّمه اشتغاله بحرب البغاة والخوارج (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

➔

➔

ج١٩: ص١٦١). فالمخالفات التي غيّرت وحرّفت ووقعت في قبال أوامر النبيﷺ وأحكامه قبل من قبل خلفاء الجور والصحابة، كثيرة جداً، ونحن نذكر هنا بعض تلك الأعمال التي خالف فيها الأصحاب أوامر الرسولﷺ وسننه، وحرّفوها فمنها: مخالفتهم لأوامر الله ورسولهﷺ في وجوب المودّة للقربى. وفي الحقيقة أنّ مودة أهل البيتعليهم السلام هي من المبادىء المتسالم عليها لدى عامّة المسلمين، ولم يشكّك في ذلك أحد، وإنّ أوّل أحكام المودّة لأهل البيتعليهم السلام هي اتّباعهم، والاقتداء بهم، فهنالك ملازمة بين دعوى المحبّة والمودّة وبين الاتّباع، وهو ما ورد في قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ**﴾ (سورة آل عمران: الآية ٣١)، فإنّ هذه الآية وإن كانت في صدد بيان المحبّة، إلاّ إنّه وكما تعلمون أنّ المحبّة جنسها المودّة، فما يثبت للمحبّة فهو ثابت للمودّة من باب أوْلى، فيكون الاتّباع أيضاً من لوازم المودّة، وحكم من أحكامها، يقول الفخر الرازي في هذا المجال: آل محمّدعليهم السلام هم الذين يؤوّل أمرهم إليه، فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل، ولا شكّ أنّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول اللهﷺ أشدّ التعلقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل، ويضيف قائلاً: وروى صاحب الكشّاف أنّه لما نزلت هذه الآية - يقصد آية المودة - قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقالﷺ: «عليّ وفاطمة وابناهما». فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبيﷺ وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم ويدل عليه وجوه: الأول: قوله تعالى: ﴿**إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**﴾ (سورة الشورى:٢٣)، ووجه الاستدلال به ما سبق الثاني: لا شكّ أن النبيﷺ كان يحبّ فاطمةعليها السلام قالﷺ: «فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها»، وثبت بالنقل المتواتر عن رسول اللهﷺ أنهﷺ كان يحبّ علياً والحسن والحسين، وإذا ثبت ذلك وجب على كل الأمّة مثله لقوله تعالى: ﴿**وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ (سورة الأعراف:١٥٨)، ولقوله تعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ**﴾

➔

➔

(سورة النور:٦٣)، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّـهَ فَـاتَّبِعُونِي يُحْبِـبْكُمُ اللَّـهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة آل عمران:٣١)، ولقوله سبحانه: ﴿لَّقَـدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَـرَ اللَّـهَ كَثِيراً﴾ (سورة الأحزاب:٢١). الثالث: أن الدعاء للآل منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله "اللّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد وارحم محمداً وآل محمد"، وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل ، فكل ذلك يدلّ على أن حبّ آل محمّد واجب، وقال الشافعي:

يا راكباً قف بالمحصب من منى * واهتف بساكن خيفها والناهض

سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى * فيضاً كما نظم الفرات الفائض

إن كان رفضاً حب آل محمد * فليشهد الثقلان أنـي رافضي

(انظر تفسير الفخر الرازي ج٢٧: ص١٦٦).

وعندما نراجع إلى تاريخ صدر الإسلام نجد أنّه قد أجمع المؤرخون على أنّ ما حصل في اليوم الثاني من وفاة النبيصَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه، هو اجتماع الإرهابيّين من الصحابة على بيت الزهراءعليها السلام لاقصاء الخلافة عن أولي الأمر الحقيقيين، فهجموا على بيت الإمام أميرالمؤمنين وفاطمة الزهراءعليها السلام، وبدل أن يعزّوهم بوفاة النبيصَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه، حملوا عليهم بسيوفهم المجرة عن الغلاف، والحطب ليحرقوا عليهم الدار بمن فيها، وهو البيت الذي لم يدخلها النبيصَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه إلا بإذن أهله، ولكن هؤلاء الصحابة أنذروا أهل البيتعليهم السلام أن يخرجوا ويبايعوا أبا بكر، وإلا أحرقوا الدار بمن فيه! وكان في الدار فاطمةعليها السلام بنت رسول اللهصَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه سيدة نساء العالمين، والإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام عضد رسول اللهصَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه وابن عمه وصهره، والإمام الحسن والإمام الحسينعليهما السلام سبطا رسول اللهصَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه، وسيدا شباب أهل الجنّة، وبنو هاشم، وعدد من كبار الصحابة، من المهاجرين والأنصار، وكان جرمهم أنّهم كانوا منشغلين بمراسم تجهيز النبيصَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه ودفنه، فتفاجؤوا بهجوم عدد من الصحابة الذين تركوا مراسم جنازة النبيصَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه وذهبوا خلسة عنهم واجتمعوا في السقيفة، وتصارعوا

➔

➔

للغلبة على القدرة والسلطة، فبادر عمر وبايع صاحبه أبا بكر وبايعه بضعة أشخاص، وتجمّع معهم مجموعة من حزب الطلقاء، وحزب العتقاء، وحزب المؤلفة قلوبهم، وهم سفلة الأعراب وبقايا الأحزاب، وحزب أرباب الحقد الدفين الموتورين من سيف الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يتقدّمهم عمر بن الخطاب، وأسيد بن الخضير رئيس الأوس وبشير بن سعد أحد وجوه الخزرج، وسلمة بن سلامة بن وقش الأشهي، وخالد بن الوليد، وقنفذ، وعبد الرحمن بن عوف، ومسلم بن أسلم؛ شاهرين سيوفهم ويحملون قبساً من النار مهدّدين بحرق البيت على من فيه، إن لم يبايعوا أبا بكر!!! وفيما يلي حشد من الروايات التي صدرت عن علماء الفريقين:

أولاً: قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: إنّ أبا بكر تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند علي عليه السلام، فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنها على من فيها. فقيل له يا أبا حفص: إنّ فيها فاطمة، فقال: وإن، ثمّ وقفت فاطمة عليها السلام على بابها، فقالت: «لا عهد لي بقوم حضروا اسوأ محضر منكم تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا ولم تردّوا لنا حقّاً»، فانصرفوا، ثمّ قام عمر فمشى معه جماعة حتّى أتوا باب فاطمة عليها السلام فدقوا الباب، فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: «يا أبه يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة» (الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج١ ص١٩ عند قوله: كيف كانت بيعة علي بن أبي طالب عليه السلام).

ثانياً: قال ابن أبي الحديد المعتزلي: قال أبو بكر: يا عمر، أين خالد بن الوليد؟ قال: هو هذا، فقال: انطلقا إليهما - يعني علياً والزبير - فأتياني بهما، فانطلقا، فدخل عمر ووقف خالد على الباب من خارج، فقال عمر للزبير: ما هذا السيف؟ قال: أعددته لأبايع علياً، قال: وكان في البيت ناس كثير، منهم المقداد بن الأسود وجمهور الهاشميّين، فاخترط عمر السيف فضرب به صخرة في البيت فكسره، ثم أخذ بيد الزبير، فأقامه ثم دفعه فأخرجه وقال: يا خالد، دونك هذا، فأمسكه خالد، وكان خارج البيت مع خالد جمع كثير من

➔

➔
الناس، أرسلهم أبو بكر ردءاً لهما، ثم دخل عمر فقال لعلي: قم فبايع، فتلكأ واحتبس، فأخذ بيده، وقال: قم، فأبى أن يقوم، فحمله ودفعه كما دفع الزبير، ثم أمسكهما خالد، وساقهما عمر ومن معه سوقاً عنيفاً، واجتمع الناس ينظرون، وامتلأت شوارع المدينة بالرجال، ورأت فاطمة ما صنع عمر، فصرخت وولولت، واجتمع معها نساء كثير من الهاشميّات وغيرهنّ، فخرجت إلى باب حجرتها ونادت: يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله! والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص٤٨).

وثالثاً: روايات إسقاط المحسن عليه السلام من الفجائع التي تبكي لها عيون الإسلام والدين، التي أحرقت قلوب المؤمنين والموقنين ما ارتكبه عمر بن الخطاب من الظلم العظيم الذي طال سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام، هذه الواقعة الهائلة قد بلغت حد التواتر واليقين عند أهل الحق، ولكن من عجائب براهين علو كلمة الحق، وسموّ مرتبة الصدق، إن إبراهيم بن سيار بن هاني البصري المعروف بالنظام، الذي هو من كبار علماء المعتزلة وأجلّة كبراء المخالفين ويعتبر إبراهيم بن يسار، المعروف بالنظّام (٢٣٠هـ) من كبار المعتزلة، وهو ابن أخت أبي الهذيل العلاف (إمام المعتزلة في زمانه) قد اعترف بوقوع هذه الواقعة الهائلة بكمال الإبانة والصراحة ولم يقدر على كتمانه أو إنكاره كما فعله بعض أرباب الصفاقة والوقاحة حيث قال: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة، حتى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح أحرقوا دارها بمن فيها (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص٣١ نقلاً عن النظام)، كما ذهب الصفدي (٧٦٤هـ) إلى اعتبار ذلك ممّا انفرد النظّام به (انظر الوافي بالوفيات ج٦: ص١٥)، وهذا ما أدّى ببعض أهل السنة إلى تكفير النظّام؛ بسبب هذا الرأي وغيره من الآراء (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص٥٧-٥٨). وجاء في الكتب الرجاليّة لأهل السنّة في بيان حال أبي بكر أحمد بن محمد بن السري بن يحيى بن أبي دارم المحدّث الكوفي(٣٥٧هـ): إنه كان مستقيم الأمر عامّة دهره، ثمّ في آخر أيّامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب، حضرتُه ورجل يقرأ عليه أنّ عمر رفس فاطمة حتى أسقطت
➔

➔
بمحسن... (انظر ميزان الإعتدال للذهبي ج١: ص١٣٩، وسير اعلام النبلاء له ج١٥: ص٥٧٦، ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج١: ص ٢٦٨). ولا يخفى أنّه بسبب روايته لهذا الحديث فقد خُدش في استقامته وصار سبباً للطعن عليه وجرحه ومن ثم إسقاطه عن الاعتبار.

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: فقال (النقيب أبو جعفر): إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله أباح دم هبّار بن الأسود لأنّه روع زينب فألقت ذا بطنها، فظهر الحال أنّه لو كان حيّاً لأباح دم من روع فاطمة حتى ألقت ذا بطنها (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٤: ص١٩١).

وروى مقاتل بن عطيّة: أنّ أبا بكر بعد ما أخذ البيعة لنفسه من الناس بالإرهاب والسيف والقوّة أرسل عمر وقنفذ وجماعة آخرين إلى دار علي وفاطمة عليهما السلام، وجمع عمر الحطب على دار فاطمة عليها السلام وأحرق الباب! ولما جاءت فاطمة عليها السلام خلف الباب لترد عمر وأصحابه عصر عمر فاطمة عليها السلام خلف الباب حتى أسقط جنينها ونبت مسمار الباب في صدرها، وسقطت مريضة حتى ماتت (انظر مؤتمر علماء بغداد: ص١٨٠).

وقال أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في كتاب الملل والنحل، في ذكر مقالات النظّام ما لفظه: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح أحرقوها بمن فيها، وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام (انظر الملل والنحل ج١: ص٥٩).

قال ابن الدمشقي: الأحاديث مستفيضة على أنه كان لعلي وفاطمة (صلوات الله عليهما) ابن ثالث كان يسمّى محسناً، كما أورد الحافظ ابن عساكر عدّه أحاديث بهذا المعنى (انظر ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ص١٦ نقلا عن كتاب جواهر المطالب في مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن أحمد الدمشقي).

وفي أنساب الأشراف لابن البلاذري: ولد علي بن أبي طالب عليه السلام الحسن والحسين ومحسن عليهم السلام، درج صغيراً (انظر انساب الإشراف ج١: ص٤٠٣).

ومثله في معنى ما ذكره اليعقوبي في ختام ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام (انظر تاريخ اليعقوبي
←

ومخالف لما فرضاه عن علم وعمد[1]،

➔

ج٢: ص٢١٦) وإلى غير ذلك من المصادر، فإنّ ما فعله خلفاء الجور والتابعين لهم من الصحابة، والإجرام التي ارتكبوها في هذا المجال لا تعدّ ولا تحصى، فما تقدّم موجز من تلك المخالفات التي ارتكبوها، وما ذكرناه هنا إنّما كان من باب المثال، وذلك ليعلم القارئ الكريم مدى طغيانهم ومخالفاتهم لله ورسوله صلى الله عليه وآله، فلاحظ.

(١) لا شك أنّ اقتداء الصحابة بخلفاء الجور عن علم وعمد مخالفة صريحة لله ورسوله صلى الله عليه وآله؛ لأنّ القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة يدلان بالصراحة على أنّ الاقتداء الصحيح إنّما يكون بالقادة الإليهة، والهداية إنّما هي الهداية التي رسمه الله تعالى للناس، فهذه هداية هي التي فيها الوقاية من الإنحراف والضلالة، وقد أمر الله سبحانه وتعالى في الآيات العديدة وجوب الإقتداء بمن له المرجعية الإلهية، وأكّد سبحانه وتعالى على أنّ مسألة الإمامة هي استمرار للرسالة الإلهية؛ ولذلك نجد في النصوص والأدلة أنّ كل ما دلّ على وجوب النبوة، فهو دال على وجوب الإمامة أيضاً سوى نزول الوحي، فالإمام عنصر الهداية الإلهية، كما أنّ النبي يكون كذلك، وهو الشاخص والمعرّف للمؤمن المرتبط بالله، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ولولا أنت يا عليّ لم يعرف المؤمنون بعدي، وكان بعده هدىً من الضلال...» (انظر المناقب للمغازلي: ص ١٥٨). وهذا إشارة واضحة إلى أن فريضة الأخذ والميثاق بالولاية ضرورة للبشريّة وليس فوقها ضرورة، وذلك لاستمرار المؤمنين على الخط الإلهي. ومعظم نصوص الإمامة من القرآن الكريم والسنّة النبوية تحمل على هذا المضمون لتجعل الإمامة الربانيّة هي المصدر المتمثّل للرسالة الإلهية والامتداد المتوقّع للخط الإلهي على الأرض المتصل منذ آدم عليه السلام إلى يوم الدين، لمواكبة الأهداف الإلهية وخطط الرسالة الخاتمة التي قد أكتملت بها الدين، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله في الحديث المتواتر لدى الفريقين: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، وأنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض». وقد أخرجه أكثر أصحاب الصحاح والمسانيد

➔

فهم قاضون بالجور في تقديم غير عليعليه السلام عليه[(١)]

من أهل السنة (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١٣٤، والطبراني في المعجم الأوسط ج٥: ص١٣٥ وفي معجمه الصغير ج١: ص٢٥٥). وهذا النصّ المتواتر أيضاً صريح في انحصار الهداية الإلهية في الثقلين، حيث أنّه صريح في أنّ الإقتداء بغيرهما لا ينتج الا الضلالة. وعليه فإنّ الإنقطاع بالوحي، وبما جاء به رسول اللهصلى الله عليه وآله يقتضي أن لا يتجاوز المؤمن بالله وبرسولهصلى الله عليه وآله عن هذين الأمرين الذين قد أمر النبيصلى الله عليه وآله بالتمسك بهما، وهذا هو الأمر الذي يدافع عنه اتّباع أهل البيتعليهم السلام في مسألة الإمامة، فإنهم يعتقدون أن امتداد القيادة بعد النبيصلى الله عليه وآله سيستمرّ إلى الأبد، لا في شكل النبوة، بل في شكل الإمامة والخلافة عن النبوّة، قائمة مقامها، إلا من تلقّي الوحي الالهي، وهذا معنى الإمامة في القرآن والأحاديث الصحيحة. ومن هنا يتبيّن أنّ آية الولاية فرضت ولاية النبيصلى الله عليه وآله والإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام على جميع الناس، ووعدت الموالين بأن حزب الله هم الغالبون، وبعد أن حذر الله تعالى المؤمنين في الآية التي سبقتها عن المخالفة، فيها إشارة واضحة إلى أن فريضة الولاية هذه ضرورة لاستمرار المؤمنين على الخط الإلهي. فمعظم نصوص الإمامة من القرآن والسنّة تحمل ذات المضمون لتجعل الإمامة الربانيّة هي المصدر لتُمثل الامتداد المتوقّع للخط الإلهي على الأرض إلى يوم الدين. وعليه فإنّ مخالفة النصوص مخالفة لله ولرسوله والرسالة الإلهيّة بعد ما استيقنها أنفسهم. فشملهم قوله تعالى: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾ (سورة النمل:١٤). فكما أنّ الأمم السابقة كذّبوا أنبيائهم مع معاجزهم مع علمهم بحقّانية الأنبياء ومعاجزهم كذلك أكثر الصحابة جحدوا بنبيّهم وإمام زمانهم واستيقنتها أنفسهم، فلاحظ .

(١) هذه العبارة اشارة إلى حديث معروف عن النبيصلى الله عليه وآله رواه علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنّة، فقد روى الطبراني بسنده عن ابن عمر قال: قال عثمان: سمعت رسول

ومستحلّون من العترة ما حرّمه الله[1]،

➔

الله صلى الله عليه وآله: «القضاة ثلاثة، واحد ناج واثنان في النار، من قضى بالجور أو بالهوى هلك ومن قضى بالحق نجا» (انظر معجم الأوسط للطبراني ج٤: ص١٤٥)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال رواه الطبراني ورجاله ثقات (انظر مجمع الزوائد ج٤: ص٩٢). وروى الغزالي عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «القضاة ثلاثة: قاض قضى بالحقّ وهو يعلم فذلك في الجنّة، وقاض قضى بالجور وهو يعلم أو لا يعلم فهو في النّار، وقاض قضى بغير ما أمر الله به فهو في النّار» (انظر إحياء العلوم للغزالي ج١: ص١٠٨). عليه فأنّ خلفاء الجور الغاصبين لمقام الخلافة قد قضوا بالجور وهم أهل النار بنصّ هذا الحديث وكذلك من بايع الخلفاء الثلاثة عن رغبة فهم أيضاً مشمولون لهذا الحديث، إذ الصحابة والتابعين كانوا يعلمون أنّ خلفاء الجور قد غصبوا الخلافة من أهل البيت عليهم السلام فبالبيعة لهم وتأييدهم قضوا بالجور، فلاحظ.

(١) هذه العبارة اشارة إلى حديث معروف عن النبي صلى الله عليه وآله رواه علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنّة فقد روى الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ستة لعنتهم لعنهم الله وكلّ نبي مجاب، المكذّب بقدر الله، والزائد في كتاب الله، والمتسلّط بالجبروت يذلّ من أعزّ الله ويعزّ من أذل الله، والمستحلّ لحرم الله والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله والتارك لسنتي». (ثم قال الحاكم:) وقد احتجّ البخاري بعبد الرحمن بن أبي الموال وهذا حديث صحيح الاسناد ولا اعرف له علّة ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج١: ص٣٦ وج٢: ص٥٢٥ وج٤: ص٩٠)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج١: ص١٧٦، وابن حبّان في صحيحه ج١٣: ص٦٠، والطبراني في المعجم الكبير ج٣: ص١٢٧ وغيرهم. والحديث صريح في أنّ المستحلّين من العترة الطاهرة، قد شملهم اللعن من الله وكلّ نبي مجاب، ومن الواضح أنّ من غصب الخلافة عن أهل البيت عليهم السلام مشمول لهذا الحديث حيث أنّه استحلّ بذلك من العترة ما حرّم الله عليه، وكذلك من أيد ذلك بالبيعة له. ولايخفى أنّ وجوب حفظ حرمة

➔

ومذلّون من أعزّه الله، بأن جعله إمام خلقه، فجعلوه رعية لبعض رعاياه[1]،

➔

النبي صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرة عليهم السلام من ضروريات الإسلام ويدلّ عليه الكتاب والسنّة المتواترة، فلا خلاف فيه بين المسلمين؛ ولذلك قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِيناً**﴾ (سورة الأحزاب:٥٧)، فهذه الآية تشير إلى العواقب المشؤومة الأليمة لأولئك الذين يؤذون النبي صلى الله عليه وآله فتشمل خلفاء الجور حيث آذوا النبي صلى الله عليه وآله من جهة إيذائهم لأهل البيت عليهم السلام؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «من آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله».الحديث يبيّن لنا بوضوح عظم ذنب الذين يؤذون الله ورسوله وشملتهم اللعن من الله ورسوله صلى الله عليه وآله، فخلفاء الجور الذين غصبوا الخلافة من أهله وأنكروا الإمامتهم عليهم السلام شملتهم الآية الكريمة والحديث المتفق بين جميع المسلمين، فلاحظ.

(١) هذه العبارة أيضاً اشارة الى حديث ستة لعنهم الله وكلّ نبي مجاب الذي رواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ستّة لعنتهم لعنهم الله وكلّ نبي مجاب، المكذّب بقدر الله، والزائد في كتاب الله، والمتسلّط بالجبروت، يذلّ من أعزّ الله ويعزّ من أذل الله، والمستحلّ لحرم الله والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله والتارك لسنتي. (ثم قال الحاكم:) وقد احتجّ البخاري بعبد الرحمن بن أبي الموال وهذا حديث صحيح الإسناد ولا أعرف له علّة ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج١: ص٢٦ وج٢: ص٥٢٥ وج٤: ص٩٠). ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج١: ص١٧٦، وابن حبان في صحيحه ج١٣: ص٦٠، والطبراني في المعجم الكبير ج٣: ص١٢٧، وغيرهم. ومن الستّة من أذلّ من أعزّه الله، وأكمل مصداق من أعزّه الله هم العترة الطاهرة. فالغاصبين للخلافة ومن أيّدهم بالبيعة قد أذلّوا من أعزّه الله ومشمولون لهذا الحديث، فلاحظ.

وتاركون لسننه التي دلّت على إمامته وتفضيله(١)، والتي دلّت على بُعد غيره عن إمامة الخلق(٢)، فهم حاكمون بغير ما نزل من عند الله في تقدم الثلاثة

---

(١) هذه العبارة أيضاً إشارة إلى حديث ستّة لعنهم الله وكلّ نبي مجاب الذي رواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ستّة لعنتهم لعنهم الله وكل نبي مجاب، المكذّب بقدر الله، والزائد في كتاب الله، والمتسلّط بالجبروت، يذلّ من أعزّ الله ويعزّ من أذلّ الله، والمستحلّ لحرّم الله والمستحلّ من عترتي ما حرم الله والتارك لسنتي». (ثم قال الحاكم:) وقد احتجّ البخاري بعبد الرحمن بن أبي الموال وهذا حديث صحيح الاسناد ولا أعرف له علة ولم يخرجاه (انظر المستدرك على الصحيحين ج١: ص٢٦ وج٢: ص٥٢٥ وج٤: ص٩٠)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج١: ص١٧٦، وابن حبان في صحيحه ج١٣: ص٦٠، والطبراني في المعجم الكبير ج٣: ص١٢٧ وغيرهم ومن الستّة الذين شملهم لعن الله وكلّ نبي مجاب هم التاركون لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله التي دلّت على إمامة العترة الطاهرة وأفضليتهم على الخلق أجمعين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فأولاً شمل خلفاء الجور لطغيانهم على سنن رسول الله صلى الله عليه وآله وثانياً من بايعهم وأيّدهم من الصحابة والتابعين، فهم أيضاً في زمرة من ترك سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، فلاحظ.

(٢) لا يخفى على الخبير أنّ حديث ستّة لعنهم الله وكلّ نبي مجاب مشمول لمن غصب الخلافة عن أهلها باعتبار أنّه لايحق الخلافة، ومن شمله اللعن من الله ورسوله وكل نبي مجاب فهو بعيد عن الرحمة الإلهية، ومن هو بعيد عن الله ورسوله كيف جاز له التصدي أمور المسلمين؟!!! ولاشكّ أنّ بُعدهم من الله ورسوله كان بسبب غصبهم حقوق أهل البيت عليهم السلام. قال المناوي في فيض القدير في شرح الحديث: «والمستحلّ من عترتي» أي قرابتي (ما حرّم الله) يعني من فعل بأقاربي ما لا يجوز فعله من إيذائهم أو ترك تعظيمهم فإن اعتقد حلّه فكافر وإلا فمذنب وخصّهما باللعن لتأكّد حقّ الحرم والعترة وعظم قدرهما بإضافتهما إلى الله وإلى رسوله (والتارك لسنتي) بأن أعرض عنها بالكليّة أو ترك ←

على علي عليه السلام[1]،

➔

بعضها استخفافاً أو قلّة احتفال بها، وأراد باللعنة هنا أحد قسميها وهو الإبعاد عن الخير والرحمة والإنسان ما دام في معصية بعيد عنهما ولو مسلما قال التوربشتي: وما ذكر في القدريّة من هذا ونحوه يحمل على المكذّب به إذا أتاه من البيان ما ينقطع العذر دونه أو على من تفضي به العصبية إلى تكذيب ما... (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ج٤: ص١٢٧)؛ ومن الواضح أنّ من أبعد أهل البيت عليهم السلام عن حقّهم فهو في حكم المحارب لهم، فلاحظ.

(١) هذه العبارة اشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ (سورة المائدة:٤٤)؛ تشير الآية إلى أهمية الحكم بما أنزل الله، بحيث قد صدرت حكماً صارماً وحازماً على الذين يحكمون خلافاً لما أنزل الله فتقول: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾، وواضح أن عدم الحكم بما أنزل الله معناه الجحود، قال الطبري في تفسير الآية: أنّه ورد عن ابن عباس ، قوله : ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون قال: من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقرّ به ولم يحكم فهو ظالم فاسق وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قول من قال: نزلت هذه الآيات في كفّار.....، فإن قال قائل: فإن الله تعالى ذكره قد عمّ بالخبر بذلك عن جميع من لم يحكم بما أنزل الله، فكيف جعلته خاصّاً؟ قيل: إن الله تعالى عمّ بالخبر بذلك عن قوم كانوا بحكم الله الذي حكم به في كتابه جاحدين فأخبر عنهم أنهم بتركهم الحكم على سبيل ما تركوه كافرون . وكذلك القول في كلّ من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً به، هو بالله كافر، كما قال ابن عباس لأنّه بجحوده حكم الله بعد علمه أنه أنزله في كتابه نظير جحوده نبوّة نبيّه بعد علمه أنه نبي. القول في تأويل قوله تعالى: وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص، فمن تصدّق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون (تفسير الطبري

➔

فهل من هذه مشاقاتهم لله ورسوله يستحقّون التعظيم والتوقير حتى يقال من قدم عليّاًعليه السلام على الثلاثة مزر بهم[(١)]؟

➔

ج٦: ص٣٤٩)، وعليه ثبت أن من لم يحكم بما أنزل الله فليس له ايمان كامل وتبين هذه الآية - أيضاً - المسؤولية الكبرى التي يتحملها علماء ومفكّروا كلّ أمّة حيال العواصف الاجتماعية، والأحداث التي تقع في بيئاتهم، وتدعو بأسلوب حازم لمكافحة الانحرافات وعدم الخوف من أي بشر - كائناً من كان - لدى تطبيق أحكام الله.

وتؤكّد الآية التي تليها فسق الذين يمتنعون عن الحكم بما أنزل اللّه، فتقول ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ**﴾. ويلفت النظر اطلاق كلمة "الكافر" مرّة و"الظالم" أخرى و"الفاسق" ثالثة، في الآيات الأخيرة على الذين يمتنعون عن تطبيق أحكام الله، ولعلّ هذا التنوع في اطلاق الصفات المختلفة إنّما هو لبيان أنّ لكلّ حكم جوانب ثلاثة: أحدها: ينتهي بالمشرع الذي هو الله، والثاني: يمس المنفّذين للحكم الحاكم أو القاضي، الثالث: يرتبط بالفرد أو الأفراد الذين يطبق عليهم الحكم أي أنّ كلّ صفّة من الصفات الثلاث المذكورة قد تكون إشارة إلى واحد من الجوانب الثلاثة، لأنّ الذي لا يحكم بما أنزل الله يكون قد تجاوز القانون الإلهي وتجاهله، فيكون قد كفر بغفلته هذه، ومن جانب آخر ارتكب الظلم والجور بابتعاده عن حكم الله على انسان بريء مظلوم. وتارة أخرى يكون قد خرج عن حدود واجباته ومسئوليّته، فيصبح بذلك من الفاسقين لأنّ "الفسق" كما أوضحنا، يعني الخروج عن حدود العبودية والواجب، ويتّضح ممّا تقدم حكم من غصب الخلافة عن أهل البيتعليهم السلام؛ لأنّه إنكار للإمامة التي جعله الله إماماً، ومن بايع خلفاء الجور على ذلك فإنّه مشمول لقوله تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الخبير الباحث في الآثار والروايات أنّ الخلفاء الثلاثة كان مقامهم عند النبيصلى الله عليه وآله أقلّ شاناً من أمثال عمرو بن العاص وعبدالرحمن بن عوف وغيرهما كما

➔

➔

تقدّمت الروايات وأخبار في ذلك ، ويكفي للباحث الرجوع إلى كتب الحديث والسيرة في خصوص هذا الشأن فإنّه يجد مضافاً إلى تلك الأخبار احتجاجات مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ومناشداته في الخلافة، وكذلك ما ورد في نهج البلاغة حيث فيها الخُطب والكلمات التي تكشف عن هذه الحقيقة بوضوح، وإليك بعض تلك الخطب والاحتجاجات الواردة في الخلافة، وما تكشف عن موقف الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام تجاه الخلفاءالثلاثة، فقد روى ابن قتيبة وابن أبي الحديد وغيرهم أنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام أُتي به إلى أبي بكر عقيب يوم السقيفة وهو يقول: «أنا عبد الله، وأخو رسوله»، فقيل له بايع أبا بكر. فقال: «أنا أحقُّ بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم، وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبيصلى الله عليه وآله وتأخذونه منّا أهل البيت غصباً؟ ألستم زعمتم للانصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لمّا كان محمد منكم، فأعطوكم المقادة، وسلّموا إليكم الامارة، وأنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى برسول الله حيّاً وميّتاً، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون، وإلا فبوؤا بالظلم وأنتم تعلمون».

فقال عمر: إنك لست متروكاً حتى تبايع. فقال له الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «احلب حلباً لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردد عليك غداً»، ثم قال: «والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه». - إلى أن قال لهم -: «الله الله يا معشر المهاجرين، لا تُخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته، إلى دوركم وقعر بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقّه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به، لأنّا أهل البيت، ونحن أحقُّ بهذا الامر منكم، أما كان فينا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله، المضطلع بأمر الرعية، المدافع عنهم الامور السيئة، القاسم بينهم بالسوية، والله إنّه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله، فتزدادوا من الحق بُعداً» (انظر الامامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص١٨-١٩، السقيفة للجوهري ص٦٠-٦١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦ ص١١-١٢).

➔

➔

وفي مروج الذهب للمسعودي لما بويع أبو بكر في يوم السقيفة وجُددت البيعة له يوم الثلاثاء على العامّة، خرج الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: «أفسدت علينا أمورنا، ولم تستشر، ولم تَرْعَ لنا حقاً». فقال أبو بكر: بلى، ولكنّي خشيت الفتنة (انظرمروج الذهب للمسعودي ج٢ ص٣٠٧، وفي نسخة دار الكتاب اللبناني ص٥٩٤).

وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: قوله عليه السلام: واعجبا أن تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة. قال الشريف الرضي رحمه الله: وقد رويَ له شعر قريب من هذا المعنى وهو:

فإن كنتَ بالشُّورَى ملكت أُمُورَهُمْ * فكيف بهذا والمشيرُونَ غُيَّبُ
وإن كنتَ بالقربى حججت خصيمَهُمْ * فغيرُك أَوْلى بالنَّبِي وأقرَب

(نهج البلاغة ص٥٠٢ من حكمه رقم: ١٩٠).

قال ابن أبي الحديد في شرحه في النثر والنظم المذكورين مع أبي بكر وعمر. أما النثر فإلى عمر توجيهه، لأن أبا بكر لمّا قال لعمر: امدد يدك، قال له عمر: أنت صاحب رسول الله في المواطن كلّها، شدّتها ورخائها، فامدد أنت يدك. فقال الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إذا احتججتَ لاستحقاقه الأمر بصحبته إيّاه في المواطن كلّها، فهلا سلّمت الأمر إلى من قد شركه في ذلك، وزاد عليه بالقرابة!!».

وأما النظم فموجّه إلى أبي بكر؛ لأن أبا بكر حاج الأنصار في السقيفة. فقال: نحن عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، وبيضته التي تفقّأت عنه، فلما بويع احتجّ على الناس بالبيعة، وأنها صدرت عن أهل الحلّ والعقد. فقال الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أما احتجاجك على الأنصار بأنك من بيضة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن قومه، فغيرك أقرب نسباً منك إليه. وأما احتجاجك بالاختيار ورضا الجماعة بك، فقد كان قوم من جملة الصحابة غائبين لم يحضروا العقد فكيف يثبت!» (انظر شرح نهد البلاغة لابن أبي الحديد ج١٨: ص٤١٦).

وقال أيضاً: قوله عليه السلام: «اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم، فإنهم قد قطعوا رحمي، وأكفئوا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقّاً كنت أولى به من غيري، وقالوا: ألا إنّ في

🡐

➔

الحق أن تأخذه وفي الحق أن تمنعه، فاصبر مغموماً، أومت متأسفاً. فنظرت فإذا ليس لي رافد، ولا دابّ ولا مساعد، إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن المنيّة، فأغضيت على القذى، وجرعت ريقي على الشجا، وصبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم، وآلم للقلب من وخز الشفار» (انظر نهج البلاغة: ص٣٣٦ من كلام له رقم: ٢١٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١١ ص١٠٩).

وقال أيضاً قوله عليه السلام: «أما بعد، فإن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين، ومهيمناً على المرسلين، فلمّا مضى صلى الله عليه وآله تنازع المسلمون الأمر من بعده، فو الله ما كان يلقى في روعي، ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته، ولا أنّهم منحّوه عنّي من بعده، فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت بيدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله فخشيت إن لم أنْصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلما أو هدماً، تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هيي متاع أيّام قلائل، يزول منها ما كان كما يزول السراب، أو كما يتقشع السحاب، فنهضت في تلك الاحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأنّ الدين وتنهنه» (انظر نهج البلاغة: ص٤٥١ كتاب رقم:٦٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٧ ص١٥١، والامامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص١٣٣ مع اختلاف يسير).

والإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبته الشقشقية: «أما والله لقد تقمَّصها فلان، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى، ينحدر عني السيل، ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربّه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا أرى تراثي نهبا، حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده، ثم تمثل بقول الاعشى:

شتان ما يومي على كورها * ويوم حيّانَ أخي جابر

➔

بل قد عرفت من نفس ما صدر من الثلاثة من المبتدعات عدم وجود فضل فيهم البتّة[1]،

➔
فيا عجبا! بينا هو يستقيلها في حياته، إذ عقدها لاخر بعد وفاته، لشدّما تشطّرا ضرعيها! فصيرها في حوزة خشناء، يغلظ كلمها، ويخشن مسّها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة، إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحّم، فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس، وتلوّن واعتراض، فصبرت على طول المدّة، وشدّة المحنة، حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم، فيا لله وللشورى، متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم، حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر! لكني أسففت إذ أسفّوا، وطرت إذ طاروا، فصغا رجل منهم لضغنه، ومال الاخر لصهره، مع هَنٍ وهنٍ إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه، بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع إلى أن انتكث عليه فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته!.... الخ» (انظر نهج البلاغة: ص٤٨ وهي الخطبة الثالثة، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي الحنفي ص١٢٤، والغدير للعلامة الأميني ج٧ ص٨٢-٨٥، فإنه ذكر ٢٨ مصدراً)، وإلى غير ذلك من كلماته عليه السلام فإنّ من تأمل فيها يذعن بأنّ ما فعله الخلفاء الثلاثة يعتبر محاربة لله ورسوله صلى الله عليه وآله فلا معنى لاستحقاق توقيرهم، فضلاً عن أن يقدم على الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الخبير الباحث في الآثار والأخبار أنّ الخلفاء الثلاثة كانوا معاندين للدين والشرع المبين، وقد أحدثوا بدعاً وأحكاماً في الإسلام ما أنزل الله بها من سلطان، وبذلك سعوا في ترويج مخالفاتهم للدين، وللوصول إلى القدرة والحكومة والسّلطة على النّاس بالقهر والغلبة عليهم. فمن تلك البدع والمخالفات للدين منعهم لتدوين سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، وبذلك نبذوا سنّة نبيّهم وراء ظهورهم فكانت عندهم نسيّاً منسيّاً، حتى أنّ أبا بكر أحرق أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله التي جمعت في عهده لئلا تنتشر عند الصحابة
➔

➔

وغيرهم من المسلمين الذين كانوا يتلهّفون لمعرفة سنّة نبيّهمﷺ فقد روى الذهبي عن ابن أبي مليكة: أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة رسول اللهﷺ فقال: إنكم تحدثون عن رسول اللهﷺ أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول اللهﷺ شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه (تذكرة الحفاظ ج١: ص٢). وبهذه المحاولة الخطرة تركوا تدوين الأحاديث النبوية واقتصروا بالحفظ بالنسبة إلى ما سمعوه من رسول اللهﷺ وكانت مخزونة في صدورهم، وصاروا يتناقلونها شفاهاً، حتى عرضت لهم الشيبة والنسيان و... فأصاب التابعين لنهج السقيفة الركود والجمود بالنسبة إلى أحاديث رسول اللهﷺ، وقالت عائشة: جمع أبي الحديث عن رسول اللهﷺ، وكانت خمسمائة حديث، فبات ليلته يتقلب كثيراً، فلما أصبح قال: أي بنية، هلمي الأحاديث التي عندك، فجئته بها، فدعا بنار فحرقها! فقلت: لم أحرقتها؟ قال: خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت به، ولم يكن كما حدثني، فأكون قد نقلت ذاك! (تذكرة الحفاظ ج١: ص٥). وعلى أثر هذه البدعة التزم الحكام التابعين لخلافة السقيفة بمنع تدوين الحديث وروايته، لا سيّما في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، الذي منع تدوين الحديث باسلوبه المعروف بالشدّة والغلظة، فهدّد وتوعّد وضرب من خالف منع تدوين الحديث وكتابته لحجّة يراها، وقال: حسبنا كتاب الله. وبقدر ما أبعد الرعيل الأوّل من الصحابة وحملة الحديث ومنعهم، ثم قرّب إليه حملة الأفكار الهدّامة وأعداء الإسلام أمثال كعب الأحبار وعبد الله بن سلام وعبد الله بن أبيّ وغيرهم، وأطلق لهم عنان الحديث لبثّ الإسرائيليات الضالّة بين المسلمين. حتى أنّ عمر بن الخطاب، قال لقرظة بن كعب: جرّدوا القرآن، وأقلّوا الرواية عن رسول اللهﷺ (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج١: ص١٠٢). فقد جمّدوا بذلك أحاديث النبوية، فابتعد الناس والصحابة عن سنّة رسول اللهﷺ، عدا التابعين لمدرسة أهل البيتعليهم السلام، فإنّهم أخذوا روايات النبيﷺ من أهل البيتعليهم السلام؛ لأنّ النبيﷺ جعل أهل بيتهعليهم السلام عدلاً

←

➔

للقرآن، فأخذت الشيعة أحاديث النبيصلى الله عليه وآله من ينبوعه الصافي ومعينه العذب وبذلك تحافظوا عن اندراسها. وبقي حديث النبيصلى الله عليه وآله محفوظاً عندهم مدوّناً مكتوباً في أصولهم بطرق الثقات من المحدّثين منذ عهد الصحابة والتابعين طبقة بعد طبقة محفوظاً كما سمعوه من رسول اللهصلى الله عليه وآله.

ولكن عندما يراجع الخبير إلى كتب أهل السنّة ويجد بدعة خلفائهم في منع تدوين حديث رسول اللهصلى الله عليه وآله يقع في الاضطراب بالنسبة إلى ما جاء في كتبهم، حيث بعد ما ورد في نفس تلك الكتب: انّ من كتب حديثاً فليمحه (انظر تقييد العلم للخطيب البغدادي: ص٥٣)، أو وجد الأحاديث التي نهت عن التحدّث، وقد تركت الصحابة الحديث عن رسول اللّهصلى الله عليه وآله (راجع المستدرك للحاكم النيسابوري ج١: ص١٠٢). فكيف يمكنه الاعتماد بما هو موجود في كتبهم، لأنّه عادةً بعد مرور الأيام وعدم التحدث بالحديث يتجمد ما كان مدخراً عندهم، وهذا الجمود يكون سارياً في الناس من خلال قرناً كاملاً بين الصحابة والتابعين بسبب الحظر الذي فرضه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، إلا في صدور بعض الصحابة الذين حفظوا الأحاديث التي سمعوها والأحكام التي وعوها من الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله والتزموا بمضامينها.

أمّا التابعين لحكومة الحكّام وخلفاء الجور، فهم كانوا تابعين لسياسة خلفائهم في منع تدوين الحديث وروايته، وقد أعلن عثمان ومعاوية عن اتباعهما لعمر في منع الحديث النبوي، إلا حديثا كان على عهد عمر (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٩٩). وقد ظلت سياسة عمر بمنع الحديث سارية المفعول، حتى بلغ الأمر إلى أن الحجاج الثقفي - سفاك العراق - قام بالاعتداء على كبار صحابة الرسولصلى الله عليه وآله، فختم على أيديهم وأعناقهم، حذراً من أن يحدثوا الناس، أو يسمع الناس حديثهم (انظر اسد الغابة لابن الأثير ج٢: ص٤٧٢ في ترجمة سهل الساعدي). فلم يكن القيام بأمر رواية الحديث في مثل هذه الفترة بالذات، ومن البديهي أن يكون الأمر في مثل هذه الأجواء مخالفة صريحة للدين. لأنّ الدين يؤخذ إمّا من كتاب الله، والمفروض أنّ كتاب الله يحتاج إلى معلمه الخاص الذي كان

➔

➔

رسول اللهﷺ، وسنّة رسول اللهﷺ باعتبار أنّها المصدر الثاني للتشريع، فإذا لم يتمكن المسلمون من نقل الحديث فكأنّما نهوا عن مصدر التشريع، وحيث أنّ المسلمين كانوا بحاجة إلى أحكام الدين، ومن ناحية منعوا عن مصدر الحكم الشرعي فكان الخلفاء يبدلونهم بالبدع والانحرافات، وعلى مرور الأيام صار أمراً عادياً عند الصحابة التابعين للسقيفة. وأمّا أتباع مدرسة أهل البيتعليهم السلام تبعاً لأئمة أهل البيتعليهم السلام أخذوا أحكام الدين من الأئمةعليهم السلام، وهم أخذوا من رسول اللهﷺ، فحاربوا هذه السياسة المخربة ضد أهمّ مصادر الفكر الإسلامي، فكانوا إلى جانب كتابتهم للحديث، وإيداعه المؤلفات يبادرون بحزم إلى رواية الحديث ونشره وبثه، على طول تلك الفترة! عملاً بوصية رسول اللهﷺ ومن هنا يتّضح أنّه ماذا كان يريد رسول اللهﷺ من كتابة وصيته؟ فلو عُلم ذلك، لعُلم وجه المنع عن كتابة وصيته، كما عُلم أيضاً وجه المنع عن تدوين سنّته بعد رحيله. فنقول: لم يكن هدف النبيﷺ إلا دعم موقفه من الوصية وتعيين الخليفة بعده، ويعلم هذا من مقارنة هذا الحديث الذي نقله ابن عباس مع حديث الثقلين المتّفق عليه بين محدّثي السنّة والشيعة. وذلك أنّ النبيﷺ قال في شأن الكتاب الذي منع عن كتابته: «ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده». وقد جاءت هذه العبارة بعينها في حديث الثقلين، إذ يقول فيهﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب اللّه وعترتي».

وملخّص الكلام أن بدعة خلفاء الجور في منع تدوين الحديث من الأمور المسلّمة في التاريخ الإسلامي وبذلك خالفوا الله ورسولهﷺ حيث أمر الله في كتابه العزيز: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (سورة الحشر:٧)، فخالفوا أوامر الله ورسولهﷺ وبذلك شملهم قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (سورة الأنفال:١٣)، هذه الآية الكريمة طرحت مسألة العداء لله ورسوله، ومعنى قوله: ﴿ **شَاقُّوا**

🡐

فبم يستحقون تقديماً ما لاعلى أقل المسلمين إيماناً[1]؟

➔

﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فارقوا أمر الله ورسوله وعصوهما، وأطاعوا أمر الشيطان. ومعنى قوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ومن يخالف أمر الله وأمر رسوله، وفارق طاعتهما. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له، وشدة عقابه له في الدنيا: إحلاله به ما كان يحل بأعدائه من النقم، وفي الآخرة الخلود في نار جهنّم، وحذف له من الكلام لدلالة الكلام عليها. القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (سورة الأنفال:١٤)، فمنع سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله مورد واحد من تلك الموارد الكثيره من مخالفات الخلفاء الثلاثة، فلاحظ.

(١) لا شكّ أنّ التقدّم يستدعي الأفضليّة، وأنّ تقديم المفضول على الفاضل قبيح عقلاً وشرعاً، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة الزمر:٩)، فإنّ السؤال المذكور في الآية جوابه واضح بضرورة العقل، وإن كان السؤال استنكارياً، وذلك بقرينة قوله تعالى: إنّما يتذكر أولو الألباب، فمعناه: أي تقارن بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، أي بين العلماء والجهلة؟ فالجواب واضح بضرورة العقل. وهذا السؤال قد يطرح في المقام، وينطبق على ما نحن فيه وهو: هل المعاند يستوي مع المؤمن الذي جعله الله من الطاهرين؟ فالجواب واضح، حيث أنّ ملاك الأفضلية بالقرب إلى الله عزّ وجلّ، وهذه حقيقة واضحة في المقام، إذ بضرورة العقل لا يجوز للمعاند أنّ يقدم نفسه على المؤمن الطاهر، وبعبارة أخرى: أنّ الخلفاء الثلاثة الذين ليس لهم فضيلة على أدنى الصحابة كيف تقدموا على مولى الموحدين ويعسوب الدين الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ لأنّ أبا بكر كان يعترف ويقول: أنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا رأيتم ذلك فلا تقربوني... أو قال في ملأ من المهاجرين والأنصار: فإياكم وإياي إذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني... (انظر نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص٢٠).

➔

➔
ويتّضح كلامه وشأنه بملاحظة قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَن نُقَيِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (سورة الزخرف:٣٦) فإن الغفلة عن ذكر الله، والغرق في الأمور الدنيوية، والانبهار بزخارفها ومغرياتها يؤدي إلى تسلّط شيطان على الإنسان يكون قرينه دائماً، ويلقي لجاماً حول رقبته يشدّه به، ويجرّه إليه ليذهب به حيث يشاء، ويلوثه بأنواع المعاصي ويجعل حجاباً على قلبه وسمعه وبصره فيبعده عن الله سبحانه، ويسلّط الشياطين عليه، وقد يستمر هذا الحال بالنسبة إليه حتى يغلق بوجهه باب الرجوع؛ لأن الشياطين والأفكار الشيطانيّة تكون حينئذ قد أحاطت به من كل جانب، وهذه نتيجة عمل الإنسان نفسه، وقدعبر عنه في آيات أخرى من القرآن بعنوان تزيين الشياطين، ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ كما في سورة النحل الآية رقم٦٣، أو بعنوان ولاية الشيطان ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وممّا يستحقّ الانتباه أن جملة نقيض وبالالتفات إلى معناها اللغوي، تدلّ على استيلاء الشياطين عليه، كما تدلّ على كونهم أقراناً له، وفي الوقت نفسه فقد جاءت جملة: فهو له قرين بعدها لتؤكد على هذا المعنى، وهو أن الشياطين لا يفارقون مثل هؤلاء الأفراد، ولا يبتعدون عنهم مطلقاً!

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ (سورة مريم:٨٢)، تبين الآية عاقبة المشؤومة للكافرين، وتثبت هذه الحقيقة، وهي أن هذه الآلهة لم تكن سبب عزتهم بل أصبحت سبب ذلهم وشقائهم، فتقول أولاً: ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً.

الأز في الأصل - كما يقول الراغب في المفردات - يعني غليان القدر، وتقلب محتواه عند شدّة غليانه، وهو هنا كناية عن مدى تسلط الشياطين على هؤلاء، بحيث أنهم يوجهونهم بالصورة التي يريدونها، وفي المسير الذي يشاؤون، ويقلبونهم كيف يشتهون!

وقال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ* تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (سورة الشعراء: ٢٢١-٢٢٢). هذه الآية تبين أنّ ما تلقيه الشياطين له علائم واضحة، ويمكن
➔

فكيف يتصوّر تقديمهم على من يدور الحقّ معه حيث يدور[(١)]

➔

معرفته بعلائمه أيضاً. فالشيطان موجود مؤذ ومخرّب، وما يلقيه يجري في مسير الفساد والتخريب، وأتباعه هم الكذّابون المجرمون، وليس شئ من هذه الأمور ينطبق على القرآن، ولا على مبلغه، وليس فيها أي شبه بهما والناس في ذلك العصر وذلك المحيط كانوا يعرفون النبي محمداًﷺ وأسلوبه وطريقته، في صدقه وأمانته وصلاحه في جميع المجالات... ومحتوى القرآن ليس فيه سوى العدل والحق والإصلاح، فكيف يمكن أن تتهموه بأنه من إلقاء الشياطين؟ والمراد من "الأفاك الأثيم" هو الكاهن المرتبط بالشياطين فتارة يقوم الشياطين باستراق السمع لأحاديث الملائكة، ثم بعد مزجه بأباطيل كثيرة ينقلونه إلى الكهنة. وهم بدورهم يضيفون عليه عشرات الأكاذيب وينقلونها إلى الناس وبعد نزول الوحي خاصة، ومنع الشياطين من الصعود إلى السماء واستراق السمع. كان ما يلقيه الشياطين إلى الكهنة حفنة من الأكاذيب والأراجيف بما تلقيه الشياطين بحفنة من الكهنة الأفّاكين الكاذبين، وقال تعالى: ﴿**وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِيناً**﴾ (سورة النساء:٢٨)، تقول الآية إن هؤلاء اختاروا الشيطان رفيقاً وقريناً لهم: من يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً، إنه لن يكون له مصير أفضل من مصير الشيطان، لأن منطقهم هو منطق الشيطان، وسلوكهم سلوكه سواء بسواء فكيف يقدم من حاله هذه على الصحابة فضلاً عن تقدمه على مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام؟!!

(١) هذه العبارة اشارة إلى الحديث المعروف الذي رواه علماء الإسلام من الشيعة وأهل، فرواه الترمذي في سننه بسنده عن الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام قال: قال رسول اللهﷺ: «رحم الله عليّاً، اللهم أدر الحق معه حيث دار»، انظر سنن الترمذي ج٥: ص٢٩٧ ح٣٧٩٨)، ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٢: ص١٢٤، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ج١: ص٤١٩ ح٥٥٠، والطبراني في المعجم الأوسط ج٦: ص٩٥، وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة ج١٠: ص٢٧٠، والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج١: ص٤٨، وغيرهم.

➔

ونفس النبيّ المختارﷺ(١)

➔

وقال الشوكاني في شرح الحديث: «رحم الله عليّاً» ابن أبي طالب «اللهم أدر الحق معه حيث دار» ومن ثم كان أقضى الصحابة وأفاد ندب شكر المحسن والاعتراف له في الملأ والمحافل والمجامع وليس ذلك تنقيصا لقدر الشاكر بل تعظيماً له لظهور اتصافه بالإنصاف والمكافأة بالجميل (فيض القدير ج٤: ص٢٥).

وقال الفخر الرازي في الحجّة الخامسة من المباحث في قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم، روى البيهقي في السنن الكبير عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم، ثم إن الشيخ البيهقي روى الجهر عن عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأما أن علي بن أبي طالبعليه السلام كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قولهعليه السلام: «اللهم أدر الحق مع علي حيث دار» (تفسيرالفخر الرازي ج١: ص٢٠٥). وإلى غير ذلك مما ورد في كتب القوم من ذكر الحديث وشرحه، وعليه كيف يتصوّر تقديم من حقّه التأخير عن أدنى الصحابة أن يقدم على من يدور الحق معه حيث ما دار؟!!

(١) هذه العبارة اشارة إلى الآية المباهلة، وذلك من جهة أنّ الآية فيها التصريح على أنّ مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام نفس رسولﷺ وذلك لقوله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ**﴾ (سورة آل عمران:٦١)، هذه الآية نزلت بعد الآيات التي استدلّ فيها على بطلان القول بألوهية عيسى بن مريم، وهو قوله تعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ...**﴾ (سورة آل عمران:٥٩)، فكانت هذه الآية الكريمة ردّاً على محاورات مسيحيي نجران الذين جاؤوا في وفد مؤلف من ٦٠ شخصاً وفيهم عدد من زعمائهم بقصد التحاور مع رسول اللهﷺ، ففي الآية الكريمة إنّ الله تبارك وتعالى يأمر نبيهﷺ بالمباهلة مع زعماء المسيحيين

➔

➔

الذين جاءوه ليجادلونه في المسيح عليه السلام، وبعد ما جاءهم العلم والمعرفة بما هو الحق في عيسى بن مريم عليه السلام. وأمر الله سبحانه وتعالى نبيّه صلى الله عليه وآله أن يقول لهم: إني سأدعو أبنائي، وأنتم ادعوا أبناءكم، وأدعو نسائي، وأنتم ادعوا نساءكم، وأدعو نفسي، وتدعون أنتم أنفسكم، وعندئذ ندعو الله أن ينزل لعنته على الكاذب منا، «فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين»، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم، فلمّا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المباهلة استنظروه إلى صبيحة غد من يومهم ذلك، فلمّا رجعوا إلى رجالهم قال لهم الأسقف: انظروا محمد في غد فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلته، وإن غدا بأصحابه فباهلوه فإنّه على غير شئ. فلمّا كان الغد جاء النبي صلى الله عليه وآله آخذاً بيدي الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام بين يديه يمشيان وفاطمة عليها السلام تمشي خلفه، وخرج النصارى يتقدّمهم أسقفهم. فلما رأى النبي صلى الله عليه وآله قد أقبل بمن معه فسأل عنهم فقيل له: هذا ابن عمه وزوج ابنته وأحبّ الخلق إليه، وهذان ابنا بنته من علي وهذه الجارية بنته فاطمة أعزّ الناس عليه وأقربهم إلى قلبه، وتقدم رسول الله صلى الله عليه وآله فجثا على ركبتيه. قال أبو حارثة الأسقف جثا والله كما جثا الأنبياء للمباهلة، فرجع ولم يقدم على المباهلة، فقال السيد: أذن يا أبا حارثة للمباهلة! فقال: لا. إني لأرى رجلاً جريئاً على المباهلة وأنا أخاف أن يكون صادقا ولئن كان صادقاً لم يحل والله علينا حول وفي الدنيا نصراني يطعم الماء فقال الأسقف: يا أبا القاسم! إنا لا نباهلك ولكن نصالحك فصالحنا على ما ينهض به، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وآله على الفي حلّة من حلل الأواقي قسمة كل حلة أربعون درهماً فما زاد أو نقص فعلى حساب ذلك أو على عارية ثلاثين درعاً وثلاثين رمى وثلاثين فرساً إن كان باليمن كيد، ورسول الله ضامن حتى يؤدّيها وكتب لهم بذلك كتابا وروي أن الأسقف قال لهم: إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة. ولا يخفى على الخبير أنّ هذه الرواية متواترة لدى الفريقين، قال الحاكم

🡐

➔

النيسابوري في كتابه معرفة الحديث: وقد تواترت الأخبار في التفاسير، عن عبد الله بن عباس وغيره: أن رسول الله ﷺ أخذ يوم "المباهلة" بيد علي، وحسن، وحسين، وجعلوا فاطمة وراءهم، ثم قال ﷺ: «هؤلاء أبناؤنا، وأنفسنا، ونساؤنا، فهلمّوا أنفسكم، ونساءكم، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين» (معرفة الحديث: ص٥٠)، ومن جملة مصادرها صحيح مسلم ج٧: ص١٢٠ كتاب الفضائل، باب فضائل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ومسند أحمد ج١: ص١٨٥، وصحيح الترمذي ج٢: ص٦٦، ومستدرك الصحيحين للحاكم ج٣: ص١٥٠، وسنن البيهقي ج٧: ص٧٣، وتفسير الطبري ج٣: ص٢١٣، والصواعق المحرقة ص٩٣، وفي تفسير البيضاوي ج٢ ص٣٢، بعد نقل مجئ أصحاب الكساء إلى المباهلة، قال: فقال أسقفهم: يا معشر النصارى، إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله تعالى أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تباهلوا فتهلكوا.. إلى آخر ما قال، وروى ذلك الفخر في تفسيره ج٨: ص٨٠، والكشاف ج١ ص١٩٣.

وقد أجمع أهل القبلة: على أن الرسول ﷺ لم يدع للمباهلة أي واحدة من النساء، بما فيهن من الات الشأن والمكانة، من أزواج النبي ﷺ، والمهاجرين والأنصار سوى بضعته الزهراء عليها السلام. ولم يدع من الأبناء كذلك إلا سبطيه الحسن والحسين عليهما السلام، ومن الرجال سوى الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، مع وجود المهاجرين والأنصار، ولم يجعل أحداً من المسلمين شريكه في متن هدايته، وهذا هو منتهى التكريم لهؤلاء المصطفين من الله والرسول، وهذا مقام الأبرار لم يعطه الله ورسوله أحداً من المؤمنين سواهم، لأنه لم يكن بين النساء من تجمع شرائط الهداية إلا الصديقة الطاهرة عليها السلام، ومن الأبناء إلا ريحانتا الرسول، الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام، ولم يكن من الرجال من نفسه كنفس النبي الأعظم ﷺ في هداية الأمّة، إلا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولذا قال الزمخشري في تفسير الآية من كشافه ج١: ص١٩٣، وفيه دليل لا شئ أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام، وذكر ذلك مسلما به ابن حجر في الصواعق ص٩٣ وهذه الفضيلة نصّ قاطع بكون الحسن والحسين عليهما السلام ابني الرسول ﷺ،

➔

➔

كما تواترت به الروايات عنه بهذه الحقيقة القرآنية.

قال الفخر الرازي في تفسيره: ومما يؤكد هذا قوله تعالى، في سورة الأنعام (٨٥-٨٤): ومن ذريته داود وسليمان إلى قوله: وزكريا ويحيى وعيسى، ومعلوم: أن عيسى عليه السلام إنما انتسب إلى إبراهيم عليه السلام بالأم لا بالأب، فثبت أن ابن البنت قد يسمى ابناً (تفسير الفخر الرازي ج٨: ص٨١)، وقال كمال الدين بن طلحة الشافعي، المتوفى (٦٥٤)، في مطالب السؤول: ص١٦، بعد ذكر حديث الغدير، ونزول آية التبليغ فيه: فقوله صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه». قد اشتمل على لفظ (من)، وهي موضوعة للعموم، فاقتضى أن كل إنسان كان رسول الله صلى الله عليه وآله مولاه كان علي مولاه، واشتمل على لفظة (المولى)، وهي لفظة مستعملة بإزاء معان متعددة قد ورد القرآن الكريم بها، فتارة تكون بمعنى: الأولى، قال الله تعالى في حق المنافقين: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ معناه أولى بكم (ثم ذكر بعض معانيها إلى أن قال): فإن علياً منه كذلك، وهذا صريح في تخصيصه لعلي عليه السلام بهذه المنقبة العلية، وجعله كنفسه بالنسبة إلى من دخلت عليهم كلمة "من" التي هي للعموم بما لا يجعله لغيره. وليعلم أن هذا الحديث هو من أسرار قوله تعالى: في آية المباهلة: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾، والمراد نفس علي عليه السلام على ما تقدم، فإن الله تعالى لما قرن بين نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وبين نفس علي عليه السلام، وجمعها بضمير مضاف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أثبت رسول الله لنفس علي عليه السلام بهذا الحديث ما هو ثابت لنفسه على المؤمنين عموماً، فإنه أولى بالمؤمنين، وسيّد المؤمنين، وكلّ معنى أمكن إثباته مما يدل عليه لفظ المولى لرسول الله صلى الله عليه وآله فقد جعله لعلي عليه السلام، وهي مرتبة سامية، ومنزلة سامقة، ودرجة عليّة، ومكانة رفيعة، خصّصه بها دون غيره، فلهذا صار ذلك اليوم يوم عيده وموسم سرور لأوليائه وروى أبو نعيم في حلية الأولياء ج١ ص٦٦، بسنده: أن عليّاً عليه السلام دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال صلى الله عليه وآله: «مرحباً بسيد المسلمين، وإمام المتقين»، فسيادة المسلمين، وإمامة المتقين، لما كانت من صفات نفسه صلى الله عليه وآله، وقد عبّر الله تعالى عن نفس علي عليه السلام بنفسه، ووصفه بما هو من صفاته. أقول: ويعلم ممّا تقدم أن محبّة النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام،

➔

وأخوه الذي منه بمنزلة هارون من موسى في غير النبوة[١]،

➔

وفاطمة عليها السلام، والحسنين عليهما السلام، واختياره لهم عن غيرهم، ليس بدافع من الغريزة الإنسانية، الموجودة في كلّ أحد، كما زعمه الزمخشري وغيره، في تفسير الآية بل هو يحب الناس بمقدار ما يرتبط أولئك الناس بتعاليم نبوتّه ورسالته، كما قال علي بن الحسين عليه السلام في دعائه في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله، الدعاء الثاني في الصحيفة السجادية: «قطع في إحياء دينك رحمه، وأقصى الأدنين على جحودهم، وقرب الأقصين على استجابتهم لك، ووالى فيك الأبعدين، وعادى فيك الأقربين، وأدأب نفسه في تبليغ رسالتك الدعاء».

(١) هذه العبارة اشارة إلى حديث المنزلة، وهو قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». ويمتاز هذا الحديث عن كثير من الأحاديث في أنه حديث أخرجه البخاري ومسلم أيضاً، إلى جنب سائر المحدثين الذين أخرجوا هذا الحديث الشريف (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢٠٨ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، وج٥: ص١٢٩ كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، وصحيح مسلم ج٧: ص ١٢٠ كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام)، فالحديث اتّفق عليه الشيخان باصطلاحهم، فيكون عندهم في أعلى درجة الصحّة، ومن جهة أخرى يستدلّ بهذا الحديث على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من جهات عديدة، لوجود دلالات متعدّدة فيه وسنذكرها إن شاء الله في محلّه. ثم إنّ رواة هذا الحديث من الصحابة أكثر من ثلاثين، وربّما يبلّغون الأربعين رجل وامرأة يقول ابن عبد البر في الإستيعاب عن هذا الحديث: هو من أثبت الأخبار وأصحّها، قال: وطرق حديث سعد بن أبي وقاص كثيرة جدّاً فذكر عدّة من الصحابة الذين رووا هذا الحديث، ثم قال: وجماعة يطول ذكرهم (الاستيعاب لابن عبد البر ج٢: ص١٠٩٧)، وهكذا ترون المزي يقول بترجمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في تهذيب الكمال (انظر تهذيب الكمال ج٢: ص٢٨٢)، وذكر الحافظ ابن عساكر بترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق كثيراً من طرق هذا الحديث وأسانيده من عشرين من الصحابة تقريباً (انظر ترجمة الإمام أمير

➔

الذي به يهتدي المهتدون بعد النبي صلى الله عليه وآله(١)

➔

المؤمنين عليه السلام ج١: ص٢٠٦-٣٩٣)، ويقول الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح البخاري بعد أن يذكر أسامي عدة من الصحابة، ويروي نصوص روايات جمع منهم يقول: وقد استوعب طرقه ابن عساكر في ترجمة علي عليه السلام (انظر فتح الباري في شرح البخاري لابن حجر العسقلاني ج٧: ص٦٠)، فهذا الحديث مضافاً إلى أنه متواتر عند أصحابنا من الإمامية، من الأحاديث الصحيحة المعروفة المشهورة عند أهل السنة، بل هو من الأحاديث المتواترة عندهم كذلك يقول الحاكم النيسابوري: هذا حديث دخل في حدّ التواتر (انظر كفاية الطالب في مناقب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للحافظ الكنجي: ص٢٨٣)، كما أن الحافظ السيوطي أورد هذا الحديث في كتابه الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة (انظر الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة للسيوطي: حرف الألف)، وغيرهم فالحديث في أعلى درجة الصحّة، بل وهو متواتر عند أهل السنّة، ولو درسنا هذا الحديث - بموضوعيّة وتجرّد - وتجنّبنا العصبية أنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فيدلّ على إمامته وخلافته، وعليه كيف يتصور تقديم خلفاء الجور عليه، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الحديث الذي رواه علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنّة في كتبهم، فرواه الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (سورة الرعد:٧) عن ابن عباس، قال: لما نزلت إنما أنت منذر ولكل قوم هاد وضع صلى الله عليه وآله يده على صدره، فقال: «أنا المنذر ولكل قوم هاد»، وأومأ بيده إلى منكب علي عليه السلام، فقال: «أنت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون بعدي» (تفسير الطبري ج١٣: ص١٤٢)، ورواه الثعلبي في تفسيره ج٥: ص٢٧٢، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج١: ص٣٨٢، وابن الجوزي في زاد المسير ج٤: ص٢٢٨، والفخر الرازي ج تفسيره ج١٩: ص١٤، وأبوحيان الأندلسي في البحر المحيط ج٥: ص٢٦٠، وابن كثير في تفسيره ج٢: ص٥٢٠، والسيوطي في الدر المنثور ج٤: ص٤٥، والشوكاني في فيض القدير ج٣: ص٧٠،

➔

من محبّه مؤمن ومبغضه منافق[(١)]،

➔

والآلوسي في تفسيره ج١٣: ص١٠٨.

وقال الفخر الرازى فى تفسيره الكبير في ذيل تفسير الآية في سورة الرعد (قال:) واعلم أن أهل الظاهر من المفسّرين ذكروا هاهنا أقوالاً (إلى أن قال:) والثالث المنذر النبىﷺ والهادي عليؑ، قال: قال ابن عباس: وضع رسول اللهﷺ يده على صدره فقال: «أنا المنذر» ثم أومأ إلى منكب عليؑ وقال: «أنت الهادى بك يهتدى المهتدون من بعدى» (تفسير الفخر الرازي ج١٩: ص١٤).

وقال السيوطى فى الدرّ المنثورفى ذيل تفسير الآية فى سورة الرعد قال: وأخرج ابن مردويه عن أبى برزة الأسلمى سمعت رسول اللهﷺ يقول: «إنما أنت منذر» ووضع يده على صدره ثم وضعها على صدر عليؑ ويقول: «لكلّ قوم هاد»، قال: وأخرج ابن مردويه والضياء فى المختارة عن ابن عباس فى الآية ، قال رسول اللهﷺ: «المنذر والهادى علي بن أبى طالبؑ» (الدر المنثور ج٤: ص٤٥). وإلى غيرهم من علماء أهل السنة الذين رووا هذا الحديث في كتبهم فالروايات في هذا المعنى من الطريقين كثيرة مستفيضة، بل الرواية عن خصوص ابن عباس في هذه الآية بهذا المعنى مستفيضة من الطريقين، ولا يخفى أنّ الحديث نصٌ صريح من النبيّ الأكرمﷺ على وجوب متابعة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبؑ وامتثال أمره وترك نواهيه، وهذا هو معنى الإمامة والخلافة بلا فصل بعد النبيّﷺ، وإذا كان الأمر كذلك كيف يتصوّر تقديم خلفاء الجور عليه، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات التي رواها علماء الإسلام بأسناد صحيحة عن رسول اللهﷺ أنّ حبّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبؑ علامة الإيمان، وبغضه علامة النفاق والكفر، فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن الأعمش عن عدى بن ثابت عن زر قال: قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبؑ: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة أنه لعهد النبي الأميﷺ إلى أن لا يحبّني إلا مؤمن ولا يبغضني الا منافق»

➔

➔

(صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب أنّ حبّ الأنصار والإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام من الإيمان)، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص٨٤، وابن ماجة في سننه ج١: ص٤٢، والنسائي في سننه ج٨: ص١١٧، وفي كتابه فضائل الصحابة: ص١٧، وفي سننه الكبرى ج٥: ص٤٧، وفي كتابه خصائص أميرالمؤمنينعليه السلام: ص١٠٤، وابن ابي شيبة في المصنف ج٧: ص٤٩٤، وابن أبي عاصم في السنة: ص٥٨٤، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ج١: ص٢٤٧، وابن حبان في صحيحه ج١٥: ص٣٦٧، وابن عبد البر في الاستيعاب ج٣: ص١١٠٠، وفي الاستذكار ج٨: ص٤٤٦، والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٨٩ وغيرهم. ولو أمعنا النظر في مضامين هذ الحديث الذي رواه علماء الإسلام وكبار علماء أهل السنّة وأصحاب الصحاح والمسانيد والسنن، وتأملنا في أهمية الإيمان والنفاق في لسان الكتاب والسنّة، لتمكنا أن نعرف ما هو المقصود الحديث، وعرفنا بذلك أهميّة حبّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وكيف يكون حبّه علامة الإيمان المؤمنين وبغضه علامة نفاق المنافقين؛ وهنا روى الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن أبي ذر أنّه قال: ما كنّا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله والتخلّف عن الصلوات والبغض لعلي بن أبي طالبعليه السلام، ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (انظرالمستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٩). فبهذه النصوص المعتبرة يمكننا تقييم إيمان جميع المسلمين من الصدر الأوّل وإلى يوم القيامة؛ حيث نعرف من خلال هذه الروايات أنّ محبة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام تكون ميزاناً ومعياراً للإيمان، وعداوته وبغضه ميزاناً للنفاق والكفر. وقال النووي في شرح الحديث: وعرف من الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام قربه من رسول اللهصلى الله عليه وآله وحبّ النبيصلى الله عليه وآله له وما كان منه من نصرة الاسلام وسوابقه فيه، ولهذا كان ذلك من دلائل صحّة الإيمان وصدقه في اسلامه لسروره بظهور الاسلام والقيام بما يرضى الله سبحانه وتعالى ورسولهصلى الله عليه وآله ومن أبغضه كان بضدّ ذلك واستدلّ به على نفاقه وفساد سريرته والله أعلم (شرح صحيح مسلم للنووي ج٢:

🡐

وسابّه سابّ الله والرسول صلى الله عليه وآله (١)،

ص٦٥)، وعليه إذا كان الأمر كذلك كيف يتصوّر تقديم خلفاء الجور عليه، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات التي رواها علماء الإسلام بأسناد صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ من سبّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله عزّ وجلّ، فقد أخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن أبي إسحاق التميمي يقول: سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول: حججت وأنا غلام فمررت بالمدينة وإذا الناس عنق واحد فاتبعتهم، فدخلوا على أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي، فأجابها رجل جلف جاف: لبيك يا أمتاه، قالت: يسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله في ناديكم، قال: وأنى ذلك؟ قالت: فعلي بن أبي طالب، قال: إنّا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا، قالت: فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من سبّ عليّاً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله تعالى» (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢١)، ورواه المحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٢٣، وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٥٣٢، والجامع الصغير للسيوطي ج٢: ص٦٠٨ ح٨٧٣٦، والزرندي الحنفي في نظم درر السمطين: ص١٠٥ وغيرهم.

وروى أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي إسحاق عن عبد الله الجدلي قال: دخلت على أم سلمة فقالت: لي أيسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم؟ قلت: معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من سبّ عليّاً فقد سبّني» (مسند أحمد بن حنبل ج٦: ص٣٢٣)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٣٠، والنسائي في سننه الكبرى ج٥: ص١٣٣، وفي خصائص أميرالمؤمنين عليه السلام: ص٩٩، وغيرهم.

وروى القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة بسنده عن سعيد بن جبير قال: كنت أقود ابن عباس بعد ما ذهب بصره من المسجد فمرّ بقوم يسبّون عليّاً فقال: ردني إليهم، فرددته إليهم، فقال: أيّكم سبّاب الله؟ فقالوا: سبحان الله من سبّ الله فقد كفر! فقال: أيّكم سب عليّاً؟ قالوا: أما هذا فقد كان. فقال ابن عباس: أشهد بالله، والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله في يقول: «من سبّ عليا فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله، ومن سبّ الله ورسوله»، يوشك

المنصور من نصره والمخذول من خذله(١)،

أن يأخذه ثم انصرف (يعني) ابن عباس (ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج٢: ص٢٧٨). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام، وعليه إذا كان مقام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى هذه الدرجه بحيث أنّ سابه يكون سابّ الله فكيف تقدم عليه خلفاء الجور، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى دعاء النبي صلى الله عليه وآله في حديث الغدير، وذلك بعد ما نصب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إماماً وعلماً للمسلمين، فقال صلى الله عليه وآله بعد قوله: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأعن من أعانه»، رواه الطبراني ورجاله وثقوا وبهذا الطريق نقلا عن الطبراني ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء ص١١٤، وروى البدخشي في نزل الأبرار ص٢٠ ومفتاح النجا، والشيخ إبراهيم الوصابي الشافعي في الاكتفاء في فضل الأربعة الخلفاء من طريق الطبراني عنه بلفظ السيوطي. وعدّه الجزري في أسني المطالب ص٤ من رواة الحديث. وروى أحمد بن حنبل بسنده عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب وعن زيد بن يثيع قالا: نشد على الناس في الرحبة من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم إلا قام قال، فقال: من قبل سعيد ستةٌ ومن قبل زيد ستّة فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام يوم غدير خم: «أليس الله أولى بالمؤمنين؟» قالوا: بلى، قال: «اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه...» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١١٨). وروى أيضاً بسنده عن سماك بن عبيد بن الوليد العبسي قال دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى فحدثني انه شهد علياً عليه السلام في الرحبة قال: «أنشد الله رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وشهده يوم غدير خم إلا قام ولا يقوم إلا من قد رآه» فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا: قد رأيناه وسمعناه حيث أخذ بيده يقول: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» فقام إلا ثلاثة لم يقوموا فدعا عليهم فأصابتهم دعوته (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١١٩). وروى أيضاً بسنده عن علي بن زيد عن عدي

➔

بن ثابت عن البراء بن عازب قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر فنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول الله صلى الله عليه وآله تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد علي عليه السلام، فقال صلى الله عليه وآله: «ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال صلى الله عليه وآله: «ألستم تعلمون انّي أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال: فلقيه عمر بعد ذلك، فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٨١). وروى الهيثمي سنده عن عمرو ذي مر وزيد بن أرقم قالا خطب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأعن من أعانه»، قلت لزيد بن أرقم عند الترمذي من كنت مولاه فعلى مولاه فقط، رواه الطبراني وأحمد عن زيد وحده باختصار إلا أنه قال في أوله نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بواد يقال له خم، فأمر بالصلاة فصلاها بهجير قال: فخطب وظلل على رسول الله صلى الله عليه وآله على شجرة من الشمس فقال: «ألستم تعلمون أو ألستم تشهدون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا بلى فذكر نحوه، والبزار وفيه ميمون أبو عبد الله البصري وثقه ابن حبان وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات. وعن أبي الطفيل قال جمع علي الناس في الرحبة ثم قال لهم: أنشد بالله كل امرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم ما قال لما قام، فقام إليه ثلاثون من الناس، قال أبو نعيم: فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده فقال: «أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال فخرجت كأن في نفسي شيئاً فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: إني سمعت علياً يقول: كذا وكذا، قال: فما تنكر قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة. وعن سعيد بن وهب قال نشد علي عليه السلام الناس فقام خمسة أو ستة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من كنت مولاه فعلى مولاه». رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وعن عمرو بن

➔

➔

ذي مر وسعيد بن وهب وعن زيد بن بثيع قالوا: سمعنا عليّاً يقول: «نشدت الله رجلاً سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم لما قام»، فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فأخذ بيد علي فقال صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحبّ من أحبّه وأبغض من يبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله». رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير فطر ابن خليفة وهو ثقة (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١٠٥). وروى النسائي في سننه الكبرى بسنده عن علي بن محمد بن علي قال: حدثنا خلف قال: حدثنا إسرائيل قال: حدثنا أبو إسحاق عن عمرو ذي مر قال: شهدت عليّاً بالرحبة ينشد أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله: «أيّكم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم ما قال؟» فقام أناس فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فإن عليّاً مولاه اللهم، وال من والاه وعاد من عاداه وأحبّ من أحبّه وابغض من أبغضه وانصر من نصره» (انظر سنن الكبرى للنسائي ج٥: ص١٣٦). وروى الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن بشر بن حرب عن جرير قال شهدنا الموسم في حجة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهي حجّة الوداع فبلغنا مكاناً يقال له غدير خم فنادى الصلاة جامعة، فاجتمعنا المهاجرون والأنصار فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسطنا فقال: «أيها الناس بم تشهدون؟» قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله، قال: «ثم مه» قالوا: وأن محمّداً عبده ورسوله، قال صلى الله عليه وآله: «فمن وليّكم؟» قالوا: الله ورسوله مولانا، قال صلى الله عليه وآله: «من وليّكم؟» ثم ضرب بيده على عضد علي عليه السلام فأقامه فنزع عضده فأخذ بذراعيه فقال صلى الله عليه وآله: «من يكن الله ورسوله مولياه فإن هذا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه اللهم من أحبه من الناس فكن له حبيباً ومن أبغضه فكن له مبغضاً اللهم إني لا أجد أحداً أستودعه في الأرض بعد العبدين الصالحين غيرك فاقض فيه بالحسنى» قال بشر: قلت: من هذين العبدين الصالحين؟ قال لا أدري (انظر المعجم الكبير للطبراني ج٢: ص٣٥٨). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام، وعليه إذا كان النبي صلى الله عليه وآله يوم غدير خم دعا النبي صلى الله عليه وآله بهذا الدعاء للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فكيف تقدم عليه

🡐

الشبيه بخمسة من الرسل[١]،

➔

خلفاء الجور، فلاحظ.

(١) هذه العبارة اشارة الى الحديث المعروف الذي رواه علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنّة بأسناد عديدة عن النبي صلى الله عليه وآله في حق الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد أخرج المحب الطبري بسنده عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى يحيى بن زكريا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه، فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام»؛ أخرجه القزويني الحاكمي. وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من أراد أن ينظر إلى إبراهيم في حمله. وإلى نوح في حكمه، وإلى يوسف في جماله فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام. خرجه الملاء في سيرته (انظر الرياض النضرة للمحب الطبري ج٣: ص١٩٦). وأخرج ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى يحيى بن زكريا في زهده وإلى موسى بن عمران في بطشه فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام». (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣١٣). وروى إبن كثير في البداية والنهاية بسنده عن عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى يحيى بن زكريا في زهده وإلى موسى في بطشه فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام». (انظر البداية والنهاية ج٧: ص٣٩٣). وروى الإيجي في المواقف باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في تقواه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى موسى في بطشه وإلى عيسى في عبادته فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام». (انظر المواقف ج٣: ص٦٣٦). وروى ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة في الفضيلة الخامسة عشر للإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن كتاب فضائل الصحابة للبيهقي بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى

🡐

➔

موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالبعليه السلام» (الفصول المهمة ج١: ص٥٧١) أخرج الحافظ أحمد بن محمد العاصمي في كتابه زين الفتى في شرح سورة هل أتى بإسناده من طريق الحافظ عبيد الله بن موسى العبسي عن أبي الحمراء قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في بطشه فلينظر إلى علي بن أبي طالب». وبإسناد آخر من طريق الحافظ العبسي أيضاً وزاد: «وإلى يحيى بن زكريا في زهده». وأخرج بإسناد ثالث بلفظ أقصر من المذكور. ثم قال: «أما آدمعليه السلام فإنه وقعت المشابهة بين المرتضى وبينه بعشرة أشياء: أولها بالخلق والطينة، والثاني: بالمكث والمدة، والثالث، بالصحابة والزوجة، والرابع بالتزويج والخلعة، والخامس: بالعلم والحكمة، والسادس: بالذهن والفطنة، والسابع: بالأمر والخلافة، والثامن: بالأعداء والمخالفة، والتاسع: بالوفاء والوصية، والعاشر: بالأولاد والعترة»؛ ثم بسط القول في وجه هذه كلها فقال: «ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين نوح بثمانية أشياء: أولها: بالفهم، والثاني: بالدعوة، والثالث: بالإجابة، والرابع: بالسفينة، والخامس: بالبركة، والسادس: بالسلام، والسابع: بالشكر، والثامن: بالإهلاك»؛ ثم بيّن وجه الشبه في هذه كلها إلى أن قال: «ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين إبراهيم الخليل بثمانية أشياء: أولها: بالوفاء، والثاني: بالوقاية، والثالث: بمناظرته أباه وقومه، والرابع: بإهلاك الأصنام بيمينه، والخامس ببشارة الله إياه بالولدين الذين هما من أصول أنساب الأنبياءعليهم السلام، والسادس: باختلاف أحوال ذريته من بين محسن وظالم، والسابع: بابتلاء الله تعالى إياه بالنفس والولد والمال، والثامن: بتسمية الله إياه خليلاً حتى لم يؤثر شيئاً عليه»؛ ثم فصل وجه الشبه فيها إلى أن قال: «ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين يوسف الصديق بثمانية أشياء: أولها: بالعلم والحكمة في صغره، والثاني: بحسد الأخوة له، والثالث: بنكثهم العهود فيه، والرابع بالجمع له بين العلم والملك في كبره، والخامس: بالوقوف على تأويل الأحاديث، والسادس: بالكرم والتجاوز عن إخوته، والسابع: بالعفو عنهم وقت القدرة عليهم، والثامن: بتحويل الديار»؛ ثم قال بعد

➔

←

بيان وجه الشبه فيها. ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين موسى الكليم عليه السلام بثمانية أشياء: أولها الصلابة والشدة، والثاني: بالمحاجة والدعوة، والثالث: بالعصا والقوة، والرابع: بشرح الصدر والفسحة، والخامس: بالأخوة والقربة، والسادس: بالود والمحبة، والسابع: بالأذى والمحنة، والثامن: بميراث الملك والإمرة»؛ وبين وجه التشبيه فيها ثم قال: «ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين داود بثمانية أشياء: أولها : بالعلم والحكمة، والثاني: بالتقوى على إخوانه في صغر سنه، والثالث: بالمبارزة لقتل جالوت، والرابع بالقدر معه من طالوت إلى أن أورثه الله ملكه، والخامس: بإلانة الحديد له، والسادس بتسبيح الجوامد معه، والسابع: بالولد الصالح، والثامن: بفصل الخطاب»؛ وقال بعد بيان المشابهة فيها : «ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين سليمان بثمانية أشياء: أولها: بالفتنة والابتلاء في نفسه، والثاني: بتسليط الجسد على كرسيه، والثالث: بتلقين الله إياه في صغره بما استحق به الخلافة، والرابع: برد الشمس لأجله بعد المغيب، والخامس: بتسخيرالهوى والريح له، والسادس: بتسخير الجن له، والسابع: بعلمه منطق الطير والجوامد وكلامه إياه، والثامن: بالمغفرة ورفع الحساب عنه»؛ ثم بين وجه التشبيه فقال: «ووقعت المشابهة بين المرتضى عليه السلام وبين أيوب بثمانية أشياء: أحدها: بالبلايا في بدنه، والثاني: بالبلايا في ولده، والثالث: بالبلايا في ماله، والرابع: بالصبر على الشدايد، والخامس: بخروج الجميع عليه، والسادس: بشماتة الأعداء، والسابع: بالدعاء لله تعالى فيما بين ذلك وترك التواني فيها، والثامن: بالوفاء للنذر والاجتناب عن الحنث»؛ وقال بعد بيان وجه المشابهة فيها. «ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين يحيى بن زكريا بثمانية أشياء: أولها: بالحفظ والعصمة، والثاني: بالكتاب والحكمة، والثالث: بالتسليم والتحية والرابع: ببر الوالدين، والخامس: بالقتل والشهادة لأجل مرأة مفسدة، والسادس: بشدة الغضب والنقمة من الله تعالى على قتله، والسابع: بالخوف والمراقبة، والثامن : بفقد السمي والنظر له في التسمية»؛ ثم قال بعد بسط الكلام حول التشبيه فيها ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين عيسى بثمانية أشياء: «أولها: بالاذعان لله الكبير المتعال، والثاني: بعلمه بالكتاب طفلاً ولم يبلغ

←

قسيم الجنة والنار(١)

➔

مبلغ الرجال. والثالث: بعلمه بالكتابة والخطابة، والرابع: بهلاك الفريقين فيه من أهل الضلال، والخامس: بالزهد في الدنيا، والسادس: بالكرم والافضال، والسابع: بالإخبار عن الكواين في الاستقبال، والثامن: بالكفائة»؛ ثم بين وجه الشبه فيها. وهذا الكتاب من أنفس كتب العامة فيه آيات العلم وبينات العبقرية، وقد شغل القوم عن نشر مثل هذه النفايس بالتافهات المزخرفة (انظر الغدير للعلامة الأميني ج٣: ص٣٥٥ نقلاً عن كتاب زين الفتى في شرح سورة هل أتى للحافظ أحمد بن محمد العاصمي). وعليه إذا كان للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام صفات الأنبياء معناه أنّه أفضل الناس بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله فلماذا تقدم عليه خلفاء الجور؟!! فلاحظ.

(١) هذه العبارة اشارة إلى الحديث المعروف الذي رواه علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنّة بأسناد عديدة صحيحة عن النبيصلى الله عليه وآله في حق الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فقد أخرج ابن حجر إن علياًعليه السلام يوم الشورى احتجّ على أهلها فقال لهم: «أنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول اللهصلى الله عليه وآله: يا علي أنت قسيم الجنة والنار يوم القيمة غيري؟» قالوا: اللهم لا (انظر الصواعق المحرقة: ص١٢٦). وأخرج القندوزي الحنفي في ينابيع الموده بسنده عن النبيصلى الله عليه وآله قال: «يا علي أنت قسيم الجنة النار، تقول للنار: هذا لي وهذا لك» (ينابيع المودة ج١: ص٢٥١). وأخرج محمد بن أبي يعلى في كتابه طبقات الحنابلة: بسنده عن محمد بن منصور قال: كنا عند أحمد بن حنبل فقال له رجل: يا أبا عبد الله ما تقول في هذا الحديث الذي يروى أن علياً قال: «أنا قسيم النار؟» فقال: وما تنكرون من ذا أليس روينا أن النبيصلى الله عليه وآله قال لعلي: «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق» قلنا بلى، قال: فأين المؤمن؟ قلنا: في الجنة، قال: وأين المنافق؟ قلنا: في النار، قال: فعلي قسيم النار (طبقات الحنابلة ج١: ص٣٢٠). وأخرج ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن الحسن بن هارون الصايغ عن ابن فضيل عن الأعمش عن موسى بن طريف عن عباية عن علي بن أبي طالبعليه السلام أنه قال: «أنا قسيم النار يوم القيامة أقول

➔

➔

خذي ذا وذري ذا» (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٢٩٨). وأخرج أيضاً بسنده عن الأعمم عن موسى بن طريف عن عباية عن علي عليه السلام أنه قال: «أنا قسيم النار إذا، كان يوم القيامة قلت هذا لك وهذا لي». قال يعقوب: ورأيت في كتاب عمر بن حفص بن غياث حدثني أبي عن الأعمش حدثني موسى بن ظريف عن عباية أنه سمعه وذكر الأعمش حديث علي في قسيم النار فقلت لموسى ما كان عباية عندكم فذكر من فضله ومن صلاته ومن صيامه ومن صدقة قال يعقوب وموسى ضعيف يحتاج إلى من يعدله وليس هو بثقة وعباية أقل منه ليس حديثه بشئ (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٢٩٨). وروى الحمويني بأسناده عن عباية عن علي عليه السلام قال: «أنا قسيم النّار إذا كان يوم القيامة قلت: هذا لك وهذا لي». قوله عليه السلام «أنا قسيم النّار...» ولله درّ القائل في مدحه عليه السلام، وقد بلغ فيه غاية الكمال والتمام

علـــيّ حبّــه جُنـــة ... قـسيم النــار والجَنّــة
وصـــي المصطفى حقّــاً ... إمـام الإنـس والجِنّــة

(فرائد السمطين ج٢: ص٥٥٢). روى الكنجي عن محمّد بن منصور الطوسي: كنا عند أحمد بن حنبل فقال له رجل: يا أبا عبد الله ما تقول في هذا الحديث الذي يروى إن علياً قال: أنا قسيم النار؟ فقال أحمد: وما تنكرون من هذا الحديث؟ أليس روينا إن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي: «لا يحبّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق؟» قلنا: بلى، قال: فأين المؤمن؟ قلنا: في الجنة، قال: فأين المنافق؟ قلنا: في النار، قال: فعلي قسيم النار (كفاية الطالب: ص٧٢). قال ابن الأثير: وفي حديث علي «أنا قسيم النار» أراد أن الناس فريقان، فريق معي فهم على هدى، وفريق عليَّ فهم على ضلال، فنصف معي في الجنة ونصف عليَّ في النار (النهاية لابن الأثير ج٤: ص٦١، مادة قسم). قال الزبيدي: قول علي عليه السلام: «أنا قسيم النار»، قال القتيبي: أراد أن الناس فريقان: فريق معي وهم على هدى، وفريق عليَّ وهم على ضلال، كالخوارج، فأنا قسيم النار، نصفٌ في الجنة معي ونصف عليَّ في النار (تاج العروس ج١٧: ص٥٦٩، مادة قسم). وعليه إذا كان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

➔

إلى غير هذه من خصائصه التي دلّت على أفضليته وإمامته(١).

➔

قسيم الجنة والنار فلماذا تقدم عليه خلفاء الجور؟! فلاحظ.

(١) فإنّ النصوص الدالّة على أفضليّة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وخصائصه وامامته وخلافته كثيرة جداً، وهي دالّة على أنّ من آمن بالله ورسوله حقّاً كان من الواجب عليه أن يحب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ويبغض أعدائه لأنّ حبه علامة لإيمانه، وبغضه علامة لعدم إيمانه، ومن كان كذلك فيجب عليه الإيمان بإمامته، لأنّ مقتضى الحبّ على الإطلاق وجوب الإيمان كما هو بالنسبة إلى الله ورسوله، وعليه كان من الواجب على جميع الصحابة أن يقتدون به ويهتدون به، لا أن يتقدمون عليه ولايغصبونه، فيكفي لكل باحث من أهل السنّة أن يتأمّل في هذه النصوص وهذه الروايات الصحيحة عند علماء أهل السنّة، ثم يأخذها بعين الاعتبار ويرى لماذا تقدم عليه خلفاء الجور وغصوا حقه؟!! فيعرف كالشمس في رابعة النهار أفضليّة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على جميع الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو دال على إمامته وخلافته بعد النبي صلى الله عليه وآله بلا فصل، وهناك رويات كثيرة تدلّ على المقام سنذكرها إن شاء الله في محله. ولا بأس أن نذكر هنا الرواية التي فيها ذكر علل بعض إوصاف الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد روى الشيخ الصدوق رحمه الله في كتابه علل الشرايع في باب العلّة التي من أجلها صار الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قسيم الله بين الجنة والنار بسنده عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام لم صار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قسيم الجنة والنار؟ قال: «لأنّ حبّه إيمان وبغضه كفر، وإنّما خلقت الجنة لأهل الايمان، وخلقت النار لأهل الكفر، فهو عليه السلام قسيم الجنة والنار، لهذه العلّة فالجنة لا يدخلها إلا أهل محبّته، والنار لا يدخلها إلا أهل بغضه». قال المفضل: فقلت: يا بن رسول الله فالأنبياء والأوصياء عليهم السلام كانوا يحبونه وأعدائهم كانوا يبغضونه؟ قال: «نعم»، قلت: فكيف ذلك؟ قال: «أما علمت أن النبي صلى الله عليه وآله قال يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله.. ما يرجع حتى يفتح الله

🡐

➔

على يديه». قلت: بلى..، قال: «أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أتي بالطائر المشوي قال صلى الله عليه وآله: اللهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذاالطائر - وعنى به علياً عليه السلام -» قلت: بلى، قال: «فهل يجوز أن لا يحبّ الله ورسوله؟» فقلت له: لا، قال: «فهل يجوز أن يكون المؤمنون من أممهم لا يحبون حبيب الله وحبيب رسوله وأنبيائه عليهم السلام؟» قلت: لا. فقد ثبت أن جميع انبياء الله ورسله وجميع المؤمنين كانوا لعلي بن ابي طالب عليه السلام محبّين وثبت أن أعداءهم والمخالفين لهم كانوا لهم ولجميع أهل محبّتهم مبغضين، قلت: نعم، قال: قال: «فلا يدخل الجنة إلا من أحبّه من الأولين والآخرين ولا يدخل النار إلا من أبغضه من الأولين والآخرين فهو إذن قسيم الجنة والنار». قال المفضل بن عمر: فقلت له: يا بن رسول الله فرجت عني فرج الله عنك فزدني ممّا علّمك الله، قال: «سل يا مفضل» فقلت له: يا بن رسول الله فعلي بن أبي طالب عليه السلام يدخل محبّه الجنة ومبغضه النار؟ أو رضوان ومالك؟ فقال: «يا مفضل، أما علمت أن الله تبارك وتعالى بعث رسول صلى الله عليه وآله وهو روح إلى الأنبياء عليهم السلام، وهم أرواح قبل خلق الخلق بألفي عام، قال: أما علمت أنه دعاهم إلى توحيد الله وطاعته واتّباع أمره ووعدهم الجنّة على ذلك وأوعد من خالف ما أجابوا إليه وأنكره النار» قلت: بلى، قال: «أفليس النبي صلى الله عليه وآله ضامناً لما وعد وأوعد عن ربه عزّ وجلّ؟» قلت: بلى قال: «أوليس علي بن أبي طالب خليفته وإمام أمته؟» قلت بلى، قال: «أوليس رضوان وملك من جملة الملائكة والمستغفرين لشيعته الناجين بمحبّته؟» قلت: بلى، قال: «فعلي ابن أبي طالب إذن قسيم الجنة والنار عن رسول الله صلى الله عليه وآله ورضوان ومالك صادران عن أمره بأمر الله تبارك وتعالى، يا مفضل خذ هذا فإنه من مخزون العلم ومكنونه لا تخرجه إلا إلى أهله فه» (علل الشرايع ج١: ص١٦٢ ح١). إذن هذه الرواية وأمثالها تدلّ بوضوح على عظمة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو مقدّم على جميع الخلائق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من الأولين والآخرين، فلاحظ.

قال السنّي:

وأمّا قوله: ثم على مبايعة الخلق له فتخصيصه عليّاً بمبايعة الخلق له دون الثلاثة قول باطل؛ فإنّه من المعلوم لكلّ من عرف سيرة القوم إنّ اتفاق الخلق على بيعة الثلاثة أعظم من اتفاقهم على بيعة عليّ، وعثمان قد بايعه أفضل من مبايعي عليّ، بايعه عليّ وعبدالرحمن بن عوف وطلحة والزبير والعباس وعبدالله بن مسعود وأمثالهم على سكينة وطمئنينة بعد مشاورة ثلاثة أيام. وعليّ بويع بعد قتل عثمان والقلوب مضطربة، مختلفة وكبار الصحابة متفرّقون.

وقال بعضهم باحضار طلحة مكرهاً، وكان لقاتلي عثمان أهل الفتنة شوكة في المدينة، وماج الناس موجاً عظيماً لقتله، وكثير من الصحابة لم يبايع عليّاً، كعبدالله بن عمر وأمثاله. وكان الناس معه ثلاثة أصناف: صنف قاتل معه، وصنف قاتله، وصنف لم يقاتله ولم يقاتل معه، فكيف يجوز بأن يقال في علي بمبايعة الخلق له دون الثلاثة، ولم يختلف عليهم أحد لمّا بايعهم الناس خصوصاً عثمان، ولم يختلف عن بيعة أبي بكر سوى سعد.

وذكر رضى سعد بإمامة أبي بكر حديثاً حسناً صدق بإرساله عن مسند أمامه أحمد ثم قال، واضطرب الناس في إمامة علي، فقالت طائفة أنه إمام ومعاوية امام، وقالت طائفة: لم يكن في ذلك الزمان إمام عام، بل كان زمان الفتنة، واستدلّ أحمد وغيره على إمامة علي بحديث سفينة عن النبيﷺ تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة، ثم تصير ملكاً، وهو المروي عند

أهل السنن. وقالت طائفة: بل علي هو إمام ذلك الوقت، وهو مصيب في قتاله لمن قاتله ومن قاتله من الصحابة جميعهم مجتهدون مصيبون، وهو قول من ذهب إلى إصابة كلّ مجتهد والمنصوص عن أحمد، وأئمة السنّة عدم ذمّ أحد منهم وأنّ علياً أولى بالحقّ من غيره، أمّا تصويب القتال فليس هو قول أئمة السنّة، بل هم يقولون تركه أولى، وطائفة تقول: إن عليّاً هو إمام ذلك الزمان وهو المصيب في القتال، ومن قاتلوه مجتهدون مخطئون في قتاله، وطائفة تقول أنّ عليّاً هو الخليفة وهو أقرب إلى الحقّ من معاوية ولكن ترك القتال أولى، فإنّ النبيﷺ قال: ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الساعي، وقد ثبت أنّه قالﷺ عن الحسن: أنّه سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين، فأثنى على ابنه الحسن بذلك ولو كان في القتال رجحان لما مدح تاركه وقتال البغاة لم يأمر الله به ابتداءً ولم يأمر بقتال كلّ باغ، بل قال تعالى: وإن طائفتان.. إلى حتى تفئ إلى أمر الله، فأمر في اقتتال المؤمنين بأن يصلح بينهم، فإن بغت احداهما قوتلت، ولذلك لم يحصل بالقتال مصلحة، ونقل حديثاً عن سنن السجستاني عن حذيفة عن النبيﷺ دلّ على أن محمد بن مسلمة لن تضرّه الفتنة، وهو ممّن اعتزل في القتال مثل ما اعتزل سعد بن أبي وقاص، وأسامة بن زيد، وعبدالله بن عمر، وأكثر السابقين، وهو يدلّ على عدم رجحان في القتال، ودلّ على ذلك ما ثبت في الصحيحين عن النبيﷺ أنّه قال: ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، والساعي خير من الموضع. وأمثال ذلك من

السنن الصحيحة التي بيّنت أن ترك القتال خير من فعله من الجانبين، ومن سوى هذه الفرق من المارقة والرفضة والمعتزلة فأقاويلهم في الصحابة كون غير ذلك، فالمارقة تكفّر عليّاً وعثمان ومن تابعهما، والرفضة تكفّر جميع الصحابة مثل الثلاثة ومن تابعهما، وتفسقهم، وتكفّر من قاتل عليّاً ويقولون هو إمام معصوم. وطائفة تفسقه، وطائفة من المعتزلة تقول قد فسق، إمّا هو وإمّا من حاربه؛ وطائفة أخرى تفسق معاوية، وابن العاص دون طلحة والزبير وعائشة، والمقصود أن المنازعة في إمامة عليّ وحروبه مشتهرة بين السلف والخلف، فكيف تكون مبايعة الخلق له أعظم من المبايعة الثلاثة فإن قال: أردت أنّ أهل السنة يقولون أن امامته انعقدت بمباية الخلق له دون النصّ، فأهل السنّة يقولون بأنّه من المنصوص عليه بخبر ثلاثين سنة، وهم يروون نصوصاً كثيرة في إمامة الثلاثة، وإمامة علي نصوصها قليلة، والثلاثة اجتمعت خير أمّة على إمامتهم، فحصل بهم المقصود من الخليفة، وقوتل بهم الكفار، وفتحت بهم الديار. وإمامة علي لم يقاتل فيها كافر، ولم يفتح فيها مصر، وإنّما كان السيف بين أهل القبلة. وأمّا النص الذي تدعيه الرفضة على علي فهو مثل النص الذي يدعيه غيرهم على العباس وجميعها معلوم الفساد بالضرورة عند أهل العلم، ولو لم يكن سوى مايدّعونه لم تثبت له إمامة مثل عدم ثبوتها للعباس[1].

(١) منهاج السنة ج١: ص٥٤٣-٥٤٦

قلت:

انتهى نقل ما زخرفه هنا ملخصاً، ومباني هذه الدعاوي قد تقدّم بيان كذبها وفسادها، وهو لم يستدلّ على غالبها بدليل، فأيّ فائدة في بيان الدعوى بدون دليل في مقام مخاصمة مشعر لديهم هذه الدعوى فاسدة عن جلي الدليل، ولنشر إلى فساد دعاويه هنا بأدلة معروفة مشهورة لدى أهل مذهبه موصوفة عندهم بالصحّة حفظاً للغفلة من غشّه وبهتانه ففي المقام وجوه[1].

---

(١) من الواضح أنّه لا اعتبار للقول الذي لا يستند إلى الدليل، ويسمّى ذلك الزعم، قال الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات: الزعم حكاية قول يكون مظنة للكذب، لذا فإنّ هذه الكلمة وردت مذمومة في جميع الموارد التي ذكرت في القرآن الكريم (انظر المفردات في غريب القرآن: ص٢١٣ مادة زعم). كما يطلق على الزعم القول الباطل، قال الله تعالى: ﴿**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ (سورة التغابن:٧)، وقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيداً**﴾ (سورة النساء:٦٠)، وقوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ**﴾ (سورة قصص:٧٤)، وقوله تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً**﴾ (سورة الإسراء:٥٩)، وإلى غيرذلك من الآيات فإنّ الزعم هو الاعتقاد المخالف للواقع، وفي قباله العلم الذي هو الاعتقاد المطابق للواقع، فما زعمه ابن تيمية في المقام مطابق لهذا التعريف، إذ قوله لم يستند إلى الدليل وليس ورائه ←

أحدها: أن ما زعمه من فساد قول نسب إلى أهل مذهبه بأنّ إمامة علي عليه السلام صارت بمبايعة الخلق له دون الثلاثة قول نشأ من التعصّب الباطل[(١)]؛

➔

علم واعتقاد مطابق للواقع، فهو كعادته لم يقيم الدليل على مدعاه، فلا قيمة لادّعائه، كما أنّ الادعاء بلا دليل عند أهل العلم لا قيمة له بل يعد زعماً باطلاً.

(١) لا يخفى على الباحث المتتبّع في الآثار والمتدبّر في الأخبار كذب ما ادّعاه ابن تيمية في المقام؛ لأنّ طريقة أهل السنّة في تعيين الإمام والخليفة أمر واضح عند الجميع، فهم يدّعون بالاتفاق أنّ أمر الإمامة راجع إلى الأمّة، ولكن اختلفوا في تحديد ماهية الأمّة التي يُراد بها في المقام، من أنّه هل المراد من الأمّة كلّ أفراد الأمة، أو جماعة معيّنون يصطلح عليهم بأهل المشورة أو أهل الحلّ والعقد؟ أو غير ذلك؟

فالأول لم يتحقّق بالنسبة إلى الخلفاء الثلاثة باعتراف جميع علماء أهل السنّة، لأنّ أبا بكر صار خليفة ببيعة عمر وعمر بتوصية أبي بكر وعثمان بالشورى الستّة، وبعدهم من الأمويّين والعباسيّين لم ينتخبهم الأمّة بالإجماع، ولذلك عدل علماء أهل السنّة عن هذا الأمر في باب انتخاب الإمام والخليفة إلى المعنى الآخر وهو أنّ المراد من الأمّة بعض أفراد الأمّة، وهم الذين يجب عليهم أن ينتخبوا الإمام، فهم أفراد معيّنون في كل بلد من بلدان المسلمين يسمّون بأهل الحلّ والعقد، وهذا أيضاً لم يتحقّق بالنسبة إلى الخلفاء الثلاثة؛ لأنّ أبا بكر صار خليفة ببيعة عمر وعمر بتوصية أبي بكر وعثمان بالشورى الستّة، فأين الانتخاب بأهل الحلّ والعقد من كلّ بلد؟ وما السبيل إلى انتخاب الذين يعيّنون أهل الحلّ والعقد؟

فكلّ هذه الأسئلة وغيرها صار سبباً لتعجيزهم عن بيان دليل واضح علمي جامع لتعيين الإمام عندهم، بل كلّما عندهم من القول في هذا المجال هو ما حدث في السقيفة وبعده، والبناء على ذلك صار سبباً لرفع اليد عن جميع ما أدعوه في باب انعقاد الإمامة، وأن كان ما

➔

➔

ذكروه في باب إمامة دعوى بلا برهان، ولكن لم يلتزموا به في المقام أيضاً، فقد رفعوا اليد عن هذا المبنى الباطل الذي أسّسوه في باب الإمامة، حيث أنّ خلافة الخلفاء الثلاثة كانت بلا معيار وميزان شرعاً وعرفاً وعقلاً؛ لأنّ أبا بكر صار خليفة ببيعة عمر وعمر بتوصية أبي بكر وعثمان بالشورى الستّة، وعليه فالرأي الراجح والثابت عندهم هو أن المراد بأهل الحلّ والعقد هم جماعة معدودون يتواجدون في بلد الإمام، وأن كان شخصاً واحداً، وقد أشار إلى هذا المعنى الماوردي في الأحكام السلطانية (انظر الأحكام السلطانية: ص٦). فاختلفوا في عدد أهل الحلّ والعقد إلى آراء: قال أبو الحسن الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين: واختلفوا في كم تنعقد الإمامة من رجل، فقال قائلون: تنعقد برجل واحد من أهل العلم والمعرفة والستر، وقال قائلون: لا تنعقد بأقلّ من رجلين، وقال قائلون: لا تنعقد بأقلّ من أربعة يعقدونها، وقال قائلون: لا تنعقد إلا بخمسة يعقدونها، وقال قائلون: لا تنعقد إلا بجماعة لا يجوز عليهم أن يتواطؤا على الكذب، ولا تلحقهم الظنة، وقال الأصم: لا تنعقد إلا بإجماع المسلمين (مقالات الإسلاميين ص٤٦٠). واعتبر الماوردي في الأحكام السلطانية: إجماع أهل الحلّ والعقد في بلد الإمام (الأحكام السلطانية ص٤٠). وقال القلقشندي في مآثر الإنافة في معالم الخلافة، في الفصل الثالث من بيان الطرق التي تنعقد بها الخلافة: اعتبر كفاية الاثنين، وفي معنى الاحتجاج قيل بكفاية ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو أربعين (مآثر الإنافة في معالم الخلافة ج٤: ص١٣١). ويبدو أن ما عليه الأشاعرة والجمهور من المسلمين هو كفاية الواحد للإنتخاب، كما ذكره الماوردي في أصول الدين ص٢٨٠ والإيجي في المواقف ص٤٠.

وهكذا نجد أن الاختيار يتقلص من اختيار الأمّة إلى النفر القليل فالواحد، نيابة عن الأمّة بأسرها، علماً أنّهم لم يشترطوا في هذا الاختيار توكيل الأمّة لهم بالنيابة فيه عنها. فلو سبق واحد ممّن عرفوهم بأهل الحلّ والعقد دون مشورة غيره، فضرب على يد آخر بالبيعة، ألزم الأمة بأسرها حسب منطوق هذا الاجتهاد، وإن كان فيها من هو أعلم منهما وأكثر بصيرة وعدالة، وذلك كبيعة عمر لأبي بكر كما ورد في قول الإيجي في المواقف

🡐

←

ص٤٠٠. ثم القول بالشورى جاء متأخّراً يعبر عن ما سمي قبلا بالاختيار.

ولقد ظهر ممّا سبق أنّ الملاك هو التسمية لا التطابق مع المضمون من قريب ولا من بعيد؛ قال أبو الحسن الأشعري في الإبانة : وإذا ثبتت إمامة الصديق، ثبتت إمامة الفاروق، لأن الصديق نصّ عليه، وعقد له الإمامة واختاره لها (الإبانة عن أصول الديانة ص١٨٩). وقال أبو بكر الباقلاني: ويوضح ذلك أيضاً أن أبا بكر عقدها لعمر فتمّت إمامته وسلّم عهده بعقده له (التمهيد ص١٧٩) وقال ابن حزم الأندلسي فوجدنا عقد الإمامة يصحّ بوجوه، أوّلها وأفضلها وأصحّها أن يعهد الإمام الميّت إلى إنسان يختاره إماماً بعد موته (الفصل ج٤: ص١٦٩-١٧٠)، وقال الشيخ محمد شربيني لا يشترط في الاستخلاف رضى أهل الحلّ والعقد ولا مشاورة أحد، ويجوز العهد إلى الولد والوالد، كما يجوز إلى غيرهما، وقد جزم به صاحب الأنوار (معنى الإحتجاج ج٤: ص١٣١)، وقد صحّحوا الخلافة بالتسلّط والغلبة، قال الباجوري في حاشية الباجوري على شرح القزي: ثالثها استيلاء شخص مسلم ذي شوكة، يتغلّب على الإمامة، ولو غير أهل لها، كصبي وامرأة وفاسق وجاهل، فتنعقد إمامته لينظم شمل المسلمين، وتنعقد أحكامه بالضرورة (حاشية الباجوري على شرح القزي: ص٢٥٩-٢٦٠)، ويقول ابن حزم الأندلسي في الفصل: فإن مات الإمام ولم يعهد إلى إنسان بعينه، فوثب رجل يصلح للإمامة فبايعه واحد فأكثر، ثم قام آخر ينازعه ولو بطرفة عين بعده، فالحقّ حقّ الأول سواء أكان الثاني أفضل منه أو مثله أو دونه وأوجبوا طاعة الفاسق (الفصل ج٤: ص١٦٩-١٧٠)، كما في قول الباجوري، وقول لتفتازاني (في شرح المقاصد ج٥: ص٢٣٣): ولا ينعزل الإمام بالفسق أو الإغماء وينعزل بالجنون والعمى والخرس وبالمرض ينسيه العلوم. والباجوري في الحاشية أيضاً فتجب طاعة الإمام ولو جائراً (حاشية الباجوري على شرح القزي ج٢: ص٢٥٩-٢٦٠): وفي شرح مسلم: يحرم الخروج على الإمام الجائر إجماعاً.. ويقول زين بن نجيم (في الأشباه والنظائر: ص٢٠٥): ولا ينعزل الإمام بالفسق.. ويعتبر ابن حزم (الفصل ج٤: ص١١٦): أنه من المكروه تولي الإمامة من قبل فاقد العدالة، وهكذا فهو يحمل ذلك على

←

➔

الكراهة لا على الحرمة. وحسب الاجتهاد غدى أهل البغي هم المخالفون للإمام الجائر ولو كانوا من أهل العدالة (الشربيني في مغني الإحتجاج في شرح ألفاظ المنهاج ج ٤ : ص١٢٣). فهذه وغيرها نبذه يسيرة من أقوال علمائهم تدلّ بالصراحة على أنّ خلافة خلفائهم لم تكن بإجماع الأمّة ولا بأهل الحلّ والعقد. وما ذكرناه هنا بالإيجاز أقول القوم ليعرف القارئ الكريم أكاذيب ابن تيمية في المقام، فإنّه وإن كان ما قدّمناه موجز من الأقوال ولكن به الكفاية، لأنّ علماء المتأخّرين منهم ليس لديهم إلا ما ورثوه من سلفهم.

وأمّا مبايعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون إمامته بالنصّ والإجماع، ليتمّ الحجّة على الجميع، فأولاً امامته بالنصّ، فإنّها بالآيات التي نزلت في إمامته بإجماع المسلمين، حيث ذكرها علماء المسلمين في تفاسيرهم كآية ابلاغ وآية إكمال الدين، وآية الولاية، وغيرها من الآيات الدالّة على إمامته بعد النبي صلى الله عليه وآله بلا فصل، وكذلك بالسنّة النبوية المعتبرة عند جميع المسلمين من جهة السند والدلالة، وهذا مضافاً إلى الاستناد بالنصّ يكون استناداً بالإجماع أيضاً، لأنّ هذا نوع من الاستدلال فيه تحقّق الإجماع من جهة قبول النصوص عند الكلّ. ثم تحقّق الإجماع بالبيعة في يوم غدير خمّ، الذي جمع رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين من جميع الأقطار والبلدان للوصيّة بالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وخلافته من قبل الله عزّ وجلّ، فبايع كلّ من حضر غدير خمّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالإمامة والخلافة حتى الخلفاء الثلاثة، وهذا أيضاً نوع آخر من الإجماع العملي على إمامته وخلافته، وكذلك حصل الإتفاق على إمامته عليه السلام بانتخاب المسلمين له بعد مقتل عثمان، فإنّه قد أجمع على إمامته عليه السلام وبيعته عليه السلام الأمّة الإسلامية قاطبة بعد مقتل عثمان؛ فإنّ إجماع أهل السنّة قائم على ذلك، وكانت بيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في ذلك الحين على رؤوس الملأ، وإن نكث بعض الصحابة البيعة، وانجر عن ذلك حرب الجمل، وحرب صفين، وحرب النهروان، وزهقت فيها أرواح بريئة، ولكن الإجماع حصل بيعته عليه السلام، فلاحظ أيها القارئ العزيز كيف يكذب ابن تيمية ويريد أن يقلّب الحقيقة إلى

➔

لما هو معلوم مما مضى نقله عن أهل مذهبه من ثبوت إمامة أبي بكر بنفس مبايعة عمر له[1]،

غير واقعه.

(١) لا يخفى على أهل العلم والفضيلة أنّ خلافة أبي بكر تمّت بمبايعة عمر بن الخطاب له في السقيفة، فقد أخرج أرباب الصحاح من أهل السنة، والمؤرخون والمحدّثون وأصحاب السير منهم: أنّه بعد وفات النبيصلى الله عليه وآله وانشغال أهل بيت النبيصلى الله عليه وآله وهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وبنو هاشم لتجهيز النبيصلى الله عليه وآله، واجتمع الأنصار في السقيفة للمحادثة حول الزعامة والرئاسة، ولمّا سمع عمر خبر اجتماع الأنصار في السقيفة أتى أبا بكر فقال له: أما علمت أن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة (السقيفة هي مظلّة يجتمع تحتها الناس) على أن يولى هذا الأمر سعد بن عبادة. فخرجا مسرعين نحو السقيفة وجمعاً في طريقهما عددا من المهاجرين وتنازعوا بين الذهاب أو حسم الأمر بينهم دون الأنصار. فدخلوا على الأنصار فاستغلّوا الفرصة لطرح الإمارة والخلافة، فقال أحدهم: منّا أمير ومنكم أمير! وكان شيخ الأنصار سعد بن عبادة الأنصاري وكان يومها مريضاً جالساً وكذلك كان هناك الحباب بن منذر الأنصاري مع لفيف من قومه. فصاح أبو بكر في أهل السقيفة قائلاً: إنّ العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أواسط العرب داراً ونسباً... وصاح أحد الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش... (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٤٤٤). بعد ذلك تعالت الأصوات في السقيفة حتى قال الحباب بن منذر يدعو قومه الأنصار: يا معشر الأنصار، املكوا عليكم أمركم، فإن الناس في ظلّكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولا يصدرون إلا عن رأيكم. أنتم أهل العزّ وأولو العدد والمنعة وذوو البأس، وإنّما ينظر الناس ما تصنعون، ولا تختلفوا فيفسد عليكم أمركم، إن أبى هؤلاء إلا ما سمعتم فمنّا أمير ومنكم أمير (تاريخ الطبري ج٢: ص٤٥٧ حوادث سنة١١). فقال عمر بن الخطاب: يا أيها الناس، هذا ابو بكر وهو ذو شيبة

➔

المسلمين فبايعوه. وردّ عليه الحباب بن المنذر قائلاً: يا معشر الأنصار، لا تسمعوا مقالة هذا (يقصد عمر بن الخطاب) وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم فأجلوهم من هذه البلاد وتولّوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحقّ بهذا الأمر منهم، فإنّه بأسيافكم دان الناس لهذا الدين، أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب (الجذيل تصغير الجذل وهو أصل الشجرة والمحكك عود ينصب في مبارك الابل) أنا أبو شبل في عرينة الأسد، والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة - أي فتية - فقال عمر: إذا، ليقتلك الله! فردّ عليه الحباب: بل إياك يقتل.. (انظرشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١ ص١٢٢، ومثله في الموفقيات ج٢ ص٨ للزبير بن بكّار المتوفى٢٥٦ هجرية). وقيل أن عمر ضرب الحبّاب على أنفه أثناء ذلك (انظر سيرة ابن هشام ج١ ص٦٥). وقال سعد بن عبادة شيخ الأنصار لعمر بن الخطاب: أما والله لو أن لي ما أقدر به على النهوض، لسمعتم مني في أقطارها زئيراً، يخرجك أنت وأصحابك، ولألحقنّك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع، خاملاً غير عزيز (انظرالإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص١٠، وتاريخ الطبري ج٢ ص٤٥٩). وقام زيد بن ثابت، وهو من يهود المدينة الذين أسلموا عند هجرة وهو من المتحمسين لأبي بكر، فقال: إنّ رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، ونحن أنصاره، وإنّما يكون الإمام من المهاجرين ونحن أنصاره، وقال أبو بكر: هذا عمر وأبو عبيدة فأيّهما شئتم فبايعوا. وفي أثناء ذلك الجدال تدخل قبيلة أسلم المدينة وتحرس الطرق والدروب لنصرة أبي بكر وعمر وأبي عبيدة، وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب عندما علم بدخول قبيلة أسلم وسيطرتها على المدينة: ما هو إلا أن رأيت أسلم. فأيقنت بالنصر (انظرالكامل لابن الأثير ج٢ ص٢٢٤). فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى تخوّفت الاختلاف فقال عمر بن الخطاب: فقلت لأبي بكر: ابسط يدك لأبايعك (السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٣٣٦).

هذا ملخّص ما اتّفق عليه أرباب الصحاح والمسانيد والسير في كتبهم.

فتأمّل أيها القارئ الكريم أن هناك تخطيطاً عسكريّاً لتثبيت حكم أبي بكر، فقول عمر ابسط يدك، فأبسط يده في أي حالة؟!! في تلك أجواء المتشنّجة؟!!! وفي أي حالة تمّت البيعة

🡐

ومن ثبوت إمامة عمر بنص أبي بكر عليه(١)،

➔

لأبي بكر؟!! وقد اعترف بذلك عمر بن الخطاب على ما رواه البخاري عنه: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمّت إلا وأنّها قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرّها وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر من بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٢٥ كتاب المحاربين من الكفر والردة، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت)، فهذه أسناد أهل السنّة التي تؤكّد على أنّ بيعة أبي بكر تمّت بشخص واحد، وذلك ببيعة عمربن الخطاب له الذي عبر عنه بالفتلة أي فجأةً، فهل هذا هو إجماع الأمة؟ فلاحظ.

(١) لاشك أنّ إمامة عمر بن الخطاب عند أهل السنة انعقدت بشخص واحد، وهو أبو بكر. ولم يكن عنوان الشورى مطروحاً عند أحد، حيث أوصى أبو بكر بعمر بن الخطاب من بعده، كما يروي القاضي أبو يوسف صاحب أبي حنيفة في كتابه الخراج، يقول: لما حضرت الوفاة أبا بكر، أرسل إلى عمر يستخلفه، فقال الناس: أتستخلف علينا فظاً غليظاً، لو قد ملكنا كان أفظ وأغلظ، فماذا تقول لربك إذا لقيته ولقد استخلفت علينا عمر؟! قال: أتخوفوني ربّي، أقول: اللهم أمرت خير أهلك (كتاب الخراج: ص١١). وهذا النصّ يفيدنا أمرين، الأول: إن إمامة عمر بعد أبي بكر لم تكن بشورى، ولا بنصّ من القرآن الكريم أو النصّ من النبي الأكرمﷺ إذن، لم يكن لإمامة عمر بنصّ معتبر، ولم تكن بشورى من المسلمين، وإنّما بدعوى أبو بكر الأفضليّة لعمر، ثم قال للمعترضين عليه: اللهم أمرت خير أهلك، فهذا الذي يعتمد عليه أهل السنّة في خلافة عمر فلا دلالة فيه على تحقّق الشورى، ولا شئ معتبر آخر، بل هذا دال على مخالفة الناس له.

الأمر الثاني: معارضة الناس لما فعله أبو بكر من استخلاف عمر بن الخطاب، حيث قالوا: أتستخلف علينا فظا غليظاً، لو قد ملكنا كان أفظ وأغلظ، فماذا تقول لربك إذا لقيته ولقد استخلفت علينا عمر؟! وهذا النصّ بعينه موجود في كتاب المصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج٧: ص٤٨٥ ح٤٦، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص٣٢، وتاريخ

🡐

➔

دمشق لابن عساكر ج٢٠: ص٤١٣، والملل والنحل للشهرستاني ج١: ص٢٥ وغيرهم. ولو راجعنا المصادر لوجدنا في بعضها بدل كلمة: الناس، جملة: معشر المهاجرين ففي كتاب إعجاز القرآن للباقلاني، وكتاب الفائق في غريب الحديث للزمخشري، وكذا في غيرهما: عن عبد الرحمن بن عوف قال: دخلت على أبي بكر في علّته التي مات فيها، فقلت: أراك بارئاً يا خليفة رسول الله؟ فقال: أما إني على ذلك لشديد الوجع، وما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد علي من وجعي! إني ولّيت أموركم خيركم في نفسي، فكلّكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه، والله لتتّخذن نضائد الديباج وستور الحرير... إلى آخر الخبر (انظر إعجاز القرآن للباقلاني بهامش الإتقان: ص١٨٤، والفائق في غريب الحديث للزمخشري ج١: ص٤٥)، أي إنّكم يا معاشر المهاجرين تريدون الخلافة، وكلّ منكم يريدها لنفسه، لأجل الدنيا، ويخاطب بهذا أبو بكر المهاجرين، بدل كلمة الناس في النص السابق. فقال له عبد الرحمن بن عوف: خفض عليك يا خليفة رسول الله، ولقد تخليت بالأمر وحدك، فما رأيت إلا خير (انظر إعجاز القرآن للباقلاني بهامش الإتقان: ص١٨٤، والفائق في غريب الحديث للزمخشري ج١: ص٤٥). من هذا الكلام نفهم أمرين أيضاً، الأمر الأوّل: أنّه كان هذا الإستخلاف من أبي بكر وحده، بلا مشورة من الصحابة؛ ولذلك قال له: فقد تخليت بالأمر وحدك.

الأمر الثاني: أن عبد الرحمن بن عوف كان موافقاً لما فعله أبو بكر، ولكن يريد منه عدم الاستعجال لاستخلاف عمر، ولعلّه يريد أن يقول له: عليك بمراعاة الناس لئلا يثورون عليك؛ لأنّ الصحابة كانوا يعرفون عمر بن الخطاب ولم ينسوا ما قاله عمر بن الخطاب في الحديبية، فها نحن نذكرها، وقد رواه عبد الله بن عباس، وجابر، وسهل بن حنيف، وأبو وائل، والقاضي عبد الجبار، وأبو مسلم الأصفهاني، ويوسف القزويني، والثعلبي، والطبري، والواقدي، والزهري، والبخاري، وقد ذكر الحميدي في الجمع بين الصحيحين من مسند المسور بن مخرمة، في حديث الصلح بين سهيل بن عمرو وبين النبي صلى الله عليه وآله يقول فيه: فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله صلى الله عليه وآله فقلت: ألست نبيّ الله حقّاً؟ قال:

➔

ومن ثبوت إمامة عثمان بتعيين عبد الرحمن له[1]،

➔

«بلى»، قلت ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟ قال: «بلى»، قلت: فلم نعطي هذه الدنية في ديننا إذن؟ قال صلى الله عليه وآله: «إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري»، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال صلى الله عليه وآله: «بلى»، قال: «فأخبرتك أنك تأتيه العام؟» فقلت: لا، قال: «فإنك آتيه وتطوف به»، قال: فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبيّ الله حقّاً؟ قال: بلى، فقلت: ألسنا على الحق وعدوّنا على الباطل؟ قال: بلى، فقلت: فلم نعطي هذه الدنية في ديننا إذن؟ قال: أيّها الرجل أنّه رسول الله، وليس يعصي ربّه وهو ناصره، فاستمسك بعروته، فوالله أنّه على الحقّ، قلت: أوليس كان يحدثنا أنه سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: فأخبرك أنّه يأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه وتطوف به (انظر صحيح البخاري ج٣: ص١٨٢ كتاب الشروط، باب الشرط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب وكتابة الشروط)، وزاد الثعلبي عند تفسير سورة الفتح: أن عمر بن الخطاب قال: ما شككت منذ يوم أسلمت إلا يومئذ (انظر الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ج٩: ص٦٠). أقول: ولا ريب أن هذه القصة دالة على أن عمر كان شاكّاً في دينه، ولا شكّ أن الشاكّ في الدين يعد من الكفار، وهذه الحكاية لم تكن مخفيّة على الصحابة ومن أجل ذلك قال عبد الرحمن بن عوف: خفض عليك يا خليفة رسول الله، أي لا تستعجل بهذه السرعة أن الناس يعرفون حال عمر، أخاف أن يثوروا عليك...

(١) لقد تقدّم البحث عن كيفيّة تولي عثمان الخلافة، واجماله أنّ عثمان بن عفان وصل الخلافة بالشورى العمريّة، وبتدبير من عبد الرحمن بن عوف، وذلك من خلال السياسيّة التي اتّخذها عمر بن الخطاب عندما طعن، فاختار ستّة من كبار الصحابة، وهم الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقّاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، ودعاهم إليه، ثم ألزمهم أن يختاروا من بينهم واحداً، وأن يكون الاختيار على أساس الغالبية، لكن حدّد طريقة

➔

➔

التعيين بحسب رغبته، فاستعمل أبا طلحة زيد بن سهل الأنصاري، وقال له: إن رضي أربعة وخالف اثنان، فاضرب عنق الاثنين، وإن رضي ثلاثة وخالف ثلاثة، فاضرب أعناق الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن.

فعمر بن الخطاب كان يعلم أنّ عبد الرحمن بن عوف هو صهر عثمان بن عفّان؛ لأنّه تزوّج أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهي أخت عثمان لأمّه. وأيضاً كان يعلم أنّ عثمان يمثّل الأمويين، فأراد أن يسلّطهم على المسلمين؛ كي تبتعد الخلافة عن بني هاشم.

ولا يخفى أنّ عبد الرحمن بن عوف لعب دوراً كبيراً في تولية خلافة عثمان، يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة: إن عليّاً غضب يوم الشورى، وعرف ما دبّره عبد الرحمن بن عوف فقال له: «والله ما فعلتها إلا لأنّك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه، دقّ الله بينكما عطر منشم» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص١٨٨).

أما عطر منشم الذي دعا به الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عليهما فهو مثل سائر يقال: أشأم من عطر منشم، وهو يدلّ على النفور والمقاتلة. واستجاب الله دعاء الإمام، فلم تمض سنوات قليلة حتّى ضرب الله بينهم العداوة والبغضاء، وإذا بعبد الرحمن يعادي صهره، ولا يكلّمه حتّى الموت، ولا يأذن له بالصلاة على جنازته.

ويتجلّى لنا أيضاً من هذا البحث الوجيز أنّ عبد الرحمن بن عوف هو رأس من رؤوس قريش الذين عملوا على طمس السنّة النبويّة وابدالها ببدع الخليفتين، لإبعاد الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن الخلافة بشرطه الذي اشترطه عليه في تحكيم سنّة الخليفتين أبي بكر وعمر، لعلمه مسبقاً بأنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لا يقبل بذلك الشرط أبداً لأنّ سنّتهما مخالفة للكتاب والسنّة النبويّة.

كما يتجلّى لنا بأنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو الوحيد الذي ضحّى بالخلافة وما فيها، من أجل الحفاظ على السنّة المحمّدية التي جاء بها أخوه وابن عمّه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

يقول المؤرخون أنّ عبد الرحمن بن عوف ندم أشدّ الندم لمّا رأى عثمان أعطى المناصب

➔

قال خاتمة حفّاظهم في إصابته في ترجمة عليعليه السلام: فلمّا قتل عثمان بالمدينة فبايعه جميع من كان فيها من الصحابة، ويقال: أنّ طلحة والزبير

➔

والولايات إلى أقاربه وحاباهم بالأموال الطائلة، فدخل عليه وعاتبه.

فقال عثمان: إنّ عمر كان يقطع قرابته في الله وأنا أصل قرابتي في الله، قال عبد الرحمن: لله عليّ أن لا أكلّمك أبداً، فلم يكلّمه حتّى مات وهو هاجر لعثمان، ودخل عليه عثمان عائداً له في مرضه، فتحوّل عنه إلى الحائط ولم يكلّمه (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٢: ص٢٦٤).

وبعد وضوح ما تقدّم يعرف بوضوح أنّ الشورى العمريّة كانت تهدف التآمّر ضد المسلمين المخالفين للسلطة الحاكمة وخلفاء الجور، حيث اهتمّ عمر بن الخطاب في الشورى بعبد الرحمن بن عوف، وأعطاه خاصّة حقّ اتّخاذ القرار النهائيّ من دون الآخرين في تلك الشورى.

ثمّ ما المسوغ لقتل من خالف قرار عبد الرحمن ورأيه؟!! ومن الّذي كان يخشى منه المخالفة لرأي عبد الرحمن من دون الآخرين؟!!!

وأخيراً هل أنّ الخلافة الشورى العمرية مرّة واحدة أو أنّها قاعدة لتعيين الخليفة؟ ولوأقامت الخلافة بمثل ذلك لواحد من الخلفاء طوال القرون من هو ذلك الخليفة؟ هذه أسئلة تتوارد على الشورى العمريّة؟!!

ولكن لم نجد في كتب القوم جواباً وافياً عنها، بل كلما نبحث نجد أدلّة واضحة تدلّنا على أنّ الهدف الرئيس كان وصول بني أميّة إلى الحكم والحكومة، لئلا يطالب المسلمون بعد ذلك حقوقهم المعيّنة من قبل الإسلام، لأنّ الناس كانت تعرف بني أمية بمخالفتهم للإسلام في جميع أدوار، حتى بعد استسلام الطلقاء، ولذلك جعل عمر بن الخطاب عبد الرحمن بن عوف زميل عثمان مسلّطاً على الشورى للوصول إلى هذا الهدف وسنذكر تفصيل الكلام في محله أن شاء الله تعالى.

بايعا كارهين(١).

وقال حافظهم المغربي في استيعابه: واجتمع على بيعته نفر، فلم يكرههم(٢).

وقال ابن اسحاق: لمّا قتل عثمان بويع عليعليه السلام بيعة العامة في المدينة، في المسجد، وبايع له أهل البصرة، وبايع له بالمدينة طلحة والزبير(٣).

وفي الرياض النضرة: وعن المسور بن مخرمة وغيره أنّ الناس مالت إلى عليعليه السلام بعد قتل عثمان، فبايعه في المسجد(٤).

وقال ابن قتيبة في كتاب الإمامة والسياسة، والطبري في تاريخه وغيرهما: لمّا قتل عثمان هرع الناس إلى عليعليه السلام ليبايعوه فأبى، وقال: من رضيه أهل بدر فهو الخليفة، فاجتمع أهل بدر وجميعهم، قال: ما ترى أحقّ بها منك، مد يدك نبايعك، فبايعوه(٥). وعند الطبري وغيره زيادة: وهي عدم رضاه بالبيعة، ودخوله حائطاً مغلقاً عليه بابه، فقسوروه عليه، وفيهم طلحة والزبير فبايعوه، ثم مضى إلى المسجد فبايعه الناس، ويقال: تلكأ طلحة

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج٤: ص٤٦٥

(٢) الإستيعاب لابن عبد البر الأندلسي ج٣: ص١١٢١

(٣) السيرة النبوية لابن اسحاق ج٢: ص٢٧٦

(٤) الرياض النضرة لمحبّ الطبري ج٣: ص٢٣٠

(٥) انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١: ص٦٥، وتاريخ الطبري ج٣: ص٤٥٦، وأسد الغابة لابن الأثير ج٤: ص٢١، وأنساب الأشراف للبلاذري ج٥: ص٥٥٩، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٧٧، ومروج الذهب للمسعودي ج٢: ص٣٧٣ وغيرهم.

والزبير لما بايع الناس عليّاًعليه السلام فسلّ مالك سيفه فبايعاه[١].

وفي التذكرة عن الزهري، قال: قال علي لهما: فإن تحبا بايعتماني، ولو تحبان فبايعتكما، فبايعاه[٢]. وكلمات غيرهم تقرب من كلماتهم[٣].

---

(١) انظر تاريخ الطبري ج٣: ص٤٥١، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١١: ص١٧، وأنساب الأشراف للبلاذري ج٢: ص٢١٠، وغيرهم.

(٢) انظر تذكرة الحمدويه لابن حمدويه ج٦: ص٢٦٧

(٣) فإن الباحث لو درس المصادر الإسلامة دراسة علمية موضوعية خارجة عن التعصب يجد بوضوح انعقاد الإجماع على خلافة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام والبيعة له بالخلافة والإمامة بعد مقتل عثمان؛ حيث صرح المحدّثون والمؤرخون أنّه: لمّا قتل عثمان بايع الناس الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بالخلافة والإمامة، وكانت بيعة الإمامعليه السلام عامّة شاملة، وقد اشترك فيها جميع المهاجرين والأنصار (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٢٧). وتمام من كان في المدينة. وقد بايع الجميع عن اختيار كامل، وحرّية تامّة. ثمّ بايعه أهالي مكّة والحجاز والكوفة (انظر الفتوح لابن الأعثم ج٢: ص٤٢٩). وقد صرّح الإمامعليه السلام نفسه بأنّ بيعته كانت عامّة شاملة (انظر الكامل للمبرد ج١: ص٤٢٨). كما صرّحت المصادر التاريخيّة الكثيرة باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعة الإمامعليه السلام (انظر العقد الفريد لابن عبد ربه ج٢: ص٢١١). قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة عن ابن عبّاس: لمّا دخل عليّعليه السلام المسجد وجاء الناس ليبايعوه، خفت أن يتكلّم بعض أهل الشنآن لعليّعليه السلام؛ ممّن قتل أباه أو أخاه أو ذا قرابته في حياة رسول اللهصلى الله عليه وآله، فيزهد عليّ في الأمر ويتركه، فكنت أرصد ذلك وأتخوّفه، فلم يتكلّم أحد حتى بايعه الناس كلّهم، راضين مسلمين غير مكرهين (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٤: ص١٠)، وقال ابن الأعثم في الفتوح: قالت الأنصار للناس: إنّكم قد عرفتم فضل عليّ بن أبي طالبعليه السلام وسابقته وقرابته ومنزلته من النبيّصلى الله عليه وآله، مع علمه بحلالكم وحرامكم، وحاجتكم إليه من بين الصحابة، ولن يألوكم ←

➔

نصحاً، ولو علمنا مكان أحد هو أفضل منه وأجمل لهذا الأمر وأولى به منه لدعوناكم إليه. فقال الناس كلّهم بكلمة واحدة: رضينا به طائعين غير كارهين فقال لهم عليّعليه السلام: «أخبروني عن قولكم هذا: رضينا به طائعين غير كارهين أحقّ واجب هذا من الله عليكم، أم رأي رأيتموه من عند أنفسكم؟» قالوا: بل هو واجب أوجبه الله عزّ وجلّ لك علينا (انظر الفتوح لابن الأعثم ج٢: ص ٤٢٥). وقال صاحب كتاب الجمل بسنده عن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن ابن أبزى: ألا أُحدّثك ما رأت عيناي وسمعت أذناي!! لمّا التقى الناس عند بيت المال قال عليّ لطلحة: ابسط يدك أُبايعك. فقال طلحة: أنت أحقّ بهذا الأمر منّي، وقد اجتمع لك من أهواء الناس ما لم يجتمع لي. فقالعليه السلام له: «ما خشينا غيرك!» فقال طلحة: لا تخش، فوالله لا تؤتى من قِبلي، وقام عمّار بن ياسر، وأبو الهيثم بن التيّهان، ورفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان، وأبو أيّوب خالد بن زيد، فقالوا لعليّ: إنّ هذا الأمر قد فسد، وقد رأيت ما صنع عثمان، وما أتاه من خلاف الكتاب والسنّة، فابسط يدك نبايعك؛ لتصلح من أمر الأمّة ما قد فسد فاستقال عليّعليه السلاموقال: «قد رأيتم ما صنع بي، وعرفتم رأي القوم، فلا حاجة لي فيهم» فأقبلوا على الأنصار، فقالوا: يا معاشر الأنصار، أنتم أنصار الله وأنصار رسوله، وبرسوله أكرمكم الله تعالى، وقد علمتم فضل عليّ وسابقته في الإسلام، وقرابته ومكانته التي كانت له من النبيّصلى الله عليه وآله، وإن ولي أنالكم خيراً. فقال القوم نحن أرضى الناس به، ما نريد به بدلاً، ثمّ اجتمعوا عليه، فلم يزالوا به حتى بايعوه (انظر كتاب الجمل لضامن بن شدقم: ص١٢٨). وقال ابن الأثير بسنده عن الزهري عن ابن المسيب قال: لما قتل عثمان جاء الناس كلّهم إلى عليعليه السلام يهرعون أصحاب محمدصلى الله عليه وآله وغيرهم كلّهم يقول أمير المؤمنين علي حتى دخلوا عليه داره فقالوا: نبايعك فمد يدك فأنت أحق بها، فقال علي: «ليس ذاك إليكم انما ذاك إلى أهل بدر فمن رضى به أهل بدر فهو خليفة» فلم يبق أحد إلا أتى عليّاً فقالوا: ما نرى أحداً أحقّ بها منك فمد يدك نبايعك، فقال: «أين طلحة والزبير؟» فكان أول من بايعه طلحة بلسانه وسعد بيده فلما رأى على ذلك خرج إلى المسجد فصعد المنبر فكان أول من صعد إليه فبايعه طلحة

➔

فعلم من جميعها كون الناس بميل نفوسهم طبعاً هرعت إلى مبايعة علي عليه السلام بدون متابعة منهم لرجل مثل بيعتهم أبا بكر وعمر وعثمان[1]،

➔

وتابعه الزبير وأصحاب النبي صلى الله عليه وآله (انظر أسد الغابة لابن الأثير ج٤: ص٣٢)، وإلى غير ذلك من الأقوال.

(١) فإنّ الباحث المتتبّع في الآثار والمتدبّر في الأخبار لو درس المصادر الإسلامية دراسة علمية موضوعية خارجة عن التعصّب يجد بوضوح انعقاد الإجماع على خلافة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والبيعة له بالخلافة والإمامة عن طيب النفس في غدير خم وكذلك بعد مقتل عثمان، حيث قد بايعه جميع الحاضرين في غدير خم للخلافة والإمامة بشكل عام، ومنهم الخليفة الأول والخليفة الثاني وقد هنئاه بقولهما: بخ بخ لك يا علي، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة وقد عقد العلامة الأميني رحمه الله باباً في كتابه الغدير بعنوان حديث التهنئة وجمع فيه روايات تهنئة الشيخين أبي بكر وعمر للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام التي رواه علماء أهل السنة (لاحظ الغدير ج١: ص٢٦٩–٢٨٢)، وسنذكر الروايات والوثائق التاريخية الواردة في هذا المجال من مصادر أهل السنّة في محله ان شاء الله تعالى، وإنّها بالغة عن حدّ الإستفاضة، ونثبت بأنّه لم يتحقق مثل هذه البيعة، بيعة في الإسلام، وكذلك بيعته عليه السلام بعد مقتل عثمان؛ فإنّ النصوص صريحة في الإجماع عليه عليه السلام كما تقدّمت الإشارة إلى بعضها.

وأمّا بيعة أبي بكر إنّما تمّت في الأجواء المتشنّجة على أثر النزاعات والتشاجرات، والقتل والهتك والفتك في السقيفة وكانت ببيعة شخص واحد وهو عمر بن الخطاب الذي عبر هو بنفسه عن تلك البيعة بفلتة. ثم هناك مخالفة مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وأهل البيت عليهم السلام والصحابة التابعين للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فهذه التي سماه أهل السنّة ببيعة أبي بكر، فأين هذه البيعة من الإجماع!!! وكذلك بيعة عمر بن الخطاب فإنّها كانت في الأجواء

➔

←

المشحونة بالتوتر والتشاجر والاختلاف بين الصحابة وتمّت بوصيّة من أبي بكر بلا مشورة من الصحابة فاعترض عليه جمع من كبار الصحابة، وأين هذه البيعة من البيعة التي تدعيه أهل السنّة بالإجماع؟!!! وكذلك بيعة عثمان لم تكن عن مشورة من الصحابة، بل الصحابة كانوا مخالفين له إلى آخر حياته، ولذلك حاول بعض المتعصّبين مثل ابن تيمية وابن كثير نفي صفة الإجماع عن البيعة للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ردّاً للفعل؛ لأنّهما يعلمان أنّ بيعة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان بيعة جميع المسلمين وكانت مميّزة بظاهرتين، الأولى: تحققها بشكل عام عند جميع الناس في غدير خم وكذلك بعد مقتل عثمان، والثانية: كونها عن طيب النفس عند عموم الناس، ولم تكن مثل بيعة خلفائهم ببيعة شخص واحد ثم إكراه الناس وإجبارهم عليها، فحاول ابن تيمية وابن كثير نفي الإجماع عن بيعة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بذكر عدد قليل ممّن لم يبايعوا الإمام عليه السلام كابن عمر وسعد بن أبي وقّاص وكعب بن مالك وعبد الله بن السلام ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وأمثال هؤلاء الذين حالهم معلوم عند الكلّ وعداوتهم للإمام عليه السلام كانت واضحة لدى الكل، وقد جاء في التاريخ هويّة هؤلاء العدّة ممّن تخلّفوا عن بيعة الإمام عليه السلام (انظر موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ج٤: ص٨٩-١٠٢)، فكانت محاولة ابن تيمية وابن كثير فاشلة؛ لأنّ عموم الناس كانوا يعتقدون بأنّ المؤهل الوحيد لقيادة الأمّة هوالإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولم يخالف في ذلك إلا أهل النصب والعداء لأهل البيت عليهم السلام على نحو العموم وللإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على نحو الخاصّ، وإنّ تخلف هذا العدد القليل عن البيعة فلا يعتني بنكثهم أحد حتى عند أهل السنّة، إذ لا يكون لهم أهلية المعارضة في قبال بيعة المهاجرين والأنصار والبدريّين وأصحاب بيعة الرضوان وأهل الحرمين. بل ولايخفى على الخبير أنّ هذا النوع من المخالفة يعتبر عند أهل السنّة والجماعة بغياً على الإمام الشرعي، لأنّ أهل السنة يعتقدون أنّه لو تمت البيعة الشرعية للإمام لا يجوز مخالفته؛ فإنّ مخالفته تكون بغياً عليه. ومن المعلوم أنّ من بايع الإمام

←

➔

أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أكثريّة المسلمين، ولم ينكرعليه أحد إلا الطلقاء وبنو أميّة وأضرابهم، فمخالفة هؤلاء لا تضرّ بإجماع المسلمين؛ لأنّ هؤلاء حالهم في النصب والعداء معلوم عند المسلمين، حيث أنّ أكثرهم من لم يؤمنوا بالله وإنّما استسلموا بعد فتح مكة ولذلك اطلق عليهم الطلقاء، فتكون مخالفتهم بغياً على امام المسلمين.

وأمّا مخالفة مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لبيعة خلفاء الثلاثة كانت دليلاً على عدم تماميّة البيعة لهم بناءً على مباني أهل السنة والجماعة؛ حيث أنّهم رووا بأسناد صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «علي مع الحق والحق مع علي» (لاحظ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٢٤، والسنن الترمذي ج٥: ص٢٩٧، ومسند أبي يعلى الموصلي ج١: ص٤١٩، والمعجم الأوسط للطبراني ج٦: ص٩٥ وغيرهم). وإذا كان الإمام عليه السلام مع الحقّ فمعناه أنّ الطرف المقابل له هو الباطل، إذ معناه أنّ الإمام عليه السلام هو المعيار والميزان للحق فمعناه أنّ الطرف المقابل باطل، ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ**﴾، فمخالفة مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لبيعة الخلفاء الثلاثة كانت دليلاً واضحاً على عدم تماميّة البيعة الشرعيّة لهم، وهذا من الأمور الواضحة على جميع مباني أهل السنّة كما هو واضح ظاهر.

وأمّا بيعة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد مقتل عثمان فإنّه بايعه الناس بعد الإصرار منهم، وقد تقدم بعض النصوص المختلفة في هذا المجال. ومن هذا المنطلق قول ابن الأثير في الكامل حيث قال: لمّا قتل عثمان، اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار وفيهم طلحة والزبير، فأتوا عليّاً، فقالوا له: إنّه لا بدّ للناس من امام! قال: «لا حاجة لي في أمركم؛ فمن اخترتم رضيت به»، فقالوا: ما نختار غيرك وتردّدوا إليه مراراً، وقالوا له في آخر ذلك: إنّا لا نعلم أحداً أحقّ به منك؛ لا أقدم سابقة، ولا أقرب قرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: «لا تفعلوا، فإنّي أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً». فقالوا: والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك. قال: «ففي المسجد؛ فإنّ بيعتي لا تكون خفيّة، ولا تكون إلا في المسجد» - وكان في بيته وقيل: في حائط لبني عمرو بن مبذول -

➔

فعلم الفرق بما نقلناه عن المشار إليهم، وهم من أعاظم أهل المعرفة بالمنقول والسير. فثبت صحّة ما قاله الشيعي ناسباً إلى من تسمى بأهل

➔

فخرج إلى المسجد وعليه إزار وطاق وعمامة خزّ، ونعلاه في يده، متوكّئاً على قوس، فبايعه الناس. وكان أوّل من بايعه من الناس طلحة بن عبيد الله. فنظر إليه حبيب بن ذؤيب فقال: إنّا لله! أوّل من بدأ بالبيعة يد شلاّء، لا يتمّ هذا الأمر، وبايعه الزبير. وقال لهما عليّ: «إن أحببتما أن تبايعاني، وإن أحببتما بايعتكما»، فقالا: بل نبايعك (انظر الكامل في التاريخ ج٢: ص٣٠٢). وقال ابن عبد ربه في العقد الفريد: لمّا قتل عثمان بن عفّان، أقبل الناس يهرعون إلى عليّ بن أبي طالبعليه السلام، فتراكمت عليه الجماعة في البيعة، فقال: «ليس ذلك إليكم، إنّما ذلك لأهل بدر، ليبايعوا»، فقال: «أين طلحة والزبير وسعد؟» فأقبلوا فبايعوا، ثمّ بايعه المهاجرون والأنصار، ثمّ بايعه الناس. وذلك يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين وكان أوّل من بايع طلحة، فكانت إصبعه شلاّء، فتطيّر منها عليّ، وقال: ما أخلقه أن ينكث (انظر العقد الفريد ج٢: ص٣١١). وروى الخوارزمي في المناقب بسنده عن سعيد بن المسيّب قال: خرج عليّعليه السلام فأتى منزله، وجاء الناس كلّهم يهرعون إلى عليّ، وأصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله يقولون: أمير المؤمنين عليّعليه السلام، حتى دخلوا عليه داره، فقالوا له: نبايعك، فمدّ يدك؛ فلا بدّ من أمير، فقال عليّ: «ليس ذلك إليكم، إنّما ذلك لأهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة». فلم يبق من أهل بدر إلا أتى عليّاً، فقالوا: ما نرى أحداً أحقّ بها منك؛ مدّ يدك نبايعك، فقال: «أين طلحة والزبير؟» فكان أوّل من بايعه طلحة، فبايعه بيده، وكانت إصبع طلحة شلاّء، فتطيّر منها عليّ وقال: «ما أخلقه أن ينكث». ثمّ بايعه الزبير، وسعد، وأصحاب النبيّصلى الله عليه وآله جميعاً (انظر مناقب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام للخوارزمي: ص٤٩ ح١١)، وإلى غير ذلك من أقوالهم الصريحة في إجماع المسلمين على بيعة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فلاحظ.

السنّة[١]، فتدبّر[٢].

---

(١) وإليك نصّ الكلام للعلامة الحلي قدس سره في كتابه منهاج الكرامة في نقل اعتقاد أهل السنّة في الإمامة والخلافة : "وأن النبي صلى الله عليه وآله لم ينص على إمام بينهم، وأنه مات عن غير وصيّة، وأن الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر بن أبي قحافة لمبايعة عمر بن الخطاب له برضا أربعة: أبي عبيدة، وسالم مولى حذيفة، وأسيد بن حضير، وبشر بن سعيد، ثم من بعده عمر بن الخطاب بنصّ أبي بكر عليه، ثم عثمان بن عفّان بنصّ عمر على ستّة هو أحدهم، فاختار بعضهم، ثم علي بن أبي طالب عليه السلام لمبايعة الخلق له. ثم اختلفوا، فقال بعضهم: أن الإمام بعده ابنه الحسن عليه السلام، وبعضهم قال: أنه معاوية بن أبي سفيان، ثم ساقوا الإمامية في بني أمية، إلى أن ظهر السفاح من بني العباس، فساقوا الإمامة إليه، ثم انتقلت الإمامة منه إلى أخيه المنصور، ثم ساقوا الإمامة في بني العباس إلى المعتصم إلى أربعين" (انظر منهاج الكرامة: ص٣٣). فإنّ الخبير يعلم أنّ ما ذكره قد أجمع عليه علماء أهل السنّة، فلاحظ.

(٢) فإنّ المتدبّر في الأحاديث والنصوص التاريخية يجد بوضوح إقبال الناس لبيعة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام طائعين مخيّرين بعد مقتل عثمان، وقد أشار الإمام عليه السلام إلى ذلك في كتابه إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة فقال عليه السلام : «بايعني الناس غير مستكرهين، ولا مجبرين، بل طائعين مخيّرين...» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٤: ص٦). وقال عليه السلام: «قُبِض رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أرى أنّي أحقّ الناس بهذا الأمر.... ثمّ إنّ عثمان قُتل، فجاؤوني، فبايعوني طائعين غير مكرهين» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٢٩). وقال عليه السلام في كتاب له إلى طلحة والزبير: «أمّا بعد، فقد علمتما - وإن كَتمتُما - أنّي لم أُرِد الناس حتى أرادوني، ولم أُبايعهم حتى بايعوني، وإنّكما ممّن أرادني وبايعني، وإنّ العامّة لم تبايعني لسلطان غالب، ولا لعرض حاضر...» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٧: ص١٣١).

وقال ابن الأعثم في الفتوح: أقبل عمّار بن ياسر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ الناس قد بايعوك طائعين غير كارهين، فلو بعثت إلى أُسامة بن زيد وعبدالله

←

➔

ابن عمر ومحمّد بن مسلمة وحسّان بن ثابت وكعب بن مالك فدعوتَهم؛ ليدخلوا فيما دخل فيه الناس من المهاجرين والأنصار! فقال الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إنّه لا حاجة لنا فيمن لا يرغب فينا» (انظر الفتوح لابن الأعثم ج٢: ص١٤١).

هذا مع أنّ الإمام عليه السلام كان كارهاً لتصدي الحكومة الظاهرية فقال عليه السلام في خطبته بعد البيعة: «أمّا بعد، فإنّي قد كنت كارهاً لهذه الولاية - يعلم الله في سماواته وفوق عرشه - على أمّة محمّد صلى الله عليه وآله، حتى اجتمعتم على ذلك، فدخلت فيه» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٠: ص٦). وأخرج الطبري في تاريخ الطبري بسنده عن أبي بشير العابدي: كنت بالمدينة حين قتل عثمان، واجتمع المهاجرون والأنصار - فيهم طلحة والزبير - فأتوا عليّاً، فقالوا: يا أبا حسن، هلمّ نبايعك. فقال: «لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم؛ فمن اخترتم فقد رضيتُ به، فاختاروا والله!»، فقالوا: ما نختار غيرك، قال: فاختلفوا إليه بعدما قُتل عثمان مراراً، ثمّ أتوه في آخر ذلك، فقالوا له: إنّه لا يصلح الناس إلا بإمرة، وقد طال الأمر! فقال لهم: «إنّكم قد اختلفتم إليَّ وأتيتم، وإنّي قائل لكم قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم، وإلا فلا حاجة لي فيه»، قالوا: ما قلت من شيء قبلناه إن شاء الله، فجاء فصعد المنبر، فاجتمع الناس إليه، فقال: «إنّي قد كنت كارهاً لأمركم، فأبيتم إلا أن أكون عليكم، ألا وإنّه ليس لي أمر دونكم إلا أنّ مفاتيح مالكم معي، ألا وإنّه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم، رضيتم؟» قالوا: نعم، قال: «اللهمّ اشهد عليهم». ثمّ بايعهم على ذلك (انظر تاريخ الطبري ج٤: ص٤٢٧). وأخرج أيضاً بسنده عن محمّد وطلحة: غشي الناس عليّاً، فقالوا: نبايعك؛ فقد ترى ما نزل بالإسلام، وما ابتلينا به من ذوي القربى! فقال عليّ: «دعوني، والتمسوا غيري؛ فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول»، فقالوا: نُنشدك الله، ألا ترى ما نرى! ألا ترى الإسلام! ألا ترى الفتنة! ألا تخاف الله، فقال: «قد أجبتُكم لما أرى، واعلموا إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، وإن تركتموني فإنّما أنا كأحدكم، إلا أنّي أسمعكم وأطوعكم لمن ولّيتموه أمركم» (انظر

➔

➔

تاريخ الطبري ج٤: ص٤٢٤). ومن كلام لهعليه السلام لمّا أراده الناس على البيعة بعد قتل عثمان: «دعوني والتمسوا غيري؛ فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول. وإنّ الآفاق قد أغامت، والمحجّة قد تنكّرت، واعلموا أنّي إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أُصغ إلى قول القائل، وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلّي أسمعكم وأطوعكم لمن ولّيتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً، خير لكم منّي أميراً» (نهج البلاغة: الخطبة رقم٩٢). وأخرج الطبري بسنده عن محمّد ابن الحنفيّة، قال: كنت مع أبي حين قُتل عثمان، فقام فدخل منزله، فأتاه أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله، فقالوا: إنّ هذا الرجل قد قُتل، ولا بدّ للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحداً أحقّ بهذا الأمر منك؛ لا أقدم سابقة، ولا أقرب من رسول اللهصلى الله عليه وآله فقال: «لا تفعلوا، فإنّي أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً»، فقالوا: لا، والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك، قال: «ففي المسجد؛ فإنّ بيعتي لا تكون خفيّاً، ولا تكون إلا عن رضا المسلمين» (تاريخ الطبري ج٤: ص٤٢٧). ومن كلام للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في جواب طلحة والزبير، قال: «والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنّكم دعوتموني إليها، وحملتموني عليها، فلمّا أفضت إليّ نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتّبعته، وما استنّ النبيّصلى الله عليه وآله فاقتديته» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١١: ص٧). ومن كلام للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام لمّا أراد المسير إلى ذي قار فقال: «بايعتُموني وأنا غير مسرور بذلك، ولا جذِل، وقد علم الله سبحانه أنّي كنت كارهاً للحكومة بين أمّة محمّدصلى الله عليه وآله؛ ولقد سمعته يقول: ما من وال يلي شيئاً من أمر أمّتي إلا أتي به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه، على رؤوس الخلائق، ثمّ ينشر كتابه، فإن كان عادلاً نجا، وإن كان جائراً هوى» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص٣١٠). وإلى غير ذلك من الروايات والكلمات للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في هذا المجال، فإنّها صريحة في إقبال الناس إلى بيعة الإمام رغم عدم رغبة الإمامعليه السلام للحكومة، فلاحظ.

وثانيهما: ما زعمه من أفضليّة مبايعي عثمان من مبايعي علي عليه السلام ليس له دخل بمحل البحث[١]،

---

(١) لا يخفى أنّ ما زعمه ابن تيمية من أفضليّة مبايعي عثمان.... لا دخل له بمحل البحث؛ لأنّ البحث في تحقق البيعة الشرعيّة عند أهل السنّة، وهي تحقق البيعة مع وفور شرائطها، وليس من شرائطها أفضلية المبايعين، غير أنّ عثمان لم تتحقّق البيعة المشروعة له قط؛ حيث أنّ البيعة الشرعيّة للخلافة عند أهل السنّة والجماعة بتحقّق الإجماع، وهذا الملاك لن يوجد في بيعة عثمان ولا في بيعة غيره من الخلفاء الثلاثة. مضافاً إلى أنّ الشورى العمريّة التي كانت سياسةً لتصدي عثمان الخلافة، لا هي من الإجماع، ولا هي من اتفاق أهل الحلّ والعقد، وإنّما هي خطط سياسة مدروسة من قبل عمر بن الخطاب لتسليط بني أمية على رقاب الناس؛ لأنّ عمر بن الخطاب كان يعلم أنّه لا يمكن معارضة الدعوة الإسلامية بشكل ظاهر وعلانية؛ حيث لا يخفى أنّ الإسلام يتلخص في الثقلين الذين أوصى بهما الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في الحديث المعروف، والمتواتر لدى الفريقين، ومن الواضح أنّ أذهان المسلمين كانت مأنوسةً بالقرآن، والسنّة النبوية، ولا شكّ أنّ السنّة النبويّة متمثّلة في ولاية أهل البيت عليهم السلام، فكان حديث الثقلين من المرتكزات عند عامة المسلمين، فلا يمكن انكاره. فالسيطرة على هذا الارتكاز لم يمكن لأحد إلا بإمحاء أصل الثقلين عن ساحة المسلمين، أي بإرجاع المسلمين إلى الجاهلية الأولى، فعمر بن الخطاب كان يعلم هذا الواقع، وأيضاً كان يعلم أنّ السيطرة على معاني القرآن وارتكاز المسلمين لا يمكن إلا بإيجاد مقتضياته، وذلك بتسليط من يرجع الناس إلى الجاهلية الأولى، وحيث لم يمكنه ذلك بصورة ظاهرية وعلانية، خوفاً على نفسه والأموال التي اقترفها أيام خلافته، والسلطة التي استولى عليها بالقهر والغلبة في السقيفة، فأتخذ سياسة خطرة لاستمرار منطق سلطة السقيفة، وهي سياسة تسليط بني أمية على رقاب الناس؛ لأنّه كان يعلم أنّ الأمويين وبطون قريش كانت لديهم أضغان وأحقاد بدريّة وتراث قبلية مضادة للإسلام وأهل البيت عليهم السلام، فخطط بتلك الشورى المعروفة لانتخاب من يتكفّل هذا الأمر بصورة غير مباشرة، كي لا يستشكل عليه المسلمون ويقولون له: لماذا سلّطت علينا بني ←

فإنّه مختصّ بما عرفته من دعوى مبايعة الخلق لعلي عليه السلام بدون باعث خارجي، بل بميل نفوسهم وطبايعهم إلى ذلك(١)،

أمية؟!!! فعمد إلى ما نسج له عبدالرحمن بن عوف في الشورى حسب ما أعطاه الحرّية لانتخاب عثمان الأموي؛ وذلك لاستمرار السياسة التي أسّسها في السقيفة. ومن الواضح أنّ بني أمية كانت أحسن انتخاب لهذه المهمّة؛ لأنّ ثقافتهم كانت معلومة عند جمع المسلمين، فهي كانت قائمة على المرتكزات الموروثيّة والقبلية الحاكمة في عصرالجاهلية، وهناك أدلّة ونصوص صحيحة عند أهل السنّة تبين هذه الحقيقة بشكل واضح. كما سنعرضها من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى .

وفي الواقع أنّ سياسة عمر بن الخطاب كانت مبنيّة على معارضة القرآن والسنّة النبويّة المتمثلة في ولاية أهل البيت عليهم السلام، حيث أنّ عمر بن الخطاب كان يعلم أنّ الثقلين يضمنان بقاء الإسلام؛ ومع بقاء الإسلام لا ضمان لبقاء سلطة السقيفة؛ لأنّه سمع من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حديث الثقلين كراراً ومراراً. فكان يعلم، أنّ الإسلام متقوم بالقرآن وأهل البيت عليهم السلام، فسياسته كانت مبنيّة على تهميش هذين الأمرين الأساسيّين في الإسلام، فخطط لهذا الأمر الشورى المعروفة، وهي الشورى العمريّة بتدبير عبدالرحمن بن عوف لانتخاب عثمان لاستمرار السياسة التي أسّسها هو وزميله أبوبكر في السقيفة، وقد أجراها في تلك الأجواء الملتبة عندما أصيب وكان في فراش الموت.

وملخّص الكلام أنّ بيعة عثمان كانت من خلال الخطط السياسيّة المدروسة من قبل عمر بن الخطاب، لا بانتخاب الناس، ولا بانتخاب أهل الحلّ والعقد؛ لأنّ الناس لم يكن لديم رغبة لتسليط بني أمية على مقدّراتهم، فلاحظ.

(١) لا شكّ أنّ عظمة مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وخلود شخصيّته من الأمور المتسالم عليها عند الكلّ، وحتّى الخوارج الذين جاهروا العداء لمولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام فأبدوا ندامتهم في الفترات اللاحقة، وأقرّوا بعظمة شخصية

➔

الإمام عليه السلام، والشاهد على هذه المقولة كتب أهل السنّة والجماعة، فإنّها مشحونة بفضائل مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولقد ولي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة الظاهريّة بعد مقتل عثمان وبايعه أكثر الناس طوعاً ورغبةً، لكنّهم سرعان ما انفضّوا عنه الناكثون والتحقوا بمعاوية، حتّى أهل العراق الذين ساندوه، لم يلبثوا ان شطّت بهم الأهواء عنه. وقد أطل قرن جديد للفتنة في بلاد الشام، قاده معاوية ضد الخليفة الشرعي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد جاء في التنزيل العزيز أنّ هذه المسألة تعرّض لها الأنبياء السابقون، الذين مثّلوا مع أتباعهم الأقليّة في مجتمعاتهم، بينما وقف مخالفوهم في صفّ الأكثريّة. وعلى الرغم من أنّ هذه المخالفة كانت ترجع في أصلها إلى أمر الإيمان بالدين الذي جاء به أولئك الأنبياء، إلا أنّهم كانوا يشكّلون الأقليّة مقابل الأكثريّة الساحقة، وهو أمر قد يجعل البعض يتساءل عن مدى الملازمة بين الأكثريّة وبين الاستمساك بالحقّ.

وإنّ قاموس الدين الذي يتعامل مع الحقّ والباطل على أساس المعايير السماويّة، والذي تستأثر فيه النصوص الدينيّة بالقول الفصل، وقد صرّح بأنّ الحقّ سيبقى حقّاً ولو لم يتّبعه حتّى نفر واحد، وهذا هو الأساس الذي آمن به الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وتحرّك على ضوئه. وعلى الرغم من أنّ الإمام عليه السلام لا يمكنه - بدون متابعة الناس وحضورهم في الساحة - أن يشرع في عمله التغييري، لكنّ ذلك لا يعني أن يعتبر الحقّ تابعاً لرأي الناس؛ لذا وجدنا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يخاطب أصحابه: «لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله؛ فإنّ الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير وجوعها طويل» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٠: ص٢٦١).

والأساس الذي يقوم عليه العمل في قاموس الدين هو حكم الله ورسوله صلى الله عليه وآله، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِيناً**﴾ (سورة الأحزاب:٣٦) فإذا قضى الله ورسوله أمراً لا معنى لإتّباع رأي الناس؛ لذلك رأينا الإمام عليه السلام يعتبر حضوره

➔

➔

في الساحة يستند إلى حضور الناس، لكنّه - مع ذلك - يصرّح بأنّ رسالته هي إجراء الأحكام الإلهيّة، لا متابعة آراء الناس. وقد ذكر عليه السلام أنّه غير مستعدّ إلى التشاور مع الناس في ما يعلم أنّ الله تعالى حكم به، يقول عليه السلام مخاطباً طلحة والزبير: «والله، ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنّكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها. فلمّا أفضت إليّ، نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتّبعته، وما استنّ النبيّ صلى الله عليه وآله فاقتديته، فلم أحتج في ذلك إلى رأيكما ولا رأي غيركما، ولا وقع حكم جهلته فأستشيركما وإخواني من المسلمين» (نهج البلاغة الخطبة رقم٢٠٥).

ومن هنا اعتبر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خلال تبيينه الواجبات التي تقع على عاتقه، والحقّ الذي للإمام عليه السلام على الناس، أنّ العمل بكتاب الله وسنّة نبيّه وإحياء سيرة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله هو المنهج الذي يسير على ضوئه ويلتزم به.

يقول عليه السلام بعد إشارته إلى مخالفة من خالفه: «ولكم علينا العمل بكتاب الله ، وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، والقيام بحقّه والنعش لسنّته» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٧٠).

ثم أنّ تجربة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في التعامل مع الناس تجربة فذّة، فقد تسنّم الإمام عليه السلام منصب الخلافة بطلب من عامّة الناس، ثمّ تفرّق عنه مريدوه فبقي وحيداً. ونقصد بالناس هنا عامّتهم. أمّا شيعة الإمام عليه السلام، فقد بايعوه على أساس الموالاة، وحفظوا له حقّه في الطاعة والمودّة والاحترام. وقد نقل الطبري أنّ طائفة من الناس بايعوا عليّاً عليه السلام على أن يوالوا من والاه ويعادوا من عاداه، وهم الخواصّ (انظر تاريخ الطبري ج٤: ص١٢١).

وعلينا أن نذكّر - قبل أيّ شيء آخر - أنّ التغيير الاجتماعي والسياسي له مناهجه وقوانينه الخاصّة التي لا يتخطّاها، وأنّ بالإمكان التعرّف على هذه القوانين وحدود معيّنة من خلال ما سيأتي من البحث.

فإنّ المجتمع الذي بايع الناس فيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للخلافة بعد خمسة وعشرون سنة من وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، له تعقيداته الخاصّة التي ينبغي دراستها، حيث أنّ الآثار التي تركتها السنوات المتصرّمة، التي حكمت فيها قبيلتَي تيم وعديّ القرشيّتين، وبنيّ أميّة الذي كان

➔

➔
عثمان زعيمهم خلال ربع قرن بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وقد بدّلوا فيها المعايير الإسلاميّة والإنسانيّة إلى رسوم قبليّة وجاهليّة، ومن خلال هذه السنوات بثوا ثقافة القرشيّة في أواسط المسلمين، فشرعت الأجنحة القرشيّة بمخالفة أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن بايعه الناس، وخاضت ضدّه حربي الجمل وصفّين ، وشقّوا اتّحاد قبائل العراق في متابعته؛ فنشأ اتّحاد جديد ضدّه يتألّف من قبائل الشام وبعض قبائل العراق.

وها هو أمير المؤمنين عليه السلام يقف وحيداً سنة ٤٠ هجريّة، وقد تفرّق جنده عنه - وكانوا يفتقرون إلى تركيبة قبليّة منسجمة - فانحاز بعضهم إلى الخوارج وشبّوا في معسكره نار حرب داخليّة جديدة، وبقي البعض الآخر لا حول له ولا قوّة ، بينما يتحرّك - في المقابل - اتّحاد جديد أوجده معاوية بين القبائل المعارضة، في طريقه إلى السلطة نيابةً عن الجناح القرشيّ المهزوم. وهناك قواعد لعبة السياسة الماكرة اقتضت أن تلعب دورها للوصول إلى الحكم، وكان الإسلام الذريعة استخدمها غالبيّة قريش وعامّة الناس للوصول إلى السلطة، وبطبيعة الحال كانوا يصلّون ويحجّون في الظاهر، ويحاربون الإسلام وأهل البيت عليهم السلام في الواقع.

أمّا الإمام وخواصّه، فقد انحصر همّهم في أن ينظروا إلى كلّ شيء من خلال الرؤية الإسلاميّة الخالصة، أي من رؤية كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله المتمثلة في أهل البيت عليهم السلام، بينما لم يتجاوز هذا الأمر لدى الآخرين مجرّد الذريعة والوسيلة لوصولهم إلى الحكم.

وحسب تعبير الإمام عليه السلام نفسه، كان الفاصل الكبير الذي يفصل بينه وبين الناس الذي تربّت على ثقافة قريش: أنّه كان يفكّر في الإسلام، وأولئك كانوا يفكّرون في أنفسهم؛ فكانوا - لذلك - يريدون إماماً يضمن لهم منافعهم الشخصيّة. أمّا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فكان يريد قوماً يقيم بهم حدود الإسلام. يقول عليه السلام: «إني أُريدكم لله، وأنتم تريدونني لأنفسكم!» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٩: ص٣١).

وكفى بذلك فارقاً كبيراً بين الطرفين، فقد كان الإمام عليه السلام ينظر نظرةً إلهيّة دينيّة، بينما لم
➔

➔
يتجاوز نظر الناس منافعهم القبليّة. وكان الناس يريدون منه أن يعيشوا في رفاه واستقرار، وتأمين منافعهم، وأن يكون للأشراف والنخبة منافعهم الخاصّة التي تمكّنهم من استقطاب عامّة الناس، وإن لم تحصل لهم تلك العشية الفرهة كانت سياستهم أن يثوروا ويمدّوا أيديهم إلى عدوّ اللدود كما فعلوا ذلك فيما بعد. والأمر الآخر الذي ينبغي مناقشته هو الوقائع التي جرت خلال هذه السنوات الخمس والعشرين:

١- جرى في بادئ الأمر تحرّك سريع لقمع مخالفي تيّار السقيفة، وتبعها - في المرحلة اللاحقة - فتوحات وانتصارات متلاحقة وتدفّقت الغنائم على نحوٍ تغيّر معه وضع المسلمين كليّاً. وكان الطرف الآخر في هذه الحروب الكفّار، لا أهل القبلة، أي أنّ المسلمين كانوا يجاهدون في هذه الفتوحات دون أن يدور بينهم اختلاف ما.

٢- حصل في هذه المرحلة أمر اجتماعي مهمّ، وهو هجرة قبائل كثيرة من جزيرة العرب إلى العراق والشام، فتشكّلت - على نحو هادئ - إمبراطورية عظيمة مركزها المدينة، وحاكمها (الخليفة).

٣- حصل تحوّل في المجتمع العربي في العراق والشام من جراء تزايد الأعاجم بالهجرة أو بالأسر، ممّا جعل إدارة أمورها أصعب وأعسر من قبل.

٤- ظلّت دفّة الحكم بيد قريش، وكانت الدولة - كلّما اقتربنا من عهد عثمان - تصطبغ بالتدريج بصبغة قريش، بل بصبغة بني أُميّة، وظهر نظام ملكي واسع يحاول الاستئثار بكلّ شيء، ويسعى إلى إدارة هذه الإمبراطورية الكبيرة من خلال أُفق ضيّق قبلي وعربيّ، بعيداً عن الإسلام وروحه، وقد عبّر عن سذاجته في إدارة الحكم بحصره جميع المنافع في الأُمويّين، ممّا أثار حفيظة باقي القبائل، ودفعها - وقد رأت منافعها مصادرةً لحساب الآخرين - إلى الثورة.

٥- تمّ في هذه المرحلة - جرّاء السياسات الماليّة للخلفاء - إرساء نوعٍ من التفرقة الطبقيّة الخاصّة بين الناس، ففضّل العرب على العجم، وفضّل المهاجرون والأنصار على سواهم، فكان في ذلك خدش للعدالة الاجتماعيّة.
➔

➔

٦- وكان الصحابة الذين تفرّقوا في المدن المختلفة يديرون الأمور باللحاظ الفكري، ولم يكن للخليفة في المدينة حظّ كبير في العلم، ولم يكن الصحابة -من الجانب الآخر- قد تلقّوا تعليماً منظّماً، فظهر أثر ذلك اختلاف في وجهات النظر في الدين والفقه، وتزايد الغموض والإبهام لانعدام المرجعية العلمية الواحدة، وظلّت الأسئلة تطرح دون أن يجيب عليها أحد، وكان موج من المسائل الجديدة يتدفّق من أطراف الإمبراطورية من قبل الذين أسلموا حديثاً ومن قبل غير المسلمين، فيزيد في الغموض والإبهام.

واستتبع مجموع هذه المشاكل أن يفكّر الناس بعد الثورة على عثمان -نتيجة سخط سائر أجنحة قريش على حكومة عثمان وبني أُميّة، وسخط قبائل العراق على الجناح القرشيّ الحاكم- أن يفكّروا في مصلح يُعيد تنظيم الأمور ويقرّ العدل في توزيع الثروات. وكان هناك أفراد قلائل يستهدفون في ثورتهم إحياء الإسلام، وهو نفسه الهاجس الرئيس لدى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، إلا أنّ الأكثرية كانوا يرغبون في أن يعاد تقسيم الثروات على أن يكون للخواصّ والأشراف امتيازاتهم الخاصّة.

وكان الشيعة يهدفون إلى القضاء على الفساد المستشري، وإلى تحقيق العدالة الاجتماعية، وإلى الاستمداد من علم الإمام بوصفه آخر الأوصياء في الإجابة عن المسائل العالقة، ويأملون في إقرار حكومة لا تفكّر في الغنائم والفتوحات كثيراً، بل تضع نصب عينها حماية الفكر والأخلاق في المجتمع الإسلامي، وتغلّ أيدي بني أُميّة المتطاولة وتكبح جماع شرّهم.

وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يريد الناس لله ويريدهم لإحياء السنّة النبويّة، فبدأ عمله في الإصلاح ضمن هذا الإطار، فلقي تجاوباً جماهيريّاً في بادئ الأمر، وعمل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على الانتصاف للمظلومين من ظالميهم، وعلى إزالة الفواصل الطبقيّة بين الأشراف والأتباع. فلمّا يئس الأشراف والخاصّة من باطله -وكان لهم نفوذهم بين الناس- قاوموه. ولم يكن الإسلام قد استحكم في النفوس، ولم يكن عامّة الناس قد تلقّوا طوال السنوات الخمس والعشرين تربية ثقافية تذكر، وكان للقبيلة مركزها الكبير الذي زاد

←

➔

تأثيره خلال الفترة التي أعقبت ارتحال رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فلا عجب أن يعبّر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن قلقه من هذا الوضع، في قوله عليه السلام: «فأطفئوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبيّة وأحقاد الجاهليّة، فإنّما تلك الحميّة تكون في المسلم من خطرات الشيطان ونخواته، ونزغاته ونفثاته. واعتمدوا وضع التذلّل على رءوسكم، وإلقاء التعزّز تحت أقدامكم، وخلع التكبّر من أعناقكم، واتّخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين عدوّكم إبليس... ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم، الّذين تكبّروا عن حسبهم وترفّعوا فوق نسبهم... فإنّهم قواعد أساس العصبيّة ودعائم أركان اللفتنة وسيوف اعتزاء الجاهليّة» (نهج البلاغة: الخطبة الرقم١٩٢).

لقد ترسّخت الممارسات التي استعملت طوال السنوات السابقة فأضحت سنّة، ولم يكن للناس دين راسخ يوحّدهم، ولا حميّة يدافعون بها عن كيان العراق مقابل عدوّهم في الشام، وكان همّهم في الغنائم، ذلك الهمّ الذي ورثوه وألفوه.

وقد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة السالفة تحليلاً مفصّلاً عن الوضع التاريخي لبني إسرائيل، وأسرهم من قبل الأكاسرة والقياصرة والفراعنة، ثمّ خاطبهم بقوله: «ألا وإنّكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطاعة وثلمتم حصن الله المضروب عليكم بأحكام الجاهليّة... واعلموا أنّكم صرتم بعد الهجرة أعراباً، وبعد الموالاة أحزاباً. ما تتعلّقون من الإسلام إلا باسمه، ولا تعرفون من الإيمان إلا رسمه... ألا وقد قطعتم قيد الإسلام، وعطّلتم حدوده، وأمتّم أحكامه...».

ثمّ احتدمت الحرب – في مسيرة الإصلاحات- بين الإمام ومخالفيه، وكانوا من أهل القبلة، واختفت الغنائم في هذه الحرب فلم تعد على الناس بنفع مادّي؛ لذا نلحظ أمير المؤمنين عليه السلام وهو يشير إلى صعوبة الحرب مع أهل القبلة، ويبيّن أنّ أصحاب البصائر هم وحدهم الذين يمكنهم تشخيص الحدّ الفاصل بين الحقّ والباطل.

يقول عليه السلام: «وقد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة، ولا يحمل هذا العَلَمَ إلاّ أهل البصَر والصبر والعلم بمواضع الحقّ، فامضوا لما تؤمرون به، وقفوا عند ما تنهون عنه، ولا تعجلوا

➔

➔

في أمر حتّى تتبيّنوا» (نهج البلاغة: الخطبة الرقم١٧٣).

وعلى أيّ حال، فقد تزايدت الشبهات خلال هذه الحروب المدمّرة التي راح ضحيّتها عدد كبير، وكان معاوية يستعمل الدين كذريعة ليس إلا، وكان من مصلحته - لذلك - أن تزداد الشبهات لدى أهل العراق. وكانت هناك أرضيّة - بطبيعة الحال - لرواج مثل هذه الشبهات؛ فقد شهد الناس حضور زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله في حرب الجمل، كما شاهدوا في صفّ خصوم أمير المؤمنين عليه السلام صحابيّين من كبار صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله، هما: طلحة والزبير. وكان مثيرو الشبهات لا يبرحون يقولون: انظروا كيف يُعامَل أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله!

وأدّى تزايد الشبهات واستحكامها في النفوس إلى تفرّق الناس عن الحقّ، وكان عدد أنصار أمير المؤمنين عليه السلام يتناقصون بمرور الأيّام، ولا ينبغي نسيان الحيل التي كان معاوية وأعوانه يستخدمونها في إلقاء الشبهات، وفي بثّ بذور التفرقة في صفوف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. كما لا ينبغي - من جانبٍ آخر - تناسي روحيات أهل الكوفة الذين كان من أبرز سماتهم الاندفاع والتدخّل في شؤون الحكومة وعدم رعاية أسرارها.

وكان لرؤساء القبائل دور رئيسي في تسيير الناس والتأثير عليهم في الانحياز إلى أحد أطراف المواجهة، وكان الناس في ذلك العصر - ونقصد بالناس المستضعفين ذوي الوعي القليل - قد ابتعدوا عن الإسلام باعتباره المحور الأساسي للتحرّك، بل تخلّوا عن أهل البيت عليهم السلام، أحد الثقلين اللذين أوصى بهما رسول الله صلى الله عليه وآله. ثمّ جاءوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام يبايعونه وينتظرون منه أن يسير بهم سيرة عمر بن الخطاب، فيفضّل أشراف المهاجرين والأنصار، ولم يكونوا يدركون الأبعاد الحقيقية لأمير المؤمنين عليه السلام باعتباره إمام أهل البيت عليهم السلام. يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «قد خاضوا بحار الفتن، وأخذوا بالبدع دون السنن، وأرز المؤمنون ونطق الضالّون المكذّبون، نحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب، ولا تؤتى البيوت إلاّ من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سمّي سارقاً» (نهج البلاغة: الخطبة رقم١٥٤).

وكان لحضور الناس وكثرتهم أهميّة في نظر الإمام عليه السلام في قبوله تحمّل المسؤولية في

🡐

➔

قيادتهم. أمّا إذا عجز الإمام عليه السلام - وهو القائد - عن الانتصاف للمظلوم وعن تطبيق أحكام الدين، فإنّ الرغبات المنحرفة لأكثريّة الناس لن يكون لها في نظره أيّ اعتبار، وحكومتهم على هذا الأساس ستكون لديه أدنى من عفطة عنز كما في تعبيره الرائع عليه السلام؛ فإنّ العارف برسول الله صلى الله عليه وآله وبأهل بيته عليهم السلام حقّ المعرفة إذا مات على معرفته، كان من الفائزين ولو مات على فراشه.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «الزموا الأرض، واصبروا على البلاء، ولا تحرّكوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم ولا تستعجلوا بما لم يعجّله الله لكم؛ فإنّه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حقّ ربّه وحقّ رسوله وأهل بيته، مات شهيداً ووقع أجره على الله» (نهج البلاغة: في الخطبة رقم ١٩٠).

فبدأ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حركته الإصلاحية الواسعة، وخصّص أكثر خطبه في بيان معرفة الله ورسوله وأهل بيته، وسعى دائباً - في المرتبة اللاحقة - إلى تحذير الناس من الميول الدنيويّة الهابطة، وجاهد في إحياء السنّة النبويّة، وفي القضاء على الظلم والفساد، وفي إرساء قواعد العدل والقضاء على الامتيازات الظالمة.

يشير علم النفس الاجتماعي إلى أنّ الفساد إذا ساد مجتمعاً ما، ولمس أفراد المجتمع الأضرار المترتّبة على ذلك الفساد، وعانوا منه الأمرين؛ فإنّهم سيقفون إمام الفساد الجديد، ويتّجهون إلى الإصلاح ويتّبعون المُنادين به. أمّا إذا قلّت معاناة أفراد المجتمع من الفساد، فإنّهم على العكس، سيعارضون من يحارب الفساد وينادي بالإصلاح. ولذلك يعمد أصحاب الحيلة والمكر إلى دراسة الظروف السائدة في المجتمع في فترة معيّنة، ويتعرّفون على رغبات الناس، ثمّ ينظّمون شعاراتهم على أساس تلك الرغبات، فيكسبون الناس إلى جانبهم.

لقد كان المجتمع قبل خلافة الإمام عليه السلام في طريقه التدريجي إلى الانحراف، وكانت الفتوحات قد أثمرت غنائم وجواري وعبيداً، وكان الكثير ممّن ثاروا على عثمان إنّما يطالبون بحصتهم من تلك الغنائم، ويستنكرون استئثار بني أُميّة بكلّ شيء.

➔

➔
وكان هؤلاء يتصوّرون أنّ الإمام أمير المؤمنينعليه السلام - وقد استخلف الآن - سيقدّم لرؤساء قبائل العراق (الذين ثاروا على عثمان) ما استأثر به بنو أُميّة. وكان الهدف الأساس للكثير منهم هو أصلاح الوضع السائد في عهد عثمان، لا العودة إلى السيرة النبويّة الأصيلة التي نادى بها الإمام، وكان ذلك هو السبب في رفض الإمامعليه السلام في البداية للتصدّي لمقام الخلافة، ولم يقبل بها إلا بعد أن عاهدوه على إجراء السيرة النبويّة.

وكان إصرار الإمامعليه السلام على العودة إلى السيرة النبويّة يسلتزم الدعم الجماهيريّ، فقد كان بعض الناس يصرّح بأنّ على الإمام أن يسير بسيرة من سبقه من الخلفاء، أي أن يلتزم بسياسة التفرقة بين العرب والعجم التي سار عليها مَن سبقه، بذريعة أنّ العرب هم أُسّ الإسلام وأساسه، وأنّ الأعاجم أدنى منهم في الدين.

ولذلك كان كلّما زاد وتعالى نداء الإمام بالإصلاح، تباعد عنه مَن حوله وتشتّتوا. وقد شاهدنا أنّ طلحة والزبير الذين وقفا بالأمس القريب ضدّ عثمان، كانا يتوقّعان من الإمامعليه السلام أن يشركهما في الحكم، فلمّا رأيا إصراره على الالتزام بالسيرة النبويّة، ابتعدا عنه - مع أنّهما يفتخران بصحبتهما وسابقتهما - وأثارا عليه العوامّ.

ومن العجب أنّ المناداة بشعار الإصلاح تجعل أكثر الناس يفرّون، تماماً كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً**﴾ (سورة الإسراء:٤١)، إذ ليس المقصود بهذه الآية أنّ القرآن - نعوذ بالله - سبب لنفرة الناس، بل يعني أنّ من يحبّ الفساد سينفر من دعوة الحقّ، فينغمس في الباطل والفساد أكثر فأكثر. وفي مثل هذه الظروف، فإنّ دعوة الناس إلى الهداية كلّما زادت قلّت استجابتهم لها، بل إذا أدرك هؤلاء الناس أنّ هذا المنادي يقصد هدايتهم وإصلاحهم فإنّهم سيفرّون منهم فرارهم من الأسد.

وقد أظهرت تجربة حكومة أمير المؤمنينعليه السلام، أنّ الناس قد وقفوا بالتدريج في وجه حكومة الإمام أمير المؤمنينعليه السلام العادلة، على الرغم من انثيالهم عليه بادئ الأمر، وإصرارهم على مبايعته؛ نقمةً منهم على فساد عثمان، ذلك أنّ ترجيحهم للدَّعة والراحة لم يسمح لهم أن
➔

➔

يكونوا في ركاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لتحقيق أهدافه الكبيرة، لأنّهم تعوّدوا على الباطل وألفوه، أكثر ممّا أحبّوا السنّة ورغبوا فيها.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: في تقسيم الناس إلى قسمين: «وإنّما الناس رجلان: متّبع شرعةً، ومبتدع بدعةً، ليس معه من الله سبحانه برهان سنّة ولا ضياء حجّة» (نهج البلاغة: الخطبة رقم١٧٦).

وليست هذه البدع التي يشير إليها الإمام عليه السلام إلا المسيرة المنحرفة التي وجدت في عصر الخلفاء قبله. وقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام الناس في خطبه بمجانبة الحقّ والانحياز إلى صفّ الباطل، وكان يدعوهم إلى التزام الحقّ ولو رأوا في الباطل نفعاً دنيويّاً عاجلاً، ويقول عليه السلام: «إنّ أفضل الناس عند الله من كان العمل بالحقّ أحبّ إليه - وإن نقصه وكرثه - من الباطل وإن جرّ إليه فائدةً وزاده، فأين يتاه بكم؟! ومن أين أتيتم؟! ... ما أنتم بوثيقة يعلق بها، ولا زوافر عزّ يعتصم إليها ، لبئس حشّاش نار الحرب أنتم!! أفّ لكم!! لقد لقيت منكم برحاً، يوماً أناديكم ويوماً أناجيكم، فلا أحرار صدق عند النداء، ولا إخوان ثقة عند النجاء (نهج البلاغة: الخطبة رقم١٢٥).

ونلاحظ أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان يستعمل أحياناً تعبيرات شديدة في وصف اختلاف الناس وتفرّقهم عن الحقّ، وكان ذلك منه عليه السلام في وقت كان يرى فيه معاوية على شرف الانتصار في الحرب، ويرى أصحابه يعصون أمره، فكان يناديهم بـ(أشباه الرجال)؛ لأنّه كان يشاهد عياناً أنّ معاوية على وشك الهجوم على العراق، وأنّه عليه السلام استنفر أهل الكوفة فلم يجتمع له منهم - بشقّ الأنفس - إلا أقلّ من ألف نفر، فخطبهم عليه السلام في خطبة قائلاً: «أيّتها النفوس المختلفة والقلوب المتشتّتة، الشاهدة أبدانهم والغائبة عنهم عقولهم، أظأركم علَى الحقّ وأنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الأسد! هيهات أن أطلع بِكم سرار العدلِ أو أقِيم اعوِجاج الحقِّ» (نهج البلاغة: الخطبة رقم١٣١).

والخطب التي تتحدّث عن فرار الناس عن الحقّ كثيرة، جاء في قوله عليه السلام: «أيّها الناس... ما

➔

➔

لي أراكم عن الله ذاهبين، وإلى غيره راغبين..» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٧٥).

وفي قوله عليه السلام: «منيت بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت، لا أبا لكم! ما تنتظرون بنصركم ربّكم، أما دين يجمعكم ولا حميّة تحمشكم؟!» (نهج البلاغة: الخطبة رقم٣٩)

وفي قوله عليه السلام في ذمّ أصحابه: «أيّتها الفرقة الّتي إذا أمرت لم تطع، وإذا دعوت لم تجب، إن أمهلتم خضتم وإن حوربتم خرتم، وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم، وإن أجئتم إلى مشاقّة نكصتم... ما تنتظرون بنصركم والجهاد على حقّكم الموت أو الذلّ لكم؟! فوالله لئن جاء يومي وليأتينّي ليفرّقنّ بيني وبينكم وأنا لصحبتكم قال، وبكم غير كثير... لله أنتم! أما دين يجمعكم، ولا حميّة تشحذكم؟! أوليس عجباً أنّ معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتّبعونه على غير معونة ولا عطاء؟! وأنا أدعوكم - وأنتم تريكة الإسلام وقيّة الناس - إلى المعونة أو طائفة من العطاء، فتفرّقون عنّي وتختلفون عليّ؟!» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٨٠)

وتطرّق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في أواخر أيّامه - ضمن انتقاده الأشخاص الذين خذلوه في مسيرته لتحقيق الأهداف الإسلاميّة الأصيلة - إلى الكلام عن الرجال الصادقين الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وآله وكانوا في إيمانهم وأعمالهم فرسان ساحة الإسلام والإنسانية، وكان يتحسّر لفراقهم، ليس لكونهم الأكثريّة، بل لسبقهم إلى الحقّ، وتسابقهم إلى التضحية والفداء من أجل المبدأ.

يقول عليه السلام: «أين القوم الّذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فأحكموه. وهيجوا إلى القتال فولهوا وله اللقاح إلى أولادها، وسلبوا السيوف أغمادها . وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفّاً صفّاً. بعض هلك وبعض نجا. لا يبشرون بالأحياء، ولا يعزون عن الموتى. مره العيون من البكاء. خمص البطون من الصيام. ذبل الشفاه من الدعاء. صفر الألوان من السهر. على وجوههم غبرة الخاشعين. أولئك إخواني الذاهبون. فحقّ لنا أن نظمأ إليهم ونعض الأيدي على فراقهم. إن الشيطان يسني لكم طرقه، ويريد أن يحل دينكم عقدة عقدة، ويعطيكم بالجماعة الفرقة. فاصدفوا عن نزغاته ونفثاته. واقبلوا

➔

➔

النصيحة ممن أهداها إليكم، واعقلوها على أنفسكم» (نهج البلاغة: في الخطبة رقم١٢١).

وقد بيّن عليه السلام في خطبته المفصّلة نقاطاً مهمّة، حيث يقول نوف البكاليّ: خطبنا بهذه الخطبة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالكوفة، وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزوميّ، وعليه مدرعة من صوف، وحمائل سيفه ليف، وفي رجليه نعلان من لِيف، وفي جبينه ثفنة من أثر السجود: «ما ضر إخواننا الذين سفكت دماؤهم - وهم بصفين - أن لا يكونوا اليوم أحياء؟ يسيغون الغصص ويشربون الرنق. قد والله لقوا الله فوفاهم أجورهم، وأحلّهم دار الأمن بعد خوفهم. أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحقّ؟ أين عمار؟ وأين ابن التيّهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة».

قال: ثمّ ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة فأطال البكاء، ثمّ دعاهم إلى الجهاد.. (نهج البلاغة: الخطبة رقم١٨٢).

وقد سبق أن ذكرنا أنّ أتباع الإمام عليه السلام كانوا صنفين من الناس: عامّة الناس، وهم الذين تركوا أمير المؤمنين عليه السلام وانحازوا إلى معاوية خلال عواصف المسيرة ومنعطفاتها. وشيعته المخلصون، وكان يدعون بشرطة الخميس، وهم الذين اعتمد عليهم الإمام في حركته التغييرية الكبيرة، وقد خاطبهم عليه السلام بقوله عليه السلام: «أنتم الأنصار على الحقّ، والإخوان في الدين، والجُنَنُ يوم البأس، والبِطانة دون الناس. بكم أضرب المُدبر، وأرجو طاعة المقبل. فأعينوني بمناصحة خليّة من الغشّ، سليمة من الريب، فوالله إنّي لأولى الناس بالناس» (نهج البلاغة: الخطبة رقم١١٨).

وهؤلاء الأتباع المخلصون هم الذين وقفوا إلى جانب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في جهاده العظيم، وكانوا يقبلون النصيحة ويفون بالعهد الذي عاهدوا عليه إمامهم عليه السلام في أحلك الأوقات. وكان الشيعة الحقيقيّون يلمسون عياناً السيرة النبويّة وقد تجسّدت في السيرة العلويّة، فيحفظون مودّتهم ونصرتهم لأميرالمؤمنين عليه السلام وأهل بيته على هذا الأساس.

ولابدّ من الحديث عن معلم آخر في السيرة العلويّة، وهو أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يسعى

➔

➔

في شرح مواقفه وآرائه للناس - وكان قد رأى عصيانهم وتخاذلهم - أن لا يحملهم على ما يريد بالقوة والإكراه، ويتجلّى ذلك في قولهعليه السلام: «لقد كنت أمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت أمس ناهياً فأصبحت اليوم منهيّاً، وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون» (نهج البلاغة: الخطبة رقم٢٠٨).

تمكّن معاوية بدهائه من جذب عامّة الناس إلى معسكره، فحفظ منافع الشام لنفسه، وكسب رضا الناس، فمنحوه طاعتهم وأسلسوا إليه قيادهم. وإذا كانت الأكثريّة في صفّ معاوية، والأقليّة في صفّ الإمام عليّعليه السلام، فما هو الفارق الأساس بينهما؟

ولقد أجاز معاوية لنفسه استخدام سلاح الترغيب والترهيب في كسب الناس إلى صفّه، بينما رفض أمير المؤمنينعليه السلام هذا الأسلوب ولم يجز لنفسه اتّباعه، فقالعليه السلام: «أتأمرونّي أن أطلب النصر بالجور؟!»

ولا ينافي جميع ما ذكرناه كون الحكومة مكلّفة بالدفاع عن حقوق الناس المشروعة، وحقيقة كون أمير المؤمنينعليه السلام المدافع الحقيقي عن تلك الحقوق المشروعة التي تستتبع كونهم مواطنين، سواء كانوا مسلمين أم من أهل الذمّة.

وقد عدّ أمير المؤمنينعليه السلام من أهم واجبات الإمام: رعاية أحوال الناس وإجراء العدالة بينهم، وتوعيتهم على أحكام الدين. وكانعليه السلام يأمر جميع ولاته برعاية الناس وكسب ودّهم، حيث قالعليه السلام في هذا الشأن: «إنّ أفضل قرّة عين الولاة: استقامة العدل في البلاد، وظهور مودّة الرعيّة». وكتبعليه السلام إلى أحد ولاته على الأمصار: « أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصّة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنّك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده». وعدّ أمير المؤمنينعليه السلام: مهمّته الأساسيّة: الانتصاف للمظلوم من الظالم، على شرط أن يعينه الناس في ذلك، حيث يقول: «أيها الناس، أعينوني على أنفسكم، وأيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودنّ الظالم بخزامته، حتى أورده منهل الحقّ وإن كان كارهاً» (نهج البلاغة: الخطبة رقم١٣٦)

ولأمير المؤمنين عليه السلامخطب كثيرة تحدّث فيها عن العدالة وعن رعاية حقّ الناس ، وورد

⬅

وليس يضره تخلف جماعة عن بيعته[(١)]؛

➔

معظمها في كتاب "الغرر والدرر" للآمدي.

وكان عليه السلام يعتبر أنّ من واجبات الإمام أن يجعل حياته في مستوى أدنى طبقات المجتمع وأفقرها، حيث قال عليه السلام – وقد استكثر عليه البعض زهده المتناهي -: «ويحك! إنّي لست كأنت؛ إنّ الله تعالى فرض على أئمّة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعفة الناس، كيلا يتبيّغ بالفقير فقره».

لقد دافع أمير المؤمنين عليه السلام طوال حياته الثرّة الطافحة بالبركة عن حقوق الناس، وعن المستضعفين منهم على الخصوص، وواسى فقيرهم وعطف على أراملهم وأيتامهم، لكنّهم ظلموه وغمطوا حقّه ولم يفوا معه بعهده، حتّى قال عليه السلام: «لقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيّتي». فمع مجموعة هذه الأمور وغيرها كانت بيعة الناس له بميل نفوسهم، وطبايعهم إلى ذلك، فلاحظ.

(١) لقد تضافرت الروايات والأخبار والأقوال على أنّ الصحابة والتابعين قد بايعوا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد مقتل عثمان؛ فإنّ المهاجرين والأنصار والبدريين وكبار الصحابة أجمعوا على بيعته عليه السلام، هذا مع قطع النظر عما تعتقده الشيعة من أنّ الإمامة كالنبوة بالنص من الله تبارك وتعالى، فذكر الإجماع هنا من باب المماشاة في الإحتجاج مع الخصم، فما زعمه ابن تيمية في هذا المجال باطل عند جميع المؤرخين والمحدثين وأصحاب السير. قال ابن سعد (المتوفّى ٢٣٠هـ): قالوا... وبويع لعلي بن أبي طالب رحمه الله بالمدينة، الغد من يوم قتل عثمان بالخلافة، بايعه: طلحة والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمّار بن ياسر، وأُسامة بن زيد، وسهل بن حنيف، وأبوأيوب الأنصاري، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وخزيمة بن ثابت، وجميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وغيرهم (انظر الطبقات الكبرى لإبن سعد ج٣: ص٣١).

وروى أحمد بن حنبل (المتوفي ٢٤١هـ) وهو امام ابن تيميّه، بإسناده عن محمد بن الحنفية

🡐

➔

قال: كنت مع علي، وعثمان محصور، قال: فأتاه رجل فقال: إنّ أمير المؤمنين مقتول،... إلى أن قال: فأتى عليّ الدار، وقد قتل الرجل فأتى داره فدخلها وأغلق عليه بابه، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه فقالوا: إنّ هذا الرجل قد قتل، ولا بدّ للناس من خليفة، ولا نعلم أحداً أحق بها منك، فقال لهم علي: «لا تريدوني» (وفي رواية الطبري: لا تفعلوا) فإنّي لكم وزير خير مني لكم أمير». فقالوا: لا والله ما نعلم أحداً أحقّ بها منك. قال: «فإن أبيتم عليّ فإنّ بيعتي لا تكون سرّاً ولكن أخرج إلى المسجد، فمن شاء أن يبايعني بايعني». قال: فخرج إلى المسجد فبايعه الناس (انظر فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢: ص٥٧٣، وتاريخ الطبري ج٤: ص٤٢٧).

وقال أبو حنيفة الدينوري (المتوفّى٢٨٢هـ): فلمّا قتل (يعني عثمان) بقي الناس ثلاثة أيام بلا إمام، وكان الذي يصلّي بالناس الغافقي، ثم بايع الناس عليّاًعليه السلام، فقال: «أيّها الناس، بايعتموني على ما بويع عليه من كان قبلي، وإنّما الخيار قبل أن تقع البيعة، فإذا وقعت فلا خيار، وإنّما على الإمام الاستقامة، وعلى الرعيّة التسليم، وإنّ هذه بيعة عامّة، من ردّها رغب عن دين الإسلام، وإنّها لم تكن فلتة». ثمّ قال الدِّينوري: وكتب عليّ بن أبي طالب إلى معاوية: «أمّا بعد، فقد بلغك الذي كان من مصاب عثمان، واجتماع الناس عليّ ومبايعتهم لي، فادخل في السلم أو ائذن بحرب». وبعث الكتاب مع الحجّاج بن غزيّة الأنصاري (انظر الأخبار الطوال: ص١٤٠-١٤١).

وقال ابن واضح اليعقوبي (المتوفي بعد٢٩٢هـ): وبايع الناس إلا ثلاثة نفر من قريش: مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، والوليد بن عقبة... إلى أن قال: وقام قوم من الأنصار فتكلّموا وكان أوّل من تكلّم ثابت بن قيس بن شمّاس الأنصاري وكان خطيب الأنصار، فقال: والله يا أمير المؤمنين لئن كانوا تقدّموك في الولاية (يريد الخلفاء الثلاثة) فما تقدّموك في الدين، ولئن كانوا سبقوك أمس فقد لحقتهم اليوم، ولقد كانوا وكنت لا يخفى موضعك، ولا يجهل مكانك، يحتاجون إليك فيما لا يعلمون، وما احتجت إلى أحد مع علمك. ثم قام خزيمة بن ثابت الأنصاري، وهو ذو الشهادتين، فقال: يا أميرالمؤمنين ما أصبنا لأمرنا

➔

➔

هذا غيرك، ولا كان المنقلب إلا إليك، ولئن صدقنا أنفسنا فيك، فلأنت أقدم الناس إيماناً، وأعلم الناس بالله، وأولى المؤمنين برسول الله، لك ما لهم، وليس لهم ما لك. وقام صعصعة بن صوحان فقال: والله يا أمير المؤمنين لقد زيّنت الخلافة وما زانتك، ورفعتها وما رفعتك، ولهي إليك أحوج منك إليها. ثم قام مالك بن الحارث الأشتر فقال: أيّها الناس هذا وصي الأوصياء...، إلى أن قال: من كملت فيه الفضائل، ولم يشكّ في سابقته وعلمه وفضله الأواخر، ولا الأوائل. ثم قام عقبة بن عمرو فقال: من له يوم كيوم العقبة وبيعة كبيعة الرضوان، والإمام الأهدى الذي لا يخاف جوره، والعالم الذي لا يخاف جهله (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٧٩).

والشاهد على الخبر ما قاله الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في وصف بيعته بالخلافة: «وبسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، ثم تداككتم عليّ تداكّ الإبل الهيم على حياضها يوم وردها، حتى انقطعت النعل، وسقط الرداء، ووطئ الضعيف، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير، وهدج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسَرت إليها الكعاب» (نهج البلاغة: الخطبة رقم٢٢٩).

وروى الطبري(المتوفي ٣١٠هـ) باسناده عن أبي بشير العابدي، قال: كنت بالمدينة حين قتل عثمان، واجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير، فأتوا عليّاً، فقالوا: يا أبا حسن، هلمّ نبايعك، فقال: «لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم، فمن اخترتم فقد رضيت به فاختاروا»، فقالوا: والله ما نختار غيرك... (تاريخ الطبري ج٣: ص٤٥)، وإلى غير ذلك من الأخبار والروايات والأقوال فإنّها صريحة في تحقق الاجماع على بيعة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولم يتخلّف عن بيعته إلا بضعة أفراد. ومع ذلك فإنّ التخلّف عن بيعته، أومخالفة الناس له، لا تضرّ بإمامته وولايته؛ لأنّ الإمام هو الوارث لعلم النبي صلى الله عليه وآله ورياسته بعده من جهة أنّه يتصف بجميع أوصاف النبي صلى الله عليه وآله وهو المتخلّق بأخلاقه الجميلة، والخالي من جميع الأخلاق الرذيلة، السالك في الأمّة سلوكه والثابت له كلّما ثبت له عدا ربقة النبوة ونزول الوحي عليه، فمخالفة الناس له كمخالفتهم للنبي

⬅

فإنّ العبرة بالبيعة عند من تسمى بأهل السنة بيعة الجمهور(١)

➔

الأكرمﷺ لا أثر لها، كما أنّ مخالفة الأمم السابقة لأنبيائهم لم تكن مؤثرة في نبوتهم وولايتهم على الناس. هذا أولاً وثانياً: أنّه بناءً على المباني الاعتقادية عند أهل السنّة والجماعة لو بايع الناس إماماً يجب على الجميع بيعته وطاعته، ومن تخلف عن بيعته فهو باغ، ولا اعتبار لمخالفة العدة القليلة كما سيتّضح ذلك من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(١) وبعبارة أوضح إنّ البيعة الشرعية عند أهل السنّة إنّما هي لمن قام الإجماع على خلافته وإمامته، فعلى طبق مسلك أهل السنة أولاً: لا بدّ من اجتماع الناس على إمامة الشخص؛ لأنّهم رووا عن النبيﷺ: لا تجتمع أمتي على الضلالة، لقد أخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال قال رسول اللهﷺ: لا يجمع الله هذه الأمة أو قال أمتي على الضلالة أبداً (انظر المستدرك على الصحيحين ج١: ص١١٦). فيلزم أولاً الإجماع على إمامة من يجب بيعته عندهم، ثم البيعة له بالخلافة والإمامة، ومعنى البيعة: معاهدة المبايع المبايع له أن يبذل له الطاعة في ما تقرّر بينهما، ويقال بايعه عليه مبايعة أي عاهده عليه، فالبيعة هي عهد يلزم الوفاء به.

ثم إنّ للبيعة الشرعية شرائط عند أهل السنّة، يجب توفّر تلك الشرائط: ومن تلك الشرائط أنّ تكون البيعة بالاختيار، فلا تصحّ بيعة المكره، ومنها: أن تكون البيعة لأمر يصحّ القيام به، فلا تصحّ البيعة من صبي أو مجنون، لأنّهما غير مكلفين بالأحكام في الاسلام، وإلى غير ذلك من الشرائط، وعليه فلا تنعقد البيعة من المكره؛ لأنّ البيعة مثل البيع فكما لا ينعقد البيع بأخذ المال من صاحبه قهراً ودفع الثمن له، كذلك البيعة لا تنعقد بأخذها بالجبر وفي ظلّ السيف، وكذلك لا تصحّ البيعة للمتجاهر بالمعصية، ولا تصحّ البيعة للقيام بمعصية، وإلى غير ذلك من الشرائط التي سنذكرها في محله إن شاء الله تعالى. إذن أنّ البيعة في المصطلح الإسلامي لها أحكام، لا بدّ من تكون وفقاً للشرع الاسلامي، فلاحظ.

حسبما صدرت في حق ابن أبي قحافة على ما سيأتي شرحه[١]،

---

(١) لقد ذكرت المصادر السنيّة كيفيّة بيعة أبي بكر في السقيفة عندما أرادت الأنصارعقد الإمامة لسعد بن عبادة وبلغ ذلك أبا بكر وعمر فقصدوا نحو مجتمع الأنصار في رجال من المهاجرين وبعض بطون قريش، ولمّا انتهوا إليهم وقع بينهم التشاجر في أمر الخلافة، وحيث اضطرب الأمر بينهم وجعل كل من المهاجرين والأنصار يطلبون الأمر لأنفسهم، ففي تلك الأجواء الملتبة بايع عمر أبا بكر وبايعه أراذل قريش الحاضرين في السقيفة، ثم أخذوا البيعة من الناس بالجبر والإكراه، حتّى قتلوا سعد بن عبادة في السقيفة، فسمّوا ذلك اجتماع الناس على خلافته. وإليك بعض ما ورد في صحاحهم، فقد روى البخاري بسنده عن أنس بن مالك أنه سمع خطبة عمر الآخرة حين جلس عن المنبر وذلك الغد من يوم توفي النبيﷺ فتشهد وأبو بكر صامت لا يتكلم قال: كنت أرجو أن يعيش رسول اللهﷺ حتّى يدبرنا يريد بذلك أن يكون آخرهم، فإن يك محمد قد مات فإنّ الله تعالى قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به هدى الله محمداً وإن أبا بكر صاحب رسول اللهﷺ ثاني اثنين فإنه أولى المسلمين بأموركم فقوموا فبايعوه؛ وكان طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة وكانت بيعة العامّة على المنبر؛ قال الزهري عن أنس بن مالك: سمعت عمر يقول لأبي بكر: يومئذ اصعد المنبر، فلم يزل به حتّى صعد المنبر فبايعه الناس عامّة (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٢٦ كتاب الأحكام، باب الاستخلاف). وروى ابن كثير بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قبض رسول اللهﷺ واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة وفيهم أبو بكر وعمر قال: فقام خطيب الأنصار فقال: أتعلمون أن رسول اللهﷺ كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين، ونحن أنصار خليفته كما كنّا أنصاره، قال: فقام عمر بن الخطاب فقال: صدق قائلكم أمّا لو قلتم غيرهذا لم نبايعكم وأخذ بيد أبي بكر وقال: هذا صاحبكم فبايعوه، فبايعه عمر وبايعه المهاجرون والأنصار... (انظر البداية والنهاية ج٥: ص٢٦٩). وإلى غير ذلك مما ورد في كتبهم؛ فإنّها تدّل بوضوح على إنّ بيعة أبا بكر تمّت ببيعة عمر ثم بايعه المهاجرون والأنصار، ولكن الأدلة المعتبرة في أصل الإمامة قائم على أنّ هذا النوع من البيعة غير مشروعة؛ لعمّ قيام ←

ولو فرض مدخليّة ما قاله في البحث فليس يجديه نفعاً[1]؛

←

الإجماع عليه قبل البيعة، لأنّ الحقيقة أنّ الناس لم تجتمع على خلافة أبي بكر، إذ حسبما ورد في صحيح البخاري وغيره من الصحاح والمسانيد أنّ بيعة أبي بكر تمت ببيعة عمر، كما أنّ بيعة عمر لم تتمّ بالإجماع كذلك بيعة عثمان، فبيعة الخلفاء الثلاثة لم يقم عليها الإجماع، كما لم تتحقّق البيعة الشرعيّة لهم لأنّ البيعة الشرعية لها شرائط لازمة عندهم، منها: أن تكون البيعة عن طيب النفس والرغبة والميل الباطني، فبيعة الخلفاء الثلاثة كانت خالية من تلك الشرائط، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه قد ثبت بالأدلة والنصوص والحجّة القطعية عند أهل السنّة والجماعة أنّ البيعة المعتبرة عندهم شرعاً إنّما تكون تامة للخلافة إذا قام الإجماع عليها. وبعبارة أخرى أنّ البيعة المعتبرة عند أهل السنّة هي بيعة عامّة الناس للخلافة، فالملاك في مشروعية البيعة عند أهل السنّة حصول الإجماع قبل البيعة، وأمّا مع عدم حصول الإجماع عليها فلا تعتبر شرعاً، ولذلك عقد البخاري باباً في صحيحه بعنوان باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢٠٤ كتاب المناقب). فإنّه حيث وجد أنّ الملاك في النصوص اعتبار الإجماع في البيعة للخلافة، وفي الواقع بحسب الأدلة والنصوص كان يعلم عدم قيام الإجماع على خلافة الخلفاء الثلاثة، فأراد أنّ يغش العوام بذكر هذا العنوان الكاذب للباب، ولذلك الباحث لو لاحظ روايات الباب لم يجد فيها ما يدلّ على مدّعاه؛ وهذا دليل على أنّ ادّعائه الكاذب. فإنّ واقع الأمر حسب الأدلّة ورواياتهم لم يتحقّق الإجماع على خلافة أحد من الخلفاء الثلاثة، ولا لخلفائهم من بني أميّة وبني العبّاس، سوى الإجماع الذي قام على بيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما تقدّمت الإشارة اليه. فالبخاري وابن تيمية وأضرابهم عندما يصلون إلى هذه الروايات والأخبار الصحيحة يدّعون وجود الإجماع على خلافة خلفائهم لئلا يستشكل عليهم العوام، ولكن عندما يذكرون التاريخ يقولون بأنّ البيعة لخلفائهم لم تتمّ إلا بشخص واحد، وعليه فما ذكروه في باب الإمامة لا ينطبق على واقع الأمر في خلافة

←

لأنّ بيعة عليعليه السلام ومن تابعه مثل سلمان وعمّار وبني هاشم وغيرهم لم تكن عن ميل ورضا بعثمان، كيف قد تهدّده عبد الرحمن حسبما روى ذلك البخاري[١]

خلفائهم، فلاحظ.

(١) فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن المسور بن مخرمة أنّه قال: أخبره أن الرهط الذين ولاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا... قال المسور: طرقني عبد الرحمن بعد هجع من الليل فضرب الباب حتى استيقظت فقال: أراك نائما فوالله ما اكتحلت هذه الليلة بكبير نوم، انطلق فادع الزبير وسعداً، فدعوتهما له فشاورهما ثم دعاني فقال: ادع لي علياً فدعوته فناجاه حتّى ابهارّ الليل ثمّ قام علي من عنده وهو على طمع وقد كان عبد الرحمن يخشى من علي شيئاً ثم قال: ادع لي عثمان فدعوته فناجاه حتّى فرق بينهما المؤذّن بالصبح، فلمّا صلّى للناس الصبح واجتمع أولئك الرهط عند المنبر فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار وأرسل إلى أمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجّة مع عمر، فلمّا اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال: أما بعد يا علي، إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان فلا تجعلنّ على نفسك سبيلاً، فقال: أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده، فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس المهاجرون والأنصار وامراء الأجناد والمسلمون (صحيح البخاري ج٨: ص١٢٣ كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس). فإنّ المستفاد من الحديث أنّ عبد الرحمن بن عوف أراد أن يستغل الأجواء الملتهبة في الشورى لصالح عثمان؛ لأنّه كان يعلم أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام يعمل بكتاب الله وسنة رسول اللهصلى الله عليه وآله فقط ويرفض سنّة الخلفاء الغاصبين، لذلك اخترع فكرة وهي أن يرشح الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام للخلافة ويلزمه العمل بكتاب الله وسنّة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر، وهو يعرف أن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام لن يلتزم بالعمل على سيرة الشيخين أبي بكر وعمر، لأن الإمام

➔

أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يعتقد أن الالتزام بالقرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وآله يهديان ولا يضلان، لعصمتهما من الخطأ، بخلاف سيرة الشيخين التي لا تهدي إلاّ إلى الضلالة؛ حيث أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أكّد على أنّ حديث الثقلين المتواتر لدى الفريقين فيه وجوب التمسك بالقرآن والعترة الطاهرة فقط، ومعناه أنّ التمسك بغيرهما ينتهي إلى الضلالة، ومن الواضح أنّ المشي على سيرة الشيخين يكون على خلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله. ثم إنّ الإمام عليه السلام كان يؤمن بأنّه أولى بالخلافة من غيره، وأنّ أبا بكر وعمر قد غصبا الخلافة منه، وكان الواجب عليهما أن يتبعاه وليس العكس، وبالتالي فإنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لن يقبل هذا الشرط الذي اخترعه عبد الرحمن، فعبد الرحمن إستغل هذه الفرصة لترشيح عثمان، وإنّه كان يعلم أنّ اصل الشورى لعبة سياسية لتسليط عثمان وبني أميّة، فلم يجد مانعاً من إجراء هذه الخطّة السياسية لتحصيل مناوي الخليفة عمر بن الخطاب، وكان يعلم أيضاً أنّ عثمان لا مانع له من قبول هذا الشرط ولو بحسب الظاهر، لأنّ الهدف الرئيس عنده الوصول إلى حكومة، وتسليط بني أمية على رقاب الناس، فهو كان يعلم أنّه لا يعرف شيئاً من كتاب الله وسنة رسوله، وكان يعلم أيضاً أنّ الشيخين مثله في أمر غصب الخلافة، فوجد الطريق مفتوحاً بوجهه، فلم يهمه إلا قبض الرئاسة بأيّ وجه أمكن، حيث أنّ ذلك كان هدفه بالذات.

ومن أجل وضوح الأمرأنظر إلى ما قال الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لعبد الرحمن عندما بايع عبد الرحمن عثمان، فقال له: «حبوته حبو دهر ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك، والله كل يوم في شأن» (انظر تاريخ الطبري ج٣: ص٢٩٧). ففهّمه الإمام عليه السلام بأنّك من المؤيّدين البارزين لسياسة أبي بكر وعمر، ومن المعارضين الأشدّاء لأهل بيت النبوة عليهم السلام، والشاهد على ذلك في اليوم الثاني لوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ عبد الرحمن شرع مع عمر بحرق بيت فاطمة بنت رسول الله عليها السلام وكان له دور بارز في تثبيت خلافة أبي بكر وعمر فكان من المتوقع منه إجراء هذا الدور السياسي الخطر وتثبيت عداوته للإمام أمير

🡐

وغيره[(١)]،

➔

المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام.

وملخّص الكلام أنّه أوّلاً: أنّ الأدّلة والنصوص المعتبرة عند أهل السنّة لا تدّل على بيعة الإمامعليه السلام لعثمان ، وعلى فرض التنزل لم تكن البيعة عن رغبة، بل بتدبير وسياسة من عبد الرحمن، وثالثاً على فرض تحقّقها كانت عن اكراه واجبار؛ ولا أثر لبيعة المكره كما هو مورد الوفاق بين جميع المسلمين. فعبد الرحمن كان من الملتزمين بسياسة الخليفتين أبي بكر وعمر، ومن المؤيّدين لهما. وأراد بما فعله الشورى أن يؤكّد على هذه الحقيقة، فهو لأوّل مرّة في الإسلام طرح سيرة أبي بكر وعمر وقرنهما جنباً إلى جنب مع كتاب الله وسنّة رسولهصلى الله عليه وآله ومن ذلك التاريخ تروضت أسماع المسلمين على سماع هذا المصطلح، ولم يروا غضاضة ولا جرحاً إن أطلقوا على سيرة الخليفتين مصطلح سنة أبي بكر وعمر ولم يروا ما يمنع من ربط سنّة الخليفتين مع كتاب الله وسنّة رسوله، فلاحظ.

(١) لقد أخرج الطبري عن عبدالله بن عمر أنّه قال في حديث طويل: ... وبعث إلى من حضره من المهاجرين، وأهل السابقة والفضل من الأنصار، وإلى أمراء الأجناد، فاجتمعوا حتى ارتج المسجد بأهله، فقال: أيها الناس، إن الناس قد أحبوا أن يلحق أهل الأمصار بأمصارهم وقد علموا من أميرهم، فقال سعيد بن زيد: إنا نراك لها أهلاً، فقال: أشيروا علي بغير هذا، فقال عمّار: إن أردت ألا يختلف المسلمون فبايع علياً، فقال المقداد بن الأسود: صدق عمّار، إن بايعت علياً قلنا: سمعنا وأطعنا، قال ابن أبي سرح: إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان، فقال عبد الله بن أبي ربيعة: صدق؛ إن بايعت عثمان قلنا سمعنا وأطعنا، فشتم عمار ابن أبي سرح، وقال: متى كنت تنصح المسلمين، فتكلّم بنو هاشم وبنو أمية، فقال عمّار: أيّها الناس؛ إن الله عزّ وجلّ أكرمنا بنبيّه، وأعزّنا بدينه، فأنى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيّكم، فقال رجل من بني مخزوم: لقد عدوت طورك يا ابن سمية؛ وما أنت وتأمير قريش لأنفسها، فقال سعد بن أبي وقاص: يا عبد الرحمن، أفرغ قبل أن يفتتن الناس، فقال عبد الرحمن: إني قد نظرت وشاورت، فلا تجعلن أيها

🡐

←

الرهط على أنفسكم سبيلاً.

ودعا علياً فقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنّة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده، قال: «أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي»، ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي، قال: نعم، فبايعه فقال علي: «حبوته حبو دهر ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، والله ما ولّيت عثمان إلا ليرد الأمر إليك، والله كلّ يوم هو في شأن»، فقال عبد الرحمن: يا علي لا تجعل على نفسك سبيلاً، فإني قد نظرت وشاورت الناس فإذا هم لا يعدلون بعثمان فخرج علي وهو يقول: «سيبلغ الكتاب أجله»، فقال المقداد: يا عبد الرحمن أما والله لقد تركته من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون (تاريخ الطبري ج٣: ص٢٩٧)، ورواه ابن شبه النميري في تاريخ المدينة ج٣: ص٩٣٠، وابن الأثير في الكامل في التاريخ ج٣: ص٧١، وأبو الفداء في تاريخه ج١: ص١٦٦، وغيرهم.

وملخّص الكلام أنّ عبد الرحمن بن عوف وضع شرطاً يعلم أن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لن يقبله أبداً. وأيضاً يعلم أنّ الإمام عليه السلام لو وجه النقد لهذا الشرط لكان فيه الكفاية لسيل الدماء، حيث أنّ الصحابة المخالفين لسياسة الخلفاء كان عددهم كثيرة، والحزب الحاكم كان لديه القوات والأمراء من بني أميّة وبطون قريش، وكانت السلطة في أيديهم. فمن الواضح أنّ سياسة عمر بن الخطاب من هذه لعبة السياسية في قالب الشورى ابتعاد الإمام عليه السلام عن الخلافة، ومع عدم التوفيق في اجراء هذه السياسه كان هدفه الحرب واراقة دماء المسلمين بالإرهاب والفتك كي تصل الحكومة إلى بني أميّة وأبناء الطلقاء، وابتعاد الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبني هاشم عن الحكم. ففي الواقع هذا الشرط كان له جهتان كل جهة منهما تخدم سياسة الحزب الحاكم.

فهذه السياسة المدبرة من عبد الرحمن كانت لوصول الأمويّين وبطون قريش والطلقاء إلى الحكم. والإمام عليه السلام كان يعلم ذلك وقد بالغ في إتمام الحجّة عليهم وقطع العذر عنهم،

←

بل ولو لم يتهدّده بحسب الظاهر، لكن الناقد بعد نظره إلى ما دلّ على إمامته من السنن يعلم يقيناً بأنّ بيعته له ليست عن رضا منه[1]، مثل بيعته لمن تقدّم عليه[2]

➔

ولكن استهوتهم الأهواء المضلّة والوساوس الشيطانيّة، واستخفّهم الجاهليّة ﴿**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّه أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ (سورة المجادلة:١٩)، ﴿**وكَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (سورة الروم:٥٩).

(١) لايخفى أنّ الأدلّة والنصوص من الكتاب والسنّة النبويّة الشريفة دالّة بالصراحة على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وخلافته بعد النبي صلى الله عليه وآله بلا فصل، وقد رواها علماء الإسلام من الفريقين الشيعة وأهل السنّة بأسناد صحيحة عديدة وبدلالة واضحة، ولا نريد هنا أن نخوض غمار أدلّة الفريقين وتقويمها، إذ ذلك يحتاج الى موسوعة كبيرة، وقد كُتب في ذلك العديد من المؤلفات، ولكنّا نريد أن نشير إلى ما ورد في الكتاب والسنة، من وصيّة الرسول صلى الله عليه وآله لمولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقد فاق بعضها حد التواتر والاشتهار فصار ممّا لا يمكن إنكاره، إذ قد ورد عديد من النصوص في تسمية مولانا أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام بالوصي، واحتجّ بها أئمة أهل البيت عليهم السلام في عدّة مواضع. وأما الشعر فقد ملأ الآفاق حتّى لا تكاد ترى قصيدة شعرية تأتي على ذكر مولانا أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام إلا وصفته بالوصي، فراجع كتاب الغدير للعلامة الأميني رحمه الله ترى الأجلاد المتعددة كلّها من مصادر أهل السنّة والجماعة. وعليه إذا كانت الأدلة من الكتاب والسنّة صريحة في الوصاية وإمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام كيف يمكن رضاه بخلافة غيره، لا سيّما الغاصبين لحقوق أهل البيت عليهم السلام؟!!!

(٢) لا شكّ أنّ البيعة الشرعية الصحيحة هي البيعة القلبي والميثاق بين المبايع والمبايع له على

🡐

➔

تنفيذ ما التزموا بينهم، تشبيها له بفعل البائع والمشتري فكما أنّ المتبايعين يتصافحان بالأيدي عند إجراء عقد البيع، كذلك البيعة في المقام، فإنّ من يعتقد برسالة رسول الله صلى الله عليه وآله كان يبايعة على السمع والطاعة له، كما أنّ من يعتقد بإمامة العترة الطاهرة، الذين أمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله بإمامتهم يجب عليه الإلتزام بهذا الإعتقاد سواء بايعهم الناس أم لم يبايعوا معهم بالإمامة والخلافة. وعليه فإنّ البيعة لمن تقدم على مولانا أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام لا أثر لها؛ لأنّها ليست المشروعة، حيث أنّ البيعة المشروعة هي البيعة لمن كان أمامته مشروعة، وبعبارة أوضح أنّ البيعة المشروعة للإمامة عند الشيعة هي البيعة بعد ثبوت النص من قبل الله ورسوله ، وعند أهل السنة بعد قيام الإجماع على إمامته، عند ذلك تجب على الناس بيعته ديناً وانقياداً، ولا مجال للتخلّف عنه كما جاء في الحديث المتواتر مضموناً لدى الفريقين: «من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية» أو «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» أو قريب من هذه المضامين، فالبيعة المشروعة في الاسلام إنّما تنعقد لمن توفّر فيه شرائط الإمامة حتى عند أهل السنّة والجماعة فإنّهم يعتقدون بأنّه لا بيعة لمن ليس له شرائط الإمامة، ولذلك اتفق كلمات علماء أهل السنّة على أنّه لا بيعة لمن يأمر بمعصية الله، ولا بيعة لمن يأمر بخلاف ما أمر الله عزّ وجلّ كما أنه لا بيعة لمن يعصي الله لما ورد في البخاري بسنده عن ابن عمرعن النبي صلى الله عليه وآله قال: «السمع والطاعة حقّ ما لم يأمر بالمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاع» (صحيح البخاري ج٤: ص٧ كتاب دعاء النبي صلى الله عليه وآله إلى الإسلام، باب السمع والطاعة للإمام). فإنّ عدم مشروعية البيعة في هذا المجال من جهة عدم تحقّق شرط البيعة، فمن تلك الشرائط مشروعيّة إمامة من يريد البيعة، ومن الواضح أنّ الإمامة الشرعيّة لم تتحقّق عند أهل السنّة؛ وذلك لعدم قيام الإجماع على خلفائهم الثلاثة باعتراف جميع علمائهم، وعندئذ فإنّ البيعة لمن لم يتوفّر عنده شرائط الإمامة باطلة بالإجماع، ولا بيعة حقيقيّةً في حقّه، وبما أنّ البيعة هي ثبوت الإمامة، فتكون البيعة له مؤكّدة لنبوّته أو إمامته لا مؤسّسة لها، إذ المؤسّس هو النصّ كما تقدّم؛ ولذلك ورد في مصادر أهل السنّة عن

➔

➔
ابن مسعود أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سيلي أموركم بعدي رجال يطفئون السنّة ويعملون بالبدعة، ويؤخّرون الصلاة عن مواقيتها»، فقلت: يا رسول الله! إن ادركتهم كيف أفعل؟ قال صلى الله عليه وآله: «تسألني يا ابن أم عبد كيف تفعل؟ لا طاعة لمن عصى الله» (انظر سنن البيهقي ج٣: ص١٢٤). وعليه كيف يمكن إثبات بيعة المشروعة لعثمان فضلاً عن بيعة الإمام عليه السلام له، لا سيّما البيعة عن الرضا!!!

مضافاً إلى ما ورد في الروايات المتواترة عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين: «لا تتقدّموا على العترة الطاهرة فتهلكوا»، فقد روى الهيثمي بسنده عن عبد الله بن حنطب قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله بالجحفة، فقال: «ألست أولى بأنفسكم؟»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله: «فإني سائلكم عن اثنين عن القرآن وعن عترتي، ألا ولا تقدموا فتضلّوا ولا تخلفوا عنها فتهلكوا ولا تعلموها فهم أعلم منكم» (مجمع الزوائد ج٥: ص١٩٥). ورواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة: ص٦٢٣.

وروى بسنده وعن زيد بن أرقم قال نزل رسول الله صلى الله عليه وآله الجحفة ثم أقبل على الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال صلى الله عليه وآله: «إني لا أجد لنبي إلا نصف عمر الذي قبله وأني أوشك أن أدعى فأجيب فما أنتم قائلون» قالوا: نصحت، قال صلى الله عليه وآله: «أليس تشهدون أن لا إله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنّة حقّ وأن النار حقّ؟» قالوا: نشهد، قال: فرفع يده فوضعها على صدره، ثم قال صلى الله عليه وآله: «أنا أشهد معكم» ثم قال صلى الله عليه وآله: «ألا تسمعون؟» قالوا: نعم، قال صلى الله عليه وآله: «فإني فرط على الحوض وأنتم واردون على الحوض وإن عرضه ما بين صنعاء وبصرى فيه أقداح عدد النجوم من فضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين» فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله: «كتاب الله طرف بيد الله عزّ وجلّ وطرف بأيديكم فتمسّكوا به لا تضلّوا، والآخر عشيرتي وإن اللطيف الخبير نبّأني أنهما لن يفرقا حتى يردا على الحوض، فسألت ذلك لهما ربي فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهما فهم أعلم منكم»، ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال: «من كنت أولى به من نفسه فعلي وليّه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» (مجمع الزوائد ج٩: ص١٦٤)،
➔

فتصير بيعته لهم من قبيل محوهﷺ اسمه من الرسالة في المصالحة يوم الحديبية[1]،

➔

ورواه الطبراني في معجمه الكبير ج٣: ص٦٦.

وروى ابن أبي الحديد عن النبيﷺ قال: «انظروا أهل بيت نبيّكم فالزموا سمتهم، واتّبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى، فإن لبدوا فالبدوا وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٧: ص٧٥-٧٦). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذا المضمون، فإنّها صريحة في النهي عن التقدم على العترة الطاهرةعليهم السلام، فبناءً على هذه الروايات الصحيحة عند أهل السنّة والجماعة أن بيعة من تقدم على مولانا أميرالمؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام باطلة ولا أثر لها، فلاحظ.

(١) لقد ذكر أهل السير والتاريخ والحديث: أنّه لمّا أراد النبيﷺ الصلح مع مشركي مكة في الحديبية، كان الذي تولى كتابة صحيفة الصلح هو الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام. فقد روى البخاري أنّ النبي الأكرمﷺ أمر الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام أن يكتب كتاب الصلح، فكتب الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فاعترض على ذلك سهيل بن عمرو ممثّل المشركين قائلاً: لا أعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللهم، فقالﷺ: «اكتب باسمك اللهم»، فكتب الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام ذلك، ثم قالﷺ للإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام: «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو» (فكتب)، فاعترض عليه سهيل بن عمرو، وقال: لو نعلم أنك رسول الله، ما قاتلناك ولا صددناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. فأمرﷺ الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام بمحوها، فقال: «لا والله، لا أمحاك أبداً»، أو قال: «إن يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوة»، أو قال: «ما أمحو اسمك من النبوة أبداً»، أو «ما كنت لأمحو اسمك من النبوة»، أو قال: «لا أمحوه أبداً» وفي نص البخاري عن البراء بن

➔

➔

عازب: «ما أنا بالذي أمحاه»، فمحاه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه (انظر صحيح البخاري ج٣: ص١٦٧ كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان...)، أو فقال له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه: «ضع يدي عليها»، أو: «أرني إياها»؛ فأراه، فمحاه بيده، أو: فأخذه رسول الله، وليس يحسن أن يكتب، ثم قال: اكتب... (انظر أسد الغابة لابن الأثير ج١: ص٢١٦). وفي صحيح ابن حبان: أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه أمر الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام بمحو اسمه مرتين، فأبى ذلك فيهما معاً (انظر صحيح ابن حبان ج١١: ص٢٢٢ و٢٢٣). وفي مسند أحمد بن حنبل وغيره: - بعد أن ذكروا رفض علي محو اسمه - قالوا: فأخذ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه الكتاب، وليس يحسن أن يكتب فكتب مكان رسول الله: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله أن لا يدخل.. (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٩٨). ورواه الدارمي في سننه ج٢: ص٢٣٨، وابن كثير في تفسيره ج٤: ص٢١٧ وغيرهم وعن محمد بن كعب: أنه عليه السلام جعل يتلكأ، ويبكي، ويأبى أن يكتب إلا محمد رسول الله. فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه: «اكتب، فإن لك مثلها، تعطيها وأنت مضطهد»؛ فكتب ما قالوا (انظر وسبل الهدى والرشاد ج٥: ص١٢٥ وينابيع المودة ج١: ص١٥). فالروايات الواردة في المقام صريحة في أنّ المصلحة اقتضت بأن النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه أمر الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام بمحو اسمه في صلح الحديبية، حتى أنّ عمر بن الخطاب شك في نبوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه - والعياذ بالله - فقال: أتيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه فقلت: ألست نبي الله حقاً؟ قال: «بلى»، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى»، قلت: فلم نعطى الدنية في ديننا إذاً ؟!!! قال: «إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري»، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى»، «فأخبرتك أنا نأتيه العام؟» قال: قلت: لا، قال: «فإنك آتيه ومطوف به»، قال: فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطى الدنية في ديننا إذا قال أيها الرجل أنه لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله أنه على الحق، قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به، قال

➔

فهل الذي يدور الحنش[1] في الله[2]،

الزهري: قال عمر: فعملت لذلك اعمالاً، قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول اللهﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا»، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخلﷺ على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم (انظر صحيح البخاري ج٣: ص١٨٢ كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب وكتابة الشروط). ولنا وقفه طويلة مع الخليفة عمر الخطاب في اعتراضه على النبيﷺ سنذكرها إن شاء الله تعالى في محله، ولكن البحث في المقام في محو اسم النبيﷺ في كتابة المصالحة، فإنّه من باب المصلحة كما يظهر من حديث البخاري وغيره، كذلك الأمر في البيعة التي لم تكن مشروعة، فيمكن أن تكون من باب إخماد الفتن ودفعها عن المسلمين، والتحفّظ على أصل الإسلام وعدم محوه، والمهم في مقام ترجيح في باب التزاحم يكون بما هو الأصلح، فعلى فرض تحقق البيعة، مع وجود الدليل القطعي على عدم مشروعيتها فإنّها من باب دفع الضرر عن أصل الإسلام، وحفظ بيضة الإسلام، فلاحظ.

(١) قال ابن منظور: الحَنَشُ: الحيَّةُ، وقيل: الأَفْعى، وبها سُمِّي الرجلُ حَنَشاً (انظر لسان العرب ج٦: ص٢٨٩ مادة الحاء المهملة).

(٢) هذه العبارة كناية عن أهميّة حفظ أصل الدين عند مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام، وهذا المثل معروف عند أهل الأدب واللغة، يذكر في مقام تصور الأمرين الخطرين أحدهما أهم من الأخر، فكأنّما يتصوّر وجود الأفعي على الكنز المرصود للسرقة، فإنّ الحفاظ على الكنز أهمّ من وجود الأفعي عليه. فيذكر في أمثال المقام. حيث إنّه كان من وظائف مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام الحفّاظ على أصل الدين، وهو من أهمّ الواجبات عند الشارع الأقدس، كما أنّ النبي الأكرمﷺ كان من وظائفه الحفاظ على الدين وحراسته عنه، ويمكن فهم هذا

➔

الموضوع من خلال البحث في سيرته العطرة؛ حيث إن النبيﷺ لم تكن مسؤولياته وأعماله مقتصرة على تلقي الوحي الإلهي وتبليغه إلى الناس، بل كان يقوم بالأمورالتالية أيضاً: كانﷺ يفسّر الكتاب العزيز ويشرح مقاصده ويكشف أسراره، يقول سبحانه: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ (سورة النحل:٤٤)، وكانﷺ يبيّن أحكام الموضوعات التي كانت تحدث في زمن دعوته. وكانﷺ يدفع الشبهات ويجيب عن التساؤلات العويصة المريبة التي كان يثيرها أعداء الإسلام من يهود ونصارى. وكانﷺ يصون الدين من التحريف والدس ويراقب ما أخذه عنه المسلمون من أصول وفروع حتى لا تزل فيه أقدامهم هذه.

فهذه الأمور هي التي مارسها النبي الأكرمﷺ فكان من وظائفه الهامّة: الحفاظ على الدين، والحفاظ على الدين لها وجوه مختلفة، وإليك بعض تلك الوجوه: أولاً: نشر الدين بصورته الصحيحة من خلال تعليمه للناس القرآن وتبيين معارفه وأحكام الإسلام.

وثانياً: دفع الشبهات الواردة بالأدلة الواضحة، وأجلى مثال لذلك ما تحقق في عصر النبيﷺ من قضية المباهلة.

وثالثاً: إحياء وتعظيم الشعائر الدينية بمختلف أشكالها وأنواعها فالشعائر هي مظاهر الدين فبأحيائها يتمّ حفظ الدين.

فمن تلك الموارد التي كانت على عاتق مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام حفظ أصل الدين، وحسب هذه الوظيفة المهمة أنّ الإمامعليه السلام كان يهتم بهذا الأمر أشد الإهتمام، وفي قصة الشورى العمريّة كانعليه السلام في صدد مراعات حفظ نفوس المسلمين، لأنّ الحزب الحاكم كان هدفه من تأسيس الشورى أمرين: إمّا اراقة دماء المسلمين وابادتهم وارجاع الجاهلية الأولى، وإمّا تسليط بني أمية على الحكم مع حفظهم الظواهر الإسلامية في بداية الأمر...

فالإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام عمل - في هذا المقطع من التاريخ - حسب ما كان وظيفته في هذا المجال، كما أنّ النبيﷺ عمل بها في الحديبية، فلاحظ.

الذي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله(١)

---

(١) هذه العبارة اشارة إلى حديث الراية المتواتر بين المسلمين، وهو من أصحّ الأحاديث وأثبتها عند أهل السنّة، حتى المكابرون منهم اعترفوا بصحّته، فقد رواه البخاري ومسلم، في صحيحهما وإن كان سعيهما في إخفاء الحقائق وعدم مراعاة الأمانة في النقل، ولكن ما روياه في المقام كاف للإحتجاج عليهم، فروى البخاري في صحيحه بسنده عن أبي حازم قال: أخبرني سهيل بن سعد، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»، قال: فبات الناس يدركون أيّهم يعطاها، فقال: «أين علي بن أبي طالب»، فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال صلى الله عليه وآله: «فأرسلوا إليه»، فأتى فبصق رسول الله صلى الله عليه وآله في عينيه، ودعا له، فبرأ كأن لم يكن له وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: «يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟»، فقال صلى الله عليه وآله: «أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم» (صحيح البخاري ج٥: ص٧٧ كتاب المغازي، باب غزوة الخيبر).

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب (لقب للإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام) فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله له، خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله، خلّفتني مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبوة بعدي»، وسمعته يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»، قال: فتطاولنا لها، فقال صلى الله عليه وآله: «ادعوا لي عليا»، فأتي به أرمد، فبصق في عينه، ودفع الراية إليه، ولما نزلت هذه الآية: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ**...﴾، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله، علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي» (انظرصحيح مسلم ج٧: ص١٢٠ كتاب الفضائل، باب فضائل الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام).

وأخرجه النسائي بسنده عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال لعلي – وكان يسير معه –: ←

➔

إن الناس قد أنكروا منك شيئاً، تخرج في البرد في الملاءتين، وتخرج في الحر في الخشن والثوب الغليظ، فقال: «لم تكن معنا في خيبر»، قال: بلى، قال: «بعث رسول الله ﷺ، أبا بكر، وعقد له لواء فرجع، وبعث عمر، وعقد له لواء فرجع، فقال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ليس بفرّار، فأرسل إلي، وأنا أرمد، فتفل في عيني، فقال: اللهم أكفه أذى الحرّ والبرد»، قال: «ما وجدت حرّاً بعد ذلك، ولا برداً» (انظر خصائص أميرالمؤمنين عليه السلام للنسائي: ص٥٢).

وأخرجه أحمد بن حنبل بسنده عن الحسين بن واقد قال: حدثني عبد الله بن بريدة قال سمعت أبي يقول: حاصرنا خيبر، فأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له، ثم أخذه من الغد عمر، فخرج فرجع ولم يفتح له، فأصاب الناس يومئذ شدّة وجهد، فقال رسول الله ﷺ: «إني دافع اللواء غداً إلى رجل يحبه الله ورسوله، أو يحب الله ورسوله، لا يرجع حتى يفتح له، وبتنا طيبة أنفسنا، أن الفتح غداً»، فلما أصبح رسول الله ﷺ، صلّى الغداة ثم قام قائماً، فدعا باللواء، والناس على مصافهم، فدعا عليّاً، وهو أرمد فتفل في عينيه، ودفع إليه اللواء قال بريدة: وأنا فيمن تطاول لها (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٣٥٤).

وأخرجه أيضاً بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ يوم خيبر: «لأدفعن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله، يفتح الله عليه»، قال: فقال عمر: فما أحببت الإمارة قبل يومئذ، فتطاولت لها واستشرفت رجاء أن يدفعها إلي، فلما كان الغد دعا علياً عليه السلام فدفعها إليه فقال: «قاتل ولا تلتفت حتى يفتح عليك فسار قريباً» ثم نادى: يا رسول الله اعلام أقاتل. قال ﷺ: حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل (مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٣٨٥).

وأخرجه الحاكم النيسابوري بسنده عن جابر بن عبد الله قال: لما كان يوم خيبر، بعث رسول الله ﷺ رجلاً فجبن، فجاء محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله، لم أر كاليوم قط، قتل

➔

يتصوّر في حقّه مخالفة الله ورسوله بالمبايعة عن رضا الثلاثة، وهو وهم وسائر الصحابة عالمون بأنّه إمامهم[١]؟!!

➔

محمود بن مسلمة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تمنّوا لقاء العدو، وسلموا الله العافية، فإنكم لا تدرون ما تبتلون معهم، وإذا لقيتموهم فقولوا: اللهم أنت ربنا وربهم، ونواصينا ونواصيهم بيدك، وإنما تقتلهم أنت، ثم الأرض جلوساً، فإذا غشوكم فانهضوا وكبّروا»، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لأبعثن غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبانه، لا يولي الدبر، يفتح الله على يديه، فتشرف لها الناس»، وعلي يومئذ أرمد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «سر»، فقال: «يا رسول الله، على ما أقاتلهم؟» فقال صلى الله عليه وآله: «على أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإذا فعلوا ذلك، فقد حقنوا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقها، وحسابهم على الله عزّ وجلّ»، قال: فلقيهم ففتح الله عليه (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص٣٨). وإلى غير ذلك ممّا ورد في كتبهم فمقتضى مدلول الحديث أنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام الذي يحبّه الله ورسوله على نحو الإطلاق كان عمله مورد رضاء الله ورسوله، والذي يكون عمله كذلك فإنّ ما يفعله يكون فيه المصلحة؛ لأنّ مشمول لقوله صلى الله عليه وآله يحبّه الله ورسوله، أو يحبّ الله ورسول، وإلاّ لم يصح إطلاق قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يحبه الله ورسوله، أو يحب الله ورسوله، فإطلاق رضى الله ورسوله في حقه، يقتضى أنّ جميع ما يفعله الإمام عليه السلام يكون صحيحاً؛ لأنّه مورد قبول الله ورسوله، ومورد رضاء الله ورسوله، ومعنى ذلك أنّ جميع ما فعله الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فيه المصلحة. ومن الواضح أنّ البيعة الباطلة في الشورى من هذا القبيل وليست بأهمّ من محو اسم النبي صلى الله عليه وآله في الحديبية، فلاحظ.

(١) فإنّ الخلفاء الثلاثة والصحابة بأجمعهم قد رأوا النبي صلى الله عليه وآله بأمّ أعينهم وسمعوا منه صلى الله عليه وآله مئات الأحاديث والروايات في حق الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام من الفضائل والمناقب والتي تدل بالصراحة على خلافته وإمامته من بعده صلى الله عليه وآله بلا فصل.

➔

➔

والشاهد على ذلك اجتماع ألوف من الصحابة في حجة الوداع مع النبيﷺ وقيل مائة وأربعة عشر ألفاً، وقيل أكثر، وقيل تسعون ألفاً، حتّى حجّ معه من لم يكن يراه قبلها ولا بعدها وحصل لهم فضيلة الصحبة، وأراهم مناسكهم وعلّمهم (انظر إتحاف الورى بأخبار أُم القرى - لعمر بن فهد المكي المتوفى سنة ٨٨٥ - ج١: ص٥٦٨) وقال ابن قيم: لما عزم رسول اللهﷺ على الحج علم الناس انه حاج فتجهّزوا للخروج معه، وسمع بذلك مَنْ حول المدينة فقدموا يريدون الحج مع رسول الله ووافاه في الطريق خلائق لا يحصون، فكان من بين يده ومن خلفه وعن يمينه وشماله مدّ البصر (انظر زاد المعاد ج١: ص١٧٥).

وعند رجوعه من الحج مرﷺ في طريقه بغدير خم؛ لأن غدير خمّ هو بالجحفة، وقد اجتمع فيها الجمع الغفير من الصحابة الحاشد من المهاجرين والأنصار وما يفوق على مئة ألف من المسلمين، وقد شهدوا رجالاً ونساءً تلك الواقعة، وما جرى فيها في يوم الثامن عشر من شهرذي الحجة من السنة العاشرة للهجرة، وهو اليوم الذي أقام فيه رسول اللهﷺ أمير المؤمنينعليه السلام ونصبه إماماً وعلماً للمسلمين، وهو يوم غدير خمّ، وقد شهد بصحّة ما صدر عن النبيﷺ جمع كبير من الصحابة، وفيهم الخلفاء الثلاثة وهنئوا الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام بإمرة المؤمنين وكل يقول: بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وقال ابن عباس: وجبت والله في أعناق القوم، فقال حسان بن ثابت: ائذن لي يا رسول الله أن أقول في علي أبياتاً تسمعهن، فقالﷺ: «قل على بركة الله»، فقام حسان فقال: يا معشر مشيخة قريش أتبعها قولي بشهادة من رسول اللهﷺ في الولاية ماضية ثم قال: يناد بهم يوم الغدير نبيهم * بخم فاسمع بالرسول منادياً . (وإلى آخر أبياته) وقد روى هذه الواقعة أكثر من مئة صحابي، ويكاد أن لا يخلو مصدر من مصادر أهل السنة ذكر واقعة الغدير ولو بإيراد جانب منها واقتطاع جوانب أخرى، بألفاظ مختلفة، وقد جمعها العلامة الأميني (رضوان الله تعالى عليه) في كتابه الغدير ثم رواة الحديث قرناً بعد قرن فرواه عن من مائة وعشرين صحابياً وتسع وثمانين تابعياً، وثلاثة آلاف وخمسمائة من العلماء والمحدثين من

➔

فعلم كون بيعته لهم لم تكن لثبوت إمامتهم شرعاً، بل وبيعة غيره لهم هذه حالها[١].

المصنفين من أهل السنة الذين رووا هذا الحديث الشريف (فراجع الغدير للعلامة الأميني ج١: ص١٢–٤١٠). وهناك أحاديث المناشدة، وهي الأحاديث التي ناشد فيها الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام بعض الصحابة الذين حضروا يوم غدير خم وسمعوا من النبي صلى الله عليه وآله ما قاله في حق الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وأيضاً استخرجها العلامة الأميني قدس سره في كتابه الغدير من مصادر علماء أهل السنة (انظر الغدير ج١: ص١٥٩–١٨٦). وهذا حديث واحد من المئات الأحاديث التي وردت عن النبي صلى الله عليه وآله في إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فكيف يتصوّر من نصّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله بالإمامة أن يبايع من لا يستحق بهذا المقام؟!!

فإنّ معنى ذلك مخالفة الله ورسوله صلى الله عليه وآله إذ مبايعة الخلفاء الثلاثة معناه مخالفة النصوص الدالة على إمامة مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، فإنّ الصحابة بأجمعهم، حتى الخلفاء الثلاثة كانوا يعلمون ذلك حق المعرفة، فلا معنى لبيعة أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام لهم عندئذ، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الباحث الخبير أنّ البيعة في الإسلام علامة على إتمام المعاهدة بين المبايع والمبايع له بأن يبذل له الطاعة فيما تقرر بينهما، غير أنّ البيعة المشروعة لا تتحقق إلاّ بعد توفر شرائطها، ومن تلك الشرائط ما ترجع إلى المبايع التي منها: أن يكون المبايع ممن تصح منه البيعة، فلا تصح البيعة من صبيّ أو مجنون؛ لأنهما غير مكلفين بالأحكام في الاسلام، وأيضاً لا تنعقد بيعة المكره؛ لأنّ البيعة مثل البيع، فكما لا ينعقد البيع بأخذ المال من صاحبه قهراً ودفع الثمن له، كذلك البيعة لا تنعقد بأخذها بالجبر وفي ظل السيف. ومجموعة منها ترجع إلى المبايع له، فيجب أن يكون المبايع له ممّن تصح مبايعته؛ فلواجتمعت فيه شرائط الإمامة والخلافة كأن قام الإجماع على خلافته عند أهل السنّة، أو

➔

كان منصوصاً عليه من قبل الله ورسوله عند الشيعة، عند ذلك تصح مبايعته للإمامة، وفي الحقيقة أنّ البيعة ليست إلاّ تأكيداً على الإلتزام بالطاعة من الإمام المفترض الطاعة.

وبعبارة أخرى: إنّ البيعة ليس لها صلاحية سوى تأكيد الالتزام بالطاعة لمن ثبتت ولايته وإمامته على المسلمين، فلا دخل لها في أمر تشريع الولاية والطاعة، حيث أنّها تؤكد على المكلَّف الالتزام بفرائض الله تعالى من القتال والجهاد و...، تحت لواء ولي الأمر، الذي ثبتت ولايته وحاكميته الشرعية، وبهذا تضفي البيعة نوعاً من القوة على علاقة الأمة بـ"ولي الأمر" وترسخ هذه العلاقة بينهما، ولا تعطي أي شرعية لولاية أو حاكمية أحد ومن هذا القبيل (بيعة العقبة الأولى، والعقبة الثانية، والرضوان، وغدير خم) فقد أخذ رسول اللهﷺ من المسلمين البيعة في هذه المواقع الأربعة دون أن يكون للبيعة أثر في وجوب الطاعة والالتزام، وإنّما جاءت لتأكيد الطاعة والالتزام من قبل المكلَّفين فالبيعة الأولى هي (بيعة الدعوة)، كما أخرج ذلك أحمد بن حنبل في مسنده عن عبادة بن الصامت، قال: «كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلاً، فبايعنا رسول اللهﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن يفترض الحرب...» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٣٢٣).

والبيعة الثانية هي "بيعة الحرب"، كما روى ذلك أحمد بن حنبل ايضا في مسنده من أن رسول اللهﷺ قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم»، قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا رسول اللهﷺ...» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٤٦١-٤٦٢). وفي السيرة النبوي لابن كثير: قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري أخو بني سالم بن عوف: يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة، قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا

🡐

➔

بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا؟ قال: «الجنـة»، قـالوا: ابـسط يـدك، فبـسط يـده فبـايعوه. (انظرالسيرة النبوية لابن كثير ج٢: ص٢٠٠-٢٠١).

والبيعة الثالثة هي بيعة الجهاد، كما أخرج ذلك البخاري بسنده عن حميد، قـال: سـمعت أنـساً يقول: كانت الأنصار يوم الخندق تقول: نحن الذين بايعوا محمداً * على الجهاد مـا حيينـا أبداً . فأجابهم فقال: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة * فأكرم الأنصار والمهاجرة (صـحيح البخاري ج٤: ص٨ كتاب دعاء النبـيﷺ إلـى الإسـلام، بـاب البيعـة فـي الحـرب أن لا يفروا...).

والبيعة الرابعة هي بيعة الإمرة والولاية للوصي من بعده، وهي بيعة غدير خم، روى أحمد بـن حنبل في مسنده عن البراء بن عازب، قال: كنا مع رسول اللهﷺ فـي سـفر، فنزلنـا بغـدير خم، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكُسح لرسـول اللهﷺ تحـت شـجرتين، فـصلى الظهـر، وأخذ بيد علي رضي الله عنه فقال: «ألستم تعلمون أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قـالوا: بلـى، قال: «ألستم تعلمون أنى أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيـد علـيعليه السلام فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»، قـال: فلقيـه عمـر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالـب، أصـبحت وأمـسيت مـولى كـل مـؤمن ومؤمنـة» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٨١).

وأورد الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل عن أبي هريرة، قال: من صام يوم ثمانية عشر من ذي الحجة كتب الله له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم لما أخذ رسـول اللهﷺ بيـد علي بن أبي طالبعليه السلام، فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، فقال لـه عمـر بـن الخطـاب: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب (انظر شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج١: ص٢٠٠).

ففي كلّ هذه الأنواع من البيعة التي أخذها رسول اللهﷺ من المسلمين لم تكـن البيعـة سـبباً لوجوب الطاعة في الدعوة والحرب والجهاد والولايـة، وإنمـا اسـتفيد الوجـوب فـي هـذه الموارد من دليـل آخـر وهـو الـنصّ والـشرع والعقـل؛ إذ الإيمـان بـالله تعـالى والاسـتجابة للدعوة وطاعة رسولهﷺ واجب بحكم العقل، والجهـاد فـي سـبيله تعـالى والـدفاع عـن

➔

وثالثها: إن ما زعمه من تخلّف سعد وحده عن بيعة أبي بكر معلوم البهتان[1]،

➔

رسول الله صلى الله عليه وآله واجب بحكم الشرع. والوجوب في كل هذه الموارد ثابت بدون البيعة، وإنما جاءت لتأكيد الطاعة والالتزام من قبل المكلَّفين، إذن لا قيمة للبيعة التي لم تكن شرائطها محققة، وبعد وضوح عدم ثبوت إمامة الخلفاء الثلاثة قبل البيعة بالإجماع والإتفاق عند أهل السنّة، فلا معنى لتحقق البيعة للخلفاء الثلاثة، هذا بغض النظر عن لزوم شرائط البيعة لتحقّقها في الخارج شرعاً، إذن ما فعله الصحابة باسم البيعة للخلافاء الثلاثة لا أثر لها شرعاً وعقلاً، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الخبير أنّ المؤرخين والمحدثين من أهل السنّة والجماعة ذكروا تفصيل بيعة أبي بكر، وما حدث بعده من التخلّف والمعارضات والحروب بين الصحابة، فإنّ من قرأ كتب أهل السنّة المتداولة عندهم في الرجوع والمعتبرة عندهم، عرف كذب ما قاله ابن تيمية وتزويره في المقام، حيث أنّ ابن تيمية كعادته كذب فيمن تخلف عن بيعة أبي بكر، حيث أنّ المؤرخين ذكروا أسماء المتخلفين -من وجوه المهاجرين والأنصار- عن بيعة أبي بكر وهم كثيرون. قال اليعقوبي: وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار، ومالوا مع علي بن أبي طالب عليه السلام، منهم العباس بن عبد المطلب والفضل بن عباس والزبير بن العوام وخالد بن سعيد والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر والبراء بن عازب وأبي بن كعب (تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١١٤).

ولقد كان من المتخلفين عن بيعة أبي بكر: مالك بن نويرة وعشيرته، فسير أبو بكر إليهم خالد بن الوليد، فأغار عليهم وقتل مالكاً وجماعة من قومه وسبى نساءهم، وتزوّج خالد بامرأة مالك من ليلة قتله، في قضية معروفة مفصلة في كتب التاريخ، تعد من أكبر ما طعن به أبو بكر بعد تصديه للأمر. وحينما قتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة وتزوج امرأته، بلغ ذلك عمر بن الخطاب، فتكلّم في خالد عند أبي بكر فأكثر وقال: عدو الله عدا على امرئ مسلم فقتله، ثم نزا على امرأته! وحينما عاد خالد قام إليه عمر وقال: قتلت امرءاً مسلماً، ثم

➔

➔

نزوت على امرأته، والله لأرجمنك بأحجارك (انظر تاريخ الطبري ج٣: ص ٢٨٠، والكامل في التاريخ ج٢: ص٣٥٩).

والمستفاد من كلام المؤرّخين أنّ المتخلفين عن بيعة أبي بكر كانوا على أقسام: القسم الأوّل: مخالفة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراءعليها السلام، وأهل البيتعليهم السلام. وإنّ مخالفتهم كانت كافية في عدم مشروعية خلافة أبي بكر؛ لأنّهم من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فهم أهل البيت الذين افترض الله عزّ وجلّ مودّتهم وولايتهم، فقال فيما أنزل الله على محمدصلى الله عليه وآله: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (سورة الشورى:٢٣)، فهؤلاء أهل البيتعليهم السلام الذين فرض الله مودّتهم على المسلمين في كتابه الكريم، ووجوب مودّتهم على الإطلاق يستلزم اتّباعهم وعدم مخالفتهم على الإطلاق. ومقتضى ذلك وجوب اتباع أهل البيتعليهم السلام في مخالفتهم لبيعة أبي بكر، فكان من الواجب على جميع المسلمين التخلف عن بيعة أبي بكر تبعاً لمولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراءعليها السلام، وأهل البيتعليهم السلام لأنّهم كانوا مخالفين لبيعته.

القسم الثاني: الصحابة الذين كانوا رؤساء القبائل كمالك بن نويرة، وسعد بن عبادة وغيرهما ممّن كانت القبائل تتبعهم في المخالفة. وهم أيضاً عدد كبير أيضاً.

القسم الثالث: الصحابة الذين مالوا إلى الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وقد تحصّنوا في بيت الإمامعليه السلام وكان عددهم أيضاً كثير.

القسم الرابع: عموم الصحابة المعروفين أمثال: بلال الحبشي، وحجر بن عدي، وأويس القرني وغيرهم، وقد ذكر المؤرخون أسماء هؤلاء الذين تخلّفوا عن بيعة أبي بكر أيضاً فعددهم أيضاً كثير.

والعجيب من ابن تيمية الذي وجد في المصادر السنّيّة جماعة كبيرة من الصحابة المتخلّفين عن بيعة أبي بكر، بل وأنّ بعض تلك المصادر من أصح كتب عنده وعند أهل السنّة كصحيح البخاري ومسلم، وأمثالهما، ولكن مع ذلك كلّه يكذّبهم، ويكذّب جميع

🡐

➔
المؤرخين والمحدثين من أهل نحلته، حتى أنّ بعضهم صرح بأنّ مخالفة الصحابة لبيعة أبي بكر أدت إلى الحروب الدامية، كما وقعت المحاربة بين من أرسلهم أبوبكر بقيادة خالد بن الوليد إلى حرب مالك بن نويرة وقبيلته، فإنّ نقل محاربة مالك بن نويرة الصحابي الجليل المقتول ظلماً على يد خالد بن الوليد، من الأخبار المتواترة، ولكن التعصب الجاهلية آل به أن يسمي تلك الحروب بالردة؛ لئلا يعترض أحد على أبي بكر قتل الصحابي الجليل مالك بن نويرة. مع أنّ المؤرخون صرحوا بأنّ مالك بن نويرة صلّى مع المسلمين، وفعل ما كان يفعله المسلمون، مع ذلك أمر أبو بكر خالد بن الوليد لمقاتلته، وقد ارتكب خالد ظلماً وجناية بشعة ما له نظير في تاريخ الإسلام؛ إذ قتله ظلماً وغدراً، وزنا بزوجته في نفس الليلة، حتى كان عمر يقول لخالد: يا عدو الله قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمنك بالأحجار (انظر تاريخ الطبري ج٣: ص٢٨٠، وتاريخ أبي الفداء ج١ ص١٥٨ وغيرهما). وقد سجل التاريخ هذه الجريمة العظمى، وصرح بذلك أرباب الكتب والمصنفات المدافعين عن أبي بكر والذين هم من أهل السنة رووا تلك الأحاديث، وسمّوا تلك الحروب بالردة. والباحث عندما يراجع هذه الأحداث التاريخية يجد هناك عدة كبيرة من الصحابة عندما وجدوا أمثال هذه الجرائم والأفعال البشعة من أبي بكر في حق من تخلّف عن بيعته قد شاوروا بينهم في مسألة عدم لياقة أبي بكر للخلافة، ووصلوا إلى نتيجة المحاربة، ولذلك قام بعضهم بمحاربته، فسموا تلك الحروب بالردة. فكيف يقول ابن تيمية لم يخالف أحد بيعة أبي بكر؟!!!!

هذا مع قطع النظرعن أنّ أصل بيعته تحققت في فوضى السقيفة، وعلى حدّ تعبير عمر بن الخطاب كانت بيعته فلتة وقى الله شرها، أي على حين غفلة، لوجود المخالفين في ذلك المجلس وبعده؟!!

وملخّص الكلام أنّ كتب التاريخ والحديث صريحة في أنّ المتخلفين عن بيعة أبي بكر كان عددهم كبير، وإنّما ذكرأرباب التصنيف جملة من أسماء المعروفين من باب المثال لا على وجه الاستقصاء، فلاحظ.

فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما تخلّف عليعليه السلام والزبير ومن معهما عن بيعته[(١)].

(١) لقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما الرواية التي نقلت تفصيل قصة بيعة أبي بكر وما حدث بعده من تخلف الصحابة عن بيعته، فروى البخاري في صحيحه حديث طويل، وفيه خطبة عمر بن الخطاب أيام خلافته يحكي أمر السقيفة:...... (إلى أن قال:) وإنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيهصلى الله عليه وآله إلا أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة وخالف عنا علي والزبير ومن معهما.... [ثم استرسل في الإشارة إلى ما وقع في السقيفة من التنازع والاختلاف في الرأي، وارتفاع أصواتهم بما يوجب المشاجرة والخصومة والمنازعة في الإمارة، وفي تلك الحالة بايع عمر بن الخطاب أبابكر] (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٢٦ كتاب المحاربين، باب رجم الحبلى إذا أحصنت).

وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده حديث السقيفة بسنده عن ابن عباس وهو حديث طويل، وفيه: وإنه كان من خيرنا حين توفي رسول اللهصلى الله عليه وآله أن علياً والزبير ومن كان معهما تخلفوا في بيت فاطمة رضي الله عنها بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله وتخلفت عنا الأنصار بأجمعها في سقيفة بنى ساعدة واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر...... (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٥٥).

وأخرج ابن حبان بسنده عن ابن عباس في حديث طويل قصة ما حدث في السقيفة وفيه قال ابن عباس أنّه قال عمر: فبينما نحن في منزل رسول اللهصلى الله عليه وآله إذ رجل ينادي من وراء الجدار: اخرج إلي يا ابن الخطاب، فقلت: إليك عني فإنا مشاغيل عنك، فقال: إنه قد حدث أمر لابد منك فيه إن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة فأدركوهم قبل أن يحدثوا أمراً فيكون بينكم وبينهم فيه حرب، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا الأنصار.... (انظر صحيح ابن حبان ج٢: ص١٥٥)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٣٠: ص٢٨٢، والذهبي في تاريخ الإسلام ج٣: ص١١، وإلى غير ذلك ممّن روى قصة المتخلفين عن بيعة أبي بكر. ويستفاد من هذه الأحاديث وجود الاختلاف الشديد ←

➔

في خلافة أبي بكر قبل بيعته وبعدها، وتخلّف جماعة كبيرة من الصحابة عن بيعته، بل المستفاد من حديث ابن حبان أن المخالفة كانت إلى حد يتوقّع منها الحرب بين طرفي النزاع. وأمّا موقف الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وأهل البيت عليهم السلام وبني هاشم موقف مخالفة صريحة فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما بسندهما عن عائشة، أنّها قالت: أنّ فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله... فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وآله ستّة أشهر، فلمّا توفّيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصلّى عليها، وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ولم يكن يبايع تلك الأشهر... (انظر صحيح البخاري ج٥: ص٨٢ كتاب الغازي، باب غزوة خيبر، وصحيح مسلم ج٥: ص١٥٤ كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي صلى الله عليه وآله ما لا نورث ما تركناه فهو صدقة).

فهذه عائشة تقول: لم يكن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يبايع تلك الأشهر، وقد روي هذه الرواية في أصح كتب القوم وفيها دلالة واضحة على أنّ عائشة ردت على كل من زعم أو يزعم أن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بايع أبا بكر من أول الأمر، فلو كان الإمام عليه السلام يرى شرعيّة خلافة أبي بكر لما كان لهذا التخلف وجه، وأيضاً أنّ الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام بيّنت عدم مشروعية مبايعة أبي بكر بمطابتها الفدك فإنّها مضافاً إلى مخالفها لبيعة أبي بكر وجدت عليه كي تبين أنّ أبا بكر مشمول لقول رسول الله صلى الله عليه وآله من أغضب فاطمة عليها السلام فقد أغضب رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث رواه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «فاطمة بضعة منى فمن أغضبها أغضبني» (صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم)؛ وإنّ من أغضب رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أغضب الله عزّ وجلّ، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ**

🡐

وروى عدم مبايعة عليعليه السلام مدة وجاهته عند الناس، وهي ستّة أشهر مدّة حياة فاطمةعليها السلام، فلمّا ماتت استنكر على الناس فالتمس مبايعة أبي بكر[1].

➔

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (سورة الأحزاب:٥٧)، من المعلوم أنّ الله سبحانه منزّه من أن يناله الأذى وكلّ ما فيه وصمة النقص والهوان، فذكره مع الرسولصلى الله عليه وآله وتشريكه في إيذائه، إشارة إلى أنّ من قصد رسولهصلى الله عليه وآله بسوء فقد قصد الله سبحانه أيضاً بالسوء، إذ ليس للرسولصلى الله عليه وآله بما أنّه رسول إلّا ربّه، فمن قصده فقد قصد ربَّه. وقد أوعدهم باللّعن في الدنيا والآخرة، واللعن هو الإبعاد من الرحمة، حيث أنّ الرحمة الخاصة بالمؤمنين هي الهداية والاعتقاد الحقّ وحقيقة الإيمان. والنتيجة أنّ من شمله اللعن ففي الحقيقة أنّ الله تبارك وتعالى أبعده عن نعمة الإيمان به، فهو محروم عن هذه النعمة العظيمة، فلاحظ.

(١) انظر صحيح البخاري ج٥: ص٨٢ كتاب المغازي باب غزوة خيبر، وصحيح مسلم ج٥: ص١٥٤ كتاب الجهاد والسير، باب قول النبيصلى الله عليه وآله لا نورث ما تركناه فهو صدقة. وقال المفسرون: إنه كان للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام من الناس وجه حياة فاطمة. أي وجه وإقبال في مدة حياتها. وقيل: وجه من الناس حياة فاطمةعليها السلام أي جاه وعزّ فقدهما بعدها. وبعد وفاة فاطمةعليها السلام استنكر الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وجوه الناس أي لم يعجبه نظرهم إليه. فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتنا معك أحد، قال المفسرون: أي لئلا يحضر معه من يكره حضوره وهو عمر بن الخطاب فقد روى البخاري ومسلم: فقال الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام لأبي بكر: موعدك العشية للبيعة... (انظر صحيح البخاري ج٥: ص٨٣ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، وصحيح مسلم ج٥: ص١٥٤ كتاب الجهاد والسير، باب قول النبيصلى الله عليه وآله لا نورّث ما تركناه صدقة). ويبقى السؤال : هل يوجد دليل واحد يقول بأن الإمام أميرالمؤمنين علي

➔

فانظر يا طالب الحقّ إلى البيعة التي تصدر في هذه الحال من الخشن في الله[1]، محبوب الله ورسوله[1]،

➔
بن أبي طالب عليه السلام يستمد الجاه والعزّ من وجوه الناس فخاف هو ومن معه ممّن تخلّف عن البيعة أن ينتصر عمر لأبي بكر فيصدر عنه ما يوحش صدورهم على أبي بكر بعد أن طابت وانشرحت له؟ وهو الذي أطاح برقاب الجبابرة على امتداد حياته. وعاش مظلوماً ومات مظلوماً. وما هو وزن بيعة مدخلها إرضاء الناس. ثم إذا كان الناس قد انفضّوا من حول الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فلماذا خاف عمر على أبي بكر أن يدخل عليهم وحده؟ وأي عتاب هذا الذي كان عمر يخشاه على أبي بكر؟ أما قول عمر: لا تدخل عليهم وحدك فمن خوفه أن يغلظوا على أبي بكر في العتاب ويحملهم على الاكثار من ذلك . لين عريكة أبي بكر وصبره عن الجواب. وبين استنكار وجوه الناس وبين الخوف من غلظة عمر كما قال المفسرون. وكيف ما كان فإنّ هذا كلام الخصم في المقام لا أثر له في المحاجّة مع الشيعة الإمامية كما هو واضح.

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما رواه علماء الإسلام في وصف مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فروى ابن عبد البر في الإستيعاب بسنده عن إسحاق بن كعب بن عجرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «علي مخشوشن في ذات الله» (انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص١١١٤). وروى أحمد بن حنبل بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: اشتكى علياً الناس قال: فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فينا خطيباً فسمعته يقول: «أيها الناس لا تشكوا علياً، فوالله إنه لأخشن في ذات الله أو في سبيل الله» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٨٦)، ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٣٤، وصحّحه الذهبي في التلخيص، وابن كثير في البداية والنهاية ج٥: ص٢٠٩، وغيرهم، الخشونة في ذات الله معناه أنّه غير مداهن في دينه؛ فإنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان غير مداهن في دينه لابتغاء مرضاة الله، وفي بعض الأحاديث أنّه عليه السلام ممسوساً في ذات الله،
➔

➔

فقد أخرج أبو نعيم بسنده عن إسحاق بن كعب بن عجرة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تسبّوا علياً فإنّه ممسوس في ذات الله تعالى» (انظر حلية الأولياء ج١: ص٦٨)، ورواه الكنجي الشافعي في كفاية الطالب: ص٣٣٧ في الباب السّادس والتسعون في نهي النبي صلى الله عليه وآله عن سبّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٣٠، والحمويني في فرائد السمطين ج١: ص١٦٤ ح١٢٦. ومعنى أنّه عليه السلام ممسوساً في ذات الله، أي: يمسّه الأذى والشدّة في رضا الله تعالى وقربه، أو هو لشدّة حبّه لله تعالى واتّباعه لرضاه، كأنه ممسوس أي يمسّه الأذى إذا وجد ما يخالف الله عزّ وجلّ من شدّة حبّه لله تعالى.

(١) هذه العبارة اشارة إلى ما ورد في حديث الراية المتواتر بين المسلمين، وقد رواه المحدّثين والمفسّرين والمؤرّخين من أعلام أهل السنّة في صحاحهم ومسانيدهم وجميع المجاميع الحديثية بما فيهم البخاري مسلم. فقد رواه البخاري في صحيحه بسنده عن سلمة بن الأكوع قال: كان علي عليه السلام تختلف عن النبي صلى الله عليه وآله في خيبر، وكان به رمد، فقال: «أنا أتخلّف عن رسول الله صلى الله عليه وآله»، فخرج علي عليه السلام فلحق بالنبي صلى الله عليه وآله فلمّا كان مساء الليلة التي فتحها في صباحها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لأعطينّ الراية -أو قال ليأخذنّ - غداً رجل يحبّ الله ورسوله - أو قال: يحبّه الله ورسوله- يفتح الله عليه فإذا نحن بعلي عليه السلام وما نرجوه»، فقالوا: هذا علي، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله ففتح الله عليه (صحيح البخاري ج٥: ص٧٧ كتاب المغازي، باب غزوة الخيبر).

ورواه مسلم في صحيحه بسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب (لقب للإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام) فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله له، خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: «يا رسول الله، خلّفتني مع النساء والصبيان»، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبوة بعدي»، وسمعته يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»، قال: فتطاولنا لها،

➔

➔

فقال: «ادعوا لي علياً»، فأتي به أرمد، فبصق في عينه، ودفع الراية إليه، ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...﴾، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله، علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي» (انظرصحيح مسلم ج٧: ص١٢٠ كتاب الفضائل، باب فضائل الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام).

وأخرجه النسائي في سننه بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال لعلي - وكان يسير معه - إن الناس قد أنكروا منك شيئاً، تخرج في البرد في الملاءتين، وتخرج في الحرّ في الخشن والثوب الغليظ، فقال: «لم تكن معنا في خيبر»، قال: بلى، قال: «بعث رسول الله صلى الله عليه وآله، أبا بكر، وعقد له لواء، فرجع، وبعث عمر، وعقد له لواء فرجع، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ليس بفرّار، فأرسل إلي، وأنا أرمد، فتفل في عيني، فقال: اللهم أكفه أذى الحرّ والبرد، قال: ما وجدت حرّاً بعد ذلك، ولا برداً» (انظر خصائص أميرالمؤمنين عليه السلام للنسائي: ص٥٢).

وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن الحسين بن واقد قال: حدثني عبد الله بن بريدة قال سمعت أبي يقول: حاصرنا خيبر، فأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له، ثم أخذه من الغد عمر، فخرج فرجع ولم يفتح له، فأصاب الناس يومئذ شدة وجهد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني دافع اللواء غداً إلى رجل يحبه الله ورسوله، أو يحب الله ورسوله، لا يرجع حتى يفتح له»، وبتنا طيبة أنفسنا، أن الفتح غداً، فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله، صلى الغداة ثم قام قائماً، فدعا باللواء، والناس على مصافهم، فدعا علياً، وهو أرمد فتفل في عينيه، ودفع إليه اللواء قال بريدة: وأنا فيمن تطاول لها (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٣٥٤).

وأخرجه أيضاً بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم خيبر: «لأدفعن الراية إلى رجل يحبّ الله ورسوله، يفتح الله عليه»، قال: فقال عمر: فما أحببت الإمارة قبل يومئذ، فتطاولت لها واستشرفت رجاء أن يدفعها إلي، فلما كان فلما كان الغد دعا عليّاً عليه السلام فدفعها إليه فقال: «قاتل ولا تلتفت حتى يفتح عليك»، فسار قريباً ثم نادى: «يا رسول الله اعلام أقاتل»، قال: «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا فعلوا

➔

الذي يدور الحقّ معه حيث يدور[(١)]،

ذلك فقد منعوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقّها وحسابهم على الله عزّ وجلّ» (مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٣٨٥).

وأخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن جابر بن عبد الله قال: لما كان يوم خيبر، بعث رسول الله ﷺ رجلاً فجبن ، ثم قال رسول الله ﷺ: «لأبعثن غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبانه، لا يولي الدبر، يفتح الله على يديه، فتشرف لها الناس»، وعلي يومئذ أرمد، فقال له رسول الله ﷺ: «سر»، فقال: «يا رسول الله، على ما أقاتلهم؟» فقال: «على أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإذا فعلوا ذلك، فقد حقنوا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقّها، وحسابهم على الله عز وجل»، قال: فلقيهم ففتح الله عليه (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص٣٨). وإلى غير ذلك ممّا ورد في كتبهم. والمستفاد منه أنّ من يحبّه الله ورسوله على الإطلاق، معناه أنّ جميع أفعاله يكون مورد رضى الله ورسوله، ومن يكون كذلك لا يصدر منه المخالفة لله ورسوله، ومن الواضح أنّ بيعة من لا يستحقّ البيعة مخالفة لله ورسوله، فإطلاق قوله ﷺ يحبّه الله ورسوله دليل على عدم مبايعته عليه السلام للخلفاء الثلاثة؛ لأنّ الخلفاء الثلاثة لم يقم دليل على إمامتهم بالإجماع كما بيناه سابقاً؛ وملخّصه عدم ورود النصّ على إمامتهم عند الشيعة، وعدم قيام الإجماع على إمامتهم عند أهل السنة فبيعتهم تكون باطلة، فلاحظ.

(١) هذه العبارة اشارة إلى الحديث المعروف الذي رواه علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنّة في المجاميع الحديثيّة والتفسيريّة والتاريخيّة المعتبرة عندهم، فرواه الترمذي في سننه بسنده عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله علياً، اللهم أدر الحقّ معه حيث دار» (انظر سنن الترمذي ج٥: ص٢٩٧ ح٣٧٩٨) ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٢: ص١٢٤، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ج١: ص٤١٩ ح٥٥٠، والطبراني في المعجم الأوسط ج٦: ص٩٥، وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة ج١٠: ص٢٧٠، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج١: ←

ولم تصدر منه حال وجاهته عند الناس، وهي مدّة ستّة أشهر[1]،

➔

ص٤٨، وغيرهم.

ثم ذكر بعض علماء أهل السنّة في شرح الحديث ما يوضح معناه أكثر وضوحاً، وإليك بعض ما جاء في كلماتهم:

قال الشوكاني: (رحم الله علياً) ابن أبي طالب (اللهم أدر الحق معه حيث دار) ومن ثم كان أقضى الصحابة وأفاد ندب شكر المحسن والاعتراف له في الملأ والمحافل والمجامع وليس ذلك تنقيصا لقدر الشاكر بل تعظيماً له لظهور اتصافه بالإنصاف والمكافأة بالجميل (فيض القدير ج٤: ص٢٥). وقال الفخر الرازي في الحجّة الخامسة من المباحث في بسم الله الرحمن الرحيم: أنّه روى البيهقي في السنن الكبير عن أبي هريرة قال: كان رسول اللهﷺ يجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم، ثم إن الشيخ البيهقي روى الجهر عن عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأما أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قولهعليه السلام: «اللهم أدر الحق مع علي حيث دار» (تفسيرالفخر الرازي ج١: ص٢٠٥)، وإلى غير ذلك ممّا جاء في كتبهم في شرح الحديث. وهي تدلّ على أنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام هو الحقّ وهو المدار في تعيين الحقّ، ومن الواضح أنّ من يكون مداراً للحقّ لا يصدر منه الفعل الباطل، وهذا دليل على عدم مبايعته للخلفاء.

(١) وبعبارة أوضح بعد ثبوت النصوص الصحيحة عند أهل السنّة أنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام لم يبايع أبا بكر، ولا أقل مدّة ستّة أشهر حسب ما نصّ عليه البخاري ومسلم في صحيحهما (انظر صحيح البخاري ج٥: ص٨٢ كتاب المغازي باب غزوة خيبر، وصحيح مسلم ج٥: ص١٥٤ كتاب الجهاد والسير، باب قول النبيﷺ لا نورّث ما تركناه فهو صدقة) حتى انتهى الأمر إلى الاكراه، والهجوم على بيتهعليه السلام، وإحراق باب الدار بأمر عمر بن الخطاب ومن ساعده من جلاوزة الحكومة، وكان في البيت الإمام

➔

هل توصف بأنّها بيعة حقّ عن رضا[١]؟ فلِمَ لم يصدر إذن حال الوجاهة[٢]؟

➔

أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام والحسنين عليهما السلام، وسائر أهل البيت وجماعة من بني هاشم، وعدّة من الصحابة، وسيجئ تفصيل البحث في هذا المجال إن شاء الله، نقلاً عن أكابر علمائهم. وعليه لوكان خلافة أبي بكر حقّاً، لكان الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام - والعياذ بالله - على الباطل في ترك بيعته وهجرته له، والتالي باطل، للحديث المتواتر الدال على عدم مفارقته الحق، فالمقدم مثله.

(١) وملخّص الكلام أنّه لا اعتبارلبيعة المكره، ولا تنعقد بيعة المكره؛ لأنّ البيعة مثل البيع فكما لا ينعقد البيع بأخذ المال من صاحبه قهراً ودفع الثمن له، كذلك البيعة لا تنعقد بأخذها بالجبر وفي ظل السيف وكذلك لا تصح البيعة للمتجاهر بالمعصية، ولا تصحّ البيعة للقيام بمعصية الله.

إذن البيعة الصحيحة في الإسلام، هي البيعة التي تكون تامّة الشرائط، حيث أنّ البيعة المشروعة لها أحكام خاصّة في الشرع الاسلامي. وبناءً على فرض صدور البيعة من الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام بعد ستّة أشهر، لا تعتبر شرعاً حتى عند أهل السنّة؛ حيث أنّه قد ثبت بالأدلة والنصوص والحجّة القطعيّة عندهم أنّ البيعة المعتبرة شرعاً هي البيعة التي لا بدّ أن تكون تامّة الشرائط، ومن تلك الشرائط وقوعها عن الرضا والرغبة، فلا اعتبار لبيعة المكره؛ والحال أنّ النصوص المعتبرة عند أهل السنّة صريحة في أنّ البيعة المأخوذة من الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام كانت بالقوّة والجبر، وفي أجواء الهجوم على الدار وجمع الحطب لتحريقها والتهديد والإرهاب وأمثال ذلك كما سيتضح ذلك من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(٢) هذه العبارة اشارة إلى عدم بيعة الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام لأبي بكر مستنداً إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه في المقام. وفيه التصريح على تخلف الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام عن بيعة أبي بكر، فقد أخرج البخاري بسنده عن عائشة، أنّها قالت: أنّ فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من

➔

←

رسول الله صلى الله عليه وآله... فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة عليها السلام منها شيئاً، فوجدت فاطمة عليها السلام على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتى توفّيت وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وآله ستّة أشهر، فلمّا توفّيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصلّى عليها، وكان لعليّ من الناس وجه حياة فاطمة عليها السلام فلمّا توفيت استنكر علي وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ولم يكن يبايع تلك الأشهر... (انظر صحيح البخاري ج٥: ص٨٢ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر)، ورواه مسلم في صحيحه ج٥: ص١٥٤ كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي صلى الله عليه وآله ما لا نورّث ما تركناه فهو صدقة.

هذه الرواية تحتوي على نقاط هامّة، وتكشف عن حقائق كانت مستورة. نشير إليها باختصار:

النقطة الأولى: يظهر بعد البحث والتحقيق أن ميراث النبي صلى الله عليه وآله وتركته المتنازع عليها، والتي صودرت من قبل الخليفة لم تنحصر بفدك كما هو المشهور، لأن النبي صلى الله عليه وآله كان يملك أموالاً وقرى خارج المدينة غير فدك، كما أثبته المحقّقون والعلماء (انظر سنن أبي داود ج٣: ص١٤١ كتاب الخراج والأمارة والفئ باب في صفايا رسول الله ح٢٩٦٧). وهذا ما نستفيده من كلام عائشة، حيث قالت: بأنّ فاطمة عليها السلام طالبت أبا بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله بموارد متعدّدة، مثل فدك والخمس من غنائم خيبر والصفايا والصدقات خارج المدينة. ولعلّ اشتهار فدك من بين كلّ تلك الموارد، لأهمّيّتها الخاصّة وموقعها. كما يقول أبو داود في سننه: إن أرباح فدك السنويّة في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز كانت تبلغ أربعين ألف دينار وقد ردها الخليفة لبني الحسن (انظر سنن أبي داود ج٣: ص١٤٣ كتاب الخراج والأمارة والفئ، باب في صفايا رسول الله صلى الله عليه وآله ح٢٩٧٢).

النقطة الثانية: أن أبا بكر عندما امتنع من أن يرجع حقّ فاطمة عليها السلام وميراثها من النبي صلى الله عليه وآله عمد إلى التزوير وجعل حديث ونسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بأنه قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة. والخبير يعلم أنّه لم يرو أحد من النبي صلى الله عليه وآله هذا الكلام سوى أبو بكر.

النقطة الثالثة: إن فاطمة الزهراء عليها السلام أنكرت هذا الحديث المزيف وانتقدته، وهجرت أبا بكر

→

➔

ولم تكلّمه حتى توفّيت، فغسّلها وكفّنها ودفنها وصلّى عليها زوجها الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ليلاً، ولم يخبر الخليفة بوفاتها والصلاة عليها.

النقطة الرابعة: كانت فاطمة عليها السلام في المدّة التي عاشتها بعد أبيها الرسول صلى الله عليه وآله - ستّة أشهر - كما في هذا الحديث، حام ومدافع للإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في مقابل مخالفيه، ولذا نقرأ في هذا الحديث أنه ما بايع الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام أبا بكر ما دامت فاطمة عليها السلام حيّة، وعندما توفّيت فاطمة عليها السلام وتغيّر أسلوب الخليفة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في معاملتهم مع الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، أرسل إلى أبي بكر ..... كما قالت عائشة: استنكر وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته.

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: أمّا الذي يقوله جمهور المحدّثين وأعيانهم فإنّه عليه السلام امتنع من البيعة ستّة أشهر (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص٢٢).

ثم قال ابن أبي الحديد: ينبغي للعاقل أن يفكّر في تأخّر عليّ عليه السلام عن بيعة أبي بكر ستّة أشهر إلى أن ماتت فاطمة، فإن كان مصيباً فأبو بكر على الخطأ في انتصابه في الخلافة، وإن كان أبو بكر مصيباً فعليّ على الخطأ في تأخّره عن أبي بكر ستّة أشهر إلى أن ماتت فاطمة، فإن كان مصيباً فأبو بكر على الخطأ في البيعة وحضور المسجد (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢٠: ص٢٤). فيلزم على جميع علماء أهل السنّة الإجابة عن هذا سؤال، فهل عميت عيونهم عن مدلول آية التطهير وشأن نزولها، وتأكيد النبي صلى الله عليه وآله على أنّ آية التطهير تعني الخمسة الطيّبة، وهم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها، وعن مدلول آية المباهلة، وآية المودة وغيرها من الآيات التي نزلت في عظمة أهل البيت عليهم السلام، ولو كان لديهم الحياء حتّى بمقدار قليل لما تعامى من تسمى نفسه بأهل السنّة عن تلك الآيات وأقوال النبي صلى الله عليه وآله نحو قوله: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني» (انظرصحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم)،

➔

➔
وقوله صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة منّي يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها» (صحيح البخاري ج٦: ص١٥٨ كتاب النكاح، باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة)، وقوله صلى الله عليه وآله: «إنّ الله يغضب لغضبكِ ويرضى لرضاكِ» (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٥٤)، وقوله صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة منّي يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها» (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٥٨)، وقوله صلى الله عليه وآله للإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام: «أوتيتَ ثلاثاً لم يؤتهنّ أحد ولا أنا، أوتيت صهراً مثلي ولم أوت أنا مثله، وأوتيتَ زوجة صديقة مثل ابنتي ولم أوت مثلها. زوجة، وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوت من صلبي مثلهما، ولكنكم منّي وأنا منكم» (انظر الرياض النضرة للمحب الطبري ج٣: ص١٧٣)، وقوله صلى الله عليه وآله: «رأيت على باب الجنة مكتوباً: لا إله إلاّ الله ، محمد رسول الله، علي حبّ الله، والحسن والحسين صفوة الله، فاطمة خيرة الله، على باغضهم لعنة الله» (انظر تاريخ بغداد ج١: ص٢٧٤)، وقوله صلى الله عليه وآله: «إنما فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما آذاها» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص١٤١ كتاب الفضائل، باب فضائل فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله)، وذكره الفخر الرازي في تفسير آية المودّة في سورة الشورى بلفظ «يؤذيني ما يؤذيها» وأخرجه الترمذي بتفاوت يسير وإلى غير ذلك مما ورد في شأنهم عليهم السلام.

ثم لا بأس بأن نسلط الضوء على ما أشار إليه ابن أبي الحديد وهو السؤال الذي طرحه، من أنّه ينبغي للعاقل أن يفكّر في تأخّر الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام عن بيعة أبي بكر ستّة أشهر إلى أن ماتت فاطمة عليها السلام، فإن كان مصيباً فأبو بكر على الخطأ في انتصابه في الخلافة، وإن كان أبو بكر مصيباً فعليّ على الخطأ في تأخّره عن أبي بكر ستّة أشهر إلى أن ماتت فاطمة عليها السلام، فإن كان مصيباً فأبو بكر على الخطأ في البيعة وحضور المسجد (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢٠: ص٢٤). ونحن نسأل ابن أبي الحديد وجميع علماء أهل السنّة أليس ورد في الخبر الصحيح عندهم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»؟ (صحيح مسلم
➔

فعلم من نفس تخلّفه عليه السلام، ومن معه عن البيعة كونها مخالفة للشريعة[1]،

➔

ج٦: ص٢٢ كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع) ومدلول الحديث أنه من لم يدخل تحت طاعة الأمير الحاكم مات ميتة كفر وجاهليّة وضلالة.

ولو تأمّل ابن أبي الحديد وجميع علماء أهل السنّة في هذا الحديث يجدون أنّ الأمر في المقام يدور بين الأمرين لا بدّ من تخيير أحد الطرفين، إمّا القول بأنّ من أنزل الله في حقّه آية التطهير أي الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام حسب هذه الرواية الصحيحة - والعياذ بالله - ماتت ميتة جاهلية؛ لأنّها لم تبايع أبا بكر وماتت على هذه الحالة، وكذلك الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام الذي لم يبايع أبابكر - العياذ بالله - كان على ضلالة، وإمّا القول بأن أبا بكر لم يكن خليفة وكان في عنقه بيعة إمام زمانه، ولم يدخل تحت بيعته، فمات على الحالة ميتة جاهلية، أي مات على حالة الكفر والضلالة؟

فيجب على جميع أهل السنّة الإجابة عن هذا السؤال، فمن هو إمام زمان الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام في ستة أشهر في آخر حياتها حسب ما رواه البخاري في صحيحه، وما طرحه ابن أبي الحديد من السؤال؟

ومن هو إمام زمان الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في تلك الأشهر التي لم يبايع فيه أبا بكر، فإنّ صريح حديث البخاري أنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لم يبايع ستّة أشهر بعد استشهاد فاطمة الزهراء عليها السلام؟

(١) لا شكّ أنّ عدم بيعة مولانا أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام دليل على عدم مشروعية خلافة أبي بكر؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «علي مع الحق والحق مع علي يدور حيث ما دار». رواه الترمذي في سننه ج٥: ص٢٩٧ ح٣٧٩٨، والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٢: ص١٢٤، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ج١: ص٤١٩ ح٥٥٠، والطبراني في المعجم الأوسط ج٦: ص٩٥، وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج

➔

➔

البلاغة ج١٠: ص٢٧٠، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج١: ص٤٨، وغيرهم.

ومن أجل وضوح الأمر لابأس بذكر بعض كلمات علماء أهل السنّة في شرح الحديث، وإليك بعض ما جاء في كلماتهم:

قال الشوكاني: «اللهم أدر الحق معه حيث دار»، ومن ثَمّ كان - الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام - أقضى الصحابة وأفاد ندب شكر المحسن والاعتراف له في الملأ والمحافل والمجامع وليس ذلك تنقيصاً لقدر الشاكر بل تعظيماً له لظهور اتّصافه بالإنصاف والمكافأة بالجميل(فيض القدير ج٤: ص٢٥).

وقال الفخر الرازي في الحجّة الخامسة من المباحث في بسم الله الرحمن الرحيم: روى البيهقي في السنن الكبير عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم، ثم إن الشيخ البيهقي روى الجهر عن عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأما أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله عليه السلام: «اللهم أدر الحق مع علي حيث دار» (تفسيرالفخر الرازي ج١: ص٢٠٥). وإلى غير ذلك من كلماتهم في شرح الحديث. فإنّ من هو مدار الحق قولاً وفعلاً وتقريراً، معناه أنّ كل ما يقوله ويفعله حق قد أمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله باتّباع الحقّ، قال الله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ (سورة الحج:٦٢)، فإذا كان الله تعالى هو الحق، معناه أنّ بالإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام واجب الاتّباع كما أنّ الله تعالى يجب طاعته. فيجب على جميع المسلمين أن يقتدوا به في جميع أقواله وأفعاله وتقاريره، ومن جملة أفعاله عليه السلام تخلفه عليه السلام عن بيعة أبي بكر، فكان من الواجب على جميع الصحابة أن يقتدوا بالإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ويتخلّفوا عن بيعة أبي بكر، كما أنّ الصحابة المؤمنين منهم تخلّفوا عن بيعته واقتدوا بالإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وحضوروا في داره ولم يبايعوا أبا بكر كما صرّح بذلك المؤرّخين والمحدّثين من علماء أهل السنّة، فلاحظ.

بل حسبما مضى بيانه أنّه هو الخليفة على الخلق بعد خير الرسلﷺ(١)

---

(١) لا يخفى على الباحث الخبير الدارس في النصوص الإسلامية والمباحث المعرفيّة أنّه لم تعرف الدنيا رجلاً جمع الفضائل ومكارم الأخلاق - بعد الرسول الأعظمﷺ - كالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فقد سبق الأولين، وأعجز الآخرين، ففضائله أكثر من أن تحصى، ومناقبه أبعد من أن تتناهى، والحديث عن شخصيته العظيمة طويل، لا تسعه المجلدات، ولا تحصيه الأرقام ولكن ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه، وحسبنا أن نشير هنا إلى بعض الروايات التي رواها علماء أهل السنّة في أوثق مصادرهم من الحديث والتفسير والرجال بطرق عديدة بأسانيدهم عن الخلفاء الثلاثة، وهي الروايات الدالّة على أفضليّة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام على من سوى النبيﷺ المستلزمة لإمامته وخلافته بعد رسول اللهﷺ بلا فصل، فمنها: ما رواه ابن حجر العسقلاني بسنده عن أبي الأسود الدؤلي قال: سمعت أبا بكر يقول: أيها الناس، عليكم بعلي بن أبي طالب، فإني سمعت رسول اللهﷺ يقول: «علي خير من طلعت عليه الشمس وغربت بعدي» (انظر لسان الميزان ج٦: ص٧٨ ترجمة المغيرة بن سعيد البجلي رقم الترجمة ٢٨١).

ومنها: ما رواه ابن المغازلي الشافعي وغيره من الحفاظ بإسنادهم عن عائشة قالت: رأيت أبا بكر يكثر النظر إلى وجه عليعليه السلام. فقلت: يا أبه أراك تكثر النظر إلى وجه عليعليه السلام؟ فقال: يا بنية، سمعت رسول اللهﷺ يقول: «النظر إلى وجه علي عبادة» (انظر مناقب لابن المغازلي: ٢١٠ ح٢٥٢)، ورواه الخوارزمي في مناقبه: ٣٦٢ ح٣٧٥، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٥٠، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٢٠، وابن الجوزي في المسلسلات ج١٧: ص١٣ مخطوط، وغيرهم.

ومنها: ما رواه الخوارزمي بسنده عن عثمان بن عفان قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت أبا بكر بن أبي قحافة قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «إن الله خلق من نور وجه علي بن أبي طالب ملائكة يسبحون ويقدسون ويكتبون ثواب ذلك لمحبيه ومحبي ولده» (انظر مقتل الحسينعليه السلام للخوارزمي: ص٩٧).

←

➔

ومنها: ما رواه المحب الطبري وغيره بإسنادهم عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا علي، ما كنت لأتقدّم رجلاً سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «علي مني كمنزلتي من ربي» (انظر الرياض النضرة ج١: ص١٢٤).

ومنها: ما رواه المحب الطبري وآخرون بأسانيدهم عن قيس بن أبي حازم قال: إلتقى أبو بكر وعلي بن أبي طالب عليه السلام، فتبسّم أبو بكر في وجه علي عليه السلام، فقال عليه السلام له: «ما لك تبسّمت؟» قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي الجواز» (انظر ذخائر العقبى: ص٧١، والرياض النضرة ج٣:ص١٣٧، والصواعق المحرقة لابن حجر: ١٢٦ أخرجه عن ابن السمان، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ص٤١٩).

ومنها: ما رواه ابن عساكر الدمشقي وغيره من الحفاظ عن الحبشي بن جنادة قال: كنت جالساً عند أبي بكر، فقال: من كانت له عند رسول الله صلى الله عليه وآله عدة، فليقم. فقام رجل فقال: إنه قد وعدني ثلاث حثيات من تمر. فقال أبو بكر: أرسلوا إلى علي عليه السلام، فجاء فقال أبو بكر: يا أبا الحسن، إن هذا يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وعده أن يحثي له ثلاث حثيات من تمر، فاحثها له، فحثاها. فقال أبو بكر: عدّوها، فوجدوا في كل حثية ستّين تمرة لا تزيد واحدة على الأخرى. فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله صلى الله عليه وآله، قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة الهجرة - ونحن خارجون من الغار نريد المدينة -: يا أبا بكر، كفّي وكفّ علي في العدل سواء (انظر تاريخ بغداد ج٥: ص٣٧ و٨: ص٧٦، ورواه الخوارزمي في مناقبه: ص٢٩٦ ح٢٩٠، وابن المغازلي في مناقبه: ص١٢٩ ح١٧٠، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٦٩، والسيوطي في تاريخ الخلفاء: ص٩٣ ح٩٨، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٢٠، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة: ص٢٣٣ وص٢٥٢، والشيخ عبد القادر بن عبد الكريم الخيراني البريشي الشفشاوني في سعد الشموس والأقمار: ص٢١١، ومحمد صالح الحنفي في الكواكب الدري: ص١٢٢، الحمويني الجويني في فرائد السمطين ج١: ص٥٠ ح١٥).

➔

➔

ومنها ما رواه ابن عساكر عن الدارقطني بسنده عن أبي رافع، قال: كنت قاعداً بعد ما بايع الناس أبا بكر، فسمعت أبا بكر يقول للعباس: أنشدك الله هل أن رسول الله صلى الله عليه وآله جمع بني عبدالمطلب وأولادهم وأنت فيهم وجمعكم دون قريش، فقال صلى الله عليه وآله: «يا بني عبدالمطلب، إنه لم يبعث الله نبياً إلا جعل له من أهله أخاً ووزيراً ووصياً وخليفة في أهله، فمن منكم - يقوم و- يبايعني على أن يكون أخي ووزيري ووصيي وخليفتي في أهلي؟» فلم يقم منكم أحد. فقال صلى الله عليه وآله: «يا بني عبد المطلب، كونوا في الإسلام رؤساء ولا تكونوا أذناباً، والله ليقومنّ قائمكم أو لتكوننّ في غيركم ثم لتندمن». فقام علي عليه السلام من بينكم، فبايعه على ما شرط له ودعا إليه (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٥٠، وابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث: ص٣٥).

ومنها ما رواه محمد بن جرير الطبري بإسناده عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه كان عند أبي بكر إذ جاء علي عليه السلام والعباس، فقال العباس: أنا عمّ رسول الله ووارثه وقد حال علي عليه السلام بيني وبين تركته. فقال أبو بكر: فأين كنت يا عبّاس حين جمع النبي صلى الله عليه وآله بني عبد المطلب وأنت أحدهم فقال: «أيّكم يؤازرني ويكون وصيي، وخليفتي في أهلي، وينجز عدتي، ويقضي ديني؟» فقال له العباس: بمجلسك تقدّمته وتأمّرت عليه؟ - أي إن كان هكذا كما تقول: لماذا تقدمت عليه وغصبت أمره؟ - فقال أبو بكر: أغدراً يا بني عبد المطلب؟ أي إنكما - يا علي ويا عباس - أردتما بدعواكما هذه المصطنعة على إرث النبي صلى الله عليه وآله وتركته، أن تأخذوا مني الاقرار والاعتراف بحق علي عليه السلام وأولويّته للخلافة، وتحكموا علي بما أتفوه به وأقوله بنفسي ولساني، يعني: تدينانى وتلزماني من فمي(انظر المسترشد: ص٥٧٧ ح٢٤٩).

ورواه اليعقوبي في تاريخه ج٢: ص١٥٨ وذكره ضمن الحوار الذي دار بين عمر بن الخطاب وبين ابن عباس. وأشار إلى هذا الحديث ابن عبد ربه في العقد الفريد ج٢: ص٤١٢ ولكنه حرف وشوه المتن منه.

وأمّا ابن عساكر الدمشقي فعند ما نقل الحديث أسقط منه صدره - أي مجئ العباس وعلي

🡐

➔

إلى أبي بكر وهما يتحاكمان إليه مسألة إرث رسول الله ﷺ - وهكذا أسقط ذيله - أي كلمة العباس لأبي بكر حيث يدينه على تقدمه وتأمّره على الإمام علي عليه السلام ممّا يدلّ على مخالفة أبي بكر لأمر رسول الله ﷺ. وعلى الرغم من أن الحديث الذي رواه ابن عساكر مبتور الصدر والذيل لكنه يكشف عن حقيقة في غاية الأهمية وهي: إثبات الخلافة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد النبي ﷺ وأنه متقدم في إيمانه وإسلامه على غيره.

وملخّص القول: إن أبا بكر حين يروي هذا الحديث يعترف ويقرّ بأفضلية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذا الاعتراف خير دليل وأفضل شاهد على أن علياً عليه السلام أقدم الناس إسلاماً، وأنه أول من آمن وأعلن حمايته للنبي ﷺ ومناصرته إياه في بدء الدعوة وأن النبي ﷺ قلّده في مقابل هذه الأمور وسام الأخوة والوزارة والوصاية والخلافة من بعده.

ومنها: ما رواه المحب الطبري وآخرون من حفّاظ أهل السنّة ومحدّثيهم بإسنادهم عن أبي بكر قال: رأيت رسول الله ﷺ خيم خيمة وهو متكئ على قوس عربيّة وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال: «يا معشر المسلمين، أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، وحرب لمن حاربهم، لا يحبّهم إلا سعيد الجد، طيب الولادة، ولا يبغضهم إلا شقي الجد، ردئ الولادة» (انظر الرياض النضرة ج٣: ص١٥٤). وزاد الخطيب الخوارزمي فيما أخرجه: فقال رجل لزيد - راوي الحديث -: يا زيد، أأنت سمعت هذا منه - أي من أبي بكر -؟ قال زيد: أي ورب الكعبة (انظر المناقب للخوارزمي: ص٢٩٦ ح٢٩١).

ومنها: ما رواه الشيخ عبيد الله الآمرتسري الحنفي عن طريق الحافظ ابن مردويه الأصفهاني بإسناده عن سالم مولى أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام قال: كنت مع علي عليه السلام في أرض نعمل، إذ جاء أبو بكر وعمر إلى علي عليه السلام وقالا: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقيل لهما: أكنتما تسلّمان عليه في عهد رسول الله ﷺ بإمرة المؤمنين؟ قال عمر: هكذا أمرنا

➔

➔

النبي صلى الله عليه وآله (انظر المناقب للخوارزمي: ص٨٨ ح٧٩، أرجح المطالب لعبيد الله أمرتسرى: ٤٥٤ أخرجه عن ابن مردويه).

ومنها ما رواه ابن حجر العسقلاني بسنده عن أبي بكر قال: إن على الصراط لعقبة لا يجوزها أحد إلا بجواز من علي بن أبي طالب عليه السلام (انظر لسان الميزان لابن حجر ج٤: ص١١١ في ترجمة عبيد الله بن لؤلؤ بن جعفر بن حمويه رقم٢٢٥). وإلى غير ذلك من النصوص والروايات التي دلّت على أفضليّة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على من على وجه الأرض بعد النبي صلى الله عليه وآله حتى على جميع الأنبياء فضلاً عن الصحابة، وبعد نقل أبو بكر هذه الروايات وغيرها، فلا شكّ أن كلّ من يؤمن بنبوة النبي صلى الله عليه وآله وأنه لا ينطق من الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ينبغي أن يؤمن بهذه الأحاديث، لئلا يشاقق الله ورسوله صلى الله عليه وآله، ويتّبع غير سبيل المؤمنين وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾ (سورة النساء:١١٥).

ولأجل هذا نذكر جملة من الأدلّة على سبيل المثال والاختصار ممّا رواه الخلفاء الثلاثة، ليتّضح للقارئ الكريم أنّ معتقد الشيعة في الإمامة ثابتة بالأدلّة والنصوص من مصادر أهل السنّة والتي رواها خلفائهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله على خلافة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام منها: ما أخرجه أحمد بن حنبل وغيره من المحدّثين والمؤرّخين من أهل السنّة بإسنادهم عن أبي بكر: إن النبي صلى الله عليه وآله بعثه بالبراءة لأهل مكّة وإبلاغهم ببعض الآيات من سورة التوبة، وفيها - أيضاً - لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله مدّة فأجله إلى مدّته، والله برئ من المشركين ورسوله. فسار بها ثلاثاً متوجّهاً نحو مكة. ثم قال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «الحقه فرد عليَّ أبا بكر وبلّغها أنت». قال : ففعل - علي عليه السلام - ما أمر. فلما قدم أبو بكر على النبي صلى الله عليه وآله بكى فقال: يا رسول الله، حدث في شئ؟ قال صلى الله عليه وآله: «ما حدث فيك إلا خير، ولكن أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني» (مسند أحمد بن حنبل

➔

➔

ج١: ص٣ وج١: ص٧، كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص٢٥٤، وأنساب الاشراف للبلاذري ج٢: ص٨٨٦ والبداية والنهاية لابن كثير ج٧: ص٣٥٧-٣٥٨ وفيه: أو «رجل من أهل بيتي»، البيان والتعريف لابن حمزة الحسيني ج١: ص٣٧٨ ح٤٤١ أخرجه عن أحمد بن حنبل وابن خزيمة وأبي عوانة). ولا يخفى أن رواة هذه القصة أكثر من اثني عشر صحابياً غير أبي بكر ممّن رووا حديث البراءة، ولكن اعتراف واقرار أبي بكر بنفسه بأن النبيﷺ عزله عن القيام بهذه المهمّة الدينية ذات أهميّة كبرى وكرامة عظمى للامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأن هذا العزل لم يكن إلا بأمر إلهي أوحي إلى النبيﷺ بأن يعزل أبا بكر وينصب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مكانه للقيام بهذه المهمّة وإبلاغ البراءة لأهل مكة، وإن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد أدّى هذا الأمر بأبلغ وجه وأتمّه كما مرّ في الحديث.

ومنها: حديث الغدير الذي روى مائة وعشر من كبار صحابة النبيﷺ وثمانون وأربع راو من التابعين وكذا أخرج ما يربو عن أربعمائة عالم ومحدّث ومفسّر ومؤرّخ ورجالي وكثير من رجال العلم والأدب المعتمد عليهم عند أهل السنّة

وحديث الغدير هو: لما كان النبيﷺ راجعاً من حجته - حجة الوداع - وذلك في السنّة العاشرة الهجريّة نزل عليه الوحي يأمره باكمال الدين يعني تبلغ تلك المسألة المصيرية أي تعيين الامام والخليفة من بعده، فأمر الناس بتجهيز مقدمات ذاك الأمر مثل الإعلان بتريث المسلمين الحجّاج وتوقّفهم في محل يعرف بغدير خم وهو مفترق الطرق المؤدية إلى مكة والمدينة وغيرها، وأمرﷺ بارجاع الذين سبقوا الآخرين بالذهاب وإيقاف القادمين، حتى تجمع آنذاك في ذاك المحل مائة وعشرون ألف حاجّاً من شتى أقطار البلاد الاسلامية.

وكان ذلك اليوم يوماً حارّاً هاجراً شديد الرمضاء والشمس ساطعة حرارتها على رؤوسهم، وقد اشتعلت أرض الحجاز، فأمرهم النبيﷺ بأن يصنعوا له من جهاز الجمال والمراكب مكاناً مرتفعاً كالمنبر حيث يراه الحاضرون جميعاً ويسمعون كلامه، فوقف

➔

➔

النبيﷺ على ذاك الموضع المنبري وخطب الناس خطبة غراء وقال فيما قالهﷺ: «أيها الناس... من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله...».

وغير ذلك من العبارات الباهرة حيث شبّه النبيﷺ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بنفسه وبأنه ولي الناس والقائم بأمرهم، وطاعته فرض واجب، وأنه الخليفة من بعده. ولكي يصد أمام ملابسات المنافقين وشبهات المخالفين لمولوية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وخلافته، أخذ بيد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ورفعه عالياً حيث يراه جميع الحضار والمجتمعين في هذا المؤتمر العالمي ثم دعاﷺ يتولّى علياً وينصره ولعن من عاداه وخذله، وبعد ذلك أمر الناس الذين اجتمعوا في هذا المؤتمر بان يقوموا فرداً فرداً ويبايعوا علياً ويسلموا عليه بالإمرة والخلافة طوعاً. وقد طالت هذه البيعة من ضحى ذاك اليوم حتى غروبه، وحتى نساء النبيﷺ وسائر المؤمنات جئن فوضعن أيديهن في الطشت الذي وضع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام يده فيه وهو خلف الخيمة فبايعنه على الخلافة والولاية وبهذه الطريقة أعلن المسلمون آنذاك باجمعهم التزامهم بالانقياد والطاعة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، ومن أراد الوقوف على التفصيل بالنسبة الى أسناد حديث الغدير ومعرفة أسماء رواته وأسماء الحفّاظ والمصادر التي أخرجت هذا الحديث فليراجع كتاب الغدير للعلامة الاميني المجلد الأول ص١: ص١٤-١٥٨ حيث إنه روى عن ثلاثمائة وستين عالماً وستة وعشرين كتاباً من علماء أهل السنّة. ومن رواة هذا الحديث الخلفاء الثلاثة، واستقصى العلامة التستري في كتابه القيم إحقاق الحق ج٢: ص٤١٥-٥٠١ وقد أوصل عدد رواة هذا الحديث إلى أربعمائة راو.

إن أبا بكر وعمر وعثمان كانوا في مقدمة الرواة لحديث الغدير الذين نقلوا قول النبيﷺ للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه».

الثانية: روى أكثر من ستين عالماً وحافظاً ومؤرّخاً بأن أبا بكر وعمر هما أول من بارك وهنا

🡐

➔

علياً بالخلافة والولاية، وقالا له: بخ بخ لك يا علي، أو قالا له: أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن.

وذلك عندما انتهت مراسيم حفل الغدير، واعلان النبي صلى الله عليه وآله بأن علياً عليه السلام هو مولى المؤمنين وبعد ما أمر الناس بالبيعة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وممّن روى حديث الغدير - حديث من كنت مولاه فعلي مولاه - عن أبي بكر: القاضي أبو بكر الجعابي (المتوفى ٣٥٦ هـ) روى حديث الغدير عن مائة وخمس وعشرين طريقاً من الصحابة، منهم أبي بكر(انظر لمناقب للسروي ج٣: ص٢٥) ومنصور اللاتي الرازي - من أعلام القرن الخامس - في كتابه "حديث الغدير" أسماء من روى حديث الغدير مرتّباً على حروف المعجم، وذكر منهم أبا بكر(انظر المناقب للسروي ج٣: ص٢٥) وقال ابن المغازلي الشافعي (المتوفى ٤٨٤ هـ): وقد روى حديث غدير خم عن رسول الله صلى الله عليه وآله نحو من مائة نفس، منهم العشرة المبشرة، وهم: أبو بكر وعثمان وطلحة والزبير... وهو حديث ثابت لا أعرف له علّة، تفرد علي عليه السلام بهذه الفضيلة ليس يشركه فيها أحد (انظر المناقب لابن المغازلي: ٢٧ ذيل ح٣٩). وأخرجه أيضاً العلامة الجزري الشافعي في كتابيه "أسنى المطالب" وأسمى المناقب في تهذيب أسنى المطالب (انظر أسنى المطالب: ص٣٥)، وروى المؤرخ العلامة زيني دحلان عن أبي بكر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار» (انظر فتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين بهامش السيرة النبوية لزيني دحلان ج٢: ص١٦١).

وإليك - أيها القارئ الممجد - بعض النماذج من تلك العبارات التهنة التي رويت عن أبي بكر وعمر معاً أو انفرد به أحدهما مما روي في مصادر أهل السنّة المعتمد عليها عندهم:

فقد أخرج ابن حجر الهيثمي - المتوفى ٩٣٢ هـ - في كتابه الصواعق عن الدار قطني تهنئة أبي بكر وعمر للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقولهما: بخ بخ لك يابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة (انظر الصواعق المحرقة:٤٤).

➔

←

وكذلك قولهما: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة (انظر تفسير محمد بن جرير الطبري ج٣: ص٤٢٨).

وكذلك قولهما: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى جميع المؤمنين والمؤمنات (انظر تذكرة الخواص للحافظ أبي المظفر شمس الدين سبط بن الجوزي الحنفي: ص٢٩).

وكذلك قولهما: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة (انظر التفسير الكبير لفخر الدين الرزاي الشافعي ج١٢: ص٤٩ في تفسير قوله تعالى: يا أيها الرسول بلغ.....).

ومنها: ما أخرجه السيوطي وآخرون من أعلام الحديث عند أهل السنّة بطرق عديدة عن صفوان بن سليم أو عامر الشعبي قالا: إن خالد بن الوليد كتب إلى أبي بكر، أنه وجد في بعض نواحي العرب رجلاً ينكح كما تنكح المرأة. فاستشار أبو بكر أصحاب النبيصلى الله عليه وآله وفيهم أمير المؤمنين عليعليه السلام وكان أشدّهم قولاً. فقالعليه السلام: «إن هذا الذنب لم تعص به أمة من الأمم إلا واحدة، فصنع الله بها ما قد علمتم، أرى أن تحرقه بالنار». فأجمع رأي أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله على أن يحرقوه بالنار. فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد بأن يحرقه، فحرقه، ثم حرقهم ابن الزبير في أمارته، ثم حرقهم هشام بن عبد الملك (راجع: الدر المنثور ج٣: ص٣٤٦، وأيضاً السيوطي في مسند علي بن أبي طالب: ٢٥٦ ح٧٩٩، والمحلى لابن حزم ج١١: ص٣٨١، والتمهيد لابن عبد البر ج٥: ص٣١٥، والمتقي الهندي في كنز العمال ج٥: ص٤٦٩ ح١٣٦٤٣، والقاضي نور الله التستري في احقاق الحق ج١٥: ص٨ وغيرهم).

ومنها: ما أخرجه جمال الدين الموصلي الحنفي المشهور بابن حسنويه - المتوفى ٦٨٠ هـ - بسنده عن أنس بن مالك، قال: لما كان يوم المؤاخاة وآخى النبيصلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار، وعليعليه السلام واقف يراه ويعلم مكانه لم يؤاخ بينه وبين أحد، فانصرف عليعليه السلام باكي العين. قالصلى الله عليه وآله: «يا بلال، اذهب فائتني به». فمضى بلال وأتى علياًعليه السلام وقد دخل

←

➔

منزله فرأته فاطمةعليها السلام فقالت: «ما يبكيك لا أبكى الله عينيك؟» قالعليه السلام: «يا فاطمة، آخى النبيصلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف يراني ويعلم مكاني لم يؤاخ بيني وبين أحد». قالتعليها السلام: «لا يحزنك، لعلك إنما أخرك لنفسه». فطرق بلال الباب وقال: يا علي، أجب رسول اللهصلى الله عليه وآله. فأتى عليعليه السلام إلى النبيصلى الله عليه وآله. فقال النبيصلى الله عليه وآله: «ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟» فقال عليعليه السلام: «آخيت بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف تعرف مكاني لم تؤاخ بيني وبين أحد». فقالصلى الله عليه وآله: «يا علي، إنّما أخّرتك لنفسي كما أمرني ربي، قم، يا أبا الحسن»، فأخذ بيده ورقى المنبر وقال: «اللهم إن هذا مني وأنا منه، ألا إنه بمنزلة هارون من موسى، أيّها الناس، ألست أولى بكم من أنفسكم؟» قالوا: بلى. قالصلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه، ومن كنت وليّه فعلي وليّه، اللهم إني قد بلّغت ما أمرتني به»؛ ثم نزل. وقد سرّ عليعليه السلام فجعل الناس يبايعونه وعمر بن الخطاب يقول: بخ بخ لك يابن أبي طالب، أصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة، امرأة من يعاديك طالق طلقة (انظر المناقب لإبن المغازلي: ص٤٣، وأرجح المطالب لعبيد الله الأمرتسرى: ص٤٢٥، والرياض النضرة لمحبّ الطبري ج٣: ص١٢٦).

ومنها: ما رواه المتّقي الهندي بسنده عن المأمون العباسي عن الرشيد، قال: حدّثني المهدي، قال: حدّثني المنصور، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني عبد الله بن عباس، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: كفوا عن ذكر علي بن أبي طالبعليه السلام فقد رأيت من رسول اللهصلى الله عليه وآله فيه خصالاً لأن تكون لي واحدة منهن في آل الخطاب أحبّ إلي ممّا طلعت عليه الشمس.

كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة في نفر من أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله فانتهيت إلى باب أم سلمة وعليعليه السلام قائم على الباب فقلنا: أردنا رسول اللهصلى الله عليه وآله.

فقالعليه السلام: يخرج إليكم. فخرج رسول اللهصلى الله عليه وآله فسرنا إليه فاتكاً على علي بن أبي طالبعليه السلام ثم ضرب بيده منكبه ثم قال: «إنك مخاصم تخاصم، أنت أول المؤمنين إيماناً، وأعلمهم بأيام الله، وأوفاهم بعهده، وأقسمهم بالسوية، وأرأفهم بالرعية، وأعظمهم رزية، وأنت

🡐

➔
عاضدي وغاسلي ودافني، والمتقدم إلى كل شديدة وكريهة، ولن ترجع بعدي كافراً، وأنت تتقدمني بلواء الحمد، وتذود عن حوضي» (انظر كنز العمال ج١٣: ص١١٧ ح٣٦٣٧٨)، ورواه غير واحد من أعلام الحديث والتاريخ، كالاسكافي في نقض العثمانية: ص٢٩٢، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٥٨، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١٣: ص٢٣٠، وخطيب خوارزم في المناقب: ص٥٤، والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٠٩ و١١٨، والسيوطي في اللئالي المصنوعة ج١: ص٣٢٣ وغيرهم وزاد الأمرتسرى ما هذا لفظه: «يا علي، من أحبّك فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد أحبّ الله، ومن أحبّ الله تعالى أدخله الجنّة، ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغضه الله تعالى وأدخله النار» (انظر أرجح المطالب: ص٥١٨).

ومنها ما رواه الشيخ بهاء الدين أبو القاسم القفطي الشافعي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال عمر بن الخطاب: كنت أجفو علياًعليه السلام، فلقيني النبيصلى الله عليه وآله فقال: «آذيتني يا عمر!» فقلت: بأيش؟ قالصلى الله عليه وآله: «تجفو علياً! من آذى علياً فقد آذاني»، فقلت: والله لا أجفو علياً أبد (انظر الانباء المستطابة للشيخ بهاء الدين أبو القاسم القفطي الشافعي: ص٦٤، والتدوين في أخبار قزوين للرافعي القزويني ج٣: ص٣٩٠، وملحقات إحقاق الحق ج١٦: ص٥٩٢ وج٢١: ص٥٤٢).

أقول: طبقاً لهذه الرواية فإنّ من آذى علياًعليه السلام آذى النبيصلى الله عليه وآله، وجفاءه جفاء النبيصلى الله عليه وآله.

وقال الألباني في معنى الجفاء: إن جفاء النبيصلى الله عليه وآله من الذنوب الكبائر إن لم يكن كفراً (انظر الأحاديث الضعيفة للألباني ج١: ص٦١).

نعم، نسأل علماء أهل السنة ما حكم من عاهد النبيصلى الله عليه وآله وحلف قسماً بالله عزّ وجلّ وأعطى النبيصلى الله عليه وآله عهداً بأن لا يجفو علياًعليه السلام أبداً؟

وهل أنّ إحراق باب دار الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام من قبل الخليفة عمر بن الخطاب الذي عاهد النبيصلى الله عليه وآله وحلف قسماً بالله عزّ وجلّ وأعطى النبيصلى الله عليه وآله عهداً بأن لا يجفو علياًعليه السلام أبداً، ليس من الجفاء؟!!!
➔

➔

ومنها: ما أخرجه محمد صالح الكشفي الترمذي بسنده عن عمر بن الخطاب، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «من أحبّك يا علي كان مع النبيّين في درجتهم يوم القيامة، ومن مات يبغضك فلا يبالي مات يهودياً أو نصرانياً» (انظر المناقب المرتضوية للكشفي الترمذي: ١١٧، والكواكب الدري: ص١٢٥).

ومنها: ما أخرجه الحافظ محمد صالح الكشفي الترمذي الحنفي بسنده عن عمر بن الخطاب، عن سلمان قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله في غمرات الموت فقلت: يا رسول الله، هل أوصيت؟ قال: «يا سلمان، أتدري من الأوصياء؟» قلت: الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وآله: «آدم عليه السلام وكان وصية شيث، وكان أفضل من تركه بعده وكان من ولده. وكان وصي نوح عليه السلام سام وكان أفضل من تركه بعده. وكان وصي موسى عليه السلام يوشع، وكان أفضل من تركه بعده. وكان وصي سليمان عليه السلام آصف بن برخيا، وكان أفضل من تركه بعده. وكان وصي عيسى عليه السلام شمعون بن برخيا، وكان أفضل من تركه بعده. وإني أوصيت إلى علي عليه السلام، وهو أفضل من أتركه بعدي» (انظر كوكب الدري: ص١٣٣ المنقبة١٥٨، المناقب المرتضوية: ص١٢٨، ينابيع المودة: ص٢٥٣ أخرجه عن ابن عمر، عن سلمان).

ويستفاد من هذه الرواية: إن المراد بالوصي من يكون خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الذي طاعته واجبة، وشخصيته مرموقة، والذي به تقام الشريعة، ويدوم الدين -الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله من عند الله عزّ وجلّ- به ويستفاد منها أيضاً أن النبي صلى الله عليه وآله هو الذي يعين الوصي والخليفة من بعده بأمر من الله جلّ شأنه، وليس تعيينه منوطاً باختيار غيره.

ومنها: ما أخرج علي بن شهاب الدين الهمداني وغيره من الحفّاظ والمحدّثين باسنادهم عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا عقد المؤاخاة بين أصحابه: «هذا علي أخي في الدنيا والآخرة، وخليفتي في أهلي، ووصيي في أمّتي، ووارث علمي، وقاضي ديني، له مني ما لي منه، نفعه نفعي، وضرّه ضرّي، من أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني» (انظر الكوكب الدري: ص١٣٣ المنقبة رقم١٥٨، والمناقب المرتضوية: ص١٢٨، ينابيع المودة: ص٢٥٣ أخرجه عن ابن عمر، عن سلمان). وإلى غير ذلك من

➔

والخبر الذي نقله، يستدلّ به على رضا سعد بإمامة أبي بكر خبر مرسل عن سعد موقوف عليه، فهو ليس بدليل[1]،

➔

الروايات وهذه نبذه يسيرة من النصوص التي أخرجها علماء أهل السنّة وهي تدلّ على أفضليّة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على جميع الصحابة وأحقيّته بالإمامة والخلافة عليهم، فلاحظ.

(١) فقد روى أحمد بن حنبل مرسلاً عن حميد بن عبد الرحمن، أنّه قال: أن أبا بكر قال لسعد بن عبادة: لقد علمت يا سعد أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال وأنت قاعد: قريش ولاة هذا الأمر، فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم قال: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٥).

لا شكّ أنّ هذا الحديث لا يصلح للإستدلال به؛ أولاً: لأنّه مرسل، كما اعترف به ابن تيمية نفسه حيث قال: "فهذا مرسل حسن"، ولعلّ حميداً أخذه عن بعض الصحابة الذين شهدوا ذلك، وفيه فائدة جليلة جداً، وهي أن سعد بن عبادة نزل عن مقامه الأول في دعوى الإمارة، وأذعن للصديق بالإمارة، فرضي الله عنهم أجمعين (انظر منهاج السنة ج١: ص٥٣٦). والخبير يعلم أنّ الإرسال لا يجتمع من الخبر الحسن، فكل من الإرسال والحسن له تعريفه الخاص، فلا يجتمعان.

وثانياً: إنّنا لا نشكّ في كذب هذه الرواية، وذلك لما يلي: أولاً: إن الذي قال: نحن الأمراء، وأنتم الوزراء هو أبو بكر نفسه، وليس سعد بن عبادة.

ثانياً: إن سعداً لم يبايع أبا بكر إلى أن قتله خالد بن الوليد غيلة في حوران من بلاد الشام. ثم زعموا أن الجنّ قتلته!

ثالثاً: إن ذلك يتلاءم مع قول عمر: اقتلوا سعداً قتل الله سعداً، فإنه صاحب فتنة.

رابعاً: أنّ في الحديث نسبة باطلة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: فاجرهم تبع لفاجرهم... فلا معنى لأن يقول صلى الله عليه وآله ذلك لما يلي:

➔

فإنّ الدليل هو قول الله ورسوله صلى الله عليه وآله[1]،

➔

ألف: لا يمكن إن النبي صلى الله عليه وآله يؤيّد ولاية الفاجر، ولا أن يطلب من الفاجر الآخر الانقياد له.

ب: لا يمكن أن يجعل صلى الله عليه وآله حاكمين للناس بأن يقول: قريش وولاة هذا الأمر الخ.. بل هو يجعل لهم حاكماً واحداً.. فالصحيح هو أنه صلى الله عليه وآله قال: الناس تبع لقريش: برهم تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم. وهذا لا ربط له بأمر الولاية، بل هو يقرر: أن قريشاً محط أنظار الناس، وأنّ الفناس يقتدون بهم، ويقلدونهم فيما تقول وتفعل.. فما على قريش إلا أن تلتزم جادة الحق والصواب، وتكف عن السير في طريق الغي والانحراف. ولكل ذلك وغيرها لايمكن الإستدلال بالحديث.

(١) لا شك أنّ مصادرالتشريع الرئيسية عند جميع المسلمين الكتاب والسنة النبوية الشريفة، قال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٥١). والمستفاد من الآية الكريمة أنّ الدين الإلهي أصلاً قائم على إرسال الرسول صلى الله عليه وآله وتنزيل الكتاب، فالكتاب فيه الآيات، والتعاليم السماوية، والنبي صلى الله عليه وآله رسالته تلاوة الآيات، وتعليم الناس ما نزل في الكتاب، وتعليمهم ما لم يكونوا يعلمون؛ ليزكيهم ويعلّمهم معارف الدين والحكمة.

فأصل الكتاب دليل ملزم على كل مؤمن يؤمن بالله، وكذلك السنّة النبويّة وهي القول والفعل وتقرير الرسول صلى الله عليه وآله. فيلزم على جميع المسلمين أن يرجعوا إلى هذين المصدرين الأساسيّين، باعتبار أنّهما حجّة قاطعة من الله على العباد.

وقد أحكم الله العزيز القدير خطّة إرسال الأنبياء ونفذها بكلّ دقّة، لتستمرّ هذه الرسالة السماويّة بعد إرسال الأنبياء والرسل بتعيين أوصيائهم ليكون في جنب كتبه السماوية المعلم لما أنزله تعالى؛ إذ من الواضح أنّ الله تعالى أرسل أنبيائه ليعلمون الناس الكتب السماوية. فالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان يتلو آيات الله ويفسرّها ويعلم الناس الحكمة ويزكّيهم، وكانت هذه المسؤولية على عاتق أوصيائه المعصومين عليهم السلام، لتستمر

➔

➔

التعاليم السماوية إلى يوم القيامة. فتعيين الإمام والخليفة كإرسال الرسل من قبل الله عزّ وجلّ.

وتجدر الإشارة إلى أنّ القرآن الكريم هو المبين لمعارف الدين، والرسول صلى الله عليه وآله هو المبين لحقائق معارف الدين، فالآية تدل على لزوم الرجوع إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في كل حادث كما تدل على لزوم الرجوع الى كتاب الله عزّ وجلّ؛ لأنّ الرسول صلى الله عليه وآله هو الحامل لثقل الدين يرفع من بينهم الاختلاف ويبين لهم الحق الذي يجب عليهم أن يتبعوه قال تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (سورة النحل:٤٤)، فيجب على المؤمنين التدبّر في هذين المصدرين لحسم مادة الاختلاف، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾ (سورة النساء:٥٩)، فإنّ الرجوع إلى القرآن الكريم واضح لا لبس فيه، فالقرآن نزل بـ﴿**لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾ (سورة النحل:١٠٣). فإن أمكن استظهار معنى اللفظ فيه ولو بمراجعة المعاجم اللغوية والكتب المعدّة لمعاني ألفاظه فهو، وإلا وجب الرجوع إلى النبيّ صلى الله عليه وآله المبعوث به إلى الأمّة. فالمسلمون يحتاجون إلى السنّة النبويّة المعتبرة، لكونها المصدر الثاني، ولكونها -أيضاً- المرجع لفهم ما أغلق من ألفاظ القرآن، ومعرفة قيد ما أطلق، أو المخصّص لما ورد ظاهرا في العموم فيه، وهكذا. فالحجّة المعتبرة في مقام هي الكتاب والسنّة، أمّا الكتاب فلا ريب في حجّيّته، والمسلمون متّفقون على تصديقه، والاحتجاج به في الخصومات واتّفقوا أيضاً على حجّيّة السنّة ووجوب تصديقها والاحتجاج بها، في كلّ باب، لكنّهم مختلفون في طريق ثبوتها.. كما هو المعلوم عند الخبير.

ومن هنا يجب على جميع المسلمين أن يحتجوا بعد وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بقول رسول الله صلى الله عليه وآله المتواتر، أو يرجعون إلى من له جميع صفات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في العلم والمعرفة ليكون كلامه حجة معتبرة في مقام بيان حقائق القرآن ومعارفه، لأنّ التحفظ

➔

←

على الدين يتوقف على التحفّظ على معارفه، والتحفّظ على معارف الدين يتوقّف على معرفة حقائق القرآن، ومعرفة حقائق القرآن يتوقّف على تعليمها ممن له الرسالة السماوية كالنبي الأعظمﷺ، وبعد وفاة النبيﷺ لا بدّ من وجود معلم يُعلم الناس حقائق القرآن كما أنّ النبيﷺ كان يعلم الناس الحقائق القرآنية، قال الله تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (سورة النحل:٤٤)، ومن الواضح أنّ النبيﷺ أوصى بالثقلين في حديث متواتر لدى جميع المسلمين، وهما كتاب الله وعترته الطاهرةعليهم السلام، فأوصياء النبيﷺ في معرفة الكتاب هم الأئمة من العترة الطاهرةعليهم السلام، لأنّ النبيﷺ قال: «أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، فلا بدّ أن تكون المعرفة السماويّة بالوصاية من النبيﷺ وهي منحصرة في العترة الطاهرة كما هو مدلول الحديث الثقلين، وهذا معنى استمرار الرسالة السماوية. فالشيعة الإمامية تعتقد أنّ الإمامة هي استمرار للرسالة السماوية بالوصاية بعد وفاة الرسول الأعظمﷺ، وهي منحصرة في الأئمة المعصومينعليهم السلام وذلك للنصوص العديدة من الكتاب والسنّة النبوية الدالّة على أنّ علم الكتاب بعد وفاة النبيﷺ عند الأئمة الأطهارعليهم السلام، وسنتعرّض لتلك الأدلّة في محله إن شاء الله تعالى. وعليه فتكون سنّة الأئمة المعصومينعليهم السلام حجة كسنّة رسول اللهﷺ.

وممّا تقدّم يظهر أن هذا الدين كما يعتمد بأساسه على التحفّظ على الكتاب والسنّة النبوية يعتمد على سنّة المعصومينعليهم السلام، وهم الذين أقامهم النبيﷺ هذا المقام في الحديث المتفق عليه بين الفريقين «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض». وصدّقه الله تعالى في علمهم بالقرآن، حيث قال عز من قائل: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾. وقال: ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ* لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ**﴾ الآية وقد كانت طريقتهم في التعليم والتفسير هذه الطريقة بعينها على ما وصل إلينا من اخبارهم في التفسير.

←

فرضاً سعد على تقدير مطابقته لقول الله ورسوله يصير حجّة من هذه الجهة[1].

➔

وملخّص الكلام أنّ قول الله ورسوله صلى الله عليه وآله حجّة علينا، وكذلك قول المعصومين عليهم السلام بالأدلة المذكورة، وأمّا الاستدلال والاحتجاج بغير ذلك لا وجه له، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ مصادر التشريع الإسلامي هي: الأدلة التي تستند إليها الشريعة الإسلامية، فإنّ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، هما مصدران أساسيّان للتشريع الإسلامي عند كافّة المسلمين، ويجب الرجوع اليهما في كلّ حكم شرعي أو موضوع شرعي، من الأحكام الشرعية أوالمعارف الدينية. ولكن البحث يقع في أنّه هل العمل بالقرآن والسنّة النبوية يستلزم الإستناد بما ورد فيهما، أو يكفي التطبيق العملي لما في الكتاب أو السنّة النبويّة؟

من الواضح لدى الخبير أنّ الحاكم للتشريع هو الله سبحانه وتعالى، سواء أكان ذلك بطريق النصّ من قرآن أو سنة، وأمّا كلام الفقهاء والمجتهدين فلا عبرة بها إلاّ بعد استنادهم بالنصوص القرآنية أو السنّة النبويّة؛ لأنّ الحجّة المعتبرة الكتاب والسنّة، فلا بدّ من استناد الحكم إلى الشارع الأقدس في جميع الأحكام الشرعية التكليفيّة والوضعيّة وغيرها من المعارف الدينيّة. فاعتبار قول المجتهد باستناد الحكم إلى الله والرسول صلى الله عليه وآله، كما هو واضح ظاهر. وعليه لا يكفي التطبيق العملي لما في الكتاب أو السنّة النبويّة؛ لأنّ المطابقة العملية لقول الله عزّ وجلّ لا تكون استناداً حقيقيّاً بالشارع الأقدس، وإنّما هي موافقة في القول، كتوافق بعض العلماء مع بعض الآخر في أقوالهم، وحينئذ فلا تسمى هذه الموافقة استناداً بالآخر. وفي المقام أن قول سعد بن عبادة لا يكون حجّة كما هو الواضح، لأنّ الحجّة المعتبرة هو قول الله والرسول صلى الله عليه وآله، وعلى فرض مطابقة قول سعد مع قول الله والرسول صلى الله عليه وآله فإنّ الحجّيّة في قول الله والرسول صلى الله عليه وآله لا قول سعد كما لا يخفى، فلاحظ.

وقد عرفت مخالفة إمامة أبي بكر للشريعة بأدّلة عديدة من جهات شتى[(١)].

(١) لايخفى على الخبير أنّ دعوى الإمامة من أبي بكر مخالفة للكتاب والسنّة النبوية، كما أنّ دعوى الإمامة للخلفاء الثلاثة مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسنّة النبوّية الشريفة، أمّا القرآن الكريم ففيها آيات عديدة تدلّ على المقام، منها: ما تدلّ على أنّ الله سبحانه وتعالى حصر أمرالعباد بطاعة من أوجب طاعته عليهم، فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَطيعُوا اللَّهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولي الْأَمْرِ منكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ في شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّه وَالرَّسُول إِن كُنتُمْ تُؤْمنُونَ باللَّه وَالْيَوْمِ الْآخر ذَلكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْويلاً**﴾ (سورة النساء:٥٩)، هذه الآية تؤكّد على أهم المسائل الإسلامية، ألا وهي مسألة القيادة، وتعيين القادة والمراجع الحقيقيين للمسلمين في مختلف المسائل الدينيّة والاجتماعيّة. فهي تأمر المؤمنين - أولاً - بأن يطيعوا الله، ومن البديهي أنّه يجب أن تنتهي جميع الطاعات - عند الفرد المؤمن - إلى طاعة الله سبحانه، وكلّ قيادة وولاية يجب أن تنبع من ولاية الله سبحانه وذاته المقدسة تعالى وتكون حسب أمره ومشيئته؛ لأنّه الحاكم والمالك التكويني لهذا العالم، وكلّ حاكميّة ومالكيّة يجب أن تكون بإذنه وبأمره.

وفي المرحلة الثانية تأمر باتّباع النبيصلى الله عليه وآله وطاعته، وهو النبي المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى وليس كلامه الاّ وحياً يوحى إليه، وهو خليفة الله بين الناس، وكلامه كلام الله، وقد أعطي هذا المقام من جانب الله سبحانه، ولهذا تكون طاعته طاعة الله، ولكن حيث أنّ طاعة النبيصلى الله عليه وآله واتّباع أوامره ناشئ من أمر الله فتكون طاعته في المرتبة التالية. وبعبارة أخرى فإنّ الله واجب الإطاعة بالذات والنبيصلى الله عليه وآله واجب الإطاعة بالعرض، ولعلّ تكرار "أطيعوا" في هذه الآية للإشارة إلى مثل هذا الفرق بين الطاعتين وأطيعوا الرسول.

وفي المرحلة الثالثة يأمر سبحانه بإطاعة أولي الأمر على نحو الإطلاق مثل إطاعة الرسولصلى الله عليه وآله، والمستفاد منها أنّ اطاعة أولى الأمر واجبة كإطاعة الرسول من دون قيد أو شرط، وينبغي أن يوضع في مستوى إطاعة الرسولصلى الله عليه وآله، ومنه يعرف أنّ أولى الأمر لابد أن يكون معصوماً؛ لأنّ إطلاق الإطاعة في الرسولصلى الله عليه وآله يستلزم منه مقام "العصمة" ←

➔

فكذلك أولى الأمر لظاهر العطف، وهذا المعنى والتفسير لا ينطبق الاّ على ما تعتقد به الشيعة الإمامية في باب إمامة الأئمة المعصومين عليهم السلام؛ فإنّ العطف على إطاعة الرسول صلى الله عليه وآله من دون تكرار تفيد بأنّ إطاعة أولى الأمر واجبة كإطاعة الرسول صلى الله عليه وآله من دون قيد أو شرط، وهذا معناه أنّ أولى الأمر لابد أن يكون موصوفاً بجميع ما يتصف به الرسول صلى الله عليه وآله من الأوصاف النفسانية التي بها تجب طاعته، ومن تلك الأوصاف العصمة.

والجدير بالانتباه إلى أنّ بعض العلماء المعروفين من أهل السنّة، ومنهم الفخر الرازي اعترف بهذه الحقيقة في مطلع حديثه عند تفسير هذه الآية حيث قال: إنّ الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله بإطاعته على سبيل الجزم والقطع لابدّ أن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهي عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد، فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت إنّ كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ... (تفسير الفخر الرازي ج١٠: ص١٤٤). وعليه فإنّ دعوى الإمامة والخلافة من أبي بكر وعمر وعثمان بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مخالفة صريحة للقرآن الكريم؛ لأنّه باتّفاق المسلمين أنّ الخلفاء الثلاثة الذين ادعوا الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكونوا معصومين حتى باعتراف أنفسهم، بل كانوا قبل الإسلام من عبدة الأوثان، وقد قال الله تعالى: ﴿**قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ (سوره بقرة:١٢٤) تبيّن هذه الآية الكريمة منزلة الإمامة، بأن يكون الفرد لائقاً ونموذجياً، ويكون موصوفاً بالصفات التي كانت موجودة في إبراهيم عليه السلام، بل ويكون موصوفاً بصفة جميع الأنبياء الذين حازوا على مرتبة العصمة؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وآله قدوة للآخرين، فأعماله سنّة وحجّة للمؤمنين، فهو يشبه الشمس التي تبعث الحياة في النباتات، فكذلك دور الامام في بعث الحياة الروحيّة والمعنويّة في الكائنات الحيّة. وفي التعبير القرآني: ﴿**لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ لا يقتصر على ظلم الآخرين، بل المقصود الظلم بعمومه وهو في مقابل العدل، وقد

➔

➔

استعمل هنا بالمعنى الواسع للكلمة، ويقع في النقطة المقابلة للعدل: وهو وضع الشيء في محلّه، فالظلم إذن وضع الشخص أو العمل أو الشيء في غير مكانه المناسب ولما كانت منزلة الإمامة والقيادة الظاهريّة والباطنيّة للبشريّة منزلة ذات مسؤوليّات جسيمة هائلة عظيمة، فإن لحظة من الذنب والمعصية خلال العمر تسبب سلب لياقة هذه المنزلة عن الشخص؛ ولذلك نرى أئمة أهل البيتعليهم السلام يثبتون بهذه الآية تعيين الخلافة بعد النبيصلى الله عليه وآله مباشرة للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وانحصارها به، مشيرين إلى أنّ الخلفاء الثلاثة عبدوا الأصنام في الجاهلية، والإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وحده لم يسجد لصنم. وأي ظلم أكبر من عبادة الأصنام؟! ألم يقل لقمان لابنه: ﴿**يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ (سورة لقمان:١٣)، من هذه الاستدلالات ما رواه هشام بن سالم عن الإمام جعفر بن محمد الصادقعليه السلام قال: قد كان إبراهيم نبياً وليس بإمام، حتى قال الله: ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**﴾، قال: ومن ذريتي، فقال الله ﴿**قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾، من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً (انظر الكافي ج١: ص١٧٥ ح١). وفي حديث آخر عن عبد الله بن مسعود عن النبيصلى الله عليه وآله إن الله قال لإبراهيمعليه السلام: «لا أعطيك عهداً للظالم من ذريتك»، قال: «يا رب ومن الظالم من ولدي الذي لا ينال عهدك؟» قال: «من سجد لصنم من دوني لا أجعله إماماً أبداً، ولا يصلح أن يكون إماماً» (انظر الأمالي للشيخ الطوسي: ص١٧٩)؛ فمنزلة الإمامة أسمى ممّا يرتكب الذنب والمعصية في لحظة من حياته فضلاً عن عبادة الأصنام؛ لأنّ منزلة الإمامة هي منزلة تحقيق أهداف الدين والهداية، وقيادة البشريّة، فالإمام يسعى إلى تطبيق أحكام الله عملياً عن طريق إقامة حكومة إلهية واستلام مقاليد الأمور اللازمة. وإن لم يستطع إقامة الدولة يسعى قدر طاقته في تنفيذ الأحكام، وبعبارة أخرى، مهمة الإمام تنفيذ الأوامر الإلهية، بينما تقتصر مهمة الرسولصلى الله عليه وآله على تبليغ هذه الأوامر.

وبتعبير آخر أيضاً، مهمة الرسولصلى الله عليه وآله، إراءة الطريق، ومهمة الإمامعليه السلام الإيصال إلى المطلوب ، إضافة إلى المهام الثقيلة الأخرى المذكورة في هذه الآية الكريمة وغيرها

🡐

➔
كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (سورة السجدة:٢٤)، هذه الآية الكريمة تشير إلى شرطين آخرين للإمامة أحدهما: الإيمان واليقين بآيات الله عزّ وجلّ، والثاني: الصبر والاستقامة والصمود. ومن الواضح أنّ هذين الأمرين لم تكونا مختصين ببني إسرائيل فقط، بل هو درس لكل الأمم، ولجميع مسلمي الأمس واليوم والغد بأن يحكموا أسس يقينهم، ولا يخافوا من المشاكل التي تعترضهم في طريق التوحيد، وأن يتحلوا بالصبر والمقاومة ليكونوا أئمة الخلق وقادة الأمم ومرشديها في تاريخ العالم فالتعبير بـ (يهدون) و(يوقنون) بصيغة الفعل المضارع دليل على استمرار هاتين الصفتين طيلة حياة هؤلاء الأئمة والقادة الإلهية؛ لأن مسألة القيادة لا تخلو لحظة من المشكلات، ويواجه شخص القائد وإمام الناس مشكلة جديدة في كل خطوة، فيجب أن يهب لمواجهتها مستعينا بقوّة اليقين والاستقامة المستمرّة، ويديم خط الهداية إلى الله سبحانه.

والجدير بالانتباه أنّ الآية تقيد الهداية بأمر الله، فتقول: يهدون بأمرنا وهذا هو المهم في أمر الهداية بأن تنبع من الأوامر الإلهية، لا من أمر الناس، أو تقليد هذا وذاك، أو بأمر من النفس والميول القلبية، يقول الإمام الصادق عليه السلام في حديثه العميق المحتوى، بالاستناد إلى مضامين القرآن المجيد إنّ الأئمة في كتاب الله عزّ وجلّ إمامان: قال الله تبارك وتعالى: وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا، لا بأمر الناس، يقدمون أمر الله قبل أمرهم، وحكم الله قبل حكمهم، وقال: وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار، يقدّمون أمرهم قبل أمر الله، وحكمهم قبل حكم الله، ويأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله عزّ وجلّ (انظر الكافي ج١: ص١٦٨ باب أن الأئمة في كتاب الله إمامان). فالقوّة الروحية للإمام وللأنبياء الحائزين على منزلة الإمامة وخلفائهم، لها التأثير العميق على تربية الأفراد المؤهلين، وإخراجهم من ظلمات الجهل والضلالة إلى نور الهداية. هذه بعض الآيات التي تدلّ على أنّ دعوى الخلافة من أبي بكر وعمر وعثمان كانت مخالفة للقرآن الكريم. وهناك آيات عديدة تدلّ أيضاً على المقام لم نذكرها رعاية للاختصار، وسنذكرها إن شاء الله
➔

مضافاً إلى عدم حجّة الخبر المرسل في نفسه[1]،

➔

في محلّه.

وأمّا الروايات الدالّة على أنّ دعوى الخلفاء الثلاثة الإمامة والخلافة مخالفة صريحة للسنّة النبوية الشريفة المعتبرة عند جميع المسلمين، فهي كثيرة جداً، لا يمكننا أن نستقصيها في المقام لكثرتها، وسنذكرها في محله إن شاء الله تعالى، ومن باب التيمّن والتبرّك نشير إلى حديث واحد وهو حديث الثقلين المتواتر لدى الفريقين، فإنّه يدلّ بالصرحة على وجوب اتّباع العترة الطاهرة من أهل بيت النبيّ على الإطلاق كوجوب اتباع القرآن الكريم، وسنذكر تفصيل الكلام عند شرح حديث الثقلين إن شاء الله تعالى. وعليه فإنّ دعوى أبا بكر وعمر وعثمان الإمامة والخلافة باطلة ومخالفة للسنّة النبوية الشريفة، وهناك مئات من الأحاديث النبوية التي خالفها الخلفاء الثلاثة بهذه الدعوى الباطلة التي سنذكرها إن شاء الله تعالى في محله.

(١) وبعبارة أوضح إنّ الخبر المرسل هو الخبر الذي لا يذكر فيه رجال السند، أو يذكر ولكن لم يذكر فيه اسم بعض رجال السند، كما إذا قامت القرينة على حذف بعض رجال السند فيه، فعندئذ يكون الحديث مرسلاً باعتبار عدم ذكر الواسطة التي لا بدّ من وجودها في السند، أو باعتبارعدم ذكر اسم الراوي للحديث كما إذا قيل في اثناء السند عن رجل أو عن بعض اصحاب أو عن غير ذلك، فحيث أنّ الشخص يكون مجهولاً من جهة الوثاقة وعدمها فلايمكن الإعتماد عليه. فعدم حجية الحديث المرسل من باب أنّ الواسطة إمّا لم تكن مذكورة، أو يكون مذكورة ولكن المبهمة فلا يحرز وثاقتها، وعلى تقدير وثاقتها يحتمل وجود الجارح لها. واصالة عدم وجود الجارح ليس لها أساس. فالخبر المرسل لا اعتبار له عند العلماء، لأنّ الاعتبار عند العقلاء بالخبر الثقة، وحيث لا نحن لايمكننا إحراز وثاقة الواسطة إمّا لعدم كونه مذكور أو لكونه غير معلوم فيسقط الخبر عن الاعتبار والوثاقة في النقل.

خصوصاً خبر المقام؛ فإنّه مشتمل على رجل قد نسبه مثل ابن حيان، وأبي يعلى إلى الخطأ[١]، فانظر إلى غش السنّي للغفلة في نقله للخبر في المقام؛ فإنّه على ما عرفت على تقدير صحّته إلى سعد ليس بحجّة، فكيف وهو مرسل عنه[٢].

---

(١) انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٥: ص١٩١، نقلاً عن ابن حبان وأبي يعلى الموصلي.

(٢) وملخّص الكلام أنّ ما روي عن حميد بن عبد الرحمن من أن أبا بكر قال لسعد بن عبادة: لقد علمت يا سعد أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال وأنت قاعد: قريش ولاة هذا الأمر، فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم، قال: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء، مردود.

فهذه الرواية كذب صريح، أولاً: لأنّ الذي قال: نحن الأمراء، وأنتم الوزراء هو أبو بكر نفسه، وليس سعد بن عبادة، وقد تقدّم ذلك في خطبة أبي بكر.

وثانياً: إنّ سعداً لم يبايع أبا بكر إلى أن قتله خالد بن الوليد غيلة في حوران من بلاد الشام. ثم زعموا أن الجن قتلته.

وثالثاً: إنّ ذلك يتلاءم مع قول عمر: اقتلوا سعداً قتل الله سعداً، فإنّه صاحب فتنة.

ورابعاً: إنّه لا معنى لأن يقول في الحديث المنسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: فاجرهم تبع لفاجرهم؛ وذلك لأن النبي صلى الله عليه وآله لا يمكن أن يؤيّد ولاية الفاجر، ولا أن يطلب من الفاجر الآخر الانقياد له، فلا يمكن أن يجعل صلى الله عليه وآله حاكمين للناس بأن يقول: قريش وولاة هذا الأمر الخ.. بل هو يجعل لهم حاكماً واحداً.. فالصحيح هو أنّه صلى الله عليه وآله قال: الناس تبع لقريش: برّهم تبع لبرّهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم.

وهذا لا ربط له بأمر الولاية، بل هو أمر عقلائي ومعناه: أنّ قريشاً محط أنظار الناس، وأنّهم يقتدون بها، ويقلّدونهم فيما تقول وفيما تفعل.. فما على قريش إلاّ أن تلتزم جادة الحق والصواب، وتكفّ عن السير في طريق الغي والانحراف. فما ذكره ابن تيمية واضح البطلان.

ورابعها: إنّ ما زعمه من مبايعة الناس لعثمان على سكينة وطمئنينة دون مبايعتهم لعلي عليه السلام من عجيب غشّه[1]؛

---

(١) لقد تقدّم البحث عن كيفيّة تولي عثمان الخلافة، واجماله أنّ تعيين أمر الخلافة في ستّة نفر وتأسيس الشورى كانت بسياسة عمر بن الخطّاب، وبتدبير من عبد الرحمن بن عوف بإجراء برنامج مدروس لتحقق مناوي عمر بن الخطاب، وتثبيت الأمر لعثمان، فقد ورد في المصادر السنية أنّ عمر بن الخطاب اختار ستّة من كبار الصحابة، وهم الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وعثمان بن عفّان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، ودعاهم إليه، ثم ألزمهم أن يختاروا من بينهم واحداً، وأن يكون الاختيار على أساس الغالبية، لكن حدّد طريقة التعيين بحسب رغبته، فاستعمل أبا طلحة زيد بن سهل الأنصاري، وقال له: إن رضي أربعة وخالف اثنان، فاضرب عنق الاثنين، وإن رضي ثلاثة وخالف ثلاثة، فاضرب أعناق الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص١٨٧ وتاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٦٠).

فعمر بن الخطاب كان يعلم أنّ عبد الرحمن بن عوف هو صهر عثمان بن عفّان؛ لأنّه تزوّج أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهي أُخت عثمان لأُمّه. وأيضاً كان يعلم أنّ عثمان يمثل الأمويين، فكان يحس أنّ أمر الخلافة لو كان بانتخاب الصحابة تفشل خلافة السقيفة، فأراد أن يقوي خلافة السقيفة بتسليط بني أمية على المسلمين؛ لكي تبتعد الخلافة عن بني هاشم.

ولا يخفى أنّ عبد الرحمن بن عوف لعب دوراً كبيراً في تولية خلافة عثمان، يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة: إن علياً غضب يوم الشورى، وعرف ما دبّره عبد الرحمن بن عوف فقال له: «والله ما فعلتها إلاّ لأنّك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه، دقّ الله بينكما عطر منشم (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص١٨٨).

فالمصادر السنيّة صريحة في التزوير الحاصل في الشورى لانتخاب عثمان، ولا يخفى أنّ هذه السياسة المزورة قد سبّبت الفوضى بين الناس بحيث أنّ الشرطة كانت لاتسمح لأحد أن ←

➔

يدخل أو يسمع ما يدور في المجلس، وقد تضمن المجلس بالستّة الذين عينهم عمر بن الخطاب تحت حراسة الحرّاس، لأنّه كان يعلم أنّ هؤلاء النفرعلى قلّتهم سيختلفون، فسلّط الجيش على الشورى لحسم الخلاف، ورجّح فيها كفّة عبد الرحمن بن عوف للوصول إلى مناويه فقال: إذا اختلفتُم فكونوا في الشقّ الذي فيه عبد الرحمن بن عوف، ولذلك نرى أنّ عبد الرحمن لعب دوره في ترجيح عثمان حسب ما أراد منه عمر بن الخطاب، فقال أوّلاً لأهل الشورى: اختاروا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ليكون خليفة، ولكنّه اشترط على الإمامعليه السلام أن يحكم فيهم بكتاب الله وسنّة رسوله وسنّة الشيخين أبي بكر وعمر، فكان يعلم أنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام يرفض سنّة الشيخين، وبالتالي ينفتح له مجال لإجراء سياسة عمر بن الخطاب، ألا وهي طرح السؤال المدروس من عثمان، فعندما سأل نفس السؤال من عثمان قَبِلَ هذه الشروط فبايعه عبد الرحمن بالخلافة، وبها تمت خلافة عثمان (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢٠٥ كتاب المناقب، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان). فصريح هذه الرواية أنّ بيعة عثمان تمّت ببعض أصحاب الشورى في أجواء فوضى، وهناك مصادر كثيرة من أهل السنّة نقلت هذه القصة. لاحظ السنن الكبرى للبيهقي ج٨: ص١٥٠، وصحيح ابن حبان ج١٥: ص٣٥٥، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٤٤: ص٤١٧، ورياض النضرة لمحب الطبري ج٣: ص٥٢، وأسد الغابة لابن الأثير ج٣: ص٣٨١، والمنتظم لابن الجوزي ج٤: ص٣٢١، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٥٠ وغيرها من المصادر السنّيّة. فما زعمه ابن تيمية من مبايعة الناس لعثمان على سكينة وطمئنينة كذب صريح، بل كان تولى عثمان في الأجواء الملتهبة، فإنّ سياسة عمربن الخطاب وبطون قريش لعبت دورها في الغدر والمكر، ثم ابن تيمية بأكاذيبه يريد غشّ الجهلة من أهل السنّة، الذين لم يراجعوا مصادر التاريخ والحديث حتى من كتب علمائهم، فلاحظ.

لعلمه وعلم من جعل عثمان إماماً بأنّ علياًعليه السلام هو الخليفة دون عثمان بالسنن الصحيحة[١].

(١) لايخفى على الخبير المتدبّر في النصوص والأحاديث أنّ إدارة أمور الأمة في مختلف مجالاتها الحياتيّة السياسيّة والاقتصاديّة والعسكريّة والقضائيّة وغيرها لا بدّ لها من مفسّر للقرآن الكريم على الوجه الصحيح، ولا بدّ لها أيضاً من مبين لأحكام الدين كما نزلت من الله تعالى، كما أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله كان في حياته يفسّر القرآن ويبين معارفه ويوضّح أحكام الدين، ويجيب عن جميع التساؤلات في جميع المجالات الحياتية العبادية والاجتماعية وغيرذلك، فالسؤال الذي يتوجّه هنا هو: من هوالمرجع للإجابة عن تلك التساءلات وغيرها في جميع المجالات بعد وفاة رسول اللهصلى الله عليه وآله؟ فإنّ النصوص تؤكّد على أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله قد عيّن المرجع الذي يجب على الأمة أن ترجع إليه في الأمور المذكورة بعد وفاتهصلى الله عليه وآله لئلا تقع الأمّة في الضلال والانحراف، وتبيّن تلك نصوص بصورة واضحة أسرار الحكومة الإلهية، وتكشف عن مقاصدها الربانيّة وتبيين أهدافها العباديّة والسياسية والإقتصادية وغيرذلك، لأنّ غياب رسول اللهصلى الله عليه وآله عن الساحة يلازم حدوث فراغ هائل في حياة الأمة لا يسدّه إلا بإنسان يتمتّع بتلك الكفاءات عدا النبوّة وتلقي الوحي.. لأنّ النبوة انتهت بخاتم الأنبياءصلى الله عليه وآله، ولمّا كانت هذه الأمور النفسية والمؤهلات المعنوية التي يتمكن بها الإنسان المثالي لا يمكن معرفته إلا بتعريف من الله تعالى وتعيين من رسول اللهصلى الله عليه وآله، فلا بدّ أن يكون الإمام والخليفة من بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله يتّصف بأوصاف رسول اللهصلى الله عليه وآله ومن الأوصاف التي كان رسول اللهصلى الله عليه وآله متّصفاً به هي العصمة؛ والمعصوم ليس إلاّ من عصمه الله تعالى، وأنّه بعيد عن الباطل، والحق معه حيث ما دار، كما قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ (سورة الأحزاب: ٣٣)، ومن أجل وضوح الأمر نُبيّن معنى الآية من خلال نقطتين: النقطة الأولى: أنّ معنى الرجس هو القذر، وهو أعمّ من النجاسة، بدليل قوله تعالى: ﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ**﴾ (سورة الحج: ٣٠)، وبالتالي فإنّ الذنب هو ←

➔

من ذلك الرجس. وعليه فإنّ الله تعالى يحدّثنا في هذه الآية أنّه يريد أن يذهب عن أهل البيت عليهم السلام كلّ أنواع القذارة ومنه الذنب والإثم. والنقطة الثانية: إنّ الإرادة الإلهيّة على نوعين: إرادة تكوينيّة، وهي التي لا يتخلّف فيها المراد عن الإرادة، إنّما لا بدَّ من تحقّقها بشكل قهريّ، دون أيّ اختيار للمراد، كخلق الكون، حركة الكواكب...الخ.

وإرادة تشريعيّة، وهي التي تصدر من الله تعالى، ولكن يكون هناك اختيار لمن توجّهت إليه في تحقيقها أو عدمه، كفرضي الصلاة والصيام ونحوهما، فالله تعالى أراد من الإنسان أن يؤدّيهما، إلاّ أنّه ترك له هامش الاختيار، بحيث يمكنه أن يتخلَّف عن ذلك دون تأديتهما. والسؤال: ما المراد بقوله تعالى: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾**، هل الإرادة التكوينيّة أو التشريعيّة؟

الجواب: إنّ الإرادة التشريعيّة الإلهيّة بأن يذهب الله الرجس لا تختصّ ببعض الناس دون البعض، بل هي مطلوبة من الجميع، فلا وجه لاختصاص أهل البيت عليهم السلام بطلب ذلك منهم، وعليه فإنّ ذلك يؤدّي إلى القول بأنّ المراد من الإرادة في الآية هي التكوينيّة التي لا تقبل التخلّف، كما قال تعالى: **﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾** (سورة يس:٨٢)، وما تقدَّم يعني أنّ الله تعالى بإرادته التكوينيّة يمنع صدور الذنب من أهل البيت عليهم السلام، وهذا يعني أنّهم معصومون عن ارتكاب الذنوب. وبناءً على هذا المعنى فإنّ الإرادة التكوينيّة لإذهاب الرجس عن أهل البيت عليهم السلام لابدّ أن نقول بأنّ الإرادة الإلهية تعلّقت بإفاضة ذلك العلم الخاصّ عليهم، بما يجعلهم معصومين باختيارهم، مع ضمانة عدم وقوعهم في المحذور. فلا بدّ أن يكون الإمام معصوماً كما أنّ الرسول صلى الله عليه وآله كان معصوماً، وهناك نصوص كثيرة بالغة عن حد التواتر رواها علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنّة وهي تؤكد على أنّ المقصود في آية التطهير الأئمة المعصومين عليهم السلام، وقد عين رسول الله صلى الله عليه وآله خلفائه المعصومين عليهم السلام في الأحاديث المتواترة لدي جميع المسلمين منها حديث الثقلين المتواتر عند جميع المسلمين، وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي

➔

فأي ثمرة في الطمئنينة في بيعته، وهم عاصون لله سبحانه فيها وآمنون من مكره؟!!![1]

أبداً وأنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. وقد بيّن رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الحديث المرجعية لجميع الأمة لما بعد وفاته صلى الله عليه وآله كما سيأتي توضيحه في محلّه إن شاء الله تعالى.

وهذا المعنى القرآني في صفات الإمام، والروايات المتواترة في المقام كانت واضحةً عند جميع الصحابة ومنهم الخلفاء الغاصبين لحقوق أهل البيت عليهم السلام، حيث وضح النبي صلى الله عليه وآله لهم القرآن بأوضح البيان في معنى أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ومن خلال الروايات الكثيرة التي رواها علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنّة، وهي تدلّ بالصراحة على إمامة أهل البيت عليهم السلام، وقد أتمّ الله ورسوله صلى الله عليه وآله الحجّة على جميع الصحابة بل وعلى جميع العباد من الأولين والآخرين من أنّ القيادة الإليهيّة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله منحصرة في أئمة أهل البيت عليهم السلام.

فالصحابة كانت تعلم بهذه الأدلّة والنصوص وغيرها، أنّ الخليفة والإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهناك روايات كثيرة رواها علماء أهل السنّة والجماعة بأسناد صحيحة وبأسنادهم عن نفس الخلفاء الثلاثة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسنذكرها إن شاء الله في محلّه. وبعد وضوح هذا الأمر لماذا ادعى أبو بكر وعمر وعثمان الخلافة الإلهية؟!!!

(١) لايخفى أنّ سكون النفس وطمأنينة القلب لا تحصل إلا بالاعتقاد الصحيح والدين الحق، وإنّ الدين الحقّ يعتمد بنحو أساسي على العقائد التي تكون منه مجموعة الأصول والمرتكزات التي يؤمن بها معتنقو هذا الدين. والتي لا بدّ أن يقوم الإيمان بها على الدليل القاطع والبرهان الجلّي بحيث ينطلق من المسلمات العقلية التي يؤمن بها جميع الناس، فهذا موجب لسكون النفس، ومعنى سكون النفس أنّه بمجرد الاطلاع على تلك عقيدة

➔

الحقة يرتاح الضمير ويسلم العقل بقبولها، وبما أن الدين الحقّ هو دين الخالق المعبود، فلا بدّ أن يحتوي على الجواب الشافي عما أراده الخالق العظيم من الإنسان، وأن يبين له الغاية التي خلقه من أجلها، قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُوْنِ**﴾ (سورة والذاريات:٥٦)، هذه الآية الكريمة بيّنت أنّ الغاية من وجود الإنسان في هذه الحياة هي عبادة الخالق. ومن البديهي أن العبادة منهج لتربية الإنسان في الأبعاد المختلفة.. فالعبادة بمعناها الشمولي التي هي التسليم لأمر الله ستهب روح الإنسان تكاملا في الأبعاد المختلفة، وهي تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه، وهذا هو الهدف الذي خُلق من أجله كل إنسان على وجه هذه الأرض، ومن ذلك عمارة الأرض، وتحقيق الاستخلاف فيها بالعدل، وفق المنهج الذي أمر به سبحانه وتعالى، وباتباع التعاليم الدينه الحقة.

فالحكمة الإلهيّة إقتضت تزويد الإنسان بطريق الهداية إلى الله تعالى، وطريق الهداية إلى الله بكلّ أبعاده وتفاصيله منحصرة في معرفة الإنسان الحجة الإلهية. فهذه الحكمة الإلهية تقتضي الحاجة إلى طريق الوحي والنبوّة والرسالة السماوية. وعلى مدى تاريخ البشر، من لدن آدمعليه السلام وحتّى نبيّنا محمّدصلى الله عليه وآله اختار الله عزّ وجلّ الأنبياء واجتباهم وأرسلهم إلى الناس ليخرجوهم من ظلمات إلى نور، ثم استمرّت هذه الرسالة الإلهية من أجل هداية الناس عن طريق خلفائهم الكرام وسفرائهم العظام، عليهم أفضل الصلاة والسلام القائمين مقام خاتم الأنبياءصلى الله عليه وآله، فهم المثل الأعلى، والقدوة الحسنى، التي تهدف إلى تربية الناس على الخير الخالص ونيلهم إلى مقام العبودية. وهذا الاتصال بالله سبحانه شرط أساسي للتأكّد على أن تعاليم هذا الدين وتشريعاته من عند الله عزّ وجلّ، ولم تصل إليها يد البشر فتخرجها عن إطارها الرباني. ومن أخطر الخطر أن يغير الإنسان الطريق الذي رسمه الله له لهدايته، ويختار غير طريق الله عزّ وجلّ. فالطمأنينة تحصل ببيعة امام الحقّ الذي عينه الله تعالى ونصبه النبي الأكرمصلى الله عليه وآله اماماً وخليفة من بعده، وأمّا عصيان الله في بيعة الإمام يوجب الاضطراب في النفس وفي المجتمع، كما تحقق هذا الأمر في السقيفة، وفي

🡐

وما يضرّ عدم الطمأنينة في بيعتهم لعلي عليه السلام بعد ثبوت امامته شرعاً[(١)].

➔

النفوس التي قبلت خلافة الجور والصراع على السلطة بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وقد تدرّج موقفهم من الهدوء إلى العنف ومن الرغبة في الاستيلاء على الحكم إلى المطالبة بأقسامها الغدرة. واستمرّ هذا الصراع بين صاحب الأهواء من اتّباع الهوى والغور في زخارف الدنيا، فكانت الشورى العمريّة استمراراً لسياسة السقيفة في انتخاب الخليفة بالتزوير والتمويه والتدليس وتحريف الحقائق، وهذا ما يوجب الاضطراب بين الأشخاص والمجتمع. ولاندري من أي جهة يدعي ابن تيمية الطمانينة؟!! ولكن مع ذلك كلّه، على فرض أنّ بالعصيان تحقّق الطمأنينة، فأي أثر يترتب على هذه الطمأنينة الكاذبة بعد الإذعان ببطلان الطريق؟ وهذا مثل أن يقول العاصي: بشرب الخمر يحصل له السكون في النفس، فأي فائدة في الطمأنينة الكاذبة الحاصلة بشرب الخمر ـ والعياذ بالله ـ ؟!!وأي فائدة في هذا النوع من السكون النفسي التي تحصل بعصيان الله عزّوجلّ؟!!!

(١) وتوضيح المقام أنّه بعد ثبوت إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وولايته بالأدلة القطعيّة من الكتاب والسنّة والعقل، فإنّها فوق كل شيء؛ حيث أنّ لها أثرعميق في الإيمان بالله العظيم؛ إذ لا كمال للدين ولا تمام لنعمة الإسلام إلاّ بولاية مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وإنّ من أعظم نعم الله على الخلق هي ألاّ تبقى الناس في الضلال، فكانت أخر الفرائض التي أنزلها الله هي الولاية، وقد أتمّ الله بها جميع النعم على عباده، فقال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ (سورة المائدة:٣).

وهذا ما أكّد عليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له قال فيها: «إلى أن بعث الله سبحانه محمّداً، رسول الله صلى الله عليه وآله لإنجاز عدته وإتمام نبوّته، مأخوذاً على النبيّين ميثاقه، مشهورةً سماته كريماً ميلاده، وأهل الأرض يومئذ ملل متفرّقة، وأهواء منتشِرة وطرائق متشتّتة، بين مشبّه لله بخلقه أو مُلحد في اسمه، أو مشير إلى غيره، فهداهم به من الضلالة وأنقذهم

➔

➔

بمكانه من الجهالة، ثمّ اختار سبحانه لمحمّدﷺ لقاءه، ورضي له ما عنده وأكرمه عن دار الدنيا، ورغب به عن مقام البلوى، فقبضَهﷺ إليه كريماً، وخلف فيكم ما خلفت الأنبياء في أممها، إذ لم يتركوهم هملاً بغير طريق واضح ولا علم قائم» (نهج البلاغة: الخطبة رقم١). وفي هذا النصّ يبيّن لنا مولانا أميرالمؤمنينعليه السلام أن رسول اللهﷺ لم يترك شيء إلا وقد وضّحه للناس حتى أكمل دينهم ثمّ أتمّ الله على الخلق نعمه بوصيه حيث جعله حجّة من بعده كي لا تخلوا الأرض من حجّة.

ففي الحقيقة أنّ آخر فريضة أنزلها الله على رسولهﷺ هي ولاية أمير المؤمنينعليه السلام وبها أتمّ النعمة على العباد لئلا يقعوا في الحيرة بعد رسول اللهﷺ، فبوجود الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وأبنائه المعصومينعليهم السلام بقى الإسلام عامراً، فهم ورثة علم النبي الأكرمﷺ ومستودع سرّه، بهم حفظ الله شريعة المصطفىﷺ، وبهم ساد العدل وظهر الحق، لذا كانت ولاية الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام إكمال الدين وتمام النعمة على جميع الخلائق. وبعد ذلك فما معنى عدم الطمأنينة؟!!! فكيف لايحصل الطمأنينة مع إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب بإيمان كلّ مؤمن يؤمن بالله؟ فعلى فرض عدم حصول الطمأنينة بالإيمان الكامل للدين التام الذي ليس فيه أي اعوجاج، فما المانع من ذلك؟ إذ بعد الإيمان بالدين الكامل ورضى الربّ وإتمام النعمة عليهم بولاية الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وأقام الدين به فما المانع من عدم حصول الطمانينة به؟ قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم**﴾ (سورة المائدة:٦٦)، ومن بديهي أنّ المراد من إقامة التوراة والإنجيل هو اتّباعهم لما بقي من التوراة والإنجيل الحقيقيّين في أيديهم في ذلك العصر، ولا يعني اتّباع ما حرف منهما، والذي يمكن معرفته من خلال القرائن. هوأنّ المراد من جملة ما أنزل إليهم من ربهم جميع الكتب السماويّة والأحكام الإلهيّة، لأنّ هذه الجملة يفهم منها الإطلاق، وهي في الحقيقة إشارة إلى النهي عن خلط العصبيات القومية بالوسائل الدينية الإلهية، فليس من المهم كون هذا

➔

مضافاً إلى فرية دعوى كونهم مضطرّين، من جهة قتل عثمان؛ من حيث علمهم بأنّ قاتليه لم يكن لهم مقصد سيء في قتله، بل قصدهم منه العدل[1]

➔

الكتاب عربياً أو ذلك الكتاب يهودياً، بل المهم هو الأحكام الإلهية الواردة فيهما وفي كل الكتب السماوية، فلا شكّ أن المراد بإقامة التوراة والإنجيل هو العمل بالمبادئ السماويّة الواردة فيهما، لأنّ جميع المبادئ والتعاليم التي جاء بها الأنبياء أينما كانوا واحدة، لا فرق بينها، نعم إنّما الفرق يكون بين الكامل والأكمل، ولا يتنافى هذا مع النسخ الذي ورد في بعض الأحكام الواردة في الشريعة اللاحقة لأحكام وردت في شريعة سابقة. ومجمل القول هو أنّ الآية تؤكد هذا المبدأ الأساسي الذي لها انعكاسات واسعة حتى على الحياة الدنيويّة الماديّة للإنسان، فهي تقوي الجماعات وتعزّز صفوفها وتكثّف طاقاتها، وتغدّق عليها النعيم وتضاعف امكانيّاتها وتضمّن لها الحياة السعيدة المقترنة بالأمن والاستقرار وكما قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾ (سورة الأعراف:٩٦)، فقبول ولاية مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام له هذه البركات العظيمة في الدنيا والآخرة، فما معنى عدم الطمأنينة ببيعتهعليه السلام؟ وعلى فرض عدم وجود طمأنينة ببيعة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فإنّ من ورد في حقه النصوص من القرآن والسنّة النبويّة الصحيحة عند جميع المسلمين الدالّة على إمامته وولاية فلا حاجة إلى الطمأنينة بعد ذلك؛ إذ ليس نعمة فوق تلك النعمة الإلهية التي بها تفتح جميع بركات السماء والأرض؟ وما قيمة الطمأنينة بعد ذلك؟ وهل يعتني العقلاء بعد ذلك الى هذا النوع من الطمأنينة؟ كلاّ ثم كلا.

(١) لا يخفى على الباحث الخبير أنّ مخالفة عثمان بن عفّان للقرآن والسنّة النبويّة حين توليه الخلافة غصباً كان سبباً لاعتراض الصحابة عليه كما نصّ عليه المؤرّخون والمحدّثون، ➔

←

قال المسعودي أنّ أباذر حضر مجلس عثمان ذات يوم فقال له عثمان: أرأيتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره؟ فقال كعب: لا يا أمير المؤمنين فدفع أبو ذر في صدر كعب وقال له: كذبت يا ابن اليهودي ثم تلا: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (سورة البقرة:١٧٧)، فقال عثمان: أترون بأساً أن نأخذ مالاً من بيت مال المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من أمورنا ونعطيكموه؟ فقال كعب: لا بأس بذلك. فرفع أبو ذر العصا فدفع بها في صدر كعب وقال: يا ابن اليهودي ما أجرأك على القول في ديننا؟ فقال له عثمان: ما أكثر أذاك لي غيّب وجهك عني فقد آذيتني، فخرج أبو ذر إلى الشام فكتب معاوية إلى عثمان إن أبا ذر تجتمع إليه الجموع ولا آمن أن يفسدهم عليك، فإن كان في القوم حاجة فاحمله إليك. فكتب إليه عثمان يحمله فحمله على بعير عليه قتب يابس معه خمسة من الصقالبة يطيرون به حتى أتوا به المدينة قد تسلخت بواطن أفخاذه وكاد أن يتلف، فقيل له: إنك تموت من ذلك. فقال: هيهات لن أموت حتى أنفى، وذكر جوامع ما نزل به بعد ومن يتولى دفنه، فأحسن إليه في داره أياماً ثم دخل إليه فجلس على ركبتيه وتكلم بأشياء وذكر الخبر في ولد أبي العاص: إذا بلغوا ثلاثين رجلاً اتخذوا عباد الله خولاً. ومر في الخبر بطوله وتكلم بكلام كثير وكان في ذلك اليوم قد أتي عثمان بتركة عبد الرحمن بن عوف الزهري من المال فنضت البدر حتى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم فقال عثمان: إني لأرجو لعبد الرحمن خيراً لأنه كان يتصدق ويقري الضيف وترك ما ترون. فقال كعب الأحبار: صدقت يا أمير المؤمنين! فشال أبو ذر العصا فضرب بها رأس كعب ولم يشغله ما كان فيه من الألم وقال: يا ابن اليهودي! تقول لرجل مات وترك هذا المال إن الله أعطاه خير الدنيا وخير الآخرة وتقطع على الله بذلك وأنا سمعت رسول ﷺ يقول:

→

➔

«ما يسرني أن أموت وأدع ما يزن قيراطاً». فقال له عثمان: وارعني وجهك فقال: أسير إلى مكة. قال: لا والله . قال: فتمنعني من بيت ربي أعبده فيه حتى أموت؟ قال: أي والله. قال: فإلى الشام. قال: لا والل . قال: البصرة. قال: لا والله فاختر غير هذه البلدان قال: لا والله ما أختار غير ما ذكرت لك ولو تركتني في دار هجرتي ما أردت شيئاً من البلدان، فسيرني حيث شئت من البلاد. قال: فإني مسيرك إلى الربذة قال: الله أكبر، صدق رسول الله ﷺ، قد أخبرني بكل ما أنا لاق، قال عثمان: وما قال لك؟ قال: أخبرني بأني امنع عن مكة والمدينة وأموت بالربذة ويتولى مواراتي نفر ممن يردون من العراق نحو الحجاز، وبعث أبو ذر إلى جمل له فحمل عليه امرأته وقيل ابنته، وأمر عثمان أن لا يتجافاه الناس حتى يسير إلى الربذة، فلما طلع عن المدينة ومروان يسيره عنها إذ طلع عليه علي بن أبي طالب عليه السلام ومعه ابناه وعقيل أخوه وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر فاعترض مروان فقال: يا علي إن أمير المؤمنين قد نهى الناس أن يصحبوا أبا ذر في مسيره ويشيعوه فإن كنت لم تدر بذلك فقد أعلمتك فحمل عليه علي بن أبي طالب عليه السلام بالسوط بين أذني راحلته وقال: «تنح نحاك الله إلى النار» ومضي مع أبي ذر فشيعه ثم ودعه وانصرف، فلما أرادا الانصراف بكى أبو ذر وقال رحمكم الله أهل البيت إذا رأيتك يا أبا الحسن! وولدك ذكرت بكم رسول الله ﷺ فشكا مروان إلى عثمان ما فعل به علي بن أبي طالب فقال عثمان: يا معشر المسلمين! من يعذرني من علي، ردّ رسولي عمّار وجهته له وفعل كذا والله لنعطينه حقّه، فلمّا رجع علي عليه السلام استقبله الناس فقالوا: إن أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك أبا ذر، فقال علي: «غضب الخيل على اللجم». ثم جاء فلمّا كان بالعشي جاء إلى عثمان فقال له: ما حملك على ما صنعت بمروان واجترأت عليّ ورددت رسولي وأمر؟ قال: «أما مروان فإنه استقبلني يردني فرددته عن ردي؟ وأما أمرك فلم أرده»، قال عثمان: أولم يبلغك إني قد نهيت الناس عن أبي ذر وعن تشييعه؟ فقال علي عليه السلام : «أو كلّ ما أمرتنا به من شئ يرى طاعة لله والحق في خلافه اتّبعنا فيه أمرك؟ بالله لا نفعل». قال عثمان: أقد مروان. قال وما أقيده؟ قال: ضربت بين أذني راحلته، قال علي عليه السلام : «أما

➔

➔

راحلتي فهي تلك فإن أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل، وأما أنا فوالله لئن شتمني لأشتمنك أنت مثلها بما لا أكذب فيه ولا أقول إلا حقاً». قال عثمان: ولم لا يشتمك إذا شتمته فوالله ما أنت عندي بأفضل منه. فغضب علي بن أبي طالبعليه السلام وقال: «إلي تقول هذا القول؟ وبمروان تعدلني؟ فأنا والله أفضل منك، وأبي أفضل من أبيك، وأمي أفضل من أمك، وهذه نبلي قد نثلتها وهلم فأقبل بنبلك». فغضب عثمان واحمرّ وجهه فقام ودخل داره وانصرف عليعليه السلام فاجتمع إليه أهل بيته ورجال من المهاجرين والأنصار، فلمّا كان من الغد واجتمع الناس إلى عثمان شكا إليهم علياًعليه السلام وقال: إنه يعيبني ويظاهر من يعيبني يريد بذل أبا ذر وعمار بن ياسر وغيرهما، فدخل الناس بينهما وقال له عليعليه السلام: «والله ما أردت تشييع أبي ذر إلا لله»، وفي رواية الواقدي من طريق صهبان مولى الأسلميين قال: رأيت أبا ذر يوم دخل به على عثمان فقال له: أنت الذي فعلت ما فعلت؟ فقال له أبو ذر: نصحتك فاستغششتني ونصحت صاحبك فاستغشني. فقال عثمان: كذبت ولكنّك تريد الفتنة وتحبّها قد أنغلت الشام علينا، فقال له أبو ذر: اتّبع سنة صاحبك لا يكن لأحد عليك كلام. قال عثمان: مالك وذلك لا أم لك؟ قال أبو ذر: والله ما وجدت لي عذراً إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فغضب عثمان وقال: أشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب إما أن أضربه أو أحبسه أو أقتله فإنه قد فرق جماعة المسلمين أو أنفيه من أرض الاسلام. فتكلّم عليعليه السلام وكان حاضراً وقال: «أشير عليك بما قاله مؤمن آل فرعون: ﴿**وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾». قال: فأجابه عثمان بجواب غليظ لا أحبّ ذكره وأجابه علي بمثله. قال: ثم إن عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر ويكلّموه فمكث كذلك أياماً ثم أمر أن يؤتى به فأتي به فلما وقف بين يديه قال: ويحك يا عثمان! أما رأيت رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم ورأيت أبا بكر وعمر؟ هل رأيت هذا هديهم؟ إنك لتبطش بي بطش الجبار فقال: أخرج عنا من بلادنا. فقال أبو ذر: ما أبغض إلي جوارك فإلى أين أخرج؟ قال: حيث شئت. قال: فأخرج إلى الشام أرض الجهاد. قال: إنما

➔

➔

جلبتك من الشام لما قد أفسدتها، أفأردك إليها؟ قال: فأخرج إلى العراق. قال: لا. قال: ولم؟ قال: تقدم على قوم أهل شبه وطعن في الأمة؟ قال: فأخرج إلى مصر، قال: لا. قال: فإلى أين أخرج؟ قال: حيث شئت. قال أبو ذر: فهو إذن التعرّب بعد الهجرة، أخرج إلى نجد، فقال عثمان: الشرف الأبعد أقصى فالأقصى، امض على وجهك هذا ولا تعدون الربذة فسر إليها فخرج إليها (انظر الغدير ج٨: ص٢٩ نقلاً عن المسعودي).

وقال اليعقوبي: وبلغ عثمان أن أبا ذر يقعد في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله ويجتمع إليه الناس فيحدث بما فيه الطعن عليه وأنه وقف بباب المسجد فقال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري، أنا جندب بن جنادة الربذي، إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذريّة بعضها من بعض والله سميع عليم. محمّد الصفوة من نوح فالأول من إبراهيم والسلالة من إسماعيل والعترة الهادية من محمّد، إنه شرف شريفهم واستحقّوا الفضل في قوم هم فينا كالسماء المرفوعة، وكالكعبة المستورة، أو كالقبلة المنصوبة، أو كالشمس الضاحية، أو كالقمر الساري، أو كالنجوم الهادية، أو كالشجر الزيتونية أضاء زيتها وبورك زيدها ومحمد وارث علم آدم وما فضلت به النبيّون، إلى أن قال: وبلغ عثمان أن أبا ذر يقع فيه ويذكر ما غير وبدل من سنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسنن أبي بكر وعمر فسيره إلى الشام إلى معاوية، وكان يجلس في المجلس فيقول كما كان يقول ويجتمع إليه الناس حتى كثر من يجتمع إليه ويسمع منه، وكان يقف على باب دمشق إذا صلى صلاة الصبح فيقول: جاءت القطار تحمل النار، لعن الله الآمرين بالمعروف والتاركين له، ولعن الله الناهين عن المنكر والآتين له. فقال: وكتب معاوية إلى عثمان إنك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذر فكتب إليه أن أحمله على قتب بغير وطاء فقدم به إلى المدينة وقد ذهب لحم فخذيه، فلمّا دخل إليه وعنده جماعة قال: بلغني أنك تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إذا كملت بنو أمية ثلاثين رجلاً اتخذوا بلاد الله دولاً، وعباد الله خولاً، ودين الله دغلاً؟ فقال: نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك. فقال لهم: أسمعتم رسول الله يقول ذلك؟ فبعث إلى علي بن أبي طالب فأتاه

➔

➔

فقال: يا أبا الحسن! أسمعت رسول الله يقول ما حكاه أبو ذر؟ وقص عليه الخبر، فقال علي: «نعم». قال: فكيف تشهد؟ قال لقول رسول الله ﷺ: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر». فلم يقم بالمدينة إلا أيّاماً حتى أرسل إليه عثمان: والله لتخرجن عنها، قال: أتخرجني من حرم رسول الله؟ قال: نعم وأنفك راغم، قال: فإلى مكة؟ قال: لا. قال: فإلى البصرة؟ قال: لا. قال: فإلى الكوفة؟ قال: لا. ولكن إلى الربذة التي خرجت منها حتى تموت فيها، يا مروان! أخرجه ولا تدع أحداً يكلّمه حتى يخرج. فأخرجه على جمل ومعه امرأته وابنته فخرج علي والحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر ينظرون، فلمّا رأى أبو ذر علياً قام إليه فقبّل يده ثم بكى وقال: إني إذا رأيتك ورأيت ولدك ذكرت قول رسول الله ﷺ فلم أصبر حتى أبكي. فذهب علي يكلّمه، فقال مروان: إن أمير المؤمنين قد نهى أن يكلّمه أحد. فرفع علي السوط فضرب وجه ناقة مروان وقال: «تنح نحاك الله إلى النار». ثم شيّعه وكلّمه بكلام يطول شرحه، وتكلّم كلّ رجل من القوم، وانصرفوا وانصرف مروان إلى عثمان، فجرى بينه وبين علي في هذا بعض الوحشة وتلاحيا كلاماً (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٧١).

وأخرج ابن سعد من طريق الأحنف بن قيس قال: أتيت المدينة ثم أتيت الشام فجمعت فإذا أنا برجل لا ينتهي إلى سارية إلا خر أهلها يصلي ويخف صلاته. قال: فجلست إليه فقلت له: يا عبد الله من أنت؟ قال: أنا أبو ذر، فقال لي: فأنت من أنت؟ قال: قلت أنا الأحنف بن قيس، قال: قم عني لا أعدك بشر، فقلت له: كيف تعدني بشر؟ قال: إن هذا يعني معاوية نادى مناديه ألا يجالسني أحد (انظر الطبقات لابن سعد ج٤: ص٢٢٩).

وأخرج ابن حجر من طريق ابن عباس قال: استأذن أبو ذر عثمان، فقال: إنه يؤذينا، فلمّا دخل قال له عثمان: أنت الذي تزعم إنك خير من أبي بكر وعمر؟ قال: لا، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أحبكم إلي وأقربكم مني من بقي على العهد الذي عاهدته عليه وأنا باق على عهده»، قال: فأمره أن يلحق بالشام وكان يحدثهم ويقول: لا يبيتن عند أحدكم دينار ولا درهم إلا ما ينفقه في سبيل الله أو يعدّه لغريم، فكتب معاوية إلى عثمان: إن

➔

حسبما نقل ذلك جماعة من المعترضين لهذه القصة، مثل ابن قتيبة، وابن جرير، وصاحب الكامل، وغيرهم من أهل العلم بالسير، من أنّهم خيّره بين عزل عمّاله الظلمة، وتسليم المظالم منهم، وردها إلى أهلها، وبين عزل نفسه وبين القتل، فأبى شيئاً من ذلك، بعدما وعدهم بأولها، فأخذ بعد الوعد يستعد لحربهم باطناً، بترتيب الجند فلمّا وصل إليهم خبره، ولم يغير شيئاً مما وعدهم به جائوه فخيره، فلم يقبل شيئاً من ذلك، فلمّا وجدوه منغمساً في الفساد قتلوه(١)، ولم تحدث منهم حادثة بعد قتله تجعل الناس مضطرين

➔

كان لك بالشام حاجة فابعث إلى أبي ذر. فكتب إليه عثمان أن أقدم علي فقدم (انظر فتح الباري في شرح البخاري ج٣: ص٢١٧). وإلى غير ذلك من الروايات والوثائق التاريخية التي أخرجها علماء أهل السنة، وهي تدلّ بالصراحة على أنّ سياسة عثمان كانت مبتنية على مخالفة النصوص القرآنيّة والسنن النبويّة، ولذلك اعترض عليه الصحابة كأبي ذر وغيره من كبار الصحابة وكان لأبي ذر منزلة عظيمة عند رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّه: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص١٧٥)، ولكن لم يعتني باعتراض هذا الشخص العظيم من الصحابة، ولا باعتراض غيره، وعندما شاهد الناس هذه المخالفات للكتاب والسنن النبويّة من عثمان، وتسليطه الطلقاء وبني أمية على المناصب الحكومية وكانت سيرتهم الظلم على الرعية، وبث السنن الجاهلية في الأموال والدماء والأعراض فثاروا عليه وقتلوه. وقد صرّح المؤرخون بأنّ قتل عثمان كان من جهة أنّه أراد أن يغيّر أحكام الإسلام بمخالفاته للقرآن والسنّة النبويّة كما سنبيّنه في المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(١) انظرالإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١: ص٤٤، تاريخ الطبري ج٣: ص٣٩٩، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣: ص١٥٠، ومروج الذهب للمسعودي ج٢: ص٣٤٣ وغيرهم.

من جهتها، فهم قتلوه قطعاً للفساد الذي حصل من قبله(١).

---

(١) لا يخفى على الخبير الباحث في التاريخ والسيرة والحديث، أنّ عثمان قتل في ثورة شعبية عارمة؛ وسببها الفساد الذي عمّ جميع حكومته الغاصبة، فكانت حكومته تهدّد المجتمع الإسلامي بأخطار حقيقية، ووصل في فترة إلى قمة هرمه. والذين شاركوا في قتله، ليسوا من الزنادقة، ولم يكونوا مجهولين الحال حتى يقال عنهم مجوسيّون أو خارجيّون بل كانوا من الصحابة وكثيراً منهم كان إلى درجة يستحيل تجاهلهم. ولذلك روى الترمذي في سننه أنّ عثمان كان يناشد من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يذكر فضائله، فلابد أن يكون من يخاطبهم عثمان ويناشدهم بقوله: هل تعلمون أن رسول صلى الله عليه وآله الله قال... (انظر سنن الترمذي ج٥: ص٢٩٠)، فهذه الرواية وغيرها صريحة في أنّ عثمان كان يخاطب الصحابة الذينهم سمعوا حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، فهؤلاء شاركوا في قتله. قال ابن حجر في الإصابة: وجاء من طرق شهيرة صحيحة عن عثمان لمّا أن حصروه أنشد الصحابة في أشياء منها تجهيزه جيش العسرة ومنها مبايعة النبي تحت الشجرة لما أرسله إلى مكة ومنها شراؤه بئر رومة وغير ذلك (انظر الإصابة لابن حجر ج٣: ص٢٢٣). وقد روى أحمد بن حنبل أنّ طلحة كان ضمن المحاصرين له فقد أخرج بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: شهدت عثمان يوم حوصر في موضع الجنائز ولو ألقي حجر لم يقع إلا على رأس رجل، فرأيت عثمان أشرف من الخوخة التي تلي مقام جبريل عليه السلام، فقال: أيها الناس أفيكم طلحة؟ فسكتوا، ثم قال: أيها الناس أفيكم طلحة؟ فسكتوا، ثم قال أيها الناس أفيكم طلحة؟ فسكتوا، ثم قال: أيها الناس أفيكم طلحة؟ فقام طلحة بن عبيد الله، فقال له عثمان: ألا أراك ها هنا؟ ما كنا أرى أنك تكون في جماعة تسمع ندائي آخر ثلاث مرات ثم لا تجيبني، أنشدك الله يا طلحة تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله في موضع كذا وكذا... (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٧٤). وممّا سبق يتضح الرد على من يحاول إنكار أن طلحة ومحمد بن أبي بكر كانوا ممّن حاصروا عثمان ومنعوه من شرب الماء ليجبروه على الاستقالة ففي رواية الترمذي التي ذكرناها يناشد عثمان من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يذكر فضائله، فيفترض أن يكونوا من الصحابة، ثم من ←

➔

سياق الرواية يتضح أن هناك محرضين أساسيين قال عثمان: ائتوني بصاحبيكم اللذين ألباكم علي، قال: فجيء بهما فكأنهما جملان أو كأنهما حماران... (انظر سنن الترمذي ج٥: ص٢٩٠).

وقال المالقي في مقتل عثمان أشرف على الناس وهو محصور فقال: من يعذرني في هذين الرجلين اللذين ألبا علي الناس، يحتمل أن يريد بالرجلين طلحة والزبير فإنهما كانا في جملة الذين تكلموا في شأن عثمان، ثم بان لهما الحق فانصرفا عنه وندما على ذلك ولهذا قال طلحة لما طعن: اللهم خذ لعثمان مني حتى ترضى (انظر مقتل عثمان للمالقي ج٢: ص١٦٧).

وكان عمرو بن العاص، رائد الاتجاه الانتهازي، الذي يتحدّد ولاءه بالمصلحة، فليس هو من الذين أسلموا طوعاً. وقد كان حريصاً على محو أثر الإسلام. غير أنّه لم يوفق. وهو واحد من الذين ساروا إلى النجاشي بالحبشة، لتأليبه على المهاجرين بقيادة جعفر بن أبي طالب، وظل عمرو حليفا لبني أمية، بينهما مصالح قوضوا في سبيلها روح الإسلام وفي زمن عثمان، كان عمرو يمارس دهاءه بشكل دقيق. كان في نهاية الأمر يدرك أن عثمان مهزوز السلطان وأن الثورة ستنشب لا محالة. فكان في كل مرة، يظهر للناس مواقفه الخادعة، ليموه عليهم، ثم يبرر ذلك لعثمان ليحافظ على مكانته عنده، قال مرة لعثمان: اتّق الله يا عثمان! فإنك قد ركبت نهابير وركبناها معك، فتب إلى الله نتب معك، فناداه عثمان: وإنك هناك يا ابن النابغة قملت جبتك منذ عزلتك عن العمل، فنودي من ناحية أخرى: أظهر التوبة يا عثمان يكفّ الناس عنك ونودي من ناحية أخرى بمثل ذلك (انظر تجارب الأمم لأحمد بن محمد مسكويه الرازي ج١: ص٤٤٦). فكان عمرو بن العاص حريصاً على علاقته بعثمان. ولمّا تفرّق القوم قال له: لا والله يا أمير المؤمنين، لأنت أعزّ علي من ذلك، ولكن قد علمت أن الناس قد علموا أنك جمعتنا لتستشيرنا، وسيبلغهم قول كل رجل منا. فأردت أن يبلغهم قولي فيثقوا بي لأقود إليك خيراً، وأدفع عنك شرّاً (انظر تجارب الأمم لأحمد بن محمد مسكويه الرازي ج١: ص٤٤٦). وبهذه الحالة بقي حتّى

➔

➔

مقتل عثمان، حين جاء يتوسّط لعثمان مع الثوار، فنهروه، واتّهموه، فول خائباً. وعندما قتل عثمان، ولم تعد المصلحة لعمرو بن العاص في أن يتمسك بشرعية عثمان. خرج إلى منزله بفلسطين، وكان يقول: والله إني كنت لألقى الراعي فأحرضه على عثمان.. ولما مر به راكب من المدينة وهو مع ابنيه محمد وعبد الله وسلامة بن روح الجذامي فسأله عمرو عن عثمان، فقال: هو محصور. قال عمرو: أنا أبو عبد الله، قد يضرط العير والمكواة في النار (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣: ص١٦٣).

وعلى كلّ تقدير فقد استطاع الصحابة أن يتّصلوا بأهل الأمصار ليخبروهم بما سيجري في المدينة، فاجتمعت كلمة المسلمين في الداخل والخارج، واجتمع رأي الأمصار على إرسال الوفود تحت غطاء الحجّ. وكانت الوفود تتألّف من ثلاث أمصار الوفد المصري يتألف من خمسمائة إلى - ألف يتزعمهم محمد بن أبي بكر - وفيهم عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر الليثي وسودان بن حمران السكوني وقتيرة بن فلان السكوني. وكان محمد بن أبي بكر قد خرج وبقي محمد بن أبي حذيفة في مصر وغلب عليها لما ذهب عنها عبد الله بن سعد (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣: ص١٥٨). والوفد الكوفي، يتألّف من عدد أهل مصر، على رأسهم مالك الأشتر وفيهم زيد بن صوحان العبدي والأشتر النخعي وزياد بن النضر الحارثي وعبد الله بن الأصم العامري (تاريخ الطبري ج٥: ص١١١). والوفد البصري، ويتألّف من نفس عدد أهل مصر عليهم حكيم بن جبله العبدي، وذريع بن عباد، وبشر بن شريح القيسي، وابن المحترش، ويذكر ابن الأثير، أن أميرهم كان هو حوقوص بن زهير السعدي وكان خروجهم بشوال جميعاً (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣: ص١٥٨). وإلى غير ذلك من النصوص والوثائق التاريخية الدالّة على أنّ قتل عثمان كان على يد الصحابة الثائرين عليه من مختلف البلاد رافعين أصواتهم ضد الفساد والطغيان، فحاصروا بيته حتّى قتلوه في داره والقوا بجسده إلى البقيع، ودفنوه في مقابر اليهود. وقد تبعه ما تبعه من الحوادث الهامّة، والمهم أنّ عموم الصحابة والمسلمين كانوا راضين وموافقين لقتله، وإنّ سخط بعض الخواصّ لا

🡐

وقد تقدّم إليه عليعليه السلام بقوله لـه: «إنّ النـاس فـي حاجـة إلـى عـدلك دون قتلك»، فقال له: أعطهـم منـي مـا يرضـيهم، فقـال لهـم علـيعليه السلام: «قـد طلبتم العدل فأعطيتموه فلم يف لهم بـه بعـد حلفـه لهـم علـى عـزل عمّالـه، وتسلم المظالم منهم»[1]. هذا مختصر القصة.

يؤثر شيئاً في الواقع وحقيقة الأمر، لأنّ الفرد والأفراد القليلين لم يقدروا على مقاومة تلك المظاهرة العظيمة ولا مساعدة شيئاً له. فقتل عثمان كان من أجل الفساد والظلـم والجـرائم التي ارتكبها، وبعبارة الأخرى كان ردّ فعل المسلمين والصحابة ممّا ارتكبـه مـن الجـرائم، فلاحظ.

(١) قال ابن أبي الحديد في حديث طويل أنّه قال بعد مـا حوصـر عثمـان الـتمس إلـى الإمـام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وقال له: قد ترى ما كان مـن النـاس، ولـست آمـنهم على دمي، فارددهم عني، فإني أعطيهم ما يريدون من الحق من نفسي ومن غيـري، فقـال علي: «إن الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، وإنهم لا يرضون إلا بالرضا وقد كنت أعطيتهم من قبل عهداً فلم تف به، فلا تغرّر في هـذه المـرّة، فـإني معطـيهم عنـك الحـقّ»، قال: أعطهم فوالله لأفين لهم (انظر شـرح نهـج البلاغـة لابـن أبـي الحديـد ج٢: ص١٥١)، ورواه الطبري في تاريخه ج٣: ص٤٠٣، وابن الأثير في الكامل فـي التـاريخ ج٣: ص١٧٠، وابن مسكويه في تجارب الامم ج١: ص٤٥٠ وغيرهم.

فخرج علي إلى الناس فقال: أيها الناس ، إنكم إنما طلبتم الحق فقد أعطيتموه. إن عثمـان قـد زعم أنه منصفكم من نفسه ومن غيره، وراجع عن جميع ما تكرهون، فاقبلوا منه، ووكـدوا عليه». قال الناس : قد قبلنا، فاستوثق منه لنا، فإنا والله لا نرضى بقول دون فعـل، فقـال لهـم علي: «ذلك لكم». ثم دخل عليه فأخبره الخبـر، فقـال عثمـان: اضـرب بينـي وبيـنهم أجـلاً يكون لي فيه مهلة، فإني لا أقدر على رد ما كرهوا في يوم واحـد. قـال لـه علـيعليه السلام: «مـا حضر بالمدينة فلا أجل فيه»، وما غاب فأجله وصول أمرك». قال: نعم، ولكن أجّلني فيمـا

خامسها: إنّ ما قاله من كون الناس في حق عليعليه السلام ثلاث فرق، ليس يضرّ بمدعى الخصم[1]؛ فإنّ مدّعاه حسبما عرفت كون الناس هرعت إليهعليه السلام، وبايعته بعد قتل عثمان بطباعهم وميلهم[1]،

➔

بالمدينة ثلاثة أيام. قال علي: «نعم». فخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك، وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً أجله فيه ثلاثاً على أن يرد كل مظلمة، ويعزل كل عامل كرهوه. ثم أخذ عليه في الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد وميثاق، وأشهد عليه ناساً من وجوه المهاجرين والأنصار. فكفّ المسلمون عنه، ورجعوا إلى أن يفي لهم بما أعطاهم من نفسه، فجعل يتأهب للقتال، ويستعد بالسلاح، وقد كان اتخذ جنداً عظيماً من رقيق الخمس. فلمّا مضت الأيام الثلاثة وهو على حاله، لم يغير شيئاً ممّا كرهوه، ولم يعزل عاملاً، ثار به الناس. وخرج عمرو بن حزم الأنصاري حتى أتى المصريين وهم بذي خشب، فأخبرهم الخبر، وسار معهم حتى قدموا المدينة، فأرسلوا إلى عثمان: ألم نفارقك على أنك زعمت أنك تائب من أحداثك، وراجع عمّا كرهنا منك، وأعطيتنا على ذلك عهد الله وميثاقه؟ قال: بلى، أنا على ذلك. قال: فما هذا الكتاب الذي وجدنا مع رسولك (انظر تاريخ الأمم والملوك ج٥: ص١١٦، والغدير ج٩: ص١٦٢-١٧٦). وتذكر بعض النصوص: أنّه لمّا راجع الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام عثمان في أمر الكتاب إلى عامله بمصر، وأنكر عثمان أن يكون قد كتبه أقبل عثمان على الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فقال: إن لي قرابة ورحماً، والله لو كنت في هذه الحلقة لفككتها عنك، فأخرج إليهم فكلّمهم، فإنهم يسمعون منك. قال الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: والله ما أنا بفاعل. ولكن أدخلهم حتى تعتذر إليهم، فأدخلوا (انظرتاريخ الأمم والملوك ج٣: ص٤٠٧، والغدير ج ٩ ص ١٨٢). وإلى غير ذلك من المصادر.

(١) لايخفى أنّ ماذكره ابن تيمية من هذا التقسيم الثلاثي مضافاً إلى كونه ادعاء بلا دليل، يدلّ على شدّة بغضه للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام حيث يقول: وكان

➔

➔

الناس معه ثلاثة أصناف: صنف قاتل معه، وصنف قاتله، وصنف لم يقاتله ولم يقاتل معه، يعني يعتقد أن الناس بالنسبة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب‌عليه‌السلام صاروا على ثلاثة أقسام طائفة قاتلت الإمام، وطائفة قاتلت مع الإمام، وطائفة قعدت، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. ولكن جميع علماء أهل السنّة صرّحوا بأنّ إجماع المسلمين قام على إمامة مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب‌عليه‌السلام بعد مقتل عثمان، فكان خلافته‌عليه‌السلام وإمامته شرعيّاً عند جميع أهل السنّة، فمن اللازم عليهم القول بوجوب طاعة الإمام‌عليه‌السلام على جميع المسلمين، ومن خرج عن طاعته ومات كانت ميتته ميتة جاهلية وكفر وضلال، حيث أنّه بلا الإمام الشرعي الذي تجب طاعته عليه وهذا أمر ضروري عند أهل السنة؛ إذ جميع العلماء من المذاهب والفرق السنيّة تعتقد أنّ من قام على إمامته الإجماع فهو إمام شرعي تجب طاعته. وعليه لا بدّ وأن يقول ابن تيمية في هذا المجال: لا يكون هناك إلاّ صنفان من الناس صنف من كان مؤمناً حقيقياً فكان عليه أن يلتزم بإجماع أهل السنّة، وقد وجب عليه أن يعمل حسب وظيفته في الإمامة، وصنف غير مؤمن ومنافق خارج عن طاعة الإمام ولا ثالث لهما. فما ذكره من التقسيم الثلاثي موجب لخروجه عن الإلتزام المذهبي المجمع عليه عند جميع أهل السنّة، ودال على شدّة بغضه للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب‌عليه‌السلام، فبطلان قوله أوضح من أن يخفى على أحد.

(١) لا يخفى على الباحث المتتبّع في الآثار والمتدبّر في الأخبار والمصادر الإسلامية أنّه قام الإجماع على خلافة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب‌عليه‌السلام والبيعة له بالخلافة الشرعيّة المعتبرة عند جميع أهل السنّة بعد مقتل عثمان، وهذا من المسلمات الذي نقلوا الإجماع عليه في كتبهم ومصنفاتهم المشهورة، منهم: محمد بن سعد في الطبقات، قال: وبويع لعلي بن أبي طالب‌رحمه‌الله بالمدينة الغد من يوم قتل عثمان بالخلافة بايعه طلحة والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعمار بن ياسر، وأسامة بن زيد، وسهل بن حنيف، وأبو أيوب الأنصاري ومحمد بن مسلمة وزيد بن ثابت، وخزيمة بن ثابت وجميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله وغيرهم (انظر

➔

➔

الطبقات لابن سعد ج٣: ص ٣١). كما نقل بعضهم إجماع الصحابة ومن جاء بعدهم من أهل السنّة والجماعة على بيعة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. منهم الطبري، قال: فأتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل عثمان ولا بدّ للناس من إمام ولا نجد اليوم أحق بهذا الأمر منك، لا أقدم سابقة، ولا أقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: «لا تفعلوا فإني أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً»، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك، قال: «ففي المسجد فإن بيعتي لا تكون خفياً ولا تكون إلا عن رضى المسلمين»، وروى بسند آخر وقال: اجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير فأتوا علياً، فقالوا: يا أبا الحسن، هلم نبايعك، فقال: «لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به، فاختاروا والله»، فقالوا: والله ما نختار غيرك، قال: فاختلفوا إليه بعدما قتل عثمان مراراً ثم أتوه في آخر ذلك، فقالوا له: إنه لا يصلح الناس إلا بإمرة وقد طال الأمر، فقال لهم: «إنكم قد اختلفتم إلي وأتيتم وإني قائل لكم قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم وإلا فلا حاجة لي فيه»، قالوا: ما قلت قبلناه إن شاء الله، فجاء فصعد المنبر فاجتمع الناس إليه فقال: «إني قد كنت كارهاً لأمركم فأبيتم إلا أن أكون عليكم، ألا وإنه ليس لي أمر دونكم، ألا إن مفاتيح مالكم معي، ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم، رضيتم؟» قالوا: نعم، قال: «اللهم اشهد عليهم»؛ ثم بايعهم على ذلك.. (تاريخ الطبري ج٣: ص ٤٥٠).

وروى البلاذري وقال: وخرج علي فأتى منزله، وجاء الناس كلّهم يهرعون إلى علي عليه السلام، أصحاب النبي وغيرهم، وهم يقولون: إن أمير المؤمنين علي حتى دخلوا داره، فقالوا له: نبايعك، فمد يدك فإنه لا بدّ من أمير، فقال علي عليه السلام: «ليس ذلك إليكم إنما ذلك إلى أهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة»، فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى علياً، فقالوا: ما نرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منك... فلمّا رأى علي عليه السلام ذلك، صعد المنبر وكان أول من صعد إليه فبايعه طلحة بيده، وكانت إصبع طلحة شلاء فتطيّر منها علي وقال: «ما أخلقه أن ينكث» (انساب الأشراف ج٥: ص ٥٦٠).

🡐

وليس يضرّ ذلك صيرورتهم فرقاً بعد ذلك(١)، مثل عدم حصول ضرر لهذه

➔

وقال ابن عبد ربه: لمّا قُتل عثمان بن عفّان، أقبل الناس يهرعون إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فتراكمت عليه الجماعة في البيعة، فقال: «ليس ذلك إليكم، إنّما ذلك لأهل بدر ليبايعوا». فقال: «أين طلحة والزبير وسعد؟» فأقبلوا فبايعوا، ثمّ بايعه المهاجرون والأنصار، ثمّ بايعه الناس. وذلك يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين وكان أوّل من بايع طلحة، فكانت إصبعه شلاّء، فتطيّر منها عليّ، وقال: «ما أخلقه أن ينكث» (العقد الفريد ج٣: ص٣١١).

وروى الخوارزمي في مناقبه بسنده عن سعيد بن المسيّب: خرج عليّ عليه السلام فأتى منزله، وجاء الناس كلّهم يهرعون إلى عليّ عليه السلام، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، حتى دخلوا عليه داره، فقالوا له: نبايعك، فمدّ يدك؛ فلا بدّ من أمير فقال عليّ عليه السلام: «ليس ذلك إليكم، إنّما ذلك لأهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة»؛ فلم يبق من أهل بدر إلا أتى عليّاً، فقالوا: ما نرى أحداً أحقّ بها منك؛ مدّ يدك نبايعك. فقال: «أين طلحة والزبير؟» فكان أوّل من بايعه طلحة، فبايعه بيده، وكانت إصبع طلحة شلاّء، فتطيّر منها عليّ وقال: «ما أخلَقَه أن ينكث»، ثمّ بايعه الزبير، وسعد، وأصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله جميعاً (المناقب للخوارزمي: ص٤٩ ح١١). وإلى غير ذلك من الروايات والنصوص الواردة في المقام، فإنّ الروايات وأقوال علماء أهل السنّة صريحة في انعقاد الإجماع على خلافة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والبيعة له للخلافة والإمامة بعد مقتل عثمان، وأنّ الصحابة بايعوه بطيبة النفس والميل القلبي، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه من المسلّمات عند أهل السنّة انعقاد الإجماع على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والخلافة الشرعية له ببيعة أكثر الصحابة له بطيبة النفس والميل القلبي، وقد صرّح بذلك علماء أهل السنّة (انظر الطبقات لابن سعد ج٣: ص٣١)، وغيره من المصادر السنيّة.

وعليه فإنّ إختلاف بعض الناس أو بعض الصحابة لايضرّ بهذا الإجماع، بل يلزمهم العمل به

➔

الدعوى بتخلّف جماعة عن البيعة(١)، ولو من جهة عدم حضورهم، فإنّ المدعى ليس بيعة جميعهم، بل هو ما عرفت وهو حاصل ببيعة غالب من حضر(٢).

من باب وجوب العمل بالحجّة ولايجوز لهم رفع اليد عن الحجّة الشرعيّة؛ لأنَّ الإجماع حجّة عند جميع علماء أهل السنة، أقوال بعض الصحابة في مقابل إجماعهم لا تكون حجّة، ولا تعارض بين لاحجّة والحجة، فمهما كانت الأقوال والفرق لا تضرّ بانعقاد الإجماع على خلافة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والبيعة له بالخلافة الشرعية، وهذا ما أطبق عليه جميع علماء أهل السنّة، فلاحظ

(١) وتوضيح المقام أنّ علماء أهل السنّة يعتقدون أنّه لو قام الإجماع على خلافة أحد يلزم على جميع المسلمين البيعة له بالخلافة والإمامة؛ لأنّ الإجماع عندهم حجّة شرعية فيلزمهم العمل به. وعليه فإنّ مخالفة البعض له لا يضرّ بالإجماع، لأنّ الإجماع حجّة عندهم ورأي المخالف لايكون حجةّ، فمخالفة قول البعض لا يقدح بالإجماع؛ لأنّ الإجماع حجّة عندهم، ولاحجّة لا تتعارض مع الحجّة.

فبناءً على هذا الاعتقاد منهم، أنّ تخلّف بعض الصحابة لخلافة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد مقتل عثمان لا يضرّ بالإجماع الحاصل من الصحابة على خلافته وإمامته.

(٢) لقد صرّح علماء أهل السنّة بأنّ الخلافة الشرعيّة تتحقّق بإجماع الأمّة، أو بإجماع أهل الحلّ والعقد، وهم يمثلون الأمّة، فيقولون: أنّ أهل حلّ وعقد من الأمّة كانوا مجتمعين في المدينة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وقد بايعوا الخليفة، وتمّت البيعة له بالخلافة. وهذا ما يسمّونه ببيعة أهل الحلّ والعقد. وأيضاً يقولون بأنّ أهل المدينة يمثّلون كلّ جزيرة العرب تمثيلاً حقيقيّاً، وكان العرب تبعاً لهم، كما قال العبدي لطلحة والزبير: يا معشر المهاجرين أنتم أول من أجاب رسول الله صلى الله عليه وآله فكان لكم بذلك فضل، ثم دخل الناس في الإسلام

فإن قال، قد برهن إمامه أحمد على إمامة عليعليه السلام بخبر سفينة(١)،

➔

كما دخلتم، فلمّا توفي رسول اللهصلى الله عليه وآله بايعتم رجلاً منكم، والله ما استأمرتمونا في شيء من ذلك، فرضينا واتبعناكم، فجعل الله عزّ وجلّ للمسلمين في إمارته بركة، ثم مات، واستخلف عليكم رجلاً منكم فلم تشاورونا، في ذلك فرضينا وسلمنا (انظر تاريخ الطبري ج٣: ص٤٨٦). وقد بنى على ذلك علماء أهل السنّة فهم يعتقدون أنّ عدم حضور جميع المسلمين في المدينة لا يضرّ بإجماع الأمّة على خلافة من قام الإجماع أهل المدينة على خلافته، أو على من بايعه أهل الحل والعقد. وعليه فإنّ علماء أهل السنّة قد صرحوا في كتبهم ومصنّفاتهم المعتمدة عليها أنّ الصحابة في المدينة بايعوا مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام للخلافة والإمامة بعد مقتل عثمان، فعدم حضور الكلّ لايضرّ بهذا الإجماع، وبناءً على ما أسّسه علماء أهل السنّة في المقام كان من الواجب على جميع المسلمين أن يتّبعوا ويقرّوا بإمامة مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، ومن خالف ذلك فهو ممّن فارق الجماعة ويشمله الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال: قال النبيصلى الله عليه وآله: من رأى من أميره شيئاً فكرهه فليصبر فإنّه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية (صحيح البخاري ج٨: ص١٠٥ كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للامام ما لم تكن معصية). فالحديث صريح في وجوب البيعة قبول الإمامة كما صرح بذلك جميع علماء أهل السنّة، فلاحظ.

(١) لقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن سعيد بن جمهان قال: حدثني سفينة قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: الخلافة في أمّتي ثلاثون سنة ثم ملكاً بعد ذلك ثم قال لي سفينة أمسك خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان وأمسك خلافة عليعليه السلام، قال: فوجدناها ثلاثين سنة، ثم نظرت بعد ذلك في الخلفاء فلم أجده يتفق لهم ثلاثون، فقلت لسعيد: أين لقيت سفينة؟ قال: لقيته ببطن نخل في زمن الحجاج، فأقمت عنده ثمان ليال أسأله عن أحاديث رسول اللهصلى الله عليه وآله، قال: قلت له: ما اسمك؟ قال: ما أنا بمخبرك سماني

➔

رسول الله ﷺ سفينة، قلت: ولم سماك سفينة، قال: خرج رسول الله ﷺ ومعه أصحابه، فثقل عليهم متاعهم، فقال لي: ابسط كساءك، فبسطته فجعلوا فيه متاعهم ثم حملوه علي، فقال لي رسول الله ﷺ: احمل فإنما أنت سفينة فلو حملت يومئذ وقر بعير أو بعيرين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستّة أو سبعة ما ثقل علي إلا أن يجفوا (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٢٢١). وقد روى هذا الحديث غير واحد من علماء أهل السنّة عن سعيد بن جمهان عن سفينة بألفاظ متقاربة فروى الترمذي بسنده عن سعيد بن جمهان قال، حدثني سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك، ثم قال لي سفينة: امسك عليك خلافة أبى بكر، ثم قال: وخلافة عمر وخلافة عثمان، ثم قال: امسك خلافة علي فوجدناها ثلاثين سنة. قال سعيد: فقلت له: إن بنى أمية يزعمون أن الخلافة فيهم، قال: كذب بنو الزرقا بل هم ملوك من شر الملوك. وفي الباب عن عمرو على قالا لم يعهد النبي ﷺ في الخلافة شيئاً. ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن (انظر سنن الترمذي ج٣: ص٣٤١ ح٢٣٢٦).

أقول: وهذا الحديث غير صحيح سنداً على مباني علماء أهل السنّة، وإن صحّحه غيرواحد منهم كأحمد بن حنبل والترمذي غيرهما، ولكن الصواب أن الحديث لم يصح عند أكثرعلماء أهل السنّة؛ لأنّ في سنده سعيد بن جهمان، وهو ضعيف عند أكثرهم. مضافاً إلى أنّ سفينة مجهول لا تصحّ صحبته كما عليه علماء التراجم، فقيل: أنّه مولى فارسي، اسمه مجهول ويوجد حوالي ثلاثين اسم منسوب له، وأدعي أنّه كان خادم النبي ﷺ، ولا دليل على ذلك، بل ولا دليل على صحبته إلا الإدعاءات الواردة في المقام. ولو كان خادم النبي ﷺ لكان له ذكر بين الصحابة، فأين ما يدل على ذلك؟ بل وحتّى ذكر بعض المصادر الفضائل المخترعة له بصيغة خرافية عند الفرس. ومنها ما ورد في حقه أنّه قيل لسعيد: أين لقيت سفينة؟ قال: لقيته ببطن نخلة في زمن الحجاج، فأقمت عنده ثمان ليال أسأله عن أحاديث رسول الله ﷺ، قال: قلت له: ما اسمك؟ قال: ما أنا بمخبرك، سماني رسول الله ﷺ سفينة. قلت: ولم سماك سفينة؟ قال: خرج رسول الله ﷺ ومعه أصحابه،

قيل له من الضروري لدى ذوي العلم بالمنقول عدم وجود ذكر للخبر

➔

فثقل عليهم متاعهم، فقال لي: «ابسط كساءك» فبسطته، فجعلوا فيه متاعهم، ثم حملوه علي، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : احمل، فإنما أنت سفينة فلو حملت يومئذ، وقر بعير أو بعيرين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة ما ثقل علي إلا أن تجفو (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٢٢١).

وقال ابن الأثير في أسد الغابة: واختلف في اسمه فقيل مهران وقيل رومان وقيل عبس كنيته أبو عبد الرحمن وقيل أبو البختري والأول أكثر روى عنه حشرج بن نباته وسعيد بن جمهان، وروى عنه محمد بن المنكدر انه قال: ركبت سفينة فانكسرت فركبت لوحاً منها فطرحني إلى الساحل فلقيني أسد فقلت: يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فطأطأ رأسه وجعل يدفعني بجنبه أو بكتفه حتى وقفني على الطريق فلما وقفني على الطريق همهم فظننت أنه يودعني وسماه رسول الله صلى الله عليه وآله سفينة لأنه كان معه في سفر.. (أسد الغابة لابن الأثير ج٢: ص٣٢٤).

وقد كانت له أحاديث منكرة مثل ما رواه الحاكم النيسابوري في المستدرك عنه، قال: لما بنى رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد جاء أبو بكر بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بحجر فوضعه، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هؤلاء ولاة الأمر من بعدي (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٣). وهذا كذب صريح، إذ لو صحّ هذا الخبر لما اختلف أحد من الصحابة في سقيفة بني ساعدة، ولم يستند بهذا الحديث أحد في السقيفة، ولا في الشورى العمريّة ولا بعده. وهناك قصص ينسبونه إليه فيما يرويه، ولكن كذبه ظاهر جدّاً.

ولذلك اعترض الترمذي على حديثه في الخلافة فقال: وفي باب ما جاء في الخلافة، وبعد ذكر حديث سفينة قال الترمذي: وهذا حديث حسن قد رواه غير واحد عن سعيد بن جمهان ولا نعرفه إلا من حديثه (انظر سنن الترمذي ج٣: ص٣٤١)، أي أنّه مجهول. وعلى أي حال فإنّ الحديث ضعيف والرجل منكر لا يعتمد عليه. من حيث الدلالة باطل عند علماء أهل السنّة لأنّ دلالتها مخالفة لإجماع علماء أهل السنّة، فلاحظ.

المشار إليه في المقامات التي يلزم ذكره فيها؛ لشدّة الحاجة مثل يوم السقيفة، فإنّ إمامها ومن بايعه لم يذكره فيها، وهم في منتهى الضرورة إلى أدنى نصّ، ولم يذكروه في غيرها من المقامات التي يجب ذكره فيها حتى في نصب أبي بكر لعمر، وفي جعل الشورى، وفي مسألة الحكمين، وفي مصالحة الحسن عليه السلام لمعاوية وغير ذلك[1].

---

(١) لايخفى على الخبير الباحث في كتب الأخبار والروايات أنّ رواية سفينة التي أخرجها جماعة من أعلام أهل السنّة في كتبهم، غير صحيحة عند المحقّقين كما تقدمت الإشارة إلى ذلك، وإن صحّحها بعض أصحاب السنن والحديث من أهل السنّة كابن حبان وغيره، ولكن الأدّلة القاطعة دالة على أنّها من الروايات التي دسّها الوضاعون والكذّابون من الرواة في عهد بني أمية لتقليب الحقائق، فإنّ المكر والتزوير الأموي في جعلها أوضح من أن يخفى على أحد، حيث أنّ كبار علماء أهل السنّة عرفوا معارضتها للروايات الصحيحة التي أخرجها البخاري ومسلم في صحيحهما ومضمونها أنّ الخلفاء من بعد الرسول صلى الله عليه وآله اثنى عشر؛ ولذلك أنّ شراح البخاري ومسلم كالعيني وابن حجر والنووي وغيرهم وقعوا في عويصة لم يمكنهم التخلص منها إلاّ بتأويلات باردة غير علمية، فقال العيني: فإن قلت: يعارض حديث سفينة ما رواه مسلم من حديث جابر بن سمرة: لا يزال هذا الدين قائماً ما كان اثني عشرة خليفة، كلهم من قريش... الحديث. قلت: قيل: إن الذين لم يزل قائماً حتى وليّ اثني عشر خليفة كلهم من قريش، وأراد بهذا خلافة النبوّة ولم يرد أنه لا يوجد غيرهم، وقيل: هذا الحديث فيه إشارة بوجود اثني عشر خليفة عادلين من قريش، وإن لم يوجدوا على الولاء وإنما اتفق وقوع الخلافة المتتابعة بعد النبوة في ثلاثين سنة، ثم قد كان بعد ذلك خلفاء راشدون منهم: عمر بن عبد العزيز، ومنهم المهتدي بأمر الله العباسي، ومنهم المهدي المبشر بوجوده في آخر الزمان (عمدة القاري في شرح البخاري للعيني ج١٦: ص٧٤). وكما ترى أنّ أمر أوضح من أن يخفى على أحد؛ حيث أنّ حديث اثنى عشر خليفة مدلوله واضح والعدد يحدد مفهومه، ولايمكن مخالفته إلاّ برفع اليد عن ←

➔

الحديث ومدلوله، فالتعصب الى خلفاء الجور قد دفع العيني إلى إنكار هذا الأمر البديهي.
كما أنّ ابن حجر أيضاً وقع في هذه الورطة ولم يمكنه التخلص منها، فقال في شرح الحديث: أخرجه أحمد وأصحاب السنن، وصحّحه ابن حبان وغيره من حديث سفينة أن النبيﷺ قال: الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً عضوضاً، قال ابن التين ما قاله ذو عمرو وذو الكلاع لا يكون إلا عن كتاب أو كهانة وما قاله ذو عمرو لا يكون إلا عن كتاب (فتح الباري ج٨: ص٦١). ولاحاجة للبحث في ذلك بعد وضوح أنّ التأويلات والتوجيهات لا أساس لها في الميادين العلمية.

قال الدكتور محمود أبو رية في كتابه أضواء على السنّة المحمدية: وعلى أن هذه الأحاديث قد جعلت الخلفاء اثنى عشر، فقد رووا حديثاً يعارض هذه الأحاديث جميعاً، وهو حديث سفينة الذي أخرجه أصحاب السنن وصحّحه ابن حبان وغيره الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكاً وكذلك أخرج أبو داود من حديث ابن مسعود رفعه تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين سنة أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين، فإن هلكوا فسبيل من هلك وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاماً، وزاد الطبراني والخطابي: فقالوا: سوى ما مضى؟ قال: نعم. أقوال بعض العلماء في هذه الأحاديث: قال القاضي عياض: توجه على هذا العدد أي الاثني عشر سؤالان:

أحدهما أنه يعارضه ظاهر قولهﷺ في حديث سفينة الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكاً لأن الثلاثين سنة لم يكن فيها إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن بن علي عليه السلام.

والثاني أنه ولى الخلافة أكثر من هذا العدد. وقال ابن الجوزي في كشف المشكل: قد أطلت البحث عن معنى هذا الحديث، وتطلبت مظانه، وسألت عنه فلم أقع على المقصود، لأن ألفاظه مختلفة، ولا أشك أن التخليط فيها من الرواة. أما السيوطي فبعد أن أورد ما قاله العلماء في هذه الأحاديث المشكلة. خرج برأي غريب نورده هنا تفكهة للقراء وهو وعلى هذا فقد وجد من الاثني عشر، الخلفاء الأربعة والحسن عليه السلام ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز - وهؤلاء ثمانية ويحتمل أن يضم إليهم المهدي من العباسيين لأنه

🡐

←

فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني أمية، وكذلك الظاهر، لما أوتيه من العدل وبقي الاثنان المنتظران!! أحدهما المهدي! لأنه من أهل البيت محمد ولم يبين المنتظر الثاني - ورحم الله من قال في السيوطي إنه حاطب ليل وقبل أن نختم الكلام عن المهدي نثبت هنا كلمة عنه للعلامة الكبير الأستاذ مرتضى العسكري من كبار علماء العراق تبيّن عقيدة الشيعة الإمامية الاثنا عشرية في المهدي، قال من جواب طويل بعث به إلينا: الشيعة الاثنا عشرية يعتقدون أن الأرض لم تخل من حجة لله على خلقه ولا تخلو منه كذلك، وهو إما أن يكون نبياً يوحي إليه أو من يعين من قبله على شريعته من بعده، ويبينها لأمته وهم يرون في الأحاديث الاثني عشر التي أوردتموها في كتابكم ص٢١٠-٢١١ تحت عنوان "الخلفاء الاثنا عشر" بياناً لعدد الأئمة الاثني عشر الذين يلون أمر الدين بعد النبي ﷺ، فإن هذا العدد لا ينطبق على الراشدين، ولا الأمويين ولا غيرهم مضافا إلى مئات الأحاديث التي يروونها بطرقهم الخاصة عن رسول الله ممّا فيه التنصيص على ذلك. وثاني عشر هؤلاء الأئمة عندهم هو المهدي ابن الحسن العسكري المولود بسامراء سنة ٢٥٥ هـ والذين يعتقدون فيه أنه لا يزال حيا كحياة نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً بين قومه، وكحياة عيسى الذي ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم بل رفعه الله إليه.... وهم يعتقدون بأن المهدي موجود وحي بقدرة الله التي جعلت الطين طيراً لإبراهيم، والنار برداً وسلاماً له، والإيمان بوجوده كل هذه المدّة دليل على الإيمان بقدرة الله، ويعتقدون أنه موجود بين الناس، وقد يعاينهم كأحدهم دون أن يشخصوه ومما يذكر من فوائد وجوده أنه إذا أحتاج المسلمون إلى بيان رأي خفي فيه وجه الصواب يقوم بإرشاد بعض العلماء إلى صواب الرأي في الأمر أما موعد ظهوره فإنهم يجمعون على أنه من الغيب الذي لا يعرفه إلا الله وأن لظهوره علائم منها ما هو حتمي الوقوع، وأخرى غير حتميّة على ما في الأحاديث، وأنه يبدأ ظهوره من مكّة على الأشهر، وتكون حملته الأولى من جيش عدده كعدد جيش رسول الله ﷺ في بدر، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأنه يحكم بين الناس بالواقع وإن خالف ذلك شهادة الشاهدين، أما سرداب الغيبة الذي قيل عنه في الحلة أو

←

مضافاً إلى تحقيق كذب الخبر بنفس ما نقله إمامه أحمد من السنن الصحيحة في مسنده التي دلّت على إمامة عليعليه السلام دون المتقدّمين عليه

➔

سامراء فلم أسمع بشيعي يقول بغيبة المهدي فيه، أو بوجوده فيه، أو بخروجه منه، ولعلّ السرداب الموجود في سامراء كان مصلى للإمامين علي الهادي والحسن العسكريعليهما السلام اتخذاه مصلى لهما للعبادة فقد كانوا يتخذون في بيوتهم مصلى يعبدون الله فيه، ثم بقي كذلك حتى اليوم.... (أضواء على السنة المحمدية للدكتور محمود أبو رية: ص٢٣٤).

وملخص الكلام أنّ حديث سفينة أولاً يكون معارضاً للروايات الصحيحة عند أهل السنّة والجماعة، ولا سبيل للعلاج والجمع بينه وبين الأخبار المتعارضة له كما تقدمت الإشارة إليها.

وثانياً: لو كان الحديث صادراً من النبي الأكرمصلى الله عليه وآله لكان مشهوراً عند الصحابة ولاستدلّ به أبوبكر في السقيفة؛ لشدّة حاجته به آنذاك.

وثالثاً: لوكان الحديث صحيحاً لماذا قرّرعمر بن الخطاب الشورى، وأمر بكل إصرار وشراسة ترشيح الستة كي يختاروا من بينهم الخليفة، وهدّدوا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بضرب عنقه إن لم يسلّم لهم؟!!!

ورابعاً: لوكان الحديث صحيحاً لاحتجّ به عثمان في الشورى العمريّة على أهل الشورى بأولويّته للخلافة بهذا الحديث!!!

وخامساً: لو كان الحديث صحيحاً لاستدل به مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في واقعة صفّين عند مسالة الحكمين.

وسادساً: لوكان الحديث صحيحاً لاستدلّ به الإمام الحسنعليه السلام في المصالحة مع معاوية.

ولكلّ ذلك وغيرها يعلم الباحث الخبير أنّ هذا الحديث مجعول ومدسوس من قبل عمال الخلفاء الأمويين فلا اعتبار به.

حسبما نبّهنا عليها فيما مضى [(١)]،

(١) وتوضيح المقام أنّه أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن البراء بن عازب قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر فنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول الله صلى الله عليه وآله تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد علي عليه السلام فقال: «ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة (مسند أحمد بن حنبل ج ٤: ص ٢٨١).

وأخرج أيضاً بسنده عن أبي عبيد عن ميمون أبي عبد الله قال: قال زيد بن أرقم وأنا أسمع نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بواد يقال له وادي خم، فأمر الصلاة فصلاها بهجير، قال: فخطبنا وظلل لرسول الله صلى الله عليه وآله بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فقال: «ألستم تعلمون أو لستم تشهدون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: «فمن كنت مولاه فإنّ علياً مولاه، اللهم عاد من عاداه ووال من والاه» (مسند أحمد بن حنبل ج ٤: ص ٣٧٢).

وأخرج أيضاً بسنده عن أبي عبد الرحيم الكندي عن زاذان بن عمر قال سمعت علياً في الرحبة وهو ينشد الناس من شهد رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم وهو يقول ما قال، فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه» (مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ٨٤).

وأخرج أيضاً بسنده عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب وعن زيد بن يثيع قالا: نشد على الناس في الرحبة من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم إلا قام، قال: فقال: من قبل سعيد ستّة ومن قبل زيد ستّة، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام يوم غدير خم: «أليس الله أولى بالمؤمنين؟» قالوا: بلى، قال: «اللهم من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ١١٨).

وأخرج أيضاً بسنده عن عبد الله حدثني عبيد الله بن عمر القواريري ثنا يونس بن أرقم ثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال شهدت علياً عليه السلام في الرحبة ينشد

←

➔

الناس: «أنشد الله من سمع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه لما قام» فشهد، قال عبد الرحمن: فقام اثنا عشر بدرياً كأني أنظر إلى أحدهم فقالوا: نشهد أنا سمعنا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول يوم غدير خم: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمهاتهم؟» فقلنا: بلى يا رسول الله، قال: «فمن كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١١٩).

وأخرج أيضاً بسنده عن حدثني نعيم بن حكيم حدثني أبو مريم ورجل من جلساء علي عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه» قال فزاد الناس بعد «وال من والاه وعاد من عاداه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١٥٢).

وأخرج أيضاً بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن بريدة قال غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة فلمّا قدمت على رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذكرت علياً فتنقصته فرأيت وجه رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يتغيّر، فقال: «يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٣٤٧).

وأخرج أيضاً بسنده عن سعيد بن وهب قال: نشد علي الناس فقام خمسة أو ستّة من أصحاب النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فشهدوا أن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص ٣٦٦).

وأخرج أيضاً بسنده عن اسود بن عامر أنا أبو إسرائيل عن الحكم عن أبي سلمان عن زيد بن أرقم قال استشهد علي الناس فقال: «أنشد الله رجلاً سمع النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال: فقام ستّة عشر رجلاً فشهدوا (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص ٣٧٠).

وأخرج أيضاً بسنده عن الأشجعي عن رياح بن الحارث قال جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا، قال: «كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟» قالوا سمعنا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يوم غدير خم يقول: «من كنت مولاه فإن هذا مولاه»، قال رياح فلما مضوا تبعتهم فسألت: من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري (انظر

⬅

➔

مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٤١٩).

وأخرج أيضاً بسنده عن أبي بكر: إن النبيﷺ بعثه بالبراءة لأهل مكة وإبلاغهم ببعض الآيات من سورة التوبة، وفيها — أيضاً - لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنّة إلا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول اللهﷺ مدّة فأجله إلى مدّته، والله برئ من المشركين ورسوله. فسار بها ثلاثاً متوجها نحو مكة. ثم قالﷺ لعليعليه السلام: «الحقه فرد علي أبا بكر وبلّغها أنت». قال: ففعل - الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام - ما أمر. فلمّا قدم أبو بكر على النبيﷺ بكى، فقال: يا رسول الله، حدث في شيء؟ قالﷺ: «ما حدث فيك إلا خير، ولكن أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٣).

وأخرج أيضاً بسنده ابن عباس أنّ قال: إذ أتاه تسعة رهط فقالوا: يا أبا عباس إما أن تقوم معنا وإما أن تخلونا هؤلاء، قال: فقال ابن عباس: بل أقوم معكم، قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى، قال: فابتدؤا فتحدثوا فلا ندري ما قالوا، قال: فجاء ينفض ثوبه ويقول: أف وتف وقعوا في رجل له عشر، وقعوا في رجل قال له النبيﷺ: «لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً يحب الله ورسوله»، قال: فاستشرف لها من استشرف، قال: «أين علي؟» قالوا: هو في الرحل يطحن، قال: وما كان أحدكم ليطحن، قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد يبصر، قال فنفث في عينيه ثم هزّ الراية ثلاثاً فأعطاها إياه فجاء بصفية بنت حيى، قال: ثم بعث فلاناً بسورة التوبة، فبعث علياً خلفه فأخذها منه، قال: «لا يذهب بها إلا رجل مني وأنا منه»، قال: وقال لبني عمه: «أيكم يواليني في الدنيا والآخرة؟» قال: وعلي معه جالس فأبوا، فقال علي: «أنا أواليك في الدنيا والآخرة» قال: «أنت وليي في الدنيا والآخرة» قال: فتركه ثم أقبل على رجل منهم، فقال: «أيكم يواليني في الدنيا والآخرة؟» فأبوا، قال: فقال علي: «أنا أواليك في الدنيا والآخرة»، فقال: «أنت وليي في الدنيا والآخرة»، قال: وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة، قال: وأخذ رسول اللهﷺ في الدنيا والآخرة، قال: وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجةعليها السلام، قال: وأخذ رسول اللهﷺ ثوبه فوضعه على

🡐

ومن هذه السنن وما في معناها علم ذهاب المضطر بنفي إمامته إلى الباطل البيّن من حيث علمهم بهذه السنن من جهة نقل الثقات لها طبقة عن

➔

علي وفاطمة وحسن وحسين، فقال: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» قال: وشرى على نفسه لبس ثوب النبيﷺ ثم نام مكانه، قال: وكان المشركون يرمون رسول اللهﷺ فجاء أبو بكر وعلي نائم، قال: وأبو بكر يحسب أنه نبي الله، قال: فقال: يا نبي الله، قال: فقال له علي: أن نبي اللهﷺ قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه، قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار، قال: وجعل علي يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله وهو يتضوّر قد لفّ رأسه في الثوب لا يخرجه حتى أصبح، ثم كشف عن رأسه، فقالوا: إنك للئيم كان صاحبك نراميه فلا يتضوّر وأنت تتضوّر وقد استنكرنا ذلك، قال: وخرج بالناس في غزوة تبوك، قال: فقال له علي: «أخرج معك»، قال: فقال له نبي الله: «لا»، فبكى علي، فقال له: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي، إنّه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي»، قال وقال له رسول اللهﷺ: «أنت وليي في كل مؤمن بعدي» وقال: «سدّوا أبواب المسجد غير باب علي»، فقال فيدخل المسجد جنباً وهو طريقه لبس له طريق غيره، قال: وقال: «من كنت مولاه فانّ مولاه علي» قال: وأخبرنا الله عزّ وجلّ في القرآن أنه قد رضى عنهم عن أصحاب الشجرة، فعلم ما في قلوبهم هل حدثنا أنه سخط عليهم بعد قال: وقال نبي اللهﷺ لعمر حين قال: ائذن لي فلاضرب عنقه، قال: «أو كنت فاعلاً وما يدريك لعل الله قد اطلع إلى أهل بدر»، فقال: «اعملوا ما شئتم» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٣٣٠). وإلى غير ذلك من الروايات التي رواها أحمد بن حنبل الدالة بالصراحة على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وهناك روايات أخرى تدلّ على المقام لا يسعنا المجال لاستقصائها، فمن الواضح لدي الخبيرأنّ هذه الروايات تنفي صحّة خبر سفينة كما هو واضح ظاهر.

طبقة(١).

(١) لايخفى على الباحث الخبير أنّ علماء أهل السنّة لا بدّ لهم من حصول العلم واليقين بأنّ كثيراً من النصوص في القرآن والسنّة النبويّة تدلّ على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بلا فصل؛ وإن تأوّلوها بدعاوي باردة وآراء فاسدة وروايات مكذوبة؛ فإنّ تلك النصوص واضحة الدلالة رواها كبار علمائهم في كتبهم طبقة بعد طبقة من عصر النبي الأكرمصلى الله عليه وآله والصحابة والتابعين إلى العصور المتأخرة، بأسناد معتبرة عندهم، وهي تدلّ بالصراحة على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فلا يمكن إنكارها، إذ بعد ثبوت النصوص عندهم سنداً ودلالةً يلزمهم العمل بمقتضاها، والعمل بمقتضى تلك النصوص معناه وجوب الإقرار بخلافة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بعد النبيصلى الله عليه وآله بلا فصل والبرائة عمّن غصب الخلافة منهعليه السلام لامحالة. وعلى سبيل المثال فإنّ من النصوص قوله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ (سورة المائدة:٥٥). هذه الآية الكريمة إبتدأت بكلمة "إنما" التي تفيد الحصر، وبذلك حصرت ولاية أمر المسلمين في ثلاث هم: الله ورسولهصلى الله عليه وآله والذين آمنوا وأقاموا الصلاة وأدوا الزكاة وهم في حالة الركوع في الصلاة، كما تقول الآية: إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون.

ولا شكّ أن الركوع المقصود في هذه الآية هو ركوع الصلاة ولا يعني الخضوع، لأنّ الشارع المقدس اصطلح في القرآن على كلمة الركوع للدلالة على الركن الرابع للصلاة. وبالإضافة إلى الروايات الواردة في شأن نزول الآية، والتي تتحدّث عن تصدّق الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بخاتمه في الصلاة. وسنتطرق إليها بالتفصيل في محلّه إن شاء الله تعالى؛ وإنّ جملة: "ويقيمون الصلاة" تعتبر دليلاً على هذا الأمر، وليس في القرآن أثر عن ضرورة أداء الزكاة مقرونة بالخضوع، بل ورد التأكيد على دفع الزكاة بنية خالصة وبدون منة كما لا شك في أن كلمة "الولي" الواردة في هذه الآية، لا تعني

←

➔
الناصر والمحبّ؛ لأنّ الولاية التي هي بمعنى الحب أو النصرة لا تنحصر في من يؤدون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، بل تشمل كل المسلمين الذين يجب أن يتحابوا فيما بينهم وينصر بعضهم البعض، حتى أولئك الذين لا زكاة عليهم، أو لا يمتلكون - أساساً - شيئاً ليؤدوا زكاته، فكيف يدفعون الزكاة وهم في حالة الركوع؟! هؤلاء كلّهم يجب أن يكونوا أحباء فيما بينهم وينصر بعضهم البعض الآخر.

ومن هنا يتضح أن المراد من كلمة "ولي" في هذه الآية، ولاية الأمر والإشراف وحق التصرف والزعامة المادية والمعنوية، خاصة وقد جاءت مقترنة مع ولاية النبيصلى الله عليه وآله وولاية الله حيث جاءت الولايات الثلاث في جملة واحدة بالعطف. وبهذه الصورة فإن الآية تعتبر نصاً قرآنيا يدل على ولاية مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وإمامته بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله بلا فصل، ويدلّ على هذا المعنى بشهادة المفسرين والمؤرخين من علماء أهل السنّة في كتبهم ومصادرهم العديد من الروايات الدالة بنزول هذه الآية في شأن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وقد ذكرت بعض هذه الروايات قضية تصدق مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بخاتمه على السائل وهو في حالة الركوع، فقد أخرج الطبري والزمخشري والقرطبي والثعلبي والواحدي والحسكاني والسيوطي وغيرهم باسنادهم عن أبي ذر وغيره قال: أما إني صليت مع رسول اللهصلى الله عليه وآله يوماً من الأيام الظهر، فسأل سائل في المسجد، فلم يعطه أحد شيئاً، فرفع السائل يديه إلى السماء وقال : اللهم اشهد إني سألت في مسجد نبيك محمدصلى الله عليه وآله فلم يعطني أحد شيئاً، وكان عليعليه السلام في الصلاة راكعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنى وفيه خاتم، فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره وذلك بمرأى من النبيصلى الله عليه وآله وهو في المسجد فرفع رسول اللهصلى الله عليه وآله طرفه إلى السماء وقال: «اللهم إن أخي موسى سألك فقال: رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري؛ فأنزلت عليه قرآناً، سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما: اللهم وإني محمد نبيك وصفيك اللهم واشرح لي صدري
➔

وجعل مثل أحمد بن حنبل لها في مسنده، وغيره من معاريف حفّاظهم ونقّادهم للسنّة في صحفهم المعتبرة حسبما نبّهنا على جملة منهم

➔

ويسر لي أمري واجعل لي وزيرا من أهلي علياً اشدد به ظهري». قال أبو ذر: فما استتم دعاءه حتى نزل جبرئيل عليه السلام من عند الله عزّ وجلّ وقال: يا محمد اقرأ: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ (انظر تفسير الطبري ج٦: ص ١٨٦، والكشاف للزمخشري ج١: ص٦٤٩، تفسير القرطبي ج٦: ص٢١٩-٢٢٠، والدرّ المنثور للسيوطي ج٢: ص٢٩٣، وفتح القدير للشوكاني ج٢: ص٥٣، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ج٢: ص٣٨٣، والتفسير المنير لمعالم التنزيل للنووي ج١: ص٢١٠، وفتح البيان في مقاصد القرآن لحسن خان القنوجي ج٣: ص٥١، وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج١: ص٢٣٠، وأسباب النزول للواحدي النيسابوري: ص١٤٨، وأحكام القرآن للجصاص ج٤: ص١٠٢، والمناقب للخوارزمي: ص١٨٧، وغيرها من المصادر). فإنّ هذه الرواية وغيرها من الروايات الواردة في تفسير الآية الكريمة ممّا رواها علماء أهل السنّة طبقة بعد طبقة إلى الصحابة الذين سمعوا الحديث من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وهي كثيرة جدّاً لا يمكننا استقصائها في هذا المجال، وهناك نصوص أخرى كثيرة تدلّ على المقام، وهي نصوص دامغة لا يستريب فيها اثنان وسنذكرها إن شاء الله في محلّه. فأهل السنّة يعلمون أنّ هذه النصوص من الدين لا يمكن إنكارها ولا بدّ من العمل بها، ويعلمون أيضاً أنّ هذه النصوص القاطعة للعذر تنفي حديث سفينة مع قطع النظر عن كون حديث سفينة لا اعتبار له من جهة السند والدلالة، فهو غير حجة ولا اعتبار به؛ لأنّ قبوله موجب لإنكار تلك النصوص الكثيرة من القرآن والسنّة النبويّة المعتبرة عند جميع المسلمين، فقبول حديث سفينة الذي هو مكذوب ومجعول موجب لإنكار هذه النصوص التي هي من أصل الدين؛ حيث أنّ أصل الدين يتقوم بالكتاب والسنة فإنكار النصوص يستلزم إنكار ما يتقوم عليه الدين، فلاحظ.

فيما مضى(١)، فالمضطرب في إمامته مضطرب في دينه؛ لما عرفته من السنن التي دلّت على موت من ليس عليه إمام ميتة جاهلية(٢).

---

(١) وتوضيح المقام: أنّ أحمد بن حنبل وغيره من علماء أهل السنة الذين رووا حديث سفينة في كتبهم وادعوا اعتباره بنوا على انكار النصوص المعتبرة عندهم، الدالة على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث وردت هذه النصوص في أصح كتبهم، فلابد أن تكون معتبرةً عندهم سنداً وكذا من حيث دلالةً، ولكن جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم، ولايخفى أنّ نفي تلك النصوص معناه إنكار اعتبارها عندهم، ولا شك أنّ هذا النوع من الإنكار يرجع إلى انكار الحجّة الضروريّة من الإسلام، وإنكار الضروريّ إنكار لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وإنكار ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله دليلٌ على انكار رسالته صلى الله عليه وآله وهوعلامة للخروج عن ربقة الإسلام.

فيلزم على أحمد بن حنبل وغيره من علماء أهل السنّة ممّن رووا حديث سفينة أنّ يتخذوا موقفاً صريحاً قبال تلك النصوص التي رووها في أصح كتبهم بأسانيد صحيحة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وهي تدلّ بالصراحة على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلا مفرّ لهم من ذلك، ولا يمكن الجمع بين الأمرين، فلاحظ.

(٢) هذه العبارة اشارة إلى الروايات الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من الفريقين الشيعة وأهل السنة بطرق عديدة، وبمضامين مختلفة والمعنى واحد، ففي بعضها عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»، ذكره التفتازاني في شرح المقاصد ج٢: ص٢٧٥ وجعله لدة قوله تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ في المفاد. وبهذا اللفظ ذكره التفتازاني أيضاً في شرح عقائد النسفي المطبوع سنة ١٣٠٢ غير أن يد الطبع الأمينة على ودايع العلم والدين حرفت من الكتاب في طبع سنة ١٣١٣ سبع صحائف يوجد فيها هذا الحديث. وحكاه الشيخ علي القاري صاحب المرقاة في خاتمة الجواهر المضية ج٢: ص٥٠٩، وقال في ص٤٥٧: وفي بعضها قوله عليه السلام في صحيح مسلم: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية». معناه من لم يعرف من

←

➔
يجب عليه الاقتداء والاهتداء به في أوانه.
وفي بعضها قوله صلى الله عليه وآله: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٩٦)، وفي بعضها قوله صلى الله عليه وآله:«من مات وفي عنقه بيعة الإمام مات ميتة جاهلية» (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢٢ كتاب الإمارة، باب حكم من فرق بين المسلمين)، فإنّ هذه المضامين وإن كانت مختلفة إلاّ أنّ المعنى واحد؛ إذ الخروج عن طاعة الإمام الذي تجب طاعته، أو عدم الدخول في طاعة الإمام الذي هو واجب الطاعة نتيجتهما واحدة، فصريح هذه الأحاديث أنّه إذا مات الإنسان المسلم ولم يعرف إمام زمانه أو يعرف إمام زمانه ولم يبايعه كانت ميتته ميتة جاهلية والكفر، وسوف نتناول الحديث ونذكر النقاط التي تترتب على هذه المضامين المذكورة.
وفي المقام أنّ أوّل أمر يواجهنا في هذا الحديث هو الأثر المترتب على عدم معرفة الإمام الذي تجب طاعته، فكون نتيجته إذا مات كانت ميتة ميتة جاهلية. أي أن هذا الانسان مدرج في الذي لم يشم رائحة الاسلام في الآخرة أي بحسب الواقع أنّه مات في حال الكفر والضلال، وكأن الرواية تعطي مفاد الآية الكريمة :﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**﴾ (سورة المائدة:٣)، فقوله تعالى: ﴿**رَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ...**﴾ متوقفة على الإمامة التي بلّغها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يوم غدير خم، وهو يوم تحقق فيه إكمال الدين بولاية مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام وبها قد تمّ الدين والاسلام كمجموع متكامل وكلّ شيء مرهون بهذا الأمر، فمن البديهي مع عدم إكمال الدين وعدم رضى رب العالمين من الدين لا يكون الدين مقبولاً عند الله عزّ وجلّ، إذ الناقص كالعدم فلا فائدة فيه، لأنّ الدين هو منظومة كاملة عند الله عزّ وجلّ فمن نقص منه شيئاً فكأنّما ردّه، ومن ردّه لا يقبل منه شيئاً، ولذلك قال تعالى: ﴿**وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾ حيث لولا الولاية لم يقبل شيئاً من رسالته صلى الله عليه وآله، فكل هذه الرسالة منوطة بتبليغ هذا الأمر، فهذا الحديث يؤكّد على أنّ المقصود نفس المعنى في الآية الكريمة من إكمال الدين بالولاية، كما أنّ علماء أهل السنّة رووا أحاديث كثيرة في
➔

➔

تفسير الآية الكريمة وهي تدلّ أنّ المعرفة والاعتقاد بالإمامة دخيل في أصل الدين والتديّن بالاسلام بحسب الواقع والآخرة، منها: الرواية المذكورة.

نعود إلى الشرط المذكور في الرواية، فحيث أنّ قولهﷺ: «من مات ولم يعرف إمام زمانه...» مطلق غير مقيد بشيء، بل المعرفة المطلقة ممّا يدلّ على أن المطلوب العمدة هو الأمر الاعتقادي، فليس المطلوب المتابعة في الفروع ولا المتابعة السياسية، لأنّه لا يعقل ترتّب الموت الجاهليّة على هذا النوع من المتابعة؛ لأنّ نتيجتها من ارتكب أي ذنب أو جرم سياسي نتيجته الموت الجاهلية، أي بمجرد عدم المتابعة في الفروع، يترتب عليه هذا الحكم وهذا لا يتلائم مع الضروريات في الإيلام وما جاء في القرآن، حيث يقول تعالى: إنّ الله يغفر الذنوب جميعاً، بل الأمر أهمّ وأكبر وهو محور اعتقادي للمعرفة والاعتقاد، والمتابعة الاعتقادية والمعرفة والتديّن والائتمام كما هو المقصود في آية إكمال الدين، ولو فرض المتابعة السياسية المصطلح عليه بالولاء السياسي والمتابعة في الفروع والأخذ من الإمام المنصوب أحكام الفروع من دون المتابعة الاعتقاديّة المصطلح عليه بالولاء الاعتقادي المعرفي لما تحقق أصل التديّن بالاسلام بحسب عالم الآخرة والواقع.

وعليه فإن الرواية مطلقة من حيث الزمان والمكان فهذا اللسان عام وشامل لكل الافراد في جميع الأزمنة، مما يدل على عموم وجود الإمام وأنه موجود حتى قيام الساعة وهذا يؤيد مدعى الإمامية من تأبيد وجود الإمامعليه السلام.

فالرواية تدلّ على وجود واجب شرعي في قسم من الأصول الدينية على الفرد المسلم وهو السعي إلى معرفة الإمام في كل فترة من فترات حياته فهذه وظيفته التي أوكلها إليه الحق سبحانه ويقع على عاتقه تشخيص الإمام، وإنّ هذا الواجب جانحي، أي مرتبط بإعتقاد الناس بالإمامة وهو موجب للنجاة من النار.

ثم أن هذا الوجوب الاعتقادي - من قسم الأصول الدينية - دال على كون المعتقد من الإمامة ليس من سنخ حسي مشهود بالآلات الحسية، بل متعلق المعرفة ومتعلق الاعتقاد هو من السنخ الغيبي فمثلا نبوة النبي ليست أمرا حسيا كالسماء والأرض والشمس والقمر

➔

فجميع من هو في عصر علي عليه السلام بعد عصر النبي صلى الله عليه وآله ولم يعتقد بإمامة علي عليه السلام ولم يتبعه فميتته جاهلية من دون ريب[1]،

➔

والنجوم والجبال ونحوها من الحسيات فإنّ هذه الأمور لاتتعلق بها المعرفة الدينية، لأنّ معرفتها لا تحتاج إلى الدليل حيث أنّ الأمور الحسيّة والشهود الماديّة ليس من متعلقات الغيبيّة كي تحتاج إلى الإيمان والمعرفة الدينيّة، بل الإعتقاد بالإمامة يكون شيئا وراء الحس ومن قبيل نشأة الروح، وإن كان لها آثار في عالم الدنيا والحس دالة عليها برهاناً، غير أنّها مربوطة بالأمور الغيبية، فمثل الإيمان بالنبوة الذي هو ركن للإسلام، ولا بد أن يكون غيبيا من نشآت أخرى وأن كانت تلك النشآت مهيمنة محيطة على الحس، يقصر الحس عن مدرج ظهورها فتكون غيبا عنه، فظهورها الشديد عين غيبها عن الحس. فالمقصود في الحديث هو المعرفة الاعتقاديّة.

وقد يقال هذا اللسان يخالف ما ورد من ان من استطاع الحجّ ولم يحجّ أو سوّف في ذلك ثم مات بعثه الله يهوديّاً أو نصرانيّاً، ولكن التأمل في هذا المفاد يبين الفرق بين أن يبعث يهوديّاً وأن يبعث كافراً جاهليّاً، فإن الثاني هو من لم يدخل في الدين السماوي من الأساس أما الأول فهو المعتنق للديانة الإلهيّة إلا أنه بعّض في التدين وآمن ببعض وكفر ببعض، فقد تكرّر في أحاديث كثيرة أن تكون هناك درجة معينة من العذاب في النار مترتّبة على ارتكاب بعض الكبائر، ولكنّه بخلاف ما نحن فيه من أنّ المنكر وغير العارف لإمام زمانه يخلد في النار ويموت ميتة الجاهلية، وهو إنما يتفق مع كون الواجب الاعتقادي من أصول الديانة، وعليه فإنّ من اعتقد بصحة حديث سفينة معناه أنّه لم يلتزم بمدلول هذا الحديث في الإمامة وكذلك الأحاديث والنصوص في باب الإمامة فيشمله قوله صلى الله عليه وآله: «مات ولم يعرف إمام زمانه ميتة جاهلية»، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ حديث «من مات ولم يعرف إمام زمانه...» رواه علماء أهل السنّة بمضامين متعدّدة، فرواه جماعة منهم بهذا اللفظ: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات

➔

←

ميتة جاهلية» (انظر شرح المقاصد للتفتازاني ج٢: ص٢٧٥)، ورواه جماعة بهذا اللفظ: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٩٦)، ورواه جماعة بهذا اللفظ: «من مات وفي عنقه بيعة الإمام مات ميتة جاهلية» (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢٢ كتاب الإمارة، باب حكم من فرق بين المسلمين)، وجماعة أخرى بمضامين قريبة من هذه الألفاظ، ولا شكّ أنّ هذه المضامين ترجع إلى معنى واحد، وهو عدم الإعتقاد بالإمام المفترض الطاعة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. وعندما يروي جميع علماء الإسلام من المذاهب المختلفة هذا الحديث معناه أنّ الصحابة جميعاً سمعوا هذا الحديث من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ووعوه، وكان من اللازم عليهم العمل به، ومن لم يعمل به ومات على تلك الحالة مات ميتة جاهلية وكفر وضلال. والباحث عندما يبحث عن حياة الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وآله يجد أنّهم خالفوا هذا الحديث مخالفة صريحة؛ لأنّ كثيراً منهم خالفوا بيعة يوم غدير خم لمولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فاجتمعوا في السقيفة وبايعوا أبا بكر، ثم جماعة كبيرة خالفوا بيعة أبا بكر وكانوا يعتقدون بإمامة مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كسلمان وأبي ذر ومقداد وعمار وغيرهم، وعلى رأسهم أهل البيت عليهم السلام، ومنهم الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام التي قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقها: «فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين»، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عن عائشة قالت: إنّا كنّا أزواج النبي صلى الله عليه وآله عنده جميعاً لم تغادر منّا واحدة، إنّا كنا أزواج النبي صلى الله عليه وآله عنده جميعاً لم تغادر منا واحدة، إنّا كنّا أزواج النبي صلى الله عليه وآله عنده جميعاً لم تغادر منّا واحدة، فأقلبت فاطمة عليها السلام تمشي لا والله ما تخفى مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا رآها رحب قال صلى الله عليه وآله: «مرحباً بابنتي»، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارّها فبكت بكاءً شديداً، فلمّا رأى حزنها سارّها الثانية إذا هي تضحك، فقلت لها: أنا من بين نسائه خصّك رسول الله صلى الله عليه وآله بالسرّ من بيننا ثم أنت تبكين، فلمّا قام رسول الله صلى الله عليه وآله سألتها عمّا سارّك، قالت: «ما كنت لأفشي على رسول الله صلى الله عليه وآله سرّه» فلمّا توفّي قلت لها: عزمت عليك بمالي

→

➔

عليك من الحقّ لما أخبرتني، قالت: «أما الآن فنعم»، فأخبرتني قالت: «أما حين سارّني في الأمر الأول فإنه أخبرني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كلّ سنة مرّة وإنه قد عارضني به العام مرّتين ولا أرى الأجل إلا قد اقترب، فاتّقي الله واصبري فإني نعم السلف أنا لك»، قالت: «فبكيت بكائي الذي رأيت، فلمّا رأى جزعي سارّني الثانية، قال: يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة» (صحيح البخاري ج٧: ص١٤١ كتاب الإستئذان، باب من ناجى بين يدي الناس ولم يخبر بسرّ صاحبه فإذا مات أخبر به). فهي ممّن سمعت حديث رسول اللهﷺ «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»، وعلى هذا أساس فبالقطع واليقين أنّها بايعت إمام زمانها، ولكن لم تبايع أبا بكر بل ماتت وهي واجدة وغاضبة على أبي بكر كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري (انظر صحيح البخاري ج٥: ص٨٢ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر)؛ وكما أنّ الصحابة سمعوا من النبي الأكرمﷺ قال: «رضا فاطمة رضاي» (انظر الإمامة والسياسة لإن قتيبة ج١: ص٢٠)، فإذا كان رضاها رضا رسول اللهﷺ وغضبها غضب رسول اللهﷺ معناه أنّها لا تخالف أباها في بيعة الإمام المفترض الطاعة، ولا تصحّ اطلاق رضاها رضاي إلاّ إذا كانت في جميع أفعالها وأقوالها وحركاتها وسكناتها موجبة لرضا رسول اللهﷺ، فيتّضح مما تقدم أنّ موقف فاطمة الزهراءعليها السلام من الإمام المفترض الطاعة موقف من يضمن النجاة لمن تبعها في ذلك، وأيضاً يتّضح من موقفها ضلالة من غضبت فاطمة الزهراءعليها السلام عليه. ومن الواضح لدى جميع المسلمين أنّ فاطمة الزهراءعليها السلام كانت ممّن اعترضت على أبي بكر حتّى هجموا على بيتها وأحرقوا باب دارها ليأخذوا البيعة منها ومن أهل البيتعليهم السلام، ولكن لن تبايع فاطمة الزهراءعليها السلام حتى استشهدت وهي واجدة على أبي بكر كما ورد في أصح النصوص عند أهل السنّة والجماعة، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة: إنّ فاطمةعليها السلام بنت النبيﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول اللهﷺ ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول اللهﷺ قال: لا نورث ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد في

🡐

فالدين الحقّ هو الدين الذي علم من سنن خير الخلقﷺ حسبما فصّلناه، فقد قامت الحجّة بهذه السنن على القائلين بإمامة غير عليعليه السلام في

➔

هذا المال...، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتى توفّيت وعاشت بعد النبيﷺ ستّة أشهر، فلمّا توفّيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصلّى عليها (انظر صحيح البخاري ج٥: ص٨٢ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر). وإلى غير ذلك من الوثائق التاريخية التي رواها علماء أهل السنّة، فإنّها تدلّ على أنّ موقف فاطمة الزهراءعليها السلام من أبي بكر موقف المعارضة والخصومة من أجل الدين، وغصب الخلافة والإمامة. فمخالفتها ومعارضتها لأبي بكر دليل على أنّ من بايع أبا بكر من الصحابة ومات على تلك الحالة مات ميتة جاهلية وكفر، لأنّ الصحابة سمعوا من النبي الأكرمﷺ رضا فاطمة رضاي، فكانوا يعلمون أنّ فاطمة الزهراءعليها السلام رضاها رضا رسول اللهﷺ وغضبها غضب رسول اللهﷺ ومعنى هذا أنّ موقفها موقف رسول اللهﷺ في باب الإمامة.

فنستنج أنّ من بايع أبا بكر قد خالف رسول اللهﷺ في قوله: «من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهليّة»، فتكون بيعته باطلة، ومعناه أنّه لم يبايع أمام زمانه حقاً، وإذا مات على تلك الحالة كانت ميتته ميتة جاهلية وكفر، حيث لم يبايع الإمام المفترض الطاعة عليه؛ وذلك لإنّ فاطمة الزهراءعليها السلام هي المعيار للعمل بهذا الحديث، وبالقطع واليقين أنّها بايعت إمام زمانها حقّاً، وعملت بحديث رسول اللهﷺ، وغضبت على أبي بكر لأنّه كان غاصباً للخلافة، فكانت غضبها على على أبي بكر من أجل أن يعرف الناس أنّ البيعة له موجب للكفر والضلال؛ لما قال رسول اللهﷺ في هذا الحديث: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة». وعليه فمن بايع أبا بكر يشمله ذيل الحديث، من أنّه لو مات على تلك الحالة، يموت ميتة جاهليّة وكفر وضلال كما هو ظاهر واضح.

عصره[1].

(١) وبعبارة أوضح أنّ الدين الإسلامي وتعاليمه القيمة تضمن هداية الناس وتجمع الأمّة على صعيد الحقّ، بإقامة الحجّة والبرهان والنصوص والآثار الثابتة، التي تترتّب عليها الاعتقاد الصحيح والعقيدة الحقّة، ومن تلك الأدلة والنصوص والآثار الثابتة التي يجب العمل بها هي النصوص الدالة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهي الروايات المتواترة الواردة في المصادر الإسلامية المعتبرة لدى الفريقين الشيعة وأهل السنّة، وفيها أحاديث صريحة في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ولا شكّ أنّ هذه الروايات حجّة شرعيّة على جميع الأمّة الإسلاميّة ويجب عليهم العمل بها؛ لأنّها قاطعة للعذر. وعليه فإنّ من بايع أبا بكر فقد خالف تلك النصوص القاطعة للعذر، ولا يخفى أنّ هذه المخالفة للنصوص قد بدأت من يوم الذي اشتد فيه مرض الرسول صلى الله عليه وآله وطلب من الناس الدواة والقرطاس ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً، فوقف عمر بن الخطاب بوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: إنّ الرسول ليهجر أو غلبه الوجع - والعياذ بالله - وقال: حسبنا كتاب الله، وقد رواه البخاري في صحيحه، وفيه: كان ابن عبّاس يقول: إنّ الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١٣٨ كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وآله ووفاته). ومن الواضح لدى الخبير أنّ عمر بن الخطاب وزملائه من صحابه كانوا يعلمون قول رسول الله صلى الله عليه وآله حجّة عليهم وقاطع للعذر، كما كانوا يعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يريد من طلبه الدواة والقرطاس لبيان النصّ لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للإمامة والخلافة. فبدؤا بالمخالفة لتأخذ مساراً وطريقاً للخطوات التالية لغصب الخلافة. وهكذا كان كل من بايع أبا بكر فإنّه فقد رفض السنّة النبوّية اقتدائاً بعمر بن الخطاب، فإنّه اتّبع في ذلك سابقة تاريخية في حياة المسلمين، ومن معه من الصحابة الذين قالوا مثل مقالته، وعضدوا بذلك موقفه المعارض لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّي لأعجب لمن يقرأ هذه الحادثة ويمر بها وكأنّ لم يكن شيئاً حادثا في الشريعة المقدسة، مع أنّها من أكبر الرزايا كما سمّاها ابن عبّاس.

←

ومايضرّه دين الحقّ ذهاب غالب الخلق إلى الدين الباطل: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾[1].

←
وعليه فمن بايع أبا بكر فقد خالف النصوص القطعيّة والحجج القاطعة والأصول التي استقرّ عليها الأيمان الصحيح بالله ورسولهﷺ، إذ المخالفة للنصوص القرآنية والسنن النبويّة الصريحة في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام؛ مخالفة للإمامة الكبرى والإمامة الكبرى هي من أركان الإسلام ودعائمه، لأنّ رسول اللهﷺ قال: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» (انظر شرح المقاصد للتفتازاني ج٢: ص٢٧٥)، أوقالﷺ: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٩٦)، أوقالﷺ: «من مات وفي عنقه بيعة الإمام مات ميتة جاهلية» (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢٢ كتاب الإمارة، باب حكم من فرق بين المسلمين). ومن خالف ركناً من أركان الإسلام فقد كفر بما جاء به الله ورسولهﷺ لأنّ دين الحق هو ما يتقوّم بقول الله ورسولهﷺ، فلاحظ.

(١) سورة الأنعام: ١٤٩، هذه الآية المباركة أشارت إلى سدّ جميع أبواب الاعتذار أمام العبد يوم القيامة، وبملاحظة لفظة بالغة يتضح أن الأدلّة التي أقامها الله سبحانه للبشر عن طريق العقل والنقل وبواسطة العلم والفكر، وكذا عن طريق إرسال الأنبياء وأوصيائهم واضحة لا لبس فيها من جميع الجهات، بحيث لم يبق لأحد أي مجال للترديد والشك، وهذا الأمر من بديهيات العدالة الإلهية.

ولهذا السبب لا يضرّ دين الحق ذهاب غالب الخلق إلى الدين الباطل؛ لأنّ الحجّة أقيمت عليهم بأحسن الوجه، وقد ورد في حديث عن الإمام الكاظمعليه السلام قال: «أن لله على الناس حجّتين: حجّة ظاهرة، وحجّة باطنة، فأما الظاهرة: فالرسل والأنبياء والأئمة، أما الباطنة: فالعقول» (الكافي ج١: ص١٦).

وفي رواية أخرى عن مسعدة بن زياد أنّه قال: سمعت جعفر بن محمد الباقرعليه السلام وقد سئل
←

وممّا بيّنا عُلم فساد قول الطائفة التي زعمت أن ذلك الزمان فتنة ليس فيه إمام[1]،

➔

عن قوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ قال: «إذا كان يوم القيامة قال الله تعالى للعبد: أكنت عالماً؟ فإن قال: نعم، قال: أفلا عملت بما علمت؟! وإن قال: كنت جاهلاً. قال له: أفلا تعلّمت؟ فتلك الحجة البالغة لله تعالى» (انظر بحار الأنوار ج٢: ص١٨٠). فالحجّة البالغة لله عزّ وجلّ، وقد أتمّ الله حجّته البالغة على العباد بالإمام المعصوم بعد النبيﷺ. وهذا هو الدين الحقّ، سواء آمن الناس أم لم يؤمنوا، فعدم إيمانهم بالله ورسولهﷺوإمام زمانهم لايضرّ دين الحقّ، فالإمام كالطبيب الواعي الذي يجلس في محلّه مستعدّاً لاستقبال المرضى مجّاناً، فإذا لم يذهب إليه المرضى للعلاج وأداء النصح، فهم سوف يخسرون هذه النعمة. كما أنّ الرسول كالطبيب السيار، وبتعبير الإمام أميرالمؤمنين علي أبي طالبعليه السلام في نهج البلاغة عن رسول الله: «طبيب دوّار بطبّه» (نهج البلاغة: الخطبة ١٠٨)، فهو يدور في كلّ مكان، يذهب إلى المدن والقرى، الجبال والصحاري ليجد المرضى ويشرع بعلاجهم، فهو عين تنبع بالماء العذب وتجري نحو العطاشى، وليس عيناً يبحث عنها العطاشى. وهذا معنى الحجّة القاطعة للعذر.

(١) لقد حاول بعض المتعصّبين من أهل السنّة والجماعة إلى قلب الحقائق والقول بأنّه قد وقعت الفتنة بعد مقتل عثمان، واستدلّوا على ذلك بأنّ الشيعة قامت لنصرة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام والوقوف بجانبه ليأخذوا حقّه في الخلافة. وقد نازعهم المدافعين عن خلافة السقيفة فوقعت الفتنة والحروب.

ولكن هذه المحاولة فاشلة؛ لأنّ الخبير يعلم أنّ الآثار السيّئة والسلبيات التي حصلت من خلافة الخلفاء الثلاثة لاسيّما في خلافة عثمان صار سبباً لإجماع الناس على خلافة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام والرجوع إلى وصية رسول اللهﷺ في إمامته وولايته.

والحقيقة أنّ الناس عندما شاهدوا تصرفات الخلفاء الثلاثة ومخالفاتهم للشريعة المقدسة، وما

➔

➔

أحدثوا في الدين من البدع وتبديل الأحكام الشرعية حسب أميالهم، وتسليطهم حكّام الجور من بني أمية والطواغيت من بطون قريش وما فعلوها من الجرائم، قد وصلوا بهم الأمر إلى نتيجة الثورة ضد حكومة عثمان، حتى أنّ السلطة الحاكمة آنذاك بدت أن تبين مخالفتها للقيم الإنسانيّة مع قطع النظر عن الأحكام الشرعية، فكل هذه الأمور دفعت الناس إلى الإنفجار الثوري والرجوع إلى وصية رسول الله صلى الله عليه وآله في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث أنّهم عرفوا أنّ جميع تلك المخازي والمعايب والسلبيات التي واجهها الأمّة الإسلامية كانت نتيجة تصرّفات السلطة والسياسة التي حصلت من حكومة السقيفة.

فالباحث لو درس التاريخ والمصادر الإسلامية يصل إلى هذه النتيجة من خلال مطالعة كتب أهل السنّة، فضلاً عن كتب الشيعة وروايات أهل البيت عليهم السلام، ويعلم أنّ ما ارتكبه الخلفاء الثلاثة لاسيّما عثمان كان سبب إجماع الناس على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذا من الأمور الواضحة كالشمس في رابعة النهار، وستتّضح هذه الحقيقة من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

ونحن نشير هنا إلى بعض تلك الوثائق التاريخية من كتب أهل السنّة من باب المثال ليعرف القارئ الكريم سبب الثورة ضد عثمان بأوضح الدليل. فمن أسباب إنفجار الثورة ضد حكومة عثمان هي الثروة لدى الحكام الأموي الذين ولاهم عثمان على مقدّرات الأمّة فقد أعانهم تلك الثروات على تعميق نفوذهم ووجود قطّاع الفقر في أواسط المجتمع الإسلامي بشكل واسع، وقد أجبرت الأمّة الإسلاميّة للدخول في صراع طبقي، طالباً للمساواة الاجتماعية. وكان خط الأغنياء وخط الفقراء يتّجهان بشكل معاكس. الغني ازداد اتّساعاً إلى درجة فاحش، وازداد تبعاً لذلك الفقر عمقاً لعموم الناس، إلى درجة الانسحاق، وبذلك اتّسعت التوتّر بين فئتين، إحداهما مسكت بأسباب الثراء فبلغت مستوى تكسير قطع الذهب بالفؤوس؛ وفئة أخرى، قلب لها الواقع ظهر المجن، في حين أنّ كلا الطرفين كان في مستوى واحد في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله. وقد كان عثمان تبعاً

➔

➔
لخلفاء قبله ممّن جمع الثروات وكان يملك خمسين ومائة ألف دينار وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار، وخلف إبلاً وخيلاً كثيرة (انظر مروج الذهب للمسعودي ج١: ص٤٣٣). وقال الذهبي في كتابه دول الاسلام ج١: ص١٢ كان قد صار له (عثمان) أموال عظيمة وله ألف مملوك (انظر دول الاسلام للذهبي ج١: ص١٢).

ونقل العلامة الأميني من مصادر أهل السنّة أعطيات عثمان إبان حكمه عن المصادر المزبورة: فقد أعطى مروان خمسمائة ألف دينار، وأعطى ابن أبي سرح مائة ألف دينار، وأعطى طلحة مائتا ألف دينار، وأعطى عبد الرحمن بن عوف ألفا ألف وخمسمائة وستّين ألف دينار، وأعطى يعلى بن أميّة خمسمائة ألف دينار، وأعطى زيد بن ثابت مائة ألف دينار، وأعطى ما اقتصّه لنفسه في بعض الموارد مائة وخمسون ألف دينار، ما اقتصّه لنفسه في بعض آخر من الموارد مائتا ألف دينار، ويبلغ المجموع أربعة ملايين وثلاثمائة وعشرة آلاف دينار؛ وفي مجموعة أخرى من الأعطيات الحكم: ثلاثمائة درهم آل الحكم، ألفا ألف وعشرون درهم الحارث، ثلاثمائة درهم سعيد، مائة ألف درهم عبد الله، ثلاثمائة ألف الوليد بن عقبة، مائة ألف درهم درهم عبد الله مرّة أخرى، ستمائة ألف درهم أبو سفيان، مائتا ألف درهم مروان مرّة أخرى، مائة ألف درهم طلحة مرّة أخرى، ألفا ألف ومائتا ألف درهم طلحة مرّة ثالثة، ثلاثون ألف ألف درهم الزبير، خمسة وتسعون ألف ألف وثمانمائة ألف درهم سعد بن أبي وقاص، مائتان وخمسون ألف درهم ما اقتصّه لنفسه مرّة ثالثة، ثلاثون ألف ألف وخمسمائة ألف درهم ويبلغ مجموع المجموعة الثانية مائة وستّة وعشرون مليوناً وسبعمائة وسبعون ألف درهم؛ انتهى ملخّصاً (انظر الغدير ج٨: ص٢٨٥). وتحوّل بيت مال المسلمين في عهده إلى بيت مال لبني أميّة. ولم يراع عثمان مشاعر المسلمين، ولا أحكام الشريعة في نهبه أموال المسلمين، وصبها مدرارة في خزائن أهل بيته. ويذكر ابن خلدون في تاريخه: حدث أبو إسحاق عن عبد الرحمن بن يسار قال: رأيت عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة إذا أمسى أتاها عثمان، فقال له:
➔

←

ادفعها إلى الحكم بن أبي العاص. وكان عثمان إذا أجاز أحداً من أهل بيته بجائزة جعلها فرضاً من بيت المال، فجعل يدافعه ويقول له: يكون فنعطيك إن شاء الله، فألح عليه فقال: إنما أنت خازن لنا، فإذا أعطيناك فخذ، وإذا سكتنا عنك فاسكت. فقال: كذبت والله! ما أنا لك بخازن، ولا لأهل بيتك، إنّما أنا خازن المسلمين. وجاء بالمفتاح يوم الجمعة وعثمان يخطب فقال: أيها الناس، زعم عثمان أني خازن له ولأهل بيته، وإنّما كنت خازناً للمسلمين وهذه مفاتيح بيت مالكم. ورمى بها، فأخذها عثمان، ودفعها إلى زيد بن ثابت. كان بذلك عثمان، يرى أن الدولة الإسلاميّة ملكاً لعشيرته، وكان مبرره في ذلك أنه تأول (انظر تاريخ ابن خلدون ج١: ص٢٠٥).

وحسب ما ذكر الطبري في تاريخه بالنسبة إلى مال المسلمين: قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان فوهبها للحارث بن الحكم بن أبي العاص، كما روي الكلبي عن أبيه، مخنف بن مروان ابتاع خمس إفريقية بمائتي درهم ومائتي ألف دينار. وكلّم عثمان فوهبها له فأنكر الناس ذلك على عثمان (انظر تاريخ الطبري ج٣: ص٣٩٩).

وقال ابن أبي الحديد: وأعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال، في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال، وقد كان زوجه ابنته أم أبان، فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح، فوضعها بين يدي عثمان وبكى، فقال عثمان: أتبكي أن وصلت رحمي! قال: لا، ولكن أبكي لأني أظنك أنك أخذت هذا المال عوضاً عمّا كنت أنفقته في سبيل الله في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله. والله لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً، فقال: ألق المفاتيح يا ابن أرقم، فإنا سنجد غيرك وأتاه أبو موسى بأموال من العراق جليلة، فقسمها كلها في بنى أمية. وأنكح الحارث ابن الحكم ابنته عائشة، فأعطاه مائة ألف من بيت المال أيضاً بعد صرفه زيد بن أرقم عن خزنه وانضمّ إلى هذه الأمور أمور أخرى نقمها عليه المسلمون، كتسيير أبي ذر رضي الله عنه إلى الربذة، وضرب عبد الله بن مسعود حتى كسر أضلاعه، وما أظهر من الحجاب والعدول في إقامة الحدود، وردّ المظالم، وكفّ الأيدي العادية والانتصاب لسياسة الرعية، وختم ذلك ما وجدوه من

←

➔
كتابه إلى معاوية يأمره فيه بقتل قوم من المسلمين، واجتمع عليه كثير من أهل المدينة مع القوم الذين وصلوا من مصر لتعديد أحداثه عليه فقتلوه (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص١٩٩).

بقي هنا أن نسأل الخليفة عن علة قصر هذه الأثرة على المذكورين ومن جرى مجراهم من زبانيته، أهل خلقت الدنيا لأجلهم؟ أو أن الشريعة منعت عن الصلاة وإعطاء الصدقات للصلحاء الأبرار من أمّة محمدﷺ كأبي ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود إلى نظرائهم؟ وهل الجود هو بذل الرجل ماله وما تملكه ذات يده؟ أو جدحه من سويق غيره؟ كما كان يفعل خلفاء الثلاثة. ليتني وجدت من يحير جواباً عن هذه المسألة؟

نعم يعلم حكم تلكم الأعطيات والقطائع التي أقطعها الخلفاء أكثر أراضي بيت المال من خطبة لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وقد ذكرها الكلبي مرفوعة إلى ابن عباس قال: إن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال: «ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكلّ مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال، فإن الحقّ القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوّج به النساء، وفرق في البلدان، لرددته إلى حاله، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عنه الحق فالجور عنه أضيق» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص٩٠، والسيرة الحلبية ج٢: ص٨٧). قال الكلبي: ثم أمرعليه السلام بكلّ سلاح وجد لعثمان في داره ممّا تقوى به على المسلمين فقبض، وأمر بقبض نجائب كانت في داره من إبل الصدقة فقضبت، وأمر بقبض سيفه ودرعه، وأمر أن لا يعرض لسلاح وجد له لم يقاتل به المسلمين، وبالكفّ عن جميع أمواله التي وجدت في داره وغير داره، وأمر أن ترجع الأموال التي أجاز بها عثمان حيث أصيبت أو أصيب أصحابها... (انظر انساب الأشراف للبلاذري ج٥: ص١٦).

فسيف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام الذي أقيم به صرح الإسلام، وشيد به دعائم الدولة الإسلامية، عاد مرّة أخرى لإزالة الأود والعوج الذي حصل في نظام
➔

فيالهفي عليهم لذهابهم إلى هذه الطامة العظمى بعد علمهم بإكمال الله سبحانه دينه[١]،

➔

المسلمين السياسي والاجتماعي، وبناء النموذج الداخلي المثالي للدعوة إلى الإسلام، بل إن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أقام - قبل تسلّمه مقاليد الأمور - مرابطاً في الخندق العلمي لوجه الدين الإسلامي، أمام تحدّيات المسائل الحرجة التي ابتليت بها الأمّة ولم يكن لها من يطلع على حكم الشريعة فيها، وقد ذكرت المصادر التاريخية الكثير من الموارد لذلك، وكذا أمام تحدّي الملل والنحل الأخرى. وعليه فما ذكره بعض المتعصّبين من أهل السنّة من أنّ الفترة بعد مقتل عثمان كانت فترة الفتنة أرادوا بذلك التغطية على الجرائم التي ارتكبها الخلفاء الثلاثة وعمّالهم لاسيمّا عثمان الذي بنى أساس الحكومة على الخلافة العشائريّة، وحمل بني أميّة على رقاب الناس، وأعطاء المناصب الحسّاسة في الدولة الإسلامية إلى الطلقاء وأبنائهم.

(١) هذه العبارة اشارة إلى قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً**﴾ (سورة المائدة:٣) فإنّ معنى إكمال الدين إزاحة جميع النواقص عن الدين، وبعبارة أخرى أنّ الدين كامل لا ينبغي أن يزاد فيه أو ينقص منه، والآية الكريمة تبيّن هذه الحقيقة بشكل واضح حيث تقول: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...**﴾ فأي يوم يا ترى هو ذلك "اليوم" الذي اجتمعت فيه هذه الأحداث المصيريّة، وهي يأس الكفّار، وإكمال الدين، وإتمام النعمة، وقبول الله لدين الإسلام ديناً ختامياً لكل البشريّة؟

من الواضح أنّه لا يمكن أن يكون ذلك اليوم، يوماً عاديّاً كسائر الأيام، بل هو يوم عظيم في تاريخ حياة النبي صلى الله عليه وآله، وبديهي أنه ليس ذلك اليوم خاصة بالحلال والحرام من اللحوم الوارد في سياق الآية؛ لأنّ نزول هذه الأحكام لا يوجب إعطاء تلك الأهمية العظيمة، ولا يمكن أن تكون قضية اللحوم سببا لإكمال الدين، لأنّها لم تكن آخر الأحكام التي نزلت

➔

➔

على النبيﷺ، والدليل على ذلك ما نراه من الأحكام التي جاءت من قبل الإسلام بعد نزول هذه الآية، كما لا يمكن القول بأن الأحكام المذكورة هي السبب في يأس الكفار، بل إنّ ما يثير اليأس لدى الكفار هو إيجاد دعامة راسخة قوية لمستقبل الإسلام.

وبعبارة أخرى أنّ نزول أحكام الحلال والحرام من اللحوم لا يترك أثراً في نفوس الكفّار، فماذا يضيرهم لو كان بعض اللحوم حلالاً وبعضها الآخر حراما؟!!

فالمراد من ذلك "اليوم" هو اليوم الذي حدث فيه حادثة مهمة لإكمال الدين، ورضى الله تعالى بالدين، وهو الدين الذي سيكون سبباً لإتمام النعمة على الناس وهدايتهم. وهكذا يتّضح لنا أنّ المراد من اليوم في الآية هو يوم غدير خم كما ورد في الروايات المتواترة لدى الفريقين الشيعة وأهل السنّة، وهو اليوم الذي نصب فيه النبي الأكرمﷺ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بصورة رسميّة وعلنيّة خليفة له، حيث غشى الكفار في هذا اليوم سيل من اليأس، فإنّهم كانوا يتوهّمون أن دين الإسلام سينتهي بوفاة النبيﷺ وأنّ الأوضاع ستعود إلى سابق عهد الجاهلية، لكنّهم حين ما شاهدوا أن النبيﷺ أوصى بالخلافة لما بعده لرجل كان فريداً بين المسلمين في علمه وتقواه وقوّته وعدالته، وهو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ورأوا النبيﷺ وهو يأخذ البيعة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فقد أحاط بهم اليأس من كل جانب، وفقدوا الأمل فيما توقعوه من شر لمستقبل الإسلام وأدركوا أن هذا الدين باق راسخ ففي يوم غدير خم أصبح الدين كاملاً، إذ لو لم يتم تعيين خليفة للنبيﷺ ولو لم يتمّ تعيين وضع مستقبل الأمة الإسلامية، لم تكن لتكتمل الشريعة بدون ذلك ولم يكن ليكتمل الدين نعم في يوم غدير خم أكمل الله دينه وأتمّ نعمته بتعيين الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، هذا الشخصيّة اللائقة الكفؤ، قائداً وزعيماً للأمّة بعد النبيﷺ وفي هذا اليوم - أيضاً - رضي الله بالإسلام ديناً، بل خاتما للأديان، بعد أن اكتملت مشاريع هذا الدين، واجتمعت فيه الجهات الأربع.

وعليه فإنّ ما ذكره بعض المتعصّبين من أهل السنّة من أنّ الفترة بعد مقتل عثمان هي زمان

🡐

وبأنّ نبيّهﷺ قد بلغه إلى الناس بأجمعه حسبما ثبت في الصحيحين وغيرهما من بيانه لهم جميع ما يحتاجون إليه إلى يوم القيامة[1].

←

الفتنة باطل؛ لأنّ الناس كانوا يعلمون أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام هو الإمام وخليفة الحق بعد رسول اللهﷺ؛ لأنّهم بايعوه بالخلافة يوم غدير خم بالخلافة والإمامة، وإن نكثوا بيعتهم بعد وفاة النبيﷺ، ولكن كانوا يعلمون بالإجماع أنّ الوحيد الذي يليق بمقام الإمامة والولاية بعد رسول اللهﷺ هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام. قد بايع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام جميع الناس، حيث أنّهم وجدوا وشهدوا تصرّفات الخلفاء الثلاثة ومخالفاتهم للشريعة المقدّسة، وما أحدثوا في الدين من البدع وتبديل الأحكام الشرعيّة حسب أميالهم، وجور الحكّام والطواغيت من بطون قريش والجرائم التي ارتكبها عمال الخلفاء لاسيّما في عهد عثمان. فلم يروا طريقاً للنجاة إلا بإمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام.

وأنّ الحكمة الإلهيّة اقتضت أن يكون يوم مقتل عثمان نفس يوم غدير خم الذي أخذ رسول اللهﷺ البيعة من الناس للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام للخلافة والإمامة فكما أنّ الناس بايعوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام يوم غدير خم الذي أكمل الله دينه بتلك البيعة وأتمّ نعمته على العالمين، قد بايعه عليه السلام الناس بطيبة نفسهم بعد مقتل عثمان. وبعد هذه الألطاف الألهية كيف يمكنهم انكار هذه العظمة التي لم يناله أحد!!!

(١) لقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال: «دعوني ما تركتكم إنّما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٤٢ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب الاقتداء بسنن رسول اللهﷺ)، ورواه ابن حبان في صحيحه ج١: ص٢٠٠، وابن الجوزي في كشف المشكل في حديث الصحيحين ج٣:

→

فليت شعري لِمَ يتّهمون من بعثه الله سبحانه رحمة للعالمين بكتمانه عليهم بيان إمام ذلك الزمان[١]،

ص٥٠٩، ورياض الصالحين للنووي ج١٣٥، والزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار ج١: ص٤٢٣، والسيوطي في اللمع في أسباب ورود الحديث: ص٥٢، والألباني في ارواء الغليل ج١: ص١٨٣ وغيرهم.

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة، قال: خطبنا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فقال: «أيّها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجّوا»، فقال رجل: أكلّ عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم»، ثم قال: «ذروني ما تركتكم، فإنّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه» (انظر صحيح مسلم ج٤: ص١٠٢ كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى الحج وغيره)، ورواه ابن حبان في صحيحه ج٩: ص١٨، والزيلعي ج١: ص٢٣٤ وغيرهم.

وأخرج مسلم أيضاً بسنده عن أبي هريرة عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال: «ذروني ما تركتكم» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص٩٢ كتاب الفضائل، باب توقيره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وترك اكثار سؤاله عمّا لا ضرورة إليه)، ورواه النووي في الأذكار النووية: ص٨، وفي رياض العالمين: ص٥١٩، وأبو نعيم في جزء نافع: ص٢١، والسيوطي في الجامع الصغير ج١: ص٦٦٤، وفي اللمع في أسباب ورود الحديث ج١: ص٥٢ ح٤٣٢٥، والمتقي الهندي في كنز العمال ج١: ص١٨١ ح٩١٦ وغيرهم.

(١) وتوضيح المقام أنّ مجموع ما جاء به النبي الأكرم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وأمر صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ به المسلمين إمّا من الآداب الكاملة أو من الأخلاق الفاضلة، أو من العقائد الحقّة، أو من الأحكام الشرعية، أو الأعمال الصالحة والمقربة إلى الله عزّ وجلّ، وكذلك ما نهى صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عنه فإنّه ممّا يجب الاجتناب عنه للوصول إلى تلك المراحل المذكورة. فعندما يقول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: فأتوا بما أمرتكم

➔
على نحو الإطلاق، أي: ما تحتاجون إليه، وما به تهتدون إلى دين الله عزّ وجلّ، وما ترشدون إلى معرفة الله وطاعته. بعبارة أخرى، معنى قولهصلى الله عليه وآله: ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به، ولا تركت من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به، أي: ليس شيء من الأشياء يقربكم إلى الجنة فيجعلكم قريباً من الجنة وليس من شيء يبعّدكم عن النار إلا قد أمرتكم به على نحو الإطلاق، فيشمل جميع الدين.

وفي الحقيقة أنّ هذا الحديث بما فيه المعنى الواسع يرشدنا إلى الدين الكامل، وهو معنى قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً**﴾ (سورة المائدة:٣)، فأي يوم ذلك اليوم الذي اجتمعت فيه هذه الخصوصية المصيريّة في الإسلام، وهي إكمال الدين، وإتمام النعمة، وقبول الله لدين الإسلام ديناً ختامياً لكل البشريّة؟

ممّا لا شك فيه أن ذلك اليوم يكون يوماً عظيماً في تاريخ حياة النبيصلى الله عليه وآله ولا يمكن أن يكون يوماً عادياً كسائر الأيام، ولأهميّة ذلك اليوم العظيم نزلت هذه الآية المباركة، واتّفق المفسّرون جميعاً على نزولها قبل وفاة الرسولصلى الله عليه وآله بشهور، ونقل الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في كتاب ما نزل من القرآن بحق الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام عن أبي سعيد الخدري وهو صحابي معروف، أنّ النبيصلى الله عليه وآله أعطى في يوم غدير خم عليّاً منصب الولاية... وإن الناس في ذلك اليوم لم يكادوا ليتفرّقوا حتى نزلت آية: اليوم أكملت لكم دينكم...، فقال النبيصلى الله عليه وآله وفي تلك اللحظة: «الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي وبالولاية لعليعليه السلام من بعدي»، ثم قالصلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله...» (انظر الغدير ج١: ص١٨ نقلاً عن كتاب ما نزل من القرآن بحق الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام لأبي نعيم). والروايات الواردة في هذا المجال بالغة عن حدّ التواتر، فالمقصود بذلك اليوم الذي تحقق فيه إكمال الدين هو يوم غدير خم الذي نصب النبيصلى الله عليه وآله فيه الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بصورة رسميّة
➔

وهم الناقلون عنه خبر من مات وليس في عنقه بيعة فقد مات ميتة جاهلية، وما بمعناه[1]؟!!!

➔

وعلنيّة خليفة له، وبذلك يأس الكفّار حيث أنّهم كانوا يتوهّمون بأن دين الإسلام سينتهي بوفاة النبيﷺ وأن الأوضاع ستعود إلى عهد الجاهلية، لكنّهم حين ما شاهدوا أن النبيﷺ أوصى بالخلافة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، ورأوا أنّهﷺ يأخذ البيعة للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام أحاط بهم اليأس من كلّ جانب، وفقدوا الأمل فيما توقعوه من شرّ لمستقبل الإسلام وأدركوا أن هذا الدين باق راسخ ففي يوم غدير خم أصبح الدين كاملاً. فحديث ما تركت من شيء يقرّبكم إلى الجنّة إلا وقد حدّثتكم به، ولا تركت من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به. معناه بيّنت لكم الإسلام على نحو الإطلاق، فيشمل جميع الدين. وهو مطابق لآية إكمال الدين التي نزلت يوم غدير خم، حيث أكمل الله دينه وأتمّ نعمته على العالمين بولاية الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وتعيينه للخلافة والإمامة وفي هذا اليوم - أيضاً - رضي الله بالإسلام ديناً، بل خاتماً للأديان، بعد أن اكتملت مشاريع هذا الدين، واجتمعت فيه الجهات المذكورة كما بيّنها الآية المباركة، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الحديث المعروف الذي رواه علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنّة في كتبهم بأسناد عديدة وبعبارات مختلفة، وبهذا اللفظ رواه جملة من كبار علماء أهل السنّة في صحاحهم (لاحظ صحيح مسلم ج٦: ص٢٢ كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، والسنن الكبرى للبيهقي ج٨: ص١٥٦، وكتاب السنّة لابن أبي عاصم: ص٤٨٩، والمعجم الكبير للطبراني ج١٩: ص٣٢٥ وغيرها). بل ورووا ما هو قريب من هذا المضمون متظافراً، ممّا يرجع مضمونها إلى عدم خلوّ كلّ عصر من إمام تجب على الناس طاعته وبيعته، إلا أنّهم عجزوا عن الأخذ بمضمونها؛ حيث لا إمام لهم في أكثر الأعصار بعد وفات النبيﷺ ولا مجال لهم للعمل بمقتضاها، بعد مخالفة

➔

ألم يتبيّن لهم إمامة عترته في كلّ زمان بخبر الثقلين[1]،

➔

الصحابة والتابعين لمدلولها، كما سيتّضح الأمر من خلال المباحث الآتية. وقبل الدخول في البحث لا بدّ من ملاحظة ألفاظ الحديث، وإليك بعض هذه النصوص: منها قولهصلى الله عليه وآله: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» (انظر ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج٣: ص٤٧٥). ومنها قولهصلى الله عليه وآله: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٩٦، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٥: ص٢١٨، ومسند الشاميين ج٢: ص٤٣٧، وحلية الأولياء لأبي نعيم ج٣ ص٢٢٤ وغيرها). منها قولهصلى الله عليه وآله: «من مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهلية» (انظر كتاب السنة لأبي عاصم ج٢: ص٥٠٣، ومسند أبي يعلى الموصلي ج١٣: ص٣٦٦، والمعجم الأوسط للطبراني ج٢: ص٣٦١، وكنز العمّال للمتقي الهندي ج١: ص٢٠٧ وغيرها). منها قولهصلى الله عليه وآله: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢٢ كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، والسنن اكبرى للبيهقي ج٨: ص١٥٦، مجمع الزوائد للهيثمي ج٥: ص٢١٨ وغيرها). ونحو ذلك ممّا يرجع إلى عدم خلوّ كلّ عصر من إمام تجب على الناس طاعته، لشرعية إمامته ومعنى ذلك وجوب معرفة الإمام أوّلاً ثم التسليم له ثانياً وعدم خلوّ زمان منه ثالثاً وهذه الروايات مطابقة لمدلول قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**﴾ (سورة الاسراء:٧١). حيث يدلّ على أن لكلّ إنسان إماماً يدّعى به. وعليه فإنّ جميع هذه الألفاظ المختلفة يرجع إلى معنى واحد وهو وجود الإمام الذي تجب طاعته في كلّ عصر وزمان. ولكن أهل السنّة لايمكنهم تطبيقها بالنسبة إليهم، لأنّه ليس لديهم الإمام الذي أوجب الله طاعته عليهم في كلّ عصر وزمان، لأنّ الإمامة عندهم انتهت بموت خلفائهم. فما رواه أحمد بن حنبل وغيره من حديث سفينة غير قابل للأخذ لأنّ هذه الأحاديث تنفي حديث سفينة، فلاحظ.

(١) إنّ حديث الثقلين من الأحاديث المتّفق عليها بين المسلمين، وهو من الآثار التي ثبت صدورها عن رسول اللهصلى الله عليه وآله عند الفريقين، والكتب التي نقلت هذا الحديث أكثر من أن

➔

➔

تحصى، فقد أخرجه الحفاظ وأئمة الحديث من علماء أهل السنّة في صحاحهم ومسانيدهم وسننهم، ونصّوا على صحته ووثاقة رُواته، فالحديث في أعلى درجة الصحّة، وطرقه إلى الصحابة كثيرة جداً، بل متواتر في جميع طبقاته، وطرقها عن بضع وعشرين صحابياً متظافرة كما نص على ذلك ابن حجر (انظر الصواعق المحرقة: ص١٣٦). وقد أفرد العلامة السيد مير حامد حسين لكنهوي لحديث الثقلين جزئين من موسوعته عبقات الأنوار وذكر فيه طرق الحديث من طرق أهل السنّة إلى الصحابة فهي أكثر من بضع وعشرين صحابيّاً.

وممّن روى هذا الحديث، امام الحنابلة أحمد بن حنبل في مسنده بطرق عديدة، فقد روى بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وأنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص١٤).

وروى بسنده عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي،وإنّهما لن يفترقا حتى يردا الحوض عليّ»(مسندأحمد بن حنبل ج٥:ص١٨٢).

وروى بسنده عن على بن ربيعة قال: لقيت زيد بن أرقم وهو داخل على المختار أو خارج من عنده، فقلت له: أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّي تارك فيكم الثقلين....»؟ قال: نعم. (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٧١).

وروى بسنده عن علي بن زيد عن أنس بن مالك قال: أنّ قوماً ذكروا عند عبيدالله بن زياد الحوض فأنكره، وقال: ما الحوض؟ فبلغ ذيك أنس بن مالك، فقال: لا جرم والله لأفعلنّ فأتاه، فقال: ذكرتم الحوض؟ فقال عبيدالله: هل سمعت رسول الله ﷺ يذكره؟ فقال: نعم، يقول: أكثر من كذا وكذا مرّة، إنّ ما بين طرفيه كما بين أيلة ومكّة، أو بين صنعآء ومكّة، وآنيته لأكثر من عدد نجوم السماء (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٢٣٠).

وروى أيضاً بسنده عن أبي حيان اليتمي قال: حدّثني يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سيرة وعمرو بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلمّا جلسنا قال: لقد لقيت يا زيداً خيراً كثيراً،

➔

➔

رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسمعت حديثه وغزوت معه وصلّيت معه، لقد رأيت يا زيداً خيراً كثيراً، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: يا ابن أخي والله لقد كبرت سنّي، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وآله، فما حدّثتكم فاقبلوا، وما لا، فلا تكلّفونيه، ثمّ قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فينا خطيباً، بماء يدعى خُمّاً بين مكّة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكّر، ثمّ قال: «أمّا بعد، ألا أيّها الناس فإنّما أنا بشرٌ يوشك أن يأتي رسول ربّي فأُجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به» فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثمّ قال: «وأهل بيتي أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي» (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٣٦٧). وإلى غير ذلك ممّا رواه أحمد بن حنبل في مسنده، وهذا مصدر واحد من مصادر أهل السنّة وهناك مصادر عديدة من الصحاح والمسانيد والسنن من أهل السنّة والجماعة وقد رووا هذا الحديث بأسانيد عديدة وسنذكرها إن شاء الله في محلّه.

وأمّا دلالة الحديث فهي واضحة جداً كالشمس في رابعة النهار؛ حيث أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حصر فيه وجوب اتّباع القرآن والعترة الطاهرة عليهم السلام إلى يوم القيامة، فإنّ من له أدنى معرفة بألفاظ اللغة العربيّة وأساليبها يعرف أنّ الحديث صريح في دلالته على وجوب اتّباع الثقلين منحصراً إلى يوم القيامة؛ لأنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قرَن طاعة عترته الطاهرة بمحكم الكتاب العزيز، فكما يجب الأخذ بالكتاب واتّباعه كذلك يجب اتباع العترة الطاهرة، حيث جعل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الأئمّة الطاهرين عليهم السلام من العترة الطاهرة عدلاً للقرآن وشريكاً للوحي، وقد حصر الفوز بالسعادة بالتمسّك بهما معاً، والضلالة لمخالفتهما أو مخالفة واحد منهما، فالحديث صريح في وجوب اتّباع القرآن وأئمّة الطاهرين من العترة الطاهرة عليهم السلام.

ولا بأس هنا بذكر بعض النصوص والعبارات من بعض أهل السنّة والاعترافهم بما قلناه: قال الزرقاني: قال الحكيم الترمذي: حضّ على التمسّك بهم، لأنّ الأمر لهم معاينة، فهم أبعد

➔

وخبر السفينة(١)،

←

عن المحنة» (انظر شرح المواهب اللدنية ج٧: ص٥ نقلاً عن نوادر الأصول للترمذي).

وقال النووي: قولهﷺ: «وأنا تارك فيكم ثقلين، فذكر كتاب الله وأهل بيته». قال العلماء: سمّيا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما، وقيل لثقل العمل بهما (انظر شرح صحيح مسلم للنووي ج١٥: ص١٨٠).

وقال ابن الأثير: فيه (أي في حديث): إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي؛ سمّاهما ثقلين لأن الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل. ويقال لكلّ خطير نفيس: ثقل، فسمّاهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما (انظر النهاية ج١: ص٢١٦ مادة ثقل).

وقال القاري: والمراد بالأخذ بهم: التمسّك بمحبّتهم، ومحافظة حرمتهم، والعمل بروايتهم، والاعتماد على مقالتهم (انظر مرقاة المفاتيح ج٥: ص٢٠٠).

وقال شهاب الدين الخفاجي: أي: تمسّكتم وعملتم واتّبعتموه (انظر نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض ج٢: ص٤١٠).

وقال المناوي: إنّي تارك فيكم بعد وفاتي خليفتين؛ زاد في رواية: أحدهما أكبر من الآخر؛ وفي رواية بدل خليفتين: ثقلين، سمّاهما به لعظم شأنهما: كتاب الله القرآن، حبل، أي: هو حبل ممدود ما بين السماء والأرض؛ قيل: أراد به عهده، وقيل: السبب الموصل إلى رضاه؛ وعترتي – بمثنّاة فوقيّة –: أهل بيتي. تفصيل بعد إجمال، بدلاً أو بياناً، وهم أصحاب الكساء الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير ج٣: ص١٤). وإلى غير ذلك ممّا ورد في كتبهم في شرح الحديث. وسيأتي بحث في فقه الحديث ويتبيّن للقارئ الكريم دلالة حديث الثقلين على ضوء كلمات علماء أهل السنّة والمحقّقين، فالحديث دالّ على إمامة أهل البيتعليهم السلام وهذا ينافي حديث سفينة الذي رواه أحمد بن حنبل وغيره.

(١) فإنّ حديث السفينة من الأحاديث النبوية الشهيرة المتواترة، وقد رواه الكثير من علماء الفريقين الشيعة والسنّة، من المفسّرين والمحدّثين والمؤرّخين بطرق عديدة، عن عدة من

←

➔

صحابة الرسول صلى الله عليه وآله وهو من الأدلّة الواضحة على انحصار الإمامة في أئمة أهل البيت عليهم السلام، فقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن حنش الكناني، قال: سمعت أبا ذر يقول، وهو آخذ بباب الكعبة: من عرفني فأنا من قد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك» (انظر كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢: ص٧٨٥). ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٢: ص٣٤٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٦٨، والطبراني في المعجم الأوسط ج٤: ص ١٠ وغيرهم.

وأخرج الهيثمي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له» (مجمع الزوائد ج٩: ص١٦٨)، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط ج٦: ص٨٥، وابن كثير في تفسيره ج٤: ص١٢٣، والمناقب لابن المغازلي: ص٣٢٤ وغيرهم.

ومن الطبيعي أنّه لايسعنا المجال لاستقصاء جميع طرق الحديث وذكر جميع المصادر التي أخرجت هذا الحديث، والمهم أنّ الجوامع الحديثية من أهل السنّة قد روت هذا الحديث بطرق عديدة، قال ابن حجر المكي: جاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضاً: «إنما مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا». وفي رواية مسلم: «ومن تخلف عنها غرق». وفي رواية: «هلك» (انظر الصواعق المحرقة: ص٢٣٤)؛ فالحديث من حيث السند في غاية القوة الإجادة.

وأمّا من حيث الدلالة فإنّه يدل على لزوم متابعة أهل البيت عليهم السلام، وما أروعه من تشبيه دالّ وموقظ، يبعث على التيقّظ والحذر فرسول الله صلى الله عليه وآله يتطلّع صوب المستقبل من وراء حجب الغيب، فيبصره مليئاً بالفتن والضلالات التي يشبّهها بالأمواج المتلاطمة العاتية، فقد شبّه صلى الله عليه وآله الدنيا ببحر يموج بأمواجه الجبليّة، بأمواج الثقافات البشريّة؛ والناس في وسط هذا البحر يبحثون عن لوح يتشبّثون به من أجل النجاة. قد يلجأ الإنسان في وسط

➔

➔

هذه المعمعة، في هذه اللجة؛ قد يلجأ إلى القراصنة، فيأخذون به إلى تلك الأمواج الجبلية فيغرق! وقد يهتدي الإنسان إلى سفينة النجاة، سفينة أهل البيت عليهم السلام فينجو؛ وترسو به على شاطئ بر الأمان والسلام.

فأمواج ثقافية متناقضة مِنْ كل حدب وصوب: من الغرب ومن الشرق، من الخارج ومن الداخل، من الماضي والحاضر، كلٌ يدلي بدلائه الفكرية، وكلّ يدعي الصواب، وكلّ يدعي أنه يمسك بناصية سفينة النجاة.

والحال أن الوضع هو كوضع قوم نوح، البشرية في وسط المعمعة، في لجة ظلماء؛ يحتاج الإنسان فيها إلى بصيص نور، يمسك به لكي يركب تلك السفينة.

فإذن ينبغي أن تكون الأُمّة على حذر، وأن تُدرك أنّ طريق النجاة الوحيد يكمن في ركوب "السفينة"، واللوذ بأهل البيت عليهم السلام، والاعتصام بحجزتهم، والتمسّك بتعاليمهم وسنّتهم ليس هناك شكّ في دلالة الحديث على وجوب إطاعة أهل البيت عليهم السلام وإلاّ هل لعاقل تأخذه أمواج عاتية، فيشرف حتماً على الغرق والضياع، ثمّ يتردّد في النجاة، ولا يركب سفينة الإنقاذ.

وقد اعترف بذلك شراح الحديث من أهل السنّة قال الطيبي بشرح الحديث عن أبي ذر الغفاري: قوله: وهو آخذ باب الكعبة، أراد الراوي بهذا مزيد توكيد لإثبات هذا، وكذا أبو ذر اهتمّ بشأن روايته، فأورده في هذا المقام على رؤوس الأنام ليتمسّكوا به. وفي رواية له بقوله: من عرفني فأنا من قد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «ألا: إن مثل أهل بيتي...» الحديث. أراد بقوله: فأنا أبو ذر، المشهور بصدق اللهجة وثقة الرواية، وأنه هذا حديث صحيح لا مجال للردّ فيه. وهذا تلميح إلى ما روينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء، أصدق من أبي ذر»، وفي رواية أبي ذر: «من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر شبه عيسى بن مريم»، فقال عمر بن الخطاب كالحاسد: يا رسول الله أفتعرف ذلك؟! قال: «ذلك فاعرفوه». أخرجه الترمذي وحسنه الصنعاني في كشف الحجاب شبه

➔

➔

الدنيا بما فيها من الكفر والضلالات، والبدع والأهواء الزائغة، ببحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض، وقد أحاط بأكنافه وأطرافه الأرض كلها، وليس فيه خلاص ومناص إلا تلك السفينة، وهي: محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله (انظر كتاب شرح المشكاة للطيبي المسمى بالكاشف عن حقائق السنن لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ) المخطوط)، وقال القاري بمثل كلمات الطيبي واستشهد بها (انظر المرقاة في شرح المشكاة ج٥: ص٦١٠).

وقال السمهودي: قوله صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه» الحديث. ووجه: إن النجاة ثبت لأهل السفينة من قوم نوح عليه السلام... ومحصّله: الحث على التعلّق بحبلهم وحبّهم وإعظامهم شكرا لنعمة مشرفهم صلى الله عليه وآله، والأخذ بهدي علمائهم ومحاسن أخلاقهم وشيمهم. فمن أخذ بذلك نجا من ظلمات المخالفة، وأدى شكر النعمة الوافرة، ومن تخلّف عنه غرق في بحار الكفران وتيار الطغيان، فاستوجب النيران (انظر كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين شرف العلم الجلي والنسب العلي، لعلي بن عبد الله الحسني السمهودي: مخطوط).

وقال المناوي (إن مثل أهل بيتي) فاطمة وعلي وابنيهما، وبينهما أهل العدل والديانة فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هلك، وجه التشبيه: أن النجاة ثبت لأهل السفينة من قوم نوح، فأثبت المصطفى صلى الله عليه وآله لأمّته بالتمسّك بأهل بيته النجاة، وجعلهم وصلة إليها. ومحصوله: الحث على التعلّق بحبّهم وحبلهم وإعظامهم شكراً لنعمة مشرفهم، والأخذ بهدي علمائهم، فمن أخذ بذلك نجا من ظلمات المخالفة، وأدى شكر النعمة المترادفة. ومن تخلّف عنه غرق في بحار الكفران وتيار الطغيان، فاستحقّ النيران، لما أن بغضهم يوجب النار كما جاء في عدة أخبار، كيف وهم أبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى، الذين احتجّ الله بهم على عباده، وهم فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة، الذين أذهب عنكم الرجس وطهرهم، وبرأهم من الآفات، وافترض مودّتهم في كثير من الآيات، وهم العروة الوثقى، ومعدن التقى. واعلم أن المراد بأهل بيته في هذا

➔

وخبر فليتول علياً[١]،

المقام العلماء منهم، إذ لا يحث على التمسّك بغيرهم وهم الذين لا يفارقون الكتاب والسنّة حتى يردوا معه على الحوض (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ج٢: ص٥١٩)، وقال ابن حجر المكي مثل ذلك (انظر الصواعق المحرقة: ص٢٣٤). وإلى غير ذلك من أقوالهم في شرح الحديث.

ولايخفى على الخبير أنّه إذا جعنا هذا الحديث جنب حيث« ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلاّ فرقة واحدة» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص١٠٢). نستنتج أنّ الفرقة الناجة هم الذين ركبوا سفينة أهل البيتعليهم السلام، ولذلك أشار الشافعي في أشعاره:

ولمّا رأيتُ الناس قد ذهبت بهم ... مذاهبهم في أبحر الغي والجهل
ركبت على اسم الله في سفن النجا ... وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وأمسكت حبل الله وهو ولاؤهم ... كما قد أمرنا بالتمسّك بالحبل
إذا افترقت في الدين سبعون فرقة ... ونيف كما قد جاء في محكم النقل
ولم يك ناج منهم غير فرقة ... فقل لي بها يا ذا الرجاحة والعقل
أفي الفرق الهلاك آل محمد ... أم الفرقة اللائي نجت منهم قل لي
فان قلت في الناجين فالقول واحد ... وإن قلت في الهلاك حدت عن العدل
إذا كان مولى القوم منهم فإنني ... رضيت بهم لا زال في ظلّهم ظلّي
فخل عليّاً لي إماماً ونسلهُ ... وأنت من الباقين في أوسع الحلّ

ويحكى عن الشافعي أنّه أنشد هذه الأبيات في جواب من سأله عن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وهي شهادة صريحة، وقد روى القصة والأبيات العلامة الأميني في كتابه (الغدير ج٢: ص٤٢٣)، فمدلول الحديث ينافي حديث سفينة الذي رواه أحمد بن حنبل، فلاحظ.

(١) هذه العبارة اشارة إلى الحديث المعروف الذي رواه علماء أهل السنّة بطرق متعدّدة، فعن

وخبر عددهم بأسمائهم(١)،

➔

زياد بن مطرف عن مطرف عن زيد بن أرقم قال: سمعت يقول: «من أحبّ أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويسكن جنّة الخلد التي وعدني ربي فليتول علياً وذريّته من بعده، فإنهم لن يخرجوكم باب هدى، ولن يدخلوكم باب ضلالة» (انظر كنز العمال للمتقي الهندي ج١١: ص٦١٢، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٤٢: ص٢٤٢، والإصابة لابن حجر ج٢: ص٤٨٥، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج١: ص٣٨٢، وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج١: ص١٦٨ وغيرهم). والحديث صريح في أنّ رسول الله ﷺ جعل فوز الإنسان ودخوله الجنة بموالاة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأولاده المعصومين عليهم السلام، وهو صريح في إمامة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام.

(١) هذه العبارة اشارة إلى حديث الذي عيّن فيه رسول الله ﷺ الأئمة الإثني عشر من أهل بيته عليهم السلام ونصّ عليهم ليكونوا خلفائه من بعده وأوصيائه. وقد جاء ذكرهم بأسمائهم مُوضحاً ﷺ بأنّ أوّلهم الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وبعده ابنه الحسن عليه السلام، ثمّ أخوه الحسين عليه السلام، ثمّ تسعة من ذرية الحسين آخرهم المهدي عليه السلام. فقد أخرج الحمويني الجويني في كتابه فرائد السمطين: بسنده عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قدم يهودي يقال له نعثل، فقال: يا محمد أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين فان أجبتني عنها أسلمت على يديك؟ قال ﷺ: «سل يا أبا عمارة» فقال: يا محمد صف لي ربك، فقال ﷺ: «لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وكيف يوصف الخالق الذي تعجز العقول أن تدركه والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحده، والأبصار أن تحيط به، جلّ وعلا عمّا يصفه الواصفون، نائي في قربه، وقريب في نأيه، هو كيف الكيف، وأين الأين، فلا يقال له أين هو؟ وهو منقع الكيفية، والأينونية، فهو الأحد الصمد كما وصف نفسه، والواصفون لا يبلغون نعته، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد»، قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن قولك إنه واحد لا شبيه له، أليس الله واحد والإنسان واحد؟ فقال ﷺ: «الله عزّ وعلا واحد حقيقي، أحدي المعنى، أي لا جزء ولا تركّب له،

➔

➔
والانسان واحد ثنائي المعنى، مركب من روح وبدن»، قال: صدقت، فأخبرني عن وصيّك من هو؟ فما من نبي إلا وله وصيّ، وإن نبيّنا موسى بن عمران أوصى يوشع بن نون، فقال: «إن وصيي علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين»، قال: يا محمد فسمهم لي؟ قال: «إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي، فهؤلاء إثنا عشر»، قال: أخبرني كيفيّة موت علي والحسن والحسين؟ قال صلى الله عليه وآله: «يقتل علي بضربة على قرنه، والحسن يقتل بالسمّ والحسين بالذبح»، قال : فأين مكانهم؟ قال:« في الجنة في درجتي»، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وأشهد أنهم الأوصياء بعدك، ولقد وجدت في كتب الأنبياء المتقدّمة، وفيما عهد إلينا موسى بن عمران عليه السلام إنه إذا كان آخر الزمان يخرج نبي يقال له أحمد ومحمد، هو خاتم الأنبياء، لا نبي بعده، فيكون أوصياؤه بعده إثنا عشر: أولهم ابن عمه وختنه، والثاني والثالث كانا أخوين من ولده، ويقتل أمّة النبي: الأول بالسيف، والثاني بالسمّ، والثالث مع جماعة من أهل بيته بالسيف وبالعطش، في موضع الغربة، فهو كولد الغنم يذبح ويصبر على القتل لرفع درجاته ودرجات أهل بيته وذريّته، ولاخراج محبّيه وأتباعه من النار، وتسعة الأوصياء منهم من أولاد الثالث، فهؤلاء الاثنا عشر عدد الأسباط قال صلى الله عليه وآله: «أتعرف الأسباط؟» قال: نعم كانوا إثنا عشر أولهم لاوي بن برخيا، وهو الذي غاب عن بني إسرائيل غيبة ثم عاد، فأظهر الله به شريعته بعد اندراسها ، وقاتل قرسطيا الملك حتى قتل الملك قال صلى الله عليه وآله: «كائن في أمتي ما كان في بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة، وإن الثاني عشر من ولدي يغيب حتى لا يرى، ويأتي على أمتي بزمن لا يبقى من الاسلام إلا اسمه ولا يبقى من القرآن إلا رسمه، فحينئذ يأذن الله تبارك وتعالى له بالخروج، فيظهر الله الاسلام به ويجدّده، طوبى لمن أحبّهم وتبعهم، والويل لمن أبغضهم وخالفهم، وطوبى لمن تمسّك بهداهم»، فأنشأ نعثل
➔

والسنن التي دلّت على إمامة خصوص عليعليه السلام من بعدهصلى الله عليه وآله حسبما مضى التنبيه على شطر منها[١]؟!!!

فهل يتصوّر في حقّ من بعث رحمة للعالمينصلى الله عليه وآله صيرورته نقمة

➔ شعراً:

صلى الإله ذو العلى عليك يا خير البشر	أنت النبي المصطفى والهاشمي المفتخر
بكم هدانا ربّنا وفيك نرجو ما أمر	ومعشر سميتهم أئمة إثنا عشر
حباهم رب العلى ثم اصطفاهم من كدر	قد فاز من والاهم وخاب من عادى الزهر
آخرهم يسقي الظما وهو الإمام المنتظر	عترتك الأخيار لي والتابعين ما أمر
من كان عنهم معرضاً	فسوف تصلاه سقر

(انظر فرائد السمطين للحمويني الجويني ج٢: ص١٣٢ ح٤٣١، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج٣: ص٢٨١) وهذا الحديث أيضاً يعارض حديث سفينة الذي رواه أحمد بن حنبل، فلاحظ.

(١) وذلك كحديث المنزلة وحديث الراية وحديث سدّ الأبواب وحديث المؤاخات وحديث خاصف النعل وحديث أنا مدينة العلم وحديث الحقّ مع علي وحديث الكساء وحديث صاحب الحوض واللواء وغيرها من الأحاديث. فيلزم على من يدعي صحّة حديث سفينة الرجوع إلى هذه الروايات الصريحة الدالّة في إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام. فالباحث المنصف لو تأمّل في هذه الروايات، ودرس التاريخ الإسلامي دراسة علمية خارجة عن التعصّب والرواسب المذهبيّة، يصل إلى هذه النتيجة وهي أنّ النصوص المتواترة لدى جميع المسلمين صريحة في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وكما أنّ مصادر أهل السنّة صريحة بالاتّفاق على قيام إجماع الناس على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بعد مقتل عثمان وهذا من الأمور الواضحة كالشمس في رابعة النهار، فلاحظ.

عليهم[(١)]؟!! ويا عجبى من تناقضهم حيث يروون صحيحاً من طرق عديدة

---

(١) هذه العبارة اشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء:١٠٧) والآية الكريمة تشير إلى أنّ وجود النبيﷺ رحمة عامة شاملة لجميع البشر بل لجميع الخلائق، سواء الكافر منهم والمؤمن، فهم مشمولون لرحمتهﷺ، والرحمة كلمة جامعة لكل أنواع العطاء الإلهي، وحيث أنّ النبي الأكرمﷺ تكفّل بنشر الدين الذي ينقذ جميع الخلائق، فهو مظهر للرحمة الإلهيّة، ومطلق عطاء الله عزّ وجلّ، قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ... وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الأعراف:١٥٦) فكما أنّ الرحمة الإلهية شاملة لكل شئ، فإنّ وجود النبيﷺ رحمة شاملة لجميع الخلائق أجمعين، وإذا كان جماعة قد انتفعوا بهذه النعمة العظيمة وآخرون لم ينتفعوا، فإنّ ذلك يتعلّق بهم أنفسهم، ولا يخدش في عموميّة الرحمة وهذا يشبه تماماً أن يؤسّس جماعة مستشفى مجهّزة لعلاج كلّ الأمراض، وفيها الأطباء المهرة، وأنواع الأدوية، ويفتحوا أبوابها بوجه كلّ الناس بدون تمييز، أليست هذه المستشفى رحمة لكلّ أفراد المجتمع؟ فإذا امتنع بعض المرضى العنودين من قبول هذا الفيض العامّ، فسوف لا يؤثّر في كون تلك المستشفى عامّة. وبتعبير آخر فإنّ كون وجود النّبيﷺ رحمة للعالمين له صفة المقتضي وفاعلية الفاعل، ومن المسلّم أنّ فعلية النتيجة، لها علاقة بقابلية القابل وإنّ التعبير بـ"العالمين" له إطار واسع يشمل كلّ البشر وعلى امتداد الأعصار والقرون، ولهذا يعتبرون هذه الآية إشارة إلى خاتمية نبي الإسلامﷺ، لأنّ وجوده رحمة وإمام وقدوة لكلّ الناس إلى نهاية الدنيا، ومقتضى تلك الرحمة أن يجعل له خليفة وإماماً يتصف بجميع صفاته ليملأ الفراغ الحاصل بوفاتهﷺ.

وعلى كلّ حال، بعد ملاحظة الروايات الدالّة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وملاحظة هذه الآية المباركة يتيقن كل انسان بأنّ تعيين مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام للإمامة والخلافة بعد النبيﷺ بلا فصل كان بمقتضى هذه الآية الكريمة، وبمقتضى الرحمة العامة الشاملة لجميع الناس أجمين، فلاحظ.

ما دلّ على كون ذلك القرن خير القرون[1]

---

(١) لقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله عن النبيصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال: خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجئ أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته، قال إبراهيم: وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد (انظر صحيح البخاري ج٣: ص١٥١ كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد). ورواه مسلم في صحيحه ج٧: ص١٨٥ كتاب الفضائل، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم والترمذي في سننه ج٣: ص٣٧٦، والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٩١ غيره.

وقال النووي: وفي رواية خير الناس قرني ثم الذين يلونهم إلى آخره اتّفق العلماء على أن خير القرون قرنهصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والمراد أصحابه وقد قدمنا أن الصحيح الذي عليه الجمهور أن كل مسلم رأى النبيصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ولو ساعة فهو من أصحابه ورواية خير الناس على عمومها... (انظر شرح صحيح مسلم ج١٦: ص٨٥).

ولايخفى أنّ مقتضى عموم حديث خير القرون أن يكون الناس أكملهم من جهت الإيمان بالله ورسولهصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ولكن الروايات الصحيحة المتواترة عند أهل السنّة تدلّ على ارتداد أكثر الصحابة بعد وفاة النبيصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (انظر صحيح البخاري ج٧: ص ٢٠٨ كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى: إنا أعطيناك الكوثر). فكان المفروض أن يمدح رسول اللهصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الصحابة في الروايات على نحو الإطلاق، ولكن الروايات والنصوص فيها الذم في حقّ الصحابة. وعليه كيف يمكن أن يكون خير القرون قرن الصحابة، وهم قد خالفوا فيه أوامر الله ورسولهصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في ولاية مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعَلَيْهِ السَّلَامُ بعد وفاة رسول اللهصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وما أحدثوا في السقيفة من غصب الخلافة، فإنّهم بمخالفتهم لأمر الله ورسول اللهصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في مسألة الإمامة رفضوا الدين الكامل الذي أكمله الله تعالى بإمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعَلَيْهِ السَّلَامُ خليفة ووصياً وإماماً من بعد النبيّصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فلاحظ.

وهم يزعمون عدم وجود إمام فيه فيصير موت من مات فيه ميتة جاهلية(١).

(١) وتوضيح المقام أنّه من لوازم إنكار الإمام الذي أكمل الله تعالى به دينه، الخروج عن الايمان والاسلام معاً وهو الارتداد، وهذا معنى قولهﷺ: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية» (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٩٦). أو «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» (انظر شرح المقاصد للتفتازاني ج٢: ص٢٧٥). وما ورد قريب من هذه المضامين، والمعنى واحد؛ حيث أنّ معناه أنّ من أنكر الإمام الذي أمر الله عزّ وجلّ نبيّهﷺ بتنصيبه وتعيينه إماماً وخليفة لما بعده، فهوكمن أنكر دين الله ويكون موته ميتة جاهلية؛ لأنّ معناه إنكار لأوامر الله ورسولهﷺ، فقولهﷺ: مات ميتة جاهلية: أي مات على حالة الكفر، فأنّه وإن كان إنكار الإمام فقط لا يكون إنكاراً لجميع الإسلام بحسب الظاهر، ولكن اعتبره الشارع الأقدس إنكاراً لجميع الإسلام؛ حيث أنّه أنكر ما بيّنه الله تعالى في كتابه العزيز في قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً**﴾ (سورة المائدة:٣) فإنكار ما أكمل الله عزّ وجلّ به الدين وما أتمّ به نعمته على المؤمنين إنكار لتمام الدين. لأنّه ملازم لإنكار نبوة النبيﷺ ولإنكار ما جاء به رسول اللهﷺ؛ وقد أكمل الله تعالى دينه بإمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام؛ فنزلت قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً**﴾ (سورة المائدة:٣) بعد تنصيب الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام فمن أنكر إمامتهعليه السلام فقد هذه الآية المحكمة وأيضاً أنكر ما جاء به رسول اللهﷺ من قبل الله عزّ وجلّ، ومن أنكر قول الله ورسولهﷺ فقد أنكر الإسلام كلّه، إذ الإسلام يتوقّف على قول الله ورسولهﷺ، وعليه من مات على تلك الحالة مات ميتة جاهلية وكفر؛ لأنّ المضطرب في إمامته مضطرب في دينه. فكيف يمكن الجمع بين هذا الحديث وقول ابن تيمية حيث يقول: أنّ الفترة بعد مقتل عثمان كانت فترة الفتنة والإضطراب، فمرجع هذا القول إلى أنّ من مات في تلك الفترة مات ميتة جاهلية، لأنّه قد ثبت بالتواتر عن النبيﷺ من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية، ←

فموتى زمان عليعليه السلام ومعاوية بعد قتل عثمان موتى جاهلية[١] فلزم من زعم هذه الفرية عدم بيان من هو رحمة للعالمينصلى الله عليه وآله خليفة ذلك الزمان[٢]،

فمعناه من مات بغير إمام مات بغير دين، وعليه فمن أنكر إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فقد أنكر الإسلام كله كما هو المستفاد من الحديث، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح: أنّ من لوازم إدعاء الفتنة بعد مقتل عثمان القول بأنّ من مات على تلك الحالة مات ميتة جاهليّة؛ لأنّ حسب هذا الإدعاء الباطل كانت تلك الفترة، فترة الفتنة والإضطراب، إذ لم يعين فيها الإمام، إذ بناءً على القول المدعي كان الناس مضطربين متحيّرين في تلك الفترة من جهة الإمامة والولاية. ومن الواضح أنّ حديث من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية (مسند أحمد بن حنبل ج ٤: ص٩٦). يدلّ على أنّ من مات في ذلك الزمان، مات ميتة جاهلية، لأنّ المضطرب في الإمامة مضطرب في دينه؛ لأنّه ليس لديه من يهديه إلى الحق وإلى طريق الصواب، ومن مات في هذه الحالة مات بغير إمام، والحديث صريح في أنّ من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية، فلاحظ.

(٢) وتوضيح المقام: أنّ من زعم تحقق الفتنة بعد مقتل عثمان يلزمه إنكار حقيقة هامّة ضرورية وهي إنكار ما وصف الله به رسولهصلى الله عليه وآله من أنّهصلى الله عليه وآله رحمة للعالمين، إذ مقتضى الرحمة المطلقة شمولها للأمّة حتى بعد وفاتهصلى الله عليه وآله، ومن الواضح أنّ الفتنة لا تجتمع مع الرحمة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ**﴾ (سورة البقرة:١٩١)، وذلك لأنّ الفتنة تفضي إلى القتل في الدنيا وإلى استحقاق العذاب الدائم في الآخرة فكل ما ينطبق عليه عنوان الفتنة يصحّ أن ينطبق عليه قوله تعالى: والفتنة أكبر من القتل هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنّ النبي الأكرمصلى الله عليه وآله كان يعلم بوقوع الفتنة بعد وفاتهصلى الله عليه وآله كما أخبر بذلك في أحاديث متواترة لدى جميع المسلمين (لاحظ صحيح البخاري ج٨: ص٨٦ كتاب الفتن، وصحيح مسلم ج٨: ص١٦٥ كتاب الفتن وأشراط الساعة). فكيف يمكن أن

➔

يكون الرسولﷺ رحمة للعالمين ومع ذلك لا يجعل في أمته من يدفع عنهم الفتن؟!!

ولا يخفى على الخبير أنّ معنى رحمة للعالمين شمول نعمة إرسال الرسولﷺ لجميع الأمّة كما أنّ مقتضى الإطلاق شمول الرحمة لكل شئ، ومقتضى ذلك أنّ ببركة رسالة خاتم الأنبياءﷺ إنّ الله أنعم لجميع مخلوقاته، والرحمة لكلّ شئ بحسب ما يليق بحاله، ومقتضى ذلك أن يوفى لكلّ ذي حقّ حقّه ، فالنعم والبركات التي أنعم الله تعالى للأمّة ببركة رسول اللهﷺ مطلقة وشاملة لجميع الأزمان والأمكنة والحالات؛ لإطلاق لفظ الرحمة، ومقتضى الإطلاق والعموم شمول هذه الرحمة للأمّة حتى بعد وفاة النبي الأكرمﷺ فالقول بوجود الفتنة بعد وفاة النبيﷺ لا يجتمع مع عموم الرحمة وإطلاقه.

وبعبارة أخرى كيف يمكن تتحقق الرحمة العامة مع عدم وجودها بعد وفاة النبي الأكرمﷺ؟ فأنّ الله تعالى أرسل رسولهﷺ رحمة للعالمين في جميع الأزمنة، وإن عامّة البشر في الدنيا، سواء الكافر منهم والمؤمن، مشمولون لرحمتهﷺ، لأنّهﷺ تكفّل بنشر الدين الذي ينقذ به جميع الناس، فإذا كان جماعة قد انتفعوا به وآخرون لم ينتفعوا، فإن ذلك يتعلق بهم أنفسهم، ولا يخدش في عمومية الرحمة. وهذا يشبه تماماً أن يؤسّس جماعة مستشفى مجهزة لعلاج كلّ الأمراض، وفيها الأطباء المهرة، وأنواع الأدوية، ويفتحوا أبوابها بوجه كل الناس بدون تمييز، أليست هذه المستشفى رحمة لكل أفراد المجتمع؟ فإذا إمتنع بعض المرضى العنودين من قبول هذا الفيض العام، فسوف لا يؤثر في كون تلك المستشفى عامة المنفعة.

وبتعبير آخر أنّ وجود النبيﷺ رحمة للعالمين، وهذه الصفة بحسب اقتضاء المقتضي وفاعليّة الفاعل عامّة شاملة للجميع، وأمّا الفعلية والنتيجة إنّما هي مرتبطة بقابلية القابل. كما أنّ قابلية القابل شرط في تحقق الهداية، ولا تكفي فاعليّة الفاعل؛ فإنّها كالأرض السبخة لا تثمر وإن هطل عليها المطر آلاف المرات، فقابليّة الأرض شرط في استثمار ماء المطر. وساحة الوجود الإنساني لا تتقبّل بذر الهداية ما لم يتم تطهيرها من اللجاج

🡐

وقد عرفت بيان ما جحدوه بالعمومات التي دلّت على بيانه لهم جميع ماهم محتاجون إليه إلى يوم القيامة[1]، ومن أعظم ما يحتاجونه الشيء الذي

➔

والتعصب والعناد. فشمول الرحمة أيضاً كذلك. وعليه فمن زعم وجود الفتنة بعد مقتل عثمان يلزمه إنكارهذه الحقيقة الهامة الضرورية ألتي قد وصف الله تعالى بها نبّيه في القرآن الكريم وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء:١٠٧)، فإطلاق الرحمة تقتضي عدم وجود الفتنة بين المسلمين والصحابة. والمدعي يقول: أنّ الفترة بعد مقتل عثمان هي فترة الفتنة، وهذه الدعوى أمّا يرجع إلى القول بعدم وجود الرحمة المطلقة للنبي الأكرمﷺ -والعياذ بالله- وهو الإفتراء على الله سبحانه، وإمّا يرجع إلى القول بأنّ المقتضي للرحمة العامّة الشاملة للجميع، غير شاملة لمن عاش بعد مقتل عثمان فلم تشملهم الرحمة لعدم قابليته لتلك الرحمة، لأنّ القرآن صريح في عدم وجود ما ينافي الرحمة المطلقة، والفتنة تنافي الرحمة العامة. وعليه فمن زعم وجود الفتنة بعد مقتل عثمان إمّا أنّه قد أنكر هذه الحقيقة القرآنيّة، وإمّا لم تشمله الرحمة الإلهيّة من جهة نفسه، أي عدم قابليته للشمول بالنسبة إلى تلك الرحمة الواسعة، فلاحظ.

(١) لقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال دعوني ما تركتكم إنّما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٤٢ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب الاقتداء بسنن رسول اللهﷺ)، ورواه ابن حبان في صحيحه ج١: ص٢٠٠، وابن الجوزي في كشف المشكل في حديث الصحيحين ج٣: ص٥٠٩، ورياض الصالحين للنووي ج١٣٥، والزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار ج١: ص٤٢٣، والسيوطي في اللمع في أسباب ورود الحديث: ص٥٢، والألباني في ارواء الغليل ج١: ص١٨٣ وغيرهم.

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة، قال: خطبنا رسول اللهﷺ فقال: أيّها الناس

🡐

يلزم من جهلهم به موتهم ميتة جاهلية[١].

➔

قد فرض الله عليكم الحجّ فحجّوا، فقال رجل: أكلّ عام يا رسول الله؟ فسكت حتّى قالها ثلاثاً، فقال رسول اللهﷺ: لو قلت نعم لوجبت، ولمّا استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتكم فإنّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه (انظر صحيح مسلم ج٤: ص١٠٢ كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى الحج وغيره)، ورواه ابن حبان في صحيحه ج٩: ص١٨، والزيلعي ج١: ص٢٣٤ وغيرهم.

وأخرج مسلم أيضاً بسنده عن أبي هريرة كلّهم قال عن النبيﷺ قال: «ذروني ما تركتكم» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص٩٢ كتاب الفضائل، باب توقيرهﷺ وترك إكثار سواله عما لا ضرورة إليه)، ورواه النووي في الأذكار النووية: ص٨ وفي رياض العالمين: ص٥١٩، وأبو نعيم في جزء نافع: ص٢١، والسيوطي في الجامع الصغير ج١: ص٦٦٤، وفي اللمع في أسباب ورود الحديث ج١: ص٥٢ ح٤٣٢٥، والمتّقي الهندي في كنز العمّال ج١: ص١٨١ ح٩١٦ وغيرهم. فعموم هذه الروايات الصحيحة عند جميع أهل السنّة تدلّ بالصراحة على أنّ النبي الأكرمﷺ قد بيّن جميع ما يحتاجون إليه الناس، فالقول بالفتنة بعد مقتل عثمان معناه نقض هذه العمومات والإطلاقات، إذ معناه لم يذكر النبيﷺ جميع ما يحتاجون به الناس، فعموم الروايات ينتقض بهذا القول، وعليه فمن زعم وجود الفتنة بعد مقتل عثمان يلزمه القول بنفي هذه العمومات التي وردت في أصحّ كتبهم، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح: أنّ معنى قولهﷺ: «مات ميتة جاهلية» أي من مات بغير إمام مات على هذه الحالة، فمن زعم أنّ الفترة بعد مقتل عثمان كانت فترة الفتنة، والمقصود بفترة الفتنة أي الفترة التي لم يعرف فيها الإمام الحق، فمن مات في هذه الحالة مات ميتة الجاهلية؛ إذ قد ورد عن النبي الأكرمﷺ «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليّة» (انظر ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج٣: ص٤٧٥)، أو قالﷺ: «من مات بغير إمام مات

➔

➔

ميتة جاهلية» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٩٦، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٥: ص٢١٨، ومسند الشاميين ج٢: ص٤٣٧، وحلية الأولياء لأبي نعيم ج٣ ص٢٢٤ وغيرها)، أوقال ﷺ: «من مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهلية» (انظر كتاب السنة لأبي عاصم ج٢: ص٥٠٣ ومسند أبي يعلى الموصلي ج١٣: ص٣٦٦، والمعجم الأوسط للطبراني ج٢: ص٣٦١، وكنز العمّال للمتقي الهندي ج١: ص٢٠٧ وغيرها)، أو قال ﷺ: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢٢ كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، والسنن اكبرى للبيهقي ج٨: ص١٥٦، مجمع الزوائد للهيثمي ج٥: ص٢١٨). أوما يرجع إلى هذه المضامين من وجوب معرفة الإمام أو وجوب البيعة له أو وجوب طاعته، والتسليم للإمام، والقيام بالواجب الملقى على عاتقهم والتمكين له في الأمور والإلتزام بالطاعته، وإلاّ سوف تكون موتهم ميتة جاهليّة وكفر وضلال. وعليه فأنّ أهم ما يحتاج إليه الإنسان للخلاص من هذه الحالة الطاعة للإمام المفترض الطاعة، الذي ينحصر طريق النجاة به، ولذلك قال تعالى: ﴿**فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ (سورة الأنعام: ٤٨). فإنّ طريق النجاة للمؤمنين ينحصر في أمرين، وهم الذين يؤمنون ويصلحون أنفسهم ويعملون الصالحات، وعندئذٍ لا خوف عليهم من العقاب الإلهي، ولا هم يحزنون على أعمالهم السابقة. فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وهو معنى قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ (سورة البقرة:٣٨).

أما أولئك الذين لا يصدقون بآياتنا، بل يكذبون بها فإنّ عقابهم على فسقهم وعصيانهم عذاب من الله، قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾ (سورة الأنعام:٤٩) فمن أنكر إمامة إمام الحقّ فهو مصاديق التكذيب بآيات الله والتكذيب بآيات الله معناه الخروج عن الإيمان بالله، ولذلك قال ﷺ: مات ميتة جاهلية، فلاحظ.

فعُلم من هذه العمومات بيانه لهم بياناً جليّاً قاطعاً للعذر مقيماً به للحجّة على من خالفه حسبما عرفت ذلك من السنن الصحيحة العديدة التي دلّت على إمامة العترة(١)،

---

(١) وبعبارة أوضح أنّ النصوص الصحيحة عند جميع أهل السنة تدلّ بالصراحة على بيان مسألة الإمامة بعد وفاة النبيﷺ بالأدلّة الواضحة بحيث تكون قاطعة للعذر عند جميع المسلمين، فإنّ حديث الثقلين وحديث السفينة وغيرهما من الأحاديث والنصوص الصريحة في امامة العترة الطاهرة عليهم السلام كثيرة جداً قد رواها علماء الإسلام، وقد أخرجها جهابذة علماء أهل السنّة من المفسّرين والمحدّثين والمؤرّخين وغيرهم، ولا شكّ أن كل من يؤمن بنبوّة نبيّ الإسلامﷺ وكان إيمانه صادقاً، ينبغي أن يؤمن بهذه الأحاديث والنصوص، لئلا يشاقق الله ورسولهﷺ، ويتّبع غير سبيل المؤمنين كما قال تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾ (سورة النساء:١١٥).

ولأجل وضوح الأمر نذكر هنا جملة من الأدلة والنصوص التي رواها الخلفاء الثلاثة بأسنادهم عن رسول اللهﷺ، وهي تدلّ على خلافة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام والعترة الطاهرةعليهم السلام بعد النبيﷺ بلا فصل، ليتّضح للقارئ الكريم أنّ معتقد الشيعة في الإمامة ثابتة بالأدلّة والنصوص من مصادر أهل السنّة والتي رواها خلفائهم عن رسول اللهﷺ وإليك بعذ هذه النصوص، منها: ما أخرجه أحمد بن حنبل وغيره من المحدّثين والمؤرّخين من أهل السنّة باسنادهم عن أبي بكر: إن النبيﷺ بعثه بالبراءة لأهل مكّة وإبلاغهم ببعض الآيات من سورة التوبة، وفيها - أيضاً - لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنّة إلا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول اللهﷺ مدّة فأجله إلى مدّته، والله برئ من المشركين ورسوله. فسار بها ثلاثاً متوجّها نحو مكّة. ثم قالﷺ: لعليعليه السلام: الحقه فردّ عليعليه السلام أبا بكر وبلغها أنت.

قال: ففعل - عليعليه السلام - ما أمر. فلمّا قدم أبو بكر على النبيﷺ بكى فقال: يا رسول الله، ←

➔

حدث في شيء؟ قال ﷺ: «ما حدث فيك إلا خير، ولكن أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني» (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٣ وج١: ص٧، كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص٢٥٤، وأنساب الاشراف للبلاذري ج٢: ص٨٨٦ والبداية والنهاية لابن كثير ج٧: ص٣٥٧-٣٥٨ وفيه: أو «رجل من أهل بيتي»، البيان والتعريف لابن حمزة الحسيني ج١: ص٣٧٨ ح٤٤١ أخرجه عن أحمد بن حنبل وابن خزيمة وأبي عوانة). ولا يخفى ان رواة هذه القصة أكثر من اثني عشر صحابيّاً غير أبي بكر ممّن رووا حديث البراءة، ولكن اعتراف وإقرار أبي بكر بنفسه بأن النبي ﷺ عزله عن القيام بهذه المهمّة الدينيّة ذات أهمية كبرى وكرامة عظمي للامام علي عليه السلام، وإن هذا العزل لم يكن إلا بأمر إلهي اوحي إلى النبي ﷺ بأن يعزل أبا بكر وينصب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مكانه للقيام بهذه المهمّة وإبلاغ البراءة لأهل مكّة، وإنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد أدّى هذا الامر بأبلغ وجه وأتمه كما مرّ في الحديث.

ومنها: حديث الغدير الذي روى مائة وعشر من كبار صحابة النبي ﷺ وثمانون وأربع راو من التابعين وكذا أخرج ما يربو عن أربعمائة عالم ومحدّث ومفسّر ومؤرخ ورجالي وكثير من رجال العلم والأدب المعتمد عليهم عند أهل السنّة، وحديث الغدير هو: لما كان النبي ﷺ راجعاً من حجّته - حجة الوداع - وذلك في السنة العاشرة الهجريّة نزل عليه الوحي يأمره بإكمال الدين يعني تبلغ تلك المسالة المصيريّة أي تعيين الامام والخليفة من بعده، فأمر الناس بتجهيز مقدمات ذاك الأمر مثل الإعلان بتريث المسلمين الحجّاج وتوقفهم في محل يعرف بغدير خم وهو مفترّق الطرق المؤدية إلى مكّة والمدينة وغيرها، وأمر ﷺ بارجاع الذين سبقوا الاخرين بالذهاب وإيقاف القادمين، حتى تجمع آنذاك في ذاك المحل مائة وعشرون ألف حاجّاً من شتى أقطار البلاد الاسلاميّة.

وكان ذلك اليوم يوماً حارّاً هاجراً شديد الرمضاء والشمس ساطعة حرارتها على رؤوسهم، وقد اشتعلت أرض الحجاز، فأمرهم النبي ﷺ بأن يصنعوا له من جهاز الجمال

🡐

➔

والمراكب مكاناً مرتفعاً كالمنبر حيث يراه الحاضرون جميعاً ويسمعون كلامه، فوقف النبيﷺ على ذاك الموضع المنبري وخطب الناس خطبة غراء وقال فيما قالهﷺ: «أيها الناس... من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله...».

وغير ذلك من العبارات الباهرة حيث شبه النبيﷺ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بنفسه وبانه ولي الناس والقائم بأمرهم، وطاعته فرض واجب، وأنّه الخليفة من بعده. ولكي يصد أمام ملابسات المنافقين وشبهات المخالفين لمولويّة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وخلافته، أخذ بيد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ورفعه عالياً حيث يراه جميع الحضار والمجتمعين في هذا المؤتمر العالمي ثم دعاﷺ يتولى علياً وينصره ولعن من عاداه وخذله، وبعد ذلك أمر الناس الذين اجتمعوا في هذا المؤتمر بان يقوموا فرداً فرداً ويبايعوا عليّاً ويسلّموا عليه بالإمرة والخلافة طوعاً. وقد طالت هذه البيعة من ضحى ذاك اليوم حتى غروبه، وحتى نساء النبيﷺ وسائر المؤمنات جئن فوضعن أيديهن في الطشت الذي وضع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام يده فيه وهو خلف الخيمة فبايعنه على الخلافة والولاية وبهذه الطريقة أعلن المسلمون آنذاك باجمعهم التزامهم بالانقياد والطاعة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، ومن أراد الوقوف على التفصيل بالنسبة إلى أسناد حديث الغدير ومعرفة أسماء رواته وأسماء الحفّاظ والمصادر التي أخرجت هذا الحديث فليراجع كتاب الغدير للعلامة الأميني المجلد الاول ج١: ص١٤-١٥٨ حيث إنه روى عن ثلاثمائة وستّين عالماً وستّة وعشرين كتاباً من علماء أهل السنّة وكتبهم. ومن رواة هذا الحديث الخلفاء الثلاثة

واستقصى العلامة التستري في كتابه القيم إحقاق الحقّ ج٢: ص٤١٥-٥٠١ وقد أوصل عدد رواة هذا الحديث إلى أربعمائة راو. إن أبا بكر وعمر وعثمان كانوا في مقدّمة الرواة لحديث الغدير الذين نقلوا قول النبيﷺ للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه».

➔

➔
الثانية: روى أكثر من ستين عالماً وحافظاً ومؤرخاً بان أبا بكر وعمر هما أول من بارك وهنّا علياً بالخلافة والولاية وقالا له: بخ بخ لك يا علي، أو قالا له: أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن. وذلك عندما انتهت مراسيم حفل الغدير، وإعلان النبيﷺ بان علياً هو مولى المؤمنين وبعد ما أمر الناس بالبيعة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام. وممّن روى حديث الغدير - حديث من كنت مولاه فعلي مولاه - عن أبي بكر: القاضي أبو بكر الجعابي (المتوفى ٣٥٦ هـ(روى حديث الغدير عن مائة وخمس وعشرين طريقاً من الصحابة، منهم أبي بكر (انظر لمناقب للسروي ج٣: ص٢٥)، ومنصور اللاتي الرازي - من أعلام القرن الخامس - في كتابه "حديث الغدير" أسماء من روى حديث الغدير مرتّباً على حروف المعجم، وذكر منهم أبا بكر (انظر المناقب للسروي ج٣: ص٢٥). وقال ابن المغازلي الشافعي (المتوفى ٤٨٤ هـ(: وقد روى حديث غدير خم عن رسول اللهﷺ نحو من مائة نفس، منهم العشرة المبشّرة، وهم: أبو بكر وعثمان وطلحة والزبير... وهو حديث ثابت لا أعرف له علّة، تفرد عليعليه السلام بهذه االفضيلة ليس يشركه فيها أحد (انظر المناقب لابن المغازلي: ص٢٧ ذيل ح٣٩). وأخرجه أيضاً العلامة الجزري الشافعي في كتابيه "أسنى المطالب" وأسمى المناقب في تهذيب أسنى المطالب (انظر أسنى المطالب: ص٣٥). وروى المؤرخ العلامة زيني دحلان عن أبي بكر عن رسول اللهﷺ أنه قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار» (انظر فتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين بهامش السيرة النبوية لزيني دحلان ج٢: ص١٦١).

وإليك - أيها القارئ الكريم - بعض النماذج من تلك العبارات التهنة التي رويت عن أبي بكر وعمر معاً أو انفرد به أحدهما مما روي في مصادر أهل السنّة المعتمد عليها عندهم:

فقد أخرج ابن حجر الهيثمي (المتوفى ٩٣٢ هـ(في كتابه الصواعق عن الدار قطني تهنئة أبي بكر وعمر للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وقولهما: بخ بخ لك يابن أبي
➔

➔

طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة (انظر الصواعق المحرقة: ص٤٤).

وكذلك قولهما: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة (انظر تفسير محمد بن جرير الطبري ج٣: ص٤٢٨).

وكذلك قولهما: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى جميع المؤمنين والمؤمنات (انظر تذكرة الخواص للحافظ أبي المظفر شمس الدين سبط بن الجوزي الحنفي: ص٢٩).

وكذلك قولهما: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة (انظر التفسير الكبير لفخر الدين الرزاي الشافعي ج ١٢ : ص ٤٩ في تفسير قوله تعالى : يا أيها الرسول بلغ.....).

ومنها: ما أخرجه السيوطي وآخرون من أعلام الحديث عند أهل السنّة بطرق عديدة عن صفوان بن سليم أو عامر الشعبي قالا: إن خالد بن الوليد كتب إلى أبي بكر، أنه وجد في بعض نواحي العرب رجلاً ينكح كما تنكح المرأة. فاستشار أبو بكر أصحاب النبيصلى الله عليه وآله وفيهم أمير المؤمنين عليعليه السلام وكان أشدّهم قولاً. فقالعليه السلام: «إن هذا الذنب لم تعص به أمّة من الأمم إلا واحدة، فصنع الله بها ما قد علمتم، أرى أن تحرقه بالنار». فأجمع رأي أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله على أن يحرقوه بالنار. فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد بأن يحرقه، فحرقه، ثم حرقهم ابن الزبير في أمارته، ثم حرقهم هشام بن عبد الملك (راجع: الدر المنثور ج٣: ص٣٤٦، وأيضاً السيوطي في مسند علي بن أبي طالب: ص٢٥٦ ح٧٩٩، والمحلى لابن حزم ج١١: ص٣٨١، والتمهيد لابن عبد البر ج٥: ص٣١٥، والمتّقي الهندي في كنز العمّال ج٥: ص٤٦٩ ح١٣٦٤٣، والقاضي نور الله التستري في إحقاق الحق ج١٥: ص٨ وغيرهم).

ومنها: ما أخرجه جمال الدين الموصلي الحنفي المشهور بابن حسنويه (المتوفى ٦٨٠هـ(بسنده عن أنس بن مالك، قال: لمّا كان يوم المؤاخاة وآخى النبيصلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار، وعليعليه السلام واقف يراه ويعلم مكانه لم يؤاخ بينه وبين أحد، فانصرف عليعليه السلام

➔

➔

باكي العين. قالصلى الله عليه وآله: «يا بلال، اذهب فائتني به». فمضى بلال وأتى علياًعليه السلام وقد دخل منزله فرأته فاطمةعليها السلام فقالت: «ما يبكيك لا أبكى الله عينيك؟»، قالعليه السلام: «يا فاطمة، آخى النبيصلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف يراني ويعلم مكاني لم يؤاخ بيني وبين أحد»، قالتعليها السلام: «لا يحزنك، لعلك إنما أخرك لنفسه». فطرّق بلال الباب وقال: يا علي، أجب رسول اللهصلى الله عليه وآله. فأتى عليعليه السلام إلى النبيصلى الله عليه وآله. فقال النبيصلى الله عليه وآله: «ما يبكيك، يا أمير المؤمنين؟»

فقال عليعليه السلام: «آخيت بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف تعرف مكاني لم تؤاخ بيني وبين أحد».

فقالصلى الله عليه وآله: «يا علي، إنّما أخّرتك لنفسي كما أمرني ربي، قم، يا أبا الحسن»، فأخذ بيده ورقى المنبر وقال: «اللهم إن هذا مني وأنا منه، ألا إنه بمنزلة هارون من موسى، أيها الناس، ألست أولى بكم من أنفسكم؟» قالوا: بلى. قالصلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه، ومن كنت وليه فعلي وليه، اللهم إني قد بلغت ما أمرتني به». ثم نزل. وقد سر عليعليه السلام فجعل الناس يبايعونه وعمر بن الخطاب يقول: بخ بخ لك يابن أبي طالب، أصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة، امرأة من يعاديك طالق طلقة (انظر المناقب لإبن المغازلي: ص٤٣، وأرجح المطالب لعبيد الله الأمرتسري: ص٤٢٥، والرياض النضرة لمحب الطبري ج٣: ص١٢٦).

ومنها: ما رواه المتّقي الهندي بسنده عن المأمون لعباسي عن الرشيد، قال: حدّثني المهدي، قال: حدّثني المنصور، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني عبد الله بن عباس، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: كفوا عن ذكر علي بن أبي طالبعليه السلام فقد رأيت من رسول اللهصلى الله عليه وآله فيه خصالاً لأن تكون لي واحدة منهن في آل الخطاب أحبّ إلي ممّا طلعت عليه الشمس.

كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة في نفر من أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله فانتهيت إلى باب أم سلمة وعليعليه السلام قائم على الباب فقلنا: أردنا رسول اللهصلى الله عليه وآله. فقالعليه السلام: يخرج إليكم. فخرج

➔

➔

رسول الله صلى الله عليه وآله فسرنا إليه فاتكاً على علي بن أبي طالب عليه السلام ثم ضرب بيده منكبه ثم قال: «إنك مخاصم تخاصم، أنت أول المؤمنين إيماناً، وأعلمهم بأيام الله، وأوفاهم بعهده، وأقسمهم بالسوية، وأرأفهم بالرعية، وأعظمهم رزية، وأنت عاضدي وغاسلي ودافني، والمتقدم إلى كل شديدة وكريهة، ولن ترجع بعدي كافراً، وأنت تتقدمني بلواء الحمد، وتذود عن حوضي» (انظر كنز العمال ج١٣: ص١١٧ ح٣٦٣٧٨). ورواه غير واحد من أعلام الحديث والتاريخ، كالإسكافي غي نقض العثمانية: ص٢٩٢، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٥٨، وابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة ج١٣: ص٢٣٠، وخطيب خوارزم في المناقب: ص٥٤، والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٠٩ و١١٨، والسيوطي في اللئالي المصنوعة ج١: ص٣٢٣ وغيرهم؛ وزاد الأمرتسري ما هذا لفظه: «يا علي، من أحبك فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد أحبّ الله، ومن أحبّ الله تعالى أدخله الجنّة، ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغضه الله تعالى وأدخله النار» (انظر أرجح المطالب: ص٥١٨).

ومنها ما رواه الشيخ بهاء الدين أبو القاسم القفطي الشافعي بسنده عن جابر بن عبد الله الانصاري، قال: قال عمر بن الخطاب: كنت أجفو علياً عليه السلام، فلقيني النبي صلى الله عليه وآله فقال: «آذيتني يا عمر!» فقلت: بأيش؟ قال صلى الله عليه وآله: «تجفو علياً! من آذى علياً فقد آذاني»، فقلت: والله لا أجفو علياً أبد» (انظر الانباء المستطابة للشيخ بهاء الدين أبو القاسم القفطي الشافعي: ص٦٤، والتدوين في أخبار قزوين للرافعي القزويني ج٣: ص٣٩٠، وملحقات إحقاق الحق ج١٦: ص٥٩٢ وج٢١: ص٥٤٢).

أقول: طبقاً لهذه الرواية فإنّ من آذى علياً عليه السلام آذى النبي صلى الله عليه وآله، وجفاءه جفاء النبي صلى الله عليه وآله.

وقال الألباني في معنى الجفاء: إن جفاء النبي صلى الله عليه وآله من الذنوب الكبائر إن لم يكن كفراً (انظر الأحاديث الضعيفة للألباني ج١: ص٦١).

نعم، نسأل علماء أهل السنّة ما حكم من عاهد النبي صلى الله عليه وآله وحلف قسماً بالله عزّ وجلّ وأعطى النبي صلى الله عليه وآله عهداً بأن لا يجفو علياً عليه السلام أبداً؟ وهل أنّ إحراق باب دار الإمام أمير المؤمنين

🡐

➔

علي بن أبي طالب عليه السلام من قبل الخليفة عمر بن الخطاب الذي عاهد النبي صلى الله عليه وآله وحلف قسماً بالله عزّ وجلّ وأعطى النبي صلى الله عليه وآله عهداً بأن لا يجفو علياً عليه السلام أبداً، ليس من الجفاء؟!!!

ومنها: ما أخرجه محمد صالح الكشفي الترمذي بسنده عن عمر بن الخطاب، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «من أحبّك يا علي كان مع النبيّين في درجتهم يوم القيامة، ومن مات يبغضك فلا يبالي مات يهودياً أو نصرانياً» (انظر المناقب المرتضوية للكشفي الترمذي: ص١١٧، والكواكب الدري: ص١٢٥).

ومنها: ما أخرجه الحافظ محمد صالح الكشفي الترمذي الحنفي بسنده عن عمر بن الخطاب، عن سلمان قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله في غمرات الموت فقلت: يا رسول الله، هل أوصيت؟ قال صلى الله عليه وآله: «يا سلمان، أتدري من الاوصياء؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال صلى الله عليه وآله: «آدم عليه السلام وكان وصية شيث وكان أفضل من تركه بعده وكان من ولده؛ وكان وصي نوح عليه السلام سام، وكان أفضل من تركه بعده؛ وكان وصي موسى عليه السلام يوشع، وكان أفضل من تركه بعده؛ وكان وصي سليمان عليه السلام آصف بن برخيا، وكان أفضل من تركه بعده؛ وكان وصي عيسى عليه السلام شمعون بن برخيا، وكان أفضل من تركه بعده؛ وإني أوصيت إلى علي عليه السلام، وهو أفضل من أتركه بعدي» (انظر كوكب الدري: ص١٣٣ المنقبة١٥٨، المناقب المرتضوية: ص١٢٨، ينابيع المودة: ص٢٥٣ أخرجه عن ابن عمر عن سلمان).

ويستفاد من هذه الرواية: إن المراد بالوصي من يكون خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الذي طاعته واجبة، وشخصيته مرموقة، والذي به تقام الشريعة، ويدوم الدين -الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله من عند الله عزّ وجلّ- به ويستفاد منها أيضاً أن النبي صلى الله عليه وآله هو الذي يعيّن الوصي والخليفة من بعده بأمر من الله جلّ شأنه، وليس تعيينه منوطاً باختيار غيره.

ومنها: ما أخرج علي بن شهاب الدين الهمداني وغيره من الحفّاظ والمحدّثين بإسنادهم عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما عقد المؤاخاة بين أصحابه: «هذا علي أخي

➔

فهل يتصوّر ويجوز لمسلم وجود زمان فتنة، بحيث يجهل الناس فيه إمامهم وهذه السنن موجودة عند الصحابة والتابعين؟!!![1]

في الدنيا والآخرة، وخليفتي في أهلي، ووصيي في أمتي، ووارث علمي، وقاضي ديني، له مني ما لي منه، نفعه نفعي، وضرّه ضرّي، من أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني» (انظر الكوكب الدري: ص١٣٣ المنقبة رقم١٥٨، والمناقب المرتضوية:ص١٢٨، ينابيع المودة: ص٢٥٣ أخرجه عن ابن عمر، عن سلمان). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح، كيف يمكن تصوّر وقوع الفتنة بين المسلمين مع وجود تلك الأدلّة الواضحة عند جميع المسلمين، فإنّ الصحابة لو كانوا يعملون بمدلول تلك النصوص والأدلة، لم يختلف أحد في إمامة العترة الطاهرة عليهم السلام؛ لوضوح النصوص والأدلة في إمامتهم. ومن أجل وضوح الأمر نقول: أنّ الهدف في الإسلام هو الحياة بكل معنى الكلمة وعلى جميع الأصعدة؛ لأنّ الإسلام يبعث الحياة في البشريّة في كل شئ، وكلّ فكر، وكلّ قانون، فيبعث الروح في كل جانب من جوانب الحياة المعنويّة، والماديّة، والثقافيّة، والاقتصاديّة، والسياسيّة، والأخلاقيّة والاجتماعيّة، وأخيراً الحياة والعيش بالمعنى الصحيح على جميع الأصعدة، وهذه أقصر وأجمع عبارة عن الإسلام ورسالته الخالدة، فالإسلام دين كامل لا يتصوّر فيه وقوع الفتنة إلا من يخرج عن الإطار الذي رسمه الإسلام، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (سورة الأنفال:٢٥)، فلا يمكن تصور الفتنة في الإسلام إلا بالخروج عن قوانينه وأسسه ولايخفى أنّ هذا الخروج ظلم على الجميع، ولذلك أخرج البخاري في كتاب الفتن بسنده عن نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال قالت أسماء عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «أنا على حوضي أنتظر من يرد علي، فيؤخذ بناس من دوني، فأقول: أمتي، فيقول: لا تدري مشوا على القهقري»، قال ابن أبي مليكة: اللهم إنّا نعوذ بك

➔ أن نرجع على أعقابنا أو نفتن (صحيح البخاري ج٨: ص٨٦ كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى واتّقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصّة وما كان النبي صلى الله عليه وآله يحذر من الفتن). فلا شكّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعلم مصير أمّته، ولذلك قد أوصى الأمّة بأهل بيته عليهم السلام من خلال الأحاديث الكثيرة لا يمكن انكارها، وهذا يعني أنّه صلى الله عليه وآله كان يخشى على أمّته من سيطرة الأهواء والضغوط والشهوات المختلفة؛ فكان الرسول صلى الله عليه وآله يؤكّد على الأمّة وجوب متابعة أهل البيت عليهم السلام كوجوب متابعة القرآن كما في حديث الثلقين المتواتر لدى الفريقين وهو دال على وجوب التمسك بالثقلين، كتاب الله وعترة الرسول صلى الله عليه وآله، وذلك قوله صلى الله عليه وآله: «إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (انظر سنن الترمذي ج٥: ص٦٦٤، ح٣٧٨٦). وهذا الحديث متّفق عليه بين جميع المسلمين وفيه دلالة واضحة على عصمة أهل البيت عليهم السلام ولزوم الأخذ بأقوالهم على حدّ لزوم الأخذ بالقرآن الكريم، ووجوب محبّتهم ومودّتهم، وعدم كفاية القرآن الكريم للهداية من دون التمسك بأهل البيت عليهم السلام. ويدلّ أيضاً على أنّه كما أنّ القرآن ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ (سورة فصلت:٤٢)، كذلك أهل البيت عليهم السلام وهذا معناه عصمة العترة الطاهرة عليهم السلام.

فكان من الواجب على جميع الصحابة متابعة أهل البيت عليهم السلام كمتابعتهم للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله ومتابعتهم القرآن، ومعنى ذلك وجوب الأخذ بأقوالهم والتأسّي بسيرتهم العطرة، بل لا بدّ من الاقتصار على نهجهم دون غيرهم فأنّهم خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله على الأمّة. ومن البديهي أنّه لو كان الناس يلتزمون بهذه النصوص الصحيحة عند جميع المسلمين، لكانوا يسيرون على هذا النهج الصحيح الذي رسم لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وحينئذٍ لا معنى لوجود الفتنة أبداً، فلاحظ.

ولذلك قال الذهبي في ترجمة أبان بن تغلب: ولقد كثر التشيّع في التابعين وتابعيهم بحيث لو لم ينقل عنهم لمقت آثار النبوة واندرست، انتهى نقله بالمعنى[(١)].

وقد نقلت هذه السنن وغيرها من التابعين الحفظة الثقات النقاد لسنن خير البرياتﷺ طبقة عن طبقة إلى طبقة المؤلّفين لها في صحفهم، ونقلها عنهم الطبقات التي بعدهم من الحفظة والمؤلّفين والمصنّفين إلى زمن السني، إلى زماننا، فهي سنن مشهورة معروفة، وبالصحّة والحسن موصوفة، ومن ردّ شيئاً منها على شفا هلكة، فإنّ رده مستلزم لتكذيب خير الرسلﷺ وذلك خطر عظيم[(٢)].

---

(١) قال الذهبي: ولقد كثر التشيّع في التابعين وتابعيهم مع الدين، والورع، والصدق، فلو ردّ حديث هؤلاء لذهبت جملة من الآثار النبوية وهذه مفسدة بينة (انظر ميزان الإعتدال للذهبي ج١: ص٥، في ترجمة أبان بن تغلب).

(٢) وملخّص الكلام أنّ الحجّة قائمة على إمامة العترة الطاهرةعليهم السلام عند جميع المسلمين، إذ لايخفى على الخبير أنّ الحديث إذا توفّرت فيه شروط الصحّة عند أهل العلم ومن له المعرفة بالمصطلح، والتي من ضمنها السلامة من القوادح، وشروط وجوب العمل به، فهو من السنّة النبويّة ويجب العمل به كما يجب العمل بالقرآن الكريم، باعتبار أنّ السنّة النبويّة هي المصدر الثاني للتشريع، فهي كالوحي الذي نزل على رسول اللهﷺ، ولا شكّ أنّ إنكاره مستلزم لتكذيب النبيﷺ وإنكار رسالته وهو موجب للكفر، قال ابن حزم: وقد ذكرنا محمد بن نصر المروزي أن إسحاق بن راهويه كان يقول: من بلغه عن رسول اللهﷺ خبر يقرّ بصحّته ثم ردّه بغير تقيّة فهو كافر (الأحكام لابن حزم ج١: ص٨٩).

وقال السيوطي: فاعلموا رحمكم الله من أنكر كون حديث النبيّﷺ وقولاً كان أو فعلاً ←

➔

بشرطه المعروف في الأصول حجّة، كفر وخرج عن دائرة الإسلام وحشر مع اليهود والنصارى أو مع من شاء الله من فرق الكفرة.... وأصل هذا الرأي الفاسد أنّ الزنادقة وطائفة من غلاة الرافضة ذهبوا إلى إنكار الاحتجاج بالسنّة والاقتصار على القرآن.... (انظر كتاب مفتاح الجنّة في الاحتجاج بالسنّة للسيوطي: ص٢٣ ضمن مجموعة الرسائل المنيرية المجلد الثاني). وقال ابن الوزير في كتابه العواصم والقواصم: إن التكذيب لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله مع العلم أنه حديثه كفر صريح (انظر كتاب العواصم والقواصم ج٢: ص٢٧٤). وإلى غير ذلك من أقوال علماء أهل السنّة؛ فالسنّة النبويّة هي المصدر الثاني للتشريع، فهي كالوحي الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أوجب الله تعالى على المؤمنين التسليم التامّ لكلام النبي صلى الله عليه وآله وحديثه وحكمه، حتى لقد أقسم بنفسه سبحانه أن من سمع كلام النبي صلى الله عليه وآله ثم ردّه ولم يقبل به: أنه ليس من الإيمان في شيء، فقال عزّ وجلّ: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ (سورة النساء:٦٥)، ولذلك وقع الاتفاق بين جميع المسلمين على أن من أنكر حجّيّة السنّة بشكل عامّ، أو كذب حديث النبي صلى الله عليه وآله وهو يعلم أنه من كلامه صلى الله عليه وآله فهو كافر، لم يحقق أدنى درجات الإسلام والاستسلام لله ورسوله صلى الله عليه وآله في كتاب فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء الذي جمعه ورتبه أحمد بن عبد الرزاق الدويش في الرياض وهو من أهمّ الكتب السلفيّة والوهابيّة للفتيا وفيه السؤال عن إسلام من أنكر العمل بالسنّة النبويّة؟ وجاء الجواب فيه: الذي ينكر العمل بالسنّة يكون كافراً؛ لأنه مكذّب لله ولرسوله ولإجماع المسلمين.

فلا ريب أنّ من مقتضى الإيمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله أن يصدّق المسلم بكل ما يخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله، فشهادة أنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله تستلزم: طاعته فيما أمَر، والاجتناب عما نهى عنه، وتصديقه فيما أخبر، وقد قال الله تعالى: ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (سورة الأعراف:١٥٧)، هذه الآية تبيّن حقيقة هامّة وهي أنّ الإيمان بالله غير قابل للفصل عن الإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله، فالذين

➔

سادسها: إنّ ما نقله عن طائفة من كون الحقّ لعليّ عليه السلام في حروبه[(١)]،

آمنوا به وعزروه ونصروه واتّبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون، فقوله تعالى: (عزّروه) مشتقة من مادة تعزير، وتعني الحماية والنصرة المقترنة بالاحترام والتبجيل، والجدير بالانتباه أنّ استعمال كلمة أنزل معه بدل أنزل إليه، للإشارة إلى أنّ النبوة والرسالة نزلا مع القرآن من جانب الله، ولهذا عبر بجملة أنزل معه فإنكار حديث النبي صلى الله عليه وآله إنكار لنبوة النبي صلى الله عليه وآله الذي أنزل من السماء كالقرآن. وعليه فإنّ إجماع المسلمين قائم على أنّ من أنكر الأحاديث النبويّة الصحيحة فهو كافر. ومن هنا يتّضح حكم إنكار ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في فضائل أهل البيت عليهم السلام ممّا يدل على إمامتهم وخلافتهم، فإنّ إنكاره مستلزم لتكذيب النبي صلى الله عليه وآله، ولا شكّ أنّ تكذيب النبي صلى الله عليه وآله موجب للكفر، فلاحظ.

(١) لا شكّ ولا شبهة في أنّ موقف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حروبه عند جميع المسلمين موقف الحقّ؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «علي مع الحق والحق مع علي، اللهم أدر الحق مع علي حيثما دار» (انظر سنن الترمذي ج٥: ص٢٩٧، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٢٤، ومسند أبي يعلى الموصلي ج١: ص٤١٩، والمعجم الأوسط للطبراني ج٦: ص٩٥، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٠: ص٢٧٠). ولذلك حكى ابن أبي الحديد عن أبي القاسم البجلي وتلامذته من المعتزلة: أنّه لو نازع علي عليه السلام عقيب وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّ سيفه لحكمنا بهلاك كلّ من خالفه وتقدّم عليه، كما حكمنا بهلاك من نازعه حين أظهر نفسه، ولكنّه مالك الأمر وصاحب الخلافة، إذا طلبها وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها، وإذا أمسك عنها وجب علينا القول بعدالة من أغضى له عليها، وحكمه في ذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنه قد ثبت عنه في الأخبار الصحيحة أنه قال صلى الله عليه وآله: «علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار»، وقال صلى الله عليه وآله له غير مرّة: «حربك حربي، وسلمك سلمي» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص٢٩٦) ثم قال ابن أبي الحديد: وهذا المذهب هو أعدل المذاهب

➔

عندي، وبه أقول.

وهناك روايات كثيرة تدلّ على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقتال القاسطين والناكثين والمارقين، فقد أخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن عمر بن الخطاب أنّه قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٣٩). وأخرج ابن عبد البر بسنده عن عن حبيب بن أبي ثابت، عن ابن عمر أنّه قال: ما آسى على شيء إلا أنى لم أقاتل مع عليّ الفئة الباغية. وقال الشعبي: ما مات مسروق حتى تاب إلى الله عن تخلّفه عن القتال مع عليّ. ولهذه الأخبار طرق صحاح قد ذكرناها في موضعها. وروى من حديث عليّ، ومن حديث ابن مسعود، ومن حديث أبي أيوب الأنصاري أنه أمر بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين (انظر الإستيعاب ج٣: ص١١١٧). وقال ابن حجر العسقلاني: وذهب جمهور أهل السنّة إلى تصويب من قاتل مع علي لامتثال قوله تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا**..﴾ الآية ففيها الامر بقتال الفئة الباغية وقد ثبت أن من قاتل علياً كانوا بغاة (انظر فتح الباري في شرح البخاري ج١٣: ص٥٨). ومعنى كلامه أنّ معاوية وحزبه بغاة ظالمون دعاة إلى النار وقتالهم فريضة، ودماؤهم هدر وقتلهم طاعة لله وقربة إلى الله تعالى. فموقف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عند جميع المسلمين موقف حقّ وموقف عدوّه ومن قاتله البغي والكفر، والبغي عبارة عن الخروج على إمام الحقّ والعدل، قال النووي: الباغي في اصطلاح العلماء: هو المخالف لإمام العدل، الخارج عن طاعته بامتناعه من أداء واجب عليه أو غيره... (انظر روضة الطالبين ج٧: ص ٢٧٠). والبغاة هم الذين خروجوا على مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقاتلوه وكانوا على ثلاث طوائف كما في الحديث النبوي وهم الناكثون والقاسطون والمارقون فقد أخرج ابن عساكر بسنده عن عن سليمان بن مهران الأعمش عن إبراهيم عن علقمة والأسود قالا: أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين فقلنا له: يا أبا أيوب إن الله أكرمك بنزول محمد صلى الله عليه وآله وبمجئ ناقته تفضلاً من الله وإكراماً لك

➔

ومن حاربه مجتهدون مصيبون ذيله باطل بيّن[1]؛

حتى أناخت ببابك دون الناس ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلا الله، فقال: يا هذان الرائد لا يكذب أهله وإن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرنا بقتال ثلاثة مع علي بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فأما الناكثون فقد قاتلناهم وهم أهل الجمل طلحة والزبير، وأما القاسطون وهذا منصرفنا من عندهم يعني معاوية وعمراً، وأما المارقون فهم أهل الطرفاوات وأهل السعيفات وأهل النخيلات وأهل النهروانات، والله ما أدري أين هم ولكن لا بدّ من قتالهم إن شاء الله، قال: وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعمار: «يا عمار تقتلك الفئة الباغية وأنت مذ ذاك مع الحقّ والحقّ معك، يا عمار بن ياسر إن رأيت عليّاً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع عليّ فإنه لن يدليك في ركي ولن يخرجك من هدي، يا عمار من تقلد سيفاً أعان به عليّاً على عدوّه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من در ومن تقلد سيفاً أعان به عدو عليّ قلّده الله يوم القيامة وشاحين من نار» قلنا: يا هذا حسبك رحمك الله حسبك رحمك الله (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٧٢). وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن شعبة قال سمعت خالداً يحدث عن سعيد بن أبي الحسن عن أمّه عن أمّ سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية» (صحيح مسلم ج٨: ص١٨٦ كتاب الفتن واشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء). فلا شكّ ولا شبهة في أنّ الحقّ مع مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في جميع حروبه، فلاحظ.

(١) لايخفى أنّه قد روى علماء أهل السنّة الروايات والنصوص التي تدل بالصراحة على أنّ من حارب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام محكوم بالبغي؛ لأنّه خرج على إمام زمانه وهو من الدعاة إلى النار وقتاله فريضة، ودمه هدر وقتله طاعة لله وقربة إلى الله تعالى (انظر فتح الباري في شرح البخاري ج١٣: ص٥٨، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص٢٩٦، والإستيعاب ج٣: ص١١١٧ وغيرها). ولكن مع الأسف الشديد أنّ هؤلاء العلماء عندما يصلون إلى ما حدث في التاريخ، ويجدون أنّ كبار الصحابة قد

➔

حابوا إمام زمانهم يقلبون الحقائق ويلبسون الحق بالباطل، فعندما يجدون أنّ من حارب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام طلحة والزبير وعائشة، ومعاوية وأصحابهم الذين تابعوا حكام الجور، فلا يحكمون عليهم حسب ما ورد من النصوص الصحيحة عندهم، التي أفتوا بها على بغي من خرج على إمام زمانه، والمفروض أن يحكموا عليهم بما قام عندهم من أدّلة والنصوص، وهذا معناه نقض قاعدة عدالة الصحابة الذي أجمعوا عليها، وهي التي تأسّست عليها المرجعية السياسيّة عند أهل السنّة والجماعة، وأيضاً شملهم قوله تعالى: **﴿مَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** (سورة المائدة:٤١)، ومن هنا تشبّثوا بذرائع واهية التي لا تنتج إلاّ بقبول الجمع بين المتناقضين ويصبح المعنى الجمع بين العدالة والبغي والظلم. قال النووي: أنّه قال العلماء: ويجب قتال البغاة، ولا يكفرون بالبغي (روضة الطالبين للنووي ج٧: ص٢٧١). فالسؤال الذي يتوجه إلى النووي وأضرابه، أنّه كيف يجب قتل المسلم مع كونه مسلماً؟!!! فأنّهم يحكمون على من حارب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بحكم البغي، والباغي عندهم من خرج على إمام زمانه الذي يجب عليه طاعته وبيعته، وحكم الخروج على إمام زمانه واضح عند أهل السنّة والجماعة؛ إذ حكم البغي بما أنّها بغي معناه الخروج عن الإسلام، فإنّ من خرج عن طاعة الإمام العدل فهو الباغي والباغي خارج عن الإسلام. ولكن بما أنّ مجموعة من الصحابة حاربوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وإذا أرادوا إجراء هذا الحكم بالنسبة إليهم يلزمهم القول بكفر الصحابة الذين حاربوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبإجراء هذا الحكم الإلهي ينتقض عندهم قانون عدالة الصحابة. ولذلك قال المباركفوري في شرح حديث يا عمار تقتلك الفئة الباغية: المراد بالفئة أصحاب معاوية والفئة الجماعة والباغية هم الذين خالفوا الإمام وخرجوا عن طاعته بتأويل باطل وأصل البغي مجاوزة الحدّ وفي حديث أبي سعيد عند البخاري في قصّة بناء المسجد النبوي كنّا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فرآه

🡠

➔

النبيﷺ فجعل ينفض التراب عنه ويقول: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» قال الحافظ في الفتح: فإن قيل كان قتله بصفين وهو مع علي والذين قتلوه مع معاوية وكان معه جماعة من الصحابة فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار؟ فالجواب أنهم كانوا ظانّين أنهم يدعون إلى الجنّة وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتّباع ظنونهم فالمراد بالدعاء إلى الجنّة الدعاء إلى سببها وهو طاعة الإمام وكذلك كان عمّار يدعوهم إلى طاعة علي وهو الإمام الواجب الطاعة إذ ذاك وكانوا هم يدعون إلى خلاف ذلك لكنهم معذورون للتأويل (انظر تحفة الأحوذي ج١٠: ص٢٠٥). فكما تلاحظ هكذا يؤوّلون الحديث الصريح الصادر عن النبي الأكرمﷺ الذي لا يقبل أي احتمال وتأويل. ولهذا بالنسبة إلى خروج عائشة على إمام زمانها يقولون: إنّها كانت مجتهدة وإذا كان المجتهد مخطئاً فله أجر واحد. قال القرطبي في الاعتذار عنها: أنّها كانت مجتهدة، مصيبة مثابة في ما تأولت، مأجورة في ما فعلت، إذ كلّ مجتهد في الأحكام مصيب (انظر تفسير القرطبي ج١٤: ص١٨٢ في تفسير قوله تعالى: ولا تبرجن...). وكذلك الأمر بالنسبة إلى معاوية، وعمرو بن العاص فقد قال ابن حزم في كتاب الفصل ما موجزه: إنّ معاوية ومن معه مخطئون مجتهدون مأجورون أجراً واحداً (انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل تصنيف أبي محمد علي بن حزم الأندلسي ج٤: ص١٦١). وقال: معاوية مخطئ مأجور مرة لأنه مجتهد (انظر الفصل في الملل والأهواء لابن حزم ج٤: ص٨٩). وقال معاوية وعمرو بن العاص وقال: إنما اجتهدوا في مسائل دماء كالتي اجتهد فيها المفتون، وفي المفتين من يرى قتل الساحر وفيهم من لا يراه فأي فرق بين هذه الاجتهادات واجتهاد معاوية وعمرو وغيرهما لولا الجهل والعمى والتخليط بغير علم (انظر الفصل في الملل والأهواء ج٤: ص١٦٠). وقال ابن كثير: معاوية مجتهد مأجور إن شاء الله (انظر تاريخ ابن كثير ج٧: ص٢٧٩). وقال بعد ايراده قصة التحكيم بين عمرو وأبي موسى: فأقر - أي أقر عمرو بن العاص - معاوية لما رأى ذلك من المصلحة، والاجتهاد يخطئ ويصيب (انظر تاريخ ابن كثير ج٧: ص٢٨٣). قال ابن حجر الهيتمي في

🡐

لما صحّحه الذهبي من عدة طرق لحديث الغدير الذي تضمن عباير: «اللهم انصر من نصره واخذل من خذله[١]»،

➔

صواعقه: ومن اعتقاد أهل السنّة والجماعة – أيضاً – أن معاوية لم يكن في أيام علي خليفة، وإنما كان من الملوك وغاية اجتهاده أنه كان له أجر واحد على اجتهاده وأما علي فكان له أجران: أجر على اجتهاده وأجر على إصابته (انظر الصواعق المحرقة: ص٢١٦). وقال ابن حجر – أيضاً – في كتابه تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان: كان معاوية مأجوراً على اجتهاده للحديث إن المجتهد إذا اجتهد فأصاب فله أجران وإن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد، ومعاوية مجتهد بلا شكّ فإذا أخطأ في تلك الاجتهادات كان مثاباً وكان غير نقص فيه، ثم عقد فصلاً طويلاً في اثبات اجتهاد معاوية (انظر تطهير الجنان لابن حجر: ص١٥-٢٢). ونقل في تأويل معنى الباغي في صواعقه وقال: وفي الأنوار من كتب أئمتنا المتأخّرين، والباغون ليسوا بفسقة ولا كفرة، ولكنّهم مخطئون في ما يفعلون ويذهبون إليه ولا يجوز الطعن في معاوية لأنه من كبار الصحابة (انظر الصواعق المحرقة: ص٢٢١). وقال الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف المدرس بكلية الشريعة في القاهرة في تعليقه على تطهير الجنان بعد ما نقل عن كتاب دراسات اللبيب: أنه أنكر كثير من الصحابة على معاوية في محدثاته: وذكر من ذلك وقائع وفتاوى كثيرة مرجعها ما يقع لكل المجتهدين من الاختلاف في الرأي أو عدم العلم بالنصّ ومثلها وقع من الصحابة وغيرهم فلا تنزل (انظر التعليق على تطهير الجنان: ص١٨). وإلى غير ذلك من أقوالهم ولايخفى على الخبير أنّ هذه الأقوال والتأويلات ليس لها وجه علمي بل أنّها تعصّب وضلالة؛ إذ كيف يمكن الجمع بين وجوب قتال من حارب إمام زمانه، ومع ذلك يقال بأنّ باغي مجتهد ومأجور على بغيه؟!!!

(١) لقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن زيد بن أرقم قال: لمّا رجع رسول الله ﷺ من حجّة الوداع ونزل "غدير خم" أمر بدوحات فقممن،

➔

وأدر الحق معه حيث دار[1]».

➔

فقال: «كأني دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله تعالى وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»، ثم قال: «إن الله عزّ وجلّ مولاي، وأنا مولى كل مؤمن، ثم أخذ بيد علي» فقال: «من كنت مولاه فهذا وليّه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه....». يقول الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٠٩) وصحّحه الذهبي في تلخيصه في الهامش.

وأخرج الحاكم أيضاً بسنده عن رفاعة بن إياس الضبي عن أبيه عن جدّه قال: كنّا مع علي يوم الجمل فبعث إلى طلحة بن عبيد الله أن القنى، فأتاه طلحة فقال: «نشدتك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه؟» قال: نعم، قال: «فلم تقاتلني؟» قال: لم أذكر، قال: فانصرف طلحة (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص٢٧١) وصحّحه الذهبي في تلخيصه في الهامش.

(١) هذه العبارة اشارة إلى قول رسول الله ﷺ اللهم أدر الحق مع علي ... وهو من الأحاديث المعروفة والمشهورة عند علماء الإسلام، وقد رواه أكثر علماء أهل السنّة في صحاحهم ومسانيدهم وسننهم بطرق عديدة وألفاظ متقاربة بأسانيد صحيحة عن الصحابة عن رسول الله ﷺ، ومجموعها تفيد التواتر، وإليك بعض ما ورد في كتبهم، منها: ما رواه الترمذي بسنده عن علي عليه السلام عن النبي ﷺ، وقد جاء فيه: «رحم الله عليّاً، اللهم أدر الحق معه حيث دار» (انظر سنن الترمذي ج٥: ص٢٩٧ ح٣٧٩٨)، ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٤، والطبراني في المعجم الأوسط ج٦: ص٩٥، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١٠: ص٢٧٠، والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج١: ص٤٨، والسيوطي في الجامع الصغير ج٢: ص٩ ح٤٤١٢ وغيرهم.

ومنها: ما رواه الحاكم النيسابوري بسنده عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: لمّا سار علي عليه السلام إلى البصرة، دخل على أمّ سلمة زوج النبي ﷺ يودّعها، فقالت: سر في حفظ الله وفي

➔

➔

كنفه، فوالله إنك لعلى الحقّ والحقّ معك، ولولا أني أكره أن أعصي الله ورسوله - فإنّه أمرناﷺ أن نقرّ في بيوتنا - لسرت معك، ولكن والله لأرسلنّ معك من هو أفضل عندي وأعزّ علي من نفسي ابني...، قال الحاكم بعد أحاديث هذا ثالثها: هذه الأحاديث الثلاثة كلّها صحيحة على شرط الشيخين ولم يخرجاها (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١١٩).

ومنها: ما رواه أبو يعلى الموصلي، بسنده عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال: كنّا عند بيت النبيﷺ في نفر من المهاجرين والأنصار فخرج علينا فقال: «ألا أخبركم بخياركم؟» قالوا: بلى، قال: «خياركم الموفون المطيبون، إن الله يحب الخفي التقي»، قال: ومرّ علي بن أبي طالب، فقال: «الحقّ مع ذا، الحقّ مع ذا» (انظر مسند أبي يعلى الموصلي ج٢: ص٣١٨)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٧: ص٢٣٥، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٤٩، والمتّقي الهندي في كنز العمّال ج١١: ص٦٢١ ح٣٣٠١٨ وغيرهم.

ومنها: ما رواه الخطيب البغدادي بسنده عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: دخلت على أمّ سلمة فرأيتها تبكي وتذكر علياً. وقالت: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «علي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة» (انظر تاريخ بغداد ج١٤: ص٣٢٢)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٤٩ وغيره.

ومنها: ما رواه ابن عساكر بسنده عن عبيد الله بن عبد الله المديني قال: حجّ معاوية بن أبي سفيان فمرّ بالمدينة فجلس في مجلس فيه سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس، فالتفت إلى عبد الله بن عباس... فتركه وأقبل على سعد فقال: يا أبا إسحاق أنت الذي لم تعرف حقّنا وجلس فلم يكن معنا ولا علينا، قال: فقال سعد: إني رأيت الدنيا قد أظلمت فقلت لبعيري: إخ فأنختها حتى انكشفت، قال: فقال معاوية: لقد قرأت ما بين اللوحين ما قرأت في كتاب الله عزّ وجلّ إخ، قال: فقال سعد: أما إذا أبيت فإني سمعت رسول اللهﷺ يقول لعلي: «أنت مع الحقّ والحقّ معك حيث ما دار»، قال: فقال معاوية:

➔

➔

لتأتيني على هذا ببينة، قال: فقال سعد: هذه أمّ سلمة تشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقاموا جميعاً فدخلوا على أمّ سلمة، فقالوا: يا أم المؤمنين إن الأكاذيب قد كثرت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا سعد يذكر عن النبي صلى الله عليه وآله ما لم نسمعه أنه قال يعني لعلي: «أنت مع الحقّ والحقّ معك حيث ما دار»، فقالت أمّ سلمة: في بيتي هذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي، قال: فقال معاوية لسعد: يا أبا إسحاق ما كنت ألوم الآن إذ سمعت هذا مع من رسول الله صلى الله عليه وآله وجلست عن علي لو سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله لكنت خادماً لعلي حتى أموت (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٢٠: ص٣٦١)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٧: ص٢٢٦ وغيره.

ومنها: ما رواه ابن مردويه، بإسناده عن عائشة، أنّها لمّا عقر جملها ودخلت داراً بالبصرة فقال لها أخوها محمّد: أنشدك الله أتذكرين يوم حدّثتني عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «الحقّ لن يزال مع عليّ، وعليّ مع الحقّ لن يختلفا ولن يفترقا؟» قالت: نعم (انظر مناقب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لابن مردويه: ص١٦٤ ح٢٠٥)، ورواه البدخشي في مفتاح النجاة: ص٦٥.

ومنها ما رواه الزمخشري بسنده عن ابن عون قال: ...استأذن أبو ثابت مولى علي بن أبي طالب عليه السلام على أمّ سلمة، فقالت: مرحباً بك يا أبا ثابت، ثم قالت: يا أبا ثابت أين طار قلبك حين طارت القلوب مطيرها؟ قال: تبع علياً عليه السلام، قالت: وفقت والذي نفسي بيده، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «علي مع الحقّ والقرآن والحقّ والقرآن مع علي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض» (انظر ربيع الأبرار للزمخشري ج٢: ص١٧٢).

ومنها: ما رواه الفخر الرازي في تفسيره عن البيهقي، وهو بسنده عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم (ثم قال البيهقي): روي الجهر عن عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأما أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله عليه السلام: «اللهم أدر الحق مع علي حيث دار» (انظر

➔

➔
تفسير الفخر الرازي ج١: ص٢٠٥). وإلى غير ذلك من الروايات التي وردت بهذه المضامين، وهي كثيرة جدّاً، لا يمكن استقصائها.

وتقريب الاستدلال بمدلول الحديث على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام واضح؛ لأنّ المراد بالحقّ هو المعيار للإيمان الصادق بالله عزّ وجلّ، ولذلك قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ (سورة الحج:٦٢)، فالآية تؤكّد على أنّ المؤمنين ينسجمون مع الأهداف والقوانين الإلهية انسجاماً كاملاً، بحيث يرتبط كلّ أعمالهم وأقوالهم وسلوكهم بشكل ما إلى الله تعالى فهذا هو الحقّ، وغيره الباطل.

وبعبارة أخرى كلما كان الإنسان أقرب إلى الله يكون بذلك المقدار أقرب إلى الحقّ، وبأي مقدار ابتعد عن الله عزّ وجلّ، يكون أقرب إلى الباطل. فمدار الحق هو الإيمان الحقيقي والقرب إلى الله عزّ وجلّ. ومن هنا يعرف أنّ الميزان في القرب إلى الله هو الإيمان بالله عزّ وجلّ، وكلّما كان الإيمان بالله أكمل فهو أقرب إلى الله عزّ وجلّ؛ وكلّما أن أقرب إلى الله فهو أقرب إلى الحقّ، لأنّ الله هو الحقّ. وعليه فإنّ قوله صلى الله عليه وآله: «علي مع الحق»، فإنّ الإطلاق يقتضي القول بأنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في أعلى درجة القرب إلى الله عزّ وجلّ، ومعناه أنّه عليه السلام هو المعيار للإيمان بالله عزّ وجلّ؛ والشاهد على ذلك ما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه بسنده عن سليمان بن مهران الأعمش قال: حدّثنا إبراهيم عن علقمة والأسود، قالا: أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين، فقلنا له: يا أبا أيوب إن الله أكرمك بنزول محمد صلى الله عليه وآله وبمجيء ناقته تفضّلاً من الله وإكراماً لك حتى أناخت ببابك دون الناس، ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلا الله ؟ فقال: يا هذا إن الرائد لا يكذب أهله، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرنا بقتال ثلاثة مع علي، بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين. فأما الناكثون فقد قابلناهم أهل الجمل طلحة والزبير، وأما القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم يعني معاوية وعمرو، وأما المارقون فهم أهل الطرفاوات، وأهل السعيفات، وأهل النخيلات، وأهل النهروانات، والله
➔

فانظر إلى حال خصوص من خذل علياًعليه السلام، ولم يحارب معه حيث دعاصلى الله عليه وآله عليه بأن يخذله الله فما حال من حاربه[1]؟

→

ما أدري أين هم ولكن لا بدّ من قتالهم إن شاء الله، قال: وسمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول لعمار: «يا عمار تقتلك الفئة الباغية، وأنت إذ ذاك مع الحقّ والحقّ معك، يا عمار بن ياسر، إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع علي فإنّه لن يدليك في ردى، ولن يخرجك من هدى، يا عمّار من تقلّد سيفاً أعان به علياً على عدوّه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من درّ، ومن تقلّد سيفاً أعان به عدو علي عليه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من نار» قلنا: يا هذا حسبك رحمك الله، حسبك رحمك الله (انظر تاريخ بغداد ج١٣: ص١٨٨)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٧٢ وغيره، فإنّ قولهصلى الله عليه وآله يا عمّار من تقلّد سيفاً أعان به علياً على عدوّه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من درّ، ومن تقلّد سيفاً أعان به عدوّ علي عليه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من نار. معناه أنّ المؤمن بالله حقاً هو من أعان علياً، فلاحظ.

(١) لا شك ولا شبهة في أنّ دعاء النبيصلى الله عليه وآله مستجاب؛ لأنّ من علائم النبيصلى الله عليه وآله والوصي أن يكون مستجاب الدعوة، فالله تعالى يصدّق دعواهما، ولا يردّ لهما طلباً، تدليلاً على صدقهما. وقد اشتهر ذلك عن نبيّناصلى الله عليه وآله وشاهد المشركون والمؤمنون استجابة دعائهصلى الله عليه وآله، كما دعاصلى الله عليه وآله عندما كان بني عبد المطلب مدعواً في بيته، فأشبع أربعين رجلاً من طعام قليل، وطلب المشركون منه أن تأتيه الشجرة وتنطق وتشهد بنبوّته، فشقّت الأرض وجاءت وتكلّمت، ودعاصلى الله عليه وآله على زعماء قريش وأخبر عمن يهلك منهم فهلكوا أو قتلوا في بدر، ودعاصلى الله عليه وآله على فرسان قريش الذين لحقوه في الهجرة فساخت قوائم خيلهم في الأرض، إلى عشرات الأدعية ومئاتها التي رأى الناس استجابتها، من شفاء المرضى ورد بصر الأعمى، وإنباع الماء، والدعاء بالمطر في غير أوانه، والنصر في حروبه، والدعاء بحاجات متنوّعة لعشرات الناس وقد اهتمّ العرب بالجانب المادي من دعاء

←

➔

النبيﷺ فكانوا يقصدونه ويطلبون منه الدعاء لحاجاتهم، ويرون استجابة دعائهﷺ وبركاتهﷺ بل جاء بعضهم بمواشيهم إلى قرب المدينة، وقالوا إن نَمَتْ وازدادت فسيؤمنون، فسمّاهم الله المؤمنين على حافّة! قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**﴾ (سورة الحج:١١). قال الواحدي في أسباب النزول: نزلت في أعراب كانوا يقدمون على رسول اللهﷺ المدينة مهاجرين من باديتهم، وكان أحدهم إذا قدم المدينة فإن صحّ بها ونتجت فرسه مهراً حسناً، وولدت امرأته غلاماً وكثر ماله وماشيته، آمن به واطمأنّ... وإن أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية وأجهضت رماكه (الخيل الحوامل)، وذهب ماله وتأخّرت عنه الصدقة، أتاه الشيطان فقال: والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرّاً، فينقلب عن دينه(انظر أسباب النزول للواحدي: ص ٢٠٦). فالنبيﷺ مستجاب الدعوة وكلّ دعائه تستجاب، وهذا أمر مسلم بين جميع المسلمين ولا يحتاج إلى البحث، كما أنّ الإمام المعصوم يكون كذلك وسيأتي ذكر الأدلة ذلك في محلّه إن شاء الله تعالى. وبحسب ما ورد من النصوص والروايات المتواترة لدى الفريقين أنّ رسول اللهﷺ دعا في غدير خم بعد اعلامه ولاية الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وإمامته قال: «اللهم من انصر من نصره واخذل من خذله». وقد رواه جماعة كبيرة من علماء أهل السنّة، وقد جمعها العلامة الأميني في كتابه الغدير ج١: ص٢٥-٢٠٥)، من الواضح أنّ دعاء رسول اللهﷺ مستجاب؛ لأنّه الدعوة فكل دعائه تستجاب؛ وعليه إذا كان دعائهﷺ في حقّ من خذل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام مستجاب، فما هو من حارب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام لاسيّما أنّ الأدلة قامت على أنّ من حارب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فقد حارب رسول اللهﷺ كما ورد في الأحاديث الصحيحة عن النبيﷺ أنّه قال: «يا على حربك حربي..» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص٢٩٧). ولايخفى على الخبير أنّ دعاء رسول اللهﷺ مطابق لإرادة

➔

فلو فرض إصابة من خذله مثل سعد، وابن عمر، ومحمد بن مسلمة وغيرهم باجتهادهم لمّا دعاصلى الله عليه وآله بأن يخذلهم الله، فمن حاربه أعظم جرماً، فهم على باطل أنّه يستحيل في حقّ الرسولصلى الله عليه وآله صدور هذه الدعوة في حقّ من هو مجتهد معذور[(١)].

➔

ربّ العالمين ومشيّته سبحانه وتعالى كما حقّق في محلّه. فيكون مستجاباً بتقدير الله عزّ وجلّ، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ قولهصلى الله عليه وآله: «اللهم أخذل من خذله» على نحو الإطلاق يقتضي شمول الدعاء بالنسبة إلى جميع من خذل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وعلى نحو العموم من جهة الزمان والأفراد فيشمل جميع من ينطبق عليه هذا العنوان من حيث الأفراد والأزمان، ولقد كان هناك من خذل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام من أوّل يوم غصب الخلافة وبعده حتى بعدما بايعه الناس للإمامة بعد مقتل عثمان، وأيضاً من خذل الإمامعليه السلام عندما حاربه البغاة، والذين وقفوا ضدّه بالسيف كمعاوية وطلحة والزبير وأهل نهروان وغيرهم. مع أنّهم من الفئة الباغية التي أخبر رسول اللهصلى الله عليه وآله بأنّهم سيقاتلون الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في المعارك الثلاثة، وقد أشار إليها رسول اللهصلى الله عليه وآله فيما رواه أبو أيوب الأنصاري قال: أمرنا رسول اللهصلى الله عليه وآله بقتال ثلاثة مع علي، بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين. فأمّا الناكثون فقد قابلناهم أهل الجمل طلحة والزبير، وأما القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم يعني معاوية وعمرو (انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١٣: ص١٨٨، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٤٢: ص٤٧٢، والبداية والنهاية لابن كثير في تاريخه ج٧: ص٣٤٠). فأمر رسول اللهصلى الله عليه وآله بقتال هؤلاء كأمرهصلى الله عليه وآله المسلمين بقتال الكفّار؛ لأنّ هؤلاء كانوا يعلمون أنّ الحقّ مع الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام، ولكن خالفوا أمر رسول اللهصلى الله عليه وآله وإمام زمانهم وباعوا آخرتهم في سبيل الوصول إلى المطامع الدنيوية الرخيصة. فحاربوا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي

➔

➔

طالب عليه السلام، ولا شكّ أنّ من حارب الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام كمن حارب رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بمحاربتهم كما أمر بمحاربة الكفّار والمشركين في حياته، فكان من الواجب على المسلمين نصرة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، كوجوب نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام: «يا علي حربك حربي وسلمك سلمي»، وقد رواه علماء أهل السنّة منها ما رواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام غير مرّة: «حربك حربي وسلمك سلمي» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص٢٩٧)، ورواه الآلوسي في تفسيره ج٢٦: ص١٥١، والخوارزمي في مناقبه: ص١٢٩، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج١: ص١٧٢ وغيرهم، وما يدلّ على ذلك من الروايات كرواية سعيد بن جبير، قال: كنّا مع ابن عباس بعرفة، فقال لي: يا سعيد مالي لا أسمع الناس يلبّون؟ فقلت: يخافون من معاوية، قال: فخرج ابن عباس من فسطاطه، فقال: لبيك اللهم لبيك، فإنهم قد تركوا السنّة من بغض علي عليه السلام؛ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج١: ص٤٥٦). وما رواه البيهقي في سننه، بسنده عن سعيد بن جبير - بلفظ آخر - قال: كنّا عند ابن عباس بعرفة، فقال: يا سعيد مالي لا أسمع الناس يلبّون؟ فقلت: يخافون معاوية، فخرج ابن عباس من فسطاطه، فقال: لبيك اللهم لبيك، وإن رغم أنف معاوية، اللهم ألعنهم، فقد تركوا السنّة من بغض علي (السنن الكبرى للبيهقي ج٥: ص١١٣). وما رواه ابن عبد البر في الاستيعاب، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أحبّ علياً فقد أحبني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن آذى علياً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله» (الاستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص١١٠١). وما رواه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عبد الله بن نيار الأسلمي عن عمرو بن شاس الأسلمي قال وكان من أصحاب الحديبيّة.... أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعمرو: «يا عمرو، والله لقد آذيتني»، قلت: أعوذ بالله أن أوذيك يا رسول الله، قال: «بلى، من آذى علياً فقد آذاني» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٤٨٣). وما رواه الهيثمي، بسنده عن بريدة،

➔

➔

قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله علياً أميراً على اليمن وبعث خالد بن الوليد على الجبل، فقال: إن اجتمعتما فعلي عليه السلام على الناس، فالتقوا وأصابوا من الغنائم ما لم يصيبوا مثله، وأخذ علي عليه السلام جارية من الخمس، فدعا خالد ابن الوليد بريدة، فقال: اغتنمها، فأخبر النبي صلى الله عليه وآله ما صنع، قال بريدة: فقدّمت المدينة ودخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وآله في منزله وناس من أصحابه على بابه، فقالوا: ما الخبر يا بريدة، فقلت: خيراً، فتح الله على المسلمين، فقالوا: ما أقدمك، قلت: جارية أخذها علي من الخمس، فجئت لأخبر النبي صلى الله عليه وآله، فقالوا: فأخبر النبي صلى الله عليه وآله؛ فإنه يسقط من عين النبي صلى الله عليه وآله، ورسول الله صلى الله عليه وآله يسمع الكلام، فخرج مغضباً فقال: «ما بال أقوام ينتقصون علياً، من تنقّص علياً فقد تنقّصني، ومن فارق علياً فقد فارقني، إنّ عليّاً منى وأنا منه، خلق من طينتي وخلقت من طينة إبراهيم، وأنا أفضل من إبراهيم ذريّة بعضها من بعض والله سميع عليم، يا بريدة: أما علمت أن لعلي أكثر من الجارية التي أخذ، وأنه وليّكم بعدي»، فقلت: يا رسول الله، بالصحبة إلاّ بسطت يدك فبايعتني على الإسلام جديداً، قال: فما فارقته حتى بايعته على الإسلام (مجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١٢٨). وإلى غير ذلك من الروايات والنصوص الدال على المقام فإنّ هذه الروايات تدلّ بالصراحة على أنّ من حارب مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد حارب رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعناه أنّ معاوية وأضرابه ممّن قاتل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كفّار؛ لأنّ من حارب رسول الله صلى الله عليه وآله فهو كافر بإجماع المسلمين، وإنّ مسألة تكفير من حارب رسول الله صلى الله عليه وآله أمر مسلم عند جميع المسلمين، وبنفس الملاك يكون الأمر بالنسبة إلى من حارب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فالأدّلة واضحة الدلالة في المقام كما تقدّم.

وأمّا بالنسبة إلى من خذل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فإنّ الأمر أيضاً واضح حيث يشملهم قوله صلى الله عليه وآله: «اللهم أخذل من خذله»، فأمثال سعد بن أبي الوقاص وابن عمر وغيرهما فهم في جملة من خذله الله في الدنيا والآخرة لأنّه شملهم دعاء النبي صلى الله عليه وآله: «اللهم أخذل من خذله»، وعليه كيف يصحّ قولهم بأنّ هؤلاء مجتهدون؟!!!!!

ونفس قولهﷺ: «أدر الحقّ معه» دليل على أنّ من خالفه على باطل، فما حال من خالفه إلى حد محاربته[(١)]؟!!

---

(١) وبعبارة أوضح عندما خصّ رسول اللهﷺ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بعدّة خصائص منها قولهﷺ: «اللهم أدر الحق معه حيث ما دار» كما رواه علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنّة في المجاميع الحديثيّة والتفسيريّة والتاريخيّة المعتبرة عندهم، فرواه جماعة من كبار علماء أهل السنّة عن رسول اللهﷺ قال: «رحم الله علياً، اللهم أدر الحق معه حيث ما دار» (انظر سنن الترمذي ج٥: ص٢٩٧ ح٣٧٩٨)، ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٢: ص١٢٤، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ج١: ص٤١٩ ح٥٥٠، والطبراني في المعجم الأوسط ج٦: ص٩٥، وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة ج١٠: ص٢٧٠، والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج١: ص٤٨، وغيرهم. فيجب على جميع المسلمين كافّة الانصياع والانقياد لأقوال الرسولﷺ وأفعاله وما تعني به الأدلّة والبراهين ومقتضياتها، والتسليم للحقّ بعد ما اتّضح لديهم بالأدلة والبراهين. فكيف يجوز مخالفة من يجب عليهم طاعته؟!!

ثم أنّه ذكر بعض علماء أهل السنّة في شرح الحديث ما يوضح معناه أكثر وضوحاً، وإليك بعض ما جاء في كلماتهم: قال الشوكاني: (رحم الله علياً) ابن أبي طالب (اللهم أدر الحقّ معه حيث دار)، ومن ثمّ كان أقضى الصحابة وأفاد ندب شكر المحسن والاعتراف له في الملأ والمحافل والمجامع وليس ذلك تنقيصاً لقدر الشاكر بل تعظيماً له لظهور اتّصافه بالإنصاف والمكافأة بالجميل (فيض القدير ج٤: ص٢٥). وقال الفخر الرازي الحجّة الخامسة من المباحث في بسم الله الرحمن الرحيم: روى البيهقي في السنن الكبير عن أبي هريرة قال: كان رسول اللهﷺ يجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم، ثم إن الشيخ البيهقي روى الجهر عن عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأما أن علي بن أبي طالبعليه السلام كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قولهعليه السلام: «اللهم أدر الحق مع علي حيث دار» ←

ويشهد لذلك شهادة حقّ وصدق ما دلّ على حصر المحبّ لعليعليه السلام بالمؤمن، وحصر مبغضه بالمنافق روى ذلك مسلم في صحيحه وغيره[1]،

(تفسيرالفخر الرازي ج١: ص٢٠٥). وإلى غير ذلك من كلماتهم في شرح الحديث، فإنّ قوله: ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالبعليه السلام فقد اهتدى، والدليل عليه قولهعليه السلام: «اللهم أدر الحق مع علي حيث دار». معناه وجوب الإقتداء بمولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام لأنّ به يهتدي المهتدون، فإنّ معنى الحقّ معه أي به يعرف الدين الحقّ فهو موجب للهداية إلى الحق، وهذا مقتضى الحديث الصحيح عند علماء أهل السنّة فيجب عليهم الالتزام بما اعترفوا به، والالتزام رسول اللهصلى الله عليه وآله: «اللهم ادر الحق معه حيث ما دار» يلزمهم وجوب المتابعة للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في جميع الموارد على نحو الاطلاق والعموم. وعليه تجب عليهم مخالفة من خالف الإمامعليه السلام فضلاً عمّن حارب الإمامعليه السلام، إذ بمقتضى الحقّ معه تجب محاربة من حارب الإمامعليه السلام والمعاداة لمن خذل الإمامعليه السلام، فلاحظ.

(١) لقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن الأعمش عن عدى بن ثابت عن زر بن حبيش قال: قال عليعليه السلام: «والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة أنه لعهد النبي الأمّيصلى الله عليه وآله إلى أن لا يحبّني إلا مؤمن ولا يبغضني الا منافق» (صحيح مسلم ج١: ص٦١١ كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حبّ الأنصار والإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام علامة الإيمان)، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص٩٥، وابن ماجه في سننه ج١: ص٤٢، والترمذي في سننه ج٥: ص٣٠٦، والنسائي في سننه ج٨: ص١١٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٣٣ وغيرهم. ولا يخفى على الخبير أنّ هذا المعيار علامة واضحة لإيمان المؤمن، حيث جعل رسول اللهصلى الله عليه وآله حبّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ملاكاً ومناطاً لإيمان المؤمنين، ولا شكّ أنّ المؤمن من خصائص المؤمن أنّه من أهل الجنّة كما أنّ من خصائص المنافق البغض للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي

وقال ابن عبد البر في استيعابه: روى ذلك طائفة من الصحابة[١]، وغاية البغض توصل إلى المحاربة[٢].

➔

طالب عليه السلام بنصّ هذا الحديث الصحيح عند جميع أهل السنّة، وهي صفة أهل النار، كما قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً**﴾ (سورة النساء:١٤٥). ولقد كان هذا المعنى معروفاً حتّى في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كما قال أبو ذر: ما كنّا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله والتخلّف عن الصلوات والبغض لعلي بن أبي طالب (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٢٩). وأكّد على ذلك الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري بقوله: ما كنّا نعرف المنافقين إلا ببغض علي بن أبي طالب (انظر الإستيعاب لابن عبد البر ج٢: ص٤٦٤، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١٢٣). وهذا المعيار الذي وضعه الله ورسوله لمعرفة المؤمنين من المنافقين كاف لمن خذل الإمام عليه السلام فضلاً عن محاربته؛ لأنّ كلّ من أحبّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهو في الفئة المؤمنة وكلّ من أبغض الإمام عليه السلام فهو في الفئة المنافقين والكفّار، فلاحظ.

(١) انظر الإستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص١١١٠، وكذلك في الاستذكار ج٨: ص٤٤٦

(٢) فإنّ البغض ضد الحُبّ، وهو نفور النفس عن الشيء، ونهايته النفرة العداوة، والعداوة قد تتوصّل إلى المحاربة والعنف وسفك الدماء، وهي قد تصدّ عن التناصف وتمنع من التعاطف، وهذا النوع من العداوة وهي العداوة الشيطانيّة التي سمّيت في القرآن بخطوات الشيطان كما في قال تعالى: ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾ (سورة البقرة:١٦٨)، وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ.... وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**﴾ (سورة المائدة:٩١). ومن هنا يتبيّن أنّه كيف تتحقّق العداوة بين المؤمن والكافر وبين الحقّ والباطل، وقد جاء هذا الموضوع وقوانينه في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿**مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ**

🡐

فعلم كون محاربيه في غاية البغض له(١)،

➔

وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ (سورة البقرة:٩٨) هذه الآية مشيرة إلى أنّ موقف الإنسان من الله وملائكته ورسله ومن جبرئيل وميكائيل موقف واحد، فأن المعادي لأحد هؤلاء معاداة لله سبحانه وتعالى. فلا يقبل التفكيك، وعليه فإنّ البغض لأولياء الله ورسله بغض لله والعداوة لهم عداوة لله سبحانة.

وبعبارة أوضح أنّ المدار في الدين على أربعة قواعد: قاعدتان باطنتان، وقاعدتان ظاهرتان، فالباطنتان الحبّ والبغض، والظاهرتان الفعل والترك، فمن استقامت نيته في حبّه وبغضه وفعله وتركه لله فقد استكمل مراتب إيمانه. وفي قباله من كان معادياً ومبغضاً لله ورسله وأوليائه وكان عمله وتركه مطابقاً لبغضه وعداوته فهو كافر؛ لأنّه عدو لله والله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾، وإن كانت عداوتهم لله لا تضرّ الله ولا تؤثر، بل أنّ عداوته تعالى لهم تؤديهم إلى العذاب الأليم الدائم الذي لا ضرر أعظم منه. فهذه الآية الكريمة تدلّ على أنّ من خذل وصي رسول الله صلى الله عليه وآله فهو عدو لله ورسوله صلى الله عليه وآله فضلاً عمّن كان محارباً له، لأنّ الخذلان إنّما يتحقّق للمبغض وهو مرتبة من مراتب العداء، وبناءً على هذه القاعدة القرآنية أن المحارب للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عدو لله ورسوله صلى الله عليه وآله كما دلّت على ذلك الآيات. وهناك روايات كثيرة تدلّ على المقام وسيأتي ذكرها في محله إن شاء الله تعالى.

(١) لا يخفى على الخبير أنّ مسألة تكفير من حارب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من المسائل التي دلّ عليها الروايات والنصوص الصحيحة عند جميع المسلمين، بل هناك مجموعة من الأحاديث الصحيحة بمضامين مختلفة رويت عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله مجموعها تفيد التواتر المضموني، وفي بعضها أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله جعل حرب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حربه صلى الله عليه وآله، وسلمه عليه السلام سلمه صلى الله عليه وآله، وحب الإمام عليه السلام حبه صلى الله عليه وآله، وبغض الإمام عليه السلام بغضه صلى الله عليه وآله، كما في رواية سعيد بن جبير،

←

➔

قال: كنّا مع ابن عباس بعرفة، فقال لي: يا سعيد مالي لا أسمع الناس يلبّون؟ فقلت: يخافون من معاوية، قال: فخرج ابن عباس من فسطاطه، فقال: لبيك اللهم لبيك، فإنهم قد تركوا السنّة من بغض عليعليه السلام، ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج١: ص٤٥٦). وروى البيهقي في سننه، بسنده عن سعيد بن جبير - بلفظ آخر - قال: كنّا عند ابن عباس بعرفة، فقال: يا سعيد مالي لا أسمع الناس يلبون؟ فقلت: يخافون معاوية، فخرج ابن عباس من فسطاطه فقال: لبيك اللهم لبيك، وإن رغم أنف معاوية، اللهم العنهم فقد تركوا السنّة من بغض علي (السنن الكبرى للبيهقي ج٥: ص١١٣). وروى ابن عبد البر في الاستيعاب، قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «من أحبّ علياً فقد أحبّني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن آذى علياً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله» (الاستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص١١٠١) وروى أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عبد الله بن نيار الأسلمي عن عمرو بن شاس الأسلمي قال وكان من أصحاب الحديبية....، أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله قال لعمرو: «يا عمرو، والله لقد آذيتني»، قلت: أعوذ بالله أن أوذيك يا رسول الله، قال: «بلى، من آذى علياً فقد آذاني» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٤٨٣). وروى الهيثمي، بسنده عن بريدة، قال: بعث رسول اللهصلى الله عليه وآله علياً أميراً على اليمن وبعث خالد بن الوليد على الجبل، فقال: إن اجتمعتما فعليعليه السلام على الناس، فالتقوا وأصابوا من الغنائم ما لم يصيبوا مثله، وأخذ عليعليه السلام جارية من الخمس، فدعا خالد ابن الوليد بريدة، فقال: اغتنمها، فأخبر النبيصلى الله عليه وآله ما صنع، قال بريدة: فقدمت المدينة ودخلت المسجد ورسول اللهصلى الله عليه وآله في منزله وناس من أصحابه على بابه، فقالوا: ما الخبر يا بريدة؟ فقلت: خيراً، فتح الله على المسلمين، فقالوا: ما أقدمك، قلت: جارية أخذها علي من الخمس، فجئت لأخبر النبيصلى الله عليه وآله، فقالوا: فأخبر النبيصلى الله عليه وآله؛ فإنه يسقط من عين النبيصلى الله عليه وآله، ورسول اللهصلى الله عليه وآله يسمع الكلام، فخرج مغضباً فقالصلى الله عليه وآله: «ما بال أقوام ينتقّصون علياً، من تنقّص علياً فقد تنقّصني، ومن فارق عليّاً فقد فارقني، إنّ عليّاً مني وأنا منه، خلق من طينتي وخلقت من طينة إبراهيم، وأنا أفضل من

➔

وزيادة على ذلك ما دلّ على موت الجاهليّة لمن فارق السلطان بشبر[(١)]،

➔

إبراهيم ذريّة بعضها من بعض والله سميع عليم، يا بريدة: أما علمت أن لعلي أكثر من الجارية التي أخذ، وأنه وليّكم بعدي»، فقلت: يا رسول الله، بالصحبة إلا بسطت يدك فبايعتني على الإسلام جديداً، قال: فما فارقته حتى بايعته على الإسلام (مجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١٢٨). وإلى غير ذلك من الروايات التي رواها علماء أهل السنّة في المقام، وبعد هذه الأدلّة والروايات لا بدّ لأهل السنّة الاعتقاد بأنّ من حارب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فقد حارب رسول اللهصلى الله عليه وآله ومن حارب رسول اللهصلى الله عليه وآله فقد حارب الله، ومن حارب الله فقد كفر، فهذه النصوص الصحيحة عند جميع المسلمين تفيد بأنّ محاربة الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام كفر وضلال، لأنّهم رووا عن النبي الأكرمصلى الله عليه وآله قال: «يا علي حربك حربي وسلمك سلمي»، وقد رواه أهل السنّة منهم ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة قال: وقال رسول اللهصلى الله عليه وآله الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام غير مرة: «حربك حربي وسلمك سلمي» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص٢٩٧)، ورواه الآلوسي في تفسيره ج٢٦: ص١٥١، والخوارزمي في مناقبه: ص١٢٩، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج١: ص١٧٢ وغيرهم. وعليه فإنّ المبغض للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فهو مبغض لرسول اللهصلى الله عليه وآله والمبغض لرسول الله فهو مبغض لله عزّ وجلّ والمحارب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام محارب لرسول اللهصلى الله عليه وآله والمحارب لرسول اللهصلى الله عليه وآله محارب لله، ومحاربة الله كفر وضلال، فيلزم على جميع أهل السنّة الالتزام بهذا اللازم والاعتقاد بهذه العقيدة الراسخة المبنية على الروايات والنصوص الصحيحة عندهم. فأين موضع الحبّ من رسول اللهصلى الله عليه وآله عند علماء أهل السنّة، حيث يدعون حبّ رسول اللهصلى الله عليه وآله ويحبّون من قاتل وحارب نفس رسول اللهصلى الله عليه وآله؟ فإنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بنصّ آية المباهلة نفس رسول اللهصلى الله عليه وآله فيكون محاربته محاربة رسول اللهصلى الله عليه وآله، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما رواه كبار علماء أهل السنّة في صحاحهم ومسانيدهم وسننهم،
➔

➔

فقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن أبي رجاء عن ابن عباس عن النبيﷺ قال: من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنّه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٨٧ كتاب الفتن، باب قول النبيﷺ سترون بعدي اموراً تنكرونها). وروى أيضاً بسنده عن أبي رجاء العطاردي عن ابن عباس عن النبيﷺ قال: من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنّه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية، حدثنا (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٨٧ كتاب الفتن، باب قول النبيﷺ سترون بعدي اموراً تنكرونها). وروى مسلم في صحيحه بسنده عن عبد الوارث عن الجعد عن أبي رجاء العطاردي عن ابن عباس عن رسول اللهﷺ قال: من كره من أميره شيئاً فليصبر عليه فإنّه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبراً فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢١ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن). وروى أيضاً بسنده عن نافع قال جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة فقال: إني لم آتك لأجلس أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول اللهﷺ يقوله، سمعت رسول اللهﷺ يقول: من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجّة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢١ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن). ورواه غيرهما من علماء أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم، وقد أفتى علمائم بمقتضى دلالة هذه الروايات على وجوب قتل من خرج على إمام زمانه وإن كان الإمام الحاكم فاسقاً، قال عبد الله ابن قدامة: لو خرج رجل على الإمام، فقهره وغلب الناس بسيفه، حتى أقرّوا له وأذعنوا بطاعته وتابعوه، صار إماماً يحرم قتاله والخروج عليه؛ فإن عبد الملك بن مروان خرج على ابن الزبير فقتله واستولى على البلاد وأهلها حتّى بايعوه طوعاً وكرهاً فصار إماماً يحرم الخروج عليه؛ وذلك لما في الخروج عليه من شق عصى المسلمين وإراقة دمائهم وذهاب أموالهم، ويدخل الخارج عليه في عموم قولهﷺ: من خرج على أمتي وهم جميع فاضربوا عنقه

➔

➔

بالسيف كائناً من كان، فمن خرج على من ثبتت إمامته بأحد هذه الوجوه باغياً وجب قتاله (المغني لابن قدامة ج١٠: ص٥٢). وقال عبد الرحمن بن قدامه: الخارجون عن قبضة الإمام أصناف أربعة: أحدها: قوم امتنعوا من طاعته وخرجوا عن قبضته بغير تأويل، فهؤلاء قطّاع الطريق ساعون في الأرض بالفساد...، الثاني: قوم لهم تأويل إلا أنهم نفر يسير لا منعة لهم كالعشيرة ونحوهم، فهؤلاء حكمهم حكم الصنف الذي قبلهم في قول أكثر الأصحاب ومذهب الشافعي...، الثالث: الخوارج الذين يكفّرون بالذنب ويكفّرون علياً وعثمان وطلحة والزبير وكثيراً من الصحابة، ويستحلّون دماء المسلمين وأموالهم إلا من خرج معهم، فظاهر قول الفقهاء المتأخّرين من أصحابنا أنهم بغاة لهم حكمهم، وهذا قول أبي حنيفة والشافعي وجمهور الفقهاء وكثير من أهل الحديث، وأما مالك فيرى استتابتهم فإن تابوا وإلا قتلوا على إفسادهم لا على كفرهم، وذهبت طائفة من أهل الحديث إلى أنهم كفّار مرتدّون حكمهم حكم المرتدّين تباح دماؤهم وأموالهم...، الرابع: قوم من أهل الحقّ يخرجون عن قبضة الإمام ويرومون خلعه لتأويل سائغ... (انظر الشرح الكبيرعلى المقنع لعبد الرحمن بن قدامة ج١٠: ص٤٢). وإلى غير ذلك من أقوالهم وفتاواهم في المقام، وبناءً على هذه النصوص والفتاوى يعرف أنّ معاوية وزمرته ممّن خرجوا على إمام زمانهم ويشملهم حكم من خرج على إمام زمانه؛ حيث قام الإجماع على إمامة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فكان من اللازم عليهم طاعته، فهو الإمام الحق عند جميع المسلمين إمّا بإجماع المسلمين، بناءً على مسلك أهل السنّة، وإمّا بالنص بناءً على مسلك جميع المسلمين، وإن اختلفوا في كونه عليه السلام الأول أو الرابع. فالمهمّ أنّ الإمام عليه السلام كان واجب الطاعة ومع ذلك خرج عليه معاوية وأضرابة عن طاعته فيشملهم ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه،فليطعه إن استطاع، فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر (صحيح مسلم ج٦:ص١٨ كتاب الإمارة،باب الأمر بالوفاء بيعة الخلفاء الأوّل فالأوّل)؛ فصريح الحديث أنّ من خرج على إمام زمانه يجب قتله.

➔

➔

وأمّا بالنسبة إلى تكفير الصحابة الذين حاربوا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد روى الحاكم في المستدرك عن عوف بن أبي عثمان النهدي، قال: قال رجل لسلمان: ما أشدّ حبّك لعلي! سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من أحبّ علياً فقد أحبّني ومن أبغض علياً فقد أبغضني»، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٣٠).

وروى الهيثمي عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى: «من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب، من تولاه فقد تولاني، ومن تولاني فقد تولى الله عزّ وجلّ، ومن أحبّه فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد أحبّ الله تعالى، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله عزّ وجلّ» (مجمع الزوائد ج٩: ص١٠٩).

وأخرج أحمد بن حنبل عن عمرو بن شاس الأسلمي، وكان من أصحاب الحديبيّة، قال: خرجت مع علي عليه السلام إلى اليمن، فجفاني في سفري ذلك، حتى وجدت في نفسي عليه، فلمّا قدمت المدينة أظهرت شكايته في المسجد، حتى سمع بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخلت المسجد ذات غداة، ورسول الله صلى الله عليه وآله جالس في ناس من أصحابه، فلما رآني أبد لي عينيه، يقول حدّد إلي النظر، حتى إذا جلست، قال: يا عمرو، «والله لقد آذيتني»، قلت: أعوذ بالله من أذاك يا رسول الله، قال: «بلى، من آذى علياً فقد آذاني» (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٤٨٣). وإلى غير ذلك من الروايات، ومع هذه الروايات الصحيحة عند أهل السنّة كيف يمكن الجمع بين الاعتقاد بنبوة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وبين محاربة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فإنّ ما دلّ على أنّ من حارب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد حارب رسول الله صلى الله عليه وآله وما دلّ على أنّ المبغض للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مبغض لرسول الله صلى الله عليه وآله وكلّ ذلك يؤدي إلى الكفر والضلالة، لأنّ المبغض والمحارب لرسول الله فهو مبغض ومحارب لله عزّ وجلّ، فكيف يمكن الجمع بينهما؟!!!!

وأيضاً ما يدلّ على أنّ من آذى علياً عليه السلام فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وآله ومن آذى رسول الله صلى الله عليه وآله فقد آذى الله. والأذية إمّا تتحقّق بالبغض أو بالسبّ وباللعن أو بالمحاربة. فأيضاً لا يمكن

➔

ولمن مات وليس في عنقه بيعة[١]،

الجمع بين هذه الروايات والاعتقاد بنبوّة نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله؟!!!

ثم إنّ ممّا لا يمكن إنكاره لدى جميع أهل السنّة النصوص صريحة في أنّ المبغض للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كافر وخالد في النار؛ فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن زر بن حبيش عن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة أنّه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وآله إليّ أن لا يحبّني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق» (انظر صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب حب الأنصار والإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من الإيمان وعلاماته)، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن زيد بن محمد عن نافع قال جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرّة ما كان زمن يزيد بن معاوية، فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله يقوله، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجّة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢١ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن).

وقال النووي في شرح الحديث أنّه: قال جماهير أهل السنّة من الفقهاء والمحدثين والمتكلّمين: لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخويفه للأحاديث الواردة في ذلك، وقال قبله: وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنّة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق (انظر شرح صحيح مسلم للنووي ج١٢: ص٢٢٩). وقال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني في كتاب التمهيد في باب ذكر ما يوجب خلع الامام وسقوط فرض طاعته ما ملخّصه: قال الجمهور من أهل الاثبات وأصحاب الحديث: لا ينخلع الامام بفسقه وظلمه بغصب الأموال، وضرب الأبشار، وتناول النفوس المحرّمة، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود ولا يجب

➔

الخروج عليه، بل يجب وعظه وتخويفه وترك طاعته في شيء ممّا يدعو إليه من معاصي الله، واحتجّوا في ذلك بأخبار كثيرة متظافرة عن النبيﷺ وعن الصحابة في وجوب طاعة الأئمة وإن جاروا واستأثروا بالأموال، وأنه قال عليه السلام: اسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجدع، ولو لعبد حبشي، وصلّوا وراء كل برّ وفاجر. وروي أنه قال: أطعهم وإن أكلوا مالك، وضربوا ظهرك استدلال اتّباع مدرسة الخلافة في القرون الأخيرة غالباً ما يستدلّ اتّباع مدرسة الخلافة على صحّة قيام حكم الخلافة في الماضي على أنه كان قائماً على أساس الشورى بين المسلمين للخليفة، وبعضهم يستنتج من ذلك أن الحكم الاِسلامي أيضاً يقام اليوم على أساس البيعة فمن بايعه المسلمون أصبح حاكماً اسلاميّاً يجب على جميع المسلمين بذل الطاعة له كان ذلكم رأي مدرسة الخلفاء في كيفيّة إقامة الحكم الاسلامي (تمهيد الأوائل وتلخيص الدائل للباقلاني: ص٤٧٨). فبناءً على مبنى جميع أهل السنّة أنّ من خرج عن طاعة إمام زمانه فهو كافر ويجب قتله. غير أنّ ابن تيمية وأضرابه عندما يصلون إلى خروج معاوية على إمام زمانه وقاتل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، يقولون: أنّ الباغي قد يكون متأوّلاً معتقداً أنه على حقّ، وقد يكون متعمّداً يعلم أنه باغ، وقد يكون بغيه عن شبهة أو شهوة وهو الغالب.

والعجيب أنّ هؤلاء العلماء من أهل السنّة مع أنّهم لا ينزّهون معاوية وأضرابه من الذنوب، ولكن يأوّلون النصوص والروايات التي رواها الصحابة عن النبي الأكرمﷺ بذرائع مضحكة بأنّهم مجتهدون وإنّ الخطأ الصادر منهم كان عن اجتهاد وبل وقد ينزّهونهم عن الخطأ في الاجتهاد. فبالرغم من أنّ النصوص والأدلّة تدلّ على أنّ من حارب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يكون من البغاة بالنصّ الصريح عن النبي الأكرمﷺ، حيث أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أمّ سلمة عن النبيﷺ قال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية» (انظر صحيح مسلم ج٨: ص١٨٦ كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتّى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيتمنّى أن يكون مكان الميت من البلاء). فيقولون أنّ معاوية وأضرابه الذين قاتلوا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي

➔

وقد عرفت ممّا مرّ إمام ذلك الزمان، فمن حاربه ومن لم يبايعه كانت ميتته ميتة جاهلية[١].

➔

طالب عليه السلام اجتهدوا فأخطأوا. ولا يخفى على الخبير أنّ مرجع هذا التأويل إلى تكذب النبي صلى الله عليه وآله، لأنّ معنى كلامهم إنكار ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في حق عمار: «تقتلك الفئة الباغية»، ومن الواضح أنّ من قاتل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنّ معاوية وأصحابة حاربوا الإمام عليه السلام فهم بحسب النصوص القطعية من البغاة، والباغي عندهم خارج عن الإيمان ومستحقّ للنيران، فصريح قول النبي صلى الله عليه وآله كفر من بغي على إمام زمانه، فلا تأوّل لهذا النص الصريح إلا بتكذيب النبي صلى الله عليه وآله، ولا ندري كيف هم يستدلّون بهذه النصوص على كفر من خرج عن طاعة إمام زمانه ومع ذلك ينزهون معاوية أضرابة عن ذلك؟!!!

(١) لا شكّ أنّ مقتضى النصوص الدالّة على أنّ من ليس له الإمام مات ميتة الجاهلية، وجوب الاعتقاد بالإمام الذي تجب طاعته في كلّ عصر وزمان على كافّة المسلمين، فيجب الانقياد لأوامره والانصياع إليه وإنفاذ كلّ تصرّفاته، وهذا من الحقائق التي أكّدت عليها الروايات الإسلامية عند جميع المسلمين، وإليك بعض هذه النصوص التي رواها كبار علماء أهل السنّة في صحاحهم، منها ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن زيد بن محمد عن نافع قال: جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرّة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقوله، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجّة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢١ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن). وإلى غير ذلك من الروايات الدالّة على وجوب طاعة الإمام في كلّ عصر وزمان، ولا شكّ أنّ في زمان معاوية كان الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إمام

➔

فعلم ممّا بيّناه هنا عن السنن الصحيحة نفاق من حارب علياً عليه السلام(١)

➔

زمانهم فكان من الواجب عليه طاعته بنص الأحاديث المأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله، ولكن معاوية حارب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فشمله قوله صلى الله عليه وآله: ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية، مضافاً إلى الأحاديث التي رواه علماء أهل السنّة عن النبي صلى الله عليه وآله في شأن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الدالّة على أنّ من يبغض الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كانت ميتته ميتة جاهلية، منها ما رواه الهيثمي بسنده عن ابن عباس قال: لما آخى النبي صلى الله عليه وآله بين أصحابه من المهاجرين حتى وجده.. فقال: «ألا من أحبّك حف بالأمن والايمان ومن أبغضك أماته الله ميتة جاهلية» (مجمع الزوائد ج٩: ص١١١)، ورواه الطبراني في معجمه الكبير ج١١: ص٦٢، وفي معجمه الأوسط ج٨: ص٤٠، والخوارزمي في المناقب: ص٣٩، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة ج١: ص٢٢٠ وغيرهم. ومنها ما أخرجه أبو يعلى في مسنده بإسناده عن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «طلبني رسول الله صلى الله عليه وآله فوجد في جدول نائماً، فقال: ما اليوم الناس يسمّونك أبا تراب، فرآني كأني وجدت في نفسي من ذلك، فقال: قم والله وأخي وأبو ولدي، تقاتل عن سنّتي، وتبرء عن ذمّتي، من مات في عهدي فهو كبر الله، ومن مات في عهدك فقد قضى نحبه، ومن مات يحبّك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعت شمس أو غربت، ومن مات يبغضك مات ميتة جاهلية» (انظر مسند أبي يعلى الموصلي ج١: ص٤٠٢)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٢٢، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٢٤، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٥٥ وغيرهم فهذه الأحاديث وغيرها صريحة في أنّ من مات ولم يبايع إمام زمانه مات ميتة جاهلية، وعليه فمن لم يبايع الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد مقتل عثمان ومات، مات ميتة جاهلية وكفر، فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ الروايات الواردة في هذا المجال كثيرة منها ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن زر بن حبيش عن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «والذي فلق الحبة

➔

والمنافق على باطل من دون ريب[1].

←
وبرأ النسمة أنّه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وآله إليّ أن لا يحبّني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق» (انظر صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب حبّ الأنصار والإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من الإيمان وعلاماته). وقال ابن حجر في فتح الباري عند شرح حديث سهل بن سعد في قصّة فتح خيبر، وفي بيان معنى ما ورد في حديث سلمة بن الأكوع: قوله في الحديثين إن عليّاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، أراد بذلك وجود حقيقة المحبّة وإلا فكلّ مسلم يشترك مع علي في مطلق هذه الصفة، وفي الحديث تلميح بقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ**﴾، فكأنه أشار إلى أن علياً تام الاتّباع لرسول صلى الله عليه وآله حتّى اتّصف بصفة محبّة الله له؛ ولهذا كانت محبته علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق كما أخرجه مسلم من حديث علي نفسه، قال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبي صلى الله عليه وآله أن لا يحبّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»، وله شاهد من حديث أم سلمة (انظر فتح الباري ج٧: ص٥٧). فالمستفاد من هذه الروايات والأدلّة الواردة في المقام أنّ من حارب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهو من المنافقين وحكم المنافق في الإسلام أوضح من أن يخفى.

(١) قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً**﴾ (سورة النساء:١٤٥)، ويتبيّن من خلال هذه الآية أن النفاق في الإسلام أشدّ أنواع الكفر، وإن المنافقين أبعد الخلق من الله، ولهذا السبب فإنّ مستقرّهم ومكانهم النهائي في أحط نقطة من نقاط جهنم، وهم يستحقّون هذا العقاب، لأنّ ما يلحق البشريّة من ويلات من جانب هؤلاء هو أشدّ خطراً من كل الأخطار، فإنّ هؤلاء بسبب احتمائهم بظاهر الإيمان يحملون بصورة غادرة وبمطلق الحريّة على المؤمنين العزل ويطعنونهم من الخلف بخناجرهم المسمومة، وبديهي أن يكون حال أعداء - كهؤلاء - يظهرون بلباس الأصدقاء، أشدّ خطراً من الأعداء المعروفين الذين يعلنون عداوتهم صراحة، وفي الواقع
←

وممّا بينّاه علم فساد زعم من قال بأنّ القتال تركه أولى من الجانبين: من حيث دعوة النبي صلى الله عليه وآله بالنصرة لمن نصر عليّاً عليه السلام فمن هذه درجة ناصريه، حربه مطلوب لله سبحانه ومحبوب[1].

➔

فإنّ النفاق هو أسلوب وسلوك كلّ فرد أبتر ومنحط ومشبوه وجبان وملوّث بكلّ الخبائث ومن لا شخصيّة له. وإنّ سورة المنافقين هي من بين السور القرآنية التي تضمّنت الحديث عن النفاق وعلامات المنافقين، والمحور الأساس في هذه السورة هو صفات المنافقين والأمور المرتبطة بهم، وتحذير المؤمنين وضرورة الانتباه إلى خطط ومكائد المنافقين، ولأجل ذلك سميّت بسورة المنافقين. وقد ذكر أصحاب التفسير الأسباب الكامنة وراء نزول الآيات القرآنيّة التي ورد فيها الحديث عن المنافقين في هذه السورة، فللباحث أن يراجع التفاسير المعتمدة عند أهل السنّة فلا شكّ أنّه يجد انطباق تلك الصفات على من حارب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلاحظ.

(١) لايخفى أنّ من النقاط ذات الأهمية في حديث الغدير دعاء النبي صلى الله عليه وآله في ذلك الحشد العظيم من الناس الحافل بمائة ألف أو يزيدون من المسلمين، بقوله صلى الله عليه وآله: « اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، اللهم من أحبّه من الناس فكن له حبيباً، ومن أبغضه فكن له مبغضاً». وهذا الدعاء بعمومه الأفرادي والأزماني والأحوالي تشمل مطلق من صدق عليه عنوان نصرة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن الواضح أنّ دعاء النبي صلى الله عليه وآله مستجاب هذا من جهة. ومن جانب الآخر أنّ نصرة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نصرة الله ونصرة رسوله صلى الله عليه وآله؛ لأنّ نصرة أولياء الله، نصرة الله ورسوله صلى الله عليه وآله، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّه كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ**﴾ (سورة الصف:١٤)، هذه الآية المباركة طرحت مسألة النصرة، ولا يخفى أنّ معنى نصرة الله باعتبار أنّه ناصر لدين الله حيث أنّ الله تبارك وتعالى غني عن العالمين فلا يحتاج إلى

➔

➔
نصرة أحد، لأنّ الله تبارك وتعالى منشأ جميع القدرات، ومرجعها، وصاحب القدرة التي لا تقهر واللا متناهية، ففي هذه الآية الكريمة أنّ الله سبحانه يطلب من عباده النصرة والعون، وهذا فخر لا مثيل له، فالبرغم من أن معناه ومفهومه هو إعانة ونصرة الرسولﷺ ومبدئه وعقيدته، إلا أنه ينطوي على طلب العون والنصرة لله سبحانه، وهذا غاية اللطف ومنتهى الرحمة والعظمة ثم يستشهد بنموذج تاريخي رائد كي يوضح سبحانه أن هذا الطريق لن يخلو من السالكين والعشّاق الإلهيين حيث يضيف تعالى: ﴿**كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ**﴾ ويكون الجواب على لسان الحواريين بمنتهى الفخر والإعتزاز: قال الحواريون نحن أنصار الله، وساروا في هذا الدرب حاملين لواء الخير والهداية، ومتصدّين لحرب أعداء الحقّ والرسالة، حيث يقول سبحانه: فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة، وهنا يأتي العون والنصر والإغاثة والمدد الإلهي للطائفة المؤمنة حيث يقول سبحانه: فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين وأنتم أيضاً يا حواريي محمدﷺ، يشملكم هذا الفخر وتحيطكم هذه العناية واللطف الإلهي، لأنّكم أنصار الله، وإن النصر على أعداء الله سيكون حليفكم أيضاً، كما انتصر الحواريّون عليهم، وسوف تكون العزّة والسموّ من نصيبكم في هذه الدنيا وفي عالم الآخرة وهذا الأمر غير منحصر أو مختصّ بأصحاب وأعوان رسول اللهﷺ فحسب، بل جميع أولياء الله الذين هم في صراع دائم ضدّ الباطل وأهله، إن هؤلاء جميعاً هم أنصار الله، وممّا لا شكّ فيه، فإن النصر سيكون نصيبهم وحليفهم لا محالة. فالنصرة تكون كذلك بتجسيد النموذج الراقي للمنتسبين إليه من خلال الانقياد لتعاليمه وهذا ما تشير إليه الآية القائلة: ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (سورة الأعراف:٥٧)، ومقام نصرة الدين مقام شريف لذلك وصف أئمّة الهدى في الزيارة الجامعة بأنّهم أنصاراً لدينه ولذا علّمنا أئمّتنا أن ندعو في خير الشهور شهر رمضان في أحد أدعيته الشريفة بالقول في دعاء كلّ ليلة من لياليه: اللهمّ اجعلني ممّن تنتصر به لدينك ولا تستبدل بي غيري، ومن لوازم نصرة
➔

➔

الله، بل من أبرز مصاديق نصرة الله، وأبرز تجلّيّاتها نصرة وليّ الله ويأتي في رأس أولياء الله النبيّ الأكرمﷺ وقد أمر تعالى بذلك في قوله: ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (سورة الأعراف:٥٧)، فحثّ سبحانه وتعالى على الإيمان بالنبيّ محمّدﷺ ونبوّته وتعزيره أي تعظيمه ونصرته اتّباع الدّين والكتاب الذي جاء به. وفي جملة دعاء النبيﷺ اللهم انصر من نصره... إشارة إلى هذه الصفة لمن نصر مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام باعتبار أنّه داخل في أنصار الله ولذا كان من علامات وصفات الشيعة أنّهم ناصرون لأهل البيتعليهم السلام فعن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى اطلع على أهل الأرض فاختارنا واختار لنا شيعة ينصروننا، ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا، ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا، أولئك منّا وإلينا» (انظر كتاب الخصال للشيخ الصدوق: ص٦٣٥). وهذه جائزة أعظم جائزة لناصر أئمّة الهدىعليهم السلام أن يكون منهم وإليهم.

والسؤال الذي قد يطرح هنا هو أنّه كيف ننصر أهل البيتعليهم السلام؟ والجواب: إنّ لنصرة أهل البيتعليهم السلام مراتب ودرجات، ومنها النصرة باللسان، ومنها: النصرة بالمال، ومنها: النصرة بالجهاد والدفاع عنهم دفاعاً عنهم وعن الولاء لهم وقد جسد أرقى درجاته شهداء الطفّ من أنصار الإمام الحسينعليه السلام وأهل بيته، وقد يكون ثمن الجهاد بالنّفس أقلّ من القتل، كالأسر والسجن وغير ذلك ولولا تضحيات شيعة أهل البيتعليهم السلام لما بقي تشيّع ولا شيعة وعن ذلك ينقل عن صادق أهل البيتعليهم السلام قوله: «شيعتنا والله لا يزالون منذ قبض الله رسوله ينصروننا ويقاتلون دوننا، ويُحرَّقون، ويُعذَّبون، ويشرَّدون من البلدان جزاهم الله عنّا خيراً» (انظر تفسير البرهان ج٥: ص٣٥٩). ومنها: النصرة بالقلب، وذلك عندما لا يقدر الإنسان بسبب الضعف عن نصرة أهل البيتعليهم السلام تأتي النوبة لنصرتهم بالقلب، فعن الإمام العسكريّعليه السلام جواباً لمن قال له: إنّي عاجز عن نصرتكم بيدي، أنّه قالعليه السلام: «حدّثني أبي عن جدّي رسول اللهﷺ قال: من ضعف عن نصرتنا أهل البيتعليهم السلام، ولعن في خلواته أعداءنا، بلغ الله صوته إلى جميع الملائكة... فإذا بالنداء من الله تعالى يقول: "يا

➔

فإن قيل لم تترتّب مصلحة على هذه الحروب، قيل ما المصلحة الظاهريّة التي ترتّبت على حرب أحد سوى قتل مثل حمزة وغيره من السبعين في سبيل الله وفوزهم بدرجة الشهادة، وهي فائدة عظيمة[1]،

➔

ملائكتي، إنّي أجبت دعاءكم في عبدي هذا، وسمعت نداءكم، وصلّيت على روحه مع أرواح الأبرار وجعلته من المصطفين الأخيار" (مكيال المكارم ج٢: ص٦٢). وقد يكون السبب غير الضعف كحيلولة الحوادث والزمان فلا أقلّ من توطين النفس على النصرة، فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «القائل منكم: إن أدركت القائم من آل محمّد نصرته كالمقارع معه بسيفه والشهيد معه له شهادتان» (بحار الأنوار ج٥٢: ص١٢٦). ولقد قدّم أنصار الإمام الحسين عليه السلام نماذج راقية وقدوات رائعة في كيفيّة نصرة وليّ الله، وكذلك أهل بيته عليهم السلام ومنهم الإمام السجّاد عليه السلام الذي سمع نداء أبيه عليه السلام بعد مصرع أصحابه وأهل بيته عليهم السلام: «ما من ناصر ينصرنا؟ أما من مغيث يغيثنا؟ أما من ذابٍّ يذبُّ عنّا؟» قام الإمام زين العابدين عليه السلام وهو مريض ملبّياً نداء النصرة، إلا أنّ أباه ردّه إلى الخيمة، وجاءت نصرة زينب عليها السلام في كلّ مراحل الثورة، وفي آخر لحظاتها عندما قدّمت الجواد لأخيها وقد علّمنا أئمّتنا أن نلبّي نداء الحسين عليه السلام في الدعاء والزيارات بالقول: "يا ليتنا كنّا معكم فنفوز فوزاً عظيماً".

ومن هنا يعرف أنّ من ترك نصرة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد خسر هذه العناية الربانيّة له من حيث إجابة دعوة ربّ العالمين لنصرة أوليائه وكذلك خسر شمول دعاء النبي صلى الله عليه وآله له، أي ما جاء في ذيل حديث الغدير وهو قوله صلى الله عليه وآله: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله...»، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ الأوامر الإلهيّة ليس فيها ما يحرج الإنسان أو ما يوجد فيها العسر له، بل إنها أوامر شرعت لتحقّق فوائد ومنافع معيّنة للناس، قال الله تعالى: ﴿**مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾

➔

➔
(سورة المائدة:٦)، هذه الآية الكريمة تؤكّد على أنّ جميع الأحكام والأوامر الشرعيّة الإلهيّة والضوابط الإسلاميّة هي في الحقيقة لمصلحة الناس ولحماية منافعهم، وليس فيها أي هدف آخر. ويجب هنا الانتباه إلى أنّ جملة ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج مع أنها وردت في أواخر الآيات التي اشتملت على أحكام الغسل والوضوء والتيمّم، إلا أنّها تبيّن قانوناً عاماً، ومعناه أن أحكام الله ليست تكاليف شاقّة أبداً، ولو كان في أي حكم شرعي العسر والحرج لأي فرد لسقط التكليف عن هذا الفرد بناءً على الاستثناء الوارد في الجملة القرآنية الأخيرة من الآية، ولهذا لو كان الصوم يشكل مشقة وعناء على أي فرد بسبب مرض أو شيخوخة أوما شابه ذلك، لسقط أداؤه عن هذا الفرد وارتفع التكليف عنه، بناء على هذا الدليل نفسه.

ولا يخفي – أيضاً – أن هناك من الأحكام الإلهيّة ما يظهر فيها الصعوبة والمشقة بذاتها مثل حكم الجهاد، إلا أنّه مع مقارنة المصالح التي تتحقّق بالجهاد مع الصعوبات والمشاق التي فيه، تترجّح كفة المصالح وأهميتها فلا تكون المشاق أمامها شيئاً يذكر، فهذه الأحكام قد شرعت في موارد الصعوبة والمشقّة فلا يشمله القانون. وقد سمّي القانون الذي أثبتته الجملة القرآنية بقانون لا حرج، وهو مبدأ أساسي يستخدمه الفقهاء في أبواب مختلفة ويستنبطون منه أحكاماً كثيرة.

وأساساً فإنّ الجهاد هو من علامات الحياة لكلّ موجود ويمثّل قانوناً عامّاً في عالم الأحياء، فجميع الكائنات الحيّة أعمّ من الإنسان والحيوان والنبات تجاهد عوامل الفناء من أجل بقائها، فإنّ من افتخاراتنا نحن المسلمين أنّ ديننا يقرن المسائل الدينيّة بالحكومة ويعتمد على الجهاد كأحد أركان المنظومة العقائديّة لهذا الدين، غاية الأمر يجب ملاحظة أهداف هذا الجهاد الإسلامي، وهذا هو الذي يفصّل بيننا وبين الآخرين أهداف الجهاد في الإسلام ويصرّ البعض على أنّ الجهاد الإسلامي منحصر في الجهاد الدفاعي ويحاولون توجيه جميع غزوات النبي الأكرمﷺ أو الحروب التي حدثت بعده في هذه الدائرة، في حين أنّه لا يوجد دليل على هذه المسألة، ولم تكن جميع غزوات رسول
➔

➔

الله صلى الله عليه وآله دفاعيّة، فمن الأفضل العودة إلى القرآن الكريم بدل هذه الاستنباطات لاستجلاء أهداف الجهاد من القرآن الكريم، تلك الأهداف المنطقيّة القابلة للعرض على الصديق والعدوّ، فإنّ القرآن الكريم تؤكّد على أنّ الجهاد في الإسلام يتعقّب عدّة أهداف مباحة:

الف: الجهاد من أجل إطفاء الفتن وبعبارة أخرى الجهاد الابتدائي من أجل التحرير، فنحن نعلم أن الله عزّ وجلّ قد أنزل على البشريّة شرائع وبرامج لسعادة البشر وتحريرهم وتكاملهم وإيصالهم إلى السعادة والرفاه، وأوجب على الأنبياء عليهم السلام أن يبلغوا هذه الشرائع والإرشادات إلى الناس، لأنّ الناس في جميع المجتمعات البشريّة لهم الحقّ في أن يسمعوا مقالة منادي الحقّ وهم أحرار في قبول دعوة الأنبياء عليهم السلام، فلو تصدّى فرد أو جماعة لسلب هذا الحقّ المشروع للناس وحرمانهم منه ومنعوا صوت الحقّ من الوصول إلى الناس ليحرّرهم من قيود الأسر والعبوديّة الفكريّة والاجتماعيّة، فلاتّباع الدين الحقّ في الاستفادة من جميع الوسائل لتهيئة هذه الحرية، ومن هنا كان (الجهاد الابتدائي) في الإسلام وسائر الأديان السماوية ضروريّاً، فللمؤمنين الحق في الاستفادة من جميع الوسائل لرفع هذا الإكراه والإرهاب.

ب: الجهاد الدفاعي هل من الصحيح أن يواجه الإنسان هجوماً وعدواناً عليه ولا يدافع عن نفسه؟ أو أن يقوم جيش معتدي بالهجوم على بعض الشعوب الأخرى ولا تقوم تلك الشعوب بالدفاع عن نفسها وعن بلدها بل تقف موقف المتفرّج؟

هنا نجد أن جميع القوانين السماويّة والبشريّة تبيح للفرد أو الجماعة الدفاع عن النفس والاستفادة ممّا وسعهم من قوّة في هذا السبيل، ويسمّى مثل هذا الجهاد بـ (الجهاد الدفاعي) ومن ذلك غزوة الأحزاب وأحد ومؤتة وتبوك وحنين ونظائرها من الحروب الإسلامية التي لها جنبة دفاعيّة وفي هذا الزمان نجد أن الكثير من أعداء الإسلام يعتدون على المسلمين ويشعلون نيران الحروب للسيطرة على البلاد الإسلامية ونهب ثرواتها، فكيف يبيح الإسلام السكوت أمام هذا العدوان؟

ج: الجهاد لحماية المظلومين ونلاحظ فرعا آخر من فروع الجهاد في الآيات القرآنية

➔

➔
الكريمة، وهو الجهاد لحماية المظلومين، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً﴾ (سورة النساء:٧٥)، فإنّ الله تبارك وتعالى: يطلب من المسلمين الجهاد في سبيله، وكذلك في سبيل المستضعفين المظلومين، وأساساً إنّ هاتين الغايتين متحدتان، ومع الأخذ بنظر الاعتبار عدم وجود قيد أو شرط في الآية نفهم من ذلك وجوب الدفاع عن جميع المظلومين والمستضعفين في كل نقطة من العالم القريبة منها أو البعيدة، وفي الداخل أو الخارج.

وبعبارة أخرى: أن حماية المظلومين في مقابل عدوان الظالمين هو أصل في الإسلام يجب مراعاته، حتى لو أدّى الأمر إلى الجهاد واستخدام القوّة، فالإسلام لا يرضى للمسلمين الوقوف متفرّجين على ما يرد على المظلومين في العالم، وهذا الأمر من الأوامر المهمّة في الشريعة الإسلاميّة المقدّسة التي تحكي عن حقانيّة هذا الدين.

د: الجهاد من أجل رفع الشرك وعبادة الأوثان، فإنّ الإسلام يدعوا البشريّة إلى اعتناق الدين الخاتم الأكمل وهو يحترم مع ذلك حريّة العقيدة، وبذلك يعطي أهل الكتاب الفرصة الكافية للتفكير في أمر الرسالة الخاتمة، فإن لم يقبلوا بذلك فإنّه يعاملهم معاملة الأقليّة المعاهدة التي تسمى: بأهل الذمّة ويتعايش معهم تعايشاً سلمياً ضمن شروط خاصّة بسيطة وميسورة، لكن الشرك والوثنية ليسا بدين ولا عقيدة ولا يستحقّان الاحترام، بل هما نوع من الخرافة والحمق والانحراف ونوع من المرض الفكري والأخلاقي الذي ينبغي أن يستأصل مهما كلف الثمن.

وبعبارة أخرى: أنّ كلمة حريّة العقيدة واحترام أفكار الآخرين تصدق في مواقع يكون لهذه العقيدة والأفكار على أقلّ تقدير أساس من الصحّة، أمّا الانحراف والخرافة والضلال فليست بأشياء تستحقّ الاحترام، ولذلك يأمر الإسلام بضرورة اقتلاع جذور الوثنية من المجتمع ولو كلف ذلك خوض الحرب، وضرورة هدم آثار الشرك والوثنية بالطرق
➔

➔

السلميّة أولاً، فإن تعذّرت الطرق السلميّة فبالقوّة.

أجل فالإسلام يرى ضرورة تطهير الأرض من الشرك والوثنية ويعد المسلمين بمستقبل مشرق للبشريّة في العالم تحت ظلّ حكومة التوحيد وزوال كلّ أنواع الشرك والوثنيّة. وممّا تقدّم من ذكر أهداف الجهاد يتّضح أنّ الإسلام أقام الجهاد على أسس منطقيّة وعقليّة، فلم يجعله وسيلة للتسلّط والسيطرة على البلدان الأخرى وغصب حقوق الآخرين وتحميل العقيدة واستعمار واستثمار الشعوب الأخرى، ولكنّنا نعلم أن أعداء الإسلام وخاصّة القائمون على الكنيسة والمستشرقين المغرضين سعوا كثيراً لتحريف الحقائق ضدّ مسألة الجهاد الإسلامي، والظاهر أن خوفهم وهلعهم إنّما هو من تقدّم الإسلام في العالم بسبب معارفه السامية وبرنامجه السليم، ولهذا سعوا لإعطاء الإسلام صبغة موحشة كيما يتمكّنوا من الوقوف أمام انتشار الإسلام. فالمجاهد الذي منطقه قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين. أي الوصول إلى إحدى السعادتين إما النصر أو الشهادة، فهو قطعاً مجاهد لا يقبل الهزيمة. وإنّ الموت الذي يبعث على الوحشة لدى كثير من الناس، وحتى أنّهم يحاذرون من ذكر اسمه أو كل ما يذكر به، ليس موحشاً لديه ولا قبيحاً قطّ بالنسبة إلى المعتقدين بالحياة بعد الموت، بل إنه بالنسبة إليهم نافذة على عالم رحيب، وتحطّم القفص الدنيوي وكسر القيود الماديّة التي تأسّر الروح، ولذلك قال مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «فإن الجهاد باب من أبواب الجنّة فتحه الله لخاصّة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة» (نهج البلاغة الخطبة، رقم ٢٧). فبابُ الجهاد غير مفتوح بوجه الجميع، لأنّ وسام المجاهد لا يتقلّده إلا من كان لائقاً لذلك، وأولياء الله غير لائقين بأجمعهم لتقلّد هذا الوسام، بل خاصّة أولياء الله. وقد ورد في القرآن الكريم إنّ للجنّة ثمانية أبواب، فلم هذه الأبواب الثمانية؟! ألّلتخفيف من شدّة الازدحام؟ غير معقول! لأنّ العالم الآخر ليس بعالم تزاحم. والله قادر على أن يدخل جميع عباده الجنّة دونما تأخير أو انتظار كقدرته على محاسبتهم السريعة ﴿**وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾. وهل الهدف من تعدّد الأبواب تقسيم الناس إلى طبقات بحسب مكانتهم أو

➔

➔
مشاغلهم الدنيويّة؟ كلا.. هذا غير ممكن أيضاً، فليس ثمة معيار سوى التقوى .فإنّ تعدّد الأبواب ليس له مفهوم سوى تعدّد الدرجات، لا الطبقات. للإيمان والعمل والتقوى مراتب ودرجات، ولكلّ درجته ومنزلته في مدارج الإيمان والعمل والتقوى، بمقدار ما طوى من المراحل التكامليّة لهذه المدارج في الحياة الدنيا، ولكلّ فئة طوت مرحلةً معينةً من مراحل تكاملها باب تدخلُ منه الجنّة في الحياة الأخرى حسب درجتها ومنزلتها، أي حسب ما طوته من أشواط على طريق إيمانها وعملها وتقواها في هذه الحياة، فذاك العالم تجسّد ملكوتيّ لهذا العالم الباب الذي يدخل منه المجاهدون - إذن - هو الباب المفتوح لخاصّة أولياء الله، يلجّون منه لينالوا فوز القرب الإلهي.

والإمام عليه السلام يصف الجهاد بعد ذلك بأنّه لباس التقوى. والتقوى تعني الطهر الحقيقي، الطهر الحقيقي من كلّ الآثام، ومن المعلوم أنّ جذور الآثام الروحيّة والخلقيّة هي الكبر والغرور والأنانيّة. ومن هنا فإنّ المجاهد الواقعي أتقى الأتقياء، فربّ متّق طهر من الحسد، وآخر من الكبر، وآخر من الحرص، وآخر من البخل، لكنّ المجاهد أطهر الطاهرين، لأنّه ضحى بكلّ وجوده، ولذلك اختص بباب من أبواب الجنّة لا يناله سائر الطاهرين.

فإنّ الشهيد كلمة لها في الإطار الإسلامي قداسة خاصّة، والإنسان الذي يعيش المفاهيم الإسلاميّة ينظر إلى هذه الكلمة أسمى درجة يمكن أن يصلها الإنسان في مسيرته التكاملية، فالذي بذل نفسه، على طريق الأهداف الإسلامية السامية، ومن أجل تحقيق القيم الإنسانية الواقعية، نستطيع أن نفهم سبب قدسيّة كلمة الشهيد في الإسلام وفي أنظار المسلمين من خلال الآيات القرآنية الكريمة التي تتحدّث عن الشهادة والشهيد، وكذلك من خلال ما وصلنا من روايات في هذا الحقل، فإنّ القرآن الكريم يقول عن الشهيد: ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ (سورة آل عمران:١٦٩) فالشهداء - إذن - أحياء وعند ربّهم يرزقون، وما أعظمها من منزلة والسنة تكثر من تشبيه المكانة السامية التي يمكن أن ينالها إنسان في حياته بمكانة الشهيد، لأنّها ذروة الرقي والتكامل في المسيرة الإنسانيّة.
➔

➔

من الواضح أن هذه القدسيّة لا تأتي من كونها مقرونة بالقتل إذ كثير من الحوادث والقتل قد تكون موجباً هلاك إنسان، وربما اقترن أحياناً بالعار بدلاً من الفخار. فإنّ الاستشهاد وهو الموت الذي يتّجه نحوه القتيل تحقيقاً لهدف مقدّس إنساني، أو في سبيل الله، على حدّ التعبير القرآني، أن تكون الشهادة قد تمت عن علم ووعي وقد وروي أنّه سُئل النبيﷺ: ما بال الشهيد لا يفتن في قبره؟ أجاب: «كفى بالبارقة فوق رأسه فتنة» (انظر الكافي ج٥: ص٥٤). فالشهيد قد اجتاز امتحانه تحت السيوف التي كانت مشهورةً بوجهه، أي إنَّه أثبت إخلاصه وصدقه وبيّن حقيقته حين اختار الشهادة، فليس من اللازم أنْ يؤدي امتحاناً آخر في عالم البرزخ.

ومن هنا يعرف منزلة أبو عمارة، حمزة بن عبد المطّلب بن هاشم عمّ رسول اللهﷺ وعمّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام الذي كان أخاً لرسول اللهﷺ من الرضاعة، وقد آخى رسول اللهﷺ بينه وبين زيد بن حارثة، وقد عقد النبيﷺ له أوّل لواء في المدينة، إذ بعثه في سرّية من ثلاثين راكباً لاعتراض قافلة قريش التي كانت قادمة في ثلاثمائة راكب من الشام بقيادة أبي جهل، ولم يقع قتال بين الطرفين، اشترك مع النبيﷺ في حربي بدر وأُحد وقتل سبعة من صناديد قريش في معركة بدر، وأبلى فيها بلاءً حسناً.

ولمّا أسلم حمزة في السنة الثانية من البعثة، عرفت قريش أنّ رسول اللهﷺ قد عزّ، وكانوا ينالون منه. وقد قال مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في حقه: «ومنّا النبي ومنكم المكذّب، ومنّا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف، ومنّا سيّدا شباب أهل الجنّة، ومنكم صبية النار، ومنّا خير نساء العالمين، ومنكم حمّالة الحطب» (نهج البلاغة الكتاب رقم ٢٨ ومن كتاب لهعليه السلام إلى معاوية جواباً، وهو من محاسن الكتب). وقالعليه السلام أيضاً: «ألا وإنّ أفضل الخلق بعد الأوصياء الشهداء، ألا وإنّ أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطّلب، وجعفر بن أبي طالب» (الكافي ج١: ص٤٥٠).

فالباحث عندما يدرس حياة سيدنا الشهيد حمزة بن عبد المطلب عمّ النبي الكريمﷺ

➔

فإنّ الله سبحانه قد نصّ في فرقان العظيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

➔

يعرف معنى الإيمان والاخلاص والجهاد والشهادة، فإنّه استشهد في أحد، ولمع اسمه بين شهداء صدر الإسلام، وحاز لقب سيد الشهداء، وقبره الآن بين شهداء أُحد مزار لكلّ الذين يقصدون زيارة المدينة المنورة. كان حمزةعليه السلام قد هاجر من مكّة إلى المدينة حيث مكث وحيداً ليس معه فيها من ذويه أحد، حتّى استشهد حين رجع النبيصلى الله عليه وآله بعد معركة أحد إلى المدينة، وجد أصوات البكاء تتصاعد من بيوت الشهداء إلا بيت حمزة.. فقال عبارته المعروفة: «أمّا حمزة فلا بواكي له» (انظر مسند أحمد ج٢: ص٤٠، والاستيعاب بهامش الإصابة ج١: ص٢٧٥). سرعان ما انتشرت هذه الكلمة في أرجاء المدينة، فأسرعت النساء الثكلى والأيامى إلى بيت حمزة ليبكينه احتراماً لمقولة النبيّ ولحمزة عمّه فأصبحت العادة منذ ذلك الوقت أن يذهب كلّ من يريد أن يبكي على شهيد، إلى بيت حمزة ليبكيه أوّلاً، وهذه الحادثة دلّت على أن الإسلام - وإن لم يشجّع البكاء على الموتى - يميل إلى أن يبكي النّاس على الشهيد، لأنّ البكاء على الشهيد اشتراك معه فيما سجله من ملاحم، وتعاطف مع روحه، واتّساق مع نشاطه وتحركه وتياره.

وبعد حادثة عاشوراء، احتلّت شهادة الإمام الحسينعليه السلام مركز الذروة على مسرح الشهادة، وانتقل لقب سيد الشهداء إلى الإمام الحسينعليه السلام، وبقي حمزة سيّداً للشهداء، لكن عبارة سيد الشهداء إن أطلقت دون ذكر اسم فلا تنصرف إلا إلى الإمام الحسينعليه السلام. وكان حمزة سيد شهداء زمانه، وحاز الحسينعليه السلام على لقب سيد شهداء جميع العصور والدهور، كمريم العذراء التي كانت سيدة نساء زمانها، ثم أضحت فاطمة الزهراءعليها السلام سيدة نساء العالمين؛ كان حمزة - قبل استشهاد الإمام الحسينعليه السلام - رمزاً للبكاء على الشهيد، وكان البكاء عليه مظهراً من مظاهر الانشداد بطريق الشهادة، ثم انتقلت هذه المكانة إلى الإمام الحسينعليه السلام بعد واقعة كربلاء. وهذه الفلسفة التي يتفهمها جيّداً كلّ الواعين ممّن يشاركون في مجالس عزاء الإمام الحسينعليه السلام، فلاحظ.

أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾[١]، فعلى المؤمنين جهاد الكفرة والمنافقين من حيث بيعهم لله سبحانه نفوسهم بذلك[٢]،

---

(١) سورة التوبة:١١١

(٢) لقد أعدّ الله سبحانه وتعالى للشهداء مكانة علياً في جنانه، وذكر فضل الشهادة في الآية الكريمة ببيان أنّ الشهيد في الدنيا على ظاهرة ففكأنّما هو يتعامل مع الله معاملة رابحة في الدنيا والآخرة، فكما أنّ كلّ معاملة تتكوّن في الحقيقة من خمسة أركان أساسية، وهي عبارة عن: المشتري، والبائع، والمتاع، والثمن، وسند المعاملة أو وثيقتها، فقد أشار الله سبحانه إلى كل هذه الأركان، فجعل نفسه مشترياً، والمؤمنين بائعين، وأموالهم وأنفسهم متاعاً وبضاعة، والجنة ثمناً لهذه المعاملة. غاية ما في الأمر أنّه بين طريقة تسليم البضاعة بتعبير لطيف، فقال: يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وفي الواقع فإن يد الله سبحانه حاضرة في ميدان الجهاد لتقبل هذه البضاعة، سواء كانت روحا أم مالا يبذل في أمر الجهاد.

ثم يشير بعد ذلك إلى سند المعاملة الثابت، والذي يشكل الركن الخامس فيها، فقال: وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن.

إذا أمعنا النظر في قوله: في سبيل الله يتضح جليّاً أن الله تعالى يشتري الأرواح والجهود والمساعي التي تبذل وتصرف في سبيله، أي سبيل إحقاق الحق والعدالة، والحريّة والخلاص لجميع البشر من قبضة الكفر والظلم والفساد. ثم، ومن أجل التأكيد على هذه المعاملة، تضيف الآية: ومن أوفى بعهده من الله أي أن ثمن هذه المعاملة وإن كان مؤجّلاً، إلا أنّه مضمون، ولا وجود لأخطار النسيئة، لأنّ الله تعالى لقدرته واستغنائه عن الجميع أوفى من الكل بعهده، فلا هو ينسى، ولا يعجز عن الأداء، ولا يفعل ما يخالف الحكمة ليندم عليه ويرجع عنه، ولا يخلف وعده والعياذ بالله، وعلى هذا فلا يبقى أي مجال للشك في وفائه بعهده، وأدائه الثمن في رأس الموعد المقرّر.

←

➔

والأروع من كلّ شئ أنه تعالى قد بارك للطرف المقابل صفقته، ويتمنى لهم أن تكون صفقة وفيرة الربح، تماماً كما هو المتعارف بين التجّار، فيقول عزّ وجلّ: ﴿فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. وقد جاء نظير هذا المبحث بعبارات أخرى، ففي الآيتين من سورة الصف يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة الصف:١١ و١٢)، فإنّ الإنسان يقع في حيرة هنا من كل هذا اللطف والرحمة الإلهيّة، حيث أنّ الله المالك لكلّ عالم الوجود، والحاكم المطلق على جميع عالم الخلقة، وكلّ ما يملكه أي موجود فإنّما هو من فيضه ومنحته، يبدو في مقام المشتري لنفس هذه المواهب التي وهبها لعباده، ويشتري ما أعطاه بمئات الأضعاف. والأعجب من ذلك، أن الجهاد الذي هو السبب في عزّة الإنسان وافتخار الأمّة، وثمراته تعود في النهاية عليها، قد اعتبر دفعاً وتسليماً لهذه البضاعة. ومع أن المتعارف أن الثمن يجب أن يعادل المثمن أو البضاعة، إلا أن هذا التعادل لم يلاحظ في هذه المعاملة، وجعلت السعادة الأبدية في مقابل بضاعة متزلزلة يمكن أن تفنى في أية لحظة، سواء كان على فراش المرض أو ساحة القتال. والأهمّ من هذا أن الله سبحانه وتعالى مع أنه أصدق الصادقين، ولا يحتاج إلى سند وضمان، فإنّه تعهد بأهم الوثائق والضمانات أمام عبيده. وفي نهاية هذه المعاملة العظيمة، والصفقة الكبيرة، فإنه قد بارك لهم وبشرهم، فهل تتصوّر رحمة ومحبّة أعلى من هذه؟! وهل يوجد معاملة أكثر ربحاً من هذه؟!

ولهذا ورد في حديث عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنّه لما نزلت هذه الآية كان النبي صلى الله عليه وآله في المسجد، فتلا هذه الآية بصوت عال، فكبر الناس، فتقدّم رجل من الأنصار وسأل رسول الله صلى الله عليه وآله يا رسول الله، أنزلت هذه الآية؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: «نعم»، فقال الأنصاري:

➔

ومن المعلوم وجود المصلحة العظيمة لهم بذلك، ومن هذه الجهة اشترى سبحانه منهم نفوسهم، وليس يلزمه بيان ما في ذلك من المصلحة لهم غير دخولهم الجنّة، وحسبهم مصلحة وسعادة نفس دخول الجنّة[1]،

←

بيع ربيح لا نقيل ولا نستقيل (انظر تفسير الآلوسي ج١١: ص٢٦). فهذا مقام الشهيد ومكانة الشهادة عند الله.

(١) وذلك لأنّ الجنَّة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولأنَّها كما قال تعالى: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ﴾ (سورة الرعد:٣٥) فالله تبارك وتعالى يضرب لنا المثل فقط لأنَّ الألفاظ التي نتخاطب بها نحن قد وضعت لمعانٍ نعرفه وإذا كانت في الجنة أشياء لم ترها عين ولم تسمعها أذن، ولم تخطر على بال بشر فمن الممكن أن نقول لا توجد ألفاظ عندنا تؤدي معنى ما هناك. وبهذا نعرف أنَّ هناك فارقاً بين مثل الجنّة وبين الجنّة. ولهذه الجهة يتجلّى عجز اللغة عن أن توجَد بها ألفاظ تعبّر عن معنى ما هو موجود في الجنّة، وإنّ طريقة القرآن هي أن تبيّن كثيراً من الحقائق من خلال مقارنتها مع بعضها لتكون مفهومة ومستقرّة في القلب تماماً، وبعد هذا الشرح والتفصيل لايعلم ما هي الأشياء الموجودة بالجنة ما دام لم يرَ أحد منّا الجنَّة، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة السجدة:١٧)، فإنّ التعبير بـ"فلا تعلم نفس" وكذلك التعبير بـ"قرّة أعين" مبيّن لعظمة هذه المواهب والعطايا التي لا عدّ لها ولا حصر، خاصّة وأنّ كلمة "نفس" قد وردت بصيغة النكرة في سياق النفي، وهي تعني العموم وتشمل كل النفوس حتى ملائكة الله المقربين وأولياء الله. والتعبير بـ"قرة أعين" من دون الإضافة إلى النفس، إشارة إلى أن هذه النعم إلهية التي خصّصت كثواب وجزاء للمؤمنين المخلصين في الآخرة، في هيئة تكون معها قرة لعيون الجميع. فإنّ قرّة من مادة القرّ، أي البرودة، ومن المعروف أن دموع الشوق باردة دائماً، وأن دمع الغم والحسرة

←

➔

حارّ محرق، فالتعبير بـ"قرّة أعين" يعني في لغة العرب الشيء الذي يسبّب برودة عين الإنسان، أي أن دموع الشوق والفرح تجري من أعينهم، وهذه كناية لطيفة عن منتهى الفرح والسرور والسعادة، وفي حديث عن النبي الأكرمﷺ إنّ الله يقول: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر (بحار الأنوار ج٨: ص٩٢).

ثم السؤال الذي يطرح هنا هو أنّه لماذا أخفي هذا الثواب والجزاء؟ ثم يذكر ثلاثة أجوبة لهذا السؤال، الأوّل: أن الأمور المهمّة وذات القيمة لا يمكن إدراك حقيقتها بسهولة من خلال الألفاظ والكلام، ولذلك فإنّ إخفاءها وإبهامها يكون أحيانا أكثر تحفيزاً، وأبعث على النشاط، وهو أبلغ من ناحية الفصاحة.

الثاني: أن الشيء الذي يكون قرّة للأعين، يكون عادة مترامي الأطراف إلى الحد الذي لا يصل علم ابن آدم إلى جميع خصوصياته.

الثالث: لمّا كان هذا الجزاء قد جعل لصلاة الليل المستورة، فإنّ المناسب أن يكون ثواب هذا العمل عظيماً ومخفياً أيضاً. وينبغي الالتفات إلى أن جملة تتجافى جنوبهم عن المضاجع في الآية السابقة إشارة إلى صلاة الليل. ما من حسنة إلا ولها ثواب مبين في القرآن، إلا صلاة الليل، فإن الله عزّ اسمه لم يبيّن ثوابها لعظم خطرها، قال: فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين.

وبغض النظر عن كل ذلك، فإن عالم القيامة عالم أوسع من هذا العالم سعة لا تحتمل المقارنة، فهو أوسع حتى من الحياة الدنيا بالقياس إلى حياة الجنين في رحم الأم، وأبعاد ذلك العالم لا يمكن إدراكها عادة بالنسبة لنا نحن السجناء داخل الجدران الأربعة للدنيا، ولا يمكن تصوّره من قبل أحد إنّنا نسمع كلاماً عنه فقط، ونرى شبحه من بعيد، لكنّنا ما لم ندرك ولم نر ذلك العالم، فإن من المحال إدراك أهميته وعظمته، كما أن إدراك الطفل في بطن الام لنعم هذه الدنيا - على فرض امتلاكه العقل والإحساس الكامل - غير ممكن. وقد ورد نفس هذا التعبير في شأن الشهداء في سبيل الله، ذلك أن الشهيد عندما

➔

وفي مقام البحث كم من مصلحة غيرها قد تحقّقت، منها: تمييز المؤمن من المنافق[(١)]،

←

يقع على الأرض تقول له الأرض: مرحباً بالروح الطيبة التي خرجت من البدن الطيب، أبشر فإن لك ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر (انظر بحار الأنوار ج٩٧: ص١٣). إذن فإنّ المصلحة العظيمة لهذه المعاملة العظيمة التي قد تقع بين الله تعالى والمجاهد الذي يستشهد في سبيل الله، فإنّ الله سبحانه هوالمشتري الذي يشتري منهم أنفسهم بأنّ لهم الجنّة، وحسبهم المصلحة والسعادة بنفس دخولهم في الجنّة.

(١) لا شك أنّ حروب النبيصلى الله عليه وآله وتدابيرة الشريفة مليئة بالمواقف التربوية، لأنّ سيرته العطرة تطبيق عملي لروح الإسلام، وفيها استلهام الدروس والعبر وتطبيق واقعي للإسلام والأحكام الشرعية والتحلي بالسلوك الأخلاقية، فموقف رسول اللهصلى الله عليه وآله ليس موقف الحرب فقط، بل موقف الهداية والتربية، ومقتضى ذلك يكون أن يكون موقفهصلى الله عليه وآله في الحرب موقف القيام بالقسط، كما أنّ موقف جميع الأنبياء القيام بالقسط، قال الله تعالى: ﴿**وَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾ (سورة الحديد:٢٥)، ففي حروب النبيصلى الله عليه وآله دروس ومصالح التي تنبثق عن المنهج التربوي النبوي في معالجة أخطاء الأفراد والمجتمع، ومنها معرفة حال المسلمين، فبالحرب تكشف عن مدى إيمانهم بالله عزّ وجلّ وتمييز المنافق عن المؤمن الحقيقي فقد قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ**﴾ (سورة البقرة:٨)، وقال تعالى: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾ (سورة التوبة:١٠١)، وقال تعالى: ﴿**الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ (سورة التوبة:٩٧)، وإلى غير ذلك من الآيات. كما أخبر سبحانه وتعالى بأحوال المنافقين ومقالاتهم المتنوّعة، مع أن رسول

←

والطيب المقتدي بإمام الحق من الخبيث المعاون للظلمة على أهل الحق[(١)]،

➔

اللهﷺ كان يعرفهم ولكن الناس لم يمكنهم التمييز بين المؤمن الحقيقي والمنافق الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر والشرك، فلو لم تكن حرب لما علِم الناس أن هناك اتّجاهاً رائجاً بالتستّر بالنفاق في المدينة، فإنهﷺ كان يرى أمامه المؤمنين والمنافقين، فمن أين يعرفهم الناس، ولولا الحرب واختبار الناس بها لما تميز المؤمن من المنافق فأحد مصالح وجود الحرب هذه الجهة المهمة، فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ من المصالح المترتّبة على الحروب والغزوات النبويّة هي معرفة إمام الحق والعدل، لأنّ الدنيا تسع البرّ والفاجر حتى يبعث الله الإمام الحق، ولا شكّ في أنّ للحقّ علامات كما أنّ للباطل علامات، وبالتالي فإنّ الإنسان يستطيع أن يميّز بين امام الحقّ ومدعي الإمامة الذي هو على الباطل، وذلك بمعرفة مميزاتهما وصفاتهما، فإنّ الإمام الحق يعرف بصفاته بكون جميع ما يصدر منه الحق، بخلاف إمام الباطل الذي يعرف بصفاته وكونه أهل الباطل، ولا شكّ أنّ الإسلام اهتمّ ببيان هذا الأمر وإظهاره كما نعرف هذه الحقيقة من خلال غزوة خيبر، حيث عرف الناس فيها امام الحقّ بعد رسول اللهﷺ كما عرفوا فيها فشل أئمة الباطل الذين ادّعوا الخلافة بعد وفات رسول اللهﷺ وإليك ملخص ما حدث في هذه الغزوة: فقد ذكرالمؤرخون وأصحاب السير أنّ غزوة خيبرحدثت في السنة السابعة للهجرة، وخيبر بلسان اليهود: الحصن، وهي مدينة كبيرة منيعة تعجُّ بالحصون والدروع، تقع إلى جهة الشمال من المدينة المنوّرة، وكانت خيبر منطقة واسعة وخصبة تقع على بُعد اثنين وثلاثين فرسخاً من المدينة، وكان قد سكنها اليهود قبل بعثة النبيّﷺ وبنوا فيها سبع قلاع وحصون قوية لتحصّنهم وتحفظّهم. وحيث أن التربة والمناخ في تلك المنطقة كانت صالحة للزراعة جدّاً، فسكّانها اليهود، وقد حصلوا على مهارة كبرى في أمور الزراعة وجمع الثروات، وتهيئة وسائل الدفاع والقتال، وإعداد السلاح والقوّة.

وقد بنوا عند كلّ حصن من تلك الحصون برجاً للمراقبة، ولرصد كل التحرّكات خارج

➔

➔

الحصن، ولأجل أن ينقل الحرّاس والمراقبون المستقرّون في هذه الأبراج الأخبار إلى داخل الحصن. وقد كانت تلك البروج والحصون قد شيِّدت بحيث يسيطرُ سكّانُها على خارج الحصن سيطرة كاملة وكانوا يستطيعون عن طريق المجانيق وغيرها من آلات الرمي إبعاد أي عدو، وإفشال أيّة محاولة للاقتراب إلى الحصن، وذلك برميه بالسهام أو بالأحجار وما شابهها.

وسبب غزوة خيبر عزم رسول الله ﷺ لإيقاف أذى يهود خيبر، وذلك عندما نقضوا عهدهم مع النبي الأكرم ﷺ وعقدوا حلفاً ضدّه مع قريش لحشدهم ضدّ المسلمين في غزوة الأحزاب، وكان يهود خيبر أهل خداع وتآمر، فقد شجّعوا جميع القبائل العربيّة على محاربة الإسلام والقضاء على الحكومة الإسلاميّة، واستطاع جيش الأحزاب المشرك بمساعدة يهود خيبر أن يتحرّكوا في يوم واحد من مختلف مناطق الجزيرة العربيّة لاجتياح المدينة واستئصال المسلمين في أكبر تحالف عسكري واتّحاد نظاميّ من نوعه في ذلك العصر، ولكن هذا الجيش المعتدي الظالم تفرّق بفعل تدابير رسول الاسلام ﷺ الحكيمة، وشجاعة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في ساحة الحرب، فعادت الأحزاب ومن جملتهم يهود خيبر متشتّتة متفرّقة إلى أوطانها تجرّ أذيال الخيبة والخسران، واستعادت عاصمة الإسلام استقرارها وأمنها. فتوّجه رسول الله ﷺ إلى مدينة خيبر ليوقف يهود خيبر وقبائل نجد عند حدّهم، حتى تعيش المنطقة بهدوء وأمن وسلام تامّ، وحتى يضمن للمسلمين العيش بسلام والتخلّص من الصراعات الدامية والتفرّغ لنشر الدين الإسلامي ودعوة القبائل إليه.

ولم يكن بين رسول الله ﷺ وبين يهود خيبر عهد، بخلاف بني قنيقاع وبني النضير وبني قريظة، فقد كان بين الرسول ﷺ وبينهم عهد وميثاق، فكانوا يتظاهرون السلم مع المسلمين. فاستمرّ يهود خيبر في محاولاتهم ضدّ النبي ﷺ بأنحاء عديدة، فحملت هذه المحاولات العدائية رسول الله ﷺ على أن يقضي على بؤرة المؤامرة ومركز الفساد والخطر هذا، وأن يجرّد سكّانها جميعاً من السلاح؛ لأنه كان يخشى أن يعود هذا الشعب

➔

➔

المعاند الخبيث - ببذل الأموال الطائلة - إلى تأليب العرب الوثنيّين مرّة أخرى ضدّ المسلمين ويعيدوا قصّة الأحزاب مرّة أخرى. وخاصّة أن تعصّب اليهود لدينهم ومعتقدهم كان أشدّ من تعصّب قريش للوثنيّة، ولهذا التعصّب كان يسلم ألف مشرك وثنيّ ولا يدع يهودي واحد دينه، ومعتقده!!

فعزم رسول الله صلى الله عليه وآله على تحطيم قدرة الخيبريّين وشوكتهم، وانتزاع السلاح منهم ورصد تحرّكاتهم، خاصّة أن الشعب اليهودي كان ضليعاً في الحروب التي دارت بين الروم والفرس في تلك العصور، وكان اليهود يتعاونون مع أحد الطرفين.

ومن هنا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ان من الحكمة بل ومن الضرورة بمكان أن يطفئ شرارة الخطر هذه إلى الأبد. وكانت هذه الفرصة أفضل الفرص لهذا العمل، لأنّ بال النبيّ صلى الله عليه وآله كان قد فرغ من ناحية الجنوب (أي قريش) بعد صلح الحديبيّة، وكان يعلم أنّه لو أقدم على عمل ضدّ اليهود لم تمتدّ يد من جانب قريش لمساعدتهم، ولكي يمنع من وصول أيّة مساعدات وإمدادات لهم من ناحية قبائل الشمال مثل غطفان الذين كانوا أصدقاء ليهود خيبر والمتعاونين معهم في معركة الأحزاب، فلهذه الأسباب والعوامل والاعتبارات أمر رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين بالتهيّؤ لغزو خيبر آخر مركز من مراكز اليهود في الجزيرة العربيّة. وقال: «لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد أما الغنيمة فلا». ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله استخلف على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي، ودفع راية بيضاء إلى الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأمر بالتوجّه إلى خيبر، ولكي تسرع الإبل في سيرها أذن لعامر بن الأكوع أن يحدوا بالإبل؛ لأنّ الإبل تُستَحبّ بالحداء، وقد استشهد ابن الأكوع هذا في هذه الغزوة. ولقد خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى خيبر ما يقرب من ألف وستمائة مقاتل، بينهم مائتا فارس، وعندما أشرف رسول الله صلى الله عليه وآله على خيبر، تلك الحصون المنيعة التي قد كان بين سكّان هذه الحصون البالغ عددهم عشرين ألفاً، ألفان من الفرسان الشجعان والصناديد الأبطال الذين توفّرت لهم كل ما يحتاجون إليه من الطعام والشراب،والذين أعدّت لهم في المخازن كلّ مايحتاجون إليه من الاسلحةوالعتاد.

⬅

➔
وكانت هذه الحصون من الإحكام والقوّة بحيث كان من المستحيل إحداث أيّة ثغرة في حيطانها أيضاً، ومن أراد الاقتراب إليها رمي بالسهام والأحجار فجرح بها أو قتل، فكانت تعدّ هذه الحصون - في الحقيقة - متاريس قويّة لمقاتلي اليهود. فواجه المسلمون في هذه الغزوة مثل هذا العدوّ المسلح، المتمنع بمثل هذه المتاريس القويّة، فكان لا بدّ لفتح هذه القلاع من استخدام تكتيك عسكري دقيق. ولهذا فانّ أوّل عمل قام به رسول الله ﷺ وأصحابه في هذا السبيل هو احتلال كل النقاط والطرق الحسّاسة ليلاً. وقد تمّ هذا العمل بسرية وسرعة بالغة جدّاً بحيث لم يعرف به حتى مراقبو الأبراج اليقظون أيضاً.
ولما كان صبيحة تلك الليلة خرج عُمّال خيبر غادين إلى مزارعهم وبساتينهم وهم يحملون مساحيهم ومكاتيلهم وإذا بهم يفاجَون بجنود الاسلام، وقد احتلّوا جميع النقاط الحسّاسة وسدّوا جميع الطرق عليهم بحيث لو قدموا شبراً لقبضَ عليهم، فأفزعهم ذلك وخافوا خوفاً شديداً، فأدبروا هراباً وهم يقولون: محمّد والجيش معه. وبادروا فوراً إلى إغلاق أبواب الحصون وإحكامها، وعقدوا شورى عسكرية في داخل حصنهم المركزي.
وكانت نتيجة الشورى العسكريّة اليهوديّة في هذه الغزوة هي أن يجعلوا الأطفال والنساء في أحد الحصون، ويجعلوا الذخيرة من الطعام في حصن آخر، ويستقرّ المقاتلون الشجعان على الأبراج ويدافعوا عن كلّ قلعة وحصن بالأحجار، ويخرج الأبطال الصناديد من كلّ حصن ويقاتلوا المسلمين خارجه.
فكانت هذه هي خطّة اليهود لمواجهة جنود الاسلام، وقد أصرّوا على تنفيذها حتى آخر لحظة من القتال ولهذا استطاعوا أن يقاموا في وجه الجيش الاسلامي مدّة شهر واحد تقريباً بحيث كانت محاولة فتح كلّ حصن من تلك الحصون تستغرق عشرة أيّام دون نتيجة. وكان لكلّ حصن من حصون خيبر السبعة اسم خاص يعرف به فهي عبارة عن: ناعم والقموص والكتيبة والنطاة، وشقّ وسطح، وسلالم، وربّما سمّي بعض هذه الحصون باسم زعيم الحصن وسيّده، مثل حصن مرحب.
كما أنه كانوا قد بنوا عند كلّ حصن من تلك الحصون برجاً للمراقبة، ولرصد كلّ التحركات
➔

➔
خارج الحصن، ولأجل أن ينقل الحرّاس والمراقبون المستقرّون في هذه الأبراج الأخبار إلى داخل الحصن. كانت هناك نقطة لا تحظى بأهميّة تُذكر من الناحية العسكريّة وكان مقاتلو اليهود يسيطرون عليها سيطرة كاملة، ولم يكن فيها أي مانع من استهداف مخيّم المسلمين ورميها من جانب العدو.

والمستفاد من المصادر التاريخيّة هو أن جنود الاسلام حاصروا القلاع والحصون حصناً تلو حصن، وحاولوا قطع ارتباط الحصن المحاصر ببقيّة الحصون ثم فتحه، ثم محاصرة حصن آخر. ولقد تم فتح هذه الحصون ببطء لأنها كانت مرتبطة ببعضها بارتباط سرّي، أو كان المقاتلون يدافعون عنها دفاعاً مستميتاً، ولكن الحصون التي كان الرعب والخوف يسيطر على مقاتليها وحرّاسها، أو التي ينقطع ارتباطها بالخارج بصورة كاملة كان يتمّ السيطرة عليها بسهولة، وتسفكُ فيها دماء أقلّ، ويتقدم العمل فيها بسرعة اكبر. فحمل جنود الإسلام على حصن الوطيح، وسلالم، ولكنهم واجهوا مقاومة عنيفة من اليهود الذين كانوا يدافعون عنها خارجها، من هنا لم يستطع جنود الاسلام أن يحرزوا انتصاراً بل ظلّوا يجالدون مقاتلي اليهود أكثر من عشرة أيّام، ولكنّهم كانوا يعودون في كلّ يوم إلى مقرّهم من دون نتيجة. فعندما فتح النبيﷺ حصون النطاة والشق انهزم من سلم من يهود تلك الحصون إلى حصون الكتيبة، وهي ثلاثة حصون: القموص والوطيح وسلالم وكان أعظم حصون خيبر القموص، فتحصّنوا فيه أشدّ التحصين، مغلقين عليهم لا يبرزون، وقد حاصروهم عشرين يوماً (انظر كتاب المغازي للواقدي ج٢: ص٦٧). وكان النبيﷺ يصلي بالمسلمين كلّ يوم صلاة الفجر ثم يصطفُّون ثم يذهبون لمهاجمة الحصن، وقد بعث رسول اللهﷺ أبا بكر وأعطاه الرايته على رأس جماعة من المقاتلين المسلمين لفتح بعض حصون خيبر، ولكنّهم رجعوا منهزمين، وكلّ من الأمير والجنود يلقي باللوم على الآخر، ويتّهمه بالجبن والفرار. فأعطى النبيﷺ الراية لعمر بن الخطاب على رأس جماعة أخرى، فكان كرفيقه رجع منهزماً فزعاً مرعوباً وهو يصف شجاعة مرحب وقوّته البالغة، فأغضب هذا العمل رسول اللهﷺ وفرسان الاسلام وقادة الجيش
➔

➔
الاسلامي، فجمع رسول الله صلى الله عليه وآله جيشه وقال: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله يفتح على يديه كرّار غير فرّار». وقد أثارت هذه الجملة الخالدة الحاكية عن فضيلة وشجاعة وتفوّق ذلك الفارس الذي قدر أن يكون الفتح على يديه وتميّزه المعنوي على غيره موجة من الفرح الممزوج بالاضطراب بين أفراد الجيش وقادته الشجعان.

فقد بات كلّ واحد منهم يتمنّى أن يكون هو صاحب هذا النوط الخالد والعظيم وأن تصيب القرعة باسمه. وعند الصباح ومع طلوع الشمس التي شقّت بأشعتها رداء الظلام، وأضاءت السهل والجبل، تجمّع قادة الجيش الاسلامي وفيهم الرجلان المنهزمان بالأمس حول رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يريدون بشوق بالغ أن يعرفوا من سيعطيه الراية اليوم، ولم يطل هذا الانتظار، فقد كسر رسول الله صلى الله عليه وآله جدار الصمت هذا عندما قال صلى الله عليه وآله: «أين علي؟» فقيل: يا رسول الله به رمد، وهو زاقد بناحية. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ائتوني بعليّ». وإنّ هذه العبارة تكشف عن أن ما أصاب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من الرمد كان من الشدّة بحيث سلبه القدرة على المشي، وعاقه عن الحركة.

فأمرّ رسول الله صلى الله عليه وآله يده الشريفة على عيني الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ودعا له بخير، فعوفي من ساعته، واستعادت عيناه عليه السلام سلامتها أفضل ممّا كانت بحيث لم يرمد عليه السلام حتى آخر حياته بفضل تلك المسحة النبويّة المباركة. ثم دفع رسول الله صلى الله عليه وآله اللواء إلى الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ودعا له بالنصر كما أنّه أمر بأن يبعث إلى اليهود قبل قتالهم من يدعو رؤساء الحصون إلى الاسلام، فإن أبوا اعتناق الاسلام أخبرهم بوظائفهم في ظلّ الحكومة الاسلامية وأن عليهم أن يسلّموا أسلحتهم إلى الحكومة الاسلاميّة، ويعيشوا بحريّة وأمان تحت ظلّ هذه الحكومة شريطة أن يدفعوا الجزية. وإذا رفضوا ذاك قاتلهم، ثم قال صلى الله عليه وآله للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «لئن يهديَ الله بك رجلاً واحداً خيرٌ من أن يكون لك حُمر النعم». عندما كلّف الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من جانب النبي صلى الله عليه وآله بفتح قلعتي سلالم
➔

➔
والوطيح، وهما الحصنان اللذان عجز عن فتحهما الشيخان السابقان أبو بكر وعمر ووجها بفرار ضربة لا تجبر إلى شرف الجيش الاسلامي، فارتدى درعاً قويّاً وحمل سيفه الخاص ذا الفقار وراح يهرول بشجاعة منقطعة النظير نحو القلعتين المذكورتين، والجند خلفه، حتى ركز الراية التي أعطاها له رسول الله صلى الله عليه وآله على الأرض تحت الحصن. ولما رأى اليهود أنه دنا من الحصن خرج إليه كبار صناديدهم.

وكان أول من خرج إليه أخو مرحب ويدعى الحارث فتقدم إلى الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وصوته يدوي في ساحة القتال بحيث تأخّر من كان خلف الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من شدّة الفزع. ولكن لم يمض زمان حتى سقط الحارث على الأرض جثّة هامدة بضربة قاضية من الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. فغضب مرحب بطل خيبر المعروف لمقتل أخيه الحارث وخرج من الحصن وهو غارق في السلاح، فقد لبس درعاً يمانياً، ووضع على رأسه خوذة منحوتة من حجارة خاصّة، وتقدّم إلى الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كالفحل الصؤول يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحبُ شاكي السلاح بطل مجربُ
إن غلب الدهر فاني أغلبُ والقرن عندي بالدما مخضّبُ

فأجابه الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مرتجزاً وقد أظهر للعدو شخصيّته العسكريّة في رجزه:

أنا الّذي سمّتني أمّي حَيدرَة ضرغام آجام وليث قَسورَة
عبل الذراعين غليظ القيصرة كليث غابات كريه المنظرة

من إنشاد رجزهما تبادلا الضربات بالسيوف والرماح، فألقت قعقعة السيوف وصوت الرماح رعباً عجيباً في قلوب المشاهدين، وفجأة هبط سيف بطل الاسلام القاطع على المفرق من رأس مرحب بطل اليهود قدّت خوذته نصفين ونزلت على رأسه وشقّته نصفين إلى أسنانه، ولقد كانت هذه الضربة من القوّة بحيث افزعت أكثر من خرج مع مرحب من
➔

➔

أبطال اليهود وصناديدهم ففرّوا من فورهم، ولجأوا إلى الحصن، وبقي جماعة فقاتلوا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام منازلة فقاتلهم حتّى قتلهم جميعاً، ثم لاحق الفارّين منهم حتى باب الحصن، فضربه عند الحصن رجل من اليهود فطاح ترسُه من يده فتناول الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام باباً كان على الحصن وانتزعه من مكانه، فترس به عن نفسه فلم يزل ذلك البابُ في يده وهو يقاتل حتى فتح الله على يديه ثم القاه من يده حين فرغ، وقد حاول ثمانية من أبطال الاسلام ومنهم أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقلبوا ذلك الباب أو يحرّكوه من مكانه فلم يقدروا على ذلك. وهكذا فتحت القلعة التي عجز عن فتحها المسلمون عشرة أيّام في مدّة قصيرة على يد بطل الاسلام الأول الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ ويقول المؤرخون: إن الباب الذي قلعه الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان من الصخر وكان طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعين. وقد نقل المؤرخون قضايا عجيبة حول قلع باب خيبر هذا وخصوصياته ومواصفاته، وعن بطولات الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في فتح هذا الحصن، يعجز عنها القدرة البشريّة المتعارفة، ولا يمكن أن تصدر منها. ويقول الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نفسه في هذا الصدد ما يرفع كلّ شكّ وإبهام قد يعترض المرء في هذا المجال: «ما قلعتُها بقوّة بشريّة ولكن قَلعتها بقوّة الهيّة ونفس بلقاء ربّها مطمئنة رضية» (انظر مشارق أنوار اليقين للحافظ البرسي: ص١٧٠) ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي: قد حاول حمل هذا الباب أربعون رجلاً فلم يتمكّنوا، حتّى تكاملوا سبعين فتمّ لهم حمله، قال في ذلك:

يا قالع الباب التي عن هزّها   عجزت أكفّ أربعون وأربعُ

عندما افتتح حصن القموص سُبيت صفيّة بنت حيي بن أخطب وامرأة أخرى، فمرّ بهما بلال على القتلى فصاحت صفيّة صياحاً شديداً جزعة ممّا رأت، فكره رسول الله صلى الله عليه وآله ما صنع بلال وقال صلى الله عليه وآله: «أذهبت منك الرحمة؟ تمرّ بجارية حديثة السنّ على القتلى؟» فقال بلال: يا رسول الله ما ظننتُ أنك تكره ذلك، وأحببت أن ترى مصارع أهلها. ولم يكتف رسول

🡐

➔

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بهذا القدر من تطييب خاطر صفيّة بل احترمها، وعيّن لها مكاناً خاصّاً للاستراحة في المعسكر، واختارها زوجة لنفسه، وبهذا الطريق أزال آثار ذلك الصنيع السيّئ الذي قام به بلال. لقد تركت أخلاق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وتعامله الإنساني الرفيع مع صفية أثراً حسناً في نفسها، فقد صارت في ما بعد من أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الوفيّات المخلصات، وقد حزنت عند وفاته، وبكت له أكثر من بقيّة أزواجه. وقد نقلنا هذا الوجيز من المصادر أهل السنّة والجماعة وهي: صحيح البخاري ج٤: ص١٢، كتاب دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، باب ما قيل في لواء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وج٤: ص١٠٧ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٦: ص١٥٠، وتاريخ الطبري ج٢: ص٣٠٠، وفتح الباري لابن حجر ج٦: ص٩٠، وكتاب السنّة لابن أبي عاصم: ص٥٩٤، والسنن الكبرى للنسائي ج٥: ص١٠٨، والخصائص له: ص٤٩، ومسند أبي يعلى الموصلي ج١: ص٢٩١، وصحيح ابن حبان ج١٥: ص٢٧٧، والمعجم الكبير للطبراني ج٦: ص١٥٢، والاستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص١٠٩٩، والدرر له: ص١٩٨، وشرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج١١: ص٢٢٦، والرياض النضرة للمحبّ الطبري ج٢: ص١٤٧، وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٨٧، ومروج الذهب للمسعودي ج٣: ص١٤، وتاريخ الاسلام للذهبي ج٢: ص٤٠٧، والبداية والنهاية لابن كثير ج٤: ص٢١٢ ج٧: ص٢٥١، والسيرة النبوية لابن هشام ج٢: ص٧٩٧، وتفسير الفخر الرازي ج١٣: ص٢٣، وتاريخ بغداد ج٨: ص٥، والطبقات لابن سعد ج٢: ص١١١، وكتاب المغازي للواقدي ج٢: ص٦٥١، والكامل في التاريخ لابن الاثير ج٢: ص٢١٩، والمنتظم لابن الجوزي ج٣: ص٢٩٦ وغيرهم من المصادر التي نقلت هذه الواقعة مع بعض جزئياتها، وما رافقها وما أحاط بها من ظروف وأحداث، والمهم جميع هذه المصادر أكّدت على فرار أبي بكر وعمر من ساحة الحرب يوم خيبير وهنا أسئلة نوجّهها إلى من يدافع عنهما وعن جميع الصحابة الذين هربوا من ساحة القتال في الغزوات وهي: السؤال الأوّل: ماذا تفهم من قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بعد هزيمة أبي بكر وعمر يومين متتالين: «أما والله لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله،

➔

➔
كرّار غير فرّار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه»؟!
لا بدّ أن نبحث وندرس معنى يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله في الآيات والروايات وسنذكر تفصيل ذلك في محلّه إن شاء الله.
السؤال الثاني: هل يفهم من هزيمة أبي بكر وعمر في خيبر وانتصار الإمام أميرالمؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، أن اليهود لا يحقّق النصر عليهم إلا بالإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وشيعته؟ وهذا أمر في كمال الوضوح، فهل لهم من الجواب عن ذلك؟ السؤال الثالث: أراد البخاري أن يغطي على فرار أبي بكر وعمر فطعن بالإمام أميرالمؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وقال: إنه تخلّف عن النبي صلى الله عليه وآله في خيبر لأنّه كان أرمد، ثم تاب والتحق به!
فهكذا ذكر البخاري في الحديث الذي أخرجه في صحيحه: كان علي تخلّف عن النبي صلى الله عليه وآله في خيبر وكان به رمد، فقال: أنا أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله! فخرج علي فلحق بالنبي صلى الله عليه وآله فلمّا كان مساء الليلة التي فتحها في صباحها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لأعطين الراية أو قال ليأخذن غداً رجل يحبّه الله ورسوله» أو قال: «يحب الله ورسوله يفتح الله عليه»، فإذا نحن بعلي وما نرجوه، فقالوا: هذا علي فأعطاه رسول الله الراية، ففتح الله عليه (انظر صحيح البخاري ج٤: ص١٢، كتاب دعاء النبي صلى الله عليه وآله، باب ما قيل في لواء النبي صلى الله عليه وآله وج٤: ص١٠٧ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). وأحسّ ابن حجر بالفضيحة فقال في شرحه: وقع في هذه الرواية اختصار وهو عند أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم من حديث بريدة بن الخصيب، قال: لما كان يوم خيبر أخذ أبو بكر اللواء فرجع ولم يفتح له، فلمّا كان الغد أخذه عمر فرجع ولم يفتح له، وقتل محمود بن مسلمة، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «لأدفعن لوائي غداً إلى رجل...» وفي الباب عن أكثر من عشرة من الصحابة سردهم الحاكم في الإكليل، وأبو نعيم، والبيهقي في الدلائل (انظر فتح الباري في شرح البخاري ج٧: ص٣٦٥)، ونحوه عمدة القاري (انظر عمدة القاري في شرح البخاري ج١٤: ص٢١٣). فما رأيكم في ذلك؟ سيتبيّن لك الوجه في ذلك أيها
➔

➔
القارىء الكريم فيما سيأتي في الجواب عن السؤال الرابع. السؤال الرابع: فسّروا لنا الحديث الذي رواه أحمد، ووثقه في الزوائد (ج٦: ص١٥١ وج٩: ص١٢٤): عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ أخذ الراية فهزّها ثم قال: «من يأخذها بحقّها؟» فجاء فلان فقال: «أمِطْ» (إذهب عني!).ثم جاء رجل آخر فقال: «أمط!» ثم قال النبي ﷺ: «والذي كرّم وجه محمّد لأعطينّها رجلاً لا يفرّ، هاك يا علي!» فانطلق حتى فتح الله عليه (وأبو يعلى الموصلي ج٢: ص٤٩٩، ومسند أحمد بن حنبل ج٣: ص١٦، وتاريخ مدينة دمشق ج١: ص١٩٤، والبداية والنهاية ج٤ ص٣٨١) لماذا؟ أليس أنّهم وجدوا أنّ كبار الصحابة عندهم، بل خلفائهم خالفوا النصوص القرآنيّة وهو قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ (سورة الأنفال:١٥-١٦)، فإنّ الحديث في هذين الآيتين عن الصحابة الذين فرّوا عن ساحة القتال فقال تعالى: يا آيها الذين آمنوا إذ لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولّوهم الأدبار. واستخدام كلمة "زحف" - في الآية آنفاً - تشير إلى أنه بالرغم من أن عدوّكم قوي وكثير، وأنتم قليلون، فلا ينبغي لكم الفرار من ساحة الحرب، وكما كان عدوّكم كثيراً في ميدان بدر فثبتم وانتصرتم، فالفرار من الحرب يعدّ في الإسلام من كبائر الذنوب، ولذلك تذكر الآية بعدها جزاء من يفرّ من ميدان الحرب مع الإشارة لمن يستثنون منهم فتقول: ومن يولّهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله، وكما نرى فقد استثنت الآية صورتين من مسألة الفرار، ظاهرهما أنهما من صورة الفرار، غير أنهما في الحقيقة والواقع صورتان للقتال والجهاد: الصورة الأولى: عبّر عنها بـ"متحرّفاً لقتال" ومتحرّف من مادّة "التحرّف" أي الابتعاد جانباً من الوسط نحو الأطراف والجوانب، والمقصود بهذه الجملة هو أن المقاتلين يقومون بتكتيك قتالي إزاء الأعداء، فيفرّون من أمامهم نحو الأطراف ليلحقهم الأعداء: ثم يغافلوهم في توجيه ضربة قويّة إليهم واستخدام فنّ الهجوم والانسحاب المتتابع وكما يقول العرب "الحرب كرّ
➔

ومنها: تقليل عدد المنافقين وفسادهم بالقتل(١)،

➔

وفرّ". الصورة الثانية: أن يرى المقاتل نفسه وحيداً في ساحة القتال، فينسحب للالتحاق بإخوانه المقاتلين وليهجم معهم من جديد على الأعداء.

وعلى كلّ حال، فلا ينبغي تفسير هذا التحريم بشكل جاف يتنافى وأساليب الحروب وخدعها، والتي هي أساس كثير من الانتصارات وتختتم الآية محل البحث بالقول: إن جزاء من يفرّ من ساحة الحرب مضافاً إلى استحقاقه لغضب الله، فإنّ مصيره إلى النار: ومأواه جهنم وبئس المصير.

والفعل باء مشتق من البواء ومعناه الرجوع واتّخاذ المنزل، جذره في الأصل يعني تصفية محل ما وتسطيحه، وحيث أن الإنسان إذا نزل في محلّ عدله وسطحه، فقد جاءت هذه الكلمة هنا بهذا المعنى. وفي الآية إشارة إلى أن غضب الله مستمرّ ودائم عليهم، فكأنّهم قد اتّخذوا منزلاً عند غضب الله وكلمة "المأوى" في الأصل معناها الملجأ وما نقرؤه في الآية، محل البحث ومأواه جهنّم فهو إشارة إلى أن الفارّين يطلبون ملجأ ومأوى من فرارهم لينقذوا أنفسهم من الهلكة، إلا أن ما يحصل هو خلاف ما يطلبون، إذ ستكون جهنّم مأواهم، وليس ذلك في العالم الآخر فحسب، بل هو في هذا العالم إذ سيحترقون في جهنّم الذلّة والانكسار والضياع، ولذا فقد جاء في عيون الأخبار عن الإمام علي بن موسى الرضاعليه السلام في جواب أحد أصحابه حين سأله عن فلسفة تحريم الفرار من الجهاد فقال: «وحرّم الله الفرار من الزحف لما فيه من الوهن في الدين، والاستخفاف بالرسل والأئمة العادلةعليهم السلام، وترك نصرتهم على الأعداء، والعقوبة على إنكار ما دعوا إليه من الإقرار بالربوبيّة وإظهار العدل وترك الجور وإماتة الفساد، لما في ذلك من جرءة العدو على المسلمين، وما يكون من السبي والقتل وإبطال دين الله عزّ وجلّ وغيره من الفساد».

ومن يعرف من غزوة خيبر إمام الحقّ، كما يعرف إمام الباطل، فراجع.

(١) لا شكّ أنّ من المصالح المترتّبة على غزوات النبيصلى الله عليه وآله وحروبه تقليل عدد أعداء الإسلام بالقتل، حيث أنّ المنافقين كانوا يبذلون أنواع الدسائس والمكائد في سبيل

➔

➔

ضرب الإسلام من أوّل يوم نشأته، فهم أسوأ من صنف الكافرين المتجاهرين بالكفر والشرك، وقد قال الله تبارك وتعالى في شأنهم: ﴿**بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيماً* الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً**﴾ (سورة النساء:١٣٨–١٣٩)، فبدأت الآية الكريمة بلفظ بشّر، ولايخفى أنّ استخدام عبارة بشّر في الآية إنّما جاء من باب الاستهزاء بالأفكار الخاوية الواهية التي يحملها المنافقون، وقد أشارت الآية إلى أنّ المنافقين يتّخذون الكفار أصدقاءً وأحباءً لهم بدلاً من المؤمنين، فقال سبحانه وتعالى: الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ. ثم يأتي التساؤل في الآية عن هدف هؤلاء المنافقين من صحبة الكافرين، وهل أنهم يريدون حقّاً أن يكتسبوا الشرف والفخر عبر هذه الصحبة؟ تقول الآية: أيبتغون عندهم العزة بينما العزة والشرف كلّها لله، فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ؛ لأنها تنبع من العلم والقدرة، وأنّ الكفار لا يمتلكون من القوة والعلم شيئاً، ولذلك فإن علمهم لا شئ أيضاً، لا يستطيعون إنجاز شيء لكي يصبحوا مصدراً للعزّة والشرف. فهذه الآية – في الحقيقة – تحذير للمسلمين بأن لا يلتمسوا الفخر والعزّة في شؤونهم الاقتصاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة عن طريق إنشاء علاقات الود والصداقة مع أعداء الإسلام، بل إنّ عليهم أن يعتمدوا في ذلك على الذات الإلهية الطاهرة التي هي مصدر للعزّة والشرف كلّه، وأعداء الإسلام لا عزّة لديهم لكي يهبوها لأحد، وحتى لو امتلكوها لما أمكن الركون إليهم والاعتماد عليهم، لأنهم متى ما اقتضت مصالحهم الشخصيّة تخلوا عن أقرب حلفائهم وركضوا وراء مصالحهم، وكأنّهم لم يكونوا ليعرفوا هؤلاء الحلفاء مسبقاً، والتاريخ المعاصر خير دليل على هذا السلوك النفعي الانتهازي. وقال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾ (سورة النساء:١٤١). فهؤلاء

➔

➔

المنافقون قد حاولوا مراراً القضاء على الإسلام بشتّى الوسائل في عدة مواقف: منها انسلالهم في جيش المسلمين. يوم معركة أحد وكانوا ثلث الجيش تقريباً. عقدهم الحلف مع اليهود واستنهاضهم على المسلمين. بناء مسجد ضرار. وإشاعتهم لحديث الإفك، وغيرها من الأحداث والوقائع التي وصل الأمر معها إلى تهديد القرآن الكريم لهم لكي يتوقّفوا عن الإفساد وتقليب الأمور على النبيﷺ، فقال تعالى: ﴿**لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا، مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً**﴾ (سورة الأحزاب: ٦٠-٦١). فحيث أنّ المنافقين كانوا يرجفون برسول اللهﷺ في المدينة وإذا خرج النبيﷺ في بعض غزواته يقولون قتل وأسر فيغتم المسلمون لذلك ويشكون إلى رسول اللهﷺ، فأنزل الله في ذلك: لئن لم ينته المنافقون - إلى قوله - ثم لا يجاورونك إلا قليلاً، فبذلك هددت مختلقي الشايعات بشدّة، فأقسم لئن لم يكف المنافقون والذين في قلوبهم مرض عن الافساد والذين يشيعون الأخبار الكاذبة في المدينة لالقاء الاضطراب بين المسلمين لنحرضنك عليهم ثم يجاورونك في المدينة بسبب نفيهم عنها إلا زماناً قليلاً وهو ما بين صدور الأمر وفعليّة اجرائه، فكان الذين في قلوبهم مرض بدّلوا وغيّروا موقفهم لئلا يعرفهم الناس، فكانوا يخرجون مع المسلمين في الغزوات. ففي غزوة تبوك وما جرى فيها تعتبر من الشواهد العظيمة على مؤامرة المنافقين وأساليبهم التي من خلالها حاولوا استغلال الدين فقد أوحى الله تعالى إلى نبيّه الكريمﷺ أن يسير إلى تبوك بنفسه، ويستنفر الناس للخروج معه، وأعلمه أنّه لا يحتاج فيها إلى حرب، ولا قتال عدوّ، وأنّ الأمور سوف تنقاد إليه بغير سيف، بل أراد امتحان أصحابه بالخروج معه، واختبارهم ليتميّزوا بذلك فاستنفرهم النبيﷺ إلى بلاد الروم.. فأبطأ أكثرهم عن طاعته، رغبة في الدنيا، وحرصاً على المعيشة وإصلاحها، وخوفاً من شدّة القيظ، وبُعد المسافة، ولقاء العدوّ ولمّا أراد النبيﷺ الخروج استخلف الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في أهله وولده، فقالﷺ: «يا علي إنّ المدينة لا تصلح إلا بي أو بك»، وقد

➔

ومنها: تحقّق كون العبرة بالخاتمة دون التظاهر بالطاعات في غالب

➔

أرادﷺ: الاحتياط خوفاً من هجوم الأعداء غفلةً على المدينة، ولا أحد يستطيع ردّ العدوّ إلا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام. ولمّا علم أهل النفاق باستخلاف الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام على المدينة حسدوه لذلك، وساءهم الأمر.. فأخذوا يبثّون الدعايات الكاذبة والقول بأنّ النبيﷺ لم يستخلف الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام إكراماً وإجلالاً له.. وإنّما خلّفه استثقالاً له. فلمّا بلغ الأمر الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام عمل على الفور على فضح أكاذيبهم، فلحق بالنبيﷺ وقال له: «يا رسول الله إنّ المنافقين يزعمون أنّك إنّما خلفتني استثقالاً ومقتاً»، فقال النبيﷺ: «ارجع يا أخي إلى مكانك، فإنّ المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، فأنت خليفتي، أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي؟» وتضمّن هذا النص انقلاباً تامّاً لمؤامرة المنافقين، وتثبيت الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بالنصّ عليه بالإمامة، ودلّ على فضلٍ لم يشركه فيه أحدًا سواه . فمؤامرة المنافقين وخداعهم مهما طال، لكن في النهاية لا بدّ من أن تنكشف ألاعيبهم ومؤامراتهم لن تدوم طويلاً، وقد يستطيع المنافقون أن يتمتّعوا لمدّة قصيرة بمصونيّة الإسلام والإيمان، وبصداقة الكفّار سرّاً، لكن هذه الحالة مثل شعلة ضعيفة معرّضة لألوان العواصف، سرعان ما تنطفئ، ويظهر الوجه الحقيقيّ للمنافقين، ويظلّون حائرين، مثل إنسان يتخبّط في ظلام دامس. فالحرب مع المنافق الذي هدفه ليس إلاّ إبادة الإسلام والمسلمين نعمة عظيمة؛ لأن المنافق هو الذي يظهر الإسلام، ويتمتّع بكلّ حقوق المسلمين وحماية القانون الإسلامي بالرغم من أنه يسعي لهدم الإسلام في الباطن، ولا يؤمنون حقيقة بالإسلام، فمحاربة هذا النوع من العدوّ تعدّ نعمة عند العقلاء، إذ بقلهم يتقلل منهم، وبذلك تقل مكائدهم، وهذه أحد مصالح الحروب النبيﷺ مع المنافقين، فلاحظ.

العمر[(١)]،

(١) وتوضيح المقام أنّ لكل إنسان خاتمة، إمّا أن تكون خاتمته حسنة، أوتكون سيّئة. وإنّ لحسن الخاتمة في الإسلام أهميّة بالغة بحيث عبّر عنه تبارك وتعالى بالفوز العظيم كما قال تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**﴾ (سورة الأحزاب:٧١)، ويستفاد من الآية الكريمة أنّ حسن الخاتمة عبارة عن أن يوفق العبد لطاعة الله والإنقياد إليه. وقد يتوجّه الإنسان من فهم الطاعة مجرّد القيام بالواجبات العباديّة والابتعاد عن النواهي، وهذا وإن كان يشكل العمود الأساسي للطاعة التي تنعكس على أعمال الإنسان، وإنّ المسلمين متفاوتون بإيمانهم وتضحياتهم ومنازلهم، إلا أنّ الملاك هو النيل إلى رضاء الله عزّ وجلّ وحسن الخاتمة. فمعنى الآية أنّ من يطع الله ورسوله ونال رضى الله يحسن عاقبته وعبر عنه تعالى بقوله: ﴿**فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**﴾. ومن هنا إذا أردنا أن نعرف المنافق من المؤمن في أصحاب النبيﷺ لا بدّ أن ندرس حياتهم دراسة علمية مطابقة للقرآن والسنّة النبويّة العطرة لنعرف المؤمن منهم عن المنافق. ولا شكّ أنّ الآيات والروايات قد بينّت الملاك لمعرفة المؤمن الذي هدفه رضاء الربّ، فالصحابة المخلصين الذين سمّاهم الله بالشاكرين، هم المؤمنون حقّاً، وينطبق عليهم الآيات والروايات التي تدلّ على حسن خاتمتهم. وأمّا المنافقين من الصحابة وهم الذين لقّبهم الله بالمنقلبين على الأعقاب، وهم الذين ارتدّوا بعد رسول اللهﷺ على أعقابهم فهؤلاء وإن كان عددهم أكثر وهم في حقيقة من صحابة النبيﷺ الذين شاهدوا النبيﷺ وسمعوا حديثه وفي بداية الأمر نالوا إلى توفيق الحضور عند مواقفه، إلاّ أنّ كثيراً منهم لم يحسن خاتمة أمره، حيث انقلبوا على أعقابهم فأصبحوا من المنافقين.

فمن فإحدى مصالح غزوات النبيﷺ المعرفة بحال الصحابة الذين أطاعوا الله ورسولهﷺ حقّاً، وكان بعضهم في مدّة قليلة قد فرّوا عن ساحة القتال أو أبرزوا النفاق المستور في ضمائرهم الخبيثة، أو ما شابه ذلك. وبعض الآخر لم يمهلهم الشهادة أن يعملوا الصالحات من العبادات، ولكن حصلوا على حسن العاقبة واستشهدوا في سبيل الله ←

ومنها: قيام الحجّة لله سبحانه على العصاة له بمحاربتهم إمام زمانهم[(١)].

وعند المنصف جهة من هذه الجهات كافية في تحقّق المصلحة بذلك[(٢)]،

وفازوا فوزاً عظيماً، وبعض الآخر منهم نالوا إلى توفيق الخدمة للإسلام ورسوله صلى الله عليه وآله مدّة طويلة، فهم أيضاً ممن شملهم الآية الكريمة بالفوز وحسن العاقبة والمهم أنّ من مصالح تلك الغزوات معرفة حال الصحابة، فلاحظ.

(١) لا شكّ أنّ كلّ نبي أو إمام لابدّ أن يتمّ الحجّة على الناس قبل وقوع أي حادث، كما أنّ الله تبارك وتعالى قد أتمّ حجّته على جميع الخلائق، فقال تعالى: ﴿**قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ (سورة الأنعام:١٤٩). فإنّ الله سبحانه يقيم حجّته على عباده بالإمام، وإنّ الإمام يقيم الحجّة الإلهيّة على الناس، ويفتح لهم المجال لمعرفة حجّة الله، فعلى الناس أن يعرفوا إمام زمانهم؛ لإنّ الله تبارك وتعالى قد جعل حجته متوقّفة على معرفة إمامهم، وجعل لمعرفة الإمام طرقاً واضحة، فكان من الواجب على الناس أن يسلكوا الطرق التي رسمها الله لجميع أهل الإيمان لمعرفة إمام زمانهم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ (سورة النساء:١٦٥). فإنّ الإمام حجّة إلهيّة وبمعرفته تتمّ الحجّة الإلهيّة. فإحدى المصالح المترتبة على حرب الإمام مع البغاة والعصاة كشف حقيقة الحجّة الإلهيّة، لأنّ الإمام يتمّ الحجّة الإلهيّة على الناس وبذلك يعرفه اهل الإيمان، فلاحظ.

(٢) لا شكّ أنّ المصالح المترتّبة على الجهاد والشهادة في سبيل الله كثيرة، وعلى رأس تلك المصالح الدخول إلى الجنّة كما تقدّمت الإشارة إليها، فقد قال تعالى في فضل الجهاد: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (سورة الصف:١٠-١١). وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الجهاد عماد الدين،

وقد تقدّم نقل ما دلّ على قتال عليعليه السلام على التأويل[1]، فبان بحمدلله فساد

➔

ومنهاج السعداء» (ميزان الحكمة ج١: ص٤٤٤). وأيضاً عن الإمام أمير المؤمنينعليه السلام: «للإيمان أربعة أركان: الصبر واليقين والعدل والجهاد» (بحار الأنوار ج٩٧ ص٤٩). وأيضاً عن الإمام أمير المؤمنينعليه السلام: «إن الجهاد أشرف الأعمال بعد الإسلام، وهو قوام الدين» (وسائل الشيعة ج١٥: ص٩٤). وفي حديث «إن الجهاد أشرف الأعمال بعد الإسلام، وهو قوام الدين، والأجر فيه عظيم مع العزة والمنعة» (وسائل الشيعة ج١٥: ص٩٤). وقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «حملة القرآن عرفاء أهل الجنة، والمجاهدون في سبيل الله قوادهم، والرسل سادة أهل الجنّة» (دعائم الإسلام ج١ ص٣٤٣). وفي رواية: «إن الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين، وكل اتيه منيته كما كتب الله له، فطوبى للمجاهدين في سبيله، والمقتولين في طاعته» (بحار الأنوار ج٣٢: ص٤٠٣). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في الباب، والشهادة ثمرة الجهاد وقد قال الإمام أبو عبد الله الحسينعليه السلام: «إني لا أرى الموت إلا السعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً» (اللهوف في قتلى الطفوف للسيد ابن طاوس: ص٤٨). وإلى غير ذلك من النصوص الواردة في المقاد وهي تدلّ على المصالح المترتّبة على الجهاد والشهادة في سبيل الله، فلاحظ.

(١) لقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن أبي سعيد قال: كنّا مع رسول اللهصلى الله عليه وآله فانقطعت نعله فتخلف علي يخصفها فمشى قليلاً، ثم قال: «إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»، فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر، قال أبو بكر: أنا هو، قالصلى الله عليه وآله: «لا»، قال عمر: أنا هو، قالصلى الله عليه وآله: «لا ولكن خاصف النعل» يعنى علياً فاتيناه فبشرناه فلم يرفع به رأسه، كأنّه قد كان سمعه من رسول اللهصلى الله عليه وآله. ثم قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ورواه جماعة من كبار علماء أهل السنّة والجماعة كما تقدم.

ما زعموه من عدم وجود مصلحة في القتال(١).

وسابعها: إنّ ما زعمه من خبر سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين(٢)،

---

(١) قد تبيّن ممّا تقدم بطلان ما زعمه ابن تيميّة وأتباعه في الدفاع عمّن خذل مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي أبي طالبعليه السلام في حروبه ولم يدافع عن إمام زمانه بدعوى عدم ترتب مصلحة على حروب الإمام أميرالمؤمنين علي أبي طالبعليه السلام ، وأيضاً تبيّن بطلان ما زعمه من عدم ترتّب مصلحة على حروب الإمام أميرالمؤمنين علي أبي طالبعليه السلام، وذكرنا ما به الكفاية من البحث، وقلنا بأنّ جميع المصالح المترتّبة على الجهاد مع رسول اللهصلى الله عليه وآله مترتّبة على الجهاد مع مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي أبي طالبعليه السلام، فلاحظ.

(٢) لقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن سفيان عن أبي موسى قال: .... سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول اللهصلى الله عليه وآله على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرّة وعليه أخرى ويقول: إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، قال: قال لي علي بن عبد الله: إنما ثبت لنا سماع الحسن من أبى بكرة بهذا الحديث (صحيح البخاري ج٣: ص١٦٩ كتاب الصلح، باب قول النبيصلى الله عليه وآله ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين). وروى ابن عبد البر عن رسول اللهصلى الله عليه وآله أنّه قال: إن الله سيصلح بالإمام الحسنعليه السلام بين فئتين عظيمتين من المسلمين (انظر الإستيعاب لابن عبد البر ج١: ص٣٨٦). هذه الروايات وأمثالها بحسب نظر أهل السنّة مدح للإمام الحسنعليه السلام حيث فيها أنّ الإمامعليه السلام كان سبب الإصلاح بين الطائفتين، إلاّ أنّه يناقض قول رسول اللهصلى الله عليه وآله: «ويح عمّار تقتله الفئة الباغية» (صحيح البخاري ج٣: ص٢٠٧ كتاب الجهاد والسير، باب مسح الغبار عن الناس في السبيل). لا يخفى أنّ هذا الخبر معارض عند أهل السنّة بأخبار كثيرة منها: بما أخرجه البخاري في صحيحه بسنده ابن عباس قال: كان عمّار ينقل لبنتين لبنتين، فمرّ به النبيصلى الله عليه وآله ومسح عن رأسه الغبار وقال: «ويح عمّار تقتله الفئة الباغية، عمّار يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار» (صحيح البخاري ج٣: ص٢٠٧ كتاب

←

وإن ثبت في الصحيحين وغيرهما من كتبهم المعتبرة المعتمدة لكنّه بهتان بيّن من حيث مناقضته لعدّة سنن صحيحة معروفة مشهورة[1]،

➔

الجهاد والسير، باب مسح الغبار عن الناس في السبيل). فمعاوية كان من الفئة الباغية التي قتل عمّار بن ياسر، فكيف يمكن أن يجعلهم النبيﷺ من الفئة المسلمة التي يجب التصالح بينها؟!!

(١) فإنّ الروايات والنصوص المعارضة لخبر سيصلح الله... كثيرة منها ما تدلّ على أنّ حروب الإمام أمير المؤمنين علي ابن ابي طالبعليه السلام كانت على تأويل القرآن كما أنّ حروب رسول اللهﷺ كانت على التنزيل، فقد روى أحمد بن حنبل بسنده عن أبي سعيد قال: قال رسول اللهﷺ: «إنّ منكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله» قال: فقام أبو بكر وعمر، فقال: «لا ولكن خاصف النعل» وعلي يخصف نعله (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٣٣). فلا شكّ أنّ معاوية حارب الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام وكان باغياً على إمام زمانه، وقد حاربه الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام على التأويل،كذلك الإمام الحسنعليه السلام فلم يكن لمعاوية شرائط الصلح في الإسلام، إذ من الواضح أنّ مفاد الآيات الدالّة على الصلح إنّما هو فيما إذا كانت الحرب واقعة بين الطوائف المؤمنة، وأمّا إذا كانت إحدى الطائفتين باغية فقد أمر الله تعالى بقتالهم كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ (سورة الحجرات:٩-١٠). فالصلح بين المتنازعين مشروطة بإيمان الطرفين لئلا تسيل دماء المؤمنين! وأمّا إذا بغت إحداهما على الأخرى ولم تستسلم للأوامر الإلهية فقد أمر تبارك وتعالى بقوله: ﴿**فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ**﴾. ومن بديهي أنّه لو كانت الفئة الباغية مسلمة لكان من

➔

➔

الواجب على الطرف المقابل الصلح معها والنهي عن مقاتلتها، ولكن الآية تأمر بقتالهم كما أمرالله تعالى المسلمين في آيات عديدة بقتال الكفار والمشركين، فأمر بقتال أهل البغي. وعليه فمن خرج على إمام زمانه فهو في القرآن في حكم الكفّار والمشركين، وسيّتضح ذلك للقارئ الكريم في محلّه إن شاء الله تعالى. فمعاوية وأصحابه الذين قاتلوا الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام لا تشملهم آية الصلح بين المؤمنين، بل تشملهم الآيات التي نزلت في حقّ من حارب رسول الله صلى الله عليه وآله من الكفّار والمشركين؛ كما أنّ مدلول الحديث النبوي الصريح في أنّ حروب الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام كانت على تأويل القرآن، وأنّ حروب رسول الله صلى الله عليه وآله كانت على التنزيل، وعليه فمن حارب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان كمن حارب رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ الحديث صريح أنّ الملاك فيهما واحد؛ لأنّ حربهما على أساس القرآن فرسول الله صلى الله عليه وآله كان يحارب على التنزيل والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان يحارب على التاويل. إذن أنّ معاوية وأضرابه كانوا من البغاة وفي زمرة من حارب الله ورسوله صلى الله عليه وآله. وحتّى حربه مع الإمام الحسن عليه السلام كان كذلك حيث أنّ الناس بايعوا الإمام الحسن عليه السلام بعد شهادة أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالإمامة فكان الإمام الحسن عليه السلام إمام على معاوية وعلى جميع المسلمين، ولكن معاوية جمع أهل الشام وسار بهم نحو العراق للحرب مع الإمام الحسن عليه السلام مثل ما حارب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فالملاك أيضاً واحد. ولكن أهل الكوفة غدروا بالإمام الحسن عليه السلام كما غدروا بأبيه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ولم يكن للإمام الحسن عليه السلام في مثل هذه الحالة سوى الدفاع. يقول الشيخ المفيد: وسار معاوية نحو العراق ليغلب عليه، فلمّا بلغ جسر منبج تحرّك الإمام الحسن عليه السلام وبعث حجر بن عديّ فأمر العمّال بالمسير، واستنفر الناس للجهاد فتثاقلوا عنه، ثمّ خفّ معه أخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه عليهما السلام، وبعضهم مُحَكِّمة يؤثرون قتال معاوية بلا حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكّاك، وبعضهم أصحاب عصبيّة

➔

➔

اتّبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين (الإرشاد ج٢: ص١٠). ثمّ أنّه كانت استراتيجية الخوارج هي الانخراط في صفوف جيش الإمام الحسن عليه السلام ومقاتلة جيش معاوية، فإن تمّت الغلبة لأهل الكوفة على أهل الشام انقلبوا على الإمام الحسن عليه السلام وخلعوا طاعته وأطاحوا بحكومته بعد أن تكون الحرب قد انهكت قوى جيشه؛ لأنّهم غير قادرين على مواجهة الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية كلٍّ على حِدة، وكانت أعدادهم كبيرة في الكوفة، فقد اجتمع منهم إثنا عشر ألفاً في النهروان، انسحب منهم ثمانية آلاف قبل بدء القتال بعد أن رأوا الرجحان في كفّة جيش أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أخذوا يتحينون الفرص لأخذ ثأر أخوانهم في النهروان. واطلع الإمام الحسن عليه السلام على نواياهم، وعرف أهدافهم، واتّخذ الحيطة والحذر في التعامل معهم، وأشار الإمام عليه السلام إلى ذلك في بعض خطبه: «أمّا والله ما ثنانا عن قتال أهل الشام ذلّة ولا قلّة، ولكن كنّا نقاتلهم بالسلامة والصبر، فشيب السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم تتوجّهون معنا ودينكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم الآن ودنياكم أمام دينكم، وكنّا لكم وكنتم لنا، وقد صرتم اليوم علينا. ثم أصبحتم تصدّون قتيلين: قتيلاً بصفّين تبكون عليهم وقتيلاً بالنهروان تطلبون بثأرهم، فأمّا الباكي فخاذل، وأمّا الطالب فثائر». واستمال معاوية الفئة الطامعة في جيش الامام الحسن عليه السلام بالأموال الطائلة والاغراءات فانحازت إليه، فالتحق قسم منهم بجيش الشام، وبقي قسم آخر في جيش الإمام عليه السلام يُخذّل الآخرين ويثير الشكوك وينشر الدعايات التي تستهدف تضعيف معنويات المقاتلين أو محاولة القبض على الإمام عليه السلام وأهل بيته وتسليمهم إلى معاوية أو محاولة اغتياله. فقد تعرّض الإمام عليه السلام إلى محاولة اغتيال فاشلة، وكانوا يتربّصون به لقتله، فقد روى علماء الإسلام أنّ معاوية دسّ إلى عمر بن حريث والأشعث وإلى حجر بن الحارث وشبث بن ربعي دسيساً أفرد كلّ واحد منهم بعين من عيونه، أنّك إن قتلت الحسن بن عليّ فلك مائتا ألف درهم وجند من أجناد الشام وبنت من بناتي. فبلغ الحسن عليه السلام فاستلأم ولبس درعاً وكفّرها، وكان يحترّز ولا يتقدّم للصلاة بهم إلاّ كذلك. فرماه أحدهم في الصلاة بسهم فلم يثبت فيه؛ لما عليه من اللأمة، فلمّا

➔

وبعضها مروي عن سبعة وعشرين صحابياً وهو خبر: «ويح عمّار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار[1]».

➔

صار في مظلم ساباط ضربه أحدهم بخنجر مسموم، فعمل فيه الخنجر... فقال الحسن عليه السلام: «ويلكم والله إنّ معاوية لا يفي لأحد منكم بما ضمنه في قتلي، وإنّي أظنّ أنّي إن وصفت يدي في يده فأسالمه لم يتركني أدين لدين جدّي صلى الله عليه وآله وأنّي أقدر ان أعبد الله عزّ وجلّ وحدي، ولكنّي كأنّي أنظر إلى أبنائكم واقفين على أبواب أبنائهم، يستسقونهم ويستطعمونهم، لما جعله الله لهم فلا يسقون ولا يطعمون، فبعداً وسحقاً لما كسبته أيديهم، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون». ولا شك عند أهل السنة أنّ الإمام الحسن عليه السلام كان إمام المسلمين وكان من الواجب على معاوية أن يبايعه بالخلافة، ولكن معاوية رجل يحبّ السلطة ويعشق كرسيّ الحكم ولا يبالي ما فعل في سبيل البقاء في السلطة، ولا تهمّه مصلحة المسلمين، وإنّه من مسلمي الفتح الذين أسلموا رهبة من سطوة السيف، وهو ابن رأس الكفر أبي سفيان الذي جيّش الجيوش على رسول الله صلى الله عليه وآله المرّة تلو الأخرى إلى أن أُرغم أنفه بالدخول في الإسلام كارهاً كما لا يشكّ أحد في شرعيّة الموقف الذي اتّخذه الإمام الحسن عليه السلام في الصلح مع معاوية، سواء عند الشيعة الذين يروونه إماماً مفترض الطاعة، ومعصوماً مسدّداً من الله تعالى لا يزل ولا يخطأ، أو عند السنّة الذين رووا فيه عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ معاوية كان من الفئة الباغية الذين قتلوا عمّار بن ياسر، فمعاوية من البغاة الذين جعلهم القرآن الكريم في حكم الكفّار المشركين والمنافقين الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان الإمام الحسن عليه السلام عمل بالقرآن في محاربة معاوية كما أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام عمل به، فلاحظ.

(١) لقد أخرج هذا الحديث كبار علماء أهل السنّة في صحاحهم ومسانيدهم، بأسانيد عديدة، ولكن حيث يكفي لأهل السنّة ما رواه البخاري في صحيحه، فنذكر هنا حديث البخاري، فإنّه روى هذا الحديث في صحيحه بسنده أبي سعيد قال: كنا نحمل لبنة لبنة

➔

هذه عبارة الصحيحين وغيرهما[(١)].

➔

وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبيﷺ فينفض التراب عنه ويقول: «ويح عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» (صحيح البخاري ج١: ص١٥ كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المسجد ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين). وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن إسماعيل بن إبراهيم عن أبي عون عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت: قال رسول اللهﷺ: «تقتل عمّاراً الفئة الباغية» (صحيح مسلم ج٨: ص١٨٦ كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء). وفي لفظ أنس: «ابن سمية تقتله الفئة الباغية قاتله وسالبه في النار» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٦: ص٢٨٩). وفي لفظ عائشة: «اللهم بارك في عمّار، ويحك ابن سميّة تقتلك الفئة الباغية، وآخر زادك من الدنيا ضياح من لبن» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص١٦١). وفي لفظ: «ويح ابن سمية، ليسوا بالذين يقتلونك إنما تقتلك الفئة الباغية» (البداية والنهاية لابن كثير ج٣: ص٢٦٣)، وإلى غير ذلك من الروايات، فلاحظ.

(١) لاحظ صحيح البخاري ج١: ص ١٥ كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المسجد ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين، وصحيح مسلم ج ٨: ص١٨٦ كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنّى أن يكون مكان الميت من البلاء، ومسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٩١، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٧: ص٢٤٣، والمصنف لابن أبي شيبة ج٧: ص٥٢٣، وصحيح ابن حبان ج١٥: ص٥٥٤، والمعجم الكبير للطبراني ج١٢: ص٣٠١ وغيرها من المصادر. قال العلامة

➔

فانظر يا طالب الحق هل الفئة التي دعت عمّار إلى النار نقلته من حيث عدم متابعته لها توصف بإيمان[1]؟

➔

الأمينيقَدَّسَ سِرُّهُ: لقد جاء هذا الحديث من طرق كثيرة تربو حدّ التواتر منها طريق عثمان بن عفان، عمرو بن العاص، معاوية بن أبي سفيان، حذيفة بن اليمان، عبد الله بن عمر، خزيمة بن ثابت، كعب بن مالك، جابر بن عبد الله، ابن عباس، أنس بن مالك، أبي هريرة الدوسي، عبد الله بن مسعود، أبي سعد، أبي أمامة، أبي رافع، أبي قتادة، زيد بن أبي أوفى، عمار بن ياسر، عبد الله بن أبي هذيل، أبي اليسر، زياد بن الفرد، جابر بن سمرة، عبد الله ابن عمرو بن العاص، أمّ سلمة، عائشة. راجع طبقات ابن سعدج٣: ص١٨٠، سيرة ابن هشام ج٢: ص١١٤، مستدرك الحاكم ج٣: ص٣٨٦-٣٨٧ وص٣٩١، الاستيعاب ج٢: ص٤٣٦ وقال: تواترت الآثار عن النبيصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إنه قال: «تقتل عمارا الفئة الباغية». وهذا من إخباره بالغيب وأعلام نبوّته وهو من أصحّ الأحاديث. طرح التثريب ج١: ص٨٨ وصحّحه، تيسير الوصول ج٣: ص٢٧٨، شرح ابن أبي الحديد ج٢: ص٢٧٤، تاريخ ابن كثير ج٧: ص٢٦٧-٢٧٠، مجمع الزوائد ج٩: ص٢٩٦ وصحّحه من عدة طرق، تهذيب التهذيب ج٧: ص٤٠٩ وذكر تواتره، الإصابة ج٢: ص٥١٢ وقال: تواترت الأحاديث، كنز العمّال ج٦: ص١٨٤ وج٧: ص٧٣-٧٤، ونصّ على تواتره السيوطي في الخصائص كما مرّ، وأبو يعلى، وأبو عوانة، والإسماعيلي، والضياء المقدسي، وأبو نعيم، وتمام، وابن قانع، وابن مندة، والبارودي، والبرقاني، وابن عساكر، والخطيب..... (انظر الغدير للعلامة الأميني ج٩: ص٢١).

(١) فإنّ حديث «ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار...» (انظر صحيح البخاري ج١: ص١٥ كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المسجد ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة

➔

➔

وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين، وصحيح مسلم ج٨: ص١٨٦ كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء)، فيه صراحة على تكفير معاوية؛ لأنّ الحديث دال على أنّ معاوية من الفئة الباغية التي جاءت حكمها في القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (سورة الحجرات:٩)، فإنّ الله تبارك وتعالى أمر بالإصلاح بين الفئتين المؤمنتين، ثم أمر بقتال الفئة الباغية كما أمرالله تعالى بقتال الكفار والمشركين، ومعناه أنّ الفئة الباغية بحكم الكفار والمنافقين والمشركين فالأمر بمقاتلتهم دليل على أنّ الفئة الباغية لا يجوز الإصلاح معها، وعليه فلا يصحّ نسبة حديث إنّ ابني هذا (الإمام الحسن عليه السلام) سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين... إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّ مرجعه إلى مخالفة الرسول صلى الله عليه وآله مع القرآن الكريم - والعياذ بالله - إذ معناه أنّ معاوية مع كونه من الفئة الباغية، الذي أمرالله تعالى بقتاله، قد جعله النبي صلى الله عليه وآله من الفئة المؤمنة التي يجب الإصلاح بينهم. فكيف تصحّ نسبة هذا الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مع أنّه لا ينطق إلا عن الوحي، والقرآن الكريم صريح في أنّ الفئة الباغية يجب قتالهم. وفي الحديث النبوي «ويح عمّار تقتله الفئة الباغية...» ومن الواضح أنّ معاوية كان من الفئة التي قتلت عمّار بن ياسر فهو داخل فيمن يجب قتالهم بنصّ القرآن الكريم، وعليه كيف يجوز لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يقول: سيصلح الله.... مع أنّ الله تبارك وتعالى يقول يجب قتالهم؟

ثم إنّه قام إجماع المسلمين على أنّ الفئة الباغية محكومة بالكفر كما تقدّم من القرآن الكريم. إذن لا تصحّ نسبة هذا الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله كما لا تصحّ نسبة مصالحة الفئة المؤمنة مع الفئة الباغية إلى رسول الله صلى الله عليه وآله. ثم نأتي إلى بيت القصيد وهو قوله صلى الله عليه وآله يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، فهذا الحديث حُجَّةٌ في دخول معاوية النار؛ وهذا

➔

وقد قال سبحانه في حقّ فرعون وهامان وقارون: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً

➔

دليل آخر على أنّ الباغي كالكافر مصيره النار، ولذلك جعله النبيّ صلى الله عليه وآله فيمن سمّاهم بالفئة الباغية، فكيف يصحّ أن يجعلهم من الفئة المؤمنة؟!!

ولذلك قال ابن حجر العسقلاني وهو من أفضل شُرّاح صحيح البخاري: فإن قيل كان قتله بصفّين وهو مع عليّ، والذين قتلوه مع معاوية، وكان معه جماعة من الصحابة، فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار؟ فالجواب أنّهم كانوا ظانّين أنّهم يدعون إلى الجنّة وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتّباع ظنونهم (انظر فتح الباري ج١: ص٥٤٢).

أقول: أولاً إنّ ما زعمه ابن حجر من أنّ اجتهاد الصحابة في المقام... إنّمايكون من قبيل الإجتهاد في قبال النصّ القطعيّ من الكتاب والسنّة النبويّة الشريفة؛ لأنّ الحديث النبويّ صريح في حكم أهل البغي، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله لقاتل عمار بن ياسر: أهل البغي، وحكم الباغي واضح في القرآن الكريم فلا يبقى مجال لعمل الصحابة بالظنّ. فإنّ حكم القرآن قطعي صريح في وجوب قتال الفئة الباغية؛ لأنّ الأمر ظاهر في الوجوب. فيجب قتال الفئة الباغية بنصّ القرآن الكريم، كما يجب قتال الكفّار والمشركين. وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وآله معاوية في حكم من يجب قتالهم. وعليه فالحكم مقطوع بالكتاب والسنّة.

وثانياً: مع وجود الدليل القطعيّ من الكتاب والسنّة النبويّة الشريفة كيف يجوز للصحابة العمل بالظنّ؟ وقد قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**﴾ (سورة يونس:٣٦)، فبحكم الكتاب والسنّة النبويّة الشريفة أنّ معاوية قاتل عمّار بن ياسر محكوم بالبغي، وقد جعله النبي صلى الله عليه وآله من الفئة الباغية والفئة الباغية بنصّ القرآن الكريم يجب قتالهم ومن يجب قتالهم فهم في حكم الكفّار والمشركين. وعليه فمن قاتل مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام محكوم بالبغي، وحكم الباغي واضح من القرآن الكريم، فلاحظ.

﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾[(١)]، فعلم من الخبر المتظافر المعلوم الصدور لتظافره، عدم إيمان أهل الشام من حيث دعوتهم إلى النار[(٢)]،

(١) سورة القصص:٤١، ولايخفى أنّ المقصود بالأئمة في الآية الكريمة أي: مقدمة الجماعة، ومعناه كما أنّ رؤساء أهل الضلال كانوا في هذه الدنيا أئمة الضلال ومقدّميهم، فهم في الآخرة أيضاً أئمة النار، لأن ذلك العالم تجسّم كبير لهذا العالم. وفي الحقيقة نتيجة أعمالهم أنفسهم، فهم اتّخذوا طريقاً يؤدّي بهم إلى الضلال وينتهي بهم إلى أن يكونوا أئمة الضالّين، فهذه حالهم في يوم القيامة.

(٢) فإنّ حديث «ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» (انظر صحيح البخاري ج١: ص١٥ كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المسجد ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين، وصحيح مسلم ج٨: ص١٨٦ كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيتمنّى أن يكون مكان الميت من البلاء) فيه صراحة على كفر أهل الشام حيث فيه أنّ عمّار كان يدعو الشام إلى الجنة وهم يدعونه إلى النار، ولا شكّ أنّ الكفّار والمشركين يدعون إلى النار كما قال تعالى: **﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾** (سورة البقرة:٢٢١)، فالحديث المعتبر عند جميع أهل السنّة واضحة الدلالة على أنّ معاوية كالمشركين كان يدعو الناس إلى النار؛ لأنّ رسول الله ﷺ قال: عمار كان من الفئة التي تدعو إلى الجنّة، وفي قباله معاوية وأصحابة وهم من الفئة التي يدعون إلى النار كما قال تعالى: **﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾** (سورة القصص:٤١).

فالخبر بهتان[١].

ولو تضمنه الصحيحان وهو ممّا تضمناه من بين البهتان على سيّد بني عدنان صلى الله عليه وآله[٢]،

---

(١) فإنّ حديث إنّ ابني هذا (الإمام الحسن عليه السلام) سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين... بهتان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّه مخالف للقرآن الكريم والسنّة النبويّة القطعيّة، وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بأن نأخذ ما وافق كتاب الله وما خالف كتاب الله نضربه عرض الجدار، وقال صلى الله عليه وآله: «ما خالف كتاب الله ردّ إلى كتاب الله» وقال صلى الله عليه وآله: «ما خالف كتاب الله زخرف لم نقله» وإلى غير ذلك من الروايات (انظر تفسير أبي الفتوح الرازي ج ٣: ص ٣٩٢). وعليه فإنّ نسبة حديث إنّ ابني هذا سيد (الإمام الحسن عليه السلام) سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين... إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بهتان عظيم إليه، فلاحظ.

(٢) ولا يخفى أنّ حديث إنّ ابني هذا (الإمام الحسن عليه السلام) سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين... الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحهما فهو افتراء على رسول الله صلى الله عليه وآله عند جميع أهل السنّة والجماعة؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال في حديث: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» (انظر صحيح البخاري ج١: ص١٥ كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المسجد ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين، وصحيح مسلم ج٨: ص١٨٦ كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيتمنّى أن يكون مكان الميت من البلاء) حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ من قتل عمّار فهو من الفئة الباغية، وانطباق هذا الكلام على معاوية وأصحابه أمر واضح عند جميع الناس. فمعاوية من الفئة الباغية بحكم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وحكم الباغي في الإسلام واضح وقطعيّ في الكتاب والسنّة النبويّة الشريفة ؛ إذ أمر الله تعالى في كتابه العزيز بقتالهم كما أمر بقتال الكفار والمشركين ←

وبه دون غيره يعلم بعد أهل الشام عن آية ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ...**﴾[(١)]

➔

فكيف تصحّ نسبة حديث "إنّ ابني هذا (الإمام الحسن عليه السلام) سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين" إلى رسول رب العالمين صلى الله عليه وآله؟!!! والخبير يعلم أنّ التكذيب والإفتراء على رسول الله صلى الله عليه وآله كالتكذيب والافتراء على الله سبحانه؛ لأنّ ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله هو الحقّ الذي جاء من عند الله عزّ وجلّ، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ**﴾ (سورة العنكبوت:٦٨). مضافاً إلى ما ورد من الروايات المتواترة الدالة على دخول من كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله النار، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله: «من كذب علي متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار» (صحيح البخاري ج١: ص٢٦ كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وآله).

(١) وهو قوله تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ (سورة الحجرات:٩)

فإنّ الله تبارك وتعالى أمر بالإصلاح بين الفئتين المؤمنتين، ثم أمر بقتال الفئة الباغية كما أمر بقتال الكفّار والمشركين، ومعناه أنّ الفئة الباغية بحكم الكفار والمنافقين والمشركين، فالأمر بمقاتلتهم دليل على عدم جواز الإصلاح بينها وبين الفئة المؤمنة، وعليه فلا يجوز لرسول الله صلى الله عليه وآله أنّ يقول: إنّ ابني هذا (الإمام الحسن عليه السلام) سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين؛ لأنّ معناه المخالفة مع القرآن الكريم؛ إذ معناه أنّ معاوية مع كونه من الفئة الباغية الذين أمر الله تعالى بقتالهم قد جعله صلى الله عليه وآله من الفئة المؤمنة التي يجب الإصلاح بينهم. فكيف تصحّ نسبة هذا الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مع أنّه لا ينطق إلا عن الوحي؟ وقد أمرنا رسول صلى الله عليه وآله بأنّ ما خالف كتاب الله فدعوه، وقال صلى الله عليه وآله: «ما خالف كتاب الله ردّ إلى كتاب الله» وقال صلى الله عليه وآله: «ما خالف كتاب الله

➔

بل هم خارجون عنها بما دّل على موت الجاهليّـة لمـن خـرج عـن الـسلطان بشبر فإنّ من يموت ميتة جاهلية لـيس بمـؤمن قطعـاً[١]. ومـن المعلـوم كـون المحاربي عليعليه السلام خارجين على إمامهم بعد خروجهم عن طاعته[٢]،

➔

زخرف لم نقله» (انظر تفسير أبي الفتـوح الـرازي ج ٣: ص ٣٩٢)، وإلـى غيـر ذلـك مـن الروايات. وعليه فإنّ نسبة الحديث إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله بهتـان إليـه فكيـف يجـوز لرسـول اللهصلى الله عليه وآله أن يقول: سيصلح الله .... ؟!!!.

(١) فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس عن النبيصلى الله عليه وآله أنّه قال: من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنّه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية (صحيح البخاري ج٨: ص٨٧ كتاب الفتن، باب قول النبيصلى الله عليه وآله: سترون من بعـدي أمـوراً تـستنكرونها...)، ورواه مسلم في صحيحه ج٦: ص٢٢ كتاب الإمـارة، بـاب حكـم مـن فـرق أمـر المـسلمين وهـو مجتمع وغيره. والحديث صريح في أنّ معاوية خرج على إمـام زمانـه فتكـون ميتتـه ميتـة جاهليّة.

(٢) لا يخفى أنّ من المسائل التي اتّفق عليها جميع المسلمين حكم البغي على من خرج علـى إمام زمانه الذي تجب طاعته، وإنّ نكث بيعته ومخالفته وقتاله كفر؛ لإنّ بذلك يخرج عـن الإسلام؛ حيث أنّ طاعة الإمام كانت واجبة على جميع المسلمين كوجوب طاعـة رسـول اللهصلى الله عليه وآله عليهم بالأدلّة القطعيّة مـن الكتـاب والـسنّة النبويّـة، فـالخروج علـى إمـام زمـانهم خروج عن طاعته، وأيضاً خـروج عـن طاعـة الله ورسـولهصلى الله عليه وآله وقـد اسـتدلّوا ذلـك بقولـه تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ (سـورة النساء:٥٩). هذه الآية الكريمة تـأمر بالطاعـة المطلقـة لأولـي الأمـر، كمـا تـأمر بطاعـة الله ورسولهصلى الله عليه وآله على نحو الإطلاق. فالآية تأمر المـؤمنين بـأن يطيعـوا الله، ثـم تـأمر بوجـوب طاعة النبيصلى الله عليه وآله ثم تأمر بإطاعة أولي الأمـر، وذلـك بمقتـضى العطـف. ومـن البـديهي أنّ مقتضى إطلاق الآية والعطف وجوب إطاعة أولي الأمر بنحـو مطلـق كإطاعـة النبـيصلى الله عليه وآله

➔

➔

لا شكّ أنّ جيع الطاعات للأبد وتنتهي إلى طاعة الله سبحانه، وكلّ قيادة وولاية يجب أن تنبع من ولاية الله سبحانه وذاته المقدسة تعالى وتكون حسب أمره ومشيئته، لأنّه الحاكم والمالك التكويني لهذا العالم، وكلّ حاكميّة ومالكيّة يجب أن تكون بإذنه وبأمره، فقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾، تدلّ على وجوب إطاعة أولي الأمر مطلقاً كطاعة الله ورسوله وذلك بالعطف، وبهذا الطريق يكون أمره مثل أمر الرسول صلى الله عليه وآله واجب الإطاعة من دون قيد أو شرط، وينبغي أن يوضع في مستوى إطاعته، بل وإلى درجة أنها تعطف على إطاعة الرسول صلى الله عليه وآله من دون تكرار أطيعوا. والجدير بالانتباه إلى أن بعض العلماء المعروفين من أهل السنّة، ومنهم المفسّر المعروف الفخر الرازي اعترف بهذه الحقيقة في مطلع حديثه عند تفسير هذه الآية حيث قال: إن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله بإطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بدّ أن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوما عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهي عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد، فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت إن كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ (تفسير الفخر الرازي ج١٠: ص١٤٤). فأولى الأمر هو الإمام الذي تجب طاعته، ومن هنا يثبت حكم من خرج على الإمام الذي تجب طاعته من القرآن الكريم فهو كالخروج على رسول الله صلى الله عليه وآله كما هو واضح من الآية الكريمة. وكذلك السنّة النبويّة الثابتة عند أهل السنّة والجماعة فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: من كره من أميره شيئا فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية (صحيح البخاري ج٨: ص٨٧ كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وآله سترون من بعدي أموراً تستنكرونها...)، ورواه مسلم في صحيحه ج٦: ص٢٢ كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع وغيره. والحديث صريح في أنّ معاوية خرج على إمام زمانه

➔

وبقوله صلى الله عليه وآله: «من سبّ علياً فقد سبّني[(١)]».

➔

فتكون ميتته ميتة جاهلية. وملخّص الكلام أنّ الخروج على مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي وجبت طاعته بالنصّ الصريح من القرآن والسنّة النبويّة الشريفة الصحيحة عند جميع أهل السنّة والجماعة محكوم بالبغي، وإنّ معاوية وأصحاب الجمل والنهروان كلّهم من البغاة بحسب النصوص المعتبرة عند أهل السنّة، كما أنّ النصوص القطعية تدلّ على أنّ من خرج على إمام زمانه الذي وجبت طاعته حكمه الكفر والضلال؛ لأنّ من مات على تلك الحالة مات ميتة جاهليّة وكفر؛ لمخالفته له ونكثه لبيعته وقتاله معه فهو أيضاً موجب لخروجه عن الإسلام بحسب الأدلّة القطعية عند أهل السنّة كما تقدّم، فلاحظ.

(١) لقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن أبي إسحاق التميمي يقول سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول: حججت وأنا غلام فمررت بالمدينة وإذا الناس عنق واحد فأتبعتهم، فدخلوا على أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي، فأجابها رجل جلف جاف: لبيك يا أمتاه، قالت: يسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله في ناديكم، قال: وأنى ذلك؟ قالت: فعلي بن أبي طالب، قال: إنّا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا، قالت: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من سبّ علياً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله تعالى» (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢١)، ورواه المحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٢٣، وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٥٣٢، والجامع الصغير للسيوطي ج٢: ص٦٠٨ ح٨٧٣٦، والزرندي الحنفي في نظم درر السمطين: ص١٠٥ وغيرهم، وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي إسحاق عن عبد الله الجدلي، قال: دخلت على أم سلمة فقالت لي: أيسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم؟ قلت: معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من سبّ عليّاً فقد سبني» (مسند أحمد بن حنبل ج٦: ص٣٢٣)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٣٠، والنسائي في سننه الكبرى ج٥: ص١٣٣، وفي كتابه خصائص أميرالمؤمنين عليه السلام: ص٩٩،

➔

➔
وغيرهم. وأخرج القندوزي الحنفي في ينابيع المودة بسنده عن سعيد بن جبير قال: كنت أقود ابن عباس بعد ما ذهب بصره من المسجد، فمرّ بقوم يسبّون علياً فقال: ردني إليهم، فرددته إليهم، فقال: أيّكم سباب الله؟ فقالوا: سبحان الله من سبّ الله فقد كفر! فقال: أيّكم سبّ عليّاً؟ قالوا: أمّا هذا فقد كان. فقال ابن عباس: أشهد بالله، والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله في يقول: «من سب عليّاً فقد سبني، ومن سبّني فقد سبّ الله، ومن سبّ الله ورسوله يوشك أن يأخذه»، ثم انصرف (يعني) ابن عباس (ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج٢: ص٢٧٨). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام.

ثم إنّ معاوية قد سنّ سبّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأصدر الأمر لرعيته أنّ يسبّوا الإمام عليه السلام (انظر صحيح مسلم ج٧: ص١٢٠ كتاب الفضائل، باب من فضائل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام). وكان الأمويّون يتّبعون معاوية على ذلك حتى ارتقى بهم الأمر في طاعة معاوية إلى أن جعلوا لعن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام سنّة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير، قال ابن حجر في كتابه فتح الباري: ثم اشتدّ الخطب فتنقصّوه واتّخذوا لعنه على المنابر سنّة، ووافقتهم الخوارج على بغضه (انظر فتح الباري ج٧: ص٥٧). وقال محمد بن عقيل في كتابه النصائح الكافية: أنّه كان في أيام بني أميّة أكثر من سبعين ألف منبر يلعن عليها علي بن أبي طالب بما سنّه لهم معاوية في ذلك (النصائح الكافية: ص١٠٤)، ورواه العلامة الأميني في كتابه الغدير عن الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار (انظر الغدير ج٢: ص١٠٣). ولاشكّ في حرمة سبّ بعنوانه المؤمن، فضلاً عن سبّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لوجود روايات تدلّ على ذلك مثل قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكْل لحمه معصية، وحرمة ماله كحرمة دمه» (مسند الطيالسي: ص٣٤) وكانت هذه السنّة السيّئة مستمرّة حتى زمن عمر بن عبد العزيز (انظر المستدرك على الصحيحين ج١: ص٥٤، ومسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٣٦٩، وتاريخ الخلفاء: ص٢٣٢ وغيرهم). فكيف يمكن قبول خبر "سيصلح الله..." بعد هذه الروايات التي اتّفق أهل السنّة على اعتبارها،
➔

➔

ودلالتها فإنّ سبّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام وسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله سبّ الله، ومن سبّ الله فهو خالد في نار جهنّم، فكيف يمكن أن يقول رسول الله صلى الله عليه وآله سيصلح الله بين ابني من يكون حاله خالداً في نار جهنم؟ أضف إلى ذلك ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قبل يوم صفين من قوله صلى الله عليه وآله لعمّار: «يا عمّار تقتلك الفئة الباغية». نعم إنّ معاوية استمرّ على بغيه، وقد قابل سعداً في حديث رواه مسلم في صحيحه فقال معاويه له: لِمَ لا تسب أبا تراب؟!!! (أي الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام) قال سعد: تركت سبّه منذ أن تذكرت الأشياء الثلاثة التي قالها رسول الله صلى الله عليه وآله في حق الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام... (انظر صحيح مسلم ج٧: ص١٢٠ كتاب الفضائل، باب من فضائل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام). وإلى غير ذلك من الروايات الدالّة على أنّ معاوية كان يسبّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. هذا والأدلّة دالّة على أنّ معاوية كان يعلم أنّ الحقّ مع الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وممّا يدّل على ذلك أنّه لمّا استشهد الإمام الحسن بن علي عليه السلام حجّ معاوية، فدخل المدينة وأراد أن يلعن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، فقيل له: إن ها هنا سعد بن أبي وقاص ولا نراه يرضى بهذا فابعث إليه، فقال له معاوية: يا أبا إسحاق أنت الذي لم تعرف حقّنا وجلس فلم يكن معنا ولا علينا، قال: فقال سعد: إني رأيت الدنيا قد أظلمت فقلت لبعيري: إخ، فأنختها حتى انكشفت، قال فقال معاوية: لقد قرأت ما بين اللوحين ما قرأت في كتاب الله عزّ وجلّ إخ، قال فقال سعد: أما إذا أبيت فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام: «أنت مع الحقّ والحقّ معك حيث ما دار»، قال فقال معاوية: لتأتيني على هذا ببيّنة، قال فقال سعد: هذه أمّ سلمة تشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقاموا جميعاً فدخلوا على أمّ سلمة، فقالوا: يا أمّ المؤمنين إن الأكاذيب قد كثرت على رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا سعد يذكر عن النبي صلى الله عليه وآله ما لم نسمعه أنه قال يعني لعلي: «أنت مع الحق والحق معك حيث ما دار». فقالت أم سلمة: في بيتي هذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي، قال: فقال معاوية لسعد: يا أبا إسحاق ما كنت ألوم الآن إذ سمعت هذا مع من رسول

➔

وهو خبر ثابت الصحّة لديهم[(١)]

➔

الله صلى الله عليه وآله وجلست عن علي لو سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله لكنت خادماً لعلي حتى أموت (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٢٠: ص٣٦٠). فمعاوية مع اعترافه بأنّ الحق مع الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان يستمرّ على هذه السنّة السيّئة. وعليه كيف تصحّ نسبة حديث "سيصلح الله..." إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟!!

(١) لا يخفى على الخبير أنّ الروايات الدالّة على أنّ معاوية كان يسبّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالغة عن حدّ التواتر، وقد رواها علماء الإسلام بأسناد صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وفيها أنّ من سبّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله ومن سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله فقد سبّ الله عزّ وجلّ، مضافاً إلى أنّ مصادر التاريخيّة والسير مليئة بذكر ذلك، ولا ينكره إلا مكابر، ونحن هنا نقتصر على ذكر روايتين من صحيح مسلم، وسنذكر إن شاء الله في المستقبل بحثاً وافياً في هذا المجال ونجمع أهم مصادر هذا البحث إن شاء الله تعالى.

الرواية الأولى ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسب أباتراب؟ فقال: أما ماذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله صلى الله عليه وآله فلن أسبّه... (صحيح مسلم ج٧: ص١٢٠ كتاب الفضائل، باب من فضائل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام).

الرواية الثانية ما رواه مسلم أيضاً في صحيحه بسنده عن سهل بن سعد، قال: استعمل على المدينة رجل من آل مروان، قال: فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليّاً، قال: فأبى سهل، فقال له: أما إذا أبيت فقل: لعن الله أبا تراب... (صحيح مسلم ج٧: ص١٢٤ كتاب الفضائل، باب فضائل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام). فإنّ النصّ واضح الدلالة على أنّ معاوية كان يأمر بسبّ ولعن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إذ لأنّه أمر معاوية سعداً بذلك، وإنّ موقف معاوية من الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أوضح من الشمس فلا يمكن ستره عن ذي عينين، وقد روى ابن أبي عاصم

🡐

➔
بسنده عن عبد الرحمن بن البيلماني أنّه قال: كنّا عند معاوية فقام رجل فسبّ علي بن أبي طالب عليه السلام وسبّ وسبّ، فقام سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، فقال: يا معاوية ألا أرى يسبّ علي بين يديك ولا تغيّر، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «هو مني بمنزلة هارون من موسى» (انظر كتاب السنّة لابن أبي عاصم: ص٥٨٨). وروى الحاكم النيسابوري بسنده عن زياد بن علاقة عن عمّه، أنّ المغيرة بن شعبة سبّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقام إليه زيد بن أرقم، فقال: يا مغيرة ألم تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن سبّ الأموات؟! فلم تسبّ علياً وقد مات؟!! قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي (انظر المستدرك على الصحيحين ج١: ص٣٨٥). وقد ذكره الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء عن عبد الله بن ظالم، قال: خطب المغيرة فنال من علي. فخرج سعيد بن زيد فقال: ألا تعجب من هذا يسبّ عليّاً، أشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله، أنا كنا على حراء أو أحد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أثبت حراء أو أحد. وقال الذهبي: وله طرق. وقال شعيب الأرناؤوط محقّق الكتاب: اسناده حسن...، والحديث صحيح بطرقه (انظر سير أعلام النبلاء ج١: ص١٠٥). وهذا يدلّ على استمرار وتكرار سبّ المغيرة للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وإصراره عليه بل وعلى كونه سنّة عندهم، وأكّدت الرواية على أن ذلك كان يحصل على المنابر وفي المساجد وفي الطرقات حتّى طرق هذا الأمر مسامع أمّ المؤمنين أم سلمة وهي في بيتها كما روى ذلك الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢١ وغيره، فأنكرته عليهم وجعلته سبّاً لرسول الله صلى الله عليه وآله، فعن أبي عبد الله الجدلي قال: دخلت على أم سلمة، فقالت لي: أيسبّ رسول الله فيكم؟! فقلت: معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها، فقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من سبّ عليّاً سبّني». وصحّحه ووافقه الذهبي وأخرجه أحمد وقال الهيثمي في مجمعه، ثم قال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. غير أبي عبد الله الجدلي وهو ثقة (انظر مجمع الزوائد ج٩: ص١٢٩). وفي لفظ آخر روى الحاكم بسنده عن ابن عباس أنّه يسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله في ناديكم؟! قال: وأنى ذلك؟! قالت: فعلي بن أبي طالب عليه السلام؟!
➔

←

قال: إنا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا، قالت: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من سب علياً فقد سبّني ومن سبني فقد سبّ الله تعالى» (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢١). وروى الحاكم أيضاً بسنده عن ابن أبي مليكة: قال جاء رجل من أهل الشام فسبّ علياً عند ابن عباس فحصبه ابن عباس، فقال: يا عدوّ الله آذيت رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله حيّاً لآذيته. وصحّحه الحاكم ووافقه الذهبي (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢١). عموماً فهذا الأمر ثابت عن بني أميّة ومعاوية ولا يمكن لأحد إنكاره وقد اعترف به العلماء المحقّقون من أهل السنّة والجماعة، فاعترفوا بثبوته ونقلوه مرسليه ارسال المسلّمات حيث قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ثم كان من أمر علي ما كان فنجمت طائفة أخرى حاربوه ثم اشتدّ الخطب فتنقصوه واتخذوا لعنه على المنابر سنّة ووافقهم الخوارج على بغضه وزادوا حتى كفروه مضموماً ذلك منهم إلى عثمان، فصار الناس في حقّ علي ثلاثة أهل السنّة والمبتدعة من الخوارج والمحاربين له من بني أمية وأتباعهم (انظر فتح الباري ج٧: ص٥٧). بل ثبت لعن معاوية الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبالعكس في قنوتهم وصلاتهم، فقد روى الطبري في تاريخه ما نصّه: فكان يقنت إذا صلّى الغداة ويقول: اللهم العن معاوية وعمراً وحبيباً وعبد الرحمن بن مخلد والضحّاك بن قيس والوليد وأبا الأعور وبلغ ذلك معاوية، فكان إذا قنت يلعن علياً وابن عباس والحسن والحسين والأشتر (انظر تاريخ الطبري ج٤: ص٥٢)، ورواه ابن الأثير في تاريخه ج٣: ص٣٣٣، وابن خلدون في تاريخه ج٢: ص١٧٨ وغيرهم. وروى النسائي في فضائل الصحابة بسنده عن عبد الله بن ظالم، قال: دخلت على سعيد بن زيد، فقلت: ألا تعجب من هذا الظالم أقام خطباء يشتمون علياً؟! فقال: أوقد فعلوها؟!! أشهد على التسعة أنهم في الجنّة ولو شهدت على العاشر لصدقت (انظر فضائل الصحابة للنسائي: ص٢٧)، ورواه في سننه الكبرى ج٥: ص٥٥، وابن الأثير في أسد الغابة ج١: ص١٣٤، وابن حجر في الإصابة ج١: ص٢٨٧، والمقريزي في امتاع الأسماع ج٥: ص٥٨

→

➔

وغيرهم. وقد روى ابن سعد في الطبقات، قال: كان الولاة من بني أميّة قبل عمر بن عبد العزيز يشتمون عليّاًﷺ، فلمّا ولي عمر أمسك عن ذلك فقال: كثير عزّة الخزاعي (انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج٥: ص٣٩٣)، ورواه البلاذري في أنساب الأشراف ج٨: ص١٦١ وغيرهم وقال العيني في عمدة القاري في شرح البخاري: عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق لطيم الشيطان ليست له صحبة وعرف بالأشدق لأنه صعد المنبر فبالغ في شتم عليعليه السلام فأصابه لقوة ولاه يزيد بن معاوية المدينة عام ٦٠هـ وكان أحبّ الناس إلى أهل الشام وكانوا يسمعون له ويطيعونه (عمدة القاري ج١٠: ص١٧٨)، ورواه المباركفوري في شرحه لمشكاة المصابيح ج٩: ص٤٩٣ وغيره. وقد ذكر المؤرخون كالطبري والبلاذري وابن الأثير: أنّه ولّى معاوية المغيرة بن شعبة الكوفة، فأقام تسع سنين، وهو من أحسن شيء سيرة وأشدّه حباً للعافية، غير أنه لا يدع ذم علي والوقوع فيه والعيب لقتلة عثمان واللعن لهم، وكان معاوية حين أراد توليته قال له: يا مغيرة... وقد أردت أن أوصيك بأشياء كثيرة، فتركت ذلك اعتماداً على بصرك بما يرضيني ويشدّد سلطاني ويصلح رعيّتي، غير أنّي لا أدع إيصاءك بخصلة: لا تكفكفنّ عن شتم عليّ وذمّه، والترحّم على عثمان والاستغفار له، والعيب لأصحاب عليّ والإقصاء لهم وترك الاستماع منهم، والإطراء لشيعة عثمان والإدناء لهم والاستماع منهم. وحذف الطبري مدلساً لعن المغيرة لعليعليه السلام حيث ذكر أن المغيرة لا يدع ذم علي والوقوع فيه والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له والتزكية لأصحابه ثم قال مقتطعاً الرواية التي تصرح بلعن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام كما يرويها البلاذري فقال مباشرة: فكان حجر بن عدي إذا سمع ذلك قال: بل إياكم ذم الله ولعن....، ولكن البلاذري رواها كما هي دون تلاعب وتحريف وتدليس وتستر على الظالمين الفاسقين، فقال: فسمع حجر المغيرة يقول يوماً: لعن الله فلاناً – يعني عليّاً – فإنّه خالف ما في كتابك، وترك سنّة نبيّك، وفرّق الكلمة وهراق الدماء، وقتل ظالماً، اللّهم العن أشياعه وأتباعه ومحبّيه والمهتدين بهديه والآخذين بأمره، فوثب حجر رضي الله عنه، فنعر بالمغيرة نعرة سمعت من كلّ جانب من

➔

نقله السيوطي في جامعه الصغير عن أحمد في مسنده(١) وعن الحاكم في مستدركه وحكم بصحّته(٢) وسابّ الرسولﷺ ليس بمؤمن قطعاً(٣)،

➔

المسجد، وسمعت خارجاً منه فقال له: إنّك لا تدري بمن تولع، وقد هرمت أيّها الإنسان وحرمت الناس أرزاقهم، وأخّرت عنهم عطاءهم، وإنّما أراد بهذا القول تحريض الناس عليه. وقام مع حجر أكثر من ثلاثين (ثلثيهم) كلّهم يقول مثل قوله ويسمعون المغيرة، فيقولون له: أولعت بذمّ الصالحين وتقريض المجرمين، فنزل المغيرة فدخل داره (انظر تاريخ الطبري ج٤: ص١٨٨، وأنساب الأشراف للبلاذري ج٥: ص٢٣، وتاريخ ابن الأثير ج٣: ص٤٧٢). من شرط الصلح للامام الحسنعليه السلام على معاوية أن لا يشتم علياًعليه السلام كما رواه ابن الأثير في الكامل ما هذا نص عبارته: وكان الذي طلب الحسن من معاوية أن يعطيه ما في بيت مال الكوفة ومبلغه خمسة آلاف وخراج دار ابجرد من فارس (وأن لا يشتم عليّاً) فلم يجبه إلى الكفّ عن شتم علي فطلب أن لا يشتم وهو يسمع، فأجابه إلى ذلك ثم لم يف له به أيضاً، وأما خراج دارابجرد فإن أهل البصرة منعوه منه وقالوا: هو فيئنا لا نعطيه أحداً وكان منعهم بأمر معاوية أيضاً (انظر الكامل في التاريخ ج٣: ص٤٥٠)، ورواه ابو الفداء في "المختصر في أخبار البشر" ج١: ص١٨٣. وإلى غير ذلك من الروايات فهي متواترة وسنذكرجميع ما ورد في هذا المجال في محلّه إن شاء الله تعالى.

(١) انظر الجامع الصغير للسيوطي ج٢: ص٢٠٨، ومسند أحمد بن حنبل ج٦: ص٣٢٣، وفيض القدير في شرح جامع الصغير للمناوي ج٦: ص١٩٠

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٢١

(٣) لقد أجمع علماء الإسلام قولاً واحداً على أن من سبّ الرسول الأعظمﷺ – نعوذ بالله – فقد كفر ووجب قتله، قال العلامة الحلي في كتابه المنتهى: سابّ النبيﷺ لأنه كافر بذلك مرتدّ فيجب قتله (المنتهى ج٢: ص٩٩). وقال الشهيد في اللمعة: سابّ النبيﷺ فإن ظاهر النصّ والفتوى وجوب قتله وإن تاب (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية

➔

➔
ج٩: ص١٩٦). وقال القاضي عياض: وهذا قول أصبغ، ومسألة سابّ النبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ أقوى، لا يتصوّر فيها الخلاف على الأصل لأنّه حقّ متعلّق للنبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ ولأمّته بسببه ولا تسقطه التوبة كسائر حقوق الآدميّين، والزنديق إذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث وإسحاق وأحمد لا تقبل توبته، وعند الشافعي تقبل، واختلف فيه عن أبي حنيفة وأبي يوسف.... (انظر امتاع الأسماع للمقريزي ج١٤: ص١٩٨). وقال أيضاً: أنّه قال ابن حزم: هذا صحيح يدين به من كفر من سبّ الرسولصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال: كلّ كفر شرك، وكلّ شرك كفر وهما اسمان شرعيان أوقعهما الله تعالى على معنى واحد، ونقلهما عن موضوعهما في اللغة إلى كلّ من أنكر شيئاً من دين الإسلام يكون بإنكاره معانداً للرسولصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ بعد بلوغ النذارة (انظر امتاع الأسماع للمقريزي ج١٤: ص٣٧٣). وقال النووي: أنّه ذكر ابن أبي موسى أن سابّ الرسولصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ يقتل ولو أسلم، اقتصر عليه في المستوعب. ونقل ابن المنذر الاتّفاق على أن من سبّ النبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ صريحاً وجب، وذكره ابن البنا في الخصال، قال الشيخ تقى الدين: وهو الصحيح من المذهب قتله، ونقل أبو بكر الفارسي أحد أئمة الشافعية في كتاب الاجماع: أن من سبّ النبيّصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ بما هو قذف صريح كفر باتّفاق العلماء، فلو تاب لم يسقط عنه القتل، لأن حد قذفه القتل وحدّ القذف لا يسقط بالتوبة، وخالفه القفال فقال: كفر بالسبّ فسقط القتل بالاسلام (انظر المجموع للنووي ج١٩: ص٤٢٧). وقال ابن عابدين: قوله: (وسبّ الرسولصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ) هكذا في غالب النسخ، ورأيته كذلك في الخزائن بخط الشارح، وفيه أن سابّ الرسولصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ كافر قطعاً (انظر حاشية رد المختار ج١: ص٦٠٤). وقال في مكان الآخر: وأمّا الحنابلة فكلامهم قريب من كلام المالكيّة. والمشهور عن أحمد عدم قبول توبته، وعنه رواية بقبولها، فمذهبه كمذهب مالك سواء. هذا تحرير المنقول في ذلك اهـ ملخصاً. فهذا أيضاً صريح في أن مذهب الحنفية القبول وأنه لا قول لهم بخلافه، وقد سبقه إلى نقل ذلك أيضاً شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الحنبلي في كتابه الصارم المسلول على شاتم الرسولصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ كما رأيته في نسخة منه قديمة عليها خط حيث قال: وكذلك ذكر جماعة آخرون من أصحابنا أي الحنابلة أنه:
🡐

فسابّ علي عليه السلام مثله[(١)]،

➔

يقتل سابّ الرسول صلى الله عليه وآله، ولا تقبل توبته، سواء كان مسلماً أو كافراً (انظر حاشية رد المختار ج٤: ص٤١٨). وإلى غير ذلك من أقوال علماء الإسلام. وأمّا الروايات الورادة في المقام فمنها ما رواه أبو داود في سننه بسنده عن الشعبي، عن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أن يهوديّة كانت تشتم النبي صلى الله عليه وآله وتقع فيه، فخنقها رجل حتى ماتت، فأبطل رسول الله صلى الله عليه وآله دمها (انظر سنن أبي داود ج٢: ص٣٣٠). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام وقد ثبت في الحديث عند أهل السنّة أنّ من سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله دمه هدر فقد. أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن عبد الله بن عباس قال: كانت أم ولد لرجل كان له منها ابنان مثل اللؤلؤتين وكانت تشتم النبي صلى الله عليه وآله فينهاها ولم تنتهي ويزجرها ولا تنزجر، فلمّا كان ذات ليلة ذكرت النبي صلى الله عليه وآله فما صبر أن قام إلى مغول فوضعها في بطنها ثم اتّكأ عليها حتى أنفذها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أشهد أن دمها هدر. هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه (انظر المستدرك على الصحيحين ج٤: ص ٣٥٤)، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح. ومعنى دمها هدر أنه باطل، قال ابن الأثير في النهاية: ومنه الحديث من اطّلع في دار قوم بغير إذن فقد هدرت عينه أي إن فقأوها ذهبت باطلة لا قصاص فيها ولا دية. يقال: هدر دمه يهدر هدراً: أي بطل. وأهدره السلطان (انظر النهاية في غريب الحديث ج٥: ص٢٥٠). فالحديث يدلّ على مشروعيّة قتل السابّ للنبي صلى الله عليه وآله عند جميع أهل السنّة وهذا معنى خروجه عن الإسلام إذ لا يجوز قتل المسلم، فلاحظ.

(١) وذلك لأنّ الروايات الواردة في المقام تدّل بالصراحة على أنّ من سبّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله ومن تلك الروايات ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي إسحاق عن عبد الله الجدلي قال: دخلت على أم سلمة فقالت لي: أيسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم؟ قلت: معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من سبّ عليّاً فقد سبّني» (مسند أحمد بن

➔

قد سبّه معاوية ومتابعوه[١]،

➔

حنبل ج٦: ص٣٢٣)، ورواه الحاكم النيسابوي في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢١، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٢٠، والنسائي في سننه الكبرى ج٥: ص١٣٣ وغيرهم.

وأخرج المحب الطبري بسنده عن ابن عباس أنّه مرّ بعدما حجب بصره بمجلس من مجالس قريش وهم يسبّون عليّاً فقال لقائده: ما سمعت هؤلاء يقولون؟ قال: سبّوا عليّاً، قال: فردّني إليهم، فردّه. قال: أيّكم السابّ الله؟ قالوا سبحان الله من سبّ الله فقد أشرك، قال: أيّكم الساب لرسول اللهﷺ؟ قالوا: سبحان الله من سبّ رسول اللهﷺ فقد كفر، قال: فأيّكم السابّ لعليّ؟ قالوا: أما هذا فقد كان، قال: فأنا أشهد بالله لسمعت رسول اللهﷺ يقول: «من سبّ عليّاً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله ومن سبّ الله عزّ وجلّ أكبه الله على منخره» (رياض النضرة ج٣: ص١٢٣). وإلى غير ذلك من الروايات وهي متواترة لدى الفريقين. وعليه فإنّ من كان له أدنى معرفة بمبادئ الفقاهة يعلم أن مقتضى التنزيل في الموضوع التوسّع في دائرة الأحكام المترتّبة على المنزل عليه بالنسبة إلى المنزل، إلا أن تقوم حجّة على تقييد إطلاق التنزيل، ولم يقم في المقام من كتاب ولا سنّة ولا إجماع مقيّد لهذا التنزيل، ولا شكّ أنّ من أحكام سابّ النبيﷺ وسابّ الله تعالى هو الارتداد والكفر كما لايخفى.

(١) فإنّ عداء معاوية وخصومته لمولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام لا تحتاج إلي بحث، إذ هي أوضح من الشمس في رابعة النهار. ويكفيه الحروب التي شنّها ظلماً ضد الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام. وأمّا ما يتعلّق بأنّه أوّل من سبّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فهذا ما نطقت به المصادر الروائيّة والتاريخيّة المعتبرة عند أهل السنّة، وها نحن ننقل لك بعضاً من تلك الجرائم وفضائحه التي سودت وجه التاريخ هي سبّ ولعن مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وكان يقنت به في صلواته، واتّخذه سنّة جارية في خطب الجمعة والأعياد، وبدّل سنّة رسول

➔

➔

اللهﷺ في خطبة العيدين المتأخّرة عن صلاتهما وقدّمها عليها، لإسماع الناس لعن الإمام الطاهر، وكان يأمر عمّاله بتلك الأحدوثة الموبقة، ويحث الناس عليها، ويوبخ المتوقّفين عنها ولايصيح إلي قول أي ناصح ووازع. فقد أخرج مسلم، والترمذي، وأحمد بن حنبل، وابن أبي شيبة، والنسائي عن طريق عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: أمر معاوية سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول اللهﷺ فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهن أحبّ إليّ من حمر النعم. فذكر حديث المنزلة، والراية، والمباهلة (انظر صحيح مسلم ج٧: ص١٢٠ كتاب الفضائل، باب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، والسنن الترمذي ج٥: ص٣٠١، ومسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٢٦، والمصنف لإبن أبي شيبة ج٧: ص٥٠٠، والسنن الكبرى للنسائي ج٥: ص١٠٧). وأخرجه الحاكم وزاد: فلا والله ما ذكره معاوية بحرف حتى خرج من المدينة (والمستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٠٨). وفي لفظ الطبري من طريق ابن أبي نجيح، قال: لمّا حجّ معاوية طاف بالبيت ومعه سعد، فلمّا فرغ انصرف معاوية إلى دار الندوة فأجلسه معه على سريره، ووقع معاوية في علي، وشرع في سبّه، فزحف سعد ثم قال: أجلستني معك على سريرك ثم شرعت في سبّ عليّ، والله لأن يكون لي خصلة واحدة من خصال كانت لعلي أحبّ إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس... إلى آخر الحديث؛ وفيه من قول سعد: وأيم الله لا دخلت لك داراً ما بقيت ونهض. قال المسعودي بعد رواية حديث الطبري: ووجدت في وجه آخر من الروايات وذلك في كتاب علي بن محمد بن سليمان النوفلي في الأخبار، عن ابن عائشة وغيره: أن سعداً لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم ضرط له معاوية وقال له: اقعد حتى تسمع جواب ما قلت، ما كنت عندي قط ألأم منك الآن، فهلا نصرته؟ ولم قعدت عن بيعته؟ فإني لو سمعت من النبيﷺ مثل الذي سمعت فيه لكنت خادماً لعلي ما عشت، فقال سعد: والله إني لأحقّ بموضعك منك. فقال معاوية: يأبى عليك بنو عذرة، وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة (مروج الذهب ج٣: ص١٤). وفي رواية ذكرها ابن كثير في تاريخه: دخل سعد بن أبي وقاص على

➔

➔

معاوية فقال له: ما لك لم تقاتل علياً، فقال: إني مرت بي ريح مظلمة فقلت: أخ، أخ، فأنخت راحلتي حتي انجلت عني، ثم عرفت الطريق فسرت، فقال معاوية: ليس في كتاب الله أخ أخ، ولكن قال الله تعالى: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا...**﴾ فوالله ما كنت مع الباغية على العادلة، ولا مع العادلة على الباغية، فقال سعد: ما كنت لأقاتل رجلاً قال له رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»، فقال معاوية: من سمع هذا معك؟ فقال: فلان وفلان وأمّ سلمة. فقال معاوية: أما إني لو سمعته منه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لما قاتلت علياً. وفي رواية من وجه آخر أن هذا الكلام كان بينهما وهما بالمدينة في حجّة حجّها معاوية، وأنّهما قاما إلى أمّ سلمة فسألاها فحدّثتهما بما حدث به سعد، فقال معاوية: لو سمعت هذا قبل هذا اليوم لكنت خادماً لعليّ حتى يموت أو أموت (البداية والنهاية لابن كثير ج٨: ص٨٣). وقال العلامة الأميني: لقد أفك معاوية في ادّعائه عدم إحاطة علمه بتلكم الأحاديث المطّردة الشائعة، فإنها لم تكن من الأسرار التي لا يطّلع عليها إلا البطانة والخاصّة، وإنما هتف صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بهنّ على رؤوس الأشهاد، أمّا حديث الراية فكان في واقعة خيبر وله موقعيّته الكبري لقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله»، فاستطالت أعناق كلّ فريق ليروا أي ماجد يعطاها، فلم تزل النفوس مشرئبة متطلّعة إلى من عناه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حتي جيء بأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ومنح الفتح من ساحة النبوة العظمى، فانطبق القول، وصدقت الأكرومة، وعلم الغزاة كلّهم أنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ما كان يريد غيره عَلَيْهِ السَّلَامُ. هب أن معاوية يوم واقعة خيبر كان عداده من المشركين، وموقفه مع من يحاد الله ورسوله لكن هلا بلغه ذلك بعد ما حداه الفرق إلى الاستسلام؟ والحديث مطّرد بين الغزاة وسائر المسلمين، وهم بين مشاهد له وعالم به. ومن جملة موارده يوم غدير خم الذي حضره معاوية وسمعه هو ومائة ألف أو يزيدون، لكنّه لم يعه بدليل أنه ما آمن به، فحارب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ بعده وعاداه، وأمر بلعنه محادّة منه لله ولرسوله، وعقيرة رسول الله المرفوعة بقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر

🡐

➔
من نصره، واخذل من خذله» بعد ترن في أذن الدنيا. ومن موارده يوم المؤاخاة كما أخرجه أحمد باسناده عن محدوج بن زيد الباهلي، قال: آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فبكي علي عليه السلام، فقال رسول الله ﷺ: «ما يبكيك؟» فقال: «لم تؤاخ بيني وبين أحد»، فقال: «إنما ادّخرتك لنفسي»، ثم قال: «أنت مني بمنزلة هارون من موسي». ومنها يوم كان رسول الله ﷺ في دار أمّ سلمة، إذ أقبل علي عليه السلام يريد الدخول على النبي ﷺ، فقال: «يا أمّ سلمة، هل تعرفين هذا؟» قالت: نعم، فقال: «هذا علي سيط لحمه بلحمي ودمه بدمي، وهو مني بمنزلة هارون من موسي إلا أنّه لا نبي بعدي» على أن حديث المنزلة قد جاء من طريق معاوية نفسه، رواه في حياة علي عليه السلام فيما أخرجه أحمد في مناقبه من طريق أبي حازم، كما في الرياض النضرة. وأما نبأ المباهلة فصحيح أن معاوية لم يدركه، لأن الكفر كان يمنعه عند ذلك عن سماعه غير أن القرآن الكريم قد أعرب عن ذلك النبأ العظيم إن لم يكن ابن حرب في معزل عن الكتاب والسنّة، على أن قصتها من القضايا العالميّة وليس من المستطاع لأي أحد أن يدعي الجهل بها. وهنا نماشي ابن صخر في عدم اطّلاعه على تلكم الفضائل إلى حد إخبار سعد اياه، لكنّه بماذا يعتذر وهو يقرأ قوله تعالي: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا...**﴾ الآية؟! وبماذا يعتذر بعد ما رواه قبل يوم صفين من قوله ﷺ لعمّار: «تقتلك الفئة الباغية». وبماذا يعتذر بعد علمه بتلكم الأحاديث بإخبار صحابي معدود عند القوم في العشرة المبشّرة، وبعد إقامة الشهود عليه؟! ومن هنا تعلم أنه أفك مرّة أخري بقوله: أما إني لو سمعت من رسول الله ﷺ ما سمعت في علي لكنت له خادماً ما عشت. لأنه عاش ولم يرتدع عن غيّه، وحارب أميرالمؤمنين عليه السلام حيّاً وميّتاً، ودأب على لعنه والأمر به حتى أجهز عليه عمله، وكبّت به بطنته. نعم، إنه استمر على بغيه، وقابل سعداً في حديثه بالضرطة، وهل هي هزء منه بمصدر تلكم الأنباء القدسيّة؟ أو بخضوع سعد لها، أو لمحض أن سعداً لم يوافقه على ظلمه؟ أنا لا أدري، غير أن كفر معاوية الدفين لا يأبى شيئاً من ذلك، وهلا منعه الخجل عن مثل هذا المجون وهو ملك؟ وبطبع الحال أن مجلسه يحوي
➔

➔

الأعاظم والأعيان:

من أين تخجل أوجهٌ أمويّة سكبت بلذّات الفجور حياءها

ولمّا استشهد الإمام الحسن بن علي عليه السلام حجّ معاوية، فدخل المدينة وأراد أن يلعن علياً على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، فقيل له: إن ها هنا سعد بن أبي وقاص ولا نراه يرضى بهذا، فابعث إليه وخذ رأيه، فأرسل اليه وذكر له ذلك، فقال: إن فعلت لأخرجنّ من المسجد ثم لا أعود إليه، فأمسك معاوية عن لعنه حتى مات سعد. فلمّا مات لعنه على المنبر، وكتب إلى عمّاله أن يلعنوه على المنابر، ففعلوا، فكتبت أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله إلى معاوية: إنّكم تلعنون الله ورسوله صلى الله عليه وآله على منابركم، وذلك أنّكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن أحبّه، وأنا أشهد أن الله أحبّه ورسوله. فلم يلتفت إلي كلامها. قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: إن علياً قد قطعك وأنا وصلتك، ولا يرضيني منك إلا أن تلعنه على المنبر، قال: أفعل. فصعد المنبر، ثم قال بعد أن حمد الله وأثني عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وآله: أيها الناس إن معاوية بن أبي سفيان قد أمرني أن ألعن علي بن أبي طالب، فالعنوه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين؛ ثم نزل. فقال له معاوية: إنك لم تبين من لعنت منهما، بيّنه، فقال: والله لا زدت حرفاً ولا نقصت حرفاً، والكلام إلي نيّة المتكلم. بعث معاوية إلي عبيد الله بن عمر لما قدم عليه بالشام فأتى، فقال له معاوية: يابن أخي إن لك اسم أبيك، فانظر بملأ عينيك، وتكلّم بكلّ فيك، فأنت المأمون المصدّق، فاصعد المنبر واشتم علياً، واشهد عليه أنه قتل عثمان. فقال: يا أمير المؤمنين أمّا شتمه فإنه علي بن أبي طالب، وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم، فما عسى أن أقول في حسبه؟ وأما بأسه فهو الشجاع المطرّق، وأمّا أيّامه فما قد عرفت، ولكني ملزمه دم عثمان. فقال عمرو بن العاص: إذا والله قد نكأت القرحة. روى ابن الأثير في أسد الغابة عن شهر بن حوشب أنه قال: أقام فلان. خطباء يشتمون علياً (رضي الله عنه وأرضاه) ويقعون فيه، حتى كان آخرهم رجل من الأنصار أو غيرهم يقال له: أنيس. فحمد الله وأثني عليه، ثم قال: إنّكم قد أكثرتم اليوم في سبّ هذا الرجل وشتمه، وإني أقسم بالله أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إني لأشفع

🡐

➔

يوم القيامة لأكثر ممّا على الارض من مدر وشجر، وأقسم بالله ما أحد أوصل لرحمه منه، أفترون شفاعته تصل إليكم وتعجز عن أهل بيته؟!». وذكره ابن حجر في الإصابة ج١: ص٧٧ بينما معاوية جالس في بعض مجالسه وعنده وجوه الناس، فيهم: الأحنف ابن قيس، إذ دخل رجل من أهل الشام، فقام خطيباً، وكان آخر كلامه أن لعن علياً، فقال الأحنف: يا أميرالمؤمنين إن هذا القائل لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين للعنهم، فاتّق الله يا اميرالمؤمنين ودع عنك علياً فلقد لقي ربّه، وأفرد في قبره وخلا بعمله، وكان والله المبرور سيفه، الطاهر ثوبه، العظيمة مصيبته. فقال له معاوية: يا أحنف لقد أغضيت العين على القذى، وقلت ما ترى، وأيم الله لتصعدن المنبر فتلعننه طوعاً أو كرهاً!! فقال له الأحنف: يا أمير المؤمنين إن تعفني فهو خير لك، وإن تجبرني على ذلك فوالله لا تجرى شفتاي به أبداً. فقال: قم فاصعد المنبر، قال الأحنف: أما والله لأنصفنك في القول والفعل. قال: وما أنت قائل إن أنصفتني؟ قال: أصعد المنبر، فأحمد الله وأثني عليه، وأصلي على نبيه محمدﷺ ثم أقول: أيها الناس إن أمير المؤمنين معاوية أمر أن ألعن علياً، وإن علياً ومعاوية اختلفا واقتتلا، فادعى كلّ واحد منهما أنه بغي عليه وعلى فئته، فإذا دعوت فأمنوا رحمكم الله، ثم أقول: أللهم العن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه، والعن الفئة الباغية. اللهم العنهم لعناً كثيراً، أمنوا رحمكم الله. يا معاوية لا أزيد على هذا ولا أنقص حرفاً ولو كان فيه ذهاب روحي. فقال معاوية: إذا نعفيك يا أبا بحر. في كتاب المختصر في أخبار البشر للعلامة إسماعيل بن علي بن محمود: كتب الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية واشترط عليه شروطاً، وقال: إن أجبت إليها فأنا سامع مطيع، فأجاب معاوية إليها، وكان الذي طلبه الحسن أن يعطيه ما في بيت مال الكوفة، وخراج دار ابجرد من فارس، وأن لا يشتم علياً عليه السلام، فلم يجب إلى الكف عن شتم علي عليه السلام، فطلب الإمام الحسن عليه السلام أن لا يشتم علي وهو يسمع، فأجابه إلى ذلك ثم لم يف به. جاء قيس بن عباد الشيباني إلي زياد، فقال له: إن امرءاً منّا من بني همام يقال له "صيفي بن فسيل"، من رؤوس أصحاب حجر، وهو أشدّ الناس عليك، فبعث إليه زياد فأتى فقال

➔

➔

له زياد: يا عدوّ الله ما تقول في أبي تراب؟ قال: ما أعرف أبا تراب. قال: ما أعرفك به، قال: ما أعرفه، قال: أما تعرف علي بن أبي طالب؟ قال: بلى، قال: فذاك أبو تراب. قال: كلا ذاك أبو الحسن والحسين عليهما السلام، وفيه: قال زياد: لتلعننّه أو لأضربنّ عنقك، قال: إذا تضربها والله قبل ذلك، فإن أبيت إلا أن تضربها رضيت بالله وشقيت أنت، قال: ادفعوا في رقبته، ثم قال: أوقروه حديداً وألقوه في السجن. ثم قتل مع حجر وأصحابه "سنة ٥١ للهجرة". خطب بسر بن أرطاة على منبر البصرة، فشتم علياً عليه السلام ثم قال: نشدت الله رجلاً علم إني صادق إلا صدّقني أو كاذب إلا كذّبني، فقال أبو بكرة: اللهم إنا لا نعلمك إلا كاذباً. قال: فأمر به فخنق. استعمل معاوية كثير بن شهاب على الري، وكان يكثر سبّ علي على منبر الري، وبقي عليها إلى أن ولي زياد الكوفة فأقره عليها. كان المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة، يقوم علي المنبر ويخطب وينال من علي عليه السلام ويلعنه ويلعن شيعته، وقد صحّ أن المغيرة لعنه على منبر الكوفة مرّات لا تحصى، وكان يقول: إن علياً لم ينكحه رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته حبّاً، ولكنه أراد أن يكافيء بذلك إحسان أبي طالب إليه. وصحّ عند الحاكم والذهبي أن المغيرة سبّ علياً فقام إليه زيد بن أرقم فقال: يا مغيرة ألم تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن سبّ الأموات؟ فلم تسبّ علياً وقد مات؟ قدمت الخطباء إلى المغيرة بن شعبة بالكوفة، فقام صعصعة بن صوحان فتكلّم، فقال المغيرة: أخرجوه فأقيموه على المصطبة فليلعن علياً. فقال: لعن الله من لعن الله ولعن علي بن أبي طالب، فأخبروه بذلك فقال: أقسم بالله لتقيدنه. فخرج فقال: إن هذا يأبى إلا علي بن أبي طالب فالعنوه لعنه الله. فقال المغيرة: أخرجوه أخرج الله نفسه. أخرج ابن سعد، عن عمير بن أسحاق، قال: كان مروان أميراً علينا - يعني بالمدينة - فكان يسبّ علياً كلّ جمعة على المنبر، وحسن بن علي يسمع فلا يردّ شيئاً، ثم أرسل إليه رجلاً يقول له: بعلي وبعلي وبعلي وبك وبك وبك، وما وجدت مثلك إلا مثل البغلة يقال لها: من أبوك؟ فتقول: أمي الفرس، فقال له الحسن ارجع اليه فقل له: إني والله لا أمحو عنك شيئاً ممّا قلت بأن أسبّك، ولكن موعدي وموعدك الله، فإن كنت صادقاً جزاك الله بصدقك، وإن كنت كاذباً فالله

➔

فثبت بذلك نفاقهم وعدم إيمانهم(١)

➔

أشدّ نقمة. وكان الوزغ ابن الوزغ يقول لما قيل له: ما لكم تسبّون علياً على المنابر؟ إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك (انظر الغدير ج١٠: ص٢٥٨).

(١) وذلك لأنّ النبيﷺ أعلن أنّ حبّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام علامة الإيمان والتقوى وبغضه علامة النفاق والكفر والضلالة، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عدي بن ثابت عن زر قال: قال علي: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبي الأمّيّﷺ إلى أن لا يحبّني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق» (صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب حبّ الأنصار والإمام علي بن أبي طالبعليه السلام من الإيمان وعلاماته). وأخرج أبو يعلى الموصلي بسنده عن فضيل عن أبي نصر عن مساور الحميري عن أمه عن أم سلمة قالت: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «لا يحبّ علياً منافق ولا يبغضه مؤمن» (مسند أبي يعلى الموصلي ج١٢: ص٣٦٢). وأخرج الطبراني في معجمه الأوسط بسنده عن ابن عباس قال: نظر النبيﷺ إلى علي فقال: «لا يحبّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق، من أحبّك فقد أحبّني ومن أبغضك فقد أبغضني، وحبيبي حبيب الله وبغيضي قبل بغيض الله، ويل لمن أبغضك بعدي» (انظر المعجم الأوسط ج٥: ص٨٧). وأخرج ابن عقيل في النصائح الكافية بسنده عن بن خالويه في كتاب الآل عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللهﷺ لعلي: «حبّك إيمان وبغضك نفاق وأوّل من يدخل الجنّة محبّك وأوّل من يدخل النار مبغضك» (النصائح الكافية: ص٩٢). وشاعت هذه الأحاديث عند الصحابة وصاروا يطبّقونها على من أحبّ الإمامعليه السلام فوصفوه بالإيمان وعلى من أبغضه بالنفاق. يقول الصحابي الجليل أبو ذرّ الغفاري: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ بتكذيبهم الله ورسوله والتخلّف عن الصلوات والبغض لعليّ بن أبي طالب (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٩). وقال الصحابي الكبير جابر بن عبد الله الأنصاري: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ ببغض عليّ بن أبي طالبعليه السلام (انظر الاستيعاب لابن عبدالبر ج٣: ص١١١٠). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام، وعليه فإنّ من معاوية ومن

➔

وبخبر من أحبّ عليّاً فقد أحبّني ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني[١]، نقله السيوطي[٢] عن الحاكم في مستدركه وصحّحه[٣]، والمحاربة والسبّ من أعظم سمات المبغض، والمبغض لرسول الله صلى الله عليه وآله ليس بمؤمن قطعاً[٤]،

تبعه شملهم قول النبي صلى الله عليه وآله لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق فهم في زمرة المنافقين بهذه النصوص المتواترة لدى أهل السنّة، فلاحظ.

(١) لقد أخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن عوف بن أبي عثمان النهدي قال: قال رجل لسلمان: ما أشد حبّك لعلي؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من أحبّ علياً فقد أحبّني ومن أبغض علياً فقد أبغضني» (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٣٠)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٣٢، وللطبراني في المعجم الكبير ج٢٣: ص٣٨٠، وابن عبد البر في الإستيعاب ج٣: ص١١٠١، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٢٢ وغيرهم.

(٢) انظر الجامع الصغير للسيوطي ج٢: ص٥٥٤

(٣) انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٣٠

(٤) لا شكّ ولا شبهة في أنّ السبّ والشتم واللعن من الظواهر التي تنشأ من العداوة والشقاق والبغضاء والضغناء والحقد، وكلّها ألفاظ متقاربة في الدلالة، فالعداوة هي التجاوز والتعدّي على الغير، والخصومة مع الغير والمباعدة عن الغير، قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة المائدة: ٦٤)، وتعتبر هذه الظاهرة إحدى معاجز حياة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، لأن اليهود كانوا الأقوى القوم بين أهل الحجاز والأعرف بمسائل الحرب، بالإضافة إلى ما كانوا يمتلكون من قلاع حصينة وخنادق منيعة، ناهيك عن قدرتهم الماليّة الكبيرة التي كانت لهم عوناً في كل صراع بحيث أن قريشاً كانوا يستمدّون العون منهم، وكان الأوس والخزرج يسعى كلّ منهما

فالمبغض لعلي عليه السلام ليس بمؤمن(١).

←

إلى التحالف معهم وكسب صداقتهم ونيل العون منهم في المجال العسكري، لكنّهم فقدوا فجأة قدرتهم المتفوّقة - هذه - وطويت صفحة جبروتهم دفعة واحدة، بشكل لم يكن متوقّعاً لديهم، فاضطرّ يهود بني النضير وبني قريظة وبني القينقاع إلى ترك ديارهم، كما استسلم نزلاء قلاع خيبر الحصينة وسكّان فدك من اليهود خاضعين للمسلمين، وحتى أولئك الذين كانوا يقطنون في فيافي الحجاز منهم اضطرّوا إلى الخضوع أمام عظمة الإسلام، فهم بالإضافة إلى عجزهم عن نصرة المشركين اضطرّوا إلى ترك ميدان النزال والصراع. ثم تبيّن الآية - أيضاً - أن هؤلاء لا يكفّون عن نشر بذور الفتنة والفساد في الأرض فتقول: ويسعون في الأرض فساداً...، وتؤكد أيضاً قائلة: والله لا يحبّ المفسدين. ويستدلّ من هذا على أن أسلوب المواجهة القرآني لليهود لم يكن يتركز على أساس عنصري مطلقاً، بل أنّ المعيار الذي استخدمه القرآن في توجيه النقد إليهم، هو معيار الأعمال التي يمكن أن تصدر من أي جنس وعنصر أو طائفة، وسنلاحظ أنّ جميع ما ذكره القرآن في حق اليهود مطابقة لأعداء مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لا سيّما أنّ الروايات تؤكّد على أنّ من سبّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله ومعناه أنّ من كان عدواً للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهو عدو لرسول الله صلى الله عليه وآله كاليهود، فلاحظ.

(١) وذلك لأنّ بغض الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علامة النفاق كما ورد في النصوص التي رواها علماء أهل السنّة، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عدي بن ثابت عن زر قال: قال علي: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة أنه لعهد النبيّ الأمّيّ صلى الله عليه وآله إلى أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق» (صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب حبّ الأنصار والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من الإيمان وعلاماته). وأخرج أبو يعلى الموصلي بسنده عن فضيل عن أبي نصر عن مساور الحميري عن أمّه عن أمّ سلمة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لا يحبّ علياً منافق ولا يبغضه مؤمن» (مسند أبي

→

وبما مضى التنبيه عليه من خبر «اللّهم انصر من نصره»[(١)]،

➔ يعلى الموصلي ج١٢: ص٣٦٢). وأخرج الطبراني في معجمه الأوسط بسنده عن عن ابن عباس قال: نظر النبيﷺ إلى علي فقال: «لا يحبّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق، من أحبّك فقد أحبّني ومن أبغضك فقد أبغضني، وحبيبي حبيب الله وبغيضي قبل بغيض الله، ويل لمن أبغضك بعدي» (انظر المعجم الأوسط ج٥: ص٨٧). وأخرج ابن عقيل في النصائح الكافية بسنده عن بن خالويه في كتاب الآل عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللهﷺ لعلي: «حبّك إيمان وبغضك نفاق، وأوّل من يدخل الجنة محبّك وأوّل من يدخل النار مبغضك» (النصائح الكافية: ص٩٢). وشاعت هذه الأحاديث عند الصحابة وصاروا يطبّقونها على من أحبّ الإمامعليه السلام فوصفوه بالإيمان وعلى من أبغضه بالنفاق. يقول الصحابي الجليل أبو ذرّ الغفاري: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ بتكذيبهم الله ورسوله والتخلّف عن الصلوات والبغض لعليّ بن أبي طالب (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٩). وقال الصحابي الكبير جابر بن عبد الله الأنصاري: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ ببغض عليّ بن أبي طالبعليه السلام (انظر الاستيعاب لابن عبدالبر ج٣: ص١١١٠). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام في كتب أهل السنّة، وعليه فإنّ من معاوية ومن تبعه يشملهم قول النبيﷺ «لايحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلا منافق» فهم في زمرة المنافقين بهذه النصوص المتواترة لدى أهل السنّة، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى دعاء النبيﷺ في حديث الغدير، وذلك بعد ما نصب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام إماماً وعلماً للمسلمين، فرفعﷺ يد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وقالﷺ: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه»، ثم قالﷺ: «اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله وأعن من أعانه»، رواه الطبراني ورجاله وثقوا وبهذا الطريق نقلاً عن الطبراني ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء ص١١٤، وروى البدخشي في نزل الأبرار ص٢٠ ومفتاح النجا، والشيخ إبراهيم الوصابي الشافعي في الاكتفاء في فضل الأربعة الخلفاء من طريق الطبراني عنه ➔

➔

بلفظ السيوطي. وعدّه ابن الجزري في أسنى المطالب ص٤ من رواة الحديث. وروى أحمد بن حنبل بسنده عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب وعن زيد بن يثيع قالا: نشد علي الناس في الرحبة من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خمّ إلا قام قال، فقال: من قبل سعيد ستّة ومن قبل زيد ستّة، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام يوم غدير خم: «أليس الله أولى بالمؤمنين؟»، قالوا: بلى، قال صلى الله عليه وآله: «اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١١٨). وروى أيضاً بسنده عن سماك بن عبيد بن الوليد العبسي قال: دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى فحدّثني أنه شهد علياً عليه السلام في الرحبة قال: «أنشد الله رجلاً سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وشهده يوم غدير خمّ إلا قام، ولا يقوم إلا من قد رآه»، فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا: قد رأيناه وسمعناه حيث أخذ بيده يقول صلى الله عليه وآله: «اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» فقام إلا ثلاثة لم يقوموا، فدعا عليهم فأصابتهم دعوته (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١١٩). وروى أيضاً بسنده عن علي بن زيد عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله صلى الله عليه وآله تحت شجرتين فصلّى الظهر وأخذ بيد علي عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله: «ألستم تعلمون انى أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أني أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٨١). وروى الهيثمي بسنده عن عمرو ذي مر وزيد بن أرقم قالا: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأعن من أعانه»، قلت لزيد بن أرقم عند الترمذي: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقط، رواه الطبراني وأحمد عن زيد وحده باختصار إلا أنه قال في أوّله: نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بواد يقال له خم، فأمر بالصلاة

🡐

←

فصلاها بهجير، قال: فخطب وظلل على رسول الله ﷺ على شجرة من الشمس، فقال ﷺ: «ألستم تعلمون أو ألستم تشهدون أني أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى... فذكر نحوه، والبزار وفيه ميمون أبو عبد الله البصري وثّقه ابن حبان وضعّفه جماعة، وبقية رجاله ثقات. وعن أبي الطفيل قال: جمع علي الناس في الرحبة ثم قال لهم: «أنشد بالله كلّ امرئ مسلم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ ما قال لمّا قام؟» فقام إليه ثلاثون من الناس، قال أبو نعيم: فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده فقال ﷺ: «أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: «من كنت مولاه فهذا مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال: فخرجت كأن في نفسي شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: إني سمعت علياً يقول كذا وكذا، قال: فما تنكر قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة. وعن سعيد بن وهب قال نشد علي عليه السلام الناس، فقام خمسة أو ستّة من أصحاب النبي ﷺ فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال: «من كنت مولاه فعلى مولاه»؛ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وعن عمرو بن ذي مر وسعيد بن وهب وعن زيد بن بثيع قالوا: سمعنا علياً يقول: «نشدت الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ لمّا قام»، فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فأخذ ﷺ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فهذا مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه وأبغض من يبغضه، وانصر من نصره واخذل من خذله»؛ رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١٠٥). وروى النسائي في سننه الكبرى بسنده عن علي بن محمد بن علي قال: حدّثنا خلف قال: حدّثنا إسرائيل قال: حدّثنا أبو إسحاق عن عمرو ذي مر قال: شهدت علياً بالرحبة ينشد أصحاب محمد ﷺ: «أيّكم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم ما قال؟» فقام أناس فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فإن علياً مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحبّ من

←

وبما مرّ من خبر حصر محبّه بالمؤمن ومبغضه بالمنافق(١).

➔
أحبّه وابغض من أبغضه وانصر من نصره» (انظر سنن الكبرى للنسائي ج٥: ص١٣٦). وروى الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن بشر بن حرب عن جرير قال: شهدنا الموسم في حجّة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهي حجّة الوداع، فبلغنا مكاناً يقال له غدير خمّ، فنادى الصلاة جامعة، فاجتمعنا المهاجرون والأنصار فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسطنا فقال: «أيها الناس بم تشهدون؟» قالوا: نشهد ان لا إله إلا الله، قال: «ثم مه»، قالوا: وأنّ محمداً عبده ورسوله، قال صلى الله عليه وآله: «فمن وليّكم؟» قالوا: الله ورسوله مولانا، قال صلى الله عليه وآله: «من وليّكم؟» ثم ضرب بيده على عضد علي عليه السلام فأقامه فنزع عضده فأخذ بذراعيه فقال صلى الله عليه وآله: «من يكن الله ورسوله مولياه فإن هذا مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه، اللّهم من أحبّه من الناس فكن له حبيباً ومن أبغضه فكن له مبغضاً، اللهم إني لا أجد أحداً أستودعه في الأرض بعد العبدين الصالحين غيرك، فاقض فيه بالحسنى»، قال بشر: قلت: من هذين العبدين الصالحين؟ قال: لا أدري (انظر المعجم الكبير للطبراني ج٢: ص٣٥٨). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام، وعليه فإنّ دعاء النبي صلى الله عليه وآله يوم غدير خم يشمل معاوية وأضرابه من جهة عداوتهم وبغضهم للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فمن حارب الإمام عليه السلام كمعاوية وأضرابه يكون أولى بشمول دعاء النبي صلى الله عليه وآله: «وعاد من عاداه»، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات التي رواها علماء أهل السنّة بأسناد صحيحة عن النبي صلى الله عليه وآله حيث قال للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «يا علي لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق»، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عدي بن ثابت عن زر قال: قال علي: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وآله إلى أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق» (صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب حبّ الأنصار والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من الإيمان وعلاماته). وأخرج أبو يعلى الموصلي بسنده عن فضيل عن أبي نصر عن مساور الحميري عن أمّه عن أمّ سلمة قالت:
➔

وحسب المنصف في معرفته فرية خبر "سيصلح" وعدم دخول محاربي علي عليه السلام في آية ﴿وَإِن طَائِفَتَان...﴾[1]

➔

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لا يحبّ عليّاً منافق ولا يبغضه مؤمن» (مسند أبي يعلى الموصلي ج١٢: ص٣٦٢). وأخرج الطبراني في معجمه الأوسط بسنده عن عن ابن عباس قال نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي فقال: «لا يحبّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق، من أحبّك فقد أحبّني ومن أبغضك فقد أبغضني وحبيبي حبيب الله وبغيضي قبل بغيض الله، ويل لمن أبغضك بعدي» (انظر المعجم الأوسط ج٥: ص٨٧). وأخرج ابن عقيل في النصائح الكافية بسنده عن ابن خالويه في كتاب الآل عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: «حبّك إيمان وبغضك نفاق، وأوّل من يدخل الجنّة محبّك وأول من يدخل النار مبغضك» (النصائح الكافية: ص٩٢). وشاعت هذه الأحاديث عند الصحابة وصاروا يطبّقونها على من أحبّ الإمام عليه السلام فوصفوه بالإيمان وعلى من أبغضه بالنفاق يقول الصحابي الجليل أبو ذرّ الغفاري: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ بتكذيبهم الله ورسوله والتخلّف عن الصلوات والبغض لعليّ بن أبي طالب (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٩)، وقال الصحابي الكبير جابر بن عبد الله الأنصاري: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ ببغض عليّ بن أبي طالب عليه السلام (انظر الاستيعاب لابن عبدالبر ج٣: ص١١١٠). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام في كتب أهل السنّة؛ وعليه فإنّ معاوية ومن تبعه يشملهم قول النبي صلى الله عليه وآله: «لايحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلا منافق» فهم في زمرة المنافقين بهذه النصوص المتواترة لدى أهل السنّة، فلاحظ.

(١) سورة التوبة:١١١ هذه الآية الكريمة لا تشمل معاوية وأتباع الأمويّين لأنّهم لم يكونوا مسلمين فضلاً عن كونهم مؤمنين بالأدلة القطعية من الكتاب والسنّة، غير أنّ البخاري الذي هو من أتباع الأمويّين أخرج حديث "سيصلح..." في صحيحه بسنده عن سفيان عن أبي موسى قال: ....سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله على المنبر والحسن ابن

➔

هذه السنن الصحيحة لدى من تسمّى بأهل السنّة[1]،

➔

علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرّة وعليه أخرى ويقول: إن ابني هذا سيّد ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، قال: قال لي على ابن عبد الله: إنما ثبت لنا سماع الحسن من أبى بكرة بهذا الحديث (صحيح البخاري ج٣: ص ١٧٠ كتاب الصلح، باب قول النبيﷺ: ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين) وروى ابن عبد البر عن رسول اللهﷺ أنّه قال: إن الله سيصلح بالإمام الحسن عليه السلام بين فئتين عظيمتين من المسلمين (انظر الإستيعاب لابن عبد البر ج١: ص٣٨٦). هذه الروايات وأمثالها بحسب نظر أهل السنّة مدح للإمام الحسن عليه السلام حيث فيها أنّ الإمام عليه السلام كان سبب الإصلاح بين الطائفتين، إلاّ أنّه يناقض قول رسول اللهﷺ: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية» (صحيح البخاري ج٣: ص٢٠٧ كتاب الجهاد والسير، باب مسح الغبار عن الناس في السبيل)، لأنّ صريح هذا الحديث تدلّ على أنّ معاوية كان من الفئة الباغية التي قتلت عمّار بن ياسر، فكيف يمكن أن يجعلهم النبيﷺ من الفئة المسلمة التي يجب التصالح بينها؟!!

(١) فإنّ الروايات الواردة عن النبيﷺ الصريحة في أنّ معاوية وأصحابه لم يشملهم قوله تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ...**﴾ لأنّهم حاربوا الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، ومن تلك النصوص قول النبيﷺ أنّ حروب الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام كانت على تأويل القرآن كما أنّ حروبهﷺ كانت على التنزيل، فقد روى أحمد بن حنبل بسنده عن أبي سعيد قال: قال رسول اللهﷺ: «إنّ منكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله» قال: فقام أبو بكر وعمر فقال: «لا ولكن خاصف النعل» وعلي يخصف نعلهﷺ (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٣٣)، وإلى غير ذلك من الروايات، ولا يخفى على الخبير إنّ مفاد الآيات الدالّة على الصلح إنّما هو فيما كانت الحرب واقعة بين الطوائف المؤمنة، وأمّا إذا كانت إحدى الطائفتين باغية فقد أمر الله

➔

➔

تعالى بقتالهم كما في قوله تعالى: ﴿فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (سورة الحجرات:٩). من بديهي أنّه لو كانت الفئة الباغية لوجب على الطرف المقابل مقاتلتهم، كما أمرالله تعالى المسلمين في آيات عديدة بقتال الكفار والمشركين، فأمر بقتال أهل البغي ومن خرج وخرج على إمام زمانه، فالقرآن جعل أهل البغي في عداد الكفّار والمشركين، وسيتّضح ذلك للقارئ الكريم في محلّه إن شاء الله تعالى. وعليه فإنّ أمثال معاوية الذين قاتلوا الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام لا تشملهم آية الصلح بين الفئتين من المؤمنين، بل تشملهم الآيات التي نزلت في حقّ من حارب رسول اللهصلى الله عليه وآله من الكفّار والمشركين؛ كما أنّ مدلول الحديث النبوي الصريح في أنّ حروب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام كانت على تأويل القرآن كما أنّ حروبهصلى الله عليه وآله كانت على التنزيل، وعليه فمن حارب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام كان كمن حارب رسول اللهصلى الله عليه وآله، إذ الحديث صريح في أنّ الملاك فيهما واحد؛ لأنّ حربهما على أساس القرآن، فرسول اللهصلى الله عليه وآله كان يحارب على التنزيل والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام كان يحارب على التاويل، إذن أنّ معاوية وأضرابه كان يحارب رسول اللهصلى الله عليه وآله قبل إسلامه الظاهري، وبعد وفاة رسول اللهصلى الله عليه وآله حارب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فكان من البغاة وفي زمرة من حارب الله ورسولهصلى الله عليه وآله. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الإمام الحسنعليه السلام، فإنّ الناس قد بايعه للخلافة بعد شهادة أبيهعليه السلام، فبدأ الإمام الحسنعليه السلام باستنفار أهل الكوفة واستنهاضهم للجهاد ضدّ معاوية، وكان ذلك استمرار لفعل أبيه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، كما أنّ معاوية جمع أهل الشام وسار بهم نحو العراق للحرب مع الإمام الحسنعليه السلام مثل ما حارب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فالملاك أيضاً واحد. ومعاوية كان من البغاة حتّى عند أهل السنّة والجماعة، ولكن أهل الكوفة غدروا بالإمام الحسنعليه السلام كما غدروا بأبيه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام. ولم يكن أمام الإمام الحسنعليه السلام في مثل هذه الحالة سوى الدفاع. يقول الشيخ المفيد:

🡐

➔

وسار معاوية نحو العراق ليغلب عليه، فلمّا بلغ جسر منبج تحرّك الإمام الحسن عليه السلام وبعث حجر بن عديّ فأمر العمّال بالمسير، واستنفر الناس للجهاد فتثاقلوا عنه، ثمّ خفّ معه أخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه عليهما السلام، وبعضهم مُحَكِّمة يؤثرون قتال معاوية بلا حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكّاك، وبعضهم أصحاب عصبيّة اتّبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين (الإرشاد ج٢: ص١٠). ثم أنّه كانت استراتيجية الخوارج هي الانخراط في صفوف جيش الإمام الحسن عليه السلام ومقاتلة جيش معاوية، فإن تمّت الغلبة لأهل الكوفة على أهل الشام انقلبوا على الإمام الحسن عليه السلام وخلعوا طاعته وأطاحوا بحكومته بعد أن تكون الحرب قد انهكت قوى جيشه؛ لأنّهم غير قادرين على مواجهة الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية كلٍّ على حِدة، وكانت أعدادهم كبيرة في الكوفة، فقد اجتمع منهم إثنا عشر ألفاً في النهروان، انسحب منهم ثمانية آلاف قبل بدء القتال بعد أن رأوا الرجحان في كفّة جيش أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أخذوا يتحينون الفرص لأخذ ثأر أخوانهم في النهروان. واطّلع الإمام الحسن عليه السلام على نواياهم، وعرف أهدافهم، واتّخذ الحيطة والحذر في التعامل معهم، وأشار الإمام عليه السلام إلى ذلك في بعض خطبه: «أما والله ما ثنانا عن قتال أهل الشام ذلّة ولا قلّة، ولكن كنّا نقاتلهم بالسلامة والصبر، فشيب السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم تتوجّهون معنا ودينكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم الآن ودنياكم أمام دينكم، وكنّا لكم وكنتم لنا، وقد صرتم اليوم علينا، ثم أصبحتم تصدّون قتيلين: قتيلاً بصفّين تبكون عليهم وقتيلاً بالنهروان تطلبون بثأرهم، فأمّا الباكي فخاذل، وأمّا الطالب فثائر». واستمال معاوية الفئة الطامعة في جيش الامام الحسن عليه السلام بالأموال الطائلة والاغراءات فانحازت إليه، فالتحق قسم منهم بجيش الشام، وبقي قسم آخر في جيش الإمام عليه السلام يُخذِّل الآخرين ويثير الشكوك وينشر الدعايات التي تستهدف تضعيف معنويات المقاتلين أو محاولة القبض على الإمام عليه السلام وأهل بيته وتسليمهم إلى معاوية أو محاولة اغتياله. فقد تعرّض الإمام عليه السلام إلى محاولة اغتيال فاشلة، وكانوا يتربّصون به لقتله، فقد روى علماء الإسلام أنّ معاوية دسّ إلى عمر

➔

وممّا بيناه ثبت بهتان الخبر الذي نقله في حقّ محمّد بن مسلمة

➔

ابن حريث والأشعث وإلى حجر بن الحارث وشبث بن ربعي دسيساً أفرد كلّ واحد منهم بعين من عيونه، أنّك إن قتلت الحسن بن عليّ فلك مائتا ألف درهم وجند من أجناد الشام وبنت من بناتي. فبلغ الحسن عليه السلام فاستلأم ولبس درعاً وكفّرها، وكان يحترّز ولا يتقدّم للصلاة بهم إلاّ كذلك. فرماه أحدهم في الصلاة بسهم فلم يثبت فيه؛ لما عليه من اللأمة، فلمّا صار في مظلم ساباط ضربه أحدهم بخنجر مسموم، فعمل فيه الخنجر... فقال الحسن عليه السلام: «ويلكم والله إنّ معاوية لا يفي لأحد منكم بما ضمنه في قتلي، وإنّي أظنّ أنّي إن وصفت يدي في يده فأسالمه لم يتركني أدين لدين جدّي صلى الله عليه وآله وأنّي أقدر أن أعبد الله عزّ وجلّ وحدي، ولكنّي كأنّي أنظر إلى أبنائكم واقفين على أبواب أبنائهم، يستسقونهم ويستطعمونهم، لما جعله الله لهم، فلا يسقون ولا يطعمون، فبعداً وسحقاً لما كسبته أيديهم، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون». ولا يشكّ أحد في أنّ الإمام الحسن عليه السلام أفضل من معاوية وأنّه أولى بالخلافة منه وأجدر بتطبيق الشريعة الإسلاميّة، وأنّ معاوية رجل يحبّ السلطة ويعشق كرسيّ الحكم ولا يبالي ما فعل في سبيل البقاء في السلطة، ولا تهمّه مصلحة المسلمين، وأنّه من مسلمي الفتح الذين أسلموا رهبة من سطوة السيف، وهو ابن رأس الكفر أبي سفيان الذي جيّش الجيوش على رسول الله صلى الله عليه وآله المرّة تلو الأخرى إلى أن أُرغم أنفه بالدخول في الإسلام كارهاً، كما لا يشكّ أحد في شرعيّة الموقف الذي اتّخذه الإمام الحسن عليه السلام في الصلح مع معاوية، سواء عند الشيعة الذين يروونه إماماً مفترض الطاعة، ومعصوماً مسدّداً من الله تعالى لا يزل ولا يخطأ، أو عند السنّة الذين رووا فيه عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ معاوية كان من الفئة الباغية الذين قتلوا عمّار بن ياسر، فهو البغاة الذين جعلهم القرآن الكريم في حكم الكفّار المشركين والمنافقين الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان الإمام الحسن عليه السلام عمل بالقرآن في محاربة معاوية كما أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام عمل به، فلاحظ.

ودخوله فيمن خذل علياًعليه السلام(١)

---

(١) لقد روى أبو داود السجستاني في سننه بسنده عن حذيفة أنّه قال: ما أحد من الناس تدركه الفتنة إلا أنا أخافها عليه إلا محمّد بن مسلمة فإني سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: لا تضرّك الفتنة (سنن أب داود ج٢: ص٤٠٥). ومحمد بن مسلمة كان من الصحابة، وأسلم على يد مصعب بن عمير وشهد بدراً وسائر الغزوات، ولكن اعتزل عن القتال مع مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ولم يشهد حرب الجمل ولا صفين، فهو ممّن اعتزل عن القتال، فهذا الحديث كذب نسبوها إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله كنسبة الكذب الذي نسبوه إليهصلى الله عليه وآله من أنّه قال: "سيصلح الله بالإمام الحسنعليه السلام بين الفئتين..." وإنّ كذب هذا الحديث أوضح من أن يخفى على أحد، لأنّ الأحاديث المتواترة تدّل على أنّ معاوية كان من البغاة كما في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: «ويح عمّار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار» (انظر صحيح البخاري ج١: ص١٥ كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المسجد ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين، وصحيح مسلم ج٨: ص١٨٦ كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتّى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيتمنّى أن يكون مكان الميت من البلاء) فيه صراحة على بغي معاوية؛ لأنّ الحديث دالّ على أنّ معاوية من الفئة الباغية التي جاءت حكمها في القرآن الكريم حيث قال تعالى: **﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** (سورة الحجرات:٩) فإنّ الله تبارك وتعالى أمر بالإصلاح بين الفئتين المؤمنتين، ثم أمر بقتال الفئة الباغية كما أمرالله تعالى بقتال الكفار والمشركين، ومعناه أنّ الفئة الباغية بحكم الكفار والمنافقين والمشركين فالأمر ←

➔

بمقاتلتهم دليل على أنّ الفئة الباغية لا يجوز الاصلاح بينها وبين الفئة المؤمنة، وعليه فلا يصحّ نسبة حديث "إنّ ابني هذا سيد (الإمام الحسن عليه السلام) سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين..." إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّ معناه مخالفة الرسول صلى الله عليه وآله مع القرآن الكريم؛ إذ معناه أنّ معاوية مع كونه من الفئة الباغية الذي أمر الله تعالى بقتاله، قد جعله النبي صلى الله عليه وآله من الفئة المؤمنة التي يجب الإصلاح بينهم. فكيف تصحّ نسبة هذا الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مع أنّه لا ينطق إلا عن الوحي، والقرآن الكريم صريح في أنّ الفئة الباغية يجب قتالهم. وفي الحديث النبوي «ويح عمار تقتله الفئة الباغية»، ومن الواضح أنّ معاوية كان من الفئة التي قتلت عمّار بن ياسر فهو داخل فيمن يجب قتالهم بنصّ القرآن الكريم، وعليه كيف يجوز لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يقول: "سيصلح الله...." مع أنّ الله تبارك وتعالى يقول يجب قتالهم؟ فالأمر في المقام كذلك.

وثانياً: مع وجود الدليل القطعي من الكتاب والسنّة النبويّة الشريفة كيف يجوز للصحابة العمل بالظن والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ (سورة يونس:٣٦). فبحكم الكتاب والسنّة أنّ محمد بن مسلمة الذي يعلم أنّ معاوية قاتل عمّار بن ياسر محكوم بالبغي حيث جعله النبي صلى الله عليه وآله من الفئة الباغية والفئة الباغية بنصّ القرآن الكريم، فكان من الواجب عليه قتال معاوية، فاعتزاله عن ذلك دليل على عدم قبول قول الله ورسوله صلى الله عليه وآله من أنّه يجب قتال أهل البغي، ومن لم يقبل قول الله ورسوله فهو في حكم الكفّار والمشركين كما أنّ كلّ من قاتل مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام محكوم بالبغي، وحكم الباغي واضح من القرآن الكريم. كما أنّ محمد بن مسلمة تشمله دعاء النبي صلى الله عليه وآله حديث دعا على من خذل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حديث الغدير، فقال صلى الله عليه وآله: «اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله وأعن من أعانه»، رواه الطبراني ورجاله وثقوا وبهذا الطريق نقلاً عن الطبراني، وذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء ص١١٤، وروى البدخشي في نزل الأبرار ص٢٠ ومفتاح النجاة، والشيخ إبراهيم الوصابي الشافعي في الاكتفاء في فضل الأربعة

➔

➔

الخلفاء من طريق الطبراني عنه بلفظ السيوطي. وعدّه الجزري في أسنى المطالب ص٤ من رواة الحديث. وروى أحمد بن حنبل بسنده عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب وعن زيد بن يثيع قالا: نشد علي الناس في الرحبة من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم الا قام قال، فقال: من قبل سعيد ستة ومن قبل زيد ستة فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام يوم غدير خمّ: «أليس الله أولى بالمؤمنين؟» قالوا: بلى قال صلى الله عليه وآله: «اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١١٨). وروى أيضاً بسنده عن سماك بن عبيد بن الوليد العبسي قال دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى فحدثني أنه شهد علياً عليه السلام في الرحبة قال: «أنشد الله رجلاً سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وشهده يوم غدير خم إلا قام ولا يقوم إلا من قد رآه» فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا: قد رأيناه وسمعناه حيث أخذ بيده يقول: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» فقام إلا ثلاثة لم يقوموا، فدعا عليهم فأصابتهم دعوته (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١١٩). وروى أيضاً بسنده عن علي بن زيد عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر فنزلنا بغدير خمّ فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول الله صلى الله عليه وآله تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد علي عليه السلام فقال: «ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٨١) وروى الهيثمي سنده عن عمرو ذي مر وزيد بن أرقم قالا: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خمّ فقال: «من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأعن من أعانه» قلت لزيد بن أرقم عند الترمذي: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقط رواه الطبراني وأحمد عن زيد وحده باختصار إلا أنه قال في أوله: نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بواد يقال له خم فأمر بالصلاة

➔

➔

فصلاها بهجير، قال: فخطب وظلل على رسول الله ﷺ على شجرة من الشمس فقال: «ألستم تعلمون أو ألستم تشهدون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، فذكر نحوه، والبزار وفيه ميمون أبو عبدالله البصري وثقه ابن حبان وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات. وعن أبي الطفيل قال: جمع علي الناس في الرحبة ثم قال لهم: «أنشد بالله كل امرئ مسلم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم ما قال لما قام؟» فقام إليه ثلاثون من الناس، قال أبو نعيم: فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده فقال ﷺ: «أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: «من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال: فخرجت كأن في نفسي شيئاً فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: إني سمعت علياً يقول: كذا وكذا، قال: فما تنكر قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة. وعن سعيد بن وهب قال نشد علي عليه السلام الناس فقام خمسة أو ستة من أصحاب النبي ﷺ فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال: «من كنت مولاه فعلى مولاه». رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وعن عمرو بن ذي مر وسعيد بن وهب وعن زيد بن يثيع قالوا: سمعنا علياً يقول: «نشدت الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم لما قام» فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فأخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحبّ من أحبّه وأبغض من يبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله». رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير فطر ابن خليفة وهو ثقة (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١٠٥). وروى النسائي في سننه الكبرى بسنده عن علي بن محمد بن علي قال حدثنا خلف قال: حدّثنا إسرائيل قال: حدّثنا أبو إسحاق عن عمرو ذي مر قال: شهدت عليّاً بالرحبة ينشد أصحاب محمد ﷺ: «أيّكم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم ما قال؟» فقام أناس فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فإن عليا مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحبّ من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من

➔

وفرية الخبر الذي نقله عن الصحيحين بعبارة: ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم لما مضى تحقّقه[١] من بيانهﷺ لهم جميع ما يحتاجون إليه إلى يوم القيامة[٢]

نصره» (انظر سنن الكبرى للنسائي ج٥: ص١٣٦). وروى الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن بشر بن حرب عن جرير قال: شهدنا الموسم في حجّة مع رسول اللهﷺ وهي حجّة الوداع فبلغنا مكاناً يقال له غدير خم، فنادى الصلاة جامعة فاجتمعنا المهاجرون والأنصار، فقام رسول اللهﷺ وسطنا فقال: «أيها الناس بم تشهدون؟» قالوا: نشهد ان لا إله إلا الله، قال: «ثم مه» قالوا: وأن محمداً عبده ورسوله، قال: «فمن وليّكم؟» قالوا: الله ورسوله مولانا، قال: «من وليّكم؟» ثم ضرب بيده على عضد عليعليه السلام فأقامه فنزع عضده فأخذ بذراعيه فقال: «من يكن الله ورسوله مولياه فإن هذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه اللّهم من أحبّه من الناس فكن له حبيباً ومن أبغضه فكن له مبغضاً، اللّهم إني لا أجد أحداً أستودعه في الأرض بعد العبدين الصالحين غيرك فاقض فيه بالحسنى»، قال بشر: قلت: من هذين العبدين الصالحين؟ قال: لا أدري (انظر المعجم الكبير للطبراني ج٢: ص٣٥٨)، وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام، وعليه فإنّ قولهﷺ يوم غدير خم: «وعاد من عاداه» يشمل محمد بن مسلمة، فلاحظ.

(١) لقد أخرج البخاري ومسلم بسندهما عن أبي هريرة قال: قال رسول اللهﷺ: ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه فمن وجد فيها ملجأ أو معاذاً فليعذّبه (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٩١ كتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، ورواه مسلم في صحيحه ج٨: ص١٦٩ كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا توجه المسلمان بسيفيهما).

(٢) لقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال: «دعوني ما تركتكم، إنّما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن

➔
شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٤٢ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وآله)، ورواه ابن حبان في صحيحه ج١: ص٢٠٠، وابن الجوزي في كشف المشكل في حديث الصحيحين ج٣: ص٥٠٩، ورياض الصالحين للنووي ص١٣٥، والزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار ج١: ص٤٢٣، والسيوطي في اللمع في أسباب ورود الحديث: ص٥٢، والألباني في ارواء الغليل ج١: ص١٨٣ وغيرهم.

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة، قال:خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «أيّها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجّوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم»،ثم قال: «ذروني ما تركتكم فإنّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه» (انظر صحيح مسلم ج٤: ص١٠٢ كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى الحج وغيره)، ورواه ابن حبان في صحيحه ج٩: ص١٨، والزيلعي ج١: ص٢٣٤ وغيرهم.

و أخرج مسلم أيضاً بسنده عن أبي هريرة كلّهم قال عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «ذروني ما تركتكم» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص٩٢ كتاب الفضائل، باب توقيره صلى الله عليه وآله وترك إكثار سواله عما لا ضرورة إليه)، ورواه النووي في الأذكار النووية: ص٨ وفي رياض العالمين: ص٥١٩، وأبو نعيم في جزء نافع: ص٢١، والسيوطي في الجامع الصغير ج١: ص٦٦٤، وفي اللمع في أسباب ورود الحديث ج١: ص٥٢ ح٤٣٢٥، والمتقي الهندي في كنز العمّال ج١: ص١٨١ ح٩١٦ وغيرهم.

وتوضيح المقام أنّ ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله إمّا هو الآداب الكاملة أو الأخلاق الفاضلة، أوالعقائد الحقّة، أو الأحكام الشرعية، أوالأعمال الصالحة والمقرّبة إلى الله عزّ وجلّ، وكذلك الاجتناب عمّا نهى عنه صلى الله عليه وآله فعندما يقول صلى الله عليه وآله: «فأتوا بما أمرتكم» على نحو الإطلاق، أي: ما يحتاجون إليه، وما به تهتدون إلى دين الله عزّ وجلّ، وما ترشدون إلى
➔

➔

معرفة الله وطاعته، بعبارة أخرى، معنى قولهصلى الله عليه وآله: «ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنّة إلا وقد حدثتكم به، ولا تركت من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به»، أي: ليس شيء من الأشياء يقربكم إلى الجنة فيجعلكم قريباً من الجنّة وما من شيء يبعدكم عن النارإلا قد أمرتكم به على نحو الإطلاق، فيشمل جميع الدين.

وفي الحقيقة هذا معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً**﴾ (سورة المائدة:٣) فأي يوم يا ترى هو ذلك اليوم الذي اجتمعت فيه هذه الأحداث المصيريّة، وهي: إكمال الدين، وإتمام النعمة، وقبول الله لدين الإسلام ديناً ختامياً لكل البشريّة؟

ممّا لا شكّ فيه أن ذلك اليوم يكون يوماً عظيماً في تاريخ حياة النبيصلى الله عليه وآله ولا يمكن أن يكون يوماً عادياً كسائر الأيام، ولأهمية ذلك اليوم وعظمته نزلت هذه الآية المباركة، واتّفق المفسّرون جميعاً على نزولها قبل وفاة الرسولصلى الله عليه وآله بشهور، ونقل الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في كتاب ما نزل من القرآن بحق الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام عن أبي سعيد الخدري وهو صحابي معروف، أنّ النبيصلى الله عليه وآله أعطى في يوم غدير خم علياً منصب الولاية... وإن الناس في ذلك اليوم لم يكادوا ليتفرّقوا حتى نزلت آية: اليوم أكملت لكم دينكم... فقال النبيصلى الله عليه وآله وفي تلك اللحظة: «الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي وبالولاية لعليعليه السلام من بعدي»، ثم قالصلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله...» (انظر الغدير ج١: ص١٨)، والروايات الواردة في هذا المجال بالغ عن حدّ التواتر، فالمقصود بذلك اليوم الذي تحقّق فيه إكمال الدين هو يوم غدير خمّ أي اليوم الذي نصب النبيصلى الله عليه وآله الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بصورة رسميّة وعلنيّة خليفة له، حيث غشى الكفّار في هذا اليوم سيل من اليأس، وقد كانوا يتوهّمون أن دين الإسلام سينتهي بوفاة النبيصلى الله عليه وآله وأن الأوضاع ستعود إلى سابق عهد الجاهلية، لكنّهم حين شاهدوا أن النبيصلى الله عليه وآله أوصى بالخلافة بعده لرجل كان فريداً بين المسلمين في علمه

➔

ومنه امامة علي عليه السلام[(١)] وقد بيّن نفاق محاربيه ومبغضيه وخاذليه بما نبّهنا عليه من السنن[(٢)]،

وتقواه وقوّته وعدالته، وهو الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ورأوا النبي صلى الله عليه وآله وهو يأخذ البيعة للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أحاط بهم اليأس من كلّ جانب، وفقدوا الأمل فيما توقّعوه من شرّ لمستقبل الإسلام وأدركوا أن هذا الدين باق راسخ ففي يوم غدير خم أصبح الدين كاملاً، إذ لو لم يتمّ تعيين خليفة للنبي صلى الله عليه وآله ولو لم يتمّ تعيين وضع مستقبل الأمة الإسلامية، لم تكن لتكتمل الشريعة بدون ذلك ولم يكن ليكتمل الدين.

نعم في يوم غدير خم أكمل الله دينه وأتمّ نعمته بتعيين الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، هذا الشخصيّة اللائقة الكفؤ، قائداً وزعيماً للأمّة بعد النبي صلى الله عليه وآله وفي هذا اليوم - أيضاً - رضي الله بالإسلام ديناً، بل خاتماً للأديان، بعد أن اكتملت مشاريع هذا الدين، واجتمعت فيه الجهات المذكورة في الآية المباركة فكيف يمكن أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يبيّن للناس جميع الأمور ولايبين لهم أهم الأمور بعد وفاته وهو خلافته وإمامته لئلا تقع الناس في الفتنة بعده، فلاحظ.

(١) وهي الروايات والنصوص الدالّة على إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فسيأتي ذكرها في الكتاب إن شاء الله تعالى، وسنتعرض هناك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بيّن لنا إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من خلال مئات من الروايات والأحاديث كحديث الغدير وحديث الثقلين وحديث السفينة وحديث المنزلة وغيرها من الأحاديث، فلاحظ.

(٢) وذلك لأنّ الروايات الكثيرة الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وهي تدّل على أنّ بغض الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علامة النفاق كما رواها علماء أهل السنّة، فمنها ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن عدي بن ثابت عن زر قال: قال علي: «والذي فلق

➔

الحبّة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وآله إلى أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق» (صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب حبّ الأنصار والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من الإيمان وعلاماته)، وأخرج أبو يعلى الموصلي بسنده عن فضيل عن أبي نصر عن مساور الحميري عن أمه عن أمّ سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لا يحبّ علياً منافق ولا يبغضه مؤمن» (مسند أبي يعلى الموصلي ج١٢: ص٣٦٢). وأخرج الطبراني في معجمه الأوسط بسنده عن عن ابن عباس قال نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي فقال: «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق من أحبّك فقد أحبّني ومن أبغضك فقد أبغضني، وحبيبي حبيب الله وبغيضي قبل بغيض الله، ويل لمن أبغضك بعدي» (انظر المعجم الأوسط ج٥: ص٨٧). وأخرج ابن عقيل في النصائح الكافية بسنده عن بن خالويه في كتاب الآل عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: «حبّك إيمان وبغضك نفاق، وأوّل من يدخل الجنّة محبّك وأوّل من يدخل النار مبغضك» (النصائح الكافية: ص٩٢). وشاعت هذه الأحاديث عند الصحابة وصاروا يطبّقونها على من أحبّ الإمام عليه السلام فوصفوه بالإيمان وعلى من أبغضه بالنفاق. يقول الصحابي الجليل أبو ذرّ الغفاري: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ بتكذيبهم الله ورسوله والتخلّف عن الصلوات والبغض لعليّ بن أبي طالب (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٩)، وقال الصحابي الكبير جابر بن عبد الله الأنصاري: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ ببغض عليّ بن أبي طالب عليه السلام (انظر الإستيعاب لإبن عبدالبر ج٣: ص١١١٠)، وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام في كتب أهل السنّة. وعليه فإنّ من معاوية ومن تبعه يشملهم قول النبي صلى الله عليه وآله «لا يحبّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق» فهم في زمرة المنافقين بهذه النصوص المتواترة لدى أهل السنّة. فلا شكّ ولا شبهة في أنّ من حارب الإمام عليه السلام أو خذله فهو من المنافقين، ويؤكّد هذا المعنى أنّ المحاربة تنشأ من العداوة والشقاق والبغضاء والضغناء والحقد، وكلها ألفاظ متقاربة في الدلالة، فالعداوة هي التجاوز والتعدّي على الغير والخصومة والمباعدة، قال الله تعالى: ﴿**وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ**

⬅

➔ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة المائدة:٦٤)، وتعتبر هذه الظاهرة إحدى معاجز حياة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، لأن اليهود كانوا الأقوى بين أهل الحجاز والأعرف بمسائل الحرب، بالإضافة إلى ما كانوا يمتلكون من قلاع حصينة وخنادق منيعة، ناهيك عن قدرتهم الماليّة الكبيرة التي كانت لهم عوناً في كلّ صراع، بحيث أن قريشاً كانوا يستمدّون العون منهم، وكان الأوس، والخزرج يسعى كلّ منهما إلى التحالف معهم وكسب صداقتهم ونيل العون منهم في المجال العسكري، لكنّهم فقدوا فجأة قدرتهم المتفوقة - هذه - وطويت صفحة جبروتهم دفعة واحدة، بشكل لم يكن متوقّعاً لديهم، فاضطرّ يهود بني النضير وبني قريظة وبني القينقاع إلى ترك ديارهم، كما استسلم نزلاء قلاع خيبر الحصينة وسكّان فدك من اليهود خاضعين للمسلمين، وحتى أولئك الذين كانوا يقطنون في فيافي الحجاز منهم اضطرّوا إلى الخضوع أمام عظمة الإسلام، فهم بالإضافة إلى عجزهم عن نصرة المشركين اضطرّوا إلى ترك ميدان النزال والصراع. ثم تبين الآية - أيضاً - أن هؤلاء لا يكفّون عن نثر بذور الفتنة والفساد في الأرض فتقول: ويسعون في الأرض فساداً...، وتؤكد أيضاً قائلة: والله لا يحب المفسدين. ويستدلّ من هذا على أن أسلوب المواجهة القرآني لليهود لم يكن يرتكز على أساس عنصري مطلقاً، بل أن المعيار الذي استخدمه القرآن في توجيه النقد إليهم، هو معيار الأعمال التي يمكن أن تصدر من أي جنس وعنصر أو طائفة، وسنلاحظ أنّ جميع ما ذكره القرآن في حقّ اليهود مطابقة لأعداء مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لا سيّما أنّ الروايات تؤكّد على أنّ من حارب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أو خذله فهو في عداد محاربي رسول الله صلى الله عليه وآله ومعناه أنّه أيضاً يكون عدواً لرسول الله صلى الله عليه وآله كاليهود والمشركين، فلاحظ.

ومحاربه ومبغضه ناكب عن الحقّ حتّى يفتري حديث محمد بن مسلمة بأنّ الفتنة غير مضرّة له(١)

---

(١) لا شك أنّ الصحابة أعرف من غيرهم بوجوب نصرة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من غيرهم، حيث أنّ النبي صلى الله عليه وآله قد أمرهم مباشرة بنصرة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبحرب من حاربه عليه السلام، وقد روى علماء أهل السنّة حديث دعاء النبي صلى الله عليه وآله على من خذل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حديث الغدير، فقال صلى الله عليه وآله: «اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله وأعن من أعانه»، رواه الطبراني ورجاله وثقوا وبهذا الطريق نقلاً عن الطبراني ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء ص١١٤، وروى البدخشي في نزل الأبرار ص٢٠ ومفتاح النجا، والشيخ إبراهيم الوصابي الشافعي في الاكتفاء في فضل الأربعة الخلفاء من طريق الطبراني عنه بلفظ السيوطي. وعدّه الجزري في أسني المطالب ص٤ من رواة الحديث. وروى أحمد بن حنبل بسنده عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب وعن زيد بن يثيع قالا: نشد علي الناس في الرحبة: «من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم إلا قام قال؟» فقال: من قبل سعيد ستّة ومن قبل زيد ستّة، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام يوم غدير خمّ: «أليس الله أولى بالمؤمنين؟» قالوا: بلى، قال: «اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١١٨). وروى أيضاً بسنده عن سماك بن عبيد بن الوليد العبسي قال: دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى فحدّثني أنه شهد علياً عليه السلام في الرحبة قال: «أنشد الله رجلاً سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وشهده يوم غدير خم إلا قام، ولا يقوم إلا من قد رآه» فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا: قد رأيناه وسمعناه حيث أخذ بيده يقول: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» فقام إلا ثلاثة لم يقوموا فدعا عليهم فأصابتهم دعوته (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ١ : ص١١٩). وروى أيضاً بسنده عن علي بن زيد عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر فنزلنا بغدير خمّ فنودي فينا ←

➔

الصلاة جامعة وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين، فصلّى الظهر وأخذ بيد علي عليه السلام فقال: «ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال ﷺ: «ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٨١). وروى الهيثمي سنده عن عمرو ذي مر وزيد بن أرقم قالا: خطب رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأعن من أعانه»، قلت لزيد بن أرقم عند الترمذي: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقط رواه الطبراني وأحمد عن زيد وحده باختصار إلا أنه قال في أوله: نزلنا مع رسول الله ﷺ بواد يقال له خم فأمر بالصلاة فصلاها بهجير، قال: فخطب وظلل على رسول الله ﷺ على شجرة من الشمس فقال: «ألستم تعلمون أو ألستم تشهدون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، فذكر نحوه، والبزار وفيه ميمون أبو عبد الله البصري وثقه ابن حبان وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات. وعن أبي الطفيل قال جمع علي الناس في الرحبة ثم قال لهم: «أنشد بالله كلّ امرئ مسلم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ ما قال لمّا قام؟» فقام إليه ثلاثون من الناس، قال أبو نعيم: فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده فقال: «أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: «من كنت مولاه فهذا مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال: فخرجت كأن في نفسي شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: إني سمعت علياً يقول كذا وكذا، قال: فما تنكر قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة. وعن سعيد بن وهب قال: نشد علي عليه السلام الناس فقام خمسة أو ستّة من أصحاب النبي ﷺ فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وعن عمرو بن ذي مر وسعيد بن وهب وعن زيد بن يثيع قالوا: سمعنا علياً يقول: «نشدت الله رجلاً سمع رسول

🡐

➔

الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خمّ لمّا قام»، فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فأخذ صلى الله عليه وآله بيد علي فقال: «من كنت مولاه فهذا مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحبّ من أحبّه وأبغض من يبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله». رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير فطر ابن خليفة وهو ثقة (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١٠٥). وروى النسائي في سننه الكبرى بسنده عن علي بن محمد بن علي قال: حدّثنا خلف قال: حدّثنا إسرائيل قال: حدّثنا أبو إسحاق عن عمرو ذي مر قال: شهدت علياً بالرحبة ينشد أصحاب محمد صلى الله عليه وآله: «أيّكم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خمّ ما قال؟» فقام أناس فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فإن علياً مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحبّ من أحبّه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره» (انظر سنن الكبرى للنسائي ج٥: ص ١٣٦). وروى الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن بشر بن حرب عن جرير قال: شهدنا الموسم في حجّة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهي حجّة الوداع فبلغنا مكاناً يقال له غدير خم، فنادى الصلاة جامعة، فاجتمعنا المهاجرون والأنصار فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسطنا فقال: «أيها الناس بم تشهدون؟» قالوا: نشهد ان لا إله إلا الله، قال: «ثم مه» قالوا: وأن محمداً عبده ورسوله، قال صلى الله عليه وآله: «فمن وليّكم؟» قالوا: الله ورسوله مولانا، قال صلى الله عليه وآله: «من وليّكم؟»، ثم ضرب بيده على عضد علي عليه السلام فأقامه فنزع عضده فأخذ بذراعيه فقال صلى الله عليه وآله: «من يكن الله ورسوله مولياه فإن هذا مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه، اللّهم من أحبّه من الناس فكن له حبيباً ومن أبغضه فكن له مبغضاً، اللّهم إني لا أجد أحداً أستودعه في الأرض بعد العبدين الصالحين غيرك فاقض فيه بالحسنى» قال بشر: قلت: من هذين العبدين الصالحين؟ قال: لا أدري (انظر المعجم الكبير للطبراني ج٢: ص٣٥٨). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام، وعليه فإنّ قوله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم: «واخذل من خذله» يشمل محمّد بن مسلمة الذي قعد عن نصرة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكذلك معاوية يشمله قوله صلى الله عليه وآله: «وعاد من عاداه» وكذلك كلّ

🡐

وهو قد خذل من تجب طاعته عليه وحتّى يفترى حديث "ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم[1]"، فإن قيل المقصود من الفتنة فيه المحنة خاصّة

➔

من حارب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فكيف يمكن الإلتزام بصحّة حديث من قعد عن نصرة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لا يضرّه شيء؟ أليس هذا ردّ على قول الله ورسوله صلى الله عليه وآله؟!!!

(١) فإنّ محمد بن مسلمة الذي قعد عن نصرة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولم يشهد مع الإمام عليه السلام حرب الجمل ولا صفين واعتزل عن نصرة الإمام عليه السلام مضافاً إلى أنّه قد شمله قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللهم اخذل من خذله»، قد فتح المجال للأمويين لجعل الحديث حيث نسبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: "أنّ القاعد خير من القائم". ولكن نسوا أنّ الأحاديث المتواترة التي تدلّ على أنّ معاوية كان من البغاة غير قابل للجمع بين هذه الرواية وما أخرجه البخاري في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ويح عمّار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» (انظر صحيح البخاري ج١: ص١٥ كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المسجد ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين، وصحيح مسلم ج٨: ص١٨٦ كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيتمنّى أن يكون مكان الميت من البلاء)، وفيه صراحة على أنّ معاوية أهل البغي؛ لأنّ الحديث دالّ على أنّ معاوية من الفئة الباغية التي جاءت حكمها في القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ...**﴾ (سورة الحجرات:٩)، فمعاوية بنصّ الحديث الصحيح لدى جميع أهل السنّة وبنصّ القرآن الكريم أهل البغي كما هو ظاهر واضح. وعليه كيف يجوز نسبة حديث

➔

وليس المقصود منها مجهوليّة الحقّ عند الناس حتّى يلزم المناقضة بينه وبين ما دّل على بيانه صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ جميع ما يحتاجون إليه إلى يوم القيامة، وما دّل على إمامة علي عَلَيْهِالسَّلَامُ وما دّل على مجانبه مبغضه وخاذله ومحاربه للحقّ[1].

➔

"القاعد خير من القائم" إلى رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ؟!!! مضافاً إلى أنّ هذا الحديث معارض مع القرآن؛ إذ ينافي قوله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيماً﴾ (سورة النساء:٩٥)؟

(١) لا شك أنّ الفتنة في الأصل من (فتن) على وزن متن، ويقول الراغب في مفرداته: أنها تعني وضع الذهب في النار للكشف عن درجة جودته وأصالته، وقال: البعض أن المعنى هو وضع الذهب في النار لتطهيره من الشوائب (انظر تفسير روح المعاني ج٢: ص٦٥) وقد وردت مفردة الفتنة ومشتقّاتها في القرآن الكريم عشرات المرّات وبمعان مختلفة: فتارة جاءت بمعنى الامتحان مثل: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (سورة العنكبوت:٢)، وتارة وردت بمعنى المكر والخديعة في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ (سورة الأعراف:٢٧)، وتارة بمعنى البلاء والعذاب مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ * ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَـٰذَا ٱلَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (سورة الذاريات:١٣-١٤)، وتارة وردت بمعنى الضلال مثل قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئاً﴾ (سورة المائدة:٤١)، وتارة بمعنى الشرك وعبادة الأوثان أو سدّ طريق الإيمان أمام الناس كما في قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سورة البقرة:١٦٣)، ولكن الظاهر أن جميع هذه المعاني المذكورة للفتنة تعود إلى أصل واحد (كما في أغلب الألفاظ المشتركة)، لأنه مع الأخذ

➔

قيل: سوق نفس الخبر ينافي حملها على المحنة، ومع ذلك كيف يكون القاعد في هذه المحنة خيراً من القائم، وكيف يسوغ القعود عن نصرة إمام الحقّ؟[١]

➔

بنظر الاعتبار أن معنى الأصل هو وضع الذهب في النار لتخليصه من الشوائب فلهذا استعملت في كلّ مورد يكون فيه نوع من الشدّة، مثل الامتحان الذي يقترن عادة بالشدّة ويتزامن مع المشكلات، والعذاب أيضاً نوع آخر من الشدّة، وكذلك المكر والخديعة التي تتّخذ عادة بسبب أنواع الضغوط والشدائد، وكذلك الشرك وإيجاد المانع في طريق إيمان الناس حيث يتضمّن كلّ ذلك نوع من الشدّة والضغط، فإذا قال أحد: أنّ الفتنة في الحديث بمعنى المحنة، لا مجهوليّة الحقّ عند الناس؛ قلنا: إذا كان هذا اللفظ من الألفاظ المشتركة فلابدّ من وجود القرينة المعيّنة في الكلام، وفي المقام أنّ الحديث فيه قرينة واضحة على أنّ المقصود من الفتنة الإمتحان في الدفاع عن إمام زمانه، فالقعود عن الحرب معناه الإعراض عن دفاع من تجب طاعته عليه خذلانه، فبقرينة القعود الذي هو في قبال القيام والحرب يحمل لفظ الفتنة على معنى امتحانه في قبول ولاية مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ومن سوء توفيقه أنّه أعرض عنها، فلاحظ.

(١) فإنّ سياق الحديث قرينة واضحة على تعيين أنّ مراد من كون القاعد في من له التسويغ للقعود عن نصرة امام زمانه، وإن كان ذلك مخالفاً للنصوص القطعيّة من القرآن والسنّة النبوية، فإنّ الحديث الذي أخرجه أبو داود في سننه بسنده عن مسلم بن أبي بكرة عن أبيه قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: إنها ستكون فتنة يكون المضطجع فيها خيراً من الجالس، والجالس خيراً من القائم، والقائم خيراً من الماشي، والماشي خيراً من الساعي؛ قال: يا رسول الله ما تأمرني؟ قال: من كانت له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه؛ قال: فمن لم يكن له شيء من ذلك؟ قال: فليعمد إلى سيفه فليضرب بحدّه على حرة ثم لينجو ما استطاع النجاء (سنن أبي داود ج٢:

➔

وقد عرفت من السنن حال الخاذل لعلي عليه السلام(١)

➔

ص٣٠٣). فالحديث فيه قرينة واضحة على أنّ المقصود من له جواز القعود بقرينة قوله تبارك وتعالى حيث يقول: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾ (سورة آل عمران:١٤٢)، أي هل تظنون أنكم تنالون السعادة والنجاة بمجرد اختياركم لاسم المسلم، أو بمجرّد أنّكم حملتم العقيدة الإسلامية في الفكر دون أن تطبقوا ما يتّبعها من التعاليم؟ لو كان الأمر كذلك لكان هيناً جدّاً، ولكن ليس كذلك حتماً، فإنه ما لم تطبق التعاليم التي تتبع تلك المعتقدات، في واقع الحياة العملية لم ينل أحد من تلك السعادة العظمى شيئاً. وهنا بالذات يجب أن تتميّز الصفوف، ويعرف المجاهدون الصابرون عن غيرهم. فإنّ الجهاد في الإسلام له أهميّة كبرى، حيث اعتبر من الأركان الأساسيّة الّتي قام عليها الدّين ولولاه ما قام للدّين عمود، وما اخضرّ للإسلام عود. وهو يمثّل قمّة العطاء ومنتهى التضحية، حيث يعرّض المرء حياته للخطر، واحتمال الموت أو الخسارة الّتي لا تعوّض، كلّ ذلك في سبيل الله تعالى، ولإعلاء كلمة الإسلام ونشر دين الحقّ في الأرض، وذلك لأنّ الدين الحق مظهر السّلام والمحبّة وسيادة الحقّ والعدل والأمن والاستقرار، كما يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلَاةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾ (سورة الحج:٤١)، وكذلك السنّة النبويّة الشريفة، فإنّ هناك روايات متواترة تدلّ على وجوب الدفاع عن الإمام في عصر وزمان كما سيتّضح ذلك من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى. فكان من الواجب على محمّد بن مسلمة الدفاع عن دين الحقّ وإمام زمانه لنشر معارف الإسلام، ولكنّه خذل إمام زمانه، وشمله قول النبي صلى الله عليه وآله: «اللهم اخذل من خذله»، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات والسنن التي فيها دعاء النبي صلى الله عليه وآله في حديث الغدير المتواتر لدى الفريقين ورواه علماء أهل السنّة بطرق مختلفة، وهو قول النبي صلى الله عليه وآله للإمام

➔

➔

أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في ذيل حديث الغدير، فقال صلى الله عليه وآله: «اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأعن من أعانه»، رواه الطبراني ورجاله وثقوا وبهذا الطريق نقلاً عن الطبراني ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء ص١١٤، وروى البدخشي في نزل الأبرار ص٢٠ ومفتاح النجا، والشيخ إبراهيم الوصابي الشافعي في الاكتفاء في فضل الأربعة الخلفاء من طريق الطبراني عنه بلفظ السيوطي. وعدّه ابن الجزري في أسنى المطالب ص٤ من رواة الحديث. وروى أحمد بن حنبل بسنده عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب وعن زيد بن يثيع قالا: نشد علي الناس في الرحبة: «من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خمّ إلا قام قال» فقال: من قبل سعيد ستّة ومن قبل زيد ستّة فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام يوم غدير خم: «أليس الله أولى بالمؤمنين؟» قالوا: بلى، قال: «اللهم من كنت مولاه فعلى مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١١٨). وروى أيضاً بسنده عن سماك بن عبيد بن الوليد العبسي قال: دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى فحدّثني أنه شهد علياً عليه السلام في الرحبة قال: «أنشد الله رجلاً سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وشهده يوم غدير خم إلا قام ولا يقوم إلا من قد رآه» فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا: قد رأيناه وسمعناه حيث أخذ بيده يقول: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله»، فقام إلا ثلاثة لم يقوموا فدعا عليهم فأصابتهم دعوته (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١١٩). وروى أيضاً بسنده عن علي بن زيد عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر فنزلنا بغدير خمّ فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول الله صلى الله عليه وآله تحت شجرتين فصلّى الظهر وأخذ بيد علي عليه السلام فقال: «ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال صلى الله عليه وآله: «ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد على فقال صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (انظر مسند

⬅

➔

أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٨١)، وروى الهيثمي سنده عن عمرو ذي مر وزيد بن أرقم قالا: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خمّ فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأعن من أعانه»، قلت لزيد بن أرقم عند الترمذي: «من كنت مولاه فعلى مولاه» فقط رواه الطبراني وأحمد عن زيد وحده باختصار إلا أنه قال في أوله: نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بواد يقال له خمّ، فأمر صلى الله عليه وآله بالصلاة، فصلاها بهجير، قال: فخطب وظلل على رسول الله صلى الله عليه وآله على شجرة من الشمس فقال: «ألستم تعلمون أو ألستم تشهدون أنى أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى فذكر نحوه، والبزار وفيه ميمون أبو عبد الله البصري، وثّقه ابن حبان وضعّفه جماعة، وبقية رجاله ثقات. وعن أبي الطفيل قال: جمع علي الناس في الرحبة ثم قال لهم: «أنشد بالله كلّ امرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم ما قال لمّا قام؟» فقام إليه ثلاثون من الناس، قال أبو نعيم: فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده فقال صلى الله عليه وآله: «أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فهذا مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فخرجت كأن في نفسي شيئاً فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: إني سمعت علياً يقول كذا وكذا، قال: فما تنكر قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة. وعن سعيد بن وهب قال نشد علي عليه السلام الناس فقام خمسة أو ستّة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه». رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وعن عمرو بن ذي مر وسعيد بن وهب وعن زيد بن بثيع قالوا: سمعنا علياً يقول: «نشدت الله رجلاً سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم لمّا قام» فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا؟» بلى يا رسول الله، قال: فأخذ بيد علي فقال صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فهذا مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحبّ من أحبّه وأبغض من يبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله»؛ رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير فطر ابن خليفة وهو ثقة (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٩:

➔

وهم إنّما مدحوا محمد بن مسلمة في الخبر لكونه خذل إمامه الذي

←

ص١٠٥). وروى النسائي في سننه الكبرى بسنده عن علي بن محمد بن علي قال: حدّثنا خلف قال: حدّثنا إسرائيل قال: حدّثنا أبو إسحاق عن عمرو ذي مر قال: شهدت علياً بالرحبة ينشد أصحاب محمدصلى الله عليه وآله: «أيّكم سمع رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم ما قال؟» فقام أناس فشهدوا أنّهم سمعوا رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فإن علياً مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحبّ من أحبّه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره» (انظر سنن الكبرى للنسائي ج٥: ص١٣٦). وروى الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن بشر بن حرب عن جرير قال شهدنا الموسم في حجّة مع رسول اللهصلى الله عليه وآله وهي حجّة الوداع فبلغنا مكاناً يقال له غدير خمصلى الله عليه وآله، فنادى الصلاة جامعة فاجتمعنا المهاجرون والأنصار، فقام رسول اللهصلى الله عليه وآله وسطنا، فقالصلى الله عليه وآله: «أيها الناس بم تشهدون؟» قالوا: نشهد ان لا إله إلا الله، قال: «ثم مه»، قالوا: وأن محمداً عبده ورسوله، قالصلى الله عليه وآله: «فمن وليّكم؟» قالوا: الله ورسوله مولانا، قالصلى الله عليه وآله: «من وليّكم؟» ثم ضرب بيده على عضد عليعليه السلام فأقامه فنزع عضده فأخذ بذراعيه فقال: «من يكن الله ورسوله مولياه فإن هذا مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه، اللّهم من أحبّه من الناس فكن له حبيباً ومن أبغضه فكن له مبغضاً، اللّهم إني لا أجد أحداً أستودعه في الأرض بعد العبدين الصالحين غيرك فاقض فيه بالحسنى»، قال بشر: قلت: من هذين العبدين الصالحين؟ قال: لا أدري (انظر المعجم الكبير للطبراني ج٢: ص٣٥٨)، وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام، وعليه فإنّ قولهصلى الله عليه وآله يوم غدير خم: «واخذل من خذله» يشمل محمد بن مسلمة الذي قعد عن نصرة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وكذلك معاوية يشمله قولهصلى الله عليه وآله «وعاد من عاداه» وكذلك كلّ من حارب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ومع هذه الأحاديث المتواترة كيف يمكن الإلتزام بصحّة حديث من قعد عن نصرة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام لا يضرّه شيء أليس هذا ردّ على قول رسولهصلى الله عليه وآله ؟!!!

من صار خارجاً عنه بشبر فقد مات ميتة جاهلية[١]، وقد دعا عليه خير البشرﷺ بأن يخذله الله. وخبر "القاعد فيها خير من القائم" معناه مثل معنى خبر محمّد بن مسلمة فإنّه دلّ على كون الخاذل فيها الجالس عنها على الحقّ[٢]،

(١) وبعبارة أوضح أنّ ما ورد في الحديث من مدح محمد بن مسلمة مناف لما ورد في الحديث المتواتر لدى علماء أهل السنّة، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس عن النبيﷺ قال: «من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية» (صحيح البخاري ج٨: ص٨٧ كتاب الفتن، باب قول النبيﷺ سترون من بعدي أموراً تستنكرونها...)، ورواه مسلم في صحيحه ج٦: ص٢٢ كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع وغيره. والحديث صريح في أنّ محمد بن مسلمة خرج عن سلطان إمام زمانه فتكون ميتته ميتة جاهلية.

(٢) هذه العبارة إشارة إلى قول النبيﷺ في حديث الغدير المتواتر لدى الفريقين ورواه علماء أهل السنّة بطرق مختلفة، وهو قول النبيﷺ للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في ذيل حديث الغدير، فقالﷺ: «اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله وأعن من أعانه»، رواه الطبراني ورجاله وثقوا وبهذا الطريق نقلاً عن الطبراني ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء ص١١٤، وروى البدخشي في نزل الأبرار ص٢٠ ومفتاح النجا، والشيخ إبراهيم الوصابي الشافعي في الاكتفاء في فضل الأربعة الخلفاء من طريق الطبراني عنه بلفظ السيوطي. وعدّه ابن الجزري في أسنى المطالب ص٤ من رواة الحديث. وروى أحمد بن حنبل بسنده عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب وعن زيد بن يثيع قالا: نشد علي الناس في الرحبة: «من سمع رسول اللهﷺ يقول يوم غدير خم إلا قام قال؟» فقال: من قبل سعيد ستّة ومن قبل زيد ستّة فشهدوا أنهم سمعوا رسول اللهﷺ يقول لعليعليه السلام يوم غدير خم: «أليس الله أولى بالمؤمنين؟» قالوا: بلى، قال: «اللّهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» ←

➔

(انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١١٨). وروى أيضاً بسنده عن سماك بن عبيد بن الوليد العبسي، قال: دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى فحدّثني أنه شهد علياًعليه السلام في الرحبة قال: «أنشد الله رجلاً سمع رسول اللهصلى الله عليه وآله وشهده يوم غدير خم إلا قام ولا يقوم إلا من قد رآه»، فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا: قد رأيناه وسمعناه حيث أخذصلى الله عليه وآله بيده يقول: «اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» فقام إلا ثلاثة لم يقوموا فدعا عليهم فاصابتهم دعوته (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١١٩). وروى أيضاً بسنده عن علي بن زيد عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: كنا مع رسول اللهصلى الله عليه وآله في سفر، فنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول اللهصلى الله عليه وآله تحت شجرتين فصلّى الظهر وأخذ بيد علىعليه السلام فقال: «ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أني أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقالصلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فلقيه عمر بعد ذلك، فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٨١). وروى الهيثمي سنده عن عمرو ذي مر وزيد بن أرقم قالا: خطب رسول اللهصلى الله عليه وآله يوم غدير خم، فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأعن من أعانه»، قلت: لزيد بن أرقم عند الترمذي: «من كنت مولاه فعلى مولاه» فقط رواه الطبراني وأحمد عن زيد وحده باختصار إلا أنه قال في أوّله: نزلنا مع رسول اللهصلى الله عليه وآله بواد يقال له خم، فأمر بالصلاة فصلاها بهجير، قال: فخطب وظلل على رسول اللهصلى الله عليه وآله على شجرة من الشمس فقال: «ألستم تعلمون أو ألستم تشهدون أني أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، فذكر نحوه، والبزار وفيه ميمون أبو عبد الله البصري وثّقه ابن حبان وضعّفه جماعة، وبقية رجاله ثقات. وعن أبي الطفيل قال: جمع على الناس في الرحبة ثم قال لهم: «أنشد بالله كلّ امرئ مسلم سمع رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم ما قال لمّا قام؟» فقام إليه ثلاثون من الناس، قال أبو نعيم: فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده فقال: «أتعلمون

➔

➔

أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فهذا مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فخرجت كأن في نفسي شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: إني سمعت علياً يقول كذا وكذا، قال: فما تنكر قد سمعت رسول اللهﷺ يقول ذلك. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة. وعن سعيد بن وهب قال: نشد عليعليه السلام الناس فقام خمسة أو ستّة من أصحاب النبيﷺ فشهدوا أن رسول اللهﷺ قال: «من كنت مولاه فعلى مولاه». رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وعن عمرو بن ذي مر وسعيد بن وهب وعن زيد بن يثيع قالوا: سمعنا علياً يقول: «نشدت الله رجلاً سمع رسول اللهﷺ يقول يوم غدير خمّ لمّا قام»، فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أن رسول اللهﷺ قال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فأخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فهذا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحبّ من أحبّه وأبغض من يبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله». رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير فطر ابن خليفة وهو ثقة (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١٠٥). وروى النسائي في سننه الكبرى بسنده عن علي بن محمد بن علي قال حدثنا خلف قال حدثنا إسرائيل قال حدثنا أبو إسحاق عن عمرو ذي مر قال: شهدت علياً بالرحبة ينشد أصحاب محمدﷺ: أيّكم سمع رسول اللهﷺ يقول يوم غدير خم ما قال؟» فقام أناس فشهدوا أنهم سمعوا رسول اللهﷺ يقول: «من كنت مولاه فإن علياً مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحبّ من أحبّه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره» (انظر سنن الكبرى للنسائي ج٥: ص١٣٦). وروى الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن بشر بن حرب عن جرير، قال: شهدنا الموسم في حجّة مع رسول اللهﷺ وهي حجّة الوداع، فبلغنا مكاناً يقال له غدير خمّ، فنادى الصلاة جامعة، فاجتمعنا المهاجرون والأنصار فقام رسول اللهﷺ وسطنا فقال: «أيّها الناس بم تشهدون؟» قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله قال: «ثم مه»، قالوا: وأن محمداً عبده ورسوله، قالﷺ: «فمن وليّكم؟» قالوا: الله ورسوله مولانا، قال: «من وليّكم؟» ثم ضرب بيده على عضد عليعليه السلام فأقامه فنزع

➔

وهو مناف لمادّل على ميتة الجاهلية لمن ليس في عنقه بيعة وما بمعناه(١)، فتدبّر.

➔

عضده فأخذ بذراعيه فقال: «من يكن الله ورسوله مولياه فإن هذا مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه، اللّهم من أحبّه من الناس فكن له حبيباً ومن أبغضه فكن له مبغضاً، اللّهم إني لا أجد أحداً أستودعه في الأرض بعد العبدين الصالحين غيرك فاقض فيه بالحسنى»، قال بشر: قلت: من هذين العبدين الصالحين؟ قال: لا أدري (انظر المعجم الكبير للطبراني ج٢: ص٣٥٨). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام، وعليه فإنّ قولهﷺ يوم غدير خم: «واخذل من خذله» يشمل محمد بن مسلمة الذي قعد عن نصرة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وكذلك معاوية يشمله قولهﷺ «وعاد من عاداه» وكذلك كلّ من حارب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ومع هذه الأحاديث المتواترة كيف يمكن الإلتزام بصحّة حديث من قعد عن نصرة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام لا يضرّه شيء؟ أليس هذا ردّ على قول رسولهﷺ؟!!!

(١) فإنّ حديث محمد بن مسلمة مناف لما أخرجه علماء الإسلام بعبارات متقاربة من أنّ من لم يعرف إمام زمانه، أو خرج عن بيعة إمام زمانه، أو خرج عن سلطانه فميته ميتة جاهلية، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس عن النبيﷺ قال: من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية (صحيح البخاري ج٨: ص٨٧ كتاب الفتن، باب قول النبيﷺ سترون من بعدي أموراً تستنكرونها...)، ورواه مسلم في صحيحه ج٦: ص٢٢ كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع وغيره.

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة عن النبيﷺ أنه قال: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية» (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢١ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتنة).

وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن عاصم عن أبي صالح عن معاوية قال: قال رسول اللهﷺ:

➔

وثامنها: إنّ ما زعمه من كون الرفضة قولهم في الصحابة لون غير ما ذكر، من أعظم غشّه للغَفَلَة[(١)]؛

➔

«من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٩٦)؛ وإلى غير ذلك من الأحاديث، فهذه الأحاديث تنافي حديث محمد بن مسلمة إذ أنّها صريحة في أن من خرج على إمام زمانه أو خرج عن سلطان زمانه فتكون ميتته ميتة جاهلية.

(١) لا يخفى على الخبير أنّ ما زعمه ابن تيمية من أنّ الشيعة يكفّرون جميع الصحابة ويعادونهم وما شابه ذلك من الدعاوي باطل... لأنّ الخبير يعلم أنّ الشيعة لا تنظر إلى الصحابة بعين واحدة، بل الصحابة عندهم حسب ما جاء في القرآن والسنة النبوية ينقسمون إلى عدّة أقسام، ومن أراد أن يقف على رأي الشيعة في الصحابة فعليه التأمّل فيما يقوله الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في حقّ الصحابة، فيقول الإمامعليه السلام: «أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحقّ؟ أين عمار وأين ابن التيهان وأين ذو الشهادتين وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنيّة وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة؟ أوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبّروا الفرض وأقاموه، أحيوا السنّة وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا ووثقوا بالقائد فاتّبعوه» (انظر نهج البلاغة: الخطبة رقم١٨٢). هذه العبارات إشارة إلى أنّ جمع كبير من الصحابة كانوا ملتزمين طريق الحقّ ووصفهم الإمامعليه السلام بصفات تفيد عظمة مقامهم في العلم والعمل والمعرفة وحفظ الدين والجهاد وطاعة إمامهم، فقد كانوا على بصيرة بالقرآن والسنّة النبويّة الشريفة، كما كانوا على علم بالواجبات وإحياء السنن الإلهيّة وإماتة البدع، كما كانوا من أهل الإيثار والتضحية حين الجهاد. وفي الحقيقة أنّ الإمامعليه السلام أراد أن يعرّف الصحابة المؤمنين منهم بأوصاف مميزة عمّن لا يتصف بهذه الصفات، وهو من الصحابة أيضاً، وهذا الرأي الوسط الذي يدعمه القرآن الكريم وسنّة النبيصلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرينعليهم السلام، فما ذكره الإمامعليه السلام في خطبته الشريفة، واقع حال هؤلاء الصحابة وما أثر لنا من سيرتهم وحياتهم. يقول السيد عبد الحسين شرف الدين الموسويقدس سره: "إن من

➔

➔

وقف على رأينا في الصحابة علم أنه أوسط الآراء إذ لم نفرّط فيه تفريط الغلاة الذين كفّروهم جميعاً، ولا أفرطنا إفراط الجمهور الذين وثقوهم أجمعين، فإن الكامليّة ومن كان في الغلوّ على شاكلتهم قالوا بكفر الصحابة كافّة، وقال أهل السنّة بعدالة كلّ فرد ممّن سمع النبيﷺ أو رآه من المسلمين مطلقاً واحتجّوا بحديث كلّ من دبّ أو درج منهم أجمعين أكتعين أبصعين، أما نحن فإن الصحبة بمجرّدها وإن كانت عندنا فضيلة جليلة لكنّها بما هي من حيث هي غير عاصمة، فالصحابة كغيرهم منهم العدول وهم عظماؤهم وأولياء هؤلاء، ومنهم البغاة ومنهم أهل الجرائم من المنافقين، وفيهم مجهول الحال، فنحن نحتجّ بعدولهم ونتولاهم في الدنيا والآخرة، أمّا البغاة على الوصي أخي النبيﷺ وسائر أهل الجرائم والعظائم كابن هند وابن النابغة وابن الزرقاء وابن عقبة وابن أرطأة وأمثالهم فلا كرامة لهم ولا وزن لحديثهم، ومجهول الحال نتوقف فيه حتّى يتبيّن أمره..." (انظر أجوبة مسائل جار الله: ص١٤–١٥). فالشيعة يرون أن الصحابة لم يكونوا على درجة واحدة من الإيمان والعدالة، وهم معرضون للجرح والنقد مستندين في ذلك إلى أدلة دامغة من الكتاب الكريم والسنّة المطهّرة، وأمّا ما يفترى به على الشيعة بأنّهم يكفّرون جميع الصحابة ما هو إلا كذب صارخ، كما لا يخفى ذلك على الخبير. فنقد الصحابي لا يعني تكفيراً له كما يشيع بعض السخفاء، وإذا كان ذلك النقد مبني على الأدلة المقنعة، فلماذا الغضب وكلّ هذه الضجة؟!!!

ففي الصحابة مؤمنين أثنى الله عليهم في القرآن الكريم بقوله: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيباً**﴾ (سورة الفتح:١٨)، فإن الله تبارك وتعالى قد خصّ الثناء بالمؤمنين من الصحابة فقط ممّن حضروا بيعة الشجرة، ولا تشمل المنافقين الذين حضروها مثل عبد الله بن أبي وأوس بن خولي، فلا دلالة للآية على كل من بايع، ولا تدلّ على حسن خاتمة أمر جميع المبايعين المؤمنين؛ فالآية لا تدلّ على أكثر من أن الله تعالى رضي عنهم بيعتهم هذه – أي قبلها منهم – ويثيبهم عليها، فرضى الله عن أهل هذه البيعة ليس

➔

➔

مستلزماً لرضاه عنهم إلى الأبد، والدليل على ذلك قوله تعالى بشأنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً﴾ (سورة الفتح:١٠)، فلو لم يجز أن يكون من المبايعين من ينكث بيعته وكان رضا الله عنهم إلى الأبد، لما كانت هناك فائدة لقوله تعالى: فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، وفي الصحابة من أخبر الرسولﷺ بردتهم بعد وفاته، ومن ثم هلاكهم يوم القيامة من خلال الحديث التالي الذي أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن سهل بن سعد قال: سمعت النبيﷺ يقول: «أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، ليرد علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم». قال: لسمعته يزيد فيه، قال: «إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي» (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٨٧ كتاب الفتن، باب قول النبيﷺ سترون بعدي أموراً تنكرونها). وأخرج في صحيحه أيضاً بسنده عن أبو عوانة عن مغيرة عن أبي وائل قال قال عبد الله: قال النبيﷺ: «أنا فرطكم على الحوض ليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي رب أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك» (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٨٧ كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وما كان النبيﷺ يحذر من الفتن). وتأكيداً للحديثين السابقين واللذان يشيران إلى الأحداث والتبديل، فإنّ الرسولﷺ يشبّههم بأمم اليهود والنصارى الذين حرّفوا الكلم عن مواضعه، فعن أبي سعيد الخدري أن النبيﷺ قال: «لتتبعنّ سنن من كان قبلكم شبراً شبراً، وذراعاً ذراعاً، حتّى لو دخلوا جحر ضبّ تبعتموهم». قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قالﷺ: «فمن؟» (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٥١ كتاب الإعتصام بالكتاب والسنّة، باب قول النبيﷺ لتتبعنّ سنن من كان قبلكم) وإلى غير ذلك من الآيات والروايات الصحيحة عند أهل السنّة والجماعة التي تذمّ الصحابة.

فإنّه قد جعل الصحابة قوماً منزهين عن مخالفة الشريعة، فمن ذمّ بعضهم يصير فاسقاً[(١)]،

(١) لا يخفى أنّ قصّة تنزيه الصحابة معروف بين علماء أهل السنّة، وعلى حدّ زعم ابن تيمية أنّه يجب على جميع المسلمين الإعتقاد بنزاهة الصحابة جميعاً؛ فمن قدح فيهم ولو بدليل وحجّة شرعيّة فهو فاسق، ولكن بطلان زعمه أوضح من أن يخفى؛ لأنّ القول بنزاهة الصحابة جمعاء مخالف للكتاب والسنّة النبويّة، وقول الشيعة الإمامية في الصحابة واضح، فإنّهم يقولون: أنّ الصحابة لهم اختلاف المراتب والمنازل كساير الناس، فليس الصحابة سواء في المراتب والمنازل، فمنهم من أثنى عليه الله تعالى في كتابه، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، ووصف آخرين بالانحراف والضلال، فالقرآن الكريم يكشف حقائق بعض الصحابة فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة التوبة:٣٨-٣٩)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة المائدة:٥٤)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة الأنفال:٢٧-٢٨)، وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الأنفال:٢٤-٢٥) وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً
←

➔
* إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ...﴾ (سورة الأحزاب:٩-١٢)، وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة الصف:٢-٣)، وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (سورة الحديد:١٦)، وقال الله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ * بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة الحجرات:١٧)، وإلى غير ذلك من الآيات كما أنّ السنّة النبوية الشريفة تكشف الغطاء عن هذه الحقيقة. وكلّ ما في الأمر من كلام الشيعة أنّ الصحبة لا تكون عاصمة لصاحبها من الخطأ، فمن الصحابة من يكون من الصدّيقين، ومنهم الذين تشتاق إليهم الجنّة، ومنهم المنافقين، ومنهم من انقلب على عقبيه وارتدّ عن الإسلام كما ورد في حديث الحوض المتّفق عليه بين جميع المسلمين؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي عوانة عن مغيرة عن أبي وائل قال: قال عبد الله: قال النبيﷺ: «أنا فرطكم على الحوض ليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول: أي ربّ أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك» (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٨٦ كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وما كان النبيﷺ يحذر من الفتن). وأخرج بسنده عن يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال: سمعت سهل بن سعد يقول: سمعت النبيﷺ يقول: «أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه ومن شرب منه لم يضمأ بعده أبداً ليرد علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم... فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي» (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٨٧ كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى واتّقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم
➔

فأين ما دلّ على أنّ الصحابة على قسمين: بطانة خير وبطانة شرّ حسبما نطقت بذلك نبذة من السنن الصحيحة الثابتة في الصحيحين وغيرهما[(١)]

➔

خاصّة وما كان النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآله يحذر من الفتن). فالصحابة لهم منازل مختلفة وليس هم في منزلة واحدة ومن ذمّهم بحسب الأدّلة فلا يصير كافراً ولا فاسقاً، بل عمل بالقرآن والسنّة النبويّة الشريفة، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام يقتضي أن نسلّط الضوء على رواية بطانة التي أخرجها كبار علماء أهل السنة، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآله قال: «ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشرّ وتحضه عليه فالمعصوم من عصم الله تعالى» (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٢١ كتاب الأحكام، باب بطانة الإمام وأهل مشورته). وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن عن أبي هريرة قال: قال رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآله: «ما من نبي ولا وال إلا وله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وبطانة لا تألوه خبالاً ومن وقى شرّهما فقد وقى وهو مع التي تغلب عليه منهم» (مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٢٣٧). وأخرج النسائي بسنده عن أبي أيوب أنه قال سمعت رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآله يقول: «ما بعث من نبي ولا كان بعده من خليفة إلا وله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وبطانة لا تألوه خبالاً فمن وقى بطانة السوء فقد وقى وزير الامام» (انظر سنن النسائي ج٧: ص١٥٩). وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن فقال رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآله: «إن الله تعالى لم يبعث نبياً ولا خليفة إلا وله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وبطانة لا تألوه خبالاً من يوق بطانة السوء فقد وفي»؛ هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرج (المستدرك على الصحيحين ج٤: ص١٣١). وأخرج البيهقي بسنده عن عن أبي سلمة عن أبي أيوب أنه قال: سمعت نبي اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآله يقول: «ما بعث الله من نبي ولا كان بعده خليفة إلا له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وبطانة لا تألوه خبالا

➔

➔

فمن وقى بطانة السوء فقد وقى» (سنن البيهقي ج١٠: ص١١١). وغيرهم من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد من علماء أهل السنّة، فهذه الأحاديث فيها دلالة واضحة على أن الصحابة كانوا على قسمين: قسم فيهم بطانة تحضهم بالمعروف، وقسم فيهم بطانة تأمرهم بالشرّ وتحضّهم عليه، وإذا أردنا التوسع في هذا الموضوع لازددنا يقيناً بأن بعض الصحابة كانوا يشيرون على رسول الله صلى الله عليه وآله بغير المعروف ومثال ذلك ما أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد بسنده عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام وقدحكم ابن جرير بصحّته، قال عليه السلام: جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله أناس من قريش فقالوا: يا محمد، إنا جيرانك وحلفاؤك وإن أناساً من غلماننا قد أتوك ليس بهم رغبة في الإسلام ولا رغبة في الفقه إنما فرّوا من ضياعنا، فقال النبي صلى الله عليه وآله لأبي بكر: «ما تقول؟» قال: صدقوا إنهم جيرانك وحلفاؤك، فتغيّر وجه النبي صلى الله عليه وآله بما أشار به، ثم قال صلى الله عليه وآله لعمر: «ما تقول؟» قال: صدقوا إنهم جيرانك وحلفاؤك، فتغيّر وجه النبي صلى الله عليه وآله بما أشار به هو الآخر عليه (انظر تاريخ بغداد ج١: ص١٣٣). وهذه القصة هي مصداق لحديث البطانتين والذي أشار به أبو بكر وعمر لم يكن من الخير ولا من المعروف وإلا لما تغير وجه النبي صلى الله عليه وآله كما أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ومسلم في صحيحه قال سمعت عمر يقول: قسم رسول الله صلى الله عليه وآله قسمة، فقلت: يا رسول الله لغير هؤلاء أحقّ منهم، أهل الصفة، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّكم تسألوني بالفحش، وتبخلوني ولست بباخل» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٢٠)؛ وهذه القصة صريحة في أن عمر بن الخطاب ليس من البطانة التي تأمر بالمعروف وتحضّ عليه بل هو من الذين يسألون بالفحش ويأمرون بالبخل على ما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وآله فالصحبة ليست ميزة في ذاتها، بقدر ما هي مرهونة بما يقدمه الصحابي من عمل صالح، فصريح هذه النصوص أنّ لكل صحابي بطانتان بطانة تدعوهم إلى الخير وتحضّهم عليه، وبطانة تدعوهم إلى الشرّ وتحضّهم عليه، والمعصوم من عصمه الله. وعليه فلا معنى لتنزيه الصحابة جمعاء؛ لأنّ الأدلة المعتبرة عندهم صريحة في وجود بطانة الشرّ فيهم، وهي تدعو إلى الشرّ كما هو صريح الحديث، فلاحظ.

المطابقة لقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً....﴾[1]،

---

(١) سورة آل عمران:١٤٤، هذه الآية الكريمة تبيّن حقيقة هامّة، وهي أنّ الإسلام لا يكون قائماً على فرد أو قوم، حتّى إذا قتل النبيﷺ ونال الشهادة، فلا ينتهي كل شيء ولا يسقط واجب الجهاد والنضال عن كاهل المسلمين، بل إنّ هذا الواجب مستمر، وعليهم أن يواصلوه؛ لأنّ الإسلام هو الدين الحقّ الذي أنزل ليبقى خالداً إلى الأبد، وإنّ ارتباط الحركة أو الدين بشخص معيّن حتّى لو كان ذلك هو النبي الخاتمﷺ معناه توقّف كلّ الفعّاليات وكل تقدّم بفقدانه وغيابه عن الساحة، وهذا النوع من الارتباط هو أحد علائم النقص في الرشد الاجتماعي، وإنّ تركيز النبيﷺ وإصراره على مكافحة تقديس الفرد وعبادة الشخصية آية أخرى من آيات صدقه، ودليلاً آخر يدلّ على حقانيّته، لأنّ قيامه ودعوته لو كان لنفسه وبهدف تحقيق مصالحه الشخصية للزم أن يعمق في الأذهان والقلوب هذه الفكرة، وكانت الدعوة مرتبطة بشخصه، بحيث إذا غاب عنهم ذهب وانتهى كل شيء، ولكن القادة الصادقين كالنبي الأكرمﷺ لا يفعلون مثل هذا أبداً، ولا يشجعون على مثل هذه الأفكار، بل يكافحونها بقوّة، ويقولون: إنّ أهدافنا أعلى من أشخاصنا وهي لا تنتهي بموتنا وبغيابنا، ولهذا يقول القرآن الكريم: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ**﴾ (سورة آل عمران:١٤٤)، فالآية صريحة في أن الدين لا ينتهي بغياب الأنبياءعليهم السلام ولا بغياب النبي الأكرمﷺ. والجدير بالذكر أنّ القرآن استخدم للتعبير عن الردّة إلى الجاهلية كلمة انقلبتم على أعقابكم، والأعقاب جمع عقب على وزان خشن بمعنى مؤخّرة القدم، فهو تعبير موح يصوّر التراجع إلى الوراء والارتداد الواقعي، وهو أكثر إيحاءاً وأقوى تصويراً من لفظة الردّة والرجوع والعودة، لأنّه بمعنى السير القهقري. ثم إنه سبحانه يقول: ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً، يعني أن العودة إلى الكفر والوثنية تضرّكم أنتم دون الله سبحانه، لأنّ أمثال هذا التراجع لا يعني سوى توقّفكم في طريق الخير والسعي نحو ←

وخبر الحوض[1]،

السعادة الكاملة، بل فقدان كلّ ما حصلتموه من العزّة والكرامة والمجد بسرعة.

ثم إنه لما كان هناك - في معركة أحد - أقليّة استمرّت على جهادها رغم الصعوبات، وانتشار الخبر المفجع عن مقتل الرسول صلى الله عليه وآله، كان من الطبيعي أن ينال صمودهم هذا وثباتهم التقدير اللائق، ولهذا قال سبحانه: وسيجزي الله الشاكرين، وبذلك مدح القرآن الكريم استقامتهم وصمودهم، ووصفهم بالشاكرين لأنهم أحسنوا الاستفادة والانتفاع بالنعم في سبيل الله، وهذا أفضل مصاديق الشكر. إن الدرس الذي تعطيه هذه الآية في مكافحة عبادة الشخصيّة وتقديس الفرد هو أبلغ وأفضل درس لجميع المسلمين في جميع العصور والأزمنة، فعليهم جميعاً أن يتعلّموا من القرآن أن لا يربطوا القضايا الإستراتيجية والأهداف العليا والمصيرية بالأشخاص، بل لا بدّ أن يلتفوا حول الأسس والمبادئ الخالدة التي لا تفنى ولا تتغيّر، ولا تتأثّر بتغيّر الأشخاص أو غيابهم عن الساحة بسبب الموت أو القتل حتّى لو كان ذلك هو النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، لكيلا تتوقّف عجلة المسيرة عن الحركة، ولا يتعطّل دولاب العمل عن الدوران، بل إن ذلك هو رمز الخلود في أي مبدأ وحركة أساساً، وعليه فلا يصحّ تقديس الصحابة بطريق أولى.

(١) إنّ حديث الحوض من أحاديث التي أخرجها جميع المحدّثين من أهل السنّة بطرق متعددة وألفاظ مختلفة في صحاحهم ومسانيدهم، ولا يتطرّق إليه الشكّ؛ فقد أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إنكم تحشرون حفاة عراة، وإنّ أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات اليمين وذات الشمال، فأقول: أصحابي أصحابي، فيقول: إنّهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص ١١٠ كتاب يدء الخلق، باب قول الله عزّ وجلّ: واتّخذ الله ابراهيم خليلاً....، وج٤: ص١٤٢، كتاب بدء الخلق، باب واذكر في كتاب مريم إذ انتبذت من أهلها.....). ورواه مسلم في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «ليردن علي الحوض رجال ممّن صاحبني

➔

حتى إذا رأيتهم ورفعوا إلي اختلجوا دوني فلأقولن: أي رب أصيحابي أصيحابي، فليقالنّ لي: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص٧١ كتاب الفضائل باب اثبات حوض نبيّنا).

وأخرج البخاري أيضاً في صحيحه بسنده عن المغيرة بن النعمان، قال: سمعت سعيد بن جبيرعن ابن عباس، قال: خطب رسولﷺ فقال: «يا أيها الناس انّكم محشورون إلى الله حفاة عراة غُرْلاً، ثم قال: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ (إلى آخر الآية))، ثم قالﷺ: «ألا وإنّ أوّل الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنّه يجاء برجال من أمّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصيحابي، فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿**وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ**﴾، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم» (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١٩٢ كتاب التفسير، باب وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم).

وأخرج البخاري أيضاً في صحيحه بسنده عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة انه كان يحدث أنّ رسول اللهﷺ قال: «يرد على يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدّوا على أدبارهم القهقري» (انظر صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٨ كتاب الرقاق، باب وفي الحوض قول الله إنّا أعطيناك الكوثر). فهذه الأحاديث وغيرها صريحةٌ جداً، وواضحةٌ الدلالة، فلا تقبل التأويل، حيث فيها، قولهﷺ: أصحابي، أو قولهﷺ: فأقول: يا رب أصحابي، فلا إشكال في حملها على من صحبهﷺ، كما لا إشكال في معنى المبدّلين من بعد النبيﷺ والمحدثين في الدين، فإنّ معناه واضح، حيث أنّ المقصود به: هوالتحريف في الدين والشريعة المقدّسة، فلا إشكال في حملها على ارتداد الصحابة، وهذا هو الذي يقتضيه الظهور للعبارات المذكورة، ولا يمكن لأحد أن يوجّه هذه الأحاديث حسب مشتهاه النفسي، فلاحظ.

وغيره[١].

---

(١) وذلك كحديث «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»، وهو من الأحاديث الذي رواه الفريقين بطرق عديدة وأسانيد صحيحة ومضامين متعدّدة عن النبي الأكرمﷺ، فقد روى هذا الحديث بهذا اللفظ من علماء أهل السنّة التفتازاني في شرح المقاصد ج٢: ص٢٧٥ وجعله لدة قوله تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأولي الأمر منكم**﴾ في المفاد. وبهذا اللفظ ذكره التفتازاني أيضاً في شرح عقائد النسفي المطبوع سنة ١٣٠٢ غير أن يد الطبع الأمينة على ودايع العلم والدين حرفت من الكتاب في طبع سنة ١٣١٣ سبع صحائف يوجد فيها هذا الحديث. وحكاه الشيخ علي القاري صاحب المرقاة في خاتمة الجواهر المضية ج٢: ص٥٠٩، وقال في ص٤٥٧: وقولهﷺ في صحيح مسلم «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية». معناه من لم يعرف من يجب عليه الاقتداء والاهتداء به في أوانه.

وروى أحمد بن حنبل بسنده عن عاصم بن أبي صالح عن معاوية عن النبيﷺ قال: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٩٦).

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن عبدالله بن عمرعن النبيﷺ قال: «ومن مات وليس في عنقه بيعة» (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢٢ كتاب الإمارة، باب حكم من فرق بين المسلمين)، وما هو قريب من هذه المضامين والمعنى واحد؛ إذ الخروج عن طاعة الإمام الذي تجب طاعته، أو عدم الدخول في طاعة الإمام الذي هو واجب الطاعة نتيجتهما واحدة، حيث جاء في جميعها أنّه إذا مات كانت ميتته ميتة جاهلية والكفر، وسوف نتناول الحديث ونذكر النقاط التي تترتّب على المضامين المذكورة. فإنّ أوّل أمر يواجهنا في هذا الحديث هو الأثر المترتّب على عدم المعرفة، وهو أن تكون النتيجة ميتة الجاهلية أي أن هذا الانسان مدرج في الذي لم يشم رائحة الإسلام في الآخرة وبحسب الواقع، ويكأن الرواية الشريفة تعطي مفاد الآية: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**﴾ فإنّ الدين الكامل الذي فيه رضاء الربّ متوقّف

←

وقد تحقّق ذلك بانحيازهم عن إمامهم وبيعتهم لغيره حسبما مضى بيان ذلك[١]،

على الأمر الذي بلّغها الرسول الأعظمﷺ يوم غدير خم وهو أمر الإمامة فإنّ بها يتمّ الدين والإسلام كمجموع متكامل وكلّ شيء مرهون به، وقبله لم يكن رضا، ولذلك قال عزّ من قائل: ﴿وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، وكلّ هذه الأمور تؤكد على أنّ مضمون هذا الحديث فيه دلالة قطعيّة على من أن المعرفة والاعتقاد بالإمامة دخيل في أصل الدين والتديّن بالإسلام بحسب الواقع والآخرة.

وأمّا الشرط المذكور في الرواية حيث أنه مطلق غير مقيّد بشيء بل هو المعرفة المطلقة ممّا يدلّل على أن المطلوب العمدة هو أمر اعتقادي، فليس المطلوب الأهم المتابعة في الفروع ولا المتابعة السياسيّة بل المتابعة الاعتقادية والمعرفة والتديّن والائتمام، وهل يعقل ترتّب مثل هذه النتيجة وهي الموت ميتة الجاهلية على مجرد عدم المتابعة في الفروع، بل الأمر أهمّ وأكبر وهو محور اعتقادي المعرفة والاعتقاد، ولو فرض المتابعة السياسيّة المصطلح عليه بالولاء السياسي والمتابعة في الفروع والأخذ من الإمام المنصوب أحكام الفروع من دون المتابعة الاعتقادية المصطلح عليه بالولاء الاعتقادي المعرفي لما تحقق أصل التديّن بالإسلام بحسب عالم الآخرة والواقع. وعليه فإن الرواية مطلقة من حيث الزمان والمكان، فهذا اللسان عام وشامل لكلّ الافراد في جميع الأزمنة، فيدلّ على أنّ النجاة من النار إنّما يكون منحصراً في الاعتقاد بإمامة إمام الحق. فالحديث يدلّ على أنّ الصحابة ليس كلّهم من أهل الجنّة حيث أنّهم اختلفوا في الإمامة بعد رسول اللهﷺ كما هو ظاهر واضح، فلاحظ.

(١) من الثابت تأريخياً أنّ أوّل مسألة اختلف المسلمون فيها هي مسألة الإمامة فقد حدث الخلاف بين المسلمين في سقيفة بني ساعدة في من يتولّى شؤون الإمامة والخلافة، وجسد الرسولﷺ الطاهر لما يزل مسجى. وهذا الصراع ما كان له أن يحدث، وما كان

➔
لتلك الفرقة التي شقّت صف الأمة على امتداد الأجيال، وأغرقتها بالمواجهة الدمويّة أن تقع بهذا الشكل الذي حدث، لو أنّ المسلمين تمسّكوا بما صدر عن النبيصلى الله عليه وآله من بيان وتشخيص في هذه المسألة لما وقعوا في الإختلاف والشقاق. فأوّل مسألة خلافية واجهت المسلمين بعد وفاة رسول اللهصلى الله عليه وآله هي مسألة الإمامة، ولمّا كانت الإمامة عند الشيعة يتّصل بشكل وثيق بالتعيين الإلهي، فقد كانت العقيدة في الإمامة عندهم بالنصّ من قبل الله عزّ وجلّ، وليست هي بالاختيار والانتخاب من الناس، بل الله سبحانه قد اختار عدداً محدداً من الأئمة، وأنّه قد سماهم بالاسم ونصّ عليهم بشكل واضح وصريح، كما ويعتقد الشيعة الإمامية أن الرسولصلى الله عليه وآله قد نصّ في العديد من المواقف على إمامة مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وأحد عشر رجلاً من أولاده المعصومينعليهم السلام، وأنّهصلى الله عليه وآله قد أمر عموم المسلمين بذلك في غدير خم عقب الانتهاء من مراسم حجّة الوداع، حيث قال لهمصلى الله عليه وآله وقتها: «من كنت مولاه، فهذا علي مولاه»، وقد نقل المسلمون كافّة هذا الحديث نقلاً متواتراً من الصحابة والتابعين وما بعدهم بطرق عديدة، وقد صنّفوا في إثبات طرقه رسالات مستقلّة من الشيعة وأهل السنّة. ورغم ذلك فقد أنكر ذلك أهل السقيفة ومن اتّبعهم، فهم يقولون: أنّ الإمامة هي الخلافة الظاهريّة ورئاسة الحكومة والإمارة، وهي تَثْبُت لمن يقوم مقام النبيّصلى الله عليه وآله حتّى ولو لم ينصبه النبيّصلى الله عليه وآله.

فالشيعة يعطون لمنصب الإمامة دوراً أكبر دينياً ممّا يعطيه أهل السنّة للخلافة، فمهمّة الإمام الأساسيّة استخلاف النبيصلى الله عليه وآله، في وظائفه من هداية البشر، وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة. فالإمام هو الذي يفسّر لهم القرآن، ويبيّن لهم المعارف والأحكام، ويشرح لهم مقاصد الشريعة، ويصون الدين من التحريف والتدليس، وله الولاية العامّة على الناس في تدبير شؤونهم ومصالحهم، وإقامة العدل بينهم وصيانتهم من التفرقة والاختلاف.

وتعدّ الإمامة - عند الشيعة الإمامية - رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن النبيصلى الله عليه وآله، ومن ثم فإن الناس متى كان لهم رئيس منبسط اليد، قاهر
➔

فمن زعم إمامة من تقدّم على علي عليه السلام ومات على زعمه فقد صار خارجاً من السلطان وميّتاً وليس في عنقه بيعة، فموته ميتة جاهلية[١]؛

➔

عادل، يردع المعاندين، ويقمع المتغلّبين، وينتصف للمظلومين من الظالمين، اتسقت الأمور، وسكنت الفتن، وردّت المعائش، وكان الناس- مع وجوده- إلى الصلاح أقرب، ومن الفساد أبعد، ومتى خلوا من رئيس – صفته ما ذكرناه – تكدّرت معايشهم وتغلب القوي على الضعيف، وانهمكوا في المعاصي، ووقع الهرج والمرج، وكانوا إلى الفساد أقرب، ومن الصلاح أبعد، وهذا أمر لازم لكمال العقل، حسب معتقدهم .

(١) هذه العبارة إشارة إلى مدلول الحديث الذي رواه الفريقين بطرق عديدة وأسانيد صحيحة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فقد روى أحمد بن حنبل بسنده عن عاصم بن أبي صالح عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٩٦).

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن عبدالله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «ومن مات وليس في عنقه بيعة» (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢٢ كتاب الإمارة، باب حكم من فرق بين المسلمين)، وما هو قريب من هذه المضامين والمعنى واحد؛ إذ الخروج عن طاعة الإمام الذي تجب طاعته، أو عدم الدخول في طاعة الإمام الذي هو واجب الطاعة نتيجتهما واحدة، حيث أنّه إذا مات كانت ميتته ميتة جاهلية والكفر، وسوف نتناول الحديث ونذكر النقاط التي تترتّب على المضامين المذكورة.

وأخرج التفتازاني في شرح المقاصد هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»، وهو من الأحاديث (انظر شرح المقاصد للتفتازاني ج٢: ص٢٧٥) وقد جعله لدة قوله تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ في المفاد. وبهذا اللفظ ذكره التفتازاني أيضاً في شرح عقائد النسفي المطبوع سنة ١٣٠٢ غير أن يد الطبع الأمينة على ودايع العلم والدين حرفت من الكتاب في طبع سنة

➔

من حيث عدم عصمته بالثقلين الفرقان العظيم وعترة المصطفى عليهم السلام الذين من يعتصم بهما بعده لن يضل[1]،

➔

١٣١٣ سبع صحائف يوجد فيها هذا الحديث. وحكاه الشيخ علي القاري صاحب المرقاة في خاتمة الجواهر المضية ج٢: ص٥٠٩، وقال في ص٤٥٧: وقوله عليه السلام في صحيح مسلم: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية». معناه من لم يعرف من يجب عليه الاقتداء والاهتداء به في أوانه. وعليه فإن الرواية مطلقة من حيث الزمان والمكان فهذا اللسان عام وشامل لكل الأفراد في جميع الأزمنة، ممّا يدلّل على أنّ النجاة من النار إنّما يكون منحصراً في الاعتقاد بإمامة إمام الحق. فهذا الحديث يدلّ على أنّ من ليس له الإمام سواء كان من الصحابة أو غيرهم إذا مات كانت ميتته ميتة جاهلية وكفر، ومن الواضح لدى الخبير أنّ الصحابة اختلفوا في الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وكثيراً منهم لم يبايعوا إمام الحقّ وقد ماتوا على تلك الحالة فميتتهم ميتة جاهليّة، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى مدلول حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين الشيعة وأهل السنّة، وقد رواه علماء أهل السنّة في كتبهم بطرق عديدة، قال ابن حجر: ثم اعلم أن لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً... (انظر الصواعق المحرقة: ص١٣٦). وقال السخاوي: إنّ حديث الثقلين مرويّ عن أبي سعيد الخدري وزيد بن الأرقم وجابر وحذيفة بن أسيد الغفاري وخزيمة بن ثابت وسهيل بن سعد وضمرة بن أبي ليلى وعبد الثرى بن عوف وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعدي بن حاتم وعقبة بن عامر وأبي ذر وأبي رافع وأبي تسريح الخزاعي وأبي قدامة الأنصاري وأبي هريرة وأبي الهيثم وأمّ سلمة وأمّ هاني بنت أبي طالب ورجال من قريش... (استجلاب ارتقاء الغرف للسخاوي: ص٤٠ مخطوط). وقد رواه أصحاب الصحاح والمسانيد بأسانيد صحيحة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علي الحوض»،

➔

➔

وقد أفرد العلامة ميرحامد حسين اللكهنوي لهذا الحديث جزئين من كتابه عبقات الأنوار من طرق علماء السنّة عن خمسة وثلاثين من الصحابة عن النبي ﷺ وما لا يقل عن ثلاثمائة عالم من كبار علماء أهل السنّة، في مختلف العلوم والفنون، وفي جميع الأعصار والقرون، بألفاظ مختلفة وأسانيد متعدّدة، وفيهم أرباب الصحاح والمسانيد وأئمة الحديث والتفسير والتاريخ. فهو حديث صحيح متواتر بين المسلمين (انظر خلاصة عبقات الأنوار ج٢: ص٣). ومن الطبيعي أنّه لا يسعنا المجال لاستقصاء هذا العدد الكبير من الروايات في المقام، فالباحث لو راجع الجوامع الحديثيّة لحصل له القطع واليقين بصدور الحديث عن النبي الأكرم ﷺ، فلا يمكن إنكاره، ثم يجب على كلّ باحث أن يدرس معطياته بصورة واعية لأنّ أهميّة الدراية تفوق الرواية. ونحن نذكر هنا بعض متون الحديث ثم نشير إلى دلالته إجمالاً، فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عن عطيّة عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علي الحوض» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص١٤). وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن سليمان الأعمش قال ثنا حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: لمّا رجع رسول الله ﷺ من حجّة الوداع ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقممن فقال: «كأني قد دعيت فأجبت إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله تعالى وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض» ثم قال: «إنّ الله عزّ وجلّ مولاي وأنا مولى كلّ مؤمن» ثم أخذ بيد علي عليه السلام فقال: «من كنت مولاه فهذا وليّه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه»، وذكر الحديث بطوله، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٠٩). وأخرج الدارمي في سننه بسنده عن عن زيد بن أرقم قال قام رسول الله ﷺ يوماً خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «يا أيّها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي تارك فيكم الثقلين أو لهما كتاب الله

➔

➔

فيه الهدى والنور، فتمسّكوا بكتاب الله وخذوا به» فحث عليه ورغب فيه ثم قال: «وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي» ثلاث مرّات (انظر سنن الدارمي ج٢: ص٤٣١). وأخرج النسائي في كتابه فضائل الصحابة بسنده عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: لمّا رجع رسول الله صلى الله عليه وآله عن حجّة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن ثم قال صلى الله عليه وآله: «كأني قد دعيت فأجبت إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض»، ثم قال: «إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن» ثم أخذ بيدي علي فقال: «من كنت وليه فهذا وليه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» (فضائل الصحابة للنسائي: ص١٥) وإلى غير ذلك من الروايات.

والكلام في دلالة الحديث واسع جداً حيث يلزم علينا أن نعرف عظمة القرآن الكريم أوّلاً، ثم نعرف من هم أهل البيت عليهم السلام الذين جعلهم رسول الله صلى الله عليه وآله عدلاً للقرآن الكريم، ثم نعرف معنى المعيّة في قول رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم نعرف معنى عدم التفرق بينهما إلى يوم القيامة. فيطلب هذا البحث مجالاً واسعاً، ولنكتفي هنا بكلام المناوي في شرح هذا الحديث المبارك قال: «علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يتفرقا حتى يردا في القيامة علي الحوض» وهذا كان أعلم الناس بتفسيره. قال المولى خسرو الرمي عندما قال القاضي إنه جمع في تفسيره ما بلغه عن عظماء الصحابة أراد بعظمائهم عليا وابن عباس والعبادلة وأبي وزيد؛ قال: وصدرهم علي حتى قال ابن عباس: ما أخذت من تفسيره فعن علي ويتلوه ابن عباس (انظر فيض القدير ج٤: ص٣٥٧). وهذا ما يؤكّد أنّ الإمام والخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله يلزم أن يكون أعلم الناس بالقرآن الكريم باعتراف علماء أهل السنّة، وهذا معناه أن يكون جامعاً لعلوم رسول الله صلى الله عليه وآله وحاملاً لجميع أسرار القرآن كما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان كذلك، وبعبارة أخرى أن يكون الإمام والخليفة معصوماً كما أنّ القرآن معصوم من الخطأ وهو ﴿**لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ (سورة فصلت:٤٢). وكما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله معصوم، فمن

⬅

ولذلك قال سبحانه مخاطباً لسيد رسله صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ[١]﴾. وبيّنه الرسول صلى الله عليه وآله بقوله: «أنا المنذر وأنت يا علي الهاد، بك يهتدي المهتدون من بعدي[٢]».

حيث عدم تمسّك بعض الصحابة بالثقلين أعني القرآن العظيم وسنّة عترة المصطفى عليهم السلام فهم أهل الضلال والانحراف، لأنّ الحديث فيه دلالة واضحة على أنّ من لم تمسك بالثقلين فهو منحرف وضالّ؛ لأنّ الحديث يدلّ على إمامة الأئمة الاثني عشر من العترة الطاهرة ولا تبقى ريباً؛ لأنّ فيه التصريح على وجوب التمسك بالعترة الطاهرة، لأنّهم عدل للقرآن، فكما يجب على الأمّة اتّباع القرآن وطاعته وانقياد له يجب عليهم اتّباع أهل البيت عليهم السلام وطاعتهم والانقياد لهم. فكان من الواجب على المهاجرين والأنصار من الصحابة التمسّك بحديث الثقلين، فلو كانوا مجمعين على التمسّك بالثقلين لأجمعوا على رجل من أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، ومنه يظهر بطلان خلافة غيره كما هو واضح ظاهر.

(١) سورة الرعد:٧، وفي الآية الكريمة بيان على أنّ الدعوة إلى الله قسمين: أحدهما أن يكون عمل الداعي هو الإنذار فقط. والآخر: أن يكون العمل هو الهداية. وسوف تسألون حتماً: ما هو وجه التفاوت بين "الإنذار" و"الهداية"؟ قد ذكر المفسّرون في جواب هذا السؤال : إن الإنذار للذين أضلّوا الطريق ودعوتهم تكون إلى الصراط المستقيم، ولكن الهداية والاستقامة للذين آمنوا. وفي الحقيقة إن المنذر مثل العلّة المحدثة، أما الهادي فبمنزلة العلّة الباقية وهذه هي التي تعبر عنها بالرسول والإمام، فالرسول يقوم بتأسيس الشريعة والإمام يقوم بحفظها وحراستها. (ليس من شكّ أن الهداية في آيات أخرى مطلقة للرسول، ولكن بقرينة المنذر في هذه الآية نفهم أن المقصود من الهادي هو الشخص الحافظ والحامي للشريعة).

(٢) لقد أخرج علماء كبار علماء أهل السنّة الروايات العديدة بأسانيد صحيحة في تفسير الآية

حسبما بيّن ذلك البغوي[(١)] وغيره[(٢)] وسيجئ مقام نقله.

فأي ذنب للرفضة في نفي إمامة من تقدّم على عليعليه السلام وقد رويتم لهم السنن الصحيحة والنقول الثابتة التي دلّت على نفي إمامة أبي بكر وعمر

➔

الكريمة، فقد روى الجويني الحمويني في فرائد السمطين بسنده عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال: لما نزلت: ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ قال النبيصلى الله عليه وآله: «أنا المنذر وعلي الهادي، وبك يا علي يهتدي المهتدون بعدي» (انظر فرائد السمطين: ج١: ص١٤٧ الحديث١١٠ الباب الثامن والعشرون). أخرج الفخر الرازي بسنده عن ابن عباس قال: وضع رسول اللهصلى الله عليه وآله يده على صدره فقال: «أنا المنذر» ثم أومأ إلى منكب علي وقال: «أنت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون من بعدي» (تفسير الفخر الرازي ج١٩: ص١٤). وأخرج الطبري في تفسيره بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت إنما أنت منذر ولكل قوم هاد، وضعصلى الله عليه وآله يده على صدره، فقال: «أنا المنذر ولكلّ قوم هاد»، وأومأ بيده إلى منكب علي، فقال: «أنت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون بعدي» (تفسير الطبري ج١٣: ص١٤٢). وقال ابن حجر: أخرجه الطبري بإسناد حسن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية وضع رسول اللهصلى الله عليه وآله يده على صدره وقال: «أنا المنذر» وأومأ إلى علي وقال: «أنت الهادي بك يهتدي المهتدون بعدي» (انظر فتح الباري ج٨: ص٢٨٥).

(١) انظر تفسير البغوي ج٣: ص٨

(٢) رواه الحاكم الحسكاني في تفسيره ج١: ص٢٨٤، وابن الجوزي في تفسيره ج٤: ص٢٢٨، وأبوحيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط ج٥: ص٢٦٠، وابن كثير الشامي في تفسيره ج٢: ص٥٢٠، والسيوطي في الدرّ المنثور ج٤: ص٤٥، والشوكاني في فيض القدير ج٢: ص٧٠، والآلوسي في تفسيره ج١٣: ص١٠٨ وغيرهم.

وعثمان ومعاوية(١) وعلى إثبات إمامة علي عليه السلام(٢)

---

(١) فإنّ ما ورد من النصوص في نفي خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية كثيرة جداً وهي تنقسم إلى قسمين: قسم ورد فيها الطعن على هؤلاء المذكورين وجميع خلفاء الغاصبين، وعدم صلاحيّتهم للخلافة والإمارة، وقسم فيها الدلالة على انحصار الإمامة بعد الرسول صلى الله عليه وآله في أهل البيت عليهم السلام، وحيث لا يسعنا المجال لذكرها في المقام، فللباحث أن يراجع الكتب المصنفة في بيان الروايات الواردة في مطاعن الخلفاء الثلاثة ومعاوية وغيرهم من خلفاء بني أميّة وبني العبّاس وعدم صلاحيتهم لها. وهي كثيرة جدّاً، فعلى سبيل المثال لاحظ كتاب الغدير للعلامة الأميني؛ فإنّه روى مئات من الروايات الواردة في مطاعن الخلفاء من الكتب المعتبرة عند أهل السنّة والجماعة بأسناد صحيحة ومعتبرة عندهم، فروى مطاعن أبي بكر في كتاب الغدير ج٧: ص٧٣-٣٠٠، ومطاعن عمر في كتاب الغدير ج٦: ص٨٣ - ٣٣٣، ومطاعن عثمان في كتاب الغدير ج٨: ص٨٣ – ٣٦٧، وج٩: ص٣ –٤٠١، ومطاعن معاوية في كتاب الغدير ج١٠: ص٨٠–٣٨٤ كما توجد في غيره الروايات أخرى. وأيضاً يراجع الروايات الدالّة على إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام وسنذكرها في محلّه إن شاء الله. وعليه فإنّ الشيعة الإماميّة إنّما رفضوا خلافة خلفاء الجور لأنّهم تمسّكوا بالنصوص الصحيحة المعتبرة لدى جميع أهل السنّة والجماعة.

(٢) فإنّ السنن الصحيحة الواردة في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في مصادر أهل السنّة والجماعة كثيرة جدّاً، ومن الطبيعي أنّه لايسعنا المجال لنقل جميعها في المقام، فنقتصر هنا بذكر بعض الروايات التي رواها خلفائهم بأسانيدهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك ليكون اعترافاً من الخلفاء بعدم صلاحيتهم للخلافة. وإليك بعض ما ورد في هذا المجال. أمّا مارواه أبو بكر عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن أبي بكر: إن النبي صلى الله عليه وآله بعثه بالبراءة لأهل مكة وإبلاغهم ببعض الآيات من سورة التوبة، وفيها -أيضاً- لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنّة إلا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله مدّة فأجله إلى مدّته، والله بريء من المشركين ورسوله، فسار بها ثلاثاً متوجّها نحو مكة. ثم قال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «الحقه فرد

←

➔
علي أبا بكر وبلّغها أنت» قال: ففعل عليعليه السلام ما أمر. فلمّا قدم أبو بكر على النبيصلى الله عليه وآله بكى فقال: يا رسول الله، حدث في شيء؟ قالصلى الله عليه وآله: «ما حدث فيك إلا خير، ولكن أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٣). وقال العلامة الأميني: هذه الإثارة أخرجها كثير من أئمة الحديث وحفّاظه، وعدد منهم ٧٣ نسمة (لاحظ الغدير ج٦: ص٣٣٨ – ٨٨٦).

وأخرج الحافظ ابن حجر العسقلاني باسناده عن أبي الأسود الدؤلي قال: سمعت أبا بكر يقول: أيّها الناس، عليكم بعلي بن أبي طالب، فإنّي سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «علي خير من طلعت عليه الشمس وغربت بعدي» (انظر لسان الميزان ج٦: ص٧٨ في ترجمة المغيرة بن سعد البجلي).

وأخرج المحب الطبري بسنده عن ابن عباس قال جاء أبو بكر وعلي يزوران قبر النبيصلى الله عليه وآله بعد وفاته بستّة أيام... فقال أبو بكر: سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «علي مني كمنزلتي من ربي» (انظر الرياض النضرة ج١: ص١٢٤). وأخرج المحب الطبري بسنده عن قيس بن أبي حازم قال: التقى أبو بكر وعلي بن أبي طالبعليه السلام، فتبسم أبو بكر في وجه عليعليه السلام. فقالعليه السلام له: «ما لك تبسمت؟» قال: سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له عليعليه السلام الجواز» (انظر الرياض النضرة ج١: ص٢٠٧). وأخرج الخطيب البغدادي بسنده عن أنس بن مالك قال: قال أبو بكر عند موته: سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «إن على الصراط لعقبة لا يجوزها أحد إلا بجواز من علي بن أبي طالب» (انظر تاريخ بغداد ج١٠: ص٢٥٥ في ترجمة عبيدالله بن لؤلؤ بن جعفر بن حموي). وأخرج العلامة ابن عساكر بسنده عن أبي رافع، قال: كنت قاعداً بعد ما بايع الناس أبا بكر، فسمعت أبا بكر يقول للعباس: أنشدك الله هلان رسول اللهصلى الله عليه وآله جمع بني عبد المطلب وأولادهم وأنت فيهم وجمعكم دون قريش، فقالصلى الله عليه وآله: «يا بني عبد المطلب، إنه لم يبعث الله نبياً إلا جعل له من أهله أخاً ووزيراً ووصيّاً وخليفة في أهله، فمن منكم - يقوم و- يبايعني على أن يكون أخي ووزيري ووصيّي وخليفتي في أهلي؟ فلم يقم منكم أحد
➔

➔

فقالﷺ: «يا بني عبد المطلب، كونوا في الاسلام رؤساء ولا تكونوا أذناباً، والله ليقومنّ قائمكم أو لتكونن في غيركم ثم لتندمنّ» فقام علي من بينكم، فبايعه على ما شرط له ودعا إليه، أتعلم هذا له من رسول اللهﷺ؟ قال العباس: نعم (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٥٠). وأخرج اليعقوبي بسنده عن أبي رافع مولى رسول اللهﷺ أنه كان عند أبي بكر إذ جاء علي والعباس، فقال العباس: أنا عم رسول الله ووارثه وقد حال علي بيني وبين تركته فقال أبو بكر: فأين كنت يا عباس حين جمع النبيﷺ بني عبد المطلب وأنت أحدهم فقال: «أيّكم يؤازرني ويكون وصيي، وخليفتي في أهلي، وينجز عدتي، ويقضي ديني؟» فقال له العباس: بمجلسك تقدّمته وتأمّرت عليه؟ أي إن كان هكذا كما تقول: لماذا تقدّمت عليه وغصبت أمره؟ فقال أبو بكر: أغدراً يا بني عبد المطلب؟ أي إنكما يا علي ويا عباس أردتما بدعواكما هذه المصطنعة على إرث النبيﷺ وتركته أن تأخذوا مني الاقرار والاعتراف بحقّ عليعليه السلام وأولويّته للخلافة، وتحكموا علي بما أتفوه به وأقوله بنفسي ولساني، يعني: تدينانى وتلزماني من فمي (تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٥٨).

وأمّا ما رواه عمر بن الخطاب عن رسول اللهﷺ، فقد أخرج جمال الدين الموصلي الحنفي المشهور بابن حسنويه بسنده عن أنس بن مالك قال: لمّا كان يوم المؤاخاة وآخى النبيﷺ بين المهاجرين والأنصار، وعليعليه السلام واقف يراه ويعلم مكانه لم يؤاخ بينه وبين أحد، فانصرف عليعليه السلام باكي العين قالﷺ: «يا بلال، اذهب فائتني به». فمضى بلال وأتى علياً وقد دخل منزله، فرأته فاطمةعليها السلام فقالت: «ما يبكيك لا أبكى الله عينيك؟» قالعليه السلام: «يا فاطمة، آخى النبيﷺ بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف يراني ويعلم مكاني لم يؤاخ بيني وبين أحد» قالتعليها السلام: «لا يحزنك، لعلّك إنما أخّرك لنفسه» فطرق بلال الباب وقال: يا علي، أجب رسول اللهﷺ، فأتى علي إلى النبيﷺ، فقال النبيﷺ: «ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟» فقال عليعليه السلام: «آخيت بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف تعرف مكاني لم تؤاخ بيني وبين أحد». فقالﷺ: «يا علي، إنما

➔

➔

أخّرتك لنفسي كما أمرني ربي، قم، يا أبا الحسن»، فأخذ بيده ورقى المنبر وقال: «اللهم إن هذا مني وأنا منه، ألا إنه بمنزلة هارون من موسى، أيّها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم؟» قالوا: بلى. قال صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه، ومن كنت وليه فعلي وليه، اللّهم إني قد بلغت ما أمرتني به». ثم نزل وقد سرّ علي عليه السلام فجعل الناس يبايعونه وعمر بن الخطاب يقول: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولانا ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، امرأة من يعاديك طالق طلقة (انظر احقاق الحق ج٦: ص٤٦٨ نقلاً عن كتاب بحر المناقب لابن حسنويه: ص٤٢). وأخرج الخطيب البغدادي بسنده عن سويد بن غفلة عن عمر بن الخطاب: انه رأى رجلاً يسبّ علياً عليه السلام فقال عمر: إني أظنك منافقاً، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنما علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» (انظر تاريخ بغداد ج٧: ص٤٦٢ في ترجمة الحسن بن يزيد بن معاوية أبوعلي الجصاص). وأخرج الخطيب الخوارزمي بسنده عن عمر بن الخطاب، قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، كرّاراً غير فرّار، يفتح الله عليه، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره» فبات المسلمون كلّهم يستشرفون لذلك؛ فلمّا أصبح قال صلى الله عليه وآله: «أين علي بن أبي طالب؟» قالوا : أرمد العين، قال صلى الله عليه وآله: «آتوني به». فلم أتاه. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أدن مني»، فدنا منه، فتفل في عينيه ومسحهما بيده، فقام علي بن أبي طالب عليه السلام بين يديه وكأنه لم يرمد وأعطاه الراية، فقتل مرحب وأخذ مدينة خيبر (انظر المناقب للخوارزمي: ص ١٧٠ ح٢٠٣). وأخرج القندوزي الحنفي بسنده عن عمر بن الخطاب، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لو اجتمع الناس على حبّ علي بن أبي طالب لما خلق الله النار» (ينابيع المودة ج٢: ص٢٩٠). أخرج العلامة الحافظ ابن عساكر الدمشقي عن طريقين وروى غيره بطرق مختلفة: أتى عمر بن الخطاب - في عهده - رجلان سألاه عن طلاق الأمة -كم عدده للبينونة-؟ فقام معهما فمشى حتّى أتى حلقة في المسجد فيها رجل أصلع، فقال عمر: أيها الأصلع ما ترى في طلاق الأمة، فرفع رأسه إليه ثم أوما إليه بالسبابة والوسطى. فقال له عمر: تطليقان، فقال أحدهما: سبحان الله جئناك

🡐

➔

وأنت أمير المؤمنين فمشيت معنا حتّى وقفت على هذا الرجل فسألته، فرضيت منه أن أوما إليك، فقال لهما عمر: ما تدريان من هذا؟ قالا: لا، قال عمر: هذا علي بن أبي طالب، أشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله لسمعته وهو يقول: «لو أن السماوات السبع والأرضين السبع وضعن في كفه ميزان ووضع إيمان علي في كفة ميزان لرجح إيمان علي عليه السلام» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٢٤٠). وأخرج القندوزي الحنفي بسنده عن عمر بن الخطاب، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: «لو كان البحر مداداً، والرياض أقلاماً، والإنس كتاباً، والجنّ حساباً، ما أحصوا فضائلك يا أبا الحسن» (انظر ينابيع المودة ج٢: ص٢٨٥). وأخرج ابن عساكر الدمشقي بسنده عن ابن عباس، قال: مشيت وعمر بن الخطاب في بعض أزقة المدينة فقال لي: يا ابن عباس، أظن أن القوم استصغروا صاحبكم إذ لم يولوه أموركم، فقلت: والله! ما استصغره الله إذ اختاره لسورة براءة - مع عزل أبي بكر يبلغها أهل مكة فقال لي: الصواب تقول!! والله لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب: «من أحبّك أحبّني، ومن أحبّني أحبّ الله، ومن أحبّ الله أدخله الجنّة مدلاً (تاريخ مدينة دمشق ج١٤: ص٤). وأخرج السيد محمد صالح الكشفي الترمذي بسنده عن عمر بن الخطاب، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «من أحبّك يا علي كان مع النبيّين في درجتهم يوم القيامة، ومن مات يبغضك فلا يبالي مات يهودياً أو نصرانياً» (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٨٥). وأخرج القندوزي الحنفي بسنده عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما عقد المؤاخاة بين أصحابه: «هذا علي أخي في الدنيا والآخرة، وخليفتي في أهلي ووصيي في أمتي، ووارث علمي، وقاضي ديني، له مني ما لي منه، نفعه نفعي، وضره ضري، من أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني» (انظر ينابيع المودة ج٢: ص٢٨٢). وأخرج ابن عساكر الدمشقي بسنده عن إبراهيم بن سعيد الجوهري وصي المأمون العباسي قال: حدثني المأمون قال: حدثني أبي هارون الرشيد خامس قال: حدّثني المهدي ثالث الخلفاء العباسيين قال: حدّثني المنصور ثاني الخلفاء العباسيّين عن أبيه عن جدّه عن عبد الله بن العباس قال: سمعت عمر بن

➔

➔

الخطاب وعنده جماعة، فتذاكروا السابقين إلى الاسلام فقال عمر: أمّا علي فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيه ثلاث خصال، لوددت أن لي واحدة منهن فكان أحبّ إلي ممّا طلعت عليه الشمس: كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من الصحابة، إذ ضرب النبي صلى الله عليه وآله بيده على منكب علي فقال له: «يا علي، أنت أول المؤمنين إيماناً، وأوّل المسلمين إسلاماً، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٨٦). وأخرج السيد محمد بن محمد الدرگزيني في كتابه نزل السائرين في أحاديث سيد المرسلين بسنده عن عمر بن الخطاب قال: كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من أصحابه إذ ضرب بيده على منكب علي عليه السلام فقال: «يا علي أنت أول المؤمنين إيماناً، وأول المسلمين إسلاماً، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى يا علي، إنّما أنت بمنزلة الكعبة تؤتى ولا تأتي، فإذا أتاك هؤلاء القوم فسلموا إليك هذا الأمر فاقبله منهم، فإن لم يأتوك فلا تأتهم» (انظر احقاق الحق ج١٧: ص٧٩ نقلاً عن السيد محمد بن محمد الدرگزيني في كتابه نزل السائرين). وأخرج الخطيب البغدادي وابن عساكر الدمشقي بسندهما عن عمر بن الخطاب، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «أنا خاتم الانبياء، وأنت خاتم الأولياء» (انظر تاريخ بغداد ج١٠: ص٣٦٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٤: ص٢٥٤). وأخرج ابن عساكر الدمشقي بسنده عن ابن عمر قال: لما طعن عمر وأمر بالشورى فقال: ما عسى أن يقولوا في علي عليه السلام؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «يا علي، يدك في يدي تدخل معي الجنة يوم القيامة حيث أدخل» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٢٨) وأخرج ابن أبي الحديد حواراً دار بين ابن عباس وبين عمر بن الخطاب بما يمت بأمر الخلافة والإمامة بعد النبي... وملخّص الحوار أنه قال ابن عباس: دخلت على عمر في أول خلافته، فقال عمر: من أين جئت يا عبد الله؟ قلت: من المسجد، قال: كيف خلفت ابن عمك... إنما عنيت عظيمكم أهل البيت علياً؟ قلت: خلفته يمتح بالغرب على نخيلات من فلان وهو يقرأ القرآن، قال: يا عبد الله عليك دماء البدن إن كتمتنيها!! هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم. قال: أيزعم أن رسول الله صلى الله عليه وآله نصّ عليه؟ قلت: نعم،

➔

➔

وأزيدك: سألت أبي عمّا يدّعيه. فقال: صدق؛ قال عمر: لقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله ذرو من قول - في إعلان خلافة علي عليه السلام لا يثبت حجّة ولا يقطع عذراً، ولقد كان النبي صلى الله عليه وآله يربع في أمره وقتاً ما أي كان يترقب الفرصة لذلك - ولقد أراد أن يصرح باسمه علي عليه السلام فمنعته من ذلك إشفاقاً وحيطة على الاسلام - وذلك بقوله: إن الرجل ليهجر - لا ورب هذه البنية (أي خلافة علي) لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها — علي - لانتقضت عليه العرب من أقطارها فعلم رسول الله أني علمت ما في نفسه فامسك، وأبى الله إلا إمضاء ما حتم (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٢: ص٢٠).

وأمّا ما رواه عثمان عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أخرج القندوزي الحنفي بسنده عن عثمان بن عفان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خلقت أنا وعلي من نور واحد قبل أن يخلق الله آدم بأربعة آلاف عام، فلمّا خلق الله آدم ركب فيه ذلك النور في صلبه، فلم يزل شيئاً واحداً حتّى افترقنا في صلب عبد المطّلب، ففي النبوّة وفي علي الوصيّة (انظر ينابيع المودة ج٢: ص٣٠٧). وأخرج ابن عساكر الدمشقي بسنده عن يونس مولى الرشيد، قال: كنت واقفاً على رأس المأمون وعنده يحيى بن أكثم القاضي فذكروا علياً عليه السلام وفضله، فقال المأمون: سمعت الرشيد يقول: سمعت المهدي يقول: سمعت المنصور يقول: سمعت أبي يقول: سمعت جدي يقول: سمعت ابن عباس يقول: رجع عثمان إلى علي عليه السلام فسأله المصير إليه، فصار إليه فجعل يحد النظر إليه، فقال له علي عليه السلام: «(يا عثمان) مالك تحد النظر إلي؟» قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «النظر إلى وجه علي عبادة» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص١٤٠). وخرج الحافظ أحمد بن محمد بن علي بن أحمد العاصمي عن الأستاذ أبا بكر محمد بن إسحاق بن محمشاد يرفعه: إن رجلاً أتى عثمان بن عفان وبيده جمجمة إنسان ميّت، فقال: إنكم تزعمون أن النار تعرض على هذا وأنه يعذّب في القبر، وأنا قد وضعت عليها يدي فلم أحسّ منها حرارة النار! فسكت عثمان وأرسل إلى علي بن أبي طالب عليه السلام يستحضره، فلمّا أتاه وهو في ملأ من أصحابه قال عثمان للرجل: أعد المسألة. فأعادها ثم قال عثمان لعلي عليه السلام: أجب الرجل عنها يا أبا الحسن، فقال علي عليه السلام:

➔

➔

«ائتوني بزند وحجر» (والرجل السائل والناس ينظرون إليه) فأتي بهما فأخذهما وقدح منهما النار ثم قال للرجل: «ضع يدك على الحجر»، فوضعها عليه، ثم قال‌عليه السلام: «ضع يدك على الزند»، فوضعها عليه. فقال‌عليه السلام: «هل أحسست منهما حرارة النار؟» فبهت الرجل (لأنه رأى النار ولم يحس بالحرارة) فقال عثمان: "لولا علي لهلك عثمان" (انظر زين الفتى في تفسير سورة هل أتى: ص٣١٤).

وأمّا ما رواه معاوية في المقام: قال العلامة الحافظ المناوي الشافعي: إن معاوية كان يرسل أناساً يسال علياًعليه السلام عن المشكلات (سواءاً معضلاته أو معضلات غيره)، فكان علي‌عليه السلام يجيبه، فقال أحد بنيه: تجيب عدوّك!؟ قال‌عليه السلام: «أما يكفينا أن احتاجنا وسألنا؟» (انظر فيض القدير ج٤: ص٣٥٦). فقد أخرج أحمد بن حنبل وآخرون من حفّاظ أهل السنّة ومفسّريهم بإسنادهم عن قيس بن أبي حازم (وهو من ثقات الرواة عند أهل السنّة) أنه قال: إن رجلاً سأل معاوية عن مسألة فقال: اسأل عنها علياً فهو أعلم، فقال: يا أمير المؤمنين جوابك فيها أحبّ إلي من جواب علي، قال معاوية: بئس ما قلت، لقد كرهت رجلاً كان رسول الله‌صلى الله عليه وآله يغرّه بالعلم غرّاً، ولقد قال له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، وكان عمر إذا أشكل عليه شيء أخذ منه ويلجأ إلى علي في حلّ مسائله؛ ثم قال معاوية للرجل: قم لا أقام الله رجليك، ومحا اسمه من الديوان (انظر فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢: ص٦٧٥ ح٥٥٩٣). وأخرج الحافظ ابن عساكر بسنده عن عبيدالله بن عبدالله المديني قال: حجّ معاوية بن أبي سفيان فمرّ بالمدينة فجلس في مجلس فيه سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس، فالتفت إلى عبد الله بن عباس فقال: يا ابن عباس، إنّك لم تعرف حقّنا من باطل غيرنا، وقرعه ابن عباس بجواب فحار منه معاوية، فتركه وأقبل على سعد فقال: يا أبا إسحاق، أنت الذي لم تعرف حقّنا وجلس فلم يكن معنا ولا علينا. فقال سعد: فإني سمعت رسول الله‌صلى الله عليه وآله يقول لعلي: «أنت مع الحقّ والحقّ معك حيثما دار». فقال معاوية: لتأتيني على هذا ببينة، فقال سعد: هذه أمّ سلمة تشهد على رسول الله‌صلى الله عليه وآله، فقاموا جميعاً فدخلوا على أمّ سلمة فقالوا: يا أم

➔

فيا عجبى ممّن تسمّى بأهل السنّة حيث يذمّون من عمل بالسنّة وجانب البدعة ويصفونهم بالرفض يعنون بأنّهم رفضة الحقّ بعد علمهم الضروري بما ثبت من طرقهم من السنن وغيرها بأنّ اثنى عشريّة الشيعة هم أهل السنّة، ورفضة ما خالفها من الباطل حسبما بين ذلك[1]

المؤمنين، إن الأكاذيب قد كثرت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام فقال معاوية لسعد: يا أبا إسحاق، ما كان ألوم الآن - أي انك يا سعد ألوم الناس عندي - إذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وجلست عن علي عليه السلام، لو سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله لكنت خادماً لعلي عليه السلام حتى أموت (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٢٠: ص٣٦٠). وإلى غير ذلك من الروايات التي رواها الخلفاء ممّا يدل على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّه ممّا يتردّد كثيراً في كتب أعداء الشيعة لقب الرافضة أو الروافض، فيخيّل للقارئ لأوّل وهلة أنّ هؤلاء رفضوا قواعد الإسلام ولم يعملوا بها، أو أنّهم رفضوا رسالة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله ولم يقبلوا بها، ولكنَّ الواقع على غير هذا، فإنّ الباحث لو درس المصادر الإسلامية من الشيعة وأهل السنّة يجد بوضوح أنّ الشيعة إنّما لُقّبوا بالروافض؛ لأنّهم رفضوا خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، كما رفضوا خلافة جميع خلفاء بني أميّة وبني العباس، ووالوا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة الأحد عشر من ولده عليهم السلام أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وتمسّكوا بخلافتهم بنصّ من النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وبهذا يعرف بأنّ الشيعة إنّما استُهدفوا من قبل الحكّام؛ لأنّهم رفضوا بيعة خلفاء الجور، ولذلك أنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام لقّبوا أنفسهم بهذا اللقب بكلّ فخر واعتزاز كما ورد في الروايات؛ فقد روى البرقي في المحاسن بسنده عن أبي أسامة زيد الشحّام عن أبي الجارود قال: أصم الله أذنيه كما أعمى عينيه إن لم يكن سمع أبا جعفر عليه السلام يقول: إن فلاناً سمّانا باسم، قال: وما ذاك الاسم؟ قال: سمانا الرافضة، فقال أبو جعفر عليه السلام بيده إلى

←

صدره: «وأنا من الرافضة وهو مني»، قالها ثلاثاً (المحاسن للبرقي ج١: ص١٥٧ ح٩١). وروى أيضاً بسنده عن أبي بصير، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك اسم سمّينا به استحلّت به الولادة دماءنا وأموالنا وعذابنا، قال: «وما هو؟» قال: الرافضة، فقال أبو جعفر عليه السلام: «إن سبعين رجلاً من عسكر فرعون رفضوا فرعون فأتوا موسى عليه السلام فلم يكن في قوم موسى عليه السلام أحد أشدّ اجتهاداً ولا أشدّ حبّاً لهارون منهم فسمّاهم قوم موسى الرافضة، فأوحى الله إلى موسى: أن ثبت لهم هذا الاسم في التوراة فإني قد نحلتهم وذلك اسم قد نحلكموه الله» (المحاسن للبرقي ج١: ص١٥٧ ح٩٢). وروى العلامة المجلسي بسنده عن تفسير فرات بن إبراهيم: عن محمد بن القاسم بن عبيد، عن الحسن بن جعفر عن الحسين عن محمد يعني ابن عبد الله الحنظلي عن وكيع عن سليمان الأعمش قال: دخلت على أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام، قلت: جعلت فداك، إن الناس يسمّونا روافض، وما الروافض؟ فقال: «والله ما هم سموكموه، ولكن الله سمّاكم به في التوراة الإنجيل على لسان موسى ولسان عيسى عليهما السلام وذلك أن سبعين رجلاً من قوم فرعون رفضوا فرعون ودخلوا في دين موسى فسمّاهم الله تعالى الرافضة، وأوحى إلى موسى عليه السلام أن أثبت لهم في التوراة حتّى يملكوه على لسان محمّد صلى الله عليه وآله. ففرّقهم الله فرقاً كثيرة وتشعّبوا شعباً كثيرة، فرفضوا الخير فرفضتم الشرّ واستقمتم مع أهل بيت نبيّكم عليهم السلام فذهبتم حيث ذهب نبيّكم، واخترتم من اختار الله ورسوله، فأبشروا ثم أبشروا فأنتم المرحومون، المتقبل من محسنهم والمتجاوز عن مسيئهم، ومن لم يلق الله بمثل ما لقيتم لم تقبل حسناته ولم يتجاوز عن سيّئاته، يا سليمان هل سررتك؟» فقلت: زدني جعلت فداك، فقال عليه السلام: «إن لله عزّ وجلّ ملائكة يستغفرون لكم، حتى تتساقط ذنوبكم، كما تتساقط ورق الشجر في يوم ريح، وذلك قول الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ هم شيعتنا وهي والله لهم يا سليمان، هل سررتك؟» فقلت: جعلت فداك زدني! قال عليه السلام: «ما على ملّة إبراهيم عليه السلام إلا نحن وشيعتنا، وسائر الناس منها بريء» (بحار الأنوار ج٦٥: ص٩٧). وروى علي بن

←

إلى هنا سيعلم فيما يأتي زيادة على ذلك[1]،

←

يونس العاملي في كتابه الصراط المستقيم عن ابن شهر آشوب أنّه قال: قال ابن شهرآشوب: الصحيح أن أبا بصير قال للصادق عليه السلام: إن الناس يسمّونا الرافضة، فقال: «والله ما سمّوكم به ولكن الله سمّاكم، فإن سبعين رجلاً من خيار بني إسرائيل آمنوا بموسى وأخيه، فسمّوهم رافضة، فأوحى الله إلى موسى أثبت هذا الاسم لهم في التوراة، ثم ادّخره الله لينحلكموه يا أبا بصير رفض الناس الخير، وأخذوا بالشرّ، ورفضتم الشرّ وأخذتم بالخير»؛ روى الكاظم عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله: قال النبي صلى الله عليه وآله لأبي الهيثم ابن التيهان والمقداد وعمّار وأبي ذر وسلمان: «هؤلاء رفضوا الناس، ووالفوا علياً، فسمّاهم بنوا أمية الرافضة؛ سماعة بن مهران: قال الصادق عليه السلام: «من شرّ الناس؟» قلت: نحن فإنهم سمّونا كفّارا ورافضة»، فنظر إلي وقال: «كيف إذا سيق بكم إلى الجنة، وسيق بهم إلى النار؟ فينظرون فيقولون: ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار» (الصراط المستقيم ج٣: ص٧٦).

وأمّا من أهل السنّة فقد قال الشهرستاني في كتابه الملل والنحل: إن جماعة من شيعة الكوفة رفضوا زيداً فجرى الاسم. وذكر نحوه نظام الدين شارح الطوالع، وصاحب منهاج التحقيق.. (انظرالصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي ج٣: ص٧٥ نقلاً عن الشهرستاني). وعليه فإنّه وإن كان معنى الرافضي عند الشيعة غير ما يقصدون به أهل السنّة، ولكن مع ذلك كيف يمكن لهم أن يسمّوا الشيعة بالرافضي مع أنّ الشيعة ملتزمون بوجوب العمل بالسنّة النبويّة ويعملون به، ولكن أهل السنّة جعلوا السنّة وراء ظهورهم؟

(١) فإنّ قول الشيعة الإمامية في الصحابة واضح وموجود في كتبهم الظاهرة المشهورة، فهم يقولون في الصحابة ما قاله الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله في حقّهم، فيعتقدون أنّ الصحابة كسائر الناس فيهم الأبرار وفيهم الفجّار وأهل الضلال، فليس الصحابة سواء في المراتب والمنازل، فمنهم من أثنى عليه الله تعالى في كتابه، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، ووصف آخرين بالانحراف والضلال، فالقرآن الكريم هكذا يكشف الحقائق عن بعض

←

➔

الصحابة فيقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (سورة التوبة:٣٨)، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة المائدة:٥٤)، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأنفال:٢٧)، ويقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الأنفال:٢٥)، ويقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً * إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ (سورة الأحزاب: ٩-١٠)، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَاا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة الصف: ٢-٣)، ويقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (سورة الحديد:١٦)، ويقول تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة الحجرات:١٧)، وإلى غير ذلك من الآيات كما أنّ السنّة النبوية الشريفة تكشف الغطاء عن هذه حقيقتهم. وكلّ ما في الأمر من كلام الشيعة أنّ الصحبة لا تكون عاصمة لصاحبها من الخطأ، فمن الصحابة من يكون من

➔

فعلم من الفرقان العظيم والسنّة الشريفة الثابتة من طرق من تسمّى بأهل السنّة أنّ الرفضة للحقّ القائلون بإمامة أبي بكر وعمر وعثمان[١]،

➔

الصدّيقين، ومنهم الذين تشتاق إليهم الجنّة، ومنهم المنافقين، ومنهم من انقلب على عقبيه وارتدّ عن الإسلام كما ورد في حديث الحوض المتّفق عليه بين جميع المسلمين فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي عوانة عن مغيرة عن أبي وائل قال: قال عبد الله: قال النبيصَلَّاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «أنا فرطكم على الحوض ليرفعنّ إلي رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي رب أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك» (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٨٦ كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى واتّقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة وما كان النبيصَلَّاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يحذر من الفتن). وأخرج بسنده عن يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال: سمعت سهل بن سعد يقول: سمعت النبيصَلَّاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يقول: «أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه ومن شرب منه لم يضمأ بعده أبداً ليرد علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم... فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي» (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٨٦ كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى واتّقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة وما كان النبيصَلَّاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يحذر من الفتن). وإلى غير ذلك من من النصوص والروايات الواردة في المقام، فالصحابة كغيرهم من الرجال فيهم المؤمن وغير المؤمن، ولهم منازل ودرجات مختلفة وليس هم في منزلة واحدة، وعليه فمن ذمّ الصحابة على ما جاء في كتاب الله العزيز والسنّة النبويّة الشريفة والأدلّة القطعيّة المتّفقة عليها بين جميع المسلمين، فلا يصير كافراً ولا فاسقاً، بل إنّه من المؤمنين حقّاً حيث عمل بالقرآن والسنّة النبويّة الشريفة، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّه إذا كان معنى الرافضي رفض الدين وعقائده وأحكامه، فالأولى أن يسمّى أتباع الخلفاء الثلاثة بهذا اللقب؛ لأنّ الخلفاء وأتباعهم خالفوا النصوص القرآنيّة

➔

وإنّ أهل السنّة والرفضة للباطل هم الناقلون لإمامة الثلاثة، والقائلون بإمامة عليعليه السلام بعد النبيصلى الله عليه وآله[1].

➔

والروايات الصحيحة من السنّة النبوية الشريفة في الإمامة والخلافة الشرعية، حيث أنّ النصوص تدّل على عصمة الإمام كعصمة الرسول والقرآن، ولكن أتباع الخلفاء الثلاثة خالفوا هذه النصوص كما سنذكرها في محلّه إن شاء الله تعالى، فإنّهم مجمعين على عدم عصمة خلفائهم، بل قد صرّحوا بارتكابهم الكبائر والجرائم، فالرفض في اللغة بمعنى الترك، فيقال: رفض يرفض رفضاً: أي ترك، فإذا كان معناه ترك الدين واعتقاداته وأحكامه فالأولى بهذا الإسم واللقب هم أتباع ألخلفاء الثلاثة كما يتبيّن من خلال المطالب الآتية إن شاء الله تعالى.

(١) وبعبارة أوضح أنّ أهل السنّة أولى بالتسمية بالرفضة، لقربهم من مطابقة المسمّى بهم، باعتبار أنّهم رفضوا الحقّ، حيث أنّهم رفضوا إمامة من أمر الله تعالى بولايته وخلافته وإمامته، حيث أنّهم رووا النصوص والروايات في إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بأسناد صحيحة وهي حجّة شرعيّة عليهم، ويجب عليهم العمل بها، ونحن نشير هنا إلى بعض الروايات التي أخرجها أحمد بن حنبل وهو إمام الحنابلة وإمام ابن تيمية وذلك لإتمام الحجّة عليه، فقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن البراء بن عازب قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر فنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول اللهصلى الله عليه وآله تحت شجرتين فصلّى الظهر وأخذ بيد عليعليه السلام فقال: «ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٨١).

وأخرج أيضاً بسنده عن أبي عبيد عن ميمون أبى عبد الله قال : قال زيد بن أرقم وأنا أسمع:

➔

➔

نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بواد يقال له وادى خم، فأمر الصلاة فصلاها بهجير، قال: فخطبنا وظلل لرسول الله صلى الله عليه وآله بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فقال: «ألستم تعلمون أو لستم تشهدون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: «فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه، اللّهم عاد من عاداه ووال من والاه» (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٣٧٢).

وأخرج أيضاً بسنده عن أبي عبد الرحيم الكندي عن زاذان بن عمر قال: سمعت علياً في الرحبة وهو ينشد الناس: «من شهد رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم وهو يقول ما قال؟» فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أنّهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه» (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٨٤).

وأخرج أيضاً بسنده عن عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب وعن زيد بن يثيع قالا: نشد علي الناس في الرحبة: «من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم إلا قام قال؟» فقال: من قبل سعيد ستّة ومن قبل زيد ستّة، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام يوم غدير خم: «أليس الله أولى بالمؤمنين؟» قالوا: بلى، قال: «اللّهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١١٨).

وأخرج أيضاً بسنده عن عبد الله حدّثني عبيد الله بن عمر القواريري ثنا يونس بن أرقم ثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: شهدت علياً عليه السلام في الرحبة ينشد الناس: «أنشد الله من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم: "من كنت مولاه فعلي مولاه" لمّا قام فشهد؟» قال عبد الرحمن: فقام اثنا عشر بدرياً كأنّي أنظر إلى أحدهم، فقالوا: نشهد أنّا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمّهاتهم؟» فقلنا: بلى يا رسول الله، قال: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١١٩).

وأخرج أيضاً بسنده عن حدثني نعيم بن حكيم حدثني أبو مريم ورجل من جلساء على عن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلى مولاه»، قال: فزاد الناس

➔

➔

بعد «وال من والاه وعاد من عاداه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١٥٢).

وأخرج أيضاً بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن بريدة قال: غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة، فلمّا قدمت على رسول اللهﷺ ذكرت علياً فتنقصته، فرأيت وجه رسول اللهﷺ يتغير فقال: «يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٣٤٧).

وأخرج أيضاً بسنده عن سعيد بن وهب قال: نشد علي الناس، فقام خمسة أو ستّة من أصحاب النبيﷺ فشهدوا أن رسول اللهﷺ قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٣٦٦).

وأخرج أيضاً بسنده عن أسود بن عامر أنا أبو إسرائيل عن الحكم عن أبي سلمان عن زيد بن أرقم قال: استشهد علي الناس فقال: «أنشد الله رجلاً سمع النبيﷺ يقول: "اللّهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه"» قال: فقام ستّة عشر رجلاً فشهدوا (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص ٣٧٠).

وأخرج أيضاً بسنده عن الأشجعي عن رياح بن الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا قال: «كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب» قالوا: سمعنا رسول اللهﷺ يوم غدير خم يقول: «من كنت مولاه فإن هذا مولاه» قال رياح: فلمّا مضوا تبعتهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٤١٩).

وأخرج أيضاً بسنده عن أبي بكر: إن النبيﷺ بعثه بالبراءة لأهل مكّة وإبلاغهم ببعض الآيات من سورة التوبة، وفيها - أيضاً - لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنّة إلا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول اللهﷺ مدّة فأجله إلى مدّته، والله برئ من المشركين ورسوله. فسار بها ثلاثاً متوجّهاً نحو مكّة. ثم قالﷺ لعليعليه السلام: «الحقه فرد علي أبا بكر وبلّغها أنت». قال: ففعل - الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب - ما أمر. فلمّا قدم أبو بكر على النبيﷺ بكى فقال: يا رسول الله، حدث في

➔

➔

شيء؟ قالﷺ: «ما حدث فيك إلا خير، ولكن أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٣).

وأخرج أيضاً بسنده ابن عباس أنّ قال: إذ أتاه تسعة رهط فقالوا: يا أبا عباس إمّا أن تقوم معنا وإمّا أن تخلونا هؤلاء، قال: فقال ابن عباس: بل أقوم معكم، قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى، قال: فابتدؤا فتحدّثوا فلا ندري ما قالوا، قال: فجاء ينفض ثوبه ويقول أف وتف وقعوا في رجل له عشر وقعوا في رجل قال له النبيﷺ: «لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً يحبّ الله ورسوله» قال: فاستشرف لها من استشرف قال: «أين علي؟» قالوا: هو في الرحل يطحن، قال: «وما كان أحدكم ليطحن» قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد يبصر، قال: فنفثﷺ في عينيه ثم هزّ الراية ثلاثاً فأعطاها إياه فجاء بصفية بنت حيي؛ قال: ثم بعث فلاناً بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها منه قال: «لا يذهب بها إلا رجل منّي وأنا منه»؛ قال: وقال لبني عمّه: «أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة؟» قال: وعلي معه جالس فأبوا، فقال علي: «أنا أواليك في الدنيا والآخرة»، قال: «أنت وليي في الدنيا والآخرة»، قال: فتركه ثم أقبل على رجل منهم فقال: «أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة؟» فأبوا قال: فقال علي: «أنا أواليك في الدنيا والآخرة» فقال: «أنت وليي في الدنيا والآخرة» قال: وكان أوّل من أسلم من الناس بعد خديجة، قال: وأخذ رسول اللهﷺ ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾؛ قال: وشرى علي نفسه، لبس ثوب النبيﷺ ثمّ نام مكانه، قال: وكان المشركون يرمون رسول اللهﷺ فجاء أبو بكر وعلي نائم، قال: وأبو بكر يحسب أنه نبي الله، قال: فقال: يا نبي الله، قال: فقال له علي: «إن نبي اللهﷺ قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه»، قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار، قال وجعل علي يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله وهو يتضوّر قد لفّ رأسه في الثوب لا يخرجه حتّى أصبح، ثم كشف عن رأسه فقالوا: إنك للئيم كان صاحبك نراميه فلا يتضوّر وأنت تتضوّر وقد استنكرنا ذلك؛ قال: وخرج بالناس في غزوة تبوك، قال: فقال له علي: «أخرج معك» قال: فقال له نبي الله: «لا» فبكى

➔

ومن هنا علمت أنّ إمامة الثلاثة لم تتّفق عليها خير أمة؛ فإنّه سبحانه قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(١).

➔

علي، فقال له: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي؟ إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي»؛ قال: وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنت وليي في كلّ مؤمن بعدي» وقال: سدّوا أبواب المسجد غير باب علي، فقال: فيدخل المسجد جنباً وهو طريقه لبس له طريق غيره، قال: وقال: «من كنت مولاه فإن مولاه علي» قال: وأخبرنا الله عزّ وجلّ في القرآن أنه قد رضى عنهم عن أصحاب الشجرة فعلم ما في قلوبهم هل حدثنا أنه سخط عليهم بعد قال: وقال نبي الله صلى الله عليه وآله لعمر حين قال: ائذن لي فلأضرب عنقه، قال: «أو كنت فاعلاً وما يدريك لعل الله قد اطّلع إلى أهل بدر»، فقال: «اعملوا ما شئتم» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٣٣٠). وإلى غير ذلك مما رواها أحمد بن حنبل وهي صريحة في الدلالة على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهناك روايات أخرى تدلّ على المقام لم نذكرها رعايةً للاختصار. ومن الواضح أنّ هذه الروايات تدّل بالصراحة على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فكان من الواجب على ابن تيمية التمسّك بها والعمل بمضونها كما من الواجب على جميع علماء أهل السنّة التمسّك بهذه الروايات الصحيحة عندهم، ومقتضى الحجّة الشرعية العمل بها، فلاحظ.

(١) سورة آل عمران: ١١٠، هذه الآية الكريمة أشارت إلى مسألة مهمّة، وهي توصيف المسلمين بخير أمّة، أي كنتم خير الناس، ومن الواضح أنّ الخيريّة بمعنى النفع للناس، والخدمة للمجتمع الإنساني، والدليل على ذلك قيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإيمانها بالله، وهذا يفيد أنّ إصلاح المجتمع البشري لا يمكن بدون الإيمان بالله والدعوة إلى الحقّ، ومكافحة الفساد، كما ويستفاد من ذلك أن هاتين الوظيفتين مع ما هما عليه من

➔

فوصفهم سبحانه بخير أمّة من حيث قيامهم بهذين الوصفين الشريفين[(١)]،

السعة في الإسلام ممّا تفرد بهما الإسلام دون بقية الشرائع السابقة.

ثم الجدير بالذكر أن القرآن الكريم يصف المسلمين - في هذه الآية الشريفة - بأنّهم خير أمّة لأنّها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، أي جعلت الآية الخيريّة للأمّة مشروطة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومعناه أنّه متى فقدت الأمّة هاتين الصفتين فقدت عدالتها وأخيريّتها وفقدت كل شيء، فكيف بمن يأمر بالمنكر وينهي عن المعروف، فإنّ أمثال معاوية الذين هم من الصحابة وأمروا بالمنكر ونهوا عن المعروف فلا أجد مثالاً لهم على ذلك هنا أنسب من قضية أم الرزايا. وعلى سبيل المثال أنّ معاوية يسنّ ويأمر بسبّ مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على المنابر وذلك منكر، بل لا يتصوّر منكر فوق ذلك، فكيف يمكن أن تتّصف الأمّة بعد ذلك بالخيريّة بلا قيد ولا شرط، فالآية صريحة في أنّ القول بالخيريّة مشروطة بوصفين؛ لأنّ الله تعالى يأمر بالعدل والإحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر، فالخيريّة إنّما تكون مشروطة بوجود الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهذا الأمر لا يتحقّق إلاّ بوجود النبي صلى الله عليه وآله أو المعصوم والقائد الإلهي الذي يعرف جميع موارد المعروف ليأمر بها، ويعرف جميع موارد المنهي عنه كي ينهي عنها، وهذا لا يمكن إدعاء لأحد إلاّ للنبي صلى الله عليه وآله أو من هو في رتبته؛ ولذلك قد ورد في الحديث أنّ المقصود بخير الأمّة هم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وقد أخرج السيوطي في الدرّ المنثورفي تفسير الآية بسنده عن ابن أبي حاتم عن أبي جعفر قال: ﴿**كنتم خير أمّة أخرجت للناس**﴾ قال: «أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله» (الدر المنثور ج٢: ص٦٤).

(١) فإنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة، أوجبها الدين الإسلامي المقدّس على كلّ مسلم، بل يمكن القول: بأنّ هذه الفريضة أساساً تُشكّل مركزاً أساسيّاً لباقي

←

الفـرائض الدينيّـة، ويمثّـل هـذا العنـصر الأصـيل - بـصفته وسـيلة ناجعـة لإصـلاح الفـرد والمجتمع - أفضل وأشمل وأكمل نظام للإصلاح على الإطلاق. ولذلك قـال الإمـام أبـي جعفر الباقرعليه السلام: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الـصلحاء، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتحلّ المكاسب وتردّ المظالم، وتعمَّـر الأرض، وينتـصف مـن الأعـداء، ويـستقيم الأمـر» (الكـافي ج٥: ص٥٥ ح١). وقـالعليه السلام: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر خلقـان مـن خلـق الله، فمـن نـصرهما أعـزّه الله ومـن خـذلهما خذلـه الله» (الخـصال للـشيخ الـصدوق: ص٤٢ ح٣٢). وقـال مولانـا الإمـام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في وصيّته للإمام الحسن والحسينعليهما السلام لمّا ضربه ابـن ملجم (لعنه الله): «لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر، فيـولّي علـيكم شـراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم» (الكافي ج٧: ص٥٢). وإلى غير ذلك من الروايـات الـواردة في المقام عنهمعليهم السلام، ففي الحقيقة لنا أن نقـول: إنّ الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر أوسع من التكليـف الـشرعي، بمعنـى أنّ حـسن دعـوة النـاس بعـضهم الـبعض إلـى الخيـر والصلاح من الأمورالعقليّة الضروريّة البديهيّة، وكفى لإثبـات أهميّـة ذلـك تعلُّـم أسـاليب مختلفة لهذا العنصر الأصيل وتنوّع صوره وأشكاله، فإنّ القرآن الكريم حدّثنا عن أساليب متنوّعة قام بهـا الأنبيـاءعليهم السلام للتبليـغ ودعـوة النـاس إلـى الفـضائل وإبعـادهم عـن الرذائـل، وأوضح أنّ منهجيّة دعوة الأنبياءعليهم السلام قائمة على هـذا التنـوع، ومـن أسـاليب الـدعوة إلـى سبيل الله هي الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، ولـذلك أجمـع علمـاء الإسـلام علـى أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما يجبـان مـع تـوفّر عنـده الـشروط، ومـن أهمّهـا أن يكون الشخص الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عارفاً بالمعروف والمنكـر، وإذا كـان المقصود بالمعرفة هي المعرفـة الحقيقيّـة والتفـصليّة، فـلا يمكـن تحقّقهـا إلاّ لمـن أحـاط بجميع معارف الدين وأحكامه، وينحصر دائرته في الأنبياء وأوصـيائهم المعـصومينعليهم السلام؛ لأنّ المعرفة التفصيليّة يستلزم الإحاطة بجميع معارف الـدين وأحكامـه والإحاطـة الكاملـة إنّما يكون للسفراء السماويّة الأنبياء وأوصـيائهم الـصديقينعليهم السلام المنتمـون إلـى المعـارف

←

➔
السماوية. ومن هنا يتّضح معنى قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (سورة آل عمران: ١١٠). فإنّ فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن كانت تكليفاً عامّاً لجميع المكلّفين على من أمكنه عند توفير الشروط فيه، إلاّ أنّ تحقّق معنى خير الأمّة -الذي جاء ذكره في الآية الكريمة - في المجتمع الإسلامي إنّما يكون واقعاً إذا كان الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، أو من كان على رأس الأمّة محيطاً بجميع معارف الدين. ولكن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لم تكن الأمر كذلك إلاّ في مدّة قليلة وهي عصر الخلافة الظاهريّة لمولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمّا في غير تلك الفترة لم تكن المجتمع الإسلامي متّصفاً بهذين الوصفين الذين جاء ذكرهما في الآية، ومن الواضح أنّه مع عدم توفّر شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع لم يتحقّق معنى خير الأمّة التي جاء ذكره في القرآن؛ لأن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما هو المطلوب في الواقع لم يتحقّق في المجتمع، لأنّ تحقّقه كان مشروطاً، ومع عدم تحقّق الشرط ينتفي المشروط، لا سيّما في عصر حكومة يزيد بن معاوية الفاسق، فإنّه كيف يمكن تصوّر تحقّق معنى الآية في ذلك العصر الذي كان حاكمه شرّ الأمّة؟!!

فلا بدّ هنا من بيان نقطة مهمّة لتفهيم معنى الآية، وهي لزوم اشتراط العلم والعصمة في الحاكم الإسلامي، وهنا يعلم أنّه لماذا كان الهدف الأساس في نهضة أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام تحقّق هذا المعنى بإجراء هذه الفريضة العظيمة، كما قال عليه السلام: «أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ، ومن ردّ علي هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ، وهو خير الحاكمين....» (بحار الأنوار ج٤٤: ص٣٢٩). فإنّ المستفاد من كلامه عليه السلام إحياء هذا العنصر المهمّ في ذلك الزمان الذي كان الناس يعانون حكومة لم يبقَ في المجتمع الإسلامي من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه، وكان يزيد يحرّم حلال الله ويحلّل حرامه جهاراً، ويخالف الإسلام في جميع أفعاله وسلوكه علناً، حتى
➔

➔
أضحى تعاطي الخمر ومنادمة القرود والكلاب وما إلى ذلك من عاداته الدائمة، فأصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً؛ ففي تلك الأوضاع والأحوال السائدة الذي حوّل يزيد بن معاوية المجتمع الإسلامي إلى مستنقع حلّت فيه الرذائل بدل الفضائل، والأهواء بدل القيم، والانحراف في أصل الدين وتحريف الإسلام، والانحراف في أصل الولاية، وترك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبديل الخلافة والإمامة إلى سلطنة، وبسط الظلم والجور، وعدم الاكتراث للانحرافات الثقافية والموبقات الأخلاقية و...

فكان من الطبيعي أنّ الخروج من المستنقع المذكور يتطلب تغييراً كبيراً وتحوّلاً عظيماً تستعيد فيه القيم مكانتها الأساسية، وتعود فيه الأصالة الواقعيّة إلى سابق عهدها في ظلّ سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيرة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فالإمام الحسين عليه السلام بنهضته وثورته في تلك البرهة والظروف أقام فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما أقام الأنبياء والأوصياء المعصومين عليهم السلام هذه الفريضة، ويمكن استكشاف ذلك من خلال مواقف الإمام عليه السلام في الأوقات المختلفة؛ فيُستفاد منها جميعاً أنّ أهمّ عامل من العوامل التي فجّرت ثورة عاشوراء هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل إنّ هذه الميزة هي التي رفعت قيمة النهضة الحسينيّة وأكسبتها مزيداً من التقدير والاحترام؛ ولذا ثار الإمام الحسين عليه السلام لأجل إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فجاء ذلك على لسانه حينما قال: «إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمة جدّي، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي صلى الله عليه وآله وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام». ففي مثل هذه الظروف، نادى الإمام الحسين عليه السلام: «إن كان دين محمد صلى الله عليه وآله لا يستقيم إلا بقتلي فيا سيوف خذيني». وإلى غير ذلك من أقواله عليه السلام. ويمكن القول بضرس قاطع: إنّ هذه العوامل تُشكِّل البُنية التحتيّة والعمود الفقري لقيام الإمام الحسين عليه السلام ونهضة عاشوراء؛ على أنّ كل واحد من تلك العوامل بحاجة إلى بحث وتحليل مفصل، وهو خارج عن دائرة هذه الدراسة.
🡐

وقد عرفت من الفرقان العظيم والسنّة الشريفة فعل جمهور الصحابة للمناكير [(١)]

➔

وملخّص الكلام أنّه يتبيّن من خلال معرفة الوصفين في الآية الشريفة أنّ تحقّق معنى خير الأمة في المجتمع الإسلامي كان منوطاً بتحقّق الشرطين في المجتمع كما أراد الإمام الحسين عليه السلام تحقّقهما في المجتمع الإسلامي آنذاك، بحيث يعكس جميع ما كان ثابتاً فيه من السلوكيات القبيحة والأعمال المنافية للإسلام لإجراء سيرة النبويّة صلى الله عليه وآله والسيرة العلويّة التي لم يمكن لأحد إجرائها إلاّ المعصومين عليهم السلام. فاتّضح بذلك أنّ الإمام الحسين عليه السلام جعل الهدف الأساس من قيامه هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنّ هذا المبدأ ضمان لبقاء الإسلام، فأراد الإمام عليه السلام تحقّق هذا المعنى الذي انطوى فيه معنى خير أمّة كما لايخفى على الخبير، فلاحظ.

(١) فإنّ مصادر أهل السنّة فيها استعراض لأعمال بعض الصحابة وأقوالهم المخالفة للقرآن والسنّة النبويّة، وتلاعبهم بالدين والأحكام الشرعيّة، من خلال ما ذكره علماء أهل السنّة في صحاحهم ومسانيدهم وتواريخهم مقتصراً عليهم دون ذكر أي كتاب من كتب الشيعة؛ لأن هؤلاء موقفهم من بعض الصحابة معروف ولا يتطلب مزيداً من التوضيح. وقبل ذكر الروايات نبدأ من القرآن الكريم، وهو كلام الله الذي لا يستحي من الحقّ، هو الذي فتح لنا هذا الباب وأعلمنا بأن من الصحابة منافقين، ومنهم الفاسقين، ومنهم الظالمين، ومنهم المكذّبين، ومنهم المشركين ومنهم المنقلبين، ومنهم الذين يؤذون الله ورسوله كما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى، ولا يأخذه في الله لومة لائم، قد فتح لنا هذا الباب وأعلمنا بأن من الصحابة مرتدّين، ومنهم المارقين والناكثين والقاسطين، ومنهم من يدخل النار ولا تنفعه الصحبة، بل تكون عليه حجّة قد تضاعف عذابه يوم القيامة، وإليك نماذج من الآيات والروايات. ولنبدأ بكلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو الحكم العدل وهو القول الفصل. قال تعالى في

➔

➔

بعض الصحابة: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة التوبة:١٠١)، وقال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (سورة التوبة:٧٤)، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (سورة التوبة:٧٥-٧٧)، وقال تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة:٩٧)، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (سورة البقرة:٨-١٠)، وقال تعالى: ﴿جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (سورة المنافقين: ١-٣)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيداً * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً﴾ (سورة النساء:٦٠-٦٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ

➔

➔
﴿الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة النساء:١٤٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (سورة المنافقين:٤)، وقال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾ (سورة الأحزاب: ١٨-١٩)، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (سورة محمد:١٦)، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (سورة محمد: ٢٩-٣٠)، وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (سورة الفتح:١١). فهذه الآيات البيّنات من كتاب الله المجيد وما بيّنته من نفاق وكفر بعض الصحابة الذين اندسّوا في صفوف الصحابة المخلصين، فكيف والحال هذه يشهد بها كتاب الله الحكيم، وأمّا مخالفتهم لرسول الله ﷺ في حياته الشريفه فهي كثيرة جداً، منها: مخالفتهم في صلح الحديبية، وهي حدثت في السنة الثالثة للهجرة، واشتاق النبي ﷺ إلى زيارة بيت الله فأعدّ العدّة للعمرة ومعه جمع من أصحابه وليس معهم من السلاح إلاّ سلاح المسافر، فلمّا وصلوا إلى أرض الحديبيّة منعوا من مواصلة السير، فبعد تبادل الرسل بينه وبين رؤساء
➔

➔

قريش اصطلحوا على وثيقة ذكرها أصحاب السيرة في كتبهم. فكانت نتيجة تلك الوثيقة رجوع النبيﷺ إلى المدينة ومجيئه في العام القابل للزيارة، وقد ذكر فيها شروط للصلح أثارت حفيظة بعض المسلمين، حتّى أنّ عمر بن الخطاب وثب فأتى أبا بكر فقال: أليس برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلان نعطى الدنيّة في ديننا (انظر السيرة النبوية لابن هشام ج٢ : ص٣١٦). فقد زعم الرجل أنّ البنود الواردة في صلح النبيﷺ تعني اعطاء الدنية في الدين، حتّى أنّ النبي أخبرهم حين الشخوص من المدينة أنّ الله سبحانه أراه في المنام أنّ المسلمين دخلوا المسجد الحرام، فلمّا انصرفوا ولم يدخلوا مكّة قالوا: ما حلّقنا ولا قصّرنا ولا دخلنا المسجد الحرام، فأنزل الله سبحانه قوله: ﴿**لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**﴾ (سورة الفتح:٢٧)، ولو أراد المتتبّع أن يتعمّق في السير والتفاسير يجد أنّ مخالفة القوم للرسولﷺ لم تكن مختصّة بموضوع دون موضوع، فكان تقديم الاجتهاد على النصّ شيئاً رائجاً عندهم. ومنها مخالفتهم في تجهيز جيش أُسامة: اتّفق المؤرّخون على أنّ النبي الأكرمﷺ أمر بتجهيز جيش أسامة، فقالﷺ: «جهّزوا جيش أسامة، لعن الله من تخلّف عنه»، فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره، وأسامة قد برز من المدينة، وقال قوم: قد اشتدّ مرض النبيﷺ فلا تسع قلوبنا مفارقته والحال هذه، فنصبر حتّى ننظر أي شيء يكون من أمره. هذا ما يذكره الشهرستاني ملخّصاً (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص٢٩). وذكره المؤرّخون على وجه التفصيل، فقال الطبري في أحداث سنة إحدى عشرة: وضرب على الناس بعثاً وأمّر عليهم أسامة بن زيد، وأمره أن يوطىء من آبل الزيت من مشارف الشام الأرض بالأردن، فقال المنافقون في ذلك، وردّ عليهم النبيﷺ إنّه لخليق لها أي حقيق بالامارة وإن قلتم فيه لقد قلتم في أبيه من قبل، وإن كان لخليقاً لها فطار الأخبار بتحلل السير بالنبيﷺ ويقول أيضاً: لقد ضرب بعث أُسامة، فلم يستتبّ لوجع رسول الله وقد أكثر المنافقون في تأمير أسامة، فخرج النبيﷺ على الناس عاصباً رأسه من الصداع لذلك، وقال: «وقد بلغني أنّ أقواماً يقولون في إمارة أُسامة، ولعمري لئن

➔

التي منها بيعتهم للثلاثة[(١)]

←

قالوا في إمارته لقد قالوا في إمارة أبيه من قبله، وإن كان أبوه لخليقاً للإمارة، وإنّه لخليق لها بعد أُسامة»، وقال: «لعن الله الذين يتّخذون قبور أنبيائهم مساجد»، فضرب بالجرف وأنشأ الناس في العسكر، ونجم طليحة وتمهّل الناس وثقل رسول اللهﷺ فلم يستتم الأمر ينظرون أوّلهم آخرهم حتّى توفّى الله نبيّهﷺ (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٤٢٩). وقد ذكر القصّة ابن سعد في طبقاته (انظر الطبقات لابن سعد ج٢: ص١٨٩)، والحلبي في سيرته (انظر سيرة الحلبي ج٣: ص٢٢)، وإلى غير ذلك من المصادر. ومنها مخالفتهم للنبيﷺ في إحضار القلم والدواة؛ فعن ابن عباس قال: لمّا اشتدّ بالنبيﷺ وجعه، قال: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده»، قال عمر: إنّ النبيﷺ غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط، قالﷺ: «قوموا عنّي ولا ينبغي عندي التنازع»، فخرج ابن عباس يقول: إنّ الرزيّة كل الرزيّة ما حال بين رسول اللهﷺ وبين كتابه (انظر صحيح البخاري ج١: ص٣٧ كتاب العلم، باب كتابة العلم). ولنكتف في المقام بهذا المقدار من المخالفة الصحابة للقرآن والسنّة النبويّة الشريفة، وسنذكر مخالفاتهم بالتفصيل في محلّه إن شاء الله تعالى.

(١) وبعبارة أوضح أنّ بيعة الناس للخلفاء الثلاثة عقيب وفاة رسول اللهﷺ مخالفة صريحة للقرآن والسنّة النبويّة. لأنّ القرآن والسنّة النبويّة حجّة شرعيّة عليهم، فيجب عليهم الالتزام بهما، والعمل بمقتضاهما. ولا يخفى على الخبير أنّ القرآن والسنّة النبوية يؤكّدان على أنّ المنظور الإسلامي للخلافة بعد النبيﷺ أوسع من القيادة السياسيّة فحسب؛ لأنّ الخلافة على نحو الإطلاق لا تقلّ عن مرتبة النبوّة؛ حيث أنّ الخلافة في الإسلام عبارة عن نيابة الرسولﷺ في جميع الأمور والجهات التي كان رسول اللهﷺ يتولاها، فالخليفة هو النائب عن النبيﷺ في جميع المسؤوليّات لا القيادة السياسية فحسب، التي أسّسها أتباع خلافة السقيفة بالمؤامرة، تلك المؤامرة الكبرى التي لعبت أخطر الأدوار في إقصاء القرآن والسنّة المحمديّة، وإبدالها ببدع جاهليّة سببت نكسة المسلمين وارتدادهم

←

➔

عن الصراط المستقيم وتفرّقهم واختلافهم ومقاتلة بعضهم البعض وتخلّفهم العملي والتقني ممّا أدّى إلى إذلالهم وتحقيرهم بعد ذلك، حيث أنّهم رفضوا الخلافة الإلهيّة والنبويّة الذي جاءهم بالنصّ يوم غدير خم، وهو النصّ الذي لم يفسح المجال للناس أن يختاروا لهذا المقام العظيم أحد. فكان من الواجب عليهم الالتزام بالخلافة بالنصّ كما أنّ النبوة تكون كذلك. ومن هنا أنّ الشيعة الإماميّة يستدلّون بالأدلة المتّفقة بين جميع المسلمين على خلافة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام، فيستدلّون بالقرآن والروايات المتواترة بين جميع المسلمين على إمامة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من العترة الطاهرة عليهم السلام. وقد بايعم شيعتهم ومحبّيهم من الصحابة الأولين الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله على الإسلام ونصرة رسول الله صلى الله عليه وآله فبايعوا الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام على نصرة الدين، وثبتوا معه على العهد وكانوا من الشاكرين. وأمّا أتباع خلافة السقيفة الجائرة فإنّ البيعة لخلفائهم كانت مخالفة للنصوص القرآنية والسنّة النبويّة، حيث لم تكن الشورى مبدأ للحكم في الاسلام، وإنّما الإمامة كالنبوبة منصباً إلهياً يحتاج إلى تعيينه تعالى ونصبه، لا أنّها من الفروع المتعلّقة بأفعال المكلّفين، مضافاً إلى أنّ السقيفة كانت قائمة على الإيمان الإجباري لا الإيمان الحقيقي؛ ولذلك قال أبو يعلى الفرّاء نقلاً عن أحمد بن حنبل: إنّ الخلافة تثبت بالغلبة والقهر، ولا تفتقر إلى العقد ومن غلب بالسيف حتى صار خليفة وسمى أمير المؤمنين، فلا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً برّاً كان أم فاجراً. وقال في رواية أبى الحارث في الإمام يخرج عليه من يطلب الملك فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم، تكون الجمعة مع من غلب... (انظر الأحكام السطانية للماوردي: ص١١٥ ونظام الحكم في الشريعة والتاريخ لظافر القاسمي: ص٢٤٤). وبذلك أصبح أهل السنّة والجماعة رهينة هذه البدعة في الإسلام، فهم يبايعون الغالب والمتغلّب بقطع النظر عن ورعه وتقواه وعلمه، برّاً كان أم فاجراً، والدليل على ذلك أنّ كثيراً من الصحابة الذين قاتلوا مع النبيّ صلى الله عليه وآله الكفّار والمشركين بايعوا معاوية بن أبي سفيان الذي حارب رسول الله صلى الله عليه وآله وكان من قادة جيش الكفّار، ثم بعد فتح مكّة استسلم

➔

وهجرهم للمعروف الذي منه المتابعة للخليفة الحقّ على عامّة الخلق بعد الرسول صلى الله عليه وآله[(١)]

➔

وكان الناس يسمّونه الطليق، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سمّاهم الطلقاء. فبايعوه مع أنّه تسلّط على رقاب الناس بالتزوير، كما قبلوا بخلافة مروان بن الحكم الذي سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله الوزغ (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص٤٧٩ وصحّحه الذهبي في الهامش). وطرده من المدينة وقال: لا يساكنني حيّاً ولا ميّتاً (لاحظ الغدير ج٨: ص٢٤٣ نقلاً عن أنساب الأشراف) بل قبلوا بخلافة يزيد بن معاوية، وبايعوه بإمارة المؤمنين، ولمّا ثار عليه الحسين سبط النبيّ صلى الله عليه وآله قتلوه وأهل بيته لتثبيت ملك يزيد وتصحيح خلافته، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وسنذكر تفصيل الكلام في محلّه إن شاء الله تعالى.

(١) لا يخفى أنّ وجوب متابعة إمام الحقّ إنّما هو بأمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله، فالإمامة كتاباً وسنّة تبتني على الحجج الشرعيّة التي تتمثل في النصوص القرآنية والسنّة النبويّة المتّفق عليها عند جميع المسلمين. فيلزم على كل مسلم العمل بها باعتبار لزوم العمل بالحجّة، ووجوب السير على طبق الطريق المعتبر عند الشارع الأقدس؛ قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ (سورة النساء:٥٩) هذه الآية تأمر المؤمنين - أولاً - بأن يطيعوا الله، فتكون طاعة الله واجبة عليهم بهذا النصّ، ثم طاعة الرسول صلى الله عليه وآله، ومن البديهي أنّه يجب أن تنتهي جميع الطاعات إلى الله سبحانه؛ لأنّ كلّ ولاية وقيادة يجب أن تتّبع من ولاية الله وذاته المقدسة؛ إذ كل حاكميّة ومالكية يجب أن تكون بإذنه وبأمره، فوجوب طاعة الله في قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله، هي الطاعة الذاتية.

وفي المرحلة الثانية تأمر الآية باتّباع النبي صلى الله عليه وآله وطاعته؛ لانّ النبي صلى الله عليه وآله المعصوم الذي لا

➔

➔

ينطق عن الهوى، حجّة إلهية وهو خليفة الله بين الناس، وكلامه كلام الله، وقد أعطاه الله هذا المقام، فتجب طاعته بأمر الله.

وبعبارة أخرى أنّ طاعة النبيﷺ ناشئة من طاعة الله سبحانه، ومن هنا تكون طاعته واجبة بالعرض؛ لأنّ الله تبارك وتعالى أمر بطاعته، ولعلّ تكرار لفظ أطيعوا في الآية الكريمة من جهة بيان هذا الفرق بين الطاعتين. فيجب على جميع المسلمين الطاعتين، واتّباع أوامرهما، كما أنّ طاعة أولى الأمر أيضاً كطاعة النبيﷺ واجبة بأمر الله، لأنّ السياق والعطف يدلان على أنّ أولى الأمر له جميع مواصفات النبيﷺ من العصمة والعلم وغيرها من الأوصاف التي تكون سبباً لوجوب طاعته، وإلاّ فلا يصحّ العطف بالإطلاق من الحكيم. فتجب طاعة أولى الأمر كطاعة النبيﷺ.

ثم إنّ المراد من الاختلاف والتنازع في الآية هو الاختلاف في الأحكام والقوانين الكليّة الإسلاميّة التي يعود أمر تشريعها إلى الله سبحانه ونبيهﷺ، وأمّا الإمامة والولاية فلا يدخلان في هذا النوع من النزاع؛ لأنّ الإمامة والولاية من المسائل التى يجب أن تكون بأمر الله كما نصّت الآية على وجوب طاعته كطاعة النبيﷺ.

وعليه يجب على كافّة المؤمنين الرجوع في موارد الإختلاف إلى الله والرسول وأولى الأمر. ومن هنا يُعرف أنّ جميع النصوص في باب الإمامة تجب أن تكون كالآية الشريفة متّفق عليها بين جميع المسلمين، أو كالسنّة المتواترة المتّفق على قبولها بين جميع المسلمين فتكون حجّة عليهم، فالشيعة تعتقد إنّ النصوص الدالة على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام من هذا النوع من النصوص التي تكون حجّة عند جميع المسلمين. وبناءً على ذلك فإنّ أصل الإمامة ثابتة في القرآن الكريم باعتبار أنّها عهد من الله سبحانه ومنصب إلهي لمن يشاء من عباده وليست من تنصيب البشر ولا من الشورى، ولا ينالها الظالمون كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ (سورة البقرة:١٢٤)، هذه الآية الكريمة تتحدّث عن دراسة قرآنية بشأن الإمامة ومن يستحقّها،

➔

➔
فتقول: أن منزلة الإمامة الممنوحة لإبراهيم عليه السلام بعد كل الاختبارات التي وقعت، ونجح بها ابراهيم الخليل عليه السلام تفوّق منزلة النبوّة والرسالة، فهذه هي الإمامة في القرآن. كما أنّ القرآن نصّ على أنّ وظيفة الإمام هي الهداية بأمر الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآَيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ (سورة السجدة:٢٤)، كما النصّ أيضاً على أنّ الإمام هو خليفة الله في الأرض وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائكَة إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تعلمون**﴾ (سورة البقرة:٣٠). فتبيّن من خلال هذه الآيات أنّ الإمامة ليست مطلق الهداية، بل هي الهداية التي تقع بأمر الله سبحانه. ويمكننا أن نلخص عقيدة الإمامة فى القرآن بما يلي:

١- وجوب الإمامة على الله.

٢- وجوب النصّ على الإمام من قبل الله عزّ وجلّ.

٣- وجوب عصمة الإمام.

٤- علم الإمام إلهام من الله.

٥- منزلة الإمام كمنزلة النبي صلى الله عليه وآله باستثناء الوحي والكتاب.

ولهذا السبب نجد أن علماء الشيعة يعتقدون في الإمامة ما فرضه الله في القرآن الكريم، فالإمامة عند الشيعة لم تتحقّق عن اختيار ورغبة الناس بقبول شخص أو تعيينه، وإنّما يكون هذا المنصب خاضعاً لإرادة الله سبحانه يختار من يشاء من عباده ممّن تتوفّر فيه شروط الإمامة، ولهذا أنّ الشيعة تعتقد أنّ الإمامة خلافة إلهيّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وتجب طاعة الامام على الأمّة كافة، كما تجب طاعة الرسول.

ومن هنا اتّضح أنّ الأدلة التي ساقها الشيعة على تعيين النبي صلى الله عليه وآله لشخص الامام أميرالمؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام تُبطل جميع الأقوال في دعوى الإمامة كما اتّضح أنّ الأدلة التي اعتمد عليها الشيعة لإمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام موجودة في الكتب المعتبرة عند أهل السنّة، سواء كانت الأدلّة من القرآن الكريم، كآية الانذار والولاية وآية التطهير والمودّة
➔

➔
وغيرها فقد ورد في كتب تفسيرهم الروايات المفسرة للآيات المذكورة وغيرها بأسناد معتبرة، وبل المتواترة الدالة على إمامة مولانا الامام أميرالمؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، وأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام. كما وقد ورد في السنّة النبويّة الصحيحة عند جميع أهل السنّة كحديث الغدير والمنزلة والثقلين وغيرها من الأحاديث الناصّة على خلافة مولانا الامام أميرالمؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام. فلا شكّ أن كل من يؤمن بنبوة النبي صلى الله عليه وآله بأنّه لا ينطق من الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ينبغي أن يؤمن بهذه الأحاديث، لئلا يشاقق الله ورسوله صلى الله عليه وآله، ويتّبع غير سبيل المؤمنين كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾ (سورة النساء:١١٥)، ولأجل هذا نذكر هنا جملة من الأدلّة والنصوص الدالّة على إمامة مولانا الامام أميرالمؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام من كتب أهل السنّة من باب المثال والاختصار، ليتّضح للقارئ الكريم أنّ معتقد الشيعة في الإمامة إنّما هي بالنصّ المعتبر عند جميع المسلمين. فقد أخرجه علماء أهل السنّة هذه النصوص في كتبهم وإليك بعض هذه النصوص:

منها: آية الانذار أو الدار وهي قوله تعالى: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ (سورة الشعراء:٢١٤)، هذه الآية الكريمة من الآيات الصريحة التي يستند عليها الشيعة في إثبات الوصيّة والنصّ للامام أميرالمؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وهي آية الانذار، التي أخرج علماء أهل السنّة في تفسيرها الروايات الدالّة على إمامة مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام: فقد أخرج الطبري في تأريخه وابن الأثير في الكامل في حديث طويل عن مولانا الامام أميرالمؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، وذلك عندما نزلت الآية وأنذر عشيرتك الأقربين قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «"وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟" قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت: "أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه"، فأخذ برقبتي، ثم قال: "إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا"، قال: فقام القوم
➔

➔

يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع» (تاريخ الطبري ج٢: ص٣٢١). ورواه ابن الأثير في الكامل في التاريخ ج٢: ص٤١ وغيره. يقول الشهرستاني: وأمّا تصريحاته - أي النبي صلى الله عليه وآله - فمثلما جرى في نأناة الاسلام - أي حين كان ضعيفاً- حين قال: «من الذي يبايعني على ماله؟» فبايعه جماعة. ثم قال: «من الذي يبايعني على روحه وهو وصي وولي هذا الأمر من بعدي؟» فلم يبايعه أحد حتّى مد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يده فبايعه على روحه ووفى بذلك، حتّى كانت قريش تعير أبا طالب أنه أمر عليك ابنك...(انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص١٦٣). وهذا الحديث الذي يدلّ على الوصاية من النبي صلى الله عليه وآله للامام أميرالمؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام قد أخرجه أصحاب التفسير من علماء السنّة منهم: أبو الحسن النيسابوري في أسباب النزول: ص١٤٨، وابن حجر العسقلاني في الإصابة ج٤: ص٥٦٨، وأحمد في المسند ج١: ص١١١، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٢: ص١٦٨، وابن كثير في تفسيره القرآن العظيم، ج٢: ص٣٥٠-٣٥١، والقندوزي في ينابيع المودة ج١: ص١٠٤ وغير هؤلاء من علماء السنّة وحفّاظهم. إذا نظرنا إلى هذا الحديث، نجد أن النبي صلى الله عليه وآله جعل الوصاية والخلافة للذي يؤازره على أمر الرسالة، ولم يؤازره على هذا الأمر غير الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فتثبت بمقتضى ذلك وصايته وخلافته. ولما كان أهل البيت عليهم السلام أفضل من غيرهم بمقتضى قوله تعالى: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**﴾ (سورة الشورى:٢٣) فهؤلاء الذين أمر الله سبحانه المسلمين بمودّتهم ومحبّتهم لفضيلتهم على غيرهم، فمن طريق أولى أن تثبت الخلافة لهم، فإذا ثبتت الخلافة والوصاية لهم فتثبت إمامة مولانا المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على المسلمين كافّة.

ومنها: آية الولاية، وهي قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ (سورة المائدة:٥٥)، هذه الآية الكريمة تدلّ على أن الولاية المطلقة لله سبحانه فهو المتصرّف في شؤون عباده، ولما كان العطف

🡐

➔
في اللغة يفيد المشاركة في الحكم، فإنّ هذه الآية بمقتضى هذا العطف تكون للنبيﷺ، وإذا ثبت ذلك، فيكون معناها المتصرّف في شؤون الغير هي الإمامة والخلافة المطلقة، فتكون ثابتة بمقتضى هذه الآية في الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، وهذه الآية نزلت في الإمام المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام باتّفاق أهل السنّة والشيعة، فهو المجمع عليه دون سواه. يقول الزمخشري في تفسيره: إنّها نزلت في عليعليه السلام حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح خاتمه كأنه مرجاً في خنصره فلم يتكلّف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته (انظر الكشاف للزمخشري ج١ ص٧١). وقال ابن كثير في تفسيره: وإنما وليكم الله... الآية عن غالب بن عبد الله سمعت مجاهداً يقول في قوله: إنما وليكم الله ورسوله... الآية، نزلت في علي بن أبي طالب، تصدق وهو راكع، وقال عبد الرزاق حدّثنا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله: إنما وليّكم الله ورسوله... نزلت في علي بن أبي طالب. وروى ابن مردويه من طريق سفيان الثوري عن أبي سنان عن الضحّاك عن ابن عباس قال: كان علي بن أبي طالب قائماً يصلي فمرّ سائل وهو راكع فأعطاه خاتمه فنزلت: إنما وليكم الله ورسوله... (انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢: ص٧١). وقد أخرج هذه الآية في الامام عليعليه السلام حفّاظ أهل السنّة ومفسّروهم، منهم: القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج٦: ص٢٢١، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج١: ص١٦١، والنيسابوري في أسباب النزول: ص١٣٢-١٣٣، والسيوطي في الدر المنثور ج٢: ص٢٩٣، والفخر الرازي في التفسير الكبير ج٣: ص٤١٧، وابن المغازلي في المناقب: ص١٩٣- ١٩٤، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣ ص٣٠٨، وسبط بن الجوزي في تذكرة: ص١٥- ١٦، وغير هؤلاء، يقول حسان بن ثابت في هذه المناسبة:
➔

➔

أبا حسن تفديك روحي ومهجتي ... وكلّ بطيء في الهوى ومسارع
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً ... فدتك نفوس الخلق يا خير راكع
بخاتمك الميمون يا خير سيد ... ويا خير شار ثم يا خير بايع
فأنـزل فيك الله خير ولاية ... وبينها فـي محكمات الشرايع

(انظر ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج١: ص٦٢)

ومنها: آية التطهير، وهي قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ (سورة الأحزاب:٣٣).

وقبل أن نشير إلى معنى الآية وما ورد فيها من أقوال علماء أهل السنّة ومفسّريهم، ننقل قول ابن تيمية في كتابه "حقوق آل البيت بين السنّة والبدعة" في بيان نزول هذه الآية، كما عن أمّ سلمة في قولها ولما بين سبحانه أنه يريد أن يذهب الرجس عن أهل البيت ويطهّرهم تطهيراً، دعا النبيﷺ لأقرب أهل بيته وأعظمهم اختصاصاً به وهم: علي، وفاطمةعليها السلام، وسيدا شباب أهل الجنّة، جمع الله لهم بين أن قضى لهم بالتطهير وبين أن قضى بكمال دعاء النبيﷺ فكان ذلك ملا دلنا على أن إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم نعمة من الله (انظر حقوق آل البيت لابن تيمية: ص١٠-١٢). وهذا يدلّ صراحة أن الآية نزلت في هؤلاء دون سواهم من نساء النبيﷺ فإنّ موقف ابن تيمية من أهل البيتعليهم السلام معلوم؛ إذ هو المنكر لكلّ ما يعتقده الشيعة، ومع هذا سلم بأنّ آية التطهير نزلت في الخمسة الطيّبة وهم الإمام أمير المؤمنينعليه السلام، والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراءعليها السلام والإمام الحسنعليه السلام والإمام الحسينعليه السلام وتأكيداً لهذا إليك ما جاء عن مفسري أهل السنّة ورواتهم، على سبيل المثال: فقد روى مسلم في صحيحه عن عائشة قالت: خرج النبيﷺ غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ (صحيح مسلم ج٧: ص١٣٠ كتاب الفضائل باب فضائل أهل بيت النبيﷺ). وأنت ترى أن عائشة تعترف بأن الآية لم تنزل فيهن،

➔

➔

وهي أحدى نساء النبيصلى الله عليه وآله وروى ابن تيمية عن أمّ سلمة، وهي من نساء النبيصلى الله عليه وآله أيضاً إن هذه الآية لما نزلت أدار النبيصلى الله عليه وآله كساءه على علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» (انظرحقوق آل البيت لابن تيمية: ص١٠). وقال القرطبي في تفسير: هذه الآية وإن هذا الشيء جرى في الأخبار أن النبيصلى الله عليه وآله لمّا نزلت عليه هذه الآية، دعا عليّاً وفاطمة والحسن والحسين، فعمد النبيصلى الله عليه وآله إلى كساء فلفّها عليهم، ثم ألوى بيده إلى السماء، فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» (انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٤: ص١٨٤). ويقول البيضاوي في تفسيره: وتخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهماعليهم السلام لما روي أنهصلى الله عليه وآله خرج ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود... (انظر أنوار التنزيل: ص٥٥٧). وقال ابن كثير في تفسيره: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس... الآية كانصلى الله عليه وآله يمرّ بباب فاطمة عليها السلام ستّة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: «الصلاة يا أهل البيت، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً». وقد أخرجها ابن كثير في تفسيره بطرق مختلفة (انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٣: ص٤٨٣-٤٨٥). ولهذا يقول ابن حجر في صواعقه: إن أكثر المفسّرين على أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين (انظر الصواعق المحرقة، ص١٤١). ويقول أيضاً: وصحّ أنهصلى الله عليه وآله جعل على هؤلاء كساء وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامّتي- أي خاصّتي- أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»، فقالت أم سلمة: وأنا معهم؟ قال: «إنك على الخير» (انظر الصواعق المحرقة: ص١٤٣). وروى ابن كثير عن عائشة قالت لابن عم لها حينما سألها عن عليعليه السلام: فقالت: تسألني عن رجل كان من أحبّ الناس إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله وكانت تحته ابنته وأحبّ الناس إليه؟ لقد رأيت رسول اللهصلى الله عليه وآله دعا عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام فألقى عليهم ثوباً فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» قالت: فدنوت منهم، فقلت: يا رسول الله وأنا من أهل بيتك، فقالصلى الله عليه وآله: تنحي فإنك على خير (انظر تفسير القرآن العظيم، ج٣:

➔

➔

ص٤٨٥-٤٨٦). وأخرج الحافظ الذهبي في تلخيصه على المستدرك في حديث صحيح عن ابن عباس قال: ....وأخذ رسول الله ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين وقال: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية...» صحيح. ثم قال: هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين وبهامش تلخيص الذهبي ج٣: ص١٣٢- ١٣٣). هذا وقد أخرج هذه الرواية في تفسير الآية كثير من علماء أهل السنّة لا يسعنا المجال لذكرها. يقول الدكتور أحمد صبحي معلّقاً على آية التطهير: وهذا التفسير يفيد أن آل البيت بيت النبيصلى الله عليه وآله هم المقصودون من لفظ القربى في الآية.... إذ أنّ ابن تيمية مع تطرّفه في معارضة تفسيرات الشيعة، قد سلم أنه ورد في الصحيح أن النبيصلى الله عليه وآله قد خطب يوم غدير خم فقال: «أذكركم في أهل بيتي»، قالها ثلاثاً (انظر نظرية الامامة: ص١٨٤). ولهذا يقول العلامة المناوي في فيض القدير في شرح الجامع الصغير للعلامة السيوطي في حديث صحيح: «...أهل بيتي»: تفصيل بعد إجمال بدلاً او بياناً وهم أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً (انظر فيض القدير ج٣: ص١٤- ١٥). ومن كلّ هذا يظهر لنا أنّ ما أكّد عليه النبيصلى الله عليه وآله من أجل تهيئة الجوّ لهم لاستلام الخلافة من بعده، وتنبيه المسلمين على أن هؤلاء هم الصفوة التي ينبغي أن يسند إليهم قيادة المسلمين وهناك نصوص كثيرة من آيات وروايات وهي تدلّ على إمامة مولانا أمير المؤمنينعليه السلام سنذكرها ان شاء الله في محلّه. فما كان موقف لأهل السنّة إزاءها.

أما إزاء الدفاع عن مبدأ الاختيار فلم يكن موقفهم متماسكاً موحداً، ويرجع ذلك إلى اختلاف آرائهم في كيفيّة الاختيار، لذلك لا نجد عند متكلمي أهل السنّة موقفاً مجمعاً عليه، الأمر الذي يسر على الشيعة نقد دعوى الاختيار والشورى العمريّة من أساسها واثبات تهافتها فضلاً عن عدم انطباقها في الواقع وعليه فإنّ هجرهم لإمام الحقّ هدر للمعروف الذي الذي يجب عليهم الالتزام به ومنه المتابعة للخليفة الحقّ على جميع الخلق بعد الرسولصلى الله عليه وآله، فلاحظ.

فإن زعم السنّي أنّ أهل مذهبه يرون نصوصاً كثيرة في إمامة الثلاثة، قيل له: قد علم فرية هذه النصوص بوجوه عديدة تقدّمت[1]،

---

(١) قد تقدّم الردّ على قول أهل السنّة بوجود النصّ على خلافة الخلفاء الثلاثة بوجوه عديدة. نشير هنا إلى بعضها، فمن تلك الوجوه: أنّ اعتقاد أهل السنّة في باب الإمامة مبني على عدم وجود النصّ، فهم يعتقدون أنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله التحق بالرفيق الأعلى ولم يعيّن أحداً للخلافة، فيقولون: من أجل ذلك اجتمعت الصحابة في السقيفة وولّوا أمرهم أبا بكر. وعليه لا معنى لوجود النصّ على خلافة خلفاء الثلاثة، لأنّ وجود النصّ ينفي أساس قولهم في باب الإمامة.

ومنها: ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة في حديث طويل يذكر فيه قصّة السقيفة... (إلى أن قال): فقال أبو بكر: فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة الجرّاح... (انظر صحيح البخاري ج٤: ص١٩٤ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد نصّ على خلافة أبي بكر كيف جاز لأبي بكر أن يقول للناس بايعوا عمربن الخطاب أو أبا عبيدة؟!! ولماذا لم يقل أنّ النبي صلى الله عليه وآله قد نصّ على خلافتي؟!!

ومنها: ما رواه الطبري بسنده عن عبد الرحمن بن عوف قال: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه الذي توفّي فيه... فقال أبو بكر: وددت أنّي كنت سألته (أي النبي صلى الله عليه وآله) هل للأنصار في هذا الأمر (أي أمر الخلافة) نصيب؟ (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٦٢٠). وعليه إذا كان هناك نصّ على خلافة الخلفاء الثلاثة لماذا تمنّى أبو بكر أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله هل للأنصار نصيب في مسألة الخلافة؟!!

ومنها: ما أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عمر أنّه قال: قيل لعمر بن الخطاب: ألا تستخلف؟ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي رسول الله صلى الله عليه وآله... (صحيح البخاري ج٨: ص١٦ كتاب الأحكام، باب الاستخلاف). وهذا اعتراف صريح من عمر بن الخطاب على عدم وجود النصّ على ←

فإن قال: قد حصل بالثلاثة المقصود من الخليفة[(١)]،

➔

خلافة الخلفاء الثلاثة.

ومنها: ما رواه ابن حجر المكي بسنده عن إسحاق وغيره أنّهم سألوا أبا بكر: ما حملك على أن تلي أمر الناس، وقد نهيتنا عن أن نتأمّر على الناس؟ فقال: لم أجد من ذلك بدّاً، خشيت على أمّة محمّد الفرقة... (الصواعق المحرقة: ص١٠). وعليه لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد النصّ على خلافة الخلفاء الثلاثة كيف يقول أبو بكر في الجواب خشيت على الأمّة؟!!! بل لو كان النصّ ثابتاً في خلافته وخلافة الخلفاء الثلاثة لكان عليه أن يقول قد نصّ رسول الله صلى الله عليه وآله على خلافتي لا أني خشيت على فرقة الأمّة.

ومنها: ما رواه الطبراني وغيره بإسنادهم عن أبي بكر أنّه قال: "أقيلوني ولست بخيركم" (انظر المعجم الأوسط للطبراني ج٨: ص٢٦٧، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١: ص١٦٩ وتفسير القرطبي ج١: ص٢٧٢ وغيرهم). فإنّ الاستقالة من أبي بكر دليل على عدم وجود النصّ عليه، فلو كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد نصّ على خلافته كيف يجوز له الاستقالة؛ إذ مع وجود النصّ أنّ الاستقالة معناه مخالفة النصّ، وعليه لا بدّ لأهل السنّة إمّا أن يلتزموا بمخالفة النصّ أو بعدم وجود النصّ. فهذه ملخّص بعض تلك الوجوه التي تقدّم ذكرها.

(١) وتوضيح المقام أنّه لو قيل أنّ الخلفاء الثلاثة وإن قلدوا الخلافة بأسمائهم ولم يرد نص على مشروعية خلافتهم فإن نفس تسلّطهم على رقاب الناس واتّباع الصحابة لهم دليل على اعتبار خلافتهم. قلنا في الجواب أنّه لا شكّ أنّ وجوب طاعة الإمام إنّما تكون بالأدلّة الشرعيّة من الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وإنّ اتّباع الصحابة بخلفاء الجور والاقتداء بهم مخالفة صريحة لله ورسوله صلى الله عليه وآله عن علم وعمد؛ لأنّ القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة قد بيّنا بالأدلّة الواضحة والنصوص العديدة لا يصعب منها فهم أنّ مسألة الإمامة هي استمرار للرسالة الإلهية واعتماد على المرجعيّة المنصوبة من قبل الله عزّ وجلّ، فهي تضمن الهداية ووقاية الأمّة والدين من الانحراف والضلال؛ ولذلك ورد في النصوص

➔

➔

والأدلّة أنّ كل ما دلّ على وجوب النبوة، فهو دالّ على وجوب الإمامة أيضاً سوى نزول الوحي، فالإمام عنصر الهداية الإلهية، كما أنّ النبي يكون كذلك، وهو الشاخص والمعرّف للمؤمن المرتبط بالله، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ولولا أنت يا عليّ لم يعرف المؤمنون بعدي، وكان بعده هدىً من الضلال...» وهذا إشارة واضحة إلى أن فريضة الولاية هذه ضرورة لاستمرار المؤمنين على الخط الإلهي. ومعظم نصوص الإمامة من القرآن والسنّة تحمّل ذات هذا المضمون لتجعل الإمامة الربانيّة هي المصدر المتمثّل للرسالة الإلهية والامتداد المتوقّع للخط الإلهي على الأرض المتصّل منذ آدم عليه السلام إلى يوم الدين، لمواكبة أهداف وخطط الرسالة الخاتمة التي قد أكملت نصوصها مع انقطاع الوحي، لكن لم تكتمل مقاصدها وبرنامجها التي تتجاوز زمن ومكان النزول إلى كل المعمورة والأمم إلى يوم الدين، وهذا هو الأمر الذي يدافع عنه اتّباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام في مسألة الإمامة، فإنهم يعتقدون أن امتداد القيادة بعد النبي صلى الله عليه وآله سيستمر إلى الأبد، لا في شكل النبوة، بل في شكل الإمامة والخلافة عن النبوّة، قائمة مقامها، إلا من تلقي الوحي الإلهي، وهذا معنى الإمامة في القرآن والأحاديث الصحيحة، فالصحابة الذين اتّبعوا خلفاء الجور قد جحدوا هذه الرسالة الإلهية واستيقنها أنفسهم. ولقد حفلت المصادر الإسلامية بالنصوص المتواترة والكثيرة من القرآن الكريم والسنّة النبوية، والتي دلّت على إمامة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأحقيّته بالخلافة والإمامة والقيادة، وإنّ الآثار المرويّة على لسان النبي صلى الله عليه وآله تكشف اللثام عن وجه الحقيقة وتعرب عن التفاف ثلّة من المهاجرين والأنصار حول الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وكانوا معروفين بشيعة علي عليه السلام، وإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سمّاهم الشيعة ووصفهم بأنّهم الفائزون، وإليك بعض ما روي مقتصراً بالقليل من الكثير: فقد أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله، قال: كنّا عند النبي صلى الله عليه وآله فأقبل عليّ عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»، ونزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (سورة البينة:٧) فكان

➔

قيل له: ما قصدت بذلك؟ فإن قصدت به مطلق طاعة جمهور الناس، فنقول: هذه قد حصلت وليست بنافعة لمدّعيها حسبما يعلم ذلك من الشقّ الثاني من الترديد في معنى قوله وهو سياستهم للناس بجميع ما وردت به الشريعة، فإنّ الخليفة لم يجعل لغير هذه الوظيفة[1]،

➔

أصحاب النبيﷺ إذا أقبل عليّ قالوا: جاء خير البرية (الدر المنثور ج٦: ص٣٧٩). وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال: لمّا نزلت: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾ قال رسول اللهﷺ لعليّعليه السلام: «هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين» (انظر فتح القدير للشوكاني ج٥: ص٤٧٧). وأخرج الخوارزمي بسنده عن سلمان الفارسي: أنه سمعﷺ يقول: «إن أخي ووزيري وخير من أخلفه بعدي علي ابن أبي طالب» (المناقب للخوارزمي: ص١١٢ ح١٢١). وروى الحمويني بإسناده عن الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام قال: قال رسول اللهﷺ: «من لم يقل علي خير الناس فقد كفر» (فرائد السمطين ج١: ص١٥٤ ح١١٦). ورواه ابن عساكر في ترجمة الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام ج٢: ص٤٤٤ ح٩٥٤ وغيره، وأخرج الكنجي الشافعي بسنده عن جابر قال: سئل عن علي فقال: "ذاك خير البشر لا يبغضه إلا كافر" وروي عن عطا قال: سألت عائشة عن عليعليه السلام فقالت: ذاك خير البشر، لا يشكّ فيه إلا كافر (كفاية الطالب: ص٢٤٦). وإلى غير ذلك من الروايات التي سيأتي ذكرها وهي كثيرة جداً، وهي تدلّ بالصراحة على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وتقدّمه على جميع الخلق بعد رسول اللهﷺ، فغصب الخلافة بعد تعيين الله ورسولهﷺ ضرره يتوجّه إلى الإسلام والمسلمين، فكيف يمكن تحصيل المقصود بمخالفة الله ورسولهﷺ؟!! وبعبارة أوضح كيف يمكن تحقّق خير أمّة مع مخالفة الله ورسولهﷺ؟!!

(١) وتوضيح المقام أنّ أصحاب السقيفة وإن تسلّطوا على الناس - سواء كان بانتخاب الناس أو بالقهر والغلبة - ولكن مع ذلك أنّ علمائهم يشترطون في الإمامة أن يكون الشخص

➔

➔

صالحاً للخلافة والإمامة وذلك بأن لا يرتكب المحرّمات ولايخالف كتاب الله وسنّة رسولهﷺ والشريعة المقدسة، وإلاّ فلا يكون صالحاً لهذا المقام العظيم عند أهل السنّة. وحيث أنّ الخلفاء الثلاثة ارتكبوا المخالفات الكثيرة للقرآن والسنة النبويةﷺ فلا صلاحيّة لهم لذلك الشأن العظيم. وقد أخرج كبار علماء أهل السنّة الروايات الصحيحة الدالّة على ارتكابهم الجرائم والمخالفات للشريعة المقدسّة، وإليك بعض النماذج من تلك مخالفات التي سجلّها علماء أهل السنّة في كتبهم، فمنها: ما أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن عروة بن الزبير قال: إن عائشة أخبرته أن فاطمةعليها السلام ابنة رسول اللهﷺ سألت أبا بكر بعد وفاة رسول اللهﷺ أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول اللهﷺ ممّا أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إن رسول اللهﷺ قال: "لا نورث ما تركنا صدقة"، فغضبت فاطمة بنت رسول اللهﷺ فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتّى توفّيت وعاشت بعد رسول اللهﷺ ستّة أشهر (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٤٢ كتاب دعاء النبيﷺ، باب فرض الخمس). ورغم أنّ البخاري لم يذكر تمام الحديث وقد اقتضبه واختصره تعصبّاً على أبي بكر وحلفائه؛ لأنّ الحقيقة أنّ دعوى الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراءعليها السلام كانت أنّ أباهاﷺ قد أعطاها فدك نحلة في حياتهﷺ فليس هي من الإرث، ولذلك تجد أنّ المؤرخين والمفسّرين والمحدّثين يذكرون بأنّ فاطمةعليها السلام ادّعت بأن فدك ملكاً لها فكذّبها أبو بكر وطلب منها شهوداً على دعواها، فجاءت بالإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وأمّ أيمن فلم يقبل أبو بكر شهادتهما واعتبرها غير كافية. وهذا ما اعترف به ابن حجر في الصواعق المحرقة حيث ذكر بأن فاطمة ادّعت أنهﷺ نحلها فدكاً ولم تأت عليها بشهود إلا بعلي بن أبي طالب وأمّ أيمن فلم يكمل نصاب البيّنة (انظر الصواعق المحرقة: ص٢١). وكما قال الفخر الرازي في تفسيره: فلما مات رسول اللهﷺ ادّعت فاطمةعليها السلام أنه كان ينحلها فدكاً، فقال لها أبو بكر: أنت أعزّ الناس علي فقراً وأحبّهم إلي غنى، لكني لا أعرف صحّة قولك فلا يجوز أن أحكم لك، قال فشهدت لها أمّ أيمن ومولى لرسول اللهﷺ فطلب منها أبو بكر الشاهد الذي يجوز

➔

➔

قبول شهادته في الشرع فلم يكن (انظر تفسير الفخر الرازي ج٨: ص١٢٥ تفسير سورة الحشر). فدعوى فاطمةﷺ أنّ فدك كانت نحلةً أنحلها لها رسول اللهﷺ وأنّ أبا بكر ردّ طلبها ولم يقبل شهادة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبﷺ وأمّ أيمن وهو أمر ثابت معلوم لدى المؤرّخين والمحدّثين والمفسّرين وأصحاب السير.

ثم أنّه على فرض أنّ الأنبياء لا يورّثون بناءً على ما نسبه أبو بكر إلى النبيﷺ فقد كذّبته فاطمة الزهراءﷺ بالآيات القرآنية حيث استشهدت بقوله تعالى: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ**﴾ (سورة النمل:١٦) وغيرها من الآيات والروايات المتواترة، فما نسبه أبو بكر إلى رسول اللهﷺ افتراء وكذب عليه؛ إذ الفدك كانت نحلة، وليست هي من الإرث في شيء.

ولكن البخاري لم يذكر إلا طلب الزهراء بخصوص الإرث ومع ذلك كلّه فإنّ حديث البخاري كاف للكشف عن حقيقة أبي بكر، فإنّنا نناقش البخاري أولاً بالحديث الذي أخرجه نفسه في صحيحه في كتاب فضائل باب فضائل فاطمة الزهراءﷺ، وفيه ما يكفي لإدانة أبي بكر الذي عرف الزهراءﷺ وقيمتها عند الله ورسولهﷺ أكثر ممّا عرفه البخاري، ومع ذلك كذّبها ولم يقبل شهادتها وشهادة بعلها الذي قال فيه رسول اللهﷺ: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور معه حيث دار» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٤٩). فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة أنّها قالت: إنا كنا أزواج النبيﷺ عنده جميعاً لم تغادر مناه واحدة، فأقبلت فاطمةﷺ تمشي، لا والله، ما تخفى مشيّتها من مشيّة رسول اللهﷺ فلمّا رآها رحب بها، قال: «مرحبا بابنتي» ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارها فبكت بكاءً شديداً، فلمّا رأى حزنها سارها الثانية إذا هي تضحك، فقلت لها أنا من بين نسائه: خصّك رسول اللهﷺ بالسرّ من بيننا ثم أنت تبكين، فلمّا قام رسول اللهﷺ سألتها عما سارك؟ قالت: «ما كنت لأفشي على سرّهﷺ». فلمّا توفي قلت لها: عزمت عليك بما لي عليك من الحقّ لما أخبرتني، قالت: «أما الآن فنعم فأخبرتني» قالت: «أما حين سارني في الأمر الأول، فإنه أخبرني أن جبرئيل كان يعارضه

➔

➔

بالقرآن كلّ سنة مرّة وأنه قد عارضني به العام مرّتين ولا أرى الأجل إلا قد اقترب فاتقي الله واصبري فإنني نعم السلف أنا لك»، قالت: «فبكيت بكائي الذي رأيت، فلمّا رأى جزعي سرني الثانية، قال: "يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟"» (انظر صحيح البخاري ج٧: ص١٤٢ كتاب الاستئذان، باب من ناجى بين يدي الناس ولم يخبر بسرّ صاحبه فإذا مات أخبر به). ورواه مسلم في صحيحه ج٧: ص١٤٣ كتاب الفضائل باب فضائل فاطمة بنت النبيﷺ وغيره فينكشف بشهادة البخاري ومسلم وشهادة جميع أرباب الصحاح والمسانيد من أهل السنّة أنّ صاحب الرسالةﷺ قال في فضل بضعته الزهراء عليها السلام: أنّها «سيدة نساء أهل الجنة» ومعنى ذلك أنّها سيدة نساء العالمين؛ لأن أهل الجنّة ليسوا أمّة محمدﷺ وحدهم كما لا يخفى، فكيف يكذّبها أبو بكر؟!!! وإذا كانت فاطمة الزهراء عليها السلام هي سيّدة نساء المؤمنين كما ثبت ذلك بشهادة البخاري ومسلم عن رسول اللهﷺ، لماذا كذّبها أبو بكر في ادّعائها فدك ولم يقبل شهادتها ؟!!! فأي شهادة تقبل بعدها يا ترى؟!!!

ثم بنصّ القرآن الكريم وشهادة الله عزّ وجلّ أنّ الزهراء عليها السلام من الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وهذا أمر ثابت عند المفسّرين والمحدّثين. فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة أنّها قالت: خرج النبيﷺ غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً» (صحيح مسلم ج٧: ص١٣٠ كتاب الفضائل، باب فضائل أهل بيت النبيﷺ). فإذا كانت فاطمة الزهراء عليها السلام هي المرأة الوحيدة التي أذهب الله عنها الرجس وطهّرها من كلّ الذنوب والمعاصي في هذه الأمّة، فما بال أبي بكر يكذّبها ويطلب منها الشهود يا ترى؟ كما أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام هي بضعة النبيﷺ التي يغضب الرسولﷺ لغضبها؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة، أن رسول اللهﷺ قال: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها

➔

➔

أغضبني» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). وأخرج البخاري أيضاً بسنده عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول وهو على المنبر: «فاطمة بضعة منى يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها» (انظر صحيح البخاري ج٦: ص١٥٨ كتاب النكاح، باب ذب الرجل عن ابنته).

وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يغضب لغضب بضعته الزهراء عليها السلام ويتأذّى بأذاها على الإطلاق، فمعنى ذلك أنّها معصومة عن الخطأ، وإلاّ لما جاز للنبي صلى الله عليه وآله أن يقول مثل هذا على نحو الإطلاق والعموم، لأنّ الذي يرتكب معصية يجوز إيذاؤه وإغضابه مهما علت منزلته، لأنّ الشرع الإسلامي لا يراعي قريباً ولا بعيداً، شريفاً أو وضيعاً، غنيّاً أو فقيراً. وإذا كان الأمر كذلك فما بال أبي بكر يؤذي الزهراء عليها السلام ولا يبالي بغضبها بل يغضبها حتّى تموت وهي واجدة عليه بل ومهاجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت وهي تدعى عليه في كلّ صلاة تصلّيها كما جاء ذلك في تاريخ ابن قتيبة؟! (انظر الإمامة والسياسة ج١: ص٢٠).

نعم إنها الحقيقة المرة، الحقيقة المؤلمة التي تهزّ الأركان وتزعزع الإيمان؛ لأنّ الباحث المنصف المتجرّد للحقّ والحقيقة لا مناص له من الاعتراف بأنّ أبا بكر ظلم الزهراء عليها السلام واغتصب حقّها، وكان يعلم أنّ ما ادّعت فاطمة عليها السلام حقّ؛ لأنّها صادقة والله يشهد بصدقها والنبي صلى الله عليه وآله يشهد بصدقها، والمسلمون كلّهم يشهدون بذلك. نعم إنه فصل من فصول المؤامرة التي حيكت لإبعاد أهل البيت عليهم السلام عن المنصب الذي اختاره الله لهم وقد بدأت بإبعاد الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن الخلافة واغتصاب نحلة الزهراء عليها السلام وإرثها وتكذيبها وإهانتها حتّى لا تبقى هيبتها في قلوب المسلمين. واستمرّت بعد ذلك بالجرائم الموبقة حتى وصل الأمر إلى قتل الإمام الحسن والحسين عليهما السلام وكلّ أولادهم، وسبي نسائهم، وقتل شيعتهم ومحبّيهم وأتباعهم، ولعلّ المؤامرة متواصلة ولا زالت حتّى اليوم تفعل فعلها وتأتي بثمارها.

نعم أي مسلم حرّ ومنصف سوف يعلم عندما يقرأ كتب التاريخ ويمحص الحقّ من الباطل بأنّ أبا بكر هو أوّل من ظلم أهل البيت عليهم السلام، ويكفي لإثبات ذلك قراءة صحيح البخاري

➔

➔

ومسلم فقط، ولتنكشف له الحقائق إن كان الباحث بعيداً عن التعصّب الأعمى، وكان ذهنه مجرّداً من الشوائب، فيمكنه التغلّب على عواطفه والتسليم للحقّ. فها هو البخاري وكذلك مسلم يعترفان بأن أبا بكر يصدّق أي واحد من الصحابة العاديين في ادّعائه، ويكذّب فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنةعليها السلام ومن شهد لها الله بإذهاب الرجس والطهارة، وكذلك يكذّب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وأمّ أيمن! فاقرأ الآن ما يقوله البخاري ومسلم: أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن هشام عن ابن جريج قال: أخبرني عمرو بن دينار عن محمّد بن عليّ عن جابر بن عبد الله قال: لمّا مات النبيصلى الله عليه وآله جاء أبا بكر مال من قبل العلاء بن الحضرمي، فقال أبو بكر: من كان له على النبيصلى الله عليه وآله دين أو كانت له قبله عدّة فليأتنا، قال جابر: فقلت: وعدني رسول اللهصلى الله عليه وآله أن يعطيني هكذا وهكذا وهكذا، فبسط يديه ثلاث مرّات، قال جابر: فعدّ في يدي خمسمائة ثم خمسمائة ثم خمسمائة (انظر صحيح البخاري ج٣: ص١٦٣ كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد) ورواه مسلم في صحيحه ج٧: ص٧٦ كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول اللهصلى الله عليه وآله شيئاً قط فقال: لا وكثرة عطائه؛ فهل من سائل لأبي بكر يسأله لماذا صدّق جابر بن عبد الله في ادّعائه بأن النبيصلى الله عليه وآله وعده أن يعطيه هكذا وهكذا وهكذا، فيملأ أبو بكر يديه ثلاثة مرّات بما قدره ألف وخمسمائة بدون أن يطلب منه شاهد واحد على ادّعائه؟ وهل كان جابر بن عبد الله أتقى لله وأبر من فاطمة سيدة نساء العالمين؟ والأغرب من كلّ ذلك هو ردّ شهادة زوجها الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام الذي أذهب الله عنه الرجس وطهّره تطهيراً وجعل الصلاة عليه فرض على كلّ المسلمين كما يصلّى على النبيصلى الله عليه وآله، والذي جعل رسول اللهصلى الله عليه وآله حبّه علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٩٥). أضف إلى ذلك كلّه أنّ البخاري نفسه أخرج حادثة أخرى تعطينا صورة حقيقيّة عن ظلم الزهراءعليها السلام وأهل البيتعليهم السلام، فقد أخرج في صحيحه بسنده عن هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم، قال: أخبرني عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة أن بنى صهيب مولى ابن جدعان ادّعوا بيتيْن وحجرة، أن

➔

→

رسول اللهﷺ أعطى ذلك صهيباً، فقال مروان: من يشهد لكما على ذلك؟ قالوا: ابن عمر، فدعاه فشهد لأعطى رسول اللهﷺ صهيباً بيتين وحجرة، فقضى مروان بشهادته لهم (انظر صحيح البخاري ج٣: ص١٤٣ كتاب الهبة، باب فضل الهبة والتحريض عليها). انظر أيّها المسلم إلى هذه التصرّفات والأحكام التي تنطبق على البعض دون البعض الآخر، أليس هذا من الظلم والحيف؟ وإذا كان خليفة المسلمين يحكم لفائدة المدعين لمجرّد شهادة ابن عمر فهل لمسلم أن يتساءل لماذا ردّت شهادة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وشهادة أمّ أيمن معه؟ والحال أن الرجل والمرأة أقوى في الشهادة من الرجل وحده، إذا ما أردنا بلوغ النصاب الذي طلبه القرآن، أم أن أبناء صهيب أصدق في دعواهم من بنت المصطفىعليها السلام؟ وأن عبد الله بن عمر موثوق عند الحكّام بينما الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام غير موثوق عندهم؟!

وأما دعوى أن النبيﷺ لا يورّث وهو الحديث الذي جاء به أبو بكر، وكذّبته صديقة الطاهرة فاطمة الزهراءعليها السلام وعارضته بكتاب الله، وهي الحجّة التي لا تدحض أبداً، فقد صحّ عنهﷺ قوله: «إذا جاءكم حديث عني فاعرضوه على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله فاعملوا به وإن خالف كتاب الله فاضربوا به عرض الجدار» (انظر الغدير ج٨: ص٢٧ نقلاً عن صحيح البخاري). ولا شكّ أن هذا الحديث تعارضه الآيات العديدة من القرآن الكريم، فهل من سائل يسأل أبا بكر ويسأل المسلمين كافّة، لماذا تقبل شهادة أبي بكر وحده في رواية هذا الحديث الذي يناقض النقل والعقل ويعارض كتاب الله، ولا تقبل شهادة صديقة الطاهرة فاطمة الزهراءعليها السلام والإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام التي توافق النقل والعقل ولا تتعارض مع القرآن كما قال رسول اللهﷺ: «علي مع القرآن والقرآن»؟ (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٤) وعليه فإذا كان مثل هؤلاء يجوز عليهم الكذب والادّعاء بالباطل وردّ شهادتهم فعلى الإسلام السلام وعلى الدنيا العفا، وهذه بعض النماذج من تلك الموارد الكثيرة لأبي بكر وهناك مخالفات كثيره له ولغيره من خلفاء الجور نذكرها في محلّه إن شاء الله تعالى. وقد قال مولانا الإمام أمير

←

فإن قصد بقوله هذه الجهة فقد باهت علناً[(١)]؛

➔

المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أفينبغي أن يكون الخليفة على الأمّة إلا أعلمهم بكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، وقد قال الله: ﴿ **أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ**﴾». وقال: وزاده بسطة في العلم والجسم. وقال: أو إثارة من علم، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما ولّت أمّة قط أمرها رجلاً وفيهم أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفالاً حتّى يرجعوا إلى ما تركوا» يعنى الولاية فهي غير الإمارة على الأمّة.. (انظر مستدرك نهج البلاغة ج١: ص٣٣٦)، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه لو قال الخصم: أنّ المقصود حصل بخلافة الخلفاء الثلاثة؛ لأنّ الأمّة عملت بوظائفها الشرعيّة. يردّ عليهم أنّ هذه الدعوى مدفوعة؛ حيث لا تنطبق على ما حدث في الخارج، بل يكون مخالفاً للواقع؛ حيث أنّ الأمّة خالفت أمر ربّها ورسولها في الإمامة، وشملهم قول النبي صلى الله عليه وآله «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» (صحيح مسلم ج٦: ص٢٢ كتاب الإمارة، باب حكم من فرق بين أمر المسلمين وهو مجتمع)، أو «من مات وليست عليه طاعة مات ميتة جاهلية» (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٤٤٦)، أو «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية» (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٩٦)؛ فإنّ مفاد الحديث وجوب معرفة الإمام أو وجوب بيعة الإمام أو وجوب طاعة الإمام في كلّ زمان، ومن الواضح أنّ هذا الوجوب اعتقادي كوجوب معرفة النبي صلى الله عليه وآله والإذعان برسالته وطاعته. ويزيد ذلك وضوحاً بملاحظة أنّه صلى الله عليه وآله جعل فاقد تلك المعرفة أو فاقد طاعته، ميتته ميتة كفر وجاهلية، وفي الحديث عناية ولطيفة وهو أنّه إن مات على تلك الحالة مات ميتة جاهلية وكفر، أي كأنّما لم يدخل في الإسلام، والحال أنّ من كفر بعد الإسلام فهو مرتدّ، ولكن الحديث يقول كأنّما لم يدخل الإسلام ، فيتبيّن من الحديث أنّ معرفة إمام الحق كمعرفة رسول الله صلى الله عليه وآله، وطاعة الإمام كطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله، وعصيان الإمام كعصيان رسول الله صلى الله عليه وآله ومعنى ذلك أنّ الإمام له جميع شؤون النبي صلى الله عليه وآله سوى

➔

لما تقدّم من ثبوت سياستهم للناس بما خالف الشريعة من جملة ذلك نفس إمامتهم فإنّها حسبما تحقّق فيما سلف مخالفة للشريعة[١].

نزول الوحي عليه، فيكون قائماً مقامه في الدين ويتلو تلوه في العصمة والطهارة كما قال تعالى: أذهب عنهم الرجس وطهّره تطهيراً، وغير ذلك من الصفات. وعليه فإنّ الأمّة بمخالفتها لأمر الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله في الإمامة خرجت عن طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله فكيف يحصل المقصود بعصيان الله ورسوله صلى الله عليه وآله ؟!!!

(١) وبعبارة أوضح أنّه قد تقدّم أنّ محاولة أصحاب السقيفة كانت مبنية على تطميع الناس لعقد الحكومة والإمارة للخلفاء الثلاثة وتشجيع الأمّة لمخالفة الدين والشريعة المقدّسة والعمل حسب الميول النفسانيّة وجلب المنافع الماديّة ونيل المطامع الدنيوية، وذلك حسب ما ورد في كتب أهل السنّة من أدلّة المعتبرة، ونحن نذكر هنا بعض ما ورد في كتب أهل السنّة عن الخلفاء الثلاثة والصحابة الذين رأوا النبي صلى الله عليه وآله بأمّ أعينهم وسمعوا منه صلى الله عليه وآله مئات الأحاديث والروايات في أحقيّة الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام بالخلافة بلا فصل. والشاهد على ذلك اجتماع ألوف من الصحابة في حجّة الوداع مع النبي صلى الله عليه وآله، فقيل كان عدد الصحابة آن ذلك مائة وأربعة عشر ألفاً، وقيل أكثر، وقيل تسعون ألفاً، حتّى حجّ معه من لم يكن يراه قبلها ولا بعدها وحصل لهم فضيلة الصحبة، وأراهم مناسكهم وعلّمهم (انظر اتحاف الورى بأخبار أمّ القرى - لعمر بن فهد المكي المتوفى سنة ٨٨٥ - ج١: ص٥٦٨). وقال ابن قيم: لمّا عزم رسول الله صلى الله عليه وآله على الحجّ علم الناس أنه حاج فتجهّزوا للخروج معه، وسمع بذلك مَنْ حول المدينة فقدموا يريدون الحجّ مع رسول الله ووافاه في الطريق خلائق لا يحصون، فكان من بين يده ومن خلفه وعن يمينه وشماله مدّ البصر (انظر زاد المعاد ج١: ص١٧٥).

وعند رجوعه من الحجّ مر صلى الله عليه وآله في طريقه بغدير خم؛ لأن غدير خم هو بالجحفة، وقد اجتمع فيها الجمع الغفير من الصحابة الحاشد من المهاجرين والأنصار وما يفوق على مئة ألف

➔

من المسلمين، وقد شهدوا رجالاً ونساءً تلك الواقعة، وما جرى فيها في يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجّة من السنة العاشرة للهجرة، وهو اليوم الذي أقام فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام ونصبه إماماً وعلماً للمسلمين، وهو يوم غدير خم، وقد شهد بصحّة ما صدر عن النبي صلى الله عليه وآله جمع كبير من الصحابة، وفيهم الخلفاء الثلاثة وهنّئوا الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام بإمرة المؤمنين وكل يقول: "بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة"، وقال ابن عباس: وجبت والله في أعناق القوم، فقال حسان بن ثابت: إئذن لي يا رسول الله أن أقول في علي أبياتاً تسمعهن، فقال صلى الله عليه وآله: «قل على بركة الله»، فقام حسان فقال: يا معشر مشيخة قريش أتبعها قولي بشهادة من رسول الله صلى الله عليه وآله في الولاية ماضية، ثم قال:

يناد بهم يوم الغدير نبيهم بخم فاسمع بالرسول منادياً

(وإلى آخرأبياته). وقد روى هذه الواقعة أكثر من مئة صحابي، ويكاد أن لا يخلو مصدر من مصادر أهل السنّة ذكر واقعة الغدير ولو بإيراد جانب منها واقتطاع جوانب أخرى، بألفاظ مختلفة، وقد جمعها العلامة الأميني قدس سره في كتابه الغدير ثم رواة الحديث قرناً بعد قرن فرواه عن من مائة وعشرين صحابياً وتسع وثمانين تابعياً، وثلاثة آلاف وخمسمائة من العلماء والمحدّثين من المصنّفين من أهل السنّة الذين رووا هذا الحديث الشريف (فراجع الغدير للعلامة الأميني ج١: ص١٢-٤١٠). وهناك أحاديث المناشدة، وهي الأحاديث التي ناشد فيها الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام بعض الصحابة الذين حضروا يوم غدير خم وسمعوا من النبي صلى الله عليه وآله ما قاله في حقّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، وأيضاً استخرجها العلامة الأميني قدس سره في كتابه الغدير من مصادر علماء أهل السنة (انظر الغدير ج١: ص١٥٩-١٨٦)، وهذا حديث واحد من المئات الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله في إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فكيف تقدّم عليه من كان يعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد نصّ على الإمامته؟!!! وكيف تجرؤوا بعد ذلك على بيعة من لم يستحقّ هذا المقام الرفيع؟!!

←

وقد تفرعت على هذه المخالفة مخالفات ومبتدعات عديدة تقدم بيان جملة منها ويأتي فيما بعد بيان نبذة[١]،

فإنّ معنى ذلك مخالفة الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بالمبايعتهم الخلفاء الثلاثة، فجميع الخلفاء الثلاثة والصحابة كانوا يعلمون علم اليقين بأنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ إمام وخليفة بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فكيف بايعوا خلفاء الثلاثة مع علمهم ببطلان بيعتهم؟!!! ومن الواضح أنّه لا معنى لبيعة الخلفاء الثلاثة بعد كون العمل غير مشروع، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الخبير الباحث في الكتب والمصادر الإسلامية البدع التي أحدثها الخلفاء الثلاثة، وهي كثيرة جدّاً، ومذكورة في غير واحد من الأخبار، وذكرها يخرجنا عن أصل البحث، فنذكر هنا جملة من تلك المخالفات من باب المثال، وللقارئ العزيز أن يراجع الكتب المؤلفة في هذا الموضوع. فمن تلك الموارد ما رواه ابن أبي شيبة في كتابه المصنف بأنّ عمر بن الخطاب هو أوّل من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات؛ فقد أخرج ابن أبي شيبة في كتابه المصنف بسنده عن أبي وائل قال: جمع عمر الناس فاستشارهم في التكبير على الجنازة، فقال بعضهم: كبّر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خمساً، وقال بعضهم: كبّر سبعاً، وقال بعضهم كبّر أربعاً، قال: فجمعهم على أربع تكبيرات كأطول الصلاة (المصنف لابن أبي شيبة ج٣: ص١٨٦). ومنها: أوّل من جهر بالتسليم عمر بن الخطاب، فقد أخرج عبد الرزاق الصنعاني بسنده عن ابن عيينة، قال: أخبرني ابن أبي حسين، قال: أدركني ابن طاوس بالطواف فضرب على منكبي، فقال لأبيه: صاحبك على أن يجهر بالتسليم، يعني ابن هشام، قال: أول من جهر بالتسليم عمر بن الخطاب، فعاب عليه ذلك الأنصار، فقالوا: وعليك أي عليك السلام (المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج٢: ص٢١٨). وأخرج المتقي الهندي في كنز العمال بسنده عن ابن طاوس قال: أوّل من جهر بالتسليم عمر بن الخطاب، فعاب ذلك عليه الأنصار، فقالوا: وعليك أي عليك السلام ما شأنك؟ قال أردت أن يكون إذني (كنزالعمال ج٨: ص١٥٨ ح٢٢٣٧٤). وقوله: (أذاناً) أي

➔

إعلاماً بانتهاء الصلاة. ومنها: أنّ أبا بكر قاتل مانعي الزكاة، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة، قال: لمّا توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وكان أبو بكر وكفر من كفر من العرب، فقال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم منّي ماله ونفسه إلا بحقّه وحسابه على الله، فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لقاتلتهم على منعها، قال: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر فعرفت أنه الحقّ (صحيح البخاري ج٢: ص ١١٠ كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة). من الواضح لدى كلّ مسلم أنّ مانعي الزكاة لم يرتدّوا عن الإسلام، كيف وقد صلّوا مع خالد وجماعته عندما حلوا بفنائهم؟ ثم إن أبا بكر نفسه أبطل هذه الدعوى الكاذبة بدفعه دية مالك من بيت مال المسلمين واعتذر عن قتله، والمرتدّ لا يعتذرعن قتله ولا تدفع ديته من بيت المال. قال ابن الأثير: وقدم متمم بن نويرة (أخو مالك بن نويرة) على أبي بكر يطلب بدم أخيه، ويسأله أن يرد عليهم سبيهم، فأمر أبو بكر بردّ السبي وودى مالكاً من بيت المال (انظر الكامل لابن الأثير ج٢: ص٣٥٩)، وإنّ ما جاء في صحاح صريح بأنّ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر (انظر صحيح البخاري ج١: ص١٧ كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لايشعر). فأهل السنّة فلم يجدوا بدّاً من نسبة الارتداد إليهم لأنهم عرفوا أن قتال المسلم كفر، وحتّى أن البخاري عندما أخرج حديث أبي بكر، وقوله: والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، جعل له باباً بعنوان: من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة (انظر صحيح البخاري ج٨: ص ٥٠) وهو دليل على أن البخاري نفسه لا يعتقد بردّتهم كما لا يخفى. ثانياً: لو كانت الزكاة حقّ المال فيبيح للحاكم الشرعي أن يأخذ الزكاة بالقوّة في هذه الحالة من مانعها بدون قتله وسفك دمه. ثالثاً: لو كان قتال مانع الزكاة جائزاً لقاتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثعلبة الذي امتنع عن أداء الزكاة، وله قصته معروفة لا داعي لذكرها. ومنها: أوّل من نقص التكبير معاوية، كان إذا قال: سمع الله لمن حمده، انحطّ

🡐

فإن قال: قد قوتل بإمامتهم الكفرة وفتحت بها الديار وغنم المسلمون مال الكفّار وصارت لهم بذلك عدّة وشوكة وسطوة على الفجّار[1]،

➔

إلى السجود ولم يكبّر؛ فقد جاء في كتاب الوسائل في مسامرة الأوائل: إن أول من نقص التكبير معاوية، كان إذا قال: سمع الله لمن حمده، انحط إلى السجود ولم يكبّر (انظر الوسائل في مسامرة الأوائل للسيوطي: ص١٨). وقال السيوطي: أنّه قال العسكري في كتاب الأوائل أنّ عثمان أول من خفض صوته بالتكبير... (انظر تاريخ الخلفاء: ص١٨١) وإلى غير ذلك من المخالفات التي ارتكبها الخلفاء الثلاثة وخلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس وكلّها متفرّعة على غصب الخلافة وسنذكر تفصيل الكلام في محله إن شاء الله تعالى.

(١) لا شكّ أنّ الفتوحات التي جعلها أهل السنّة مفخرة لخلفائهم قد صبّت على المسلمين الويلات، حتى نعت الغربيون الإسلام بأنه دين قسوة يعتمد على السيف أكثر من اعتماده على منطق العقل والعلم والدراية!!

ومن الواضح أنّ الإسلام دين قامت أسُسه على العلم والمنطق والحكمة، وإنّما توسع الإسلام ببركة ثقافة أهل البيت عليهم السلام وتشجيعهم الناس على التعلّم والتثقيف في جميع شؤون الحياة وعلاقاتهم الوثيقة والوشائج العريقة التي تربط الناس وتزداد المحبّة بينهم ويكثر التآلف وترفع الضغائن، لا القتال وسفك الدماء، فإنّ الفتوحات التي كانت في عصر الخلفاء إنّما هي من أجل توسيع رقعة الحكم الغاصب للخلافة القوميّة والقبليّة، وإبعاد أميرالمؤمنين وأبنائه الميامين عليهم السلام عن الإمارة والحكومة، لعلمهم بمخالفة أهل البيت عليهم السلام لذلك، إذ كانت تلك الحروب ضرراً على الإسلام ووبالاً عليه، وذلك لأمور: الأول: لو كانت تلك الفتوحات لله تعالى لكان اتّبعها اهتمام القائمين بها من الحكّام والساسة بإرشاد الناس في تلك البلاد المفتوحة وتعليمهم وتثقيفهم وتربيتهم تربية دينيّة صالحة، بحيث يتحوّل الإسلام في نفوسهم إلى طاقة عقائديّة تشحذ الهمم نحو الفضيلة والتكامل،

➔

➔

وتبنّيهم لأحكام الإسلام والدفاع عنها، فلمّا لم يكن شيء من هذا حاصلاً في تلك البلاد، علمنا أن فتوحاتهم لم تكن فتحاً للإسلام، بل فتحاً للعداء عليه. فها هو رسول الله محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لم يكن يكتفي من الناس بإظهار الإسلام والتلفّظ بالشهادتين ثم ممارستهم السطحيّة لبعض الشعائر والظواهر الإسلامية فحسب، وإنّما كان يرسل لهم من يعلّمهم ويرشدهم إلى عقائد الإسلام وأحكامه، بخلاف هذه الفتوحات التي تمّت على يد الخلفاء الثلاثة وبني أميّة وبني العباس، فإن الكثير من البلدان فُتحت ثم عادت إلى الكفر والعصيان. قال الطبري: إن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان وكانوا يجبون أحياناً مائة ألف ويقولون هذا صلحنا، وأحياناً مائتي ألف، وأحياناً ثلثمائة ألف وكانوا ربما أعطوا ذلك وربما منعوه ثم امتنعوا وكفروا فلم يعطوا خراجاً حتى أتاهم يزيد بن المهلب فلم يعازه أحد حين قدمها، فلما صالح صولاً وفتح البحيرة ودهستان صالح أهل جرجان على صلح سعيد بن العاص (تاريخ الطبري ج٣: ص٣٢٥). فكان همّ الخلفاء الفتوحات وجلب النفائس والحلي والدراهم والجواري. وقال ابن الأثير: إن معاوية بن أبي سفيان عزل معاوية بن حُديج عن أفريقيّة، واستعمل عليها عقبة بن نافع الفهري، وكان مقيماً ببرقة وزويلة مذ فتحها أيام عمرو بن العاص،... فلما استعمله معاوية سيّر إليه عشرة آلاف فارس، فدخل أفريقيّة وانضاف إليه من أسلم من البربر فكثر جمعه، ووضع السيف في أهل البلاد لأنهم كانوا إذا دخل إليهم أمير أطاعوا وأظهر بعضهم الإسلام، فإذا عاد الأمير عنهم نكثوا وارتدّ من أسلم (الكامل في التاريخ ج٣: ص٤٦٥). وهكذا نجد عدم اهتمام كثير من الصحابة بالإسلام كعقيدة ثابتة، ولذا قال موسى بن يسار: إن أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كانوا أعراباً جفاةً، فجئنا نحن أبناء فارس فلخصنا هذا الدين. الثاني: أدّت سياسة التمييز في العطاء، وتفضيل العرب على العجم، والهيمنة والسيطرة التي كانت سائدة بين أواسط الحكّام وأتباعهم، مضافاً إلى وفور النعم، إلى الإعجاب بالنفس والغرور، مع عدم وجود روادع دينيّة أو وجدانيّة لديهم، فنال الأمّة منهم كلّ مكروه، وأصيب الإسلام على أيديهم في مقاتله. لقد انبهر أصحاب تلك الفتوحات بالمناصب التي كانوا فيها، وأسالت

🡐

➔

لعابهم الجواري الحسان، وتملك البلدان، فشمخ كل منهم بأنفه، ونظر في عطفه، وتكبّر وتجبّر، لأنه لم يتعامل مع الواقع الجديد بعقلية الرجل المسلم الواعي والهادف، بل بعقلية الجاهلية، التي تعتبر القبيلة لا الأمة أساساً، والفرد لا الجماعة ميزاناً ومنطلقاً لتعامله مع الآخرين، فكان جلّ اهتمامهم بتقوية أمرهم، وتثبيت سلطانهم، فصاروا يجمعون الأنصار بالمال وبالإغراء بالمناصب وغير ذلك من سياسات، ليس الترهيب والقمع في كثير من الأحيان إلاّ واحداً منها، واستمرّوا في بسط نفوذهم وسلطانهم على أساس أنه ملك قبلي. وإذا كان أبو بكر، وكذلك عمر لا يدري: أخليفة هو أم ملك؟ فإن معاوية بن أبي سفيان كان يعتبر نفسه ملكاً بالفعل، وكذلك كان يعتبره الكثيرون، بل إنّ عمر نفسه قد اعتبر نفسه ملكاً في بعض المناسبات. لقد اعتبر معاوية والأمويون أنفسهم ملوكاً قيصريين، وأن الدين عندهم مجرد شعار يخدم هذا المُلك ويقويه، وكل ما كان مانعاً من الوصول إلى ما يبتغون، كانوا يدمّرونه ويستأصلونه من جذوره. فالمستفيدون الحقيقيون من تلك الفتوحات هم خصوص هذه الطبقة من المترفين المتجبّرين من أدعياء الإسلام، كانوا يكيدون للإسلام باسمه، فهم أصحاب القرار، لذا قد بلغت الثروات في عهد الخلفاء الثلاثة الأُول أرقاماً خيالية، حسبما أفادت النصوص التاريخية، فقد نجد أن عمر بن الخطّاب الذي يقال عنه أنه من أزهد الناس، فرُبّ قول مشهور لا أساس له وأنه كان يرتزق من بيت المال، وغيرها من الفضائل المكذوبة التي أصبغوها عليه، نجده قد أصدق زوجته أربعين ألف درهم أو دينار، وقيل مائة ألف، كما أنه أعطى صهراً له قدم عليه من مكّة عشرة آلاف درهم من صلب ماله، وقد ملك أربعة آلاف فرس، إلى غير ذلك ممّا يجده المتتبّع لمسيرة الثلاثة (انظر الفتوحات الإسلامية لدحلان ج٢: ص٥٥، والتراتيب الإدارية ج٢: ص٤٠٥، والبحر الزخار ج٤: ص١٠٠، وأنساب الأشراف بتحقيق المحمودي ج٢ ص١٩٠ وعدة رسائل للشيخ المفيد ص٢٢٧). وعلى كلّ حال، فإن الحرب من أجل الغنائم والأموال، كانت هي الصفة المميّزة لأكثر تلك الفتوحات وسنبين هذه الحقيقة أكثر وضوحاً في محلّها إن شاء الله تعالى، ولذلك أنّ أئمة الهدى عليهم السلام كانوا

➔

➔
لايرون في الاشتراك في هذه الفتوحات أو الحروب مصلحة، بل لا يرون نفس تلك الحروب خيراً. فقد روي عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال لعبد الملك بن عمرو: «يا عبد الملك، مالي لا أراك تخرج إلى هذه المواضع التي يخرج إليها أهل بلادك؟» قال: قلت: وأين؟ قال عليه السلام: «جدّة وعبادان والمصيصة وقزوين»، فقلت: انتظاراً لأمركم والاقتداء بكم، فقال عليه السلام: «اي والله لو كان خيراً ما سبقونا إليه»، قال: قلت له: فإن الزيدية يقولون "ليس بيننا وبين جعفر خلاف إلاّ أنه لا يرى الجهاد"، فقال عليه السلام: «أنا لا أراه! بلى والله إني لأراه ولكنني أكره أن أدع علمي إلى جهلهم» (انظر الكافي ج٥: ص١٩ ح٢).
وقال مولانا الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «لا يخرج المسلم في الجهاد مع من لا يؤمن على الحكم، ولا ينفذ في الفيء أمر الله عزّ وجلّ، فإنه إن مات في ذلك المكان كان معيناً لعدوّنا في حبس حقّنا والإشاطة بدمائنا وميتته ميتة جاهلية» (تحف العقول: ص١١٤). وثمّة روايات أخرى تدلّ على أنّهم عليهم السلام كانوا لا يشجّعون شيعتهم بل ويمنعونهم من الاشتراك في تلك الحروب، ولا يوافقون حتى على المرابطة في الثغور أيضاً، ولا يقبلون منهم حتّى ببذل المال في هذا السبيل ولو كان نذراً، وشرّعوا لشيعتهم أنهم إذا دخلوا في حكومات الجائرين اضطراراً لدفع هجوم العدوّ عليهم أن يدخلوا دفاعاً عن بيضة الإسلام لا عن أولئك الحكّام. نعم عندما أبعدوا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن الخلافة واعتزل، فرحت القبائل الطامعة في السلطة، وقرّر تحالفهم بقيادة المتنبئ طليحة فرض شروطهم على أبي بكر واحتلال عاصمة النبي صلى الله عليه وآله، فغزوا المدينة بعشرين ألف مقاتل، بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله بستّين يوماً.
ومن هنا نهض الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام العمود الفقري في معارك النبي صلى الله عليه وآله وانتصاراته، وهو الأسد المجروح، دفاعاً عن الإسلام وأهله، وإن كان لا يعترف بنظام الحكم، فوضع خطّة لدفع الهجوم، ورتَّبَ حراسة المدينة، وفاجأ المهاجمين فقتل قائدهم "حِبال" وغيره من قادتهم، وردهم خائبين مذعورين، وتبعهم مع المسلمين إلى معسكرهم في ذي القَصّة "أي الجصة" على بعد عشرين كيلومتراً عن المدينة، وشجّع
➔

قيل له: قد رويتم في الصحيحين وغيرهما ما دلّ على تائيد الدين بالرجل الفاجر[(١)]،

➔
أبا بكر على حرب المتنبّئين، وأوّلهم طليحة في حائل، ثم مسيلمة في اليمامة، وهي مدينة الرياض الفعلية. وقال عليه السلام يصف تلك الفترة، في رسالته إلى أهل مصر لما ولّى عليهم مالك الأشتر: «أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمّداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين، ومهيمناً على المرسلين، فلما مضى صلى الله عليه وآله تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته، ولا أنهم مُنَحُّوهُ عني من بعده، فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي، حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله، أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم، التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان كما يزول السراب، أو كما يتقشع السحاب. فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهنه» (نهج البلاغة ج٣: ص١١٨، والغارات للثقفي ج١: ص٣٠٧، والإمامة والسياسة ج١: ص١٣٣، ومصادر أخرى).

(١) لقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة قال: شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لرجل ممّن يدعي الإسلام: "هذا من أهل النار"، فلمّا حضر القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً فأصابته جراحة، فقيل: يا رسول الله، الذي قلت إنه من أهل النار فإنه قد قاتل اليوم قتالاً شديداً وقد مات، فقال النبي صلى الله عليه وآله: "إلى النار"، قال: فكاد بعض الناس أن يرتاب، فبينما هم على ذلك إذ قيل: إنه لم يمت ولكن به جراحاً شديداً، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه، فأخبر النبي صلى الله عليه وآله بذلك فقال: "الله أكبر، أشهد أني عبد الله ورسوله"، ثم أمر بلالاً فنادى بالناس أنه لا يدخل الجنّة إلا نفس مسلمة وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر (صحيح البخاري ج٤: ص٣٤ كتاب دعاء النبي صلى الله عليه وآله، باب إنّ الله
➔

فأي ثمرة للمبدعين في نصرة الدين من بعض الجهات وهي ما بيناها في القيل وغيرها ولكن هم مفسدون للدين في مبتدعاتهم[(١)]،

يؤيّد الدين بالرجل الفاجر). ورواه مسلم في صحيحه ج١: ص٧٤ كتاب الإيمان، باب غلط تحريم قتل الإنسان نفسه، وأحمد بن حنبل في مسنده ج٢: ص٣٠٩، والدارمي في سننه ج٢: ص٢٤٠، والبيهقي في سننه الكبرى ج٨: ص١٩٧ وغيرهم. ودلالة هذه الرواية الصحيحة عند جميع أهل السنّة واضحة، حيث أنّها تدلّ على أنّ الدين قد تؤيّد بالرجل الفاجر وليس كلّ من أيّد الدين يكون مؤمناً، فما ذكره ابن تيمية غير مقبول عند جميع أهل السنّة، فلاحظ.

(١) لا شكّ ولا شبهة في حرمة البدعة في الدين، وإدخال ما ليس في الدين فيه، وعليه إجماع الأمّة، بل هو ضروري الدين والملّة. ولا يخفى على الخبير أنّ ما أحدثه الخلفاء الثلاثة في الدين، قد ملأ الآفاق واعترف به علماء أهل السنّة، وقد دخلت بعض هذه الانحرافات والبدع في الدين عن طريق الفتوحات الإسلاميّة الأولى، واحتكاك المسلمين بالحضارات البشريّة التي كانت موجودة آنذاك. واستطاعت هذه الطرق الغريبة أن تنمو وتزدهر في ظلّ أجواء خصبة في مجتمع المسلمين نتيجة الانحرافات المتراكمة، والخلل الذريع في التوجيه والترية بسبب إبعاد الأئمة عليهم السلام عن مقام التوجيه والإمامة للمجتمع الإسلامي؛ فأوّلاً: أنّ الفتوحات الإسلاميّة لم تكن موجبة لشوكة الإسلام بل قد ذكرنا أنّ الإسلام قد تضرّر بها، وسنذكر الموارد العديدة من الشواهد على ذلك في محلّه إن شاء الله تعالى، بل من الواضح لدى الخبير أنّ شوكة الإسلام إنّما كانت ببركة أهل البيت عليهم السلام، وإجراء ثقافة القرآن والسنّة النبوية الممثّلة في سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وثانياً: أنّ علماء أهل السنّة رووا في صحاحهم إنّ الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، فلا بدّ لهم من قبول تطبيق المدلول على المقام. ومعناه حسب ما جاب في كتب شرّاحهم للحديث، أن الله تعالى أيّد دينه بالخلفاء الثلاثة وهم أهل البدعة، وقد صدر منهم

فإنّ جمهور أهل الديار التي فتحوها صار شعارهم إمامة الثلاثة ومبتدعاتهم

➔

المخالفات الكثيرة للشريعة المقدسة، فأي مانع عندهم من تطبيق معنى الحديث عليهم؟ ويستنتج أنّ الخلفاء الثلاثة بالبدعة في الدين تحقّقت الفتوحات الإسلاميّة، وإلاّ لو كانت الفتوحات مقبولة في الدين لفعله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وثالثاً: نسأل علماء أهل السنّة هل يقبلون بأنّ الله لم يؤيّد دينه برسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ولكن أيّده على أيدي الخلفاء الثلاثة؟!!! فحلّ هذه المعضلة عندهم ليس إلاّ بقبول حديث إنّ الله ليؤيّد دينه بالرجل الفاجر، لا برسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وكأن الإسلام كان مرهوب الجانب في عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ومرغوب في عهد الشيوخ الثلاثة!!!!

ورابعاً: أنّ أخذ معنى التأييد بمعنى المشروعيّة تدليس واضح، لأنّ معنى التأييد كما في قاموس اللغة العربية هو المساندة، لا المشروعيّة؛ فما ذكره علماء أهل السنّة بمعنى المشروعيّة باطل واضح؛ لأنّه لو كان معنى هذه العبارة: إنّ الله ليؤيّد دينه بالرجل الفاجر، أي: إنّ الله يعطي المشروعيّة للدين بالرجل الفاسق (والعياذ بالله) معناه أنّ انتشار الدين يكون بواسطة الرجل الفاجر لا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والعياذ بالله. وعليه فما ذكره علماء أهل السنّة من أنّه كيف يمكن القدح في عمل الخلفاء مع أن الفتوحات الإسلاميّة كانت على يد أبي بكر وعمر وعثمان وشوكة الدين كانت بجهاد المبايعين لهم كلام باطل؛ لأنّ التأييد ليس بمعنى المشروعية.

وبعبارة أوضح أنّه بعد قبول صحة حديث إنّ الله ليؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر، وقبول معناه حسب مدلول الحديث، يجب عليهم الالتزام بلوازمه، والالتزام بلوازم الحديث التزام بمصاديقه، ومن مصاديق ذلك الفتوحات، ومعناه أنّ قوّة حكومة الخلفاء كانت بفتوحاتهم لا قوّة الدين، وعليه أنّ موضوع الفتوحات لا تكون مستلزماً لحسن حالهم، بل لا بدّ لهم من قبول إنّ الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، فلاحظ.

التي ترتّبت على إمامتهم[١]،

---

(١) وبعبارة أوضح أنّ ممّا يؤيّد أنّ الفتوحات لم تكن مستلزمة لحسن حال الخلفاء الثلاثة، بل كانت وسيلة لانتشار بدعهم في الدين وما ظهر منهم من الفساد والضلال في المجتمع الإسلامي، بل وقد سعوا في تربية الناس على ثقافة الإرهاب التي أسّسها السقيفة، حيث أنّ ثقافة السقيفة كانت مبنيّة على الحرب والفتك والقتل والإرهاب للوصول إلى القدرة، وكلّ ذلك كانت مترتّبة على هذه الفتوحات كما لا يخفى ذلك على المتتبّع الخبير، ولكي نثبت أن السقيفة كانت أم الفتن ومنبع ظلم تلتها مظالم إلى اليوم، وأنها لم تكن فيها لا صفة إجماعية ولا بعض إجماعية، بل قامت على أكتاف أفراد رجال ونساء لا يعدون العشرة فيهم مكر وخداع، وتلاها قتل وجور وسلب ونهب وسبي وكل ما يتصوّره المرء من المظالم، وتلا الغصب غصب مكرّر على مرّ العصور والأحقاب، والقسر قسر متكرّر بدأ بإجبار الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبني هاشم والصحابة المقربين على البيعة، وغصب نحلة فاطمة الزهراء عليها السلام بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله الطاهرة فدك، وما تلا ذلك من اعتراضات الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة عليها السلام وبنيهم عليهم السلام وصحابتهم. ونبذة من خطبة الزهراء عليها السلام التي خطبتها على أثر غصبهم منصب الخلافة، وبعدها أعمال القسر والظلم، وهي تذكرهم بأمجاد أبيها وبعلها، وأعمالهم وما كانوا عليه قبل الإسلام، حيث تقول: «وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون الورق، أذلّة خاسئين، تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمّد صلى الله عليه وآله بعد التي واللتيا، وبعد أن مني بهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب، كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن للشيطان فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتّى يطأ صحافها بأخمصه، ويخمد لهيبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيّد أولياء الله، مشمراً، ناصحاً، مجدّاً، كادحاً، وأنتم في رفاهيّة من العيش، وادعون، فاكهون، آمنون...» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦: ص٢٥٠). فانظر إلى هذه المناظرة الحقيقيّة ←

فأي ثمرة لهم بهذه الفتوحات وهذه مبتدعاتهم في الصحيحين وغيرهما ما دلّ على مضاعفة عقوبة من سنّ سنّة سيّئة بقدر عقوبات من عمل بها[١]، وليس ينقص من عقوباتهم شيء[٢].

➔

الناصعة، فهيهات تجد مثلها ومثل هذه الحقيقة في السابقة والإخلاص والتقوى والقرابة والثقة من رسول الله صلى الله عليه وآله والقدرة الفذة والتضحية المتناهية التي وجدت عند الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وعلى نقيضها عندهم. فمن أحقّ منه بالخلافة ومن أجدر منه بالإمامة؟

(١) لقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «ليس من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها» وربما قال سفيان من دمها لأنه أوّل من سنّ القتل أولاً (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٥١ كتاب إعتصام بالكتاب والسنّة، باب إثم من دعا إلى ضلالة أو سنّ سنّة سيّئة لقوله الله تعالى ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الآية).

(٢) لقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن شعبة عن عون بن أبي جحيفة عن المنذر بن جرير عن أبيه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابى النمار أو العباء متقلدي السيوف عامّتهم من مضر، بل كلّهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا رأى بهم الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذّن وأقام فصلّى ثم خطب فقال: «يا أيها الناس اتّقوا ربّكم الذي خلقكم من نفس واحدة» إلى آخر الآية: «إن الله كان عليكم رقيباً»، والآية التي في الحشر: «اتّقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتّقوا الله» «تصدّق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع برّه، من صاع من تمره» حتى قال: «ولو بشقّ تمرة» قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفّه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وآله يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من سنّ في الاسلام سنّة

➔

فانظر إلى ما سنّوه من المبتدعات وإلى كثرة من عمل بها من زمان إمارتهم إلى زمان السني إلى زماننا إلى ما بعد، وتدبّر[1].

➔

حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنّة سيّئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» (صحيح مسلم ج٣: ص٨٦ كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشقّ تمرة أو كلمة طيبة وأنّها حجاب من النار).

(١) وتوضيح المقام أنّه لا يخفى على المتتبّع في الأخبار والآثار أن مصيبة الأمّة الإسلامية انجرت عليها من غصب الخلافة وما لحقه من سائر المخالفات والتحريفات والبدع التي أحدثها الخلفاء الثلاثة في الإسلام، فاخترقت بذلك حدود الله ومحقت السنّة النبويّة وأصبح الناس التابعين لهم يرفضون النصوص الثابتة والمصادر التي يجب أن تؤخذ منها، وبالرغم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حجّة على الناس ولم يكن مجرّد حاكم، بل كان مبلّغاً للشريعة من قبل الله، عالماً بها وبمعاني كتاب الله عزّ وجلّ، وشاهداً على المسلمين، وقائداً سياسيّاً يجب أن يطاع على كل حال سواء كان خائفاً ملاحقاً في غار ثور أو كان رئيساً للدولة منتصراً على الأعداء، فوجوب طاعته وكونه ولي الأمر، لم يكن بسبب حكمه للدولة، بل هو حكم فرضه الله على المسلمين؛ لأنّه حجّة الله عليهم، وقيادته في الناس سياسيّاً كانت إحدى مهامه لا كلّها، فالمهم أنّ قوله صلى الله عليه وآله وفعله صلى الله عليه وآله وتقريره صلى الله عليه وآله حجّة شرعيّة، والمفروض أنّ هذه الحجّة الشرعيّة تكون مستمرّة وممتدّاً بين الناس: ﴿**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ (سورة النساء:١٦٥)، وليسدّ الفراغ الحاصل بغيبة الرسول صلى الله عليه وآله، وهذا معنى الإمامة الإلهيّة. ولكن الأحداث التي حدثت في السقيفة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله غيّرت مصير الأمّة عمّا رسمه الله رسوله صلى الله عليه وآله لهم، فما تتوقّع من مصير الحجّة بعده صلى الله عليه وآله على أرض الواقع؟

فلا شكّ أنّ أحداث السقيفة وغصب الخلافة غيّرت هذا المصير، وجعلت الأمّة في الأجواء

➔

➔

الخطرة بسبب اجتهادات الخلفاء في مقابل النصوص الدينية من الكتاب والسنّة النبويّة، والمعارضات للشريعة المقدّسة. فإنّ أوّل ما يلفت انتباه الباحث عند دراسته لتاريخ صدر الإسلام هو مخالفة الخلفاء الثلاثة لكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله والتاريخ يكشف بوضوح لمن يتتبّعه ويمعن النظر فيه برؤية موضوعيّة، أنّ أبا بكر وعمر وعثمان قد ارتكبوا الكثير من المخالفات للكتاب والسنّة وسنّوا المبتدعات في الدين ما أنزل الله بها من سلطان، ونحن نذكر هنا بعض مخالفاتهم من باب المثال، فمنها مخالفة أبي بكر للقرآن والسنّة النبوية في منع صديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام فدكاً؛ فنجد في العديد من النصوص تؤكّد بصراحة أن فدك كانت نحلة للزهراء عليها السلام، وأن النبي صلى الله عليه وآله قد أعطاها إيّاها خالصة قبل وفاته. ونذكر الآن بعض هذه النصوص على سبيل المثال لا الحصر؛ لقد أخرج الهيثمي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نزلت ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ**﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة فأعطاها فدك (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٧: ص٤٩)، ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٧: ص٤٩، وابن كثير في تفسيره ج٣: ص٣٩، والسيوطي في الدر المثور ج٤: ص١٧٧، والشوكاني في فتح القدير ج٣: ص٢٢٤ وغيرهم.

ولذلك قال مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام في رسالته إلى عثمان بن حنيف: «بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٥: ص٩٩)؛ ففي هذا الكلام لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام تصريح أن فدك كانت في أيديهم قبل أن يستولي عليها أبو بكر وعمر، ممّا يعني أنها لم تكن ميراثاً بل هي نحلة، فما ادّعاه أبو بكر باطل بالنصوص التي أخرجها الفريقين. وعلى فرض كون فدك إرثاً، فأيضاً من أوضح مخالفات أبي بكر للنصّ القرآني، منع فاطمة الزهراء عليها السلام بنت النبيّ صلى الله عليه وآله من الميراث، بل وقد نسب أبو بكر حديثاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تفرّد بنقله فزعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: "نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة"، وبذلك زحزحوا عن الصديقة الطاهرة عليها السلام فدكاً، وقد احتجّت الزهراء عليها السلام عليه بقولها: «يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟!

🡐

➔

لقد جئت شيئاً فرياً، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ﴾، وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريّا، إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾؟». ثم قالت: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟! فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمّدﷺ والموعد القيامة وعند الساعة ما تخسرون ولا ينفعكم إذ تندمون». ثم رمت بطرفها نحو الأنصار وقالت: «يا معشر الفتية وأعضاد الملّة وأنصار الإسلام، ما هذه الغميزة في حقّي، والسنّة عن ظلامتي؟» (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٢٧). وبذلك خالف أبو بكر سنّة رسول اللهﷺ وأغضبهﷺ؛ لأنّهﷺ قال: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم).

ومنها: منع تدوين الحديث، فمن مخالفات أبي بكر وعمر وعثمان لسنّة رسول اللهﷺ منعهم لتدوين سنّتهﷺ إذ بها نبذوا سنّة نبيّهم وراء ظهورهم، فكانت عندهم نسيّاً منسيّاً، أضف إلى إحراق أبو بكر أحاديث رسول اللهﷺ التي جمعت في عهده (انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ج١: ص٥ والرياض النضرة للمحب الطبري ج٢: ص١٤٤، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٢: ص٦٠١، وكتاب حجية السنّة لعبد الغني عبد الخالق: ص٣٩٤، وغيرهم). لئلا تنتشر عند الصحابة وغيرهم من المسلمين الذين كانوا يتلهّفون لمعرفة سنّة نبيّهمﷺ! وتابعه عمر متوخياً نفس السياسة بأسلوبه المعروف بالشدّة والغلظة، فهدّد وتوّعد وضرب من خالف منع تدوين الحديث!! (انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج٥: ص١٤٢ في ترجمة القاسم بن محمد، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٥: ص٥٩، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج١: ص١٩٣، والمعجم الأوسط للطبراني ج٢: ص٣٣٠ وغيرهم). وأمّا تبرير هذا الفعل لئلاّ تختلط السنّة بالقرآن، فإنّها حجّة واهية لا تقوم على أساس علمي، أذ كان بإمكان الخلفاء تخصيص مصحف خاصّ لكلّ منهما، كما هو الحال عندما دوّنت الأحاديث في عهد عمر بن عبد العزيز. والحقيقة

➔

➔

أنّ أبا بكر وعمر وعثمان ومن تابعهم إنّما منعوا من انتشار الأحاديث ليوجدوا مجالاً لتأويل ما ترتئيه أهوائهم كما تأوّلوا القرآن، لأنّ كتاب الله حمّال ذو أوجه، أمّا السنّة النبويّة فلا يجد أحد عنها محيصاً. ومن هنا نرى أبا بكر وعمر وعثمان خالفوا بذلك سنّة الرسول إذ قال صلى الله عليه وآله: «اكتبوا هذا العلم، فإنكم تنتفعون به إما في دنياكم وإما في آخرتكم، وإن العلم لا يضيع صاحبه» (انظر كنز العمال للمتقي الهندي ج١٠: ص٢٦٢ ح٢٩٣٨٩). وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قلت: يا رسول الله إنّا نسمع منك أحاديث لا نحفظها أفلا نكتبها؟ قال صلى الله عليه وآله: «بلى فاكتبوها» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٢١٥). ورواه الخطيب البغدادي في تقييد العلم: ص٧٤، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٢١: ص٢٥٩ وغيره. وأخرج الطبراني بسنده عن عباية بن رفاعة عن رافع بن خديج قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «تحدّثوا وليتبوّأ من كذب علي مقعده من جنهم»، قلت: يا رسول الله إنا نسمع منك أشياء فنكتبها؟ فقال: «اكتبوا ولا حرج» (انظر المعجم الكبير للطبراني ج٤: ص٢٧٦)، ورواه الخطيب البغدادي في تقييد العلم: ص٧٢، والمتقي الهندي ج١٠: ص٢٢٢ ح١٩٢٢٢ وغيرهم.

ومنها : قتل مانعي الزكاة، فمن مخالفات أبي بكر للسنّة النبوية قتل المسلمين الأبرياء كمالك بن نويرة الصحابي الجليل، يقول ابن الأثير في أسد الغابة، في ترجمته: مالك بن نويرة المقتول المزني بزوجته في نفس الليلة ما يلي.. إلا أنه لم تظهر عليه ردة (يقصد مالك بن نويرة الصحابي الجليل) وأقام بالبطاح، فلما فرغ خالد من بني أسد وغطفان، سار إلى مالك وقدم البطاح، فلم يجد به أحداً، كان مالك قد فرقهم ونهاهم عن الاجتماع (لو كان مالك مرتدّاً فعلاً لأعدّ العدّة لقتال خالد) (انظر اسد الغابة ج٤: ص٢٩). وذكر المؤرخون: أنّ لمّا قدم خالد بن الوليد البطاح بث سراياه، فأتى بمالك بن نويرة ونفر من قومه. فاختلفت السرية فيهم، وكان فيهم أبو قتادة، وكان فيمن شهد أنهم أذنوا وأقاموا وصلوا، فحبسهم في ليلة باردة وأمر خالد، فنادى: أدفئوا أسراكم - وهي في لغة كنانة القتل-

➔

➔

فقتلوهم (انظر إلى مكر خالد وغدره) فسمع خالد الواعية فخرج وقد قتلوا، فتزوج خالد امرأته، فقال عمر لأبي بكر: سيف خالد فيه رهق وأكثر عليه، فقال أبو بكر: تأوّل فأخطأ ولا أشيم سيفاً سلّه الله على المشركين، وودى مالكاً، وقدم خالد على أبي بكر، فقال له عمر: يا عدوّ الله قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على امرأته، لأرجمنك وأبو قتادة يشهد أنهم أذّنوا وصلّوا، وأبو بكر يردّ السبي ويعطي دية مالك من بيت المال (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٥٠٤، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص٢٥٩، والأغاني لأبي الفرج الاصبهاني ج١٥: ص٢٠٣، وتاريخ الاسلام للذهبي ج٣: ص٣٦ وغيرهم). فقد أجمع المؤرخون أنّ مالكاً كان من المسلمين غير أنّه امتنع عن إعطاء الزكاة للسلطة الجائرة، لعدم وثوقه بخلافة أبي بكر حتّى ورد أنّ عمر قال له: يا أبا بكر، كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله أُمرت أن أُقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلاّ الله، فمن قال لا إله إلاّ الله عَصَمَ مني ماله ونفسه إلاّ بحقه وحسابه على الله (انظر صحيح البخاري ج٢: ص١١٠ كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة). لكن أبا بكر لم يبالي بما ذكّره عمر بسنّة الرسول صلى الله عليه وآله، وأجابه بعنف وشدّه حتّى تقاعد عمر بقوله ورضي به؛ ليستتب أمر الخلافة لهم ولا يجرأ أحد على الاعتراض عليهم. والملفت للنظر أنّ في هذه القصّة اعتراف ضمني من أبي بكرعلى أنّ عمله كان مخالفاً للسنّة النبوية، إذ أنّه دفع دية مالك من بيت المال واعتذر عن قتله بعد ذلك، والمرتدّ لا يعتذر عن قتله (انظر الإصابة لابن حجر العسقلاني ج٥: ص٧٥٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج١: ص٣٦٦). ولكن يا للتعصب من محفز للتبرير! إذ زعم البعض أنّ هؤلاء المسلمين ارتدّوا عن الإسلام فوجب قتلهم، وهذه الدعوى أبطلها أبو بكر نفسه، بدفع دية مالك من بيت المال!

ومنها: ترك إقامة الحدود، فمن مخالفات أبي بكر لكتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله عدم إقامته الحدّ على خالد بن الوليد بعد قتله مالك بن نويرة وزنى بزوجته من ليلته، وعندما وصل خبر ذلك إلى أبي بكر لم يجري عليه القصاص ولم يقم عليه حدّ الزاني ولم يضربه حدّ المفتري ولم يعزّره تعزير المعتدي على ما ملكته أيدي المسلمين! وإنّما دافع عنه وأمر

➔

➔
خالد بطلاق زوجة مالك، بل أنّه غضب على بعض الصحابة الذين أنكروا على خالد (انظر الإصابة لابن حجر ج٥: ص٧٥٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج١: ص٣٦٦، وتاريخ الطبري ج٣: ص٢٧٨، وتاريخ أبي الفداء ج١: ص٢٢١، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص٣٥٨ وغيره).

ومنها: الابتداع في إقامة الحدود، وقد خالف أبو بكر سنّة رسول الله بأمره إحراق، فجاءة السلمي بالنار وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يعذّب بالنار إلاّ رب النار» (انظر سنن أبي داود ج٢: ص٤٠٥، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٦: ص٢٥١، ومسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٤٩٤ وغيرهم).

ومنها: مخالفة عمر بن الخطاب للسنّة النبوية في جعله الشورى بينهم وفي وقت وفاته، على قول أبناء العامة بإنّ الاستخلاف يتمّ بالشورى، فإنّ ذلك مخالف للقرآن والسنّة النبويّة صلى الله عليه وآله (انظرالصواعق المحرقة لابن حجر ج١: ص٢٥٤، والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣: ص٢٠٧، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ص٨٢).

ومنها: مخالفة عمر للسنّة في بدعة صلاة التراويح، فقد جمع الناس على صلاة نافلة التراويح، مع اعترافه بأنّها بدعة! وذلك بقوله: إنّها بدعة ونعم البدعة (صحيح البخاري ج٢: ص٢٥٢ كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان).

وقد أخرج أصحاب الصحاح والسنن في باب نوافل الليل، إنّ خير صلاة المرء في بيته إلاّ الصلاة المكتوبة، فقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن زيد بن ثابت قال: احتجر رسول الله صلى الله عليه وآله حجيرة مخصفة أو حصيراً، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي إليها، فتتبع إليه رجال وجاؤا يصلّون بصلاته، ثم جاؤوا ليلة فحضروا وأبطأ رسول الله صلى الله عليه وآله عنهم فلم يخرج إليهم فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب، فخرج إليهم مغضباً فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما زال بكم صنيعكم حتى ظننت أنه سيكتب عليكم فعليكم بالصلاة في بيوتكم فإن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة» (صحيح البخاري ج٧: ص٩٩ كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدّة لأمر الله عزّ وجلّ).
➔

➔

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عمر عن النبيﷺ قال: "اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً" (صحيح مسلم ج٢: ص١٨٧ كتاب الصلاة، باب استحباب النافلة في البيت وجوازها في المسجد). وإلى غير ذلك من الروايات التي تدلّ على أنّ رسول اللهﷺ كان يؤكّد على صلاة النوافل عموماً في البيوت؛ لأنَّ هذا الأمر أقرب للإخلاص، وأدعى للقبول. بل قد ورد النهي من قبل رسول اللهﷺ عن صلاة النوافل جماعةً، لمّا رأى بعض الأصحاب يصلّون خلفه خِلسةً، ووجّههم إلى إخفاء النوافل، وعدم تشريع الجماعة فيها، كما سيأتي بيانه إن شاء الله في محله.

ومنها: تغيير سنّة الرسولﷺ في الطلاق من الثلاث إلى الواحدة، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال: كان الطلاق على عهد رسول اللهﷺ وأبى بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم (انظر صحيح مسلم ج٤: ص١٨٤ كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق). وبهذا غيّر عمر سنّة رسول اللهﷺ وخالف الكتاب، حيث يقول الله تعالى: ﴿**الطَّلاقُ مَرَّتان فَإمْساكٌ بمَعْرُوف أَوْ تَسْرِيحٌ بإحْسان... تلْكَ حُدُودُ الله فَلا تَعْتَدُوها وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فَأُولئكَ هُمُ الظّالمُونَ**﴾ (سورة البقرة:٢٢٩) وفسّرت هذه الآية بأنّ المرأة لا تحرم على زوجها إلاّ بعد ثلاث تطليقات، ولكن عمر بن الخطاب تجاوز حدود الله بحكمه أن طلقة واحدة بلفظ الثلاثة توجب حرمة الزوجة على الزوج، فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده، بسنده عن ابن عباس قال: طلق ركانة بن عبد يزيد أخو بنى مطلب امرأته ثلاثاً في مجلس واحد، فحزن عليها حزناً شديداً، قال: «فسأله رسول اللهﷺ كيف طلقتها؟» قال طلقتها ثلاثاً، قال: فقالﷺ: «في مجلس واحد؟» قال: نعم، قالﷺ: «فإنما تلك واحدة فارجعها ان شئت»، قال: فرجعها فكان ابن عباس يرى إنما الطلاق عند كل (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٢٦٥). وفي رواية أن رجلاً طلق في عهد رسول اللهﷺ ثلاثاً في مجلس واحد، فقامﷺ غضبان، وقال: «يلعب

➔

تاسعها: إنّ ما قاله من عدم مقاتلة كافر في إمامة علي عليه السلام وعدم فتح مصر بل السيف فيها قد سلّ على أهل القبلة فيما بينهم فافترقت كلمتهم[(١)]،

بكتاب الله وأنا بين أظهركم» (انظرسنن النسائي ج٦: ص١٤٢) وإلى غير ذلك من مخالفاتهم لكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله.

والنتيجة أنّ من اقتدى بالخلفاء الثلاثة فقد اقتدى بأهل الضلالة، لأنّه ثبت بالأدلة المعتبرة عند أهل السنّة أنّ الخلفاء الثلاثة هم أهل البدعة، والروايات الصحيحة عندهم صريحة في أنّ: «كل بدعة ضلالة» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص١٢٦)، ورواه الدارمي في سننه ج١: ص٤٥، وابن ماجة في سننه ج١: ص١٦، والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج١: ص٩٦ وغيرهم؛ فكيف يجوز لهم الإقتداء بأهل الضلال؟!!

(١) فإنّ الباحث الخبير لو درس المصادر الإسلامية من التفسير والحديث والتأريخ وسيرة مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام سيتّضح له بطلان دعوى ابن تيمية من عدم مقاتلة الإمام عليه السلام الكفّار في أيّام خلافته الظاهرية، أوّلاً: لأنّ الإسلام لم ينتشر بالسيف كما زعم أعداء الإسلام، فإنّ القرآن الكريم دستور المسلمين الخالد، يقرّر مبدأ حريّة الاعتقاد في آيات بيّنات منها قوله تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ (سورة البقرة:٢٥٦)، ومنها قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ (سورة يونس:٩٩)، ومنها قوله تعالى: ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ**﴾ (سورة الغاشية:٢١-٢٢)، ومنها قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾ (سورة الكافرون:١-٦). فالمسلمون عموماً يعتقدون أنّ الاسلام لم ينتشر بالسيف وأنّه لا إكراه في الدين، وإذا الأمر كذلك فما هو تفسير الفتوحات في عصر الخلفاء؟ فإن الفتوحات كانت تعني عند أولئك الحكّام مجرد وسيلة لتوسيع رقعة الملك وتكثير

➔

الخراج. وكانت غاياتهم هذه تتّضح من حالة البذخ والإسراف في اللهو والملذّات التي كانوا يعيشونها، وما ظهر من تأثير ذلك في نشر القيم الفاسدة والمنحرفة بين عامّة المسلمين.

وثانياً: إنّه لم يثبت أن الجيش الاسلامي بأمر الرسولصلى الله عليه وآله قد هاجم مدينةً آمنةً أو مجتمعاً آمناً مسالماً بدون مبرّر، بل التحديد يثبت أنّ كلّ حرب من الحروب أو فتح من تلك الفتوحات كان لسبب مبرّر للقتال، من قبيل قتل دعاة رسول اللهصلى الله عليه وآله حيث كانوا يذهبون لنشر الدعوة الإسلامية في بعض البلدان فيتعرضون للقتل، أو من قبيل اضطهاد طغاة تلك البلدان المسلمين في تلك البلدان. هذا بالنسبة إلى المجتمعات الكافرة، وأمّا المجتمعات الغير الكافرة المسالمة التي لم تعلن الحرب على المسلمين ولا على الدولة الإسلامية ولا على دعاة الإسلام ولم تشكل خطراً على الاسلام والمسلمين، أولئك الذين لم يخرجوكم من دياركم ولم يظاهروا على اخراجكم ولم يقاتلوكم، فمثل هذا الصنف الكافر المسالم لم يثبت أنّهصلى الله عليه وآله شنّ عليهم الحرب. وأمّا مثل فتح مكّة كانت على شكل حروب دفاعية يتصدى فيها الجيش الإسلامي للكفار المعتدين كما اعتدى الكافرون في أحد، وجمّعوا قواهم واحزابهم في واقعة الخندق. وهكذا بقية الحروب فالفتح لم يكن فتحاً هجومياً وإنّما كانت لدفع مادة الفساد، فتعتبر أيضاً حرباً دفاعياً. والمهمّ أنّ مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام لم يقاتل الكفّار الذين لم يعلنوا الحرب ضدّ المسلمين كما أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله كان كذلك، بخلاف الخلفاء الثلاثة وحكّام أهل السنّة الذين كانت فتوحاتهم من أجل توسعة ملكهم والمبادرة لنشوة الفتح والغلبة الجاهلية وتكثير الخراج واستعمار الناس والفوز باللهو واللذات والشهوات ونشر القيم الفاسدة والمنحرفة بين عامة المسلمين. نعم إذا كان مقصود ابن تيمية من عدم محاربة الإمامعليه السلام الكفر من هذه الجهة ؟ نعم أنّ الإمامعليه السلام لم يكن في صدد إيجاد الحكومة لهدف القدرة والإشراف والتسلّط على الناس كخلفاء الجور، وهذا أمر واضح لايحتاج إلى البحث.

🡐

ليس بموجب نقصاً في إمام الحقّ[1]،

➔

وثالثاً: أنّ مقاتلة من خرج على إمام زمانه مقاتلة الكفر، ولذلك سمّوا الحروب في خلافة أبي بكر بحروب الردة، وسيتبيّن ذلك من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى. وعليه فإنّ جميع حروب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام أيام خلافته الظاهرية كانت محاربة الكفّار، فلاحظ.

(١) والوجه في ذلك واضح ظاهر؛ لأنّ الإسلام دين السلم لا دين الحرب والعدوان، ودين الأخوّة والمساواة ودين الحريّة، لا إكراه فيه ولا إرغام، فهو دين متكامل يجمع بين الشؤون الدينية والدنيوية ويدعو إلى الحقّ والعدالة والتقوى وينفي أنواع الظلم والتعدي إلى حقوق الآخرين، فعدم الحرب مع الكفار لإجبارهم على الإسلام بالسيف أمر مطابق للقرآن والسنّة النبوية كما لايخفى. نعم الإسلام قد أمر بمحاربة المعتدي قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّـهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّـهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (سورة البقرة:١٩٤)، ولافرق في الإعتداء بين الكافر والمسلم. ولقد أجمع علماء أهل السنّة على أنّ من خرج على الإمام العادل الذي تجب طاعته يكون باغياً؛ وحكم الباغي عند جميع أهل السنّة الضلال والكفر، فينطبق هذا الحكم على من قاتل الإمام مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، لأنّه بناءً على ما أجمع عليه علماء أهل السنّة أنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام إمام الحقّ وصاحب الأمر الظاهر في دولة الحقّ، فحروبه بعد خلافته الظاهرية عند أهل السنّة حرب الإسلام ضدّ الكفر والضلال، إذ قد بايعه الناس على الإمامة المعتبرة عند جميع المسلمين بما فيهم أهل السنّة، ومن الواضح أنّ محاربة إمام الحقّ بغي عليه والبغي موجب للضلالة والكفر، وقد أخرج ابن عساكر بسنده عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: "دخلت على أمّ سلمة فرأيتها تبكي وتذكر علياً وقالت: سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «علي مع الحق والحق مع علي ولن يتفرقا حتّى يردا علي الحوض يوم القيامة»" (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢:

➔

➔

ص٤٤٩)، ورواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج١٤: ص٣٢، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٣٥، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٢: ص٢٩٧ وغيرهم. ومن الواضح أنّ من كان على الحقّ ومع الحقّ فلا يتأتى منه إلاّ ما هو الحقّ، فمن تابع الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يكون مع الحقّ ومن حاربه فهو على الباطل والضلال. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**فَمَاذا بَعْدَ الْحَقِّ إلاّ الضَّلالُ**﴾ (سورة يونس:٣٢) هذه الآية الكريمة في الواقع تطرح طريقاً منطقياً واضحاً لمعرفة الباطل وتركه، وهو أن يخطو الإنسان أولاً في سبيل معرفة الحق بآليات الوجدان والعقل، فإذا عرف الحقّ فإنّ كل ما خالفه باطل وضلال، ويجب أن يضرب عرض الحائط. ثم يقول تعالى في علّة وجوب اتّباع الحقّ: ﴿**مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ (سورة يونس:٣٥)، فبشهادة الله عزّ وجلّ ورسوله أنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام واجب الطاعة ومن حاربه كان باغياً وحكم الباغي عند واضح جميع المسلمين.

ثم إلى القارئ الكريم شهادات أعلام أهل السنّة من أئمة المذاهب الأربعة: بأن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان على الحقّ في قتاله أهل الجمل وصفّين وغيرهما من الحروب، فكان محاربة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بغياً، وعليه من فمك أدينك، قال أبو حنيفة : ما قاتل أحد علياً إلاّ وعليّ أولى بالحقّ منه، ولولا ما سار عليّ فيهم ما علم أحد كيف السيرة في المسلمين، ولا شكّ أنّ علياً إنّما قاتل طلحة والزبير بعد أن بايعاه وخالفاه، وفي يوم الجمل سار عليّ فيهم بالعدل، وهو علّم المسلمين، فكانت السنّة في قتال أهل البغي (انظر مناقب أبي حنيفة للخوارزمي ج٢: ص٨٣).

وقال سفيان الثوري: ما قاتل عليّ أحداً إلاّ كان عليّ أولى بالحقّ منه (لاحظ حلية الأولياء لأبي نعيم ج٧: ص٣١).

وقال أحمد بن حنبل: لم يزل عليّ بن أبي طالب مع الحقّ والحقّ معه حيث كان (انظر تاريخ

➔

➔
مدينة دمشق ج٤٢: ص٤١٩).

وقال أبو منصور الماتريدي البغدادي: أجمعوا - أهل السنّة - على أن عليّاً كان مصيباً في قتال أهل الجمل طلحة والزبير وعائشة بالبصرة، وأهل صفّين معاوية وعسكره (انظر التذكرة للقرطبي: ص٤٩٥، وتحذير العبقري من محاضرات الخضري ج١: ص٢٢٨).

وقال النووي في شرح صحيح مسلم: وكان عليّ هو المحقّ المصيب في تلك الحروب هذا مذهب أهل السنّة (شرح صحيح مسلم للنووي ج١٨: ص١١) وقال في حديث عمّار: «تقتله الفئة الباغية»، قال العلماء: هذا الحديث حجّة ظاهرة في أن عليّاً كان محقّاً مصيباً (شرح صحيح مسلم للنووي ج١٨: ص٢٥٢).

وقال الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتاب الإمامة: أجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريقي أهل الحديث والرأي منهم مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي والجمهور الأعظم من المسلمين والمتكلّمين: على أنّ عليّاً مصيب في قتاله لأهل صفّين كما هو مصيب في أهل الجمل، وأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له... (لاحظ التذكرة للقرطبي: ص٤٩٤، وفيض القدير للشوكاني ج٦: ص٤٦٦، ونصب الراية للزيعلي ج٤: ص٦٩، وتحذير العبقري من محاضرات الخضري لمحمّد العربي التباني ج١: ص٢٢٨).

وقال ابن العربي المالكي: فكلّ من خرج على عليّ باغٍ، وقتال الباغي واجب حتى يفيء إلى الحقّ وينقاد إلى الصلح، وأنّ قتاله لأهل الشام الذين أبوا الدخول في البيعة، وأهل الجمل، والنهروان والذين خلعوا بيعته حقّ، وكان حقّ الجميع أن يصلوا بين يديه ويطالبوه بما رأوا، فلمّا تركوا ذلك بأجمعهم صاروا بغاة، فتناولهم قوله تعالى: ﴿**فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ**﴾ (انظر أحكام القرآن لابن العربي ج٤: ص١٥٣).

وقال ابن الهمام الحنفي: كان عليّ على الحقّ في قتال أهل الجمل وقتال معاوية بصفين (انظر فيض القدير للشوكاني ج٥: ص٤٦١).

وقال ابن حجر العسقلاني: كان الإمام عليّ بن أبي طالب على الحقّ، والصواب في قتال من قاتله في حروبه الجمل وصفين وغيرهما (فتح الباري في شرح البخاري، كتاب استتابة
➔

➔

المرتدين، ج١٥: ص٣٢٨-٣٢٩).

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي الحنفي: وأمّا القول في البغاة عليه فهو على ما أذكره لك: أمّا أصحاب الجمل فهم عند أصحابنا - يعني المعتزلة - لا يحكم لأحد منهم إلاّ بالنار لإصرارهم على البغي وموتهم عليه، رؤساؤهم والأتباع جميعاً، وأمّا الخوارج فإنهم مرقوا عن الدين بالخبر النبوي المجمع عليه، ولا يختلف أصحابنا في أنهم من أهل النار. وجملة الأمر أنّ أصحابنا - يعني المعتزلة - يحكمون بالنار لكلّ فاسق مات على فسقه، ولا ريب في أن الباغي على الإمام الحقّ والخارج عليه بشبهة أو بغير شبهة فاسق (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص٩).

وقال ابن تيمية بعد ذكر حديث عمّار تقتله الفئة الباغية: وهذا أيضاً يدل على صحة إمامة عليّ ووجوب طاعته، وأن الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة، والداعي إلى مقاتله داع إلى النار - وإن كان متأولاً - وهو دليل على أنه لم يكن يجوز قتال عليّ، وعلى هذا فمقاتله مخطئ وإن كان متأولاً، أو باغٍ بلا تأويل وهو أصح القولين لأصحابنا. وهو الحكم بتخطئة من قاتل عليّاً، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين (انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج٤: ص٤٣٧).

وقال الذهبي: لا نرتاب أنّ عليّاً أفضل ممّن حاربه، وأنّه أولى بالحقّ (انظر سير علام النبلاء ج٨: ص٢١٠ في ترجمة شريك بن عبدالله النخعي).

وقال القرطبي المالكي: فتقرّر عند علماء المسلمين وثبت بدليل الدين أنّ عليّاً كان إماماً وإنّ كلّ من خرج عليه باغٍ وأنّ قتاله واجب يفيء إلى الحقّ وينقاد إلى الصلح (انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٦: ص٣١٨).

و قال الآلوسي: وصرّح بعض الحنابلة بأن قتال الباغين أفضل من الجهاد احتجاجاً بأنّ عليّاً وجهه اشتغل في زمان خلافته بقتالهم دون الجهاد (أنظرروح المعاني تفسير الآلوسي ج٢٦: ص١٦٧).

وقال أبو بكر الجصاص الحنفي في أحكام القرآن: قاتل عليّ ابن أبي طالب الفئة الباغية

➔

➔
بالسيف ومعه من كبراء الصحابة وأهل بدر من قد علم مكانهم، وكان محقاً في قتاله لهم لم يخالف فيه أحد إلاّ الفئة الباغية الّتي قابلته وأتباعها (انظر أحكام القرآن للجصاص ج٣: ص٤٠٠). فهذه جملة من أقوال أئمّة أهل السنّة وأعلامهم على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، أدانوا مَن حارب الإمام أمير المؤمنينعليه السلام سواء أهل الجمل أو صفين أو الخوارج، فكلّهم بغاة، وكان الحقّ معه في قتالهم، والضلال معهم في قتاله. فكان الأحرى بابن تيمية ومَن على شاكلته أن يكون متحرراً من رواسب الموروث، وينظر إلى رموز أهل الجمل وإلى عائشة خاصة نظرة جدّ، ولا تأخذه بهرجة التبرير، وتزييف الأعذار فهي خاصة تتحمل من مسؤولية الحرب بقدر نشاطها فيها، ومواقفها لا تخفى. وقال عبد الوهاب النجار في تاريخه: أمّا عائشة أمّ المؤمنين فما كان لها أن تتولّى كبر هذا الأمر ولا أن تطالب كما تزعم بدم عثمان، فإنّ أولياء دم عثمان كثيرون يفوت عدّهم الاحصاء، وقد علمت أنّ معاوية بالشام غير وأن في أمره ولا متخاذل فيه وهو على العمل أقدر منها وأولى بعثمان وأمسّ به رحماً وأقرب قرابة وليست ممّن جعل الله لهم سلطان هذا الأمر، ولولا وجودها في هذا الجيش لما كانت الفتنة في هذه الناحية ولم يكن لهم نظام ولا حميّة، فكانت سبباً لاشتداد البلاء على المسلمين ومثاراً لأمور أنتجت الحزن والأسى انظر تاريخ الخلفاء الراشدين: ص٤١٠).

وقال ناصر الدين الألباني - بعد نقله حديث الحوأب -: إنّ الحديث صحيح الإسناد ولا إشكال في متنه... فإن غاية ما فيه أن عائشة لما علمت بالحوأب كان عليها أن ترجع، والحديث يدل أنّها لم ترجع، وهذا ممّا لا يليق أن ينسب إلى عائشة ولا نشك أن خروج عائشة كان خطأ من أصله، ولذلك همّت بالرجوع حين علمت بتحقيق نبوءة النبيّصلى الله عليه وآله عند الحوأب، ولكن الزبير أقنعها بترك الرجوع بقوله: عسى الله أن يصلح بك بين الناس، ولا نشكّ أنّه كان مخطئاً في ذلك أيضاً، والعقل يقطع بأنّه لا مناص من القول بتخطئة إحدى الطائفتين المتقاتلتين اللتين وقع فيهما مئات القتلى ولا شكّ أنّ عائشة هي المخطئة لأسباب كثيرة وأدلة واضحة... (انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ج١: ص٧٧٥).
🡐

بل النقص والضرر قد لحقّ بمن عصاه وحاربه ومنعه بذلك عن مجاهدة الكفار فإنّه عليه السلام هو المغني بجهاده في عمد المغازي عن غيره على عهد الرسول المختار صلى الله عليه وآله باتّفاق أهل العلم[1]

وإلى غير ذلك من أقوال علماء أهل السنّة فإنّ المستفاد منها أنّ من خرج على الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وحاربه يكون باغياً بإجماع المسلمين؛ وحكم الباغي عند جميع أهل السنّة واضح فإنّ البغي على إمام الحقّ موجب للضلالة والكفر. إذن قد ثبت بالأدلّة المعتبرة عند أهل السنّة بطلان دعوى ابن تيمية وتبيّن أنّ سيرة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في المحاربة مع الأعداء نفس سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه قد حدثت في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله الكثير من الحروب والغزوات، التي بلغت نحو ثمانين غزوة، وفي كلّ هذه الغزوات التي خرج فيها النبيّ صلى الله عليه وآله كان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مع النبيّ صلى الله عليه وآله، ولم يفارقه، إلا في غزوة تبوك، لأمر أراده الله ورسوله صلى الله عليه وآله، قال ابن الأثير: أجمع أهل التاريخ والسند، الرواة، على أنه عليّ بن أبى طالب، شهد بدراً وغيرها من المشاهد، وأنه لم يشهد غزوة تبوك لا غير؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله، خلفه على أهله في هذه الغزوة (أسد الغابة ج٤: ص٢٠). وفي كلِّ تلك الغزوات التي شهدها مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كان لواء رسول الله صلى الله عليه وآله بيده، وكان الجهاد في سبيل الله، أحب إليه من كل شيء حتى من نفسه؛ وهو أحرص الناس على دين الله ودين رسوله صلى الله عليه وآله وقد ظهر ذلك من خلال تضحياته وحرصه ومآزرته للنبي صلى الله عليه وآله في الحروب والغزوات التي خرج فيها مع النبيّ صلى الله عليه وآله فكان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام له الحظ الأوفر والنصيب الأكثر من الشجاعة ومقاتلة الأبطال ومنازلة الشجعان، فلم يعرف للخوف معنى، ولا للجبن مفهوماً في نفسه، بل كان يستقبل الموت برحابة صدر ويهرول في الحرب جانب العدو كأنّه

➔

يقصد شيئاً يحبه حتى أجمع المسلمون وغير المسلمين أن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أشجع العرب والعجم، ولم يشهد التاريخ له مثيلاً ونظيراً فضلاً من أن يرى أشجع منه. فلا أحد من المنصفين ينكر أو يناقش في أنّ الدين إنّما قام وثبتت قواعده وتشيّدت أركانه بسيف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وجهاده وتضحياته منذ اليوم الأوّل، وهذا من خصائصه المقتضية لأفضليّته من سائر الأصحاب، وقد قال تعالى: ﴿**فَضَّلَ اللّهُ الْمجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً**﴾ (سورة النساء:٩٥)، هذه الآية المباركة تؤكّد على التمايز بين المجاهدين وغيرهم من القاعدين، فتقول: بما أن الجهاد له أهميّة بالغة في الإسلام، يعرف به الأفضل من غيره. ولا ريب أنّ الأفضل من جميع الجهات في الجهاد هو مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولا شكّ أنّ هذا النوع من الأفضلية التي لا نظير لها موجبة لتصدي مقام الامامة الكبرى والخلافة العظمى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وبعبارة أخرى: إنّ مواقف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الحروب والغزوات تدلّ على ثبوت الإمامة والولاية له حيث أنّها تدلّ على أهليّة لهذا المقام العظيم، وعدم أهليّة غيره لذلك. وهذا ما اعترف به ابن تيميّة؛ حيث يدّعي الشجاعة لأبي بكر، بعد أنّ ثبت فراره - مع عمر - يوم أُحد ويوم خيبر وغيرهما، لكنّه يزعم أنّ لأبي بكر شجاعة القلب، لا في ميدان الحرب، كما يدعي أنّ لعمربن الخطاب الشجاعة بالدعاء!! فتأمّل كي تعرف الحق وأهله!!

ثم إنّ مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان معروفاً عند المسلمين بقاتل الكفرة كما في الأحاديث التي رواه علماء الإسلام، فقد أخرج ابن عساكر بسنده عن سفيان عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبد الرحمن بن بهمان قال: سمعت جابراً يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم الحديبية وهو آخذ بضبع علي بن أبي طالب وهو يقول: «هذا أمير البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله ثم مد بها صوته» وقال صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد الدار فليأت الباب» (انظر تاريخ مدينة

←

➔

دمشق ج٤٢: ص٣٨٢). وأخرج محمد بن طلحة الشافعي بسنده عن ابن عباس أنّه كان جالساً على شفير زمزم ويقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل رجل متعمّم بعمامة، فجعل ابن عباس لا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إلا قال الرجل: قال رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال ابن عباس: سألتك بالله من أنت؟ قال: فكشف العمامة عن وجهه وقال: يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني أنا جندب بن جنادة البدري أبو ذر الغفاري، سمعت النبي صلى الله عليه وآله بهاتين وإلا فصمّتا، ورأيته بهاتين وإلا فعميتا يقول عن علي عليه السلام: «إنه قائد البررة وقاتل الكفرة، منصور من نصره مخذول من خذله»؛ أما إني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً من الأيام الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد أني سألت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يعطني أحد شيئاً، وكان علي عليه السلام في الصلاة راكعا فأومى إليه بخنصره اليمنى وكان متختما فيها فأقبل السائل وأخذ الخاتم من خنصره وذلك بمرأى من النبي صلى الله عليه وآله وهو يصلي، فلمّا فرغ النبي صلى الله عليه وآله من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: «اللّهم إن أخي موسى سألك فقال: رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري، فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا، اللّهم وأنا محمد نبيّك وصفيك، اللّهم فاشرح لي صدري ويسّر لي أمري واجعل لي وزيرا من أهلي عليّاً أشدد به ظهري»، قال أبو ذر: فما استتم رسول الله صلى الله عليه وآله كلامه حتّى نزل عليه جبرئيل من عند الله فقال: «يا محمد اقرأ....» (انظر مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي: ص ١٧٠).

وملخّص الكلام أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تربى على يد رسول الله صلى الله عليه وآله في حروبه فكانت سيرته نفس سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله في الحروب، فكما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يبتدأ الحرب مع الكفار كذلك الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكذلك سيرة الإمام عليه السلام في المحاربة مع من خرج عليه ممّن نقض العهد وارتدّ بخروجه على إمام زمانه والتحق بسائر أهل الحرب فإنّ سيرته مطابق عليه السلام مطابق

➔

على ما مضى نقله عن حافظهم المغربي(١)

➔

لسيرة رسول اللهﷺ، فلاحظ.

(١) قال أبو عمر يوسف بن عبد الله الأندلسي المغربي في كتابه الاستيعاب في معرفة الأصحاب: وأجمعوا على أنه (الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبؑ) صلّى القبلتين، وهاجر، وشهد بدراً والحديبيّة، وسائر المشاهد، وأنّه أبلى ببدر وبأحد وبالخندق. وبخيبر بلاء عظيماً، وأنه أغنى في تلك المشاهد، وقام فيها المقام السكريم وكان لواء رسول اللهﷺ بيده في مواطن كثيرة، وكان يوم بدر بيده على اختلاف في ذلك. ولمّا قتل مصعب بن عمير يوم أُحد، وكان اللواء بيده دفعه رسول اللهﷺ إلى علي. وقال محمد بن إسحاق: شهد علي بن أبي طالب بدراً، وهو ابن خمس وعشرين سنة وروى ابن الحجاج بن أرطاة، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس، قال: دفع رسول اللهﷺ الراية يوم بدر إلى علي وهو ابن عشرين سنة. ذكره السراج في تاريخه. ولم يتخلف عن مشهد شهده رسول اللهﷺ مد قدم المدينة إلا تبوك، فإنه خلّفه رسول اللهﷺ على المدينة وعلى عياله بعده في غزوة تبوك، وقالﷺ له: «أنت منى بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبيّ بعدي». وروى قولهﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» جماعة من الصحابة، وهو من أثبت الآثار وأصحّها، رواه عن النبيﷺ سعد بن أبي وقاص. وطرق حديث سعد فيه كثيرة جداً قد ذكرها ابن أبي خيثمة وغيره، ورواه ابن عباس، وأبو سعيد الخدريّ، وأم سلمة، وأسماء بنت عميس، وجابر بن عبد الله، وجماعة يطول ذكرهم حدثنا خلف بن قاسم، حدثنا ابن المفسّر، حدثنا أحمد بن علي، حدثنا يحيى بن معين، حدّثنا عثمان بن معاوية الفزاري، عن موسى الجهنيّ، عن فاطمة بنت علي، قالت: سمعت أسماء بنت عميس تقول: سمعت رسول اللهﷺ يقول لعلي: «أنت منّى بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس بعدي نبي». حدّثنا عبد الوارث، حدّثنا قاسم، قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال حدّثنا أبي، قال حدّثنا نمير، عن حجاج، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس، قال: قال رسول اللهﷺ لعلي: «أنت أخي وصاحبي» (انظر الإستيعاب لابن

➔

فلم يدعوه بصيالهم وخروجهم عليه ليبيد الكفار بجهاده لهم مستخفّين بما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الغدير بقوله: «اللّهم انصر من نصره واخذل من خذله[1]»،

➔

عبد البر ج٣: ص١٠٩٧).

(١) هذه العبارة إشارة إلى دعاء النبي صلى الله عليه وآله في حديث الغدير المشهور لدى جميع المحدّثين المتواتر عن النبي صلى الله عليه وآله، وقد رواه أكثر من مائة صحابي عن النبي صلى الله عليه وآله، وجمعها العلامة الأميني قدس سره في كتابه الغدير، فرواه عن مأئة وعشرين صحابياً وتسع وثمانين تابعياً وثلاثمأئة من العلماء والمحدثين والمصنفين من أهل السنّة (انظر الغدير ج١: ص١٢-٤١٠). وهذا العدد في حدّ ذاته قليل! لأنّ السامعين لهذا الحديث كانوا مائة ألف أو يزيدون، وفيهم الخلفاء الثلاثة الذين رووا هذه الحديث (انظر كتاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في آراء الخلفاء للعلامة الشيخ مهدي فقيه إيماني). وأشار إليه معظم علماء القرون المتتابعة واعتنوا به وجمعوا طرقه، وهو حديث بالغ عن حدّ التواتر بين أوساط المسلمين، قال المحب الطبري: فإن حديث الغدير بغض النظر عن دلالته بوحده يدل على إمامة وخلافة أمير المؤمنين بانضمام تلك القرائن إليه، من ارتقاء المنبر قرب الموت، والتعريف بحق علي وأهل البيت عليهم السلام، وأنه مولى من كان النبي صلى الله عليه وآله مولاه، وهو يفيد التساوي من جميع الوجوه وتفضيل علي بذلك كما فهمه الدهلوي ونزول الآيات الكريمة من القرآن الكريم في تلك الواقعة، وشدّة اهتمام النبي صلى الله عليه وآله بالأمر، وخوفه من شرّ المخالفين، وكون الواقعة في زمان ومكان لم يتعارف فيه هكذا اجتماع، ثم أمره صلى الله عليه وآله برد من تقدم والحاق من تخلف، وصنعه منبراً له من أقتاب الإبل، ثم رفعه لعلي حتى رآه الناس كلّهم، مع تغيير ملابسه وتعميمه إياه بيده، ثم تهنئة الشيخين وعامة الأصحاب والأزواج لعلي، وترتب الثواب العظيم على صوم هذا اليوم المبارك (انظر عبقات الأنوار للسيد مير حامد النقوي ج٩: ص٢٢٣ نقلاً عن المحب

➔

➔
الطبري). وإلى غير ذلك ممّا يمكن أن يذكر في هذا المجال، فإنّ حديث الغدير متواتر في جميع الطبقات، رواه علماء الإسلام سلفاً عن خلف واعتنوا به اعتناءً تاماً وجمعوا طرقه وألفاظه في كتبهم المختلفة وأسفارهم المعتبرة، وقال أحمد الشاه ولي الله الدهلوي في كتابه التفهيمات الإلهية: تفهيم من كان مقلداً لواحد من الأئمة وبلغه عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما يخالف قوله في مسألة وغلب على ظنه أن ذلك نقل صحيح فليس له عذر في أن يترك حديثه عليه السلام إلى قول غيره، وما ذلك شأن المسلمين ويخشى عليه النفاق إن فعل ذلك (انظر نفحات الأزهار للسيد الميلاني ج٦: ص٤١١ نقلاً عن كتاب التفهيمات الإلهية للدهلوي). ومن الواضح أنّه إذا لم يكن من شأن المسلمين ترك الحديث، فإنّ من ردّ مثل حديث الغدير الصحيح المتواتر، يوجب الخروج من عداد المسلمين والدخول في زمرة المنافقين قطعاً. فحديث الغدير عند جميع المسلمين من المسلّمات، إذ لم ينكره أحد، وهو أقوى المستمسّك في باب الولاية واثباتها؛ ولأجل هذا ترى في كلّ باب من أبواب الكتاب التوجّه إلى روايات العامّة أكثر منه إلى روايات الخاصّة فانّ أحاديثهم إذ انقلت ولا سيّما من كتبهم المعتبرة لا مجال لهم لانكارها ولا يمكن لعلمائهم اخفائها عن أعينهم، وفتفصيل الكلام فيها في محلّه ومن أراد الوقوف على أكثر ممّا ذكرناه فليراجع كتاب العبقات والغدير وغاية المرام وأمثالها من الكتب المختصّة به. وعلى أيّ تقدير لا شكّ في صدور الحديث من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ودعائه صلى الله عليه وآله في حق من نصر مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ودعاء النبي صلى الله عليه وآله بإطلاقه مستجاب، فلا شكّ أنّ دعائه صلى الله عليه وآله في حقّ من نصر مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مستجاب في جميع الأمكنة والأزمنة كما أنّ دعائه صلى الله عليه وآله على من خذل مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مستجاب في جميع الأمكنة والأزمنة، وإن كان مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام معروفاً عند المسلمين بقاتل الكفرة كما في الأحاديث فقد أخرج ابن عساكر بسنده عن سفيان عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبد الرحمن بن بهمان قال: سمعت جابراً يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم
➔

➔
الحديبيّة وهو آخذ بضبع علي بن أبي طالب وهو يقول: «هذا أمير البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله ثم مد بها صوته» وقالﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد الدار فليأت الباب» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٨٢). وأخرج محمد بن طلحة الشافعي بسنده عن ابن عباس أنّه كان جالساً على شفير زمزم ويقول: قال رسول اللهﷺ إذ أقبل رجل متعمّم بعمامة، فجعل ابن عباس لا يقول: قال رسول اللهﷺ إلا قال الرجل: قال رسول اللهﷺ، فقال ابن عباس: سألتك بالله من أنت؟ قال: فكشف العمامة عن وجهه وقال: يا أيّها الناس من عرفني فقد عرفني، أنا جندب بن جنادة البدري أبو ذر الغفاري، سمعت النبيﷺ بهاتين وإلا فصمتا، ورأيته بهاتين وإلا فعميتا يقول عن عليعليه السلام: «إنه قائد البررة وقاتل الكفرة، منصور من نصره مخذول من خذله»؛ أما إنّي صلّيت مع رسول اللهﷺ يوماً من الأيام الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللّهم اشهد إني سألت في مسجد رسول اللهﷺ فلم يعطني أحد شيئاً، وكان عليعليه السلام في الصلاة راكعاً فأومى إليه بخنصره اليمنى وكان متختّماً فيها، فأقبل السائل وأخذ الخاتم من خنصره وذلك بمرأى من النبيﷺ وهو يصلّي، فلمّا فرغ النبيﷺ من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: «اللهم إن أخي موسى سألك فقال: رب اشرح لي صدري ويسّر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي، اشدد به أزري وأشركه في أمري، فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً ﴿**سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا**﴾، اللّهم وأنا محمّد نبيك وصفيّك، اللّهم فاشرح لي صدري ويسّر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً، اشدد به ظهري»، قال أبو ذر: فما استتم رسول اللهﷺ كلامه حتّى نزل عليه جبرئيل من عند الله فقال: «يا محمد اقرأ....» (انظر مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي: ص١٧٠)، وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام.

وتاركين له[١] فشملهم ما تضمّنه خبر ستّة لعنهم ولعنهم الله وكلّ نبي مجاب[٢]، فإنّه قد عدّ منهم المستحلّ من عترته ما حرم الله وهو قتالهم[٣]

---

(١) لا يخفى على الباحث الخبير أنّ من الحقوق الأزمة على المسلمين نصرة الحجج الإلهية من النبي صلى الله عليه وآله أو الأئمة الطاهرين عليهم السلام وأنّ مرجع ترك نصرتهم إلى انكار رسالة النبي صلى الله عليه وآله وانكار إمامة أئمة الهدى عليهم السلام؛ ترك نصرتهم إقرار عملي لانكارهم، وإنّ وراء ترك نصرة الإمام والخليفة شيئا خطيراً، وهو ترك العمل بكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، ومن هنا قامت حركة التوّابين على محور فكري واحد هو: التوبة بالقتال حتّى الموت من ذنبهم في عدم نصرة الإمام الحسين عليه السلام وكان بعضهم بايع سفيره مسلم بن عقيل عليه السلام، وكتب إلى الإمام الحسين عليه السلام طالبين مجيئه إلى الكوفة وصاحب الفكرة سليمان بن صُرَد الخزاعي فهو رئيسهم بلا منازع، وقد سيطرت على ذهنه فكرة التوبة بهذه الطريقة تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ (سورة البقرة:٥٤).

(٢) لقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ستّة لعنتهم لعنهم الله وكلّ نبي مجاب: المكذّب بقدر الله، والزائد في كتاب الله، والمتسلّط بالجبروت، يذلّ من أعزّ الله ويعزّ من أذلّ الله، والمستحلّ لحرم الله، والمستحلّ من عترتي ما حرم الله، والتارك لسنتي»؛ (ثم قال الحاكم:) وقد احتجّ البخاري بعبد الرحمن بن أبي الموال وهذا حديث صحيح الاسناد ولا أعرف له علّة ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج١: ص٣٦، وج٢: ص٥٢٥ وج٤: ص٩٠)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج١: ص١٧٦، وابن حبان في صحيحه ج١٣: ص٦٠، والطبراني في المعجم الكبير ج٣: ص١٢٧ وغيرهم؛ والحديث صريح في أنّ المستحلّين من العترة الطاهرة، قد شملهم اللعن من الله وكلّ نبيّ مجاب.

(٣) هذه العبارة أيضاً اشارة الى حديث ستة لعنهم الله وكل نبي مجاب الذي رواه الحاكم

←

والتارك لسنّته[1]

النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ستّة لعنتهم لعنهم الله وكلّ نبيّ مجاب: المكذّب بقدر الله، والزائد في كتاب الله، والمتسلّط بالجبروت، يذلّ من أعزّ الله ويعزّ من أذل الله، والمستحلّ لحرم الله والمستحلّ من عترتي ما حرم الله، والتارك لسنتي»؛ (ثم قال الحاكم) وقد احتجّ البخاري بعبد الرحمن بن أبي الموال وهذا حديث صحيح الاسناد ولا اعرف لّه علة ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج١: ص٢٦، وج٢: ص٥٢٥ وج٤: ص٩٠)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج١: ص١٧٦، وابن حبان في صحيحه ج١٣: ص٦٠، والطبراني في المعجم الكبير ج٣: ص١٢٧ وغيرهم؛ فمن الستة الذين لعنهم الله كلّ نبيّ مجاب الدعوة المستحلّ من عترته ما حرم الله وهو قتالهم، فالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو ممّن قاتل من لعنهم الله وكلّ نبي مجاب.

(١) هذه العبارة أيضاً اشارة إلى حديث ستّة لعنهم الله وكلّ نبيّ مجاب الذي رواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ستّة لعنتهم لعنهم الله وكلّ نبيّ مجاب: المكذّب بقدر الله، والزائد في كتاب الله، والمتسلّط بالجبروت، يذلّ من أعزّ الله ويعزّ من أذل الله، والمستحلّ لحرم الله والمستحلّ من عترتي ما حرم الله، والتارك لسنتي»؛ (ثم قال الحاكم) وقد احتجّ البخاري بعبد الرحمن بن أبي الموال وهذا حديث صحيح الاسناد ولا اعرف لّه علة ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج١: ص٢٦، وج٢: ص٥٢٥ وج٤: ص٩٠)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج١: ص١٧٦، وابن حبان في صحيحه ج١٣: ص٦٠، والطبراني في المعجم الكبير ج٣: ص١٢٧ وغيرهم؛ ومن الستّة الذين شملهم لعن الله وكلّ نبي مجاب هم التاركون لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وهم الذين قاتلهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ولا يخفى على الخبير أنّ حديث ستّة لعنهم الله وكلّ نبي مجاب مشمول لمن غصب الخلافة باعتبار أنّه أبعد العترة عن حقم الخلافة، قال المناوي في فيض القدير في

وهي مثل خبر«اللّهم انصر من نصره» لعدم عملهم به[١]،

➔

شرح الحديث: والمستحل من عترتي أي قرابتي (ما حرم الله) يعني من فعل بأقاربي ما لا يجوز فعله من إيذائهم أو ترك تعظيمهم فإن اعتقد حلّه فكافر وإلا فمذنب وخصهما باللعن لتأكد حق الحرم والعترة وعظم قدرهما بإضافتهما إلى الله وإلى رسوله (والتارك لسنتي) بأن أعرض عنها بالكلية أو ترك بعضها استخفافا أو قلة احتفال بها، وأراد باللعنة هنا أحد قسميها وهو الإبعاد عن الخير والرحمة والإنسان ما دام في معصية بعيد عنهما ولو مسلما قال التوربشتي: وما ذكر في القدرية من هذا ونحوه يحمل على المكذب به إذا أتاه من البيان ما ينقطع العذر دونه أو على من تفضي به العصبية إلى تكذيب ما... (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ج٤: ص١٢٧) ومن الواضح أنّ من أبعد أهل البيتعليهم السلام عن حقّهم فهو في حكم المحارب لهم، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى دعاء النبيصلى الله عليه وآله في حديث الغدير، فقدأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن زيد بن أرقم قال: لمّا رجع رسول اللهصلى الله عليه وآله من حجّة الوداع ونزل غدير "خم" أمر بدوحات فقممن، فقال: «كأني دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله تعالى وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»، ثم قال: «إنّ الله عزّ وجلّ مولاي، وأنا مولى كل مؤمن»، ثم أخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فهذا وليه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه....»، يقول الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٠٩). وقد أخرجه الحافظ الذهبي في تلخيصه في الهامش. وأخرج بسنده عن رفاعة بن إياس الضبي عن أبيه عن جده قال: كنا مع علي يوم الجمل فبعث إلى طلحة بن عبيد الله ان القنى، فأتاه طلحة فقال: نشدتك الله هل سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»؟ قال: نعم، قال: فلم تقاتلني؟» قال: لم أذكر، قال: «فانصرف طلحة» (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص٢٧١). فالشاهد أنّ طلحة كان يعلم أنّ من يقاتل

🡐

بل هم مشاقون للرسول صلى الله عليه وآله في العمل بما خالفه[1].

➔

مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مشمول للدعاء عليه من النبي صلى الله عليه وآله.

(١) هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾ (سورة النساء:١١٥). هذه الآية الكريمة متضمّنة لبيان موضوع إسلامي عامّ وكلّيّ، وهو التفسير حين يرتكب الإنسان خطأ ويدرك هذا الخطأ، فليس أمامه سوى طريقين أحدهما: طريق العودة والتوبة التي أشارت الآيات السابقة إلى أثرها في غسل الذنوب عن الإنسان.

والطريق الثاني: هو أن يسلك الإنسان سبيل العناد، وقد أشارت الآية المباركة إلى الآثار والعواقب السيّئة لهذا الطريق، حيث أعلنت أن من يواجه النبي صلى الله عليه وآله بالعناد والمخالفة بعد وضوح الحقّ له، ويسير في طريق غير طريق المؤمنين، فإن الله سوف لن يهديه إلى غير هذا الطريق، وسيرسله الله في يوم القيامة إلى جهنم، وما أسوأ هذا المكان الذي ينتظره! فتقول الآية: ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولّى ونصله جهنّم وساءت مصيراً. فيجب الانتباه إلى أنّ عبارة يشاقق مأخوذة من مادّة شقاق بمعنى المخالفة الصريحة المقرونة بالحقد والضغينة، وتؤكّد جملة من بعدما تبيّن له الهدى هذا المعنى أيضاً، وفي الحقيقة فإنّ من يكون هذا شأنه فلن يلقى مصيراً خيراً ممّا ذكرته الآية له، مصير ينطوي على نهاية مشؤومة له في هذه الدنيا وعاقبة سيّئة أليمة في الدار الآخرة، فهو في الدنيا - كما تقول الآية - يستمرّ منجرفاً في الطريق الأعوج الذي اختاره، فتتوسّع بذلك زاوية انحرافه عن جادة الحقّ والصواب، وهذا الطريق هو الذي اختاره لنفسه والبناء الذي وضع أساسه بيده، ولهذا لم يكن قد وقع عليهم أي ظلم من الخارج. وأما بالنسبة لقول الآية "نوله ما تولى": فهو إشارة إلى حرمان هؤلاء من التوفيق المعنوي لتمييز الحقّ ومواصلتهم السير في طريق الضلالة، وحين تقول الآية: "نصله جهنّم" فهي تشير إلى مصير هؤلاء يوم القيامة. فالآية تدلّ على أنّ من لم ينصر

➔

قد عرفت ما ترتّب على قتاله لهم[(١)]، وقد عيّنهﷺ للقتال على التأويل[(٢)]؛

➔

الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في حروبه فهو ممّن تشمله الآية ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً.

(١) لا شكّ أنّ ما ترتّب من الأثر على قتال رسول اللهﷺ في حروبه ترتّب على قتال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في حروبه بعد وفاة رسول اللهﷺ أيضاً، فكما أنّ من حارب رسول اللهﷺ يحكم عليه حكم الكفّار الحربي كذلك من قاتل مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بعد وفاة رسول اللهﷺ يدخل في هذا العنوان؛ لأنّ رسول اللهﷺ أمر بالاقتداء به، فمحاربة من أمر النبيﷺ بالإقتداء به محاربة رسول اللهﷺ. غير أنّ من حارب رسول اللهﷺ حاربه على التنزيل ومن حارب مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام حاربه على التأويل، فإنّ رسول الله كان عالماً بالتنزيل وقاتلهم عليه وأنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام كان عالماً بالتأويل وقاتلهم عليه. على حدّ قتال رسول اللهﷺ وإلا لو لم يكن عالماً بالتأويل، بطبيعة الحال كان الطرف الآخر على باطل، لا أنه اجتهد فأخطأ، فإنّ من حارب رسول اللهﷺ يستحق العقاب كذلك من حارب مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فإنه يستحق العقاب والنار، كان على باطل ويستحقّ من الله على قتاله النار، ومعناه أنّه من الكفار. فجميع من حارب مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في الجمل والنهروان وصفّين كانوا على باطل جزماً ويستحقّون العقاب وحكمهم حكم من حارب رسول اللهﷺ، وكذلك حكم كلّ من قتل في محاربته فهو في حكم من قتل في حروب رسول اللهﷺ، فلاحظ.

(٢) هذه العبارة اشارة الروايات التي وردت عن رسول اللهﷺ من أنّه قال للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «أنت تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل»، فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي سعيد قال: قال رسول اللهﷺ: «إنّ منكم

➔

لعلمه بأنّ جماعات من أهل القبلة يخرجون لمحاربته حسبما خرجت عائشة من مكّة ومعها طلحة والزبير وجماعة إلى البصرة لمحاربته[(١)]

←

من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله» قال: فقام أبو بكر وعمر، فقال: «لا ولكن خاصف النعل» وعلي يخصف نعله (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٣٣). وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن أبي سعيد قال: كنّا مع رسول اللهﷺ فانقطعت نعله فتخلف علي يخصفها فمشى قليلاً، ثم قال: «إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر، قال أبو بكر: أنا هو، قالﷺ: «لا»، قال عمر: أنا هو، قالﷺ: «لا ولكن خاصف النعل»، يعنى عليّاً، فأتيناه فبشّرناه فلم يرفع به رأسه كأنّه قد كان سمعه من رسول اللهﷺ؛ ثم قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٢٣). وأخرج الهيثمي في مجمع الزوائد بسنده عن عن أبي سعيد قال: كنا جلوساً ننتظر رسول اللهﷺ، فخرج علينا من بعض بيوت نسائه، قال: فقمنا معه، فانقطعت نعله، فتخلف عليها علي يخصفها ومضى رسول اللهﷺ ومضينا معه، ثم قام ينتظره وقمنا معه فقالﷺ: «إن منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن كما قاتلت على تنزيله» فاستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر، فقال: «لا ولكنه خاصف النعل»، قال: فجئنا نبشّره، قال: فكأنّه قد سمعه، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ج٩: ص١٣٣).

(١) وذلك لأنّ النصوص الكثيرة الصحيحة الواردة في المصادر الإسلامية دلّت على أنّ رسول اللهﷺ أكّد على أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام سيقاتل على تأويل كما أنّهﷺ قاتل على التأويل. فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا عند رسول اللهﷺ فقال: «فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتل على تنزيله» (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٣١). وقال محمد بن طلحة

←

➔

الشافعي في كتابه مطالب السؤول في مناقب آل الرسولﷺ: ولهذا جعل رسول اللهﷺ القتال على تأويله كالقتال على تنزيله، فقد ظهر مناط القتال على التأويل لما ظهر مناط القتال على التنزيل، وقد اشترك الأمران في أنّ كلّ واحد منهما قتال مبطل ضالّ ليرجع عن إبطاله وضلالته وافترقا في أن الجريمة الصادرة من المقاتلين على التنزيل أعظم وأشدّ من الجريمة الصادرة من المقاتلين على التأويل، فلهذا كانت المقاتلة على أعظم الجريمتين مختصّة بمنصب النبوّة، فقام بها النبيﷺ ودعا إليها وقاتل الذين كفروا حتّى آمنوا، وكانت المقاتلة على جريمة التأويل التي هي دون الجريمة الأولى موكولة إلى الإمام، لكون الإمامة دون النبوّة، فهي فرعها فقام بها عليعليه السلام ودعا إليها وقاتل الخوارج المتأوّلين، فإنهم عمدوا إلى آيات من القرآن الكريم التي نزلت في الكفار واختصّت بهم فصرفوها عن محلّ مدلولها وحملوها على المؤمنين وجعلوهم محلّها واستدلّوا عليهم بها (مطالب السؤول: ص١٣٧). فمن المتسالم عليه عند جميع علماء الإسلام أنّ النبيﷺ أخبر عن قتال أهل الباطل والضلال، ومن جملة ذلك نهوض بعض الصحابة في حرب الجمل بقيادة عايشة وطلحة والزبير، فإنّه بعد مقتل عثمان بن عفّان بايعت الناس الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ومن بين المبايعين طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، وطلبا منهعليه السلام أن يولّيهما بعض ولاياته، ولكن الامامعليه السلام قال لهما: «إني لا أشرك في أمانتي إلا من أرضى بدينه وأمانته من أصحابي» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص٢٣١)، فداخلهما اليأس من المنصب، فاستأذناه للعمرة، وخرجا من المدينة إلى مكّة ناكثين بيعة أمير المؤمنينعليه السلام؛ ولمّا وصلا إلى مكّة دخلا على عائشة، وأخذا يحرضانها على الخروج، فخرجت عائشة معهما على جمل مطالبة بدم عثمان قاصدين الشام، فصادفهم في أثناء الطريق عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة، قد صرفه الإمام أمير المؤمنينعليه السلام بحارثة بن قدامة السعدي، فرجّح لهم البصرة لما فيها من كثرة الضيع والعدة، فتوجهوا نحوها، فمانع عنها عثمان بن حنيف والخزان والموكلون، فوقع بينهم القتال، ثم اسروا عثمان وضربوه ونتفوا لحيته. ولمّا سمع

➔

➔

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بوصولهم، جهّز جيشاً وخرج إلى البصرة، ولما وصلها بعث إليهم يناشدهم، فأبوا إلا الحرب لقتاله. ثم أخذ الامام عليه السلام يناشد طلحة والزبير فلم تنفع معهما، وعند ذلك نشبت الحرب بينهما وأسفرت عن قتل ستّة عشر آلاف وسبعمائة وسبعون رجلاً من أصحاب الجمل، وأربعة آلاف رجل من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وانكسار جيش أصحاب الجمل، ثم إن الامام عليه السلام أمر محمد بن أبي بكر أن ينزل عائشة في دار آمنة بنت الحارث، ثم أمر بارجاعها إلى المدينة، ورجع هو عليه السلام إلى الكوفة. هذا، ومع العلم بأن أكثر المؤرّخين ذكروا أن عائشة كانت من أوائلي المحرضين على قتل عثمان، وعباراتها مشهورة ومعروفة: اقتلوا نعثلاً.. قتل الله نعثلاً.. لقد غيّر سنّة رسول الله (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص٢١٥). وروى الطبري في تاريخه: أن عائشة لما انتهت إلى سرف راجعة في طريقها إلى مكّة لقيها عبد بن أم كلاب وهو عبد بن أبي سلمة ينسب إلى أمّه، فقالت له: مهيم، قال: قتلوا عثمان، فمكثوا ثمانياً قالت: ثم صنعوا ماذا؟ قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع، فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز اجتمعوا على علي بن أبي طالب، فقالت: والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك! ردوني ردوني، فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوماً، والله لأطلبن بدمه، فقال لها ابن أم كلاب: ولم؟ فوالله إن أول من أمال حرفه لأنت ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلاً فقد كفر، قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأول، فقال لها ابن أم كلاب:

منك البداء ومنك الغير * ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الامام * وقلت لنا إنه قد كفر

(انظر تاريخ الطبري ج٣: ص٤٧٧).

والجدير بالذكر أنّ ابن أبي الحديد روى في شرحه لنهج البلاغة: أنّه جاءت عائشة وحفصة ودخلتا على عثمان أيّام خلافته، وطلبتا منه أن يقسم لهما إرثهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وكان عثمان متّكئاً، فاستوى جالساً وقال لعائشة: أنت وهذه الجالسة جئتما بأعرابي يتطهّر ببوله

➔

وسار معاوية بأهل الشام إلى صفّين لذلك وتفرعت على هذه محاربته المارقة(١)،

➔

وشهدتما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: نحن معشر الأنبياء لا نورّث، فإذا كان الرسول حقيقة لا يورّث، فماذا تطلبان بعد هذا؟ وإذا كان الرسول يورّث لماذا منعتم فاطمة حقّها؟ فخرجت من عنده غاضبة وقالت: اقتلوا نعثلاً فقد كفر (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦: ص ٢٢٠).

والباحث عندما يلاحظ موقف عائشة تجاه مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يجد أمراً عجيباً وغريباً، ولا يجد له تفسيراً إلاّ الغيرة والعداء لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وقد سجّل لها التاريخ كرهاً وبغضاً للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لَمْ يُعرف له مثيلٌ، وصل بها إلى حدّ أنّها لا تطيق ذكر اسْمه ولا تطيق رؤيته، وعندما تسمع بأنّ الناس قد بايعوه بالخلافة بعد قتل عثمان، تقول: وددت لو أنّ السّماء انطبقت على الأرض قبل أن يليها ابن أبي طالب، وتعمل كلّ جهودها للإطاحة به، وتقود ضدّه عسكراً جرّاراً لمحاربته، وعندما يأتيها خبر موته تسجد شكراً لله. ألا يتعجّب الباحث من أهل السنّة عندما يتصفّح كتبهم ويقرأ هذه الأخبار ثم يقرأ الرواية التي رواها مسلم في صحيحه بسنده عن الأعمش عن عدى بن ثابت عن زر قال: قال علي: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة أنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وآله إلى أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق» (صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب الدليل على أنّ حبّ الأنصار والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من الإيمان وعلاماته). وملخّص الكلام أنّ من حارب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فكأنّما حارب رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حارب على التنزيل والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حارب على التأويل، فلاحظ.

(١) لقد خرج معاوية وأهل الشام إلى صفّين لحرب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي

➔

➔

طالبعليه السلام، رافعاً علم النفاق، ومدعياً بأخذ ثأر عثمان، ومعلناً للحرب ضدّ الحكومة الشرعية المتمثّلة بالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وفي الحقيقة أنّه خرج على إمام زمانه وعلى السلطان والحاكم الذي بنى أهل السنّة على تكفير من خرج على سلطان زمانه أوحاكم زمانه، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس عن النبيصلى الله عليه وآله قال: «من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنّه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية» (صحيح البخاري ج٨: ص٨٧ كتاب الفتن، باب قول النبيصلى الله عليه وآله سترون بعدي اموراً تنكرونها). فعندما عزله الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام عن ولاية الشام، رفض بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ورفع راية الحرب ضدّه، فألقى الإمامعليه السلام كلّ الحجج والبراهين على معاوية وأتباعه، وأوضح لهم طريق الصواب وجادة الحق، ولكنّهم أبوا إلا طغياناً وبغياً وأصرّوا على باطلهم وغيّهم، وقد أرسل لهم رسلاً ورسائل متعددة، ولمّا أتمّ الحجّة عليهم قرّر المسير إليهم فجمع أتباعه من المهاجرين والأنصار ومن اتّبعهم بإحسان، حتّى وصل إلى صفّين التي عسكر بها جيش معاوية، وانتظر هناك الباغين عسى أن يفيقوا إلى أمرهم، ولكنّهم ظلوا في طغيانهم يعمهون، ولمّا أتمّ عليهم الحجّة وأراهم الطريق وغرس فيهم قابليّة التفكّر والإرجاع إلى ضمائرهم كي يحكموا بمقتضى الفطرة التي فطر الله الناس عليها، بدأ الإمامعليه السلام بتعبئة أصحابه فأخرج الألويّة وصار يعقدها لقادة جنده، فأتمّ توزيع قادته وكتائبه، واصطفّ الجيشان للقتال وحان أوان اللقاء بدقّ طبول الحرب، فوقف الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام كعادته قبل كلّ حرب يوصي جنده وأتباعه فيقول لهم: «لا تقاتلوهم حتّى يقاتلوكم، فأنتم بحمد الله على حجّة، وتركّكم قتالهم حجّةً أُخرى، فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورةً، ولا تمثّلوا بقتيل، وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تُهَيّجوا امرأةً بأذًى، وإن شتمن أعراضكم وسَببن أمراءكم وصلحاءكم، فإنّهنّ ضعاف القوى والأنفس» (انظر وقعة صفين لنصر بن مزاحم:

🡐

←

ص٢٠٣-٢٠٤، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣: ص٢٩٣، وتاريخ ابن خلدون ج٢: ص١٧١). وكان الإمام عليه السلام لا يرغب أن يلاقي أهل الشام جميعهم بجمع أهل العراق خوفاً على الفريقين من الهلاك، فكان يأمر الرجل ذا الشرف من قادته فيخرج وتخرج معه جماعة من الجند، ويخرج إليه من أصحاب معاوية آخر معه جماعة فيقتتلان ما سمح لهم به الوقت ثمّ ينصرفان. وهكذا حاول الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أن يقيم الحجّة على معاوية وأصحابه بأسلوب متين ومنهج رصين، حقناً لدماء المسلمين وإخماد نار الفتنة، ولكن تلك المحاولات لم تجد آذاناً صاغية عند معاوية. فكان هؤلاء القوم أسرع الناس إلى معارضته، والتصدي لدعوته، فعاجلوه بالمعارضة، وتولّوه بالأذى حسداً من عند أنفسهم، ولم يذروه ينشر دعوته، ويبلغ رسالته، بل أضرموا عليه حرباً ضروساً، اتّصلت بينهم وبينه وكانت معركة صفّين في الأوّل من صفر سنة ٣٧هـ وصفّين منطقة بين الشام والعراق. وقد جهّز معاوية جيشاً عدده "١٣٠ ألف" مقاتل من الشاميين، وجهّز الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام جيشاً عدده "١٣٥ ألف" مقاتل من الكوفيين، منهم "١٠٠" مقاتل ممّن قاتل مع رسول الله صلى الله عليه وآله في معركة بدر الكبرى، كعمّار بن ياسر، وحزيمة بن ثابت، وسعد بن قيس، وعبد الله بن عباس وغيرهم. وسعى الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لإصلاح الموقف بالوسائل السلميّة، فبعث أوّلاً بوفد ثلاثي إلى معاوية يذكّره الله، ويدعوه إلى التقوى والورع، فكان جواب معاوية: ليس عندي إلاّ السيف. ثمّ دعا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام معاوية إلى المبارزة، حقناً لدماء الآخرين، ولكن معاوية رفض خشية على نفسه من بطشة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. نزل معاوية بمَن معه عند نهر الفرات في وادي صفّين الوسيع، واستولى على الماء، ونزل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في ذلك الوادي أيضاً، وقد منع معاوية أهل العراق أن يشربوا من ماء الفرات ولو قطرة واحدة، فأضرّ بهم وبدوابهم العطش، ولمّا لم تنفع محاولات الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لبلوغ الماء بالحسنى، اضطرّه الأمر إلى استعمال القوّة لإنقاذ عشرات

←

➔

الأُلوف ممّن كانوا معه من الموت عطشاً. ولمّا تمّت له السيطرة على الماء حاول بعض الأصحاب إقناع الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام أن يقابلهم بالمثل، فأبى ذلك أشدّ الإباء، وأتاح لمعاوية وجيشه، الذين هدّدوه قبل ساعات قليلة بالموت عطشاً أن يردوا الماء ويشربوا أسوة بأصحابه. رغم هذه الأخلاق الرفيعة والمعاملة الحسنة، فقد استمرّ جيش معاوية في استفزاز جيش الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام الذي لم يجد بداً من السماح لأصحابه بالقتال بعد أن أوقع بهم الأعداء عدداً من القتلى والجرحى نتيجة اعتداءاتهم. ولقد كان لاستشهاد عمّار بن ياسر في معركة صفّين الأثر الكبير في تضعضع جيش معاوية، بعد أن علموا بأنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله قائل لعمّار بن ياسر: «يا عمّار، تقتلك الفئة الباغية» (لاحظ صحيح البخاري ج٣: ص٢٠٧ كتاب الجهاد والسير، باب مسح الغبار عن الناس في السبيل، وصحيح مسلم ج٨: ص١٨٦ كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر رجل فيتمنى أن يكون مكان الميت البلاء). ومعنى ذلك أنّهم هم الفئة الباغية لا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وأصحابه. وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن عمرو بن مرة قال: سمعت عبد الله بن سلمة يقول: رأيت عمّاراً يوم صفين شيخاً كبيراً آدم طوالاً آخذ الحربة بيده ويده ترعد، فقال: "والذي نفسي بيده لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول اللهصلى الله عليه وآله ثلاث مرات وهذه الرابعة، والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا شعفات هجر لعرفت أن مصلحينا على الحقّ وأنّهم على الضلالة" (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٣١٩). وأخرج أيضاً بسنده عن عن محمد بن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: ما زال جدي كافاً سلاحه يوم الجمل حتّى قتل عمّار بصفين، فسلّ سيفه فقاتل حتّى قتل، قال: سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «تقتل عمار الفئة الباغية» (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٢١٥). وهي في الليلة كان البرد فيها قارصاً إلى الحدّ الذي كان يسمع للجنود هرير كهرير الكلب، وبالإضافة إلى البرد في هذه الليلة فقد اشتدّ القتال بين الجيشين، بحيث قتل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في يومه وليلته خمسمائة وثلاثة وعشرون رجلاً،

🡐

➔
وكان الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إذا قتل رجلاً كبّر. وكان لمالك الأشتر فيه نصيب كبير، فكان يقول: «إنّ هؤلاء القوم لا يقاتلونكم إلاّ عن دينكم ليميتوا السنّة، ويحيوا البدعة، ويعيدوكم في ضلالة قد أخرجكم الله عزّ وجلّ منها بحسن البصيرة، فطيبوا عباد الله أنفساً بدمائكم دون دينكم، فإنّ ثوابكم على الله، والله عنده جنّات النعيم، وإنّ الفرار من الزحف فيه السلب للعزّ والغلبة على الفيء، وذل المحيى والممات، وعار الدنيا والآخرة». وفي ليلة الهرير كان الأشتر يضرب ضرباته بكلّ قوّة حتّى اخترق صفوف أهل الشام، وأجرى حولهم عمليات الالتفاف والتطويق، فانكشفت غالب صفوفهم، وكادوا ينهزمون حتّى وصل الأشتر إلى قرب خيمة معاوية بن أبي سفيان، فعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح. لمّا رأى معاوية بن أبي سفيان انتصارات جيش الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على جيشه، وقد قرب منه القائد مالك الأشتر مع مجموعته، دعا عمرو بن العاص إلى خطّة للوقوف أمام هذه الانتصارات. فقام عمرو بن العاص بخدعة، حيث دعا جيش معاوية إلى رفع المصاحف على أسنّة الرماح، ومعنى ذلك أنّ القرآن حكماً بيننا، وأراد من ذلك أن يخدع أصحاب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ليقفون عن القتال ويدعون الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى حكم القرآن. وفعلاً جاء زهاء عشرين ألف مقاتل من جيش الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حاملين سيوفهم على عواتقهم، وقد اسودّت جباههم من السجود، يتقدّمهم عصابة من القرّاء الذين صاروا خوارج فيما بعد، فنادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين: يا علي، أجب القوم إلى كتاب الله إذا دُعيت، وإلاّ قتلناك كما قتلنا ابن عفّان، فو الله لنفعلنّها إن لم تجبهم. فقال الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «عباد الله، إنّي أحقّ من أجاب إلى كتاب الله، ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وإنّي أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالاً وصحبتهم رجالاً، فكانوا شرّ الأطفال وشرّ الرجال، إنّها كلمة حقّ يُراد بها باطل، إنّهم والله ما رفعوها، إنّهم يعرفونها ولا يعملون بها، ولكنّها الخديعة والوهن والمكيدة؛
➔

وقد تقدّم نقل الخبر الذي دلّ على خصوصيّة محاربة النبيﷺ على

➔

أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحقّ مقطعه، ولم يبق إلاّ أن يقطع دابر الذين ظلموا». ثمّ قال الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لهم: «ويحكم أنا أوّل مَن دعا إلى كتاب الله، وأوّل مَن أجاب إليه». قالوا: فابعث إلى الأشتر ليأتيك، وقد كان الأشتر صبيحة ليلة الهرير قد أشرف على عسكر معاوية ليدخله، فأصرّوا على رأيهم، وكان الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في هذا الموقف أمام خيارين لا ثالث لهما:

١- المضي بالقتال، ومعنى ذلك أنّه سيقاتل ثلاثة أرباع جيشه وجيش أهل الشام؛

٢- القبول بالتحكيم وهو أقلّ الشرّين خطراً. وهكذا كان القبول بالتحكيم نتيجة حتميّة لظروف قاهرة لا خيار للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. اتّفق الجيشان - جيش أهل الشام وجيش أهل العراق - على مبدأ التحكيم، وكان عمرو بن العاص المفاوض من قبل أهل الشام، وكان أبو موسى الأشعري المفاوض من قبل أهل العراق. وقد اختلف الناس في أبي موسى الأشعري أشدّ الاختلاف، فاللذين استجابوا لفكرة التحكيم أراده مفاوضاً عنهم، واللذين رفضوا فكرة التحكيم - وهم الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه - رفضوا أن يكون الأشعري مفاوضاً عنهم، ولكن لم يكن أمام الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وبدّ من الاستجابة لأهل العراق والقبول بأبي موسى الأشعري. وقد تعرّض الأشعري لخداع ابن العاص الذي أقنعه بخلع الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، بينما قام عمرو بن العاص بتثبيت معاوية وخلع الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وانتهت تلك المهزلة على هذا النحو. قُتل من الطرفين خلال المعركة "٧٠ ألف" رجلاً، فمن أصحاب معاوية من أهل الشام "٤٥ ألف" رجلاً، ومن أصحاب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من أهل العراق "٢٥ ألف" شهيداً.

التنزيل ومحاربة علي عليه السلام على التأويل[(١)].

(١) لقد تقدّمت الروايات الواردة في المقام وهي كثيرة، منها: ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتل على تنزيله» (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٣١). وقال محمد بن طلحة الشافعي في كتابه مطالب السؤول في مناقب آل الرسول صلى الله عليه وآله: ولهذا جعل رسول الله صلى الله عليه وآله القتال على تأويله كالقتال على تنزيله، فقد ظهر مناط القتال على التأويل لما ظهر مناط القتال على التنزيل وقد اشترك الأمران في أنّ كل واحد منهما قتال مبطل ضال ليرجع عن إبطاله وضلالته وافترقا في أن الجريمة الصادرة من المقاتلين على التنزيل أعظم وأشدّ من الجريمة الصادرة من المقاتلين على التأويل، فلهذا كانت المقاتلة على أعظم الجريمتين مختصة بمنصب النبوة فقام بها النبي صلى الله عليه وآله ودعا إليها وقاتل الذين كفروا حتى آمنوا، وكانت المقاتلة على جريمة التأويل التي هي دون الجريمة الأولى موكولة إلى الإمام لكون الإمامة دون النبوة فهي فرعها فقام بها علي عليه السلام ودعا إليها وقاتل الخوارج المتأولين، فإنهم عمدوا إلى آيات من القرآن الكريم نزلت في الكفار واختصت بهم فصرفوها عن محل مدلولها وحملوها على المؤمنين وجعلوهم محلها واستدلوا عليهم بها (مطالب السؤول: ص١٣٧). ومنها: ما رواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن أبي سعيد قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فانقطعت نعله فتخلف علي يخصفها، فمشى قليلاً ثم قال: «إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»، فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر، قال أبو بكر: أنا هو؟ قال: «لا» قال عمر: أنا هو؟ قال: «لا ولكن خاصف النعل» يعني عليّاً، فأتيناه فبشّرناه فلم يرفع به رأسه كأنّه قد كان سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٣). ومن الواضح لدى الخبير أنّ التنزيل هو تلقي المقامات الكليّة لحقيقة القرآن الكريم، والتأويل هو تطبيق تلك المقامات الكليّة على الموارد والدرجات المتوسّطة والجزئيّة العديدة، ولا يمكن لشخص أن يحيط بكلّ تأويل القرآن إلا أن يكون قد أحاط بمراتب القرآن وأن تكون ←

وعاشرها: إنّ ما زعمه من فساد النصّ الذي تدعيه الرفضة على إمامة عليعليه السلام مثل فساد دعوى غيرهم النصّ على العبّاس، وفسادهما معلوم عند أهل العلم بالمنقول من عظيم بهتانه وتضليله للغفلة(١)

➔

قواه خالية من الزلل والزيغ ومنه يعلم أن النبوّة في التنزيل والإمامة في التأويل فهي تلو النبوّة الخاتمة ومشتقّة منها ومترتّبة عليها، وفي كثير من الأحاديث نرى أن النبيصلى الله عليه وآله يقرن بين النبوة والإمامة المتمثّلة بشخص النبي الأكرمصلى الله عليه وآله والإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، مع بيان الفاصل بين الشأن النبوي والشأن الولوي. لذلك كانت وصية النبيصلى الله عليه وآله للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام يقاتل بني أمية على التأويل كما قاتلهم على التنزيل، وبذلك يتمُّ العهد النبوي مجدداً ليبقى ماثلاً في تاريخ الأمّة وضميرها، حتى لو لم يتحقّق للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام النصر الكامل على قريش وأميّة، وهذا يفسر لنا تأكيدات مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وأبرار الصحابة على أن بني أميّة ما أسلموا ولكن استسلموا! وأنهم أصحاب مشروع لضرب أصل الإسلام! فقد كان عمّار بن ياسررضي الله عنه ينادي: "أيها الناس والله ما أسلموا، ولكنّهم استسلموا وأسروا الكفر! فلمّا وجدوا أعواناً أظهروه!" (كتاب صفين لابن مزاحم ص٢٤٣، وشرح الأخبار للقاضي نعمان المغربي ج٢: ص١٥٧، وعلل الشرايع للشيخ الصدوق ج١: ص٢٢٢). وقد أخذ عمّار ذلك من إمامه علي بن أبي طالبعليه السلام الذي أخذ من النبيصلى الله عليه وآله، وكان يقول لأصحابه عند الحرب: لا تشتدن عليكم فرَّةٌ بعدها كرّة، ولا جولة بعدها حملة وأعطوا السيوف حقوقها، ووطئوا للجنوب مصارعها (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٣: ص١٦). وإلى غير ذلك ممّا ورد في المقام وهذا معنى خصوصيّة محاربة النبيصلى الله عليه وآله على التنزيل ومحاربة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام على التأويل، فلاحظ.

(١) لا شكّ ولا شبهة في أنّ النصوص الواردة في إمامة مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن

➔

لما تقدّم نقله من النصوص الصحيحة عند أهل مذهبه الثابتة في بعض عمد كتبهم المتّفق على عدم وجود خبر كاذب فيها عندهم(١)

➔

أبي طالبعليه السلام وخلافته بلا فصل بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله ولايته التامّة منتشرة في الآفاق والأكوان. وقد أخرجها كبار علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنّة، فلا يمكن إنكارها؛ لأنّ كتب المعتبرة من التفسير والحديث والتاريخ وغيرها مليئة بذكرها وقد أخرجها كبارعلماء أهل السنّة، ولكن لا يوجد نصّ واحد على إمامة العبّاس كما سيتبيّن ذلك للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى. فما ذكره ابن تيمية من وجود النصّ على العباس فساده أوضح من أن يخفى؛ لأنّ ابن تيمية كعادته سعيه في التمويه والتخديع وتضليل الناس عن طريق المكر والاحتيال كي يصور الجهلة البسطاء والغافلين الذين ليس لديهم معلومات دينيّة أنّ الأشياء على غير صورته الحقيقة، وإلا كلّ من له أدنى معرفة بالأخبار والمتون الدينيّة يعرف أنّ العبّاس خارج عن هذا الموضوع باتّفاق الجميع.

(١) وبعبارة أوضح أنّه استدلّ بعض علماء أهل السنّة بما ذكره بعض المؤرخين من أنّ العبّاس بن عبدالمطلب بعد وفاة رسول اللهصلى الله عليه وآله قال لمولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: امدد يدك يابن أخ أبايعك، فيقول الناس عمّ رسول اللهصلى الله عليه وآله بايع ابن أخيه فلا يختلف عليك اثنان (انظر الفصول المختارة: ص٢٤٩). وقد ادّعوا أن في هذا دليلاً على أن رسول اللهصلى الله عليه وآله لم ينصّ على إمامة مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وقولهم إنّه لو كان نصّ عليه لم يدعه العباس إلى البيعة، لأنّ المنصوص عليه لا يفتقر في إمامته وكمالها إلى البيعة، فلما دعاه العباس إلى عقد إمامته من حيث تنعقد الإمامة التي تكون بالاختيار دلّ على بطلان النصّ، وهذا الكلام مع وهنه ردّ على دعوى ابن تيمية؛ حيث لوكان دعوى النص على إمامة العباس صحيحاً لما استدلّ أهل السنّة بفعل العبّاس على عدم وجود النصّ، فيكفي للباحث أن يتأمّل في هذه الأقوال المتناقضة لدى أعداء أهل البيتعليهم السلام وليعرف فساد ما أسّس عليه الاعتقاد بالإمامة في السقيفة الجائرة، وترك

➔

مثل مسند إمامه أحمد الذي جعل هو يستدلّ بخبر حسن منه مرسل على رضا سعد بإمامة أبي بكر[(١)]

➔

وإبعاد العترة الطاهرةعليهم السلام.

وكيف لا نتعجّب من هؤلاء الذين يتبجّحون بأنّهم أهل السنّة وقد تركوا أمر رسول اللهصلى الله عليه وآله بالتمسّك بالثّقلين كتاب الله والعترة، رغم إخراجهم هذا الحديث وتصحيحه؟! فإنّهم لم يتمسّكوا لا بالقرآن ولا بالعترة؛ لأنّهم بتركهم للعترة الطاهرة فقد تركوا القرآن، لأنّ الحديث الشريف مفاده أنّ القرآن والعترة لا يفترقان أبداً، كما أخبر بذلك رسول اللهصلى الله عليه وآله بقوله: «وقد أنبأني اللطيف الخبير بأنّهما (القرآن والعترة) لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض» (أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ج٣: ص١٧، والحاكم المستدرك ج٣: ص١٤٨، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه، وصحّحه الذهبي في تلخيصه معترفاً بصحّته على شرط الشيخين، وورد بلفظ (يتفرّقا)، والهيثمي في مجمع الزوائد ج١: ص ١٧٠ وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات، والترمذي في سننه ج٥: ص٣٢٩، وابن أبي شيبة في المصنّف ج٧: ص٤١٨، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٤: ص٣٥٥، ح١٧٦١). وكيف لا نتعجّبُ من قوم يدّعون أنّهم أهل السنّة وهم يخالفون ما ثبت في صحاحهم من فعل النبيّصلى الله عليه وآله وأوامره ونواهيه.

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما نسبه القوم إلى الحسن البصري فيما رواه أحمد بن حنبل عنه واستدلّ به على تقديم أبي بكر بأنّه صلى بالصحابة بتقديم النبيصلى الله عليه وآله له في الصلاة (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٢٠٩). وقد روى ابن عساكر بسنده عن أحمد بن ملاعب البغدادي عن خلف بن الوليد عن مبارك بن فضالة عن محمد بن الزبير، قال: أرسلني عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري أسأله عن أشياء فصعدت إليه، فإذا هو متّكئ على وسادة من أدم، فقلت: أرسلني فيما اختلف فيه الناس هل كان رسول اللهصلى الله عليه وآله استخلف أبا بكر؟

➔

➔

فاستوى الحسن قاعداً فقال: أ وفي شكّ هو لا أباً لك؟! أي والله الذي لا اله إلاّ هو لقد استخلفه ولهو كان أعلم بالله وأتقىٰ له وأشدّ له مخافة من أن يموت عليها لو لم يأمره (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٣٠: ص٢٩٧).

وقد علّق على هذه الرواية العلامة الأميني (رضوان الله تعالى عليه) بقوله: انظر إلى هذا المتقشّف المتزهّد الجامد كيف يحلف كذباً بالله تعالى على ما تعترف به الأمّة جمعاء حتّى نفس أبي بكر وعمر... (الغدير ج٥: ص٢٤٥).

أقول: مع قطع النظر عن ضعف سند الحديث عند أهل السنّة، فإنّ الخبير يعلم أنّ عصر بني أمية كان عصر الاضطهاد الذي قتلوا فيه عشرات الآلاف من المسلمين من أجل تثبيت حكومتهم، فكان الناس يخافون أن يتكلّموا على خلاف مصالحهم ولعلّ ما ذكره كان من باب التقيّة وفي الواقع أنّه ليس في الحديث تصريح بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله استخلف أبا بكر لإقامة الصلاة جماعة، فلم يقصد أنّ من استخلفه أبو بكر، ولذلك تجده لم يذكر اسم أبي بكر في الجواب. ونظيره ما ورد في باب غدير خم وحديث الثقلين الذي رواه مسلم في صحيحه بسنده يزيد ابن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلمّا جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسمعت حديثه وغزوت معه وصلّيت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول صلى الله عليه وآله، فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلّفونيه، ثم قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله فينا خطيباً بماء يدعى خماً بين مكّة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: «أمّا بعد ألا أيها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسّكوا به» فحثّ على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي...» (صحيح مسلم ج٧: ص١٢٢ كتاب الفضائل، باب فضائل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام) وبالرغم من أنّ

🡐

➔
مسلم اختصر الحادثة ولم يروها بكاملها إلا أنها بحمد الله واضحة الدلالة، يظهر وجه الاختصار فيها ممّا قاله زيد بن أرقم نفسه لما اضطرّته الظروف السياسيّة إلى كتمان حديث الغدير، وهذا ما يفهم من سياق الحديث إذ يقول الراوي: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلمّا جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسمعت حديثه وغزوت معه وصلّيت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا بن أخي والله لقد كبرت سنّي وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وآله، فما حدّثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلّفونيه، ثم قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خماً....؛ فيبدو من سياق الحديث أن حصيناً سأل زيد بن أرقم عن حادثة الغدير وأحرجه أمام الحاضرين بهذا السؤال وكان زيد بن أرقم بدون شك يعلم بأنّ الجواب الصريح على ذلك يسبّب له مشاكل مع الحكومة التي كانت تحمل الناس على لعن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولهذا نجده يعتذر للسائل بأنّه كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم يضيف طالباً من الحاضرين بأن يقبلوا ما يحدّثهم به ولا يكلّفوه ما يريد السكوت عنه، فمع خوفه واختصاره للحادثة واقتضابها فقد أوضح زيد بن أرقم كثيراً من الحقائق وألمح لحديث الغدير بدون ذكره، وذلك قوله: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله خطيباً بماء يدعى خما بين مكة والمدينة، ثم بعد ذلك ذكر فضل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأنه شريك القرآن في حديث الثقلين....

وعلى كلّ تقدير فإنّ الظاهر من حديث الحسن البصري فيه نوع من التقيّة، حيث أنّ صلاة أبي بكر حتّى في عهد عمر بن عبد العزيز كان مشكوكاً عند الناس مع أنّ الخلافة والحكومة كانت في أيديهم لا سيما في عصر الأمويّين، فليس هناك مانع يتصوّر من نقل هذا الحديث، ولو كان حديثاً صحيحاً لماذا شكّ عمر بن عبد العزيز في ذلك، وهذا الشكّ صار سبباً لإرسال محمد بن الزبير إلى الحسن البصري؟

➔

➔
ثمّ أنّه لا بأس هنا أن نتعرّف علىٰ شخصية الحسن البصري كي نعرف انتمائه الفكري والعقدي. فمن هو الحسن البصري؟

الحسن البصري هو أبو سعيد بن أبي الحسن يسار مولى زيد بن ثابت الأنصاري أخو سعيد وعمارة وأُمّهم خيرة مولاة أُمّ سلمة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يسار والده من سبي ميسان. ويقال: إنّ أُمّه أيضاً كانت من سبايا ميسان وكانت حاملاً بالحسن حين السبي.

ولد الحسن البصري بالمدينة سنة إحدىٰ وعشرين من الهجرة لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب، وعاش بالمدينة حتّى سنة ٣٧ من الهجرة ثمّ هاجر إلى البصرة واستقرّ بها ما يقارب الـ٤٣ سنة حتّى أصبح فيها زعيماً من زعمائها ومفتياً عامّاً فيها، وكان يقال إنّه من الزهّاد الثمانية، وكان يلقى الناس بما يهوون ويتصنع الرئاسة وكان رئيس القدريّة.

توفّي في شهر رجب سنة ١١٠ من الهجرة وله تسع وثمانين سنة (انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي ج٤: ص٥٦٣، وتذكرة الحفّاظ له ج١: ص٦٦، والطبقات لابن سعد ج٧: ص١٥١، والتاريخ الكبير للبخاري ج٢: ص٢٨٩، والمعارف لابن قتيبة: ص٤٤، وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج٣: ص١٢١ وغيرها من كتب الرجال والتراجم).

فالمستفاد من كتب الرجال والتراجم أنّ الرجل لم يكن له نسب وحسب معروف، بل المستفاد من بعض العبارات أنّه لا يعلم هل أنّ والده كان يساراً أم لا؟ ولذلك نجد في ترجمته لم يذكروا اسم أبيه يسار؛ بل أكثر أهل الترجمة والرجال ذكره بعنوان الحسن بن أبي الحسن البصري.

قد ورد في أحواله ما يدلّ على أنّ الرجل كان منحرفاً عن أهل البيت عليهم السلام، قال ابن أبي الحديد: وممّن قيل إنّه يبغض علياً ويذمّه الحسن بن أبي الحسن البصري.... (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٤: ص٩٥).

وروى قطب الدين الراوندي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أتى الحسن البصري يتوضّأ في ساقية، فقال عليه السلام: «أسبغ طهورك يا فتى»، قال: لقد قتلت بالأمس رجالاً كانوا يسبغون الوضوء، قال الإمام عليه السلام: «وإنّك لحزين عليهم؟» قال: نعم، فقال الإمام عليه السلام: «فأطال الله حزنك».
➔

وهو عالم بما تضمّنه من السنن الصحيحة التي دلّت على أمامة علي عليه السلام[(١)]

➔

قال أيّوب السجستاني: فما رأينا الحسن قطّ إلا حزيناً كأنّه رجع عن دفن حميم أو كأنّه خربندج (لعلّه معرّب خربنده: أي مكاري الحمار) ضلّ حماره، فقلنا له في ذلك، فقال: عمل في دعوة الرجل الصالح.... (الخرائج والجراغ ج٢: ص٥٤٧).

وفي حديث آخر قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في حقّه: «إنّ لكلّ قوم سامريّ، وهذا - الحسن البصري - سامريّ هذه الأمّة (انظر الاحتجاج للطبرسي ج١: ص٢٥١).

وله مكاتبة مع الإمام المجتبى عليه السلام يسأل فيها الإمام عن القدر؟ فأجاب الإمام عليه السلام فيها بجواب واف لما يتعلّق بسؤاله وفيه الذمّ عليه لم نذكرها رعاية للاختصار.

وقد ذكر العلامة المجلسي بعض ما ورد في ذمّه في كتاب بحار الأنوار وخصّص لذلك باباً خاصّاً (راجع بحار الأنوار ج٤٢: ص١٤١).

وملخّص الكلام أنّ الرجل كان من أعداء أهل البيت عليهم السلام ومن مبغضيهم. وهو كاف في ردّ الحديث. ولكن مع قطع النظر عن هذه الجهة فإنّ حديثه مرسل وفاقد للاعتبار سنداً.

مضافاً إلى أنّ الحسن البصري لم يذكر في الحديث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال في حقّ أبي بكر كذا وكذا. ولا أنّه يمدحه بل الظاهر من الحديث هو رأي الحسن وقوله، ومن الواضح لدى الخبير أنّ قوله ليس بحجّة شرعيّة، وإنّما الحجّة هو قول النبي صلى الله عليه وآله. فلا عبرة برأي حسن البصري عند جميع العلماء حتّى أهل السنّة؛ لأنّ رأيه لا يكون حجّة عندهم إذ الرأي الذي لا يستند إلى الحجّة لا اعتبار له عند العلماء، فلاحظ.

(١) لا شكّ ولا شبهة في أنّ الحسن البصري وأحمد بن حنبل كانا يعلمان علم اليقين بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد نصّ على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ويؤيد ذلك ما ورد عنهما من الأقوال والروايات الواردة في كتب القوم، وسنذكرها إن شاء الله في محله. ثم نذكر هنا جملة من النصوص والروايات التي أخرجها علماء أهل السنّة والجماعة بأسناد صحيحة عن أبي بكر وعمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله من باب الاحتجاج على الحسن البصري وأحمد بن حنبل كي يعرف القارئ الكريم أنّ النصوص الدالّة على

➔

➔
إمامة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام رواها أكثر الصحابة حتّى أبي بكر وعمر، فكيف يمكن للحسن البصري وأحمد بن حنبل أن ينكرا ما رواها أبو بكر وعمر عن رسول اللهصلى الله عليه وآله ؟!!! ومن الطبيعيّ أنّ استقصاء مثل هذه الروايات لا يمكننا في هذا المجال لكثرتها فنذكر بعضها من باب المثال لا الحصر رعاية للاختصار، فمنها: ما أخرجه ابن حجر العسقلاني بسنده عن أبي الأسود الدؤلي قال: سمعت أبا بكر يقول: أيّها الناس عليكم بعليّ بن أبي طالب، فإنّي سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «عليّ خير من طلعت عليه الشمس وغربت» (لسان الميزان ج٦: ص٧٨ في ترجمة المغيرة بن سعيد البجلي).

ومنها: ما أخرجه العيني الحنفي شارح البخاري بسنده عن أبي بكر عن رسول اللهصلى الله عليه وآله، لمّا سمع صوتاً خرج من النخلة قالصلى الله عليه وآله: «أتدرون ما قالت النخلة؟» قال أبو بكر: قلنا: الله ورسوله أعلم، قالصلى الله عليه وآله: «صاحت: هذا محمّد رسول اللهصلى الله عليه وآله ووصيّه علي بن أبي طالب» (مناقب سيدنا علي للعيني: ص١٥ ح٤).

ومنها: ما أخرجه الطبري بإسناده عن ابن عباس قال: ..... قال أبو بكر: يا عليّ ما كنت لأتقدّم رجلاً سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول فيه: «عليّ كمنزلتي (بمنزلتي) من ربّي» (ذخائر العقبىٰ: ص٦٤، والرياض النضرة ج٢: ص١١٨ وص٢٢)، ورواه ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة: ص١٧٧، والعيني في مناقب سيّدنا علي: ص٣٩ وغيرهم.

ولا يخفى على الخبير ما في الحديث من الدلالة على أنّ جميع منازل رسول اللهصلى الله عليه وآله عند الله يكون للإمام أمير المؤمنينعليه السلام، ومنها الولاية الإلهيّة التي أعطاها الله تعالى لرسولهصلى الله عليه وآله كما في قوله تعالى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ**﴾ (سورة الأحزاب:٦)، فإنّ هذه الآية الكريمة ذكرت أولويّة النبيصلى الله عليه وآله بالمسلمين بصورة مطلقة ومعنى ذلك أنّ النبيصلى الله عليه وآله أولى بهم من أنفسهم في جميع الصلاحيات التي يمتلكها الانسان في حقّ نفسه من المسائل الاجتماعيّة والسياسيّة وغير ذلك، ولذلك يجب أن يقال: إنّ النبيصلى الله عليه وآله أولى بكلّ مسلم في جميع المسائل الفرديّة والاجتماعيّة والمسائل المتعلّقة بالحكومة
➔

➔

وغيرها بصورة مطلقة.

ولاينبغي العجب من هذه المسألة لأنّ النبي الأكرمﷺ معصوم ووكيل لله سبحانه وتعالى، فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً يكون كذلك بنصّ هذه الرواية التي رواها أبو بكر عن النبيﷺ وقد أخرج الحريفيش هذا الحديث بلفظ آخر وفيه: إنّ أبا بكر قال: أنا لا أتقدّم على رجل قال في حقّه رسول اللهﷺ: «إنّ علياً يجيء يوم القيامة ومعه أولاده وزوجته فيقول أهل القيامة: أيّ نبيّ هذا؟ فينادي مناد: هذا حبيب الله، هذا عليّ بن أبي طالب» (الروض الفائق في المواعظ والدقائق لشعيب بن عبد الله المعروف بالحريفيش: ص٢٦٧).

ومنها: ما أخرجه ابن عساكر الدمشقي بسنده عن الحبشي بن جنادة قال: كنت جالساً عند أبي بكر، فقال: من كانت له عند رسول اللهﷺ عدّة فليقم، فقام رجل، فقال: إنّه قد وعدني ثلاث حثيات من تمر، فقال أبو بكر: أرسلوا إلى عليّ، فجاء فقال أبو بكر: يا أبا الحسن إنّ هذا يزعم أنّ رسول اللهﷺ وعده أن يجيء له ثلاث حثيات من تمر، فأحثها له، فحثاها، فقال أبو بكر: عدّوها، فوجدوا في كلّ حثية ستّين تمراً لا تزيد واحدة على الأخرى، فقال أبو بكر: صدق الله ورسولهﷺ، قال لي رسول اللهﷺ ليلة الهجرة ونحن خارجون من الغار نريد المدينة: «يا أبا بكر كفّي وكفّ عليّ في العدل سواء» (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٦٩).

ومنها: ما أخرجه المحب الطبري بسنده عن قيس بن أبي حازم قال: التقى أبو بكر وعلي بن أبي طالب عليه السلام فتبسّم أبو بكر في وجه علي عليه السلام فقال عليه السلام له: «مالك تبسّمت؟» قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «لا يجوز أحد الصراط إلاّ من كتب له عليّ الجواز» (ذخائر العقبى: ص٧١ والرياض النضرة ج٢: ص١٣٧)، وأخرجه ابن حجر في الصواعق المحرقة: ص١٢٦، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودّة ج٣: ص ٢٣٠ وغيرهم.

وأخرج الخطيب البغدادي ما هو قريب من هذا المضمون بسنده عن أنس بن مالك قال: قال أبو بكر عند موته: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «إنّ على الصراط لعقبة لا يجوزها أحد

➔

➔

إلاّ بجواز من عليّ بن أبي طالب» (تاريخ بغداد ج١٠: ص٣٥٧ في ترجمة عبيد الله بن لؤلؤ بن جعفر بن حمويه)، ورواه المحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٢: ص٤٠٣، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٤: ص٢٥٤، وابن حجر في لسان الميزان ج٤: ص١١١ وغيرهم.

وأخرج ابن المغازلي ما قريب منه بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «عليّ يوم القيامة على الحوض، لا يدخل الجنّة إلاّ من جاء بجواز من عليّ بن أبي طالب» (مناقب عليّ بن أبي طالب لابن المغازلي: ص١٢٠ ح ١٤٣).

ومنها: ما أخرجه ابن عساكر بسنده عن أبي رافع قال: كنت قاعداً بعدما بايع الناس أبا بكر فسمعت أبا بكر يقول للعباس: أنشدك الله، هل إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جمع بني عبد المطلب وأولادهم وأنت فيهم وجمعكم دون قريش، فقال صلى الله عليه وآله: «يا بني عبد المطّلب، إنّه لم يبعث الله نبياً إلاّ جعل له من أهله أخاً ووزيراً ووصياً وخليفة في أهله، فمن منكم - يقوم و- يبايعني على أن يكون أخي ووزيري ووصيي في أهلي؟» فلم يقم منكم أحد، فقال صلى الله عليه وآله: «يا بني عبد المطّلب، كونوا في الإسلام رؤساء ولا تكونوا أذناباً، والله ليقومنّ قائمكم أو لتكوننّ في غيركم ثمّ لتندمنّ»، فقام عليّ من بينكم، فبايعه على ما شرط له ودعا إليه، أتعلم هذا له من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال العباس: نعم (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٥٠). ورواه ابن قتيبة في مختلف الحديث وأخرج الطبري باسناده عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه كان عند أبي بكر إذ جاء عليّ والعباس، فقال العباس: أنا عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله ووارثه وقد حال عليّ بيني وبين تركته، فقال أبو بكر: فأين كنت يا عبّاس حين جمع النبي صلى الله عليه وآله بني عبد المطّلب وأنت أحدهم؟ فقال: «أيّكم يؤازرني ويكون وصيي، وخليفتي في أهلي وينجز عدتي ويقضي ديني؟»، فقال العباس: بمجلسك تقدّمته وتأمّرت عليه؟ (أي إن كان هكذا كما تقول: فلماذا تقدّمت عليه وغصبت أمره؟!) فقال أبو بكر: أعذراً يا بني عبد المطلب؟ أي إنّكما أردتما بدعواكما هذه المصطنعة على إرث النبي صلى الله عليه وآله وتركته، أن تأخذوا منّي الإقرار والاعتراف بحقّ عليّ وأولويّته

➔

➔

للخلافة، وتحكّموا عليّ بما اتفوّه به وأقوله بنفسي ولساني.... (المسترشد لابن رستم الطبري: ص١٧١).

ومنها: ما أخرجه الخوارزمي بسنده عن عثمان بن عفّان قال: سمعت عمر بن الخطّاب قال: سمعت أبا بكر بن أبي قحافة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّ الله تعالى خلق من نور وجه عليّ بن أبي طالب ملائكة يسبّحون الله ويقدّسون الله، ويكتبون ثواب ذلك لمحبّيه ومحبّي ولده» (المناقب للخوارزمي: ص٣٢٩ فصل١٩ ح ٣٤٨).

وأخرج المحبّ الطبري بسنده عن عمر بن الخطاب قال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله آخى بين الناس وترك علياً حتّى بقي آخرهم لا يرى له أخاً، فقال عليّ: «آخيت بين الناس وتركتني؟» قال صلى الله عليه وآله: «ولم تراني تركتك؟ إنّي تركتك لنفسي، أنت أخي وأنا أخوك، فإن ذاكرك أحد فقل: أنا عبد الله وأخو رسوله لا يدّعيها بعدي الاّ كذّاب». ثمّ قال المحبّ الطبري: أخرجه أحمد في المناقب (انظر الرياض النضرة ج٣: ص١٢٥).

ومنها: ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن عمر بن الخطاب أنّه رأى رجلاً يسبّ علياً عليه السلام؛ فقال عمر: إنّي أظنك منافقاً، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّما عليّ منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي» (تاريخ بغداد ج٧: ص٤٦٣ في ترجمة الحسن بن يزيد المؤذن)، ورواه المحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١١٨ وقال أخرجه ابن السمان في مواقفه وأيضاً أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص١٦٧ وغيرهم.

وأخرج بهاء الدين القفطي الشافعي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال عمر بن الخطاب: كنت أجفو علياً عليه السلام فلقيني النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: «آذيتني يا عمر!» فقلت: بأيش؟ قال صلى الله عليه وآله: «تجفو علياً! من آذىٰ عليّاً فقد آذاني» فقلت: والله لا أجفوا عليّاً أبداً (الأنباء المستطابة: ص٦٤). ورواه الرافعي القزويني في التدوين في أخبار قزوين ج٣: ص٣٩٠ وغيره.

أقول: لا بدّ لأهل السنة والجماعة أن يتأمّلوا في القسم بالله عزّ وجلّ من عمر بن الخطاب لأنّ

➔

➔

إحراق باب دار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بيد عمر بن الخطاب من مسلّمات التاريخ، فكيف هو يعاهد النبي صلى الله عليه وآله ويحلف قسماً بالله أن لا يجفو عليّاً ومع ذلك قد هجم على بيت أمير المؤمنين عليه السلام وأحرق باب داره، أهذا وفاء بالعهد واليمين؟!

ومنها: ما أخرجه ابن عساكر بسنده عن عبد الله بن ضبيعة العبدري عن جدّه قال: أتىٰ عمر بن الخطاب رجلان سألاه عن طلاق الأمة، فقام معهما فمشى حتّى أتى حلقة في المسجد فيها رجل أصلع فقال: أيها الأصلع، ما ترى في طلاق الأمة؟ فرفع رأسه إليه ثمّ أومأ إليه بالسبابة والوسطى، فقال له عمر: تطليقتان، فقال أحدهما: سبحان جئناك وأنت أمير المؤمنين فمشيت معنا حتّى وقفت على هذا الرجل فسألته فرضيت منه أن أومأ إليك فقال لهما: ما تدريان من هذا؟ قالا: لا، قال: هذا عليّ بن أبي طالب، أشهد علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله لسمعته وهو يقول: «إنّ السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعتا في كفّة ثمّ وضع إيمان عليّ في كفّة ميزان لرجح إيمان عليّ» (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٢٤١)، ورواه ابن المغازلي في مناقبه: ص٢٣٠، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص٢٠٦، والذهبي في ميزان الاعتدال ج٣: ص٤٩٤، والخوارزمي في مناقبه: ص١٣١، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودّة ج٢: ص١٨٨ وغيرهم.

ومنها: ما أخرجه القندوزي الحنفي بسنده عن عمر بن الخطاب أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو أنّ البحر مداد، والرياض أقلام، والإنس كُتّاب، والجنّ حسّاب ما أحصوا فضائلك يا أبا الحسن» (ينابيع المودة ج٢: ص٢٨٥).

ومنها ما أخرجه ابن عساكر بسنده عن ابن عباس قال: مشيت وعمر بن الخطاب في بعض أزقّة المدينة فقال لي: يا ابن عبّاس، أظنّ أنّ القوم استصغروا صاحبكم إذ لم يولّوه أموركم، فقلت: والله ما استصغره الله إذ اختاره لسورة البراءة – مع عزل أبي بكر – يبلغها أهل مكّة فقال لي: الصواب تقول، والله لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ بن أبي طالب: «من أحبّك أحبّني ومن أحبّني أحبّ الله ومن أحبّ الله أدخله الجنّة» (تاريخ مدينة دمشق ج١٤: ص٤).

➔

➔

ومنها: ما أخرجه الكشفي بسنده عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب: «من أحبّك يا عليّ كان مع النبيين في درجتهم يوم القيامة، ومن مات يبغضك فلا يبالي مات يهوديّاً أو نصرانيّاً» (الكوكب الدري: ص١٢٥ والمناقب المرتضوية: ص١١٧).

ومنها: ما أخرجه جمع كبير من علماء أهل السنّة والجماعة من اعتراف عمر بن الخطاب بحديث الغدير وتهنئته للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنّه لمّا حضر المؤتمر العالمي يوم غدير خمّ في الحشو الجماهيري في غدير خمّ فلا جرم سمع خطبة النبي صلى الله عليه وآله بكاملها، ثمّ أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبايعوا عليّاً عليه السلام فبايعه الناس ومنهم أبو بكر وعمر فقالا له: "بخ بخ لك يا أبا الحسن أصبحت مولاي ومولىٰ كلّ مؤمن ومؤمنه" وقد أخرج هذا الحديث جمع كبير من المحدّثين والمؤرّخين والمفسّرين من علماء أهل السنّة والجماعة وقد ذكرها العلامة الأميني في كتابه الغدير ج١: ص٢١٤-٢٧٠ فراجع.

ومنها: ما أخرجه أحمد بن حنبل عن أبي بكر قال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله بعثه بالبراءة لأهل مكّة وإبلاغهم ببعض الآيات من سورة التوبة وفيها - أيضاً - لا يحجّ بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عرياناً ولا يدخل الجنّة إلاّ نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله مدّة فأجله إلى مدته، والله بريء من المشركين ورسوله. فسار بها ثلاثاً متوجّهاً نحو مكّة، ثمّ قال صلى الله عليه وآله لعليّ: «الحقه»، فردّ عليّ أبا بكر. فلمّا قدم على النبي صلى الله عليه وآله أبو بكر قال: يا رسول الله حدث فيّ شيء؟ قال صلى الله عليه وآله: ما حدث فيك إلا خير، «ولكن أمرت أن لا يبلغه إلاّ أنا أو رجل منّي» (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٢ وج١: ص٧). وإلى غير ذلك من الأحاديث والروايات، فإنّها كثيرة جداً ولا يسعنا المجال لذكرها كما أنّه لا يسعنا المجال للاستشهاد والاستدلال بغيرها من النصوص في المقام، والخبير يعلم أنّ كلّ واحد من هذه الأحاديث يكفي للاستدلال على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ويكون ذلك باعتراف أبي بكر وعمر كما هو واضح ظاهر. وهناك روايات كثيرة رواه الخلفاء الثلاثة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهي دالة على إمامة مولانا الإمام أمير

➔

مثل خبر «خليفتي فيكم[(١)]»،

←

المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهي حجّة قطعيّة على الحسن البصري وأحمد بن حنبل وغيرهما من أهل السنّة والجماعة. وعليه ما ذكره ابن تيمية مردود وباطل حتّى عند علماء أهل السنّة، فلاحظ.

(١) هذه العبارة اشارة إلى حديث يوم الدار، وهو من الأحاديث التي وردَت في المصادر الموثوقة والمعتبرة لدى أهل السنّة من التفسيروالحديث والتأريخ والسيرة وغيرها من المصادر، وملخّصه وفقاً لما ورد في المصادر السنّيّة، أنّه أمر الله سبحانه نبيّه صلى الله عليه وآله في السنة الثالثة من البعثة بدعوته الأقربين من عشيرته إلى الإسلام؛ لأن دعوته حتى ذلك الحين كانت مخفية "سرّيّة"، وكان الذين دخلوا في الإسلام عدداً قليلاً، لذلك حين نزلت الآية: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ (سورة الشعراء:٢١٤) ولا شكّ أنّه للوصول إلى هدف حقّ، لا بدّ من الابتداء من الحلقات الأدنى والأصغر، فما أحسن أن يبدأ النبي صلى الله عليه وآله دعوته من أقربائه وأرحامه، لأنهم يعرفون سوابقه النزيهة أكثر من سواهم كما أن علائق القربى والمودّة تستدعي الاصغاء إلى كلامه أكثر من غيرهم، وأن يكونوا أبعد من سواهم من حيث الحسد والحقد والمخاصمة، إضافة إلى ذلك فإن هذا الأمر يدلّ على أن النبي صلى الله عليه وآله ليس لديه أيّة مداهنة ولا مساومة مع أحد، ليستثني أقرباءه المشركين عن دعوته إلى التوحيد والحق والعدل، وعندما نزلت هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (سورة الحجر:٩٤) فاصدع، من مادة (صدع) وهي لغة بمعنى "الشقّ" بشكل مطلق، أو شقّ الأجسام المحكمة بما يكشف عمّا في داخلها، ويقال أيضاً لألم الرأس الشديد (صداع) وكأنه من شدّته يريد أن يشقّ الرأس، وهي هنا.. بمعنى: الإظهار والإعلان والإفشاء.

وعلى أية حال.. عندما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله أن يجعل دعوته علنيّة، وأن يبدأ ذلك بدعوة أهله وأقربائه وعشيرته، فقام النبي صلى الله عليه وآله بما ينبغي عليه من أجل تنفيذ هذا الأمر الإلهي.

←

➔

والجدير بالذكر فإن الله يوصي النبيﷺ في دائرة أوسع فيقول: عليك أن تعامل اتّباعك باللطف والمحبّة: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الشعراء:٢١٥). وهذا التعبير الجميل الرائع كناية عن التواضع المشفوع بالمحبة واللطف، كما أن الطيور تخفض أجنحتها لأفراخها محبّة منها لها، وتجعلها تحت أجنحتها لتكون مصانة من الحوادث المحتملة، ولتحفّظها من التشتّت والتفرّق! فكذلك الأمر بالنسبة للنبيّﷺ إذ أمر أن يخفض جناحه للمؤمنين الصادقين، وأما كيفيّة إبلاغه وإنذاره إيّاهم، فهو بإجمال أنه دعا النبيﷺ عشيرته إلى بيت عمّه أبي طالب، وكانوا في ذلك اليوم حوالي أربعين رجلاً، وكان ممّن حضر هذه الدعوة بعض أعمام النبيﷺ كأبي طالب والحمزة وأبو لهب والعبّاس. وبعد أن تناولوا الطعام، وأراد النبيﷺ أن يؤدي ما عليه، تكلّم أبو لهب كلمات أحبط بها خطّة النبيﷺ، ولذا فقد دعاهم النبيﷺ في اليوم التالي أيضاً وبعد أن تناولوا الطعام، قالﷺ: «يا بني عبد المطّلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم بخير الدنيا والآخرة... وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني على أمري هذا على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟» فأحجم القوم عنها غير علي، وكان أصغرهم (سنّاً) ، فقال: «يا نبي الله، أنا أكون وزيرك عليه»، فأخذ رسول اللهﷺ برقبته، وقال: «إن هذا وصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا» فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: أطع ابنك، قد أمرك أنْ تسمع لعلي وتطيعه.

وقد روى هذا الحديث أئمّة أعلام من أهل السنّة، منهم: أحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص١٥٩، والنسائي في سنن الكبرى ج٥: ص١٢٦ وفي كتابه خصائص أمير المؤمنين عليه السلام: ص٨٦، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١٣: ص٢١١، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٢٥، والزرندي الحنفي في نظم درر السمطين: ص٨٣، والمتقي الهندي في كنز العمّال ج١٣: ص١١٤ ح٣٦٣٧١، والطبري في تفسيره ج١٩: ص١٤٩، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج١: ص٤٨٦، والبغوي في تفسيره معالم التنزيل

➔

وخبر «وليّ كلّ مؤمن بعدي[1]»، وخبر عشر خصال الذي دلّ بعضه على

ج٣: ص٤٠٠، وابن كثير في تفسيره الموسوم بتفسير القرآن العظيم ج٣: ص٣٦٣، والسيوطي في الدرّ المنثور ج٥: ص٩٧، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٩، والمزي في تهذيب الكمال ج٩: ص١٤٧، وابن مردويه في كتابه مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام: ص٢٨٨ و٢٨٩، والطبري في تاريخه ج٢: ص٦٣، وابن الجوزي في المنتظم ج٢: ص٢٦٧، وابن الأثير في تاريخه الموسوم بالكامل في التاريخ ج٢: ص٦٢، وابن كثير في تاريخه البداية والنهاية ج٣: ص٥٣، والبيهقي في دلائل النبوة ج٢: ص١٨٠، وابن كثير في السيرة النبويّة ج١: ص٤٥٨، ومحمد بن أحمد الدمشقي الماعوني في جواهر المطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام: ص٨٠، والسيوطي في الخصائص الكبرى: ص١٢٣، والصالحي الشامي في سبل الهدى والرشاد ج٢: ص٣٢٤، والحلبي في السيرة الحلبية ج١: ص٤٥٩ وغيرهم.

والحديث صريح في أنّ النبي صلى الله عليه وآله أعلن خلافة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في بدأ دعوته إلى الإسلام، فبيّن في حديث يوم الدار ولاية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وإمامته وخلافته من أوّل يوم أمره الله تعالى بإعلان الدعوة إلى الإسلام بقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾؛ فقال صلى الله عليه وآله: «إنّ اوّل من يؤمن بي يكون وزيري وخليفتي من بعدي»، فلم يقم أحد غير الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقام وأعلن إيمانه وتصديقه لرسول الله صلى الله عليه وآله، فخرج القوم وهم يتمازحون مع أبي طالب ويقولون له: أطع ابنك فقد جعله محمّداً أميراً عليك. فدلالة الحديث على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي ين أبي طالب عليه السلام في غاية الوضوح، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما ورد في المصادر الإسلامية ورواها علماء أهل السنّة في كتبهم بأسناد صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله. فقد روى أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عمران بن حصين، قال في حديث طويل: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «دعوا عليّاً دعوا عليّاً، إنّ عليّاً منّي وأنا منه وهو ولي كلّ مؤمن بعدى» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٤٢٨)،

كون عليّ عليه السلام هو الخليفة بعد الرسول صلى الله عليه وآله[1]،

←

ورواه الترمذي في سننه ج٥: ص٢٩٢ ح٣٧٩٦ والنسائي في فضائل الصحابة: ص١٥، والطياسي في مسنده: ص١١١، وابن أبي شيبة في كتابه المصنف ج٧: ص٥٠٤، والآحاد والمثاني للضحاك ج٤: ص٢٧٩، وكتاب السنّة لابن أبي عاصم: ص٥٥٠ وغيرهم. وهناك روايات أخرى قريبة من هذا المضمون، وسنذكرها إن شاء الله في محله.

والاستدلال بالحديث على إمامة مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام بعد النبي بلا فصل واضح، لأنّ قوله صلى الله عليه وآله في شأن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ولي كل مؤمن بعدي» بمعنى: أنّه الأولى بالقيام بالأمر من بعدي على نحو الإطلاق، كما هو المراد من الولي في قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (سورة الأحزاب:٦) فقوله صلى الله عليه وآله: «ولي كل مؤمن بعدي» مأخوذ من قول الله عزّ وجلّ في معنى الولي، فكما في الآية بمعنى الأولى بالتصرّف، كذلك في الحديث، والشاهد على ذلك ما قاله النحّاس في معنى الولي ما هذا نص عبارته: وحقيقة معنى الآية - والله جلّ وعزّ أعلم - أنّ النبي صلى الله عليه وآله إذا أمر بشيء أو نهى عنه، ثم خالفته النفس كان أمر النبي صلى الله عليه وآله ونهيه أولى بالاتّباع من الناس (انظرمعاني القرآن للنحّاس ج٥: ص٣٢٥).

(١) لقد أخرج كبار الحفّاظ والمحدّثين من أهل السنّة والجماعة، رواية عشر خصال للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولم تكن لغيره، وهي من الروايات اللصحيحة لدى علماء الإسلام، وقد رواه جملة من كبار المحدّثين من أهل السنّة، منهم الحاكم النيسابوري، في كتابه المستدرك على الصحيحين بسنده عن عمرو بن ميمون قال: إني لجالس عند ابن عباس إذ اتاه تسعة رهط، فقالوا: يا ابن عباس، إمّا أن تقوم معنا وإمّا أن تخلو بنا من بين هؤلاء، قال: فقال ابن عباس: بل أنا أقوم معكم، قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى، قال: فابتدؤا فتحدّثوا فلا ندري ما قالوا، قال: فجاء ينفض ثوبه ويقول: أف وتف، وقعوا في رجل له بضع عشرة فضائل ليست لأحد غيره، وقعوا في رجل قال له النبي صلى الله عليه وآله: «لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله»

←

➔

فاستشرف لها مستشرف، فقال: «أين علي؟» فقالوا: إنّه في الرحى يطحن، قال: «وما كان أحدهم ليطحن» قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد أن يبصر، قال: فنفث في عينيه، ثم هزّ الراية ثلاثاً فأعطاها إياه، فجاء علي بصفية بنت حيي. قال ابن عباس: ثم بعث رسول الله ﷺ فلاناً بسورة التوبة، فبعث عليّاً خلفه فأخذها منه وقال: «لا يذهب بها إلا رجل هو منّي وأنا منه». فقال ابن عباس: وقال النبي ﷺ لبني عمّه: أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة؟ قال: وعلي جالس معهم، فقال رسول الله ﷺ وأقبل على رجل منهم: «أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة؟» فأبوا، فقال ﷺ لعلي: «أنت وليي في الدنيا والآخرة»، قال ابن عباس: وكان علي أول من آمن من الناس بعد خديجة رضي الله عنها، قال: وأخذ رسول الله ﷺ ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين وقال: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً». قال ابن عباس: وشرى علي نفسه، فلبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه، قال ابن عباس: وكان المشركون يرمون رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر وعلي نائم، قال: وأبو بكر يحسب أنه رسول الله ﷺ، قال: فقال: يا نبي الله، فقال له علي: «إن نبي الله ﷺ قد انطلق نحو بئر ميمون، فأدركه»، قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار، قال: وجعل علي عليه السلام يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله ﷺ وهو يتضوّر وقد لفّ رأسه في الثوب لا يخرجه حتى أصبح ثم كشف عن رأسه، فقالوا: إنك للئيم وكان صاحبك لا يتضوّر ونحن نرميه وأنت تتضوّر وقد استنكرنا ذلك، فقال ابن عباس: وخرج رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وخرج بالناس معه، قال: فقال له علي: «أخرج معك»، قال فقال النبي ﷺ: «لا»، فبكى علي، فقال ﷺ له: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي، أنه لا ينبغي أن اذهب إلا وأنت خليفتي». قال ابن عباس: وقال له رسول الله ﷺ: «أنت ولي كل مؤمن بعدي ومؤمنة» قال ابن عباس: وسدّ رسول الله ﷺ أبواب المسجد غير باب علي، فكان يدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره. قال ابن عباس: وقال رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فان مولاه علي». قال ابن عباس: وقد أخبرنا الله عزّ وجلّ في القرآن أنه رضى عن أصحاب الشجرة ﴿**فَعَلِمَ مَا**

🡐

وخبر المنزلة[1]،

➔

فِي قُلُوبِهِمْ﴾، فهل أخبرنا أنه سخط عليهم بعد ذلك؟ قال ابن عباس: وقال نبي الله صلى الله عليه وآله لعمر حين قال ائذن لي فأضرب عنقه، قال: «وكنت فاعلاً؟ وما يدريك لعل الله قد اطّلع على أهل بدر»، فقال: «اعملوا ما شئتم». (ثم قال:) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٣٤)، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص٣٣١، والنسائي في سنن الكبرى ج٥: ص١١٣، وفي خصائصه: ص٦٢، والطبراني في معجمه الكبير ج١٢: ص٧٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٢٠، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٧٤، وابن حجر في الإصابة ج٤: ص٤٦٦، وغيرهم. والإستدلال بالحديث على إمامة مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام بعد النبي بلا فصل واضح، لأنّ كلّ هذه الخصال العشرة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وآله في شأن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تدلّ على إمامته وخلافته كما سيتّضح في محله إن شاء الله تعالى.

(١) إنّ حديث المنزلة من الأحاديث الصحيحة المعروفة المشهورة عند علماء الإسلام وقد أخرجه كبار علماء أهل السنّة في صحاحهم وسننهم ومسانيدهم، كما أنّ أهل السير والأخبار أرسلوه إرسال المسلّمات؛ لأنّه رواه المحدّثين والمفسّرين والمؤرّخين عن أكثر من ثلاثين صحابياً عن النبي صلى الله عليه وآله، وربّما يبلغون الأربعين إن أضفنا اليهم النساء كأمّ سلمة، وأسماء بنت عميس ونحوهما من الصحابيّات وأمّهات المؤمنين. يقول ابن عبد البر: هذا الحديث من أثبت الأخبار وأصحّها، وطرق حديث سعد بن أبي وقاص كثيرة جداً... (ثم ذكر) عدّة من الصحابة الذين رووا هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله...، ثم قال: وجماعة يطول ذكرهم (انظر الإستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص١٠٩٧).

وذكر ابن حجر - عند شرح الحديث - أسماء عدّة من الصحابة الذين رووا حديث المنزلة، (ثم قال): وقد استوعب طرقه ابن عساكر في ترجمة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.. (لاحظ فتح الباري في شرح البخاري ج٧: ص٦٠). ويقول الحاكم

➔

➔

النيسابوري: وهذا الحديث دخل حدّ التواتر..(انظر كفاية الطالب للحافظ الكنجي: ص٦٨٣، نقلاً عن الحاكم النيسابوري).

وقد أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما باسنادهما عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وآله قال للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنّه لا نبي بعدي؟» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢٠٨ كتاب المناقب، باب فضائل المهاجرين وفضلهم، ج٥: ص١٢٥ كتاب المغازي، باب غزوة تبوك وصحيح مسلم ج٧: ص١٢٠ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص١٧٧، وابن ماجة في سننه ج١: ص٤٣، ح١١٥، والترمذي في سننه ج٥: ص٣٠٢، ح٣٨٠٨ وغيرهم.

وأخرج الخطيب البغدادي في تاريخه هذا الحديث، حيث قال صلى الله عليه وآله: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي، ولو كان لكنته» (انظر تاريخ بغداد ج٤: ص٥٦)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص١٧٦. وأخرج الخطيب البغدادي أيضاً يسنده عن عمر بن الخطاب: أنّه رأى رجلاً يسبّ علياً عليه السلام، فقال عمر: إنّي أظنّك منافقاً، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّما علي مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي» (انظر تاريخ بغداد ج٧: ص٤٥٣). فالحديث من جهة السند في غاية الصحّة عند أهل السنّة.

وأمّا من جهة الدلالة، فهو نصّ قاطع في خلافة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل؛ لأنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بيّن في هذا الحديث: أنّ جميع منازل هارون من موسى، أي جميع الفضائل والمناقب الثابتة لهارون من موسى في بني إسرائيل، تكون ثابتة للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالنسبة إلى نفسه صلى الله عليه وآله إلاّ النبوة، فلابدّ أن نبحث عن جميع تلك المنازل لنعرف معنى كلام رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فإنّ لفظ الحديث عام، والاستثناء (إلا أنه لا نبي بعدي) يؤكّد هذه العمومية، فلا يوجد أي قيد أو شرط فيه، فإنّ عموم الحديث دالّ على أنّ الإستثناء أمر منحصر به، أي فيما استثناه

➔

وخبر الغدير[١]،

➔

النبيصلى الله عليه وآله. وعلى هذا الأساس يمكن أن يستفاد من هذا الحديث الأمور التالية:

١- إنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام أفضل الأئمة بعد النبيصلى الله عليه وآله كما كان لهارون مثل هذا المقام؛ لأنّ هارونعليه السلام كان أفضل الناس بعد موسىعليه السلام قال الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ (سورة مريم:٥٣).

٢- إنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وزير النبيصلى الله عليه وآله ومعاونه الخاصّ وعضده، وشريكه في قيادته؛ لأنّ القرآن أثبت جميع هذه المناصب لهارون عندما يقول حاكياً عن موسى قوله: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ (سورة طه: ٢٩-٣٢).

٣- إنّه كان للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام مضافاً إلى الأخوّة الإسلامية العامّة مقام الأخوّة الخاصة والمعنويّة للنبيصلى الله عليه وآله.

٤- إنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام كان خليفة رسول اللهصلى الله عليه وآله ومع وجوده لم يكن أي شخص آخر يصلح لهذا المنصب.

فهذه المنازل التي يخبر رسول اللهصلى الله عليه وآله في حديث المنزلة جميعها للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام والفارق الوحيد بين الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وهارون هو أنّ هارون كان نبياً والإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام كان إماماً وخليفة بعد النبيصلى الله عليه وآله، لأنّ النبوة ختمت بنبي الإسلامصلى الله عليه وآله ولذلك ورود في الحديث الذي رواه الخطيب البغدادي: "ولو كان لكنته" (انظر تاريخ بغداد ج٤: ص٥٦).

فحديث المنزلة بضميمة الآيات يدلّ بالصراحة على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فلاحظ.

(١) إنّ حديث الغدير من أشهر الأحاديث المتواترة بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم ونحلهم كما لا يخفى ذلك على من راجع المصادر الإسلامية وأسفارهم وجوامعهم

➔

➔

الحديثية من الشيعة وأهل السنة والجماعة، بل ويكون تواتره في أعلى درجة التواتر عند الباحثين والمحقّقين حيث صرّح بذلك كبار علماء أهل السنّة والجماعة كشمس الدين الذهبي قال في ترجمة المطلب بن زياد: هذا حديث (حديث الغدير) حسن عال جداً ومتنه فمتواتر (سير أعلام النبلاء ج٨: ص٣٣٥)، وغيره من أعلامهم وسنذكر أقوالهم في محلّه إن شاء الله تعالى.

وقد جمعها العلاّمة الأميني في كتابه الغدير ثمّ رواة الحديث قرناً بعد قرن فرواه عن مائة وعشرين صحابياً وتسع وثمانين تابعياً وثلاثة آلاف وخمسمائة من العلماء والمحدّثين من المصنّفين من أهل السنّة والجماعة الذين رووا هذا الحديث الشريف (انظر الغدير ج١: ص١٢-٤١٠). فحديث الغدير من هاتيك الحقائق لا يمكن إنكاره حتى للناصب المعلن بعداوة أهل البيت عليهم السلام.

وقال الملا علي القاري في المرقاة في شرح المشكاة: وعن زيد بن أرقم: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، رواه أحمد والترمذي قال: وفي الجامع: رواه أحمد وابن ماجة عن البراء، وأحمد عن بريدة، والترمذي والنسائي والضياء عن زيد بن أرقم، ففي إسناد المصنف الحديث عن زيد بن أرقم إلى أحمد والترمذي مسامحة لا تخفى، وفي رواية لأحمد والنسائي عن بريدة بلفظ: «من كنت وليه فعلي وليه»، وروى المحاملي في أماليه عن ابن عباس ولفظه: «علي بن أبي طالب مولى من كنت مولاه»؛ والحاصل: أن هذا الحديث صحيح لا مرية فيه، بل بعض الحفاظ عدّه متواتراً، إذ في رواية لأحمد: أنّه سمعه من النبي صلى الله عليه وآله ثلاثون صحابياً وشهدوا به لعلي لما نوزع أيام خلافته (انظر المرقاة في شرح المشكاة ج٥: ص٥٦٨).

قال ابن حجر العسقلاني: وأمّا حديث «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، فقد أخرجه الترمذي والنسائي وهو كثير الطرق جدّاً وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدها صحيح وحسان.... (فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج٧: ص٦١).

وقال في كتاب الإصابة: قد روى ابن عقدة عن مائة وخمس صحابياً رووا حديث الغدير في

←

➔
كتاب الولاية.... (انظر الإصابة لإن حجر ج٤: ص٣٢٦). ومثله ابن الأثير في أسد الغابة ج٣: ص٢٧٤. وقد طبع أخيراً كتاب الولاية لابن عقدة وجاء فيه ذلك (انظر الولاية: ص١٣٨).

وقال ابن حجر الهيثمي: إنه حديث صحيح لا مرية فيه، وقد أخرجه جماعة كالترمذي، والنسائي، وأحمد، وطرقه كثيرة جدّاً، ومن رواه ستّة عشر صحابياً، وفي رواية لأحمد أنه سمعه من النبيﷺ ثلاثون صحابياً، وشهدوا به لعلي لما نوزع أيام خلافته كما مرّ وسيأتي، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان، ولا التفات لمن قدح في صحّته ولا من ردّه بأن عليّاً كان باليمن، لثبوت رجوعه منها وإدراكه الحجّ مع النبيﷺ، وقول بعضهم: "إن زيادة «اللهم وال من والاه...» الخ موضوعة"، مردود، فقد ورد ذلك من طرق صحّح الذهبي كثيراً منها (الصواعق المحرقة ج١: ص١٠٧).

وقال الألباني في صحيحته بعد أن ذكر الكثير من الطرق لهذا الحديث وصحح العديد منها: وللحديث طرق أخرى كثيرة جمع طائفة كبيرة منها الهيثمي في المجمع ج٩: ص١٠٣، وقد ذكرت وخرجت ما تيسّر لي منها ممّا يقطع الواقف عليها بعد تحقيق الكلام على أسانيدها بصحّة الحديث يقيناً وإلاّ فهي كثيرة جداً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، قال الحافظ ابن حجر: منها صحاح وحسان. وجملة القول أن حديث الترجمة حديث صحيح بشطريه، الأول منه متواتر عنهﷺ كما يظهر لمن تتبّع أسانيده وطرقه وما ذكرت منها كفاية (سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ج٤: ص٣٤٣).

ولا يخفى على الباحث المتتبّع في كتب الأخبار أسماء الصحابة الذين رووا حديث الغدير عن النبيﷺ فإنّها مذكورة في الآثار الثابتة والجوامع الحديثية، وقد روى أرباب الصحاح والمسانيد والسنن حديث الغدير بأسناد صحيحة طبقة بعد طبقة من الرواة إلى الرسول الأعظمﷺ، وقد أحصى العلامة الأميني في كتابه الغدير مائة وعشرة من الصحابة الذين رووا حديث الغدير عن النبيﷺ على ترتيب الحروف الهجائية ابتداءً من أبي هريرة وانتهاءً بأبي مرازم يعلى بن مرّة وكلّها من مصادر أهل السنّة والجماعة....
➔

وخبر «من كنت وليّه فعلي وليّه[(١)]»، وخبر «وليّكم بعدي[(٢)]»،

➔

(لاحظ الغدير ج١: ص١٥١).

كما أنّ السيد عبد العزيز الطباطبائي استدرك بعضاً آخر وأضافهم إلى من روى حديث الغدير من الصحابة (لاحظ كتاب على ضفاف الغدير).

ثمّ إنّه صرّح كثير من علماء أهل السنة والجماعة بتواتر حديث الغدير. وهذا يكشف عن أنّ حديث الغدير كان من الأحاديث المتّفق عليها التي لم تخف على أحد من الصحابة أو التابعين وعلماء الاسلام، فيبدوا أنّ الحديث من الضروريّات التي لايمكن إنكاره، لأنّه مذكور في ثلاثمائة وستّين مصدراً من مصادر أهل السنّة والجماعة ولمن أراد التحقيق حول الموضوع فليراجع كتاب الغدير للعلامة الأميني رحمه الله.

(١) فقد أخرج الهيثمي بسنده عن وعن بريدة قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله في سرية فاستعمل علينا عليّاً، فلمّا جئنا قال: «كيف رأيتم صاحبكم فإما شكوته وإما شكاه غيري» قال: فرفع رأسه وكنت رجلاً مكباباً فإذا النبي صلى الله عليه وآله قد احمرّ وجهه يقول: «من كنت وليه فعلى وليه» فقلت: لا أسؤك فيه أبداً. رواه البزار ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١٠٨). وروى أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي معاوية عن الأعمش عن سعيد بن عبيدة عن ابن بريدة عن أبيه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله في سرية، قال: لمّا قدمنا قال: «كيف رأيتم صحابة صاحبكم» قال: «فإمّا شكوته أو شكاه غيري»، قال: فرفعت رأسي وكنت رجلاً مكباباً، قال: فإذا النبي صلى الله عليه وآله قد احمرّ وجهه، قال: وهو يقول: «من كنت وليّه فعليّ وليّه» (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٣٥٠). والباحث عندما يلاحظ يرى أنّ يد التحريف قد حذفت اسم مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولذلك عندما يراجع الباحث إلى كتب شرّاح الحديث من أهل السنّة كلّهم ذكروا أنّ الحديث ورد في شأن مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلاحظ.

(٢) لقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن أجلح الكندي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله بعثين إلى اليمن على أحدهما علي بن أبي طالب وعلى الآخر خالد

➔

وخبر الثقلين[(١)]،

➔

بن الوليد، فقال: «إذا التقيتم فعلي على الناس وان افترقتما فكلّ واحد منكما على جنده»، فلقينا بني زيد من أهل اليمن فاقتتلنا فظهر المسلمون على المشركين فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية، فاصطفى علي امرأة من السبي لنفسه، قال بريدة: فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسولﷺ يخبره بذلك، فلمّا أتيت النبيﷺ دفعت الكتاب فقرئ عليه، فرأيت الغضب في وجه رسول اللهﷺ فقلت: يا رسول الله، هذا مكان العائذ بعثتني مع رجل وأمرتني أن أطيعه ففعلت ما أرسلت به، فقال رسول اللهﷺ: «لا تقع في علي، فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي» (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٣٥٦). وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد وقال بعد ذكر الحديث: وفيه الأجلح الكندي وثّقه ابن معين وغيره وضعّفه جماعة، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح (لاحظ مجمع الزوائد ج٩: ص١٢٨). وقال ابن حجر: وأخرج أحمد هذا الحديث من طريق أجلح الكندي عن عبد الله بن بريدة بطوله وزاد في آخره «لا تقع في علي فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي». وأخرجه أحمد أيضاً والنسائي من طريق سعيد بن عبيدة عن عبد الله بن بريدة مختصراً وفي آخره فإذا النبيﷺ قد أحمرّ وجهه يقول: «من كنت وليّه فعليّ وليّه» وأخرجه الحاكم من هذا الوجه مطولاً وفيه قصّة الجارية نحو رواية عبد الجليل وهذه طرق يقوي بعضها بعضاً (انظر فتح الباري ج٨: ص٥٣).

(١) فإنّ حديث الثقلين من الأحاديث المتواترة بين الفريقين وهو من أشهر الأحاديث النبويّة وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً بين المسلمين، وقد تكرّر هذا الحديث من النبي الأكرمﷺ في مواضع كثيرة سنذكرها إن شاء الله تعالى في محلّه.

وهو من أوثق الأحاديث النبويّة عند أهل السنّة والجماعة وأقواها صحّة. وقد ذكر المناوي عن السمهودي أنّه قال: وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة وكلّهم رووا هذا الحديث... (انظر فيض القدير ج٣: ص١٤).

وقال ابن حجر المكّي: ولهذا الحديث طرق كثيرة عن نيّف عشرين صحابياً... (الصواعق

➔

➔

المحرقة: ص١٣٦).

وقال السخاوي: إنّ حديث الثقلين هذا مرويّ عن أبي سعيد الخدري، وزيد بن أرقم، وجابر، وحذيفة بن أسيد الغفاري، وخزيمة بن ثابت، وسهل بن سعد، وضميرة، وعامر بن أبي ليلى، وعبد الثرى بن عوف، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وعديّ بن حاتم، وعقبة بن عامر، وعلي بن ابي طالبعليه السلام، وأبي ذر، وأبي رافع، وأبي تسريح لخزاعي، وأبي قدامة الأنصاري، وأبي هريرة، وأبي الهيثم بن التيهان، وأمّ مسلمة، وأمّ هاني بنت أبي طالب، ورجال من قريش... (استجلاب ارتقاء الغرف للسخاوي الشافعي: ص٤٠ مخطوط).

وقد أفرد العلامة السيد ميرحامد حسينقدس سره لحديث الثقلين جزئين من موسوعته "عبقات الأنوار". هذا وروى السمهودي بإسناده عن النبيصلى الله عليه وآله قال: «قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله، سببه بيده وسببه بأيدكم وأهل بيتي» (جواهر العقدين: ص١٧٢).

وروى مسلم في صحيحه عن يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سهرة وعمرو بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول اللهصلى الله عليه وآله وسمعت حديثه وغزوت معه وصلّيت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول اللهصلى الله عليه وآله، قال: يا بن أخي، والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول اللهصلى الله عليه وآله فما حدّثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلّفونيه، ثمّ قال: قام رسول اللهصلى الله عليه وآله يوماً فينا خطيباً بماه يدعى خمّاً بين مكّة والمدينة فحمد لله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثمّ قال: «أمّا بعد ألا يا أيّها الناس، فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا فيه»، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثمّ قال: «أذكّركم الله في أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي» (صحيح مسلم ج٧: ص١٢٢-١٢٣ كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالبعليه السلام) وغيرهم.

➔

وخبر السفينة[1]،

➔

فيدلّ هذا الحديث الشريف بالصراحة على حصر الإمامة في أهل البيت عليهم السلام ويدلّ أيضاً على عصمتهم؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وآله قرن أهل بيته بكتاب الله العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن الطبيعيّ أنّ أيّ انحراف منهم عن الدين يعتبر افتراقاً عن الكتاب العزيز، وقد صرّح الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في الحديث بأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض (انظر مجمع الزوائدج٩: ص١٦٤)، ورواه ابن عساكر في ترجمته الإمام عليّ بن ابي طالب عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق ج٢: ص٤٥، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج١: ص٧٤، والطبراني في معجمه الكبير ج٣: ص٦٥-٦٦ والسمهودي في جواهر العقدين: ص١٦٩، والسخاوي في استجلاب ارتقاء الطرق: ص٤٠، والمتقي الهندي في كنز العمّال ج١: ص١٨٨، والحمويني في فرائد السمطين ج٢: ص٢٧٤ وغيرهم.

(١) إنّ حديث السفينة من الأحاديث المتواترة عند المسلمين، وقد رواه علماء أهل السنّة بطرق متعدّدة وألفاظ مختلفة عن النبي صلى الله عليه وآله. فقد روى الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن حنش الكناني، قال: سمعت أبا ذر يقول وهو آخذ بباب الكعبة: "أيها الناس من عرفني فأنا من عرفتم ومن أنكرني فأنا أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»". ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٢: ص٣٤٣)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٦٨، والطبراني في معجمه الكبير ج٣: ص٤٥، والسيوطي في الجامع الصغير ج٢: ص٥٣٣ وغيرهم. وجاء في رواية الطبراني عن حنش بن المعتمر.. مثله، وفيه: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هلك، ومثل باب حطة بني إسرائيل» (انظر المعجم الأوسط ج٤: ص١٠). وأخرج أيضاً بسنده عن مسلم بن إبراهيم عن الحسن بن أبي جعفر عن أبي الصهباء عن سعيد بن جبير عن بن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق» (المعجم الكبير ج٣: ص٤٦).

➔

➔

وأخرج أحمد بن عبد الله الطبري في كتابه ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى بسنده عن الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تعلّق بها فاز، ومن تخلّف عنها زُج في النار». قال: أخرجه ابن السري (ذخائر العقبى: ص٢٠)، ورواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج٢: ص١١٨ وغيره.

وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «إنما مثلي ومثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص٢١٨)، وأخرج الهيثمي بسنده عن عبد الله بن الزبير أن النبيصلى الله عليه وآله قال: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها سلم ومن تركها غرق» رواه البزار(مجمع الزوائد ج٩: ص١٦٨). قال ابن حجر: وجاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضاً: «إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا»، وفي رواية مسلم: «ومن تخلّف عنها غرق»، وفي رواية: «هلك» (الصواعق المحرقة: ص١٥٠).

وجاء في النهاية لابن الأثير بهذا اللفظ: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من تخلّف عنها زخ به في النار» قال: أي دفع ورمي (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج٢: ص٢٩٨).

وقال ابن عربي في تفسيره: وأمّا التأويل فمحتمل بأن يؤوّل الفلك بشريعة نوح التي نجا بها هو ومن آمن معه من قومه كما قال النبيصلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا ومن تخلّف عنها غرق». والطوفان باستيلاء بحر الهيولى وإهلاك من لم يتجرّد عنها بمتابعة نبي وتزكية نفس كما جاء في كلام إدريس النبيصلى الله عليه وآله ومخاطباته لنفسه ما معناه: إن هذه الدنيا بحر مملوء ماء، فإن اتّخذت سفينة تركبها عند خراب البدن نجوت منها إلى عالمك وإلا غرقت فيها وهلكت، فعلى هذا يكون معنى ويصنع الفلك يتّخذ شريعة من ألواح الأعمال الصالحة ودسر العلوم التي تنظم بها الأعمال وتحكم... (انظر تفسير ابن عربي ج١: ص٣٢٣). فدلالة الحديث على إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالبعليه السلام واضح ظاهر إذ كما أنّ السفينة مركب للنجاة من الغرق والهلاك

➔

وغالب هذه وغيرها مرويّة بطرق صحيحة من طرق أهل مذهبه منتشرة في كتبهم المعتبرة المعتمدة حسبما يأتي بيانها[١].

➔

في أمواج البحار كذلك أهل بيت النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ والإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عَلَيْهِٱلسَّلَامُ ولا يخفى على الخبير أنّ الحديث ممّا جاء به النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ كالصلاة والزكاة، فمنكرها يكون كافراً في صورة الالتفات، فتأمّل.

(١) لا شكّ أنّ كثيراً من النصوص الدالّة على إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عَلَيْهِٱلسَّلَامُ قد أخرجها علماء أهل السنّة في كتبهم بأسناد صحيحة، وهي صريحة في الدلالة على مولانا الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عَلَيْهِٱلسَّلَامُ والولايته بعد النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ بلا فصل، والباحث عندما يدرس هذه النصوص دراسة علمية خالية عن تعصّب وعناد والانقطاع عن الوساوس والهواجس العاميّة وحقّ التأمّل في المسألة يتّضح له الحقّ والحقيقة حقّ الوضوح.

ومن هنا يعرف أنّ منشأ المخالفة لهذه النصوص الصحيحة والصريحة هو التعصّب وجود النصب والعداء لأهل البيت عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ، وعندما نبحث عن أنّه متى بدأ النصب؟ ومتى بدأ نسبة الرفض إلى الشيعة الإمامية؟ نجد أنّها كانت بعد وفاة النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ مباشرةً، فبمجرّد أن توفي النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ هجموا على بيت أمير المؤمنين على بن أبى طالب عَلَيْهِٱلسَّلَامُ وأهل بيت النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وغصبوا حقّهم ونصبوا لهم العداوة والبغضاء فبدؤوا بنصب العداء لشيعتهم وسموهم الروافض، لأنّهم رفضوا خلافة الغاصبين أبي بكر وعمر وعثمان، فلا شكّ أنّه بدأ نصب العداء لأهل البيت عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ وشيعتهم كتيار بعد تحقّق السقيفة ولكن اشتدّ في عهد معاوية وتبلور جميع جهاته في عهد يزيد بن معاوية.

وأمّا إذا كان معنى النصب هو بغض الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عَلَيْهِٱلسَّلَامُ فقد بدأ من عهد النبي الأكرم صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ حيث كان الشيعة معروفين منذ عهد النبي الأكرم صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ بحبّهم للإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عَلَيْهِٱلسَّلَامُ وأهل النصب والعداء والمنافقين كانوا معروفين ببغضهم للإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عَلَيْهِٱلسَّلَامُ كما ورد في الأحاديث

➔

➔

المتواترة لدى الفريقين فقد أخرج الترمذي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: إن كنا لنعرف المنافقين ببغضهم علي بن أبي طالب عليه السلام (سنن الترمذي ج ٥ : ص ٢٩٨). وأخرج الهيثمي في مجمع الزوائد بسنده عن جابر بن عبد الله قال: والله ما كنّا نعرف منافقينا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا ببغضهم علياً عليه السلام (مجمع الزوائد ج٩: ص١٣٢). وقال المباركفوري في التحفة الأحوذي: قوله (إن كنا) إن مخففة من المثقلة (معشر الأنصار) بالنصب على الاختصاص (ببغضهم علي بن أبي طالب) لأنه لا يبغض علياً إلا منافق كما في الحديث (التحفة الأحوذي ج١٠: ص١٥٠). ولذلك سأل بريدة بن الحصيب النبي صلى الله عليه وآله عن هذه الحقيقة، كما جاء في الحديث الذي رواه أحمد بن حنبل بسنده عن أبي بريدة قال ابن بريدة: حدّثني أبي بريدة قال: أبغضت عليّاً بغضاً لم يبغضه أحد قط؟ قال: وأحببت رجلاً من قريش لم أحبّه إلا على بغضه عليّاً، قال: فبعث ذلك الرجل على خيل فصحبته ما أصحبه إلا على بغضه عليّاً، قال: فأصبنا سبياً، قال: فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: ابعث إلينا من يخمسه، قال: فبعث إلينا عليّاً وفي السبي وصيفة هي أفضل من السبي فخمس وقسم فخرج رأسه مغطى، فقلنا: يا أبا الحسن، ما هذا؟ قال: «ألم تروا إلى الوصيفة التي كانت في السبي، فإني قسمت وخمست فصارت في الخمس ثم صارت في أهل بيت النبي عليه السلام، ثم صارت في آل علي ووقعت بها» قال: فكتب الرجل إلى نبي الله صلى الله عليه وآله فقلت: ابعثني، فبعثني مصدّقاً قال: فجعلت أقرأ الكتاب وأقول: صدق، قال: فأمسك يدي والكتاب، وقال: «أتبغض عليّاً؟» قال: قلت: نعم، قال: «فلا تبغضه وإن كنت تحبّه فازدد له حبّاً، فوالذي نفس محمّد بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة»، قال: فما كان من الناس أحد بعد قول رسول الله صلى الله عليه وآله أحبّ إلي من علي (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٣٥٠). ويبدو أن خالد بن الوليد كان على رأي بريدة بدليل قول بريدة (صحبت رجلاً من قريش لم أصحبه إلا على بغض علي) يقصد عندما بعثهم صلى الله عليه وآله إلى اليمن وقد جاء التصريح بخالد في أحاديث أخرى، حيث أثر ذلك جرت خصومة بين خالد وعمّار فنهى النبي صلى الله عليه وآله خالداً فانتهى. فلعلّ الخصومة كانت بسبب

➔

➔

حبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبغضه، وكان عمّار من موالي بني مخزوم قوم خالد إلاّ أنّه كان ممّن يحبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، بل وحتّى النصب - كأفراد أيضاً - فقد كان موجوداً في زمن النبي صلى الله عليه وآله والظاهر أنّ هذه المجموعة من الصحابة لم يظهروا نصبهم وعداوتهم حتى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله واجتماعهم في سقيفة بني ساعدة ولذلك سموهم المنافقين كما تقدّم في الحديث، ثم اتّسع في عصر حكومة معاوية بن أبي سفيان الذي بدأ بسبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على المنابر. وقد ذكر الذهبي في ترجمة معاوية في النبلاء أن أهل الشام نشأوا مع معاوية على النصب (انظر سير أعلام النبلاء ج٣: ص١٢٨). وقد اتّفق كلمات المسلمين على أن معاوية كان رأس النصب، لكنّ الذهبي خشي التصريح بهذا الأمر وإلا فعبارات المؤرّخين والمحدّثين صريحة وواضحة في هذا المجال لمن تأمّلها بلا تعصّب.

وما قيمة هذه العبارة وأمثالها من الذهبي غيره إلاّ أنّ الخبير يعلم بأنّ الذهبي وأضرابه من علماء الشام قد لحقهم النصب والعداوة من حكّام بني أمية وأسلافهم في الشام. والمهم أنّ من درس الروايات والنصوص الإسلامية بلا تعصّب يجد الحقيقة بأوضح صوره أنّ الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله منحصرة في الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهذه القضية كانت واضحة منذ عهد الصحابة والتابعين وجميع علماء أهل السنّة غير أنّ التعصّب والبغض لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله منعهم عن الإعتراف بذلك، فلاحظ.

قال السنّي:

وأمّا قوله بأنّهم مختلفون في الخليفة بعد علي عليه السلام، فيقال: لم يختلف أهل السنّة في ذلك، بل هم يعلمون أنّ الحسن بايعه أهل العراق بعد أبيه، وأهل الشام مع معاوية قبل ذلك[1].

(١) منهاج السنّة ج١: ص ٥٤٦.

قلت:

في هذه وجوه من الفساد[1]:

---

(١) لا شك ولاشبهة في فساد آراء ابن تيمية وانحرافه وضلالته على نحو العموم، وهذا ممّا أطبقت عليه آراء علماء المذاهب الإسلاميّة، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر هنا بعض أقوال العلماء من المذاهب الأربعة:

١- قال صاحب كتاب سيف الجبار: أجمع علماء عصره على ضلاله وحبسه، ونودي من كان على عقيدة ابن تيمية حلّ ماله ودمه (انظر سيف الجبّار لشاه فضل رسول القادري: ص ١٩).

٢- قال صاحب كتاب تطهير الفؤاد : ولا زال -ابن تيميّة - يتتبّع الأكابر، حتّى تمالا عليه أهل عصره، ففسّقوه وبدّعوه ، بل كفّره كثير منهم (انظر تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد للشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي: ص١٠).

٣- قال النبهاني : رفض مجموعة من علماء المذاهب المختلفة آراءه ومعتقداته، مثل: صدر الدين بن الوكيل المعروف بابن المرحل الشافعي، وأبو حيّان، وعزّ الدين ابن جماعة، وكمال الدين الزملكاني الشافعي، وملاّ علي القاري الحنفي، وشهاب الدين الخفاجي الحنفي، ومحمّد الزرقاني المالكي، وتقي الدين السبكي الشافعي، وابن حجر العسقلاني الشافعي، وعبد الرؤوف المناوي الشافعي، والشيخ مصطفى الحنبلي الدمشقي، الإمام شهاب الدين أحمد بن حجر المكّي الشافعي، وصفي الدين الحنفي البخاري، وعماد الدين بن كثير الشافعي، وشيخ الإسلام صالح البلقيني الشافعي، الحافظ جلال الدين السيوطي الشافعي (انظر كتاب شواهد الحقّ للنبهاني: ص١٧٧).

٤- وقال النبهاني : قال عنه علاّمة زمانه علاء الدين البخاري: إنّ ابن تيمية كافر، كما قاله علاّمة زمانه زين الدين الحنبلي، فإنّه يعتقد كفر ابن تيمية، ويقول: إنّ الإمام السبكي معذور بتكفير ابن تيمية، لأنّه كفّر الأُمّة الإسلامية (انظر كتاب شواهد الحقّ للنبهاني: ص١٧٧).

←

أحدها: ما زعمه من عدم المخالفة بينهم في هذه المسألة؛ فإنّه بهتان منه على أهل مذهبه(١)،

←

٥- قال صاحب كتاب فضل الذاكرين :قال علماء المذاهب: إنّ ابن تيمية زنديق، وقال ابن حجر: إنّ ابن تيمية عبد خذله الله، وأضلّه وأعماه، وأصمّه وأذلّه، وقال العلماء: إنّ ابن تيمية تبع مذهب الخوارج في تكفير الصحابة، وقال الأئمّة الحفّاظ: إنّ ابن تيمية من الخوارج، كذّاب أشر أفّاك (انظر فضل الذاكرين والردّ على المنكرين للشوكاني: ص٢٣).

٦- وقال اليافعي : فاعلم إنّي نظرت في كلام هذا الخبيث -ابن تيمية - الذي في قلبه مرض الزيغ المتتبّع ما تشابه في الكتاب والسنّة ابتغاء الفتنة (انظر كتاب التوسّل بالنبيّ وبالصالحين لليافعي: ص ٢١٦).

فهذه جملة يسيرة ممّا أردنا ذكره هنا بعد إعراضنا عن الكثير ممّا قاله علماء أهل السنة في حقه. فما جاء في فساد آرائه وانحرافه وضلالته من أقوال العلماء لايكون منحصراً بالشيعة.

(١) لا شكّ أنّ موقف أهل السنّة من خلافة الإمام الحسنعليه السلام بعد شهادة أبيه الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام مختلفة، لأنّ القوم اختلفوا في كيفيّة تعيين الوالي وانعقاد الإمامة لمن يصلح عندهم هذا المقام إلى أقوال شتى: قال الماوردي في الأحكام السلطانية: والإمامة تنعقد من وجهين: أحدهما اختيار أهل العقد والحلّ. والثاني بعهد الإمام من قبل. فأمّا انعقادها باختيار أهل الحلّ والقعد فقد اختلف العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم على مذاهب شتّى: فقالت طائفة: لا تنعقد إلا بجمهور أهل العقد والحلّ من كلّ بلد، ليكون الرضا به عاماً والتسليم لإمامته اجماعاً. وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر على الخلافة باختيار من حضرها ولم ينتظر ببيعته قدوم غائب عنها. وقالت طائفة أخرى: أقل من تنعقد به منهم الإمامة خمسة يجتمعون على عقدها أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة، استدلالاً بأمرين: أحدهما أن بيعة أبي بكر انعقدت بخمسة اجتمعوا

←

فقد قال خاتمة حفّاظهم في إصابته في ترجمة معاوية: لم يصرّ معاوية عشرين سنة خليفة إن كان أوّلها قتل علي‏عليه السلام وإن كان أوّلها تسليم الحسن بن علي‏عليه السلام فهي تسعة عشر سنة سوى يسير إنتهى[1]. فعلم من قوله كونهم مختلفين في الخليفة بعد علي‏عليه السلام هل هو معاوية أم الحسن‏عليه السلام؟ ولم يحضرني غيره من كتبهم التي فيها تعرّض لهذه المسألة، وحسب المنصف

➔

عليها، ثم تابعهم الناس فيها. وهم عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجرّاح، وأسيد بن حضير، وبشير بن سعد، وسالم مولى أبي حذيفة. والثاني أن عمر جعل الشورى في ستّة ليعقد لأحدهم برضا الخمسة وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلّمين من أهل البصرة. وقال آخرون من علماء الكوفة: تنعقد بثلاثة يتولاّها أحدهم برضا الاثنين ليكونوا حاكماً وشاهدين، كما يصحّ عقد النكاح بوليّ وشاهدين. وقالت طائفة أخرى: تنعقد بواحد، لأن العباس قال لعلي‏عليه السلام: أمدد يدك أبايعك فيقول الناس: عمّ رسول الله‏صلى الله عليه وآله بايع ابن عمّه فلا يختلف عليك اثنان، ولأنه حكم، وحكم واحد نافذ (الأحكام السلطانية : ص ٧٠٦).

فالاختلاف في أصل انعقاد الإمامة عندهم صار سبباً لاختلافهم في إمامة الإمام الحسن‏عليه السلام، فاختفوا في أنّه هل تحقّقت الدولة والحكومة للإمام الحسن‏عليه السلام بعد شهادة أبيه الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب‏عليه السلام أم لا؟ فذهب بعضهم إلى أنّ الإمامة تنعقد لمن تحققت له البيعة، وإن لم تتحقّق له الحكومة، فهؤلاء يقولون بوجوب البيعة له. وبعضهم ذهبوا إلى عدم انعقاد الإمامة لمن لم يتحقّق له الحكومة والدولة، فيقولون أنّ الإمام الحسن‏عليه السلام وإن بايعه الناس بعد شهادة أبيه إلاّ أنّه لم تتحقّق له الحكومة، فلاحظ.

(١) انظر الإصابة لابن حجر ج٦: ص ١٢١

ما نقلناه عن خاتمة حفّاظهم هنا، فتدبّر[1].

(١) وتوضيح المقام يقتضي أن يلاحظ المصادر التأريخية في هذا المجال فإنّها تؤكد على أنّ الإمام الحسن عليه السلام بويع في الكوفة بعد استشهاد أبيه الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بيومين من شهر رمضان المبارك أواخر سنة أربعين للهجرة، وكان في السابعة والثّلاثين من عمره الشريف، ولكنّ المشكلة الّتي واجهت الامام الحسن عليه السلام هي الاهتزاز في جيشه، وقد أشار الإمام محمد الباقر عليه السلام في حديثه عن خلافة الإمام الحسن عليه السلام فيقول: ثم بايعوا الحسن بن علي عليه السلام بعد أبيه عليه السلام وعاهدوه، ثم غدروا به وأسلموه ووثبوا عليه، حتى طعنوه بخنجر في فخذه، وانتهبوا عسكره... فصالح معاوية، وحقن دمه ودم أهل بيته وشيعته (انظر كتاب سليم بن قيس: ص١٨٨). وقال أبو الفرج: وكان أوّل شيء أحدث الحسن أنّه زاد المقاتلة مائة مائة وقد كان علي فعل ذلك يوم الجمل، والحسن فعله على حال الاستخلاف، فتبعه الخلفاء من بعد ذلك (انظر مقاتل الطالبين: ص٥٥). وقال ابن أبي الحديد: وكتب الحسن إلى معاوية مع حرب بن عبد الله الأزدي: «من الحسن بن علي أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد: فإن الله جلّ جلاله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين ومنّة للمؤمنين وكافّة للناس أجمعين ﴿**لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ فبلغ رسالات الله، وقام بأمر الله حتّى توفاه الله غير مقصّر، ولا وان، وبعد أن أظهر الله به الحقّ ومحقّ به الشرك، وخصّ به قريشاً خاصّة فقال له: ﴿**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ**﴾ فلمّا توفي تنازعت سلطانه العرب فقالت قريش: نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه ولا يحلّ لكم أن تنازعونا سلطان محمّد صلى الله عليه وآله وحقّه، فرأت العرب أن القول ما قالت قريش وأن الحجّة في ذلك لهم على من نازعهم أمر محمّد صلى الله عليه وآله...» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٤: ص١٢). وقال أبو الفرج: فاجتمعت العساكر إلى معاوية بن أبي سفيان، وسار قاصداً إلى العراق (مقاتل الطالبيين: ص٥٩). وقال اليعقوبي: وأقبل معاوية لما انتهى إليه الخبر بقتل علي عليه السلام، فسار إلى الموصل بعد قتل علي عليه السلام بثمانية عشر يوماً (تاريخ اليعقوبي ج٢: ص ٢٠٤). وفي هذا ←

وثانيها: ما زعمه من تقسيم الناس قسمين منهم مبايعون الحسن عليه السلام بعد أبيه ومنهم مبايعون معاوية، فإنّه لم يعلم مقصوده من ذلك، فإن قصد به إمامتهما جميعاً فهو باطل؛ لما تقدّم نقله في الوجه السابق[1]؛

السياق ينقل لنا المؤرّخون أن معاوية لمّا أرسل خيله لقتال الجيش الذي يقوده عبيد الله، ردّها أهل العراق على أعقابها، وبمجيء الليل أرسل معاوية رسالة إلى عبيد الله جاء فيها أن الحسن قد أرسلني في الصلح وسلم الأمر لي فإن دخلت في طاعتي الآن تكن متبوعاً خير لك من أن تكون تابعاً بعد غد، ولك إن اجبتني الآن أن أعطيك ألف ألف درهم أعجّل لك في هذا الوقت نصفها، وعندما أدخل الكوفة أدفع لك النصف الثاني. فأكثر المؤرخين يقولون: أن عبيد الله انسلّ من قاعدته، ودخل عسكر معاوية ومعه بضعة آلاف ممّن كانوا معه، فوفّى له بما وعده، وانتبه الناس بدخول النهار، فانتظروا عبيد الله ليصلي بهم فلم يجدوه، فصلّى بهم قيس بن سعد، ولمّا تأكدوا من خبره خطبهم قيس، وذكر عبيد الله فنال منه.... لذلك ولغيره كان معاوية على ما يبدو حريصاً على ألا يتورّط مع الإمام الحسن عليه السلام في الحرب، وإن كان مطمئناً لنتائجها، فعرض عليه فكرة الصلح في أولى رسائله، وترك له أن يشترط ويطلب ما يريد، وراح يردد حديث الصلح في مجالسه وبين أنصاره في جيش العراق ويأمرهم بإشاعته، وكاتب القادة والرؤساء به ليصرف أنظارهم عن الحرب، ويبثّ بينهم روح التخاذل والاستسلام للأمر الواقع... فعلى مبنى أكثر أهل السنّة أنّ الإمامة هي الإمارة والحكومة فيقولون: أنّ الإمارة لم تتمّ للإمام الحسن عليه السلام فلم يعتبروا له عليه السلام الإمامة والخلافة ولذلك اختلفوا في خلافة الإمام الحسن عليه السلام، فلاحظ.

(١) فإنّ المتتبّع في الآثار والمتدبّر في الأخبار والمصادر التاريخيّة يجد بوضوح أنّ ما ذكره ابن تيمية كذب وافتراء، حيث أنّ المصادر تؤكّد على أنّ الناس قد بايعت الإمام الحسن عليه السلام عندما تولى مسؤوليّة الخلافة بعد شهادة أبيه الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي

➔

طالبعليه السلام قال اليعقوبي: واجتمع الناس فبايعوا الحسن بن علي، وخرج الحسن بن علي إلى المسجد الجامع فخطب خطبة له طويلة (تاريخ اليعقوبي ج٢: ص٢١٤). وقال أبو الفرج في مقاتل الطالبين: خطب الإمام الحسنعليه السلام بعد وفاة أمير المؤمنينعليه السلام فقال: «قد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون بعمل. لقد كان يجاهد مع رسول اللهصلى الله عليه وآله فيسبقه بنفسه، ولقد كان يوجهه برايته فيكنفه جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه. ولقد توفي في الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم والتي توفي فيها يوشع بن نون، وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله». ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه. ثم قال: «أيّها الناس، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد رسول اللهصلى الله عليه وآله، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير، أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، والذين افترض الله مودّتهم في كتابه إذ يقول:﴿**وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾، فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت»، فلمّا انتهى إلى هذا الموضع من الخطبة قام عبد الله بن العباس بين يديه، فدعا الناس إلى بيعته فاستجابوا وقالوا: ما أحبّه إلينا وأحقه بالخلافة! فبايعوه، ثم نزل من المنبر فبايعه المهاجرين والأنصار (مقاتل الطالبين: ص٣٢). ويظهر من المصادر أنّ شهادة أمير المؤمنينعليه السلام وخطبة الإمام الحسنعليه السلام كان لهما تأثير عميق في الناس، فتحقق الإجماع ببيعة الإمام الحسنعليه السلام. راجع المستدرك للحاكم ج٣: ص١٧٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦: ص٣٠، والمعجم الأوسط للطبراني ج٣: ص٨٧، والطبقات لابن سعد ج٣: ص٣٠، ومسند أحمد بن حنبل ج١: ص١٩٩، ومسند أبي يعلى الوصلي ج٦: ص١٦٩، وصحيح ابن حبان ج٩: ص٤٥، والسنن الكبرى للنسائي ج٥: ص١١٢، وغيرها من المصادر وأيضاً يظهر من المصادر أنّ الظروف كانت مضطربة وقد برزت هذه الظروف وتأزمت في أواخر حياة أبيه الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وكانت حروب الجمل وصفّين والنهروان ولدت عند أصحاب الإمامعليه السلام

🡨

➔
حنيناً إلى السلم وترك المقاتلة، إذ قد مرّت عليهم خمس سنين وهم لا يضعون سلاحهم من حرب إلا ليشهروه في حرب أخرى، وقد عبّر الناس عن رغبتهم في الدعة وكراهيتهم للقتال بتثاقلهم عن الخروج للحرب، وتثاقلهم عن الاستجابة للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حين دعاهم للخروج ثانية إلى صفّين. فلمّا استشهد الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبويع الإمام الحسن عليه السلام بالخلافة برزت هذه الظاهرة على أشدّها وبخاصّة حين دعاهم الإمام الحسن عليه السلام للتجهّز لحرب الشام، حيث كانت الاستجابة بطيئة جداً. وبالرغم من أن الإمام الحسن عليه السلام قد استطاع بعد ذلك أن يجهّز لحرب معاوية جيشاً ضخماً إلاّ أنّه كان جيشاً كتبت عليه الهزيمة قبل أن يلاقي العدوّ بسبب التيارات المتعدّدة التي كانت تتجاذبه، خف معه أخلاط من الناس: بعضهم شيعة له عليه السلام ولأبيه عليه السلام، وبعضهم من الخوارج يؤثرون قتال معاوية بكلّ حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكّاك، وأصحاب عصبية اتّبعوا رؤساء قبائلهم. وقد كان رؤساء القبائل هؤلاء قد باعوا أنفسهم من معاوية، الذي كتب إلى كثير منهم يغريهم بالتخلي عن الإمام الحسن عليه السلام والالتحاق به، فأكثر أصحاب الإمام الحسن عليه السلام لم يستطيعوا مقاومة هذا الإغراء، فكاتبوا واعدين بأن يسلموه الإمام الحسن عليه السلام حيّاً أو ميتاً. وحين خطبهم الإمام الحسن عليه السلام ليختبر مدى إخلاصهم وثباتهم هتفوا به من كلّ جانب: "البقية البقية"، بينما هاجمته طائفة منهم تريد قتله، هذا في الوقت الذي أخذ الزعماء يتسللون تحت جنح الليل إلى معاوية بعشائرهم. ولما رأى الإمام الحسن عليه السلام أمام هذا الواقع السيئ أن الظروف النفسية والإجتماعية في مجتمع العراق جعلت هذا المجتمع عاجزاً عن النهوض بتبعات القتال وانتزاع النصر، ورأى أن الحرب ستكلّفه استئصال المخلصين من أتباعه بينما يتمتّع معاوية بنصر حاسم، حينئذٍ جنح إلى الصلح بشروط منها: ألا يعهد معاوية لأحد من بعده وأن يكون الأمر للإمام الحسن عليه السلام، وأن يترك الناس ويؤمنوا. ولقد كان هذا هو الطريق الوحيد الذي يستطيع الإمام الحسن عليه السلام أن يسلكه باعتباره صاحب رسالة قد اكتنفته هذه الظروف السيئة المؤسفة. وقد كان من الممكن
➔

➔
بالنسبة لقائد محاط بنفس الظروف السيئة التي كان الإمام الحسن عليه السلام محاطاً بها أن يتّخذ من الأحداث أحد ثلاثة مواقف. الأوّل: أن يحارب معاوية رغم الظروف السيئة ورغم النتائج المؤلمة التي تترتّب على هذا الموقف؛ الثاني: أن يسلم السلطة إلى معاوية، وينفض يده من الأمر، ويتخلى عن أهدافه، ويقنع بالغنائم الشخصيّة؛ الثالث : أن يخضع للظروف المعاكسة فيتخلى مؤقّتاً عن الصراع الفعلي المسلح، لكن لا ليرقب الأحداث فقط، وإنما ليكافح على صعيد آخر، فيوجّه الأحداث في صالحه وصالح أهدافه. فما كان للإمام الحسن عليه السلام باعتباره صاحب رسالة أن يتّخذ الموقف الأول، لأنه لو حارب معاوية في ظروفه التي عرضناها، وبقواه المفكّكة المتخاذلة لكانت نتيجة ذلك أن يقتل ويستأصل المخلصون من أتباعه، ولا شكّ أنه حينئذٍ كان يحاط بهالة من الإكبار والإعجاب لبسالته وصموده، ولكن النتيجة بالنسبة إلى الدعوة الإسلامية ستكون سيئة إلى أبعد حدّ، فإنّها كانت ستفقد فريقاً من أخلص حماتها دون أن تحصل على شيء سوى أسماء جديدة تضاف إلى قائمة شهدائها. كذلك ما كان له باعتباره صاحب رسالة أن ينفض يده من كل شيء ويسترسل في حياة الدعة والرغد، والخلو من هموم القيادة والتنظيم. لقد كان الموقف الثالث وهو الموقف الذي اتّخذه الإمام الحسن عليه السلام هو الموقف الوحيد الصحيح بالنسبة إليه، وذلك أن يعقد مع معاوية هدنة يعد فيها المجتمع للثورة. وذلك لأننا نسمح لأنفسنا أن نقع في خطأ كبير حين ننساق إلى الاعتقاد بأن الإمام الحسن عليه السلام قد اعتبر الصلح خاتمة مريحة لمتاعبه، فما صالح الإمام الحسن عليه السلام ليستريح، وإنما ليكافح من جديد ولكن على صعيد آخر. فإذا كان الناس قد كرهوا الحرب لطول معاناتهم لها ورغبوا في السلم انخداعاً بحملة الدعاية التي بثها فيهم عملاء معاوية، إذ منوهم بالرخاء والأعطيات الضخمة، والدعة والسكينة، وطاعة لرغبات زعمائهم، فإنّ عليهم أن يكتشفوا بأنفسهم مدى الخطأ الذي وقعوا فيه حين ضعفوا عن القيام بتبعات القتال، وسمحوا للأماني بأن تخدعهم ولزعمائهم بأن يضلّوهم، ولا يمكن أن يكتشفوا ذلك إلا إذا عانوا هذا الحكم بأنفسهم: عليهم أن يكتشفوا طبيعة هذا الحكم
🡐

➔

وواقعه، وهو ما يقوم عليه من اضطهاد وحرمان، ومطاردة مستمرة، وخنق للحريات؛ وعلى الإمام الحسن عليه السلام وأتباعه المخلصين أن يفتحوا أعين الناس على هذا الواقع وأن يهيّئوا عقولهم وقلوبهم لاكتشافه، والثورة عليه، والإطاحة به. ولم يطل انتظار أهل العراق، فقد قال لهم معاوية حين دخل الكوفة: يا أهل الكوفة! أترونني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحجّ؟ وقد علمت أنكم تصلّون وتزكّون وتحجّون، ولكنّي قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أتاني الله ذلك وأنتم كارهون، ألا إن كلّ دم أصيب في هذه مطلول، وكلّ شرط شرطته فتحت قدمي هاتين (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٥٢: ص٣٨٠).

وتلخّص ما فعله بما يلي:

١- أنقص من أُعطيات أهل العراق ليزيد في أُعطيات أهل الشام.

٢- وحملهم على أن يحاربوا الخوارج فلم يتح لهم أن ينعموا بالسلم الذي كانوا يحنون إليه.

٣- ثم طبق (شتم أو سبّ) بحقّهم سياسة الإرهاب والتجويع والمطاردة.

٤- ثم أعلن سبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على منابر المسلمين. وبينما راح الزعماء القبليون يجنون ثمرات هذا العهد بدأ العراقيون يكتشفون رويداً رويداً طبيعة هذا الحكم الظالم الشرس الذي سعوا إليه بأنفسهم، وثبتوه بأيديهم. وقد جعل أهل العراق يذكرون حياتهم أيام علي فيحزنون عليها، ويندمون على ما كان من تفريطهم في جنب خليفتهم ويندمون على ما كان من الصلح بينهم وبين أهل الشام، وجعلوا كلّما لقي بعضهم بعضاً تلاوموا فيما كان، وأجالوا الرأي فيما يمكن أن يكون، ولم تكد تمضي أعوام قليلة حتى جعلت وفودهم تفد إلى المدينة للقاء الحسن، والقول له والإستماع منه. وكثيراً ما جاء العراقيون إلى الإمام الحسن عليه السلام يطلبون منه أن يثور، ولكنّه كان يعدهم المستقبل ويعدهم للثورة. وها هو يجيب حجر بن عدي الكندي بقوله عليه السلام: «إني رأيت هوى عظم الناس في الصلح، وكرهوا الحرب فلم أُحب أن أحملهم على ما يكرهون، فصالحت بقياً على شيعتنا خاصّة من القتل، ورأيت دفع هذه الحرب إلى يوم ما، فإن الله كلّ يوم هو في شأن» (انظر أخبار الطوال لابن قتيبة الدينوري: ص٢٢٠). إذن لو تأمّل

➔

ولما قاله النووي في منهاجه عنهم من أنّهم مجمعون على عدم تجويز خليفتين في عصر متّحد[١]، وإن قصد به عدم وجود خليفة في ذلك الوقت فهو باطل لما عرفته من ذهاب فرقة منهم إلى كون معاوية خليفة بعد علي عليه السلام[٢]، وفرقة إلى كون الخليفة هو الحسن عليه السلام إلى زمان

➔

الباحث في المصادر الإسلامية يجد أنّ ما زعمه ابن تيمية كذب حيث لم يكن الأمر كما زعمه، فإنّ الناس لم يبايعوا معاوية في عرض البيعة للإمام الحسن عليه السلام، فلاحظ.

(١) قال النووي في شرح صحيح مسلم: "واتّفق العلماء على أنه لا يجوز أن يعقد لخليفتين في عصر واحد سواء اتّسعت دار الإسلام أم لا" (انظر شرح صحيح مسلم للنووي ج١٢: ص٢٣٢).

(٢) وتوضيح المقام أنّ ما زعمه ابن تيمية من تقسيم الناس إلى قسمين: قسم منهم مبايعون الإمام الحسن عليه السلام بعد شهادة أبيه عليه السلام، وقسم منهم مبايعون معاوية، كذب وباطل عند جميع أهل السنّة؛ لأنّه إذا كان مقصوده من البيعة تحقّقها لهما في زمن واحد وفي عرض واحد، فهو باطل بإجماع أهل السنّة، كما صرّح بذلك النووي في شرح صحيح مسلم (لاحظ شرح صحيح مسلم للنووي ج١٢: ص٢٣٢). وإن قصد تحقّق كلّ واحد منها في زمن خاصّ، فلا بدّ أن يعرف هل أنّ مقصوده تقدّم بيعة معاوية على بيعة الإمام الحسن عليه السلام أو تقدّم بيعة الإمام الحسن عليه السلام عليه، فالأوّل باطل باعتراف جميع علماء أهل السنّة؛ حيث أنّهم صرّحوا بأنّ الناس بايعوا معاوية بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام، وقد تقدّم ذكر جماعة من المحدّثين والمؤرّخين (لاحظ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٧٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦: ص٣٠، والمعجم الأوسط للطبراني ج٣: ص٨٧، والطبقات لابن سعد ج٣: ص٣٠، ومسند أحمد بن حنبل ج١: ص١٩٩، ومسند أبي يعلى الموصلي ج٦: ص١٦٩، وصحيح ابن حبان ج٩: ص٤٥، والسنن الكبرى للنسائي ج٥: ص١١٢، وغيرها من المصادر). فيبقى احتمال الأخير الذي

➔

المصالحة[١].

➔

تردّد فيه ابن حجر (لاحظ الإصابة لابن حجر ج٦: ص١٢١).

(١) لقد تولّى الإمام الحسن السبط عليه السلام منصب الإمامة والقيادة بعد استشهاد أبيه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الواحد والعشرين من رمضان سنة ٤٠ هجرية وهو في السابعة والثلاثين من عمره الشريف، حيث نصّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على خلافة ابنه الحسن الزكي عليه السلام وسلّمه مواريث النبوّة، فاجتمع عليه أهل الكوفة وجماعة المهاجرين والأنصار وبايعوه بالخلافة مع قطع النظر عما طهّره الله من كلّ نقص ورجس، بالإضافة إلى توفّر جميع متطلبات الخلافة فيه من العلم والتقوى والشجاعة والحزم والجدارة، وتسابق الناس إلى بيعته في الكوفة والبصرة، كما بايعه أهل الحجاز واليمن وفارس وسائر المناطق التي كانت تدين بالولاء والبيعة لأبيه عليه السلام، وحين بلغ نبأ البيعة معاويه وأتباعه بدأوا يعملون بكلّ ما لديهم من مكر وخداع لإفساد أمره والتشويش عليه. واستمرّ بعد أبيه عليه السلام يحمل مشعل القيادة الربّانية حتّى الثامن والعشرين أو السابع من شهر صفر سنة ٥٠ هجرية، وله يومئذ ثمان وأربعون سنة. وقام عليه السلام في فترة إمامته، بأفضل ما يمكن القيام به في ذلك الجوّ المشحون بالفتن والمؤمرات، فأمر الولاة على أعمالهم وأوصاهم بالعدل والإحسان ومحاربة البغي والعدوان، ومضى على نهج أبيه عليه السلام الذي كان امتداداً لسيرة جده المصطفى محمد صلى الله عليه وآله، وبالرغم ممّا كان يعلمه الإمام الحسن عليه السلام من معاوية ونفاقه ودجله وعدائه لرسالة جده صلى الله عليه وآله وسعيه لإحياء مظاهر الجاهلية الأولى... بالرغم من ذلك كلّه لقد أبى أن يعلن الحرب إلاّ بعد أن كتب إليه المرّة بعد المرّة بدعوة إلى جمع الكلمة وتوحيد أمر المسلمين، فلم يبقى له في ذلك عذراً أو حجّة. لقد اطمأنّ معاوية إلى أن الأمور ممهدة له باعتبار علاقته المتينة مع أكثر قادة الإمام الحسن عليه السلام.. من هنا أعد معاوية العدة لمحاربة الامام المجتبى عليه السلام، واطمأن بأن المعركة ستكون لصالحة وسيكون الإمام الحسن عليه السلام والمخلصون له من جنده بين قتيل وأسير، ولكن هذا الاستيلاء سوف يفقد الصيغة الشرعيّة التي كان يحاول أن يتظاهر

➔

➔

بها لعامّة المسلمين، ولذلك حرص معاوية أن لا يتورّط في الحرب مع الإمام الحسنعليه السلام، معتمّداً المكر والخداع والتموية وشراء الضمائر وتفتيت جيش الإمامعليه السلام، ولم يكن للإمام بُدّ من اختيار الصلح بعد أن تخاذل عامّة جيشه وأكثر قادته ولم يبقى معه إلا فئة قليلة من أهل بيتهعليهم السلام والمخلصين من أصحابه، فتغاضى عن السلطة دفعاً للأفسد بالفاسد في ذلك الجوّ المحموم، فكان اختياره للصلح في منتهى الحكمة والحنكة السياسيّة الرشيدة تحقيقاً لمصالح الإسلام العليا وأهدافه المُثلى وأن هذا الصلح والعهد قد حقّق إنجازاً عظيماً على صعيد تأكيد الحقّ، وترسيخ الشرعيّة فيما يرتبط بإمامة أهل البيتعليهم السلام، سلب ذلك عن الطرف الآخر، وانتزاع اعتراف خطى منه بأنه باغ ومتغلب، حين أكّدت بنوده على:

١- أن الحق لا بدّ أن يعود للإمام الحسنعليه السلام، ثم من بعده للإمام الحسينعليه السلام

٢- أن ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده

٣- أن لا يقيم الإمام الحسنعليه السلام شهادة عند معاوية

٤- أن لا يسميه أمير المؤمنين

٥- أن يعمل بكتاب الله وسنّة نبيّهصلى الله عليه وآله

٦- أن لا يذكر عليّاً إلا بخير

٧- أن يكون أصحاب عليعليه السلام وشيعته آمنين حيث كانوا من أرض الله

٨ - أن يكون الناس جميعاً آمنين حيث كانوا من أرض الله

و ثمّة شروط أخرى ذكرها المؤرّخون أيضاً

لقد تعرّض الإمام الحسن السبطعليه السلام للنقد اللاذع من شيعته وأصحابه الذين لم يتّسع صبرهم لجور معاوية، مع أنّ أكثرهم كان يدرك الظروف القاسية التي اضطرّته إلى تجنّب القتال واعتزال السلطة، كما أحسّ الكثير من أعيان المسلمين وقادتهم بصدمة عنيفة لهذا الحادث لما تنطوي عليه نفوس الأمويّين من حقد على الإسلام ودعاته الأوفياء، وحرص على إحياء ما أماته الإسلام من مظاهر الجاهليّة بكلّ أشكالها.

🡐

وثالثها: ما عرفته من ثبوت فساد إمامة معاوية[1]،

←

لقد فسح الإمام الحسن المجتبى عليه السلام المجال بصلحه المشروط لمعاوية ليكشف واقع أطروحته الجاهلية، وليعرّف عامّة المسلمين البسطاء مَن هو معاوية؟ ومن هنا كان الصلح نصراً ما دام قد حقّق فضيحة سياسة الخداع التي تترّس بها عدوّه

ووقع ما خطط له الإمام الحسن عليه السلام، حينما بدأ معاوية يساهم في كشف واقعه المنحرف، وذلك في إعلانه الصريح بأنّه لم يقاتل من أجل الإسلام، وإنّما قاتل من أجل المُلك والسيطرة على رقاب المسلمين، وأنّه سوف لا يفي بأيّ شرط من شروط الصلح.

وبهذا الإعلان وما تلاه من خطوات قام بها معاوية لضرب خط الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبنيه الأبرار عليهم السلام، وقتل خيرة أصحابه ومحبّيه كشف النقاب عن الوجه الأموي الكَريه. وملخّص الكلام أنّه قد بايع الناس الإمام الحسن عليه السلام بعد شهادة أبيه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهذا ممّا تسالم عليه المؤرّخون والمحدّثون. فلاحظ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٧٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦: ص٣٠، والمعجم الأوسط للطبراني ج٣: ص٨٧، والطبقات لابن سعد ج٣: ص٣٠، ومسند أحمد بن حنبل ج١: ص١٩٩، ومسند أبي يعلى الموصلي ج٦: ص١٦٩، وصحيح ابن حبان ج٩: ص٤٥، والسنن الكبرى للنسائي ج٥: ص١١٢، وغيرها من المصادر.

(١) من الواضح لدى الخبير أنّ معاوية في غنى عن إفاضة القول في مخاريقه لما عرفته الأمّة من نفسيّته الموبوئة، وأعماله الوبيلة، وجرائمه الموبقة الجمة، ورذائله الكثيرة، ونسبه الموصوم، وأصله اللئيم، ومحتده الدني، وقد أخرج كبار علماء أهل السنّة بأسناد صحيحة عن عبد الله بن عمر قال: خرج رسول الله من فج فنظر إلى أبي سفيان وهو راكب، ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق، فلمّا نظر إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «اللّهم العن القائد والسائق والراكب». قلنا: أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم، وإلا فصمتا أذناي كما عميتا عيناي (انظر تفسير الطبري ج١٥: ص٧٧). وفي تاريخ الطبري: قد

→

➔

رأىﷺ أبا سفيان مقبلاً على حمار ومعاوية يقود به، ويزيد ابنه يسوق به، قالﷺ: «لعن الله القائد والراكب والسائق» (تاريخ الطبري ج١١: ص٣٥٧). وإلى هذا الحديث أشار الإمام السبط فيما يخاطب به معاوية بقوله: «أنشدك الله يا معاوية! أتذكر يوم جاء أبوك على جمل أحمر وأنت تسوقه وأخوك عتبة هذا يقوده، فرآكم رسول اللهﷺ فقال: اللّهم العن الراكب والقائد والسائق؟ أتنسى يا معاوية الشعر الذي كتبته إلى أبيك لما هم أن يسلم، تنهاه عن ذلك:

يا صخر لا تسلمن يوماً فتفضحنا	بعد الذين ببدر أصبحوا فرقاً
خالي وعمّي وعم الأم ثالثهم	وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا
لا تركننّ إلى أمر تكلفنا	والراقصات به في مكة الخرقا
فالموت أهون من قول العداة : لقد	حاد ابن حرب عن العزى إذا فرقاً

والله لما أخفيت من أمرك أكبر ممّا أبديت وأنشدكم الله أيها الرهط، أتعلمون أن علياً حرم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله ﷺ فأنزل فيه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ**﴾» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص٢٨٩). وإليه أشار محمد بن أبي بكر في كتاب كتبه إلى معاوية بقوله: "وأنت اللعين ابن اللعين"، وإليك نصّ الكتاب ممّا جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: "من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر، سلام على أهل طاعة الله ممّن هو سلم لأهل ولاية الله. أما بعد فإن الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته خلق خلقاً بلا عبث ولا ضعف في قوّته، لا حاجة به إلى خلقهم، ولكنّه خلقهم عبيداً، وجعل منهم شقياً وسعيداً، وغوياً ورشيداً، ثم اختارهم على علمه، فاصطفى وانتخب منهم محمّداًﷺ، فاختصّه برسالته، واختاره لوحيه، وائتمنه على أمره، وبعثه رسولاً مصدّقا لما بين يديه من الكتب، ودليلاً على الشرائع، فدعا إلى سبيل أمره بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان أول من أجاب وأناب، وصدق [ووافق] فأسلم وسلم أخوه وابن عمّه - علي بن أبي طالبعليه السلام -، فصدقه بالغيب المكتوم، وآثره على كلّ حميم، ووقاه كلّ هول، وواساه بنفسه في كلّ

➔

➔

خوف، فحارب حربه، وسالم سلمه، فلم يبرح مبتذلاً لنفسه في ساعات الأزل ، ومقامات الروع، حتّى برز سابقاً لا نظير له في جهاده، ولا مقارب له في فعله، وقد رأيتك تساميه وأنت أنت، وهو هو السابق المبرز في كلّ خير، أول الناس إسلاماً، وأصدق الناس نيّة، وأطيب الناس ذرية، وأفضل الناس زوجة، وخير الناس ابن عمّ. وأنت اللعين ابن اللعين، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل، وتجتهدان على إطفاء نور الله، وتجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتحالفان في ذلك القبائل، على هذا مات أبوك، وعلى ذلك خلفته، والشاهد عليك بذلك من يأوى ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله صلى الله عليه وآله، والشاهد لعليّ مع فضله وسابقته القديمة أنصاره الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن ، ففضلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار، فهم معه كتائب وعصائب، يجالدون حوله بأسيافهم، ويهريقون دماءهم دونه، يرون الفضل في اتّباعه، والشقاق والعصيان في خلافه، فكيف - يا لك الويل - تعدل نفسك بعلي، وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيّه وأبو ولده، وأوّل الناس له اتّباعاً، وآخرهم به عهداً، يخبره بسرّه، ويشركه في أمره، وأنت عدوّه وابن عدوّه، فتمتّع ما استطعت بباطلك، وليمددك لك ابن العاص في غوايتك، فكأن أجلك قد انقضى، وكيدك قد وهي، وسوف تستبين لمن تكون العاقبة العليا. واعلم أنك إنما تكايد ربّك الذي قد أمنت كيده، وأيست من روحه، وهو لك بالمرصاد، وأنت منه في غرور. وبالله وبأهل بيت رسوله عنك الغناء! والسلام على من اتبع الهدى" (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٣: ص١٨٩). وعن البراء بن عازب قال: أقبل أبو سفيان ومعه معاوية فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللّهم العن التابع والمتبوع، اللّهم عليك بالأقيعس»، فقال ابن البراء لأبيه: من الأقيعس؟ قال: معاوية (انظر وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ص٢٤٤). ومعاوية فظاظة من لعن رسول الله صلى الله عليه وآله حيثما لعن آكل الربا والخمر وشاربها وبايعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٤٢١). فما نقول في طعن من لعنه أشرف الكائنات محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

وإنّه إمام الدعاة إلى النار(١)، وإنّه ميت ميتة جاهلية(٢).

(١) هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ (سورة القصص:٤١). وهذا التعبير إشارة إلى أئمة الباطل الذينهم في مقدمة جماعة من أهل النار حين تتحرّك الجماعات من أهل النار وتساق بهم إلى النار، فإنّ هؤلاء يتقدّمونهم إلى النار! فكما أنهم كانوا في هذه الدنيا أئمة الضلال، فهم في الآخرة - أيضاً - أئمة النار، لأن ذلك العالم تجسّم كبير لهذا العالم. وفي الحقيقة نتيجة أعمالهم أنفسهم، فهم اتّخذوا طريقاً يؤدي بهم إلى الضلال وينتهي بهم إلى أن يكونوا أئمة الضالين، فهذه حالهم في يوم القيامة؛ ولمزيد التأكيد يصوّر القرآن صورتهم وماهيّتهم في الدنيا والآخرة. ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾! لعنة الله معناها طردهم من رحمته، ولعنة الملائكة والمؤمنين هي الدعاء عليهم صباحاً ومساء وفي كلّ وقت. وأحياناً تشملهم اللعنة العامّة. وأحياناً يأتي اللعن خاصّة لبعضهم، حيث أن كلّ من يتصفّح تأريخهم يلعنهم ويتنفّر من أعمالهم. وعلى كلّ حال فإنّ سوء أعمالهم في هذه الدنيا هو الذي قبّح وجوههم في الدار الآخرة يوم القيامة، لأنّه يوم البروز ويوم هتك الحجب.

(٢) هذه العبارة إشارة إلى الروايات الواردة عن النبي الأكرمﷺ من طرق الفريقين الشيعة وأهل السنّة، وهي متّفقة المضمون بينهم، وقد ورد من طرق الشيعة وأهل السنّة عن النبيﷺ: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»، ذكره التفتازاني في شرح المقاصد ج٢: ص٢٧٥ وجعله لدة قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ في المفاد. وبهذا اللفظ ذكره التفتازاني أيضاً في شرح عقائد النسفي المطبوع سنة ١٣٠٢ غير أن يد الطبع الأمينة على ودايع العلم والدين حرّفت من الكتاب في طبع سنة ١٣١٣ سبع صحائف يوجد فيها هذا الحديث. وحكاه الشيخ علي القاري صاحب المرقاة في خاتمة الجواهر المضية ج٢: ص٥٠٩، وقال في ص٤٥٧: وقولهﷺ في صحيح مسلم: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية». معناه من لم يعرف ←

➔

من يجب عليه الاقتداء والاهتداء به في أوانه. أو «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٩٦). أو «من مات وفي عنقه بيعة الإمام مات ميتة جاهلية» (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢٢ كتاب الإمارة، باب حكم من فرق بين المسلمين). وما هو قريب من هذه المضامين والمعنى واحد؛ إذ الخروج عن طاعة الإمام الذي تجب طاعته، أو عدم الدخول في طاعة الإمام الذي هو واجب الطاعة نتيجتهما واحدة، حيث أنّه إذا مات كانت ميتته ميتة جاهلية والكفر بإجماع المسلمين، وسوف نتناول الحديث ونذكر النقاط التي تترتّب على المضامين المذكورة. فإنّ أوّل أمر يواجهنا في هذا الحديث هو الأثر المترتّب على عدم المعرفة، وهو أن تكون النتيجة كميتة الجاهلية أي أن هذا الانسان مدرج في الذي لم يشم رائحة الاسلام في الآخرة أي بحسب الواقع، ويكأن الرواية الشريفة تعطي مفاد الآية ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**﴾ فرضيت كانت متوقّفة على الإمامة التي بلّغها الرسولﷺ في هذا اليوم وبها يتمّ الدين والإسلام كمجموع متكامل وكلّ شيء مرهون به، وقبله لم يكن رضا، ولذلك قال عزّ من قائل ﴿**وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾ وهذه كلّها تؤكّد المضمون الذي يورده هذا الحديث من أن المعرفة والاعتقاد بالإمامة دخيل في أصل الدين والتديّن بالاسلام بحسب الواقع والآخرة.

نعود إلى الشرط المذكور في الرواية حيث أنه مطلق غير مقيد بشيء بل هو المعرفة المطلقة ممّا يدلل على أن المطلوب العمدة هو أمر اعتقادي، فليس المطلوب الأهمّ المتابعة في الفروع ولا المتابعة السياسيّة بل المتابعة الاعتقاديّة والمعرفة والتديّن والائتمام، وهل يعقل ترتّب مثل هذه النتيجة وهي الموت ميتة الجاهلية على مجرّد عدم المتابعة في الفروع، بل الأمر أهمّ وأكبر وهو محور اعتقادي المعرفة والاعتقاد، ولو فرض المتابعة السياسيّة المصطلح عليه بالولاء السياسي والمتابعة في الفروع والأخذ من الإمام المنصوب أحكام الفروع من دون المتابعة الاعتقادية المصطلح عليه بالولاء الاعتقادي المعرفي لما تحقّق أصل التديّن بالاسلام بحسب عالم الآخرة والواقع.

➔

➔

وعليه فإن الرواية مطلقة من حيث الزمان والمكان فهذا اللسان عام وشامل لكلّ الأفراد في جميع الأزمنة، فيشمل معاوية وأعوانه ومن حارب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلاحظ.

محتويات الكتاب

كـلام ابـن تيميـة ٥
بيعة السقيفة بداية الخلاف السياسي وتشكيل المذاهب في الإسلام ٧
طريـق عقـد الإمامـة عنـد صـاحب المواقـف......................................١١
رد دعـوى ابـن تيميـة توقـف الإمامـة علـى ذوي الـشوكة ١٥
ثبوت الإمامة بالنص عند جميع أهل السنة ١٧
هل الإمامة بالنص أو بإختيار الناس ٢١
إطاعة الإمام واجبة بأمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله ٢٣
عدم شوكة الإمام المفترض الطاعة ناش مـن معصية الرعيـة ٢٧
بيان أنّ الغاية من خلق الإنسان العبادة ٢٩
بطلان دعوى ابن تيمية في إمامة أميرالمومنين عليه السلام ٣٣
بطلان تفسير أحمد بن حنبل لحديث من مات وليس له إمام ٣٥
دلالة رواية ولي كل مومن بعدي ، و خليفتي فيكم ٣٧
دلالة رواية كانت بيعة أبي بكر فلتة ٤١
عدم وجود النص على خلافة الخلفاء الثلاثة ٤٣
الفرق بين أصول أهل السنة ومتابعة الصحابة ٤٧
الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بين الثابت و المنقلب على عقبه ٤٩
الصحابة الثابت على الايمان التابع للقران وأهل البيت عليهم السلام ٥٣
بيعة الخلفاء الثلاثة مخالفة صريحة لحديث الثقلين ٥٧

بيعة الخلفاء الثلاثة مخالفة صريحة للشريعة المقدسة ٥٩
السنن الدالة على عدم لياقة أبي بكر للخلافة ٦٩
عدم وجود النص على خلافة أبي بكر وبطلان اجماعهم عليه ٧٧
تأخر رتبة أبي بكر حتى عن أبي عبيدة وإبن العاص ١٠٧
الإحتجاج على ابن تيمية بحديث إنّ الله ليؤيد الدين بالرجل الفاجر.............١١٧
الرد على زعم لزوم الدين الحق للكتاب الهادي والسيف الناصر ١٢٣
دين الأنبياء خالية من السيف الناصر ١٢٥
الإسلام قبل الهجرة ثلاث عشر سنة خال من السيف الناصر ١٢٧
النصر الإلهي للأنبياء بعقوبات سماوية ١٣١
كلام ابن تيمية ١٣٧
الرد على ما زعمه ابن تيمية في كيفية بيعة عثمان ١٤١
طريقة خلافة عثمان في الأدّلة المعتبرة عند أهل السنة ١٤٥
ما بيّنه رسول الله صلى الله عليه وآله للصحابة بالنصوص على أمامة أميرالمومنين عليه السلام..... ١٥٥
تفسير قول رسول الله صلى الله عليه وآله وخليفتي فيكم في حديث الدار ١٧٧
معنى و تفسير قول رسول الله صلى الله عليه وآله ولي كل مؤمن بعدي ١٧٩
ما فعله الصحابة من الكبائر كالهرب من الزحف في أحد ١٩٥
هروب الصحابة وانكسار أبي بكر وعمر في غزوة خيبر ٢٠٥
مخالفة الصحابة لأوامر النبي صلى الله عليه وآله..٢٢٥
الصحابة وما طلبوا من النبي صلى الله عليه وآله إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة كما أنّ
قوم موسى عليه السلام طلبوا من نبيهم..٢٢٩
دلالة آية انقلبتم على أعقابكم ٢٣٥
دلالة حديث الحوض ٢٣٩

معنى الإرتداد بعد النبي صلى الله عليه وآله ٢٤١
الصحابة ومخالفة الله ورسوله صلى الله عليه وآله ٢٤٥
النصوص النبوية الصحيحة لإعتقاد أهل السنة في الخلافة ٢٥١
خلافة عثمان مخالف لما بنى عليه أهل السنة في باب الخلافة................ ٢٥٥
ما تمناه أبو بكر عند موته ٢٦١
مخالفة أبي بكر لما تمناه عنده مرض موته ٢٦٣
تصريح عمر عدم النص على أبي بكر ٢٦٧
هل تصح الوصية على كون الخليفة أحد الستة؟............................ ٢٧٣
خلافة خلفاء أهل السنة بين المناقضات والمخالفة للشريعة................ ٢٧٩
الرد على ما زعمه ابن تيمية من مشاورة عبدالرحمن الصحابة لبيعة عثمان.٢٨٣
السنن الصحيحة عند أهل السنة على إمامة أميرالمومنين عليه السلام................ ٢٩٥
السنن الصحيحة عند أهل السنة على بُعد الخلفاء الثلاثة عن منزلة الخلافة والإمامة.. ٣٠٣
ما صدر من الخلفاء الثلاثة المخالفة للشريعة المقدسة ٣٠٥
النصوص الدالة على أنّ الصحابة ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ٣١٥
الأدّلة المعتبرة عند أهل السنة في أنّ بيعة السقيفة مخالفة للشريعة٣١٩
الرد على زعم أنّ بيعة عثمان كانت خالية من الرهبة والرغبة ٣٢١
النقض في عدم الرغبة والرهبة بعبادة المشركين ٣٢٥
هل عبادة قوم موسى العجل كانت فيه الرغبة والرهبة ؟ ٣٢٧
لماذا لم تؤثر الرغبة والرهبة في فعل فرعون في ايمان السحرة؟ ٣٢٩
هل وجود الرهبة من عتاة قريش دليل على حقانيتهم ٣٣١
ما الرهبة والرغبة التي ردتا مسيلمة الكذاب وطليحة............................ ٣٣٧

أعظم المشاقات لله ورسوله ﷺ ٣٤١
الأفضلية الإمام أميرالمومنين عليه السلام في القرآن ٣٤٧
اقتداء الصحابة بالخلفاء الثلاثة مخالفة صريحة لله ورسوله ﷺ.. ٣٦٣
متابعة الصحابة للخلفاء الثلاثة مشمول لحديث ستة لعنهم الله............ ٣٦٥
البدع التي أحدثها الخلفاء الثلاثة في الإسلام ٣٧٣
كيف يتصور التقدم على من يدور الحق معه حيث ما دار ٣٧٩
كيف يتصور التقدم على من يهتدي به المهتدون بعد النبي ﷺ ٣٨٥
كيف يتصور التقدم على من ورد في حقه اللهم انصرمن نصره .٣٨٩
كيف يتصور التقدم على من هو قسيم الجنة والنار ٣٩٥
كلام ابن تيمية ٣٩٩
الرد على ما نسبه ابن تيمية إلى أهل السنة في الإمامة..................... ٤٠٣
إجماع أهل السنة على أنّ خلافة أبي بكر تمت بمبايعة عمر ٤٠٧
إجماع أهل السنة على أنّ خلافة عمر بنص أبي بكر ٤٠٩
إجماع أهل السنة على أنّ خلافة عثمان بتعيين عبدالرحمن له............. ٤١١
أقوال علماء أهل السنة في بيعة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام............................ ٤١٣
بيعة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام كانت من طيبة نفوسهم ٤٢٥
تخلف مجموعة معلوم الحال لا يضر ببيعة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ٤٣٩
ما هي البيعة المعتبرة عند أهل السنة ٤٤٣
بيعة عثمان لم تكن عن ميل رضا الصحابة ٤٤٥
السنن الصحيحة التي تمنع من بيعة الخلفاء الثلاثة ٤٤٩
الوثائق التاريخية الدالة على من تخلف عن بيعة أبي بكر ٤٦٣

مخالفة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سلام الله عليها لأبي بكر ٤٦٩
اعتراف جميع أهل السنة بمخالفة الإمام أميرالمومنين عليه السلام لبيعة أبي بكر..... ٤٧٣
مخالفة الإمام أميرالمومنين عليه السلام والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سلام الله عليها لبيعة أبي بكردليل على مخالفته للشريعةالمقدسة................ ٤٧٩
المدار لصحة البيعة وبطلانه هو قول الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وآله...٤٩٣
استدلال ابن تيمية على مدعاه بخبر ضعيف حتى عند أهل السنة.٥٠١
بيعة عثمان لم تكن عن طيبة النفس ٥٠٣
بيعة عثمان مخالفة صريحة لله ورسوله صلى الله عليه وآله ٥٠٧
بيعة الإمام أميرالمومنين عليه السلام بأمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله........... ....٥٠٩
الوثائق التاريخية الدالة على أنّ المقصود من قتل عثمان إجراءالعدل ٥١٧
قول الإمام أميرالمؤمنين لعثمان : إنّ الناس في حاجة إلى عدلك دون قتلك ٥٢١
بطلان ما رواه أحمد بن حنبل بعنوان خبر سفينة ٥٢٧
ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده مخالف لخبر سفينة ٥٣٣
خبر سفينة مخالف لحديث من مات ولم يعرف إمام زمانه.................٥٤١
الدين الحق قائم على السنن الصحيحة والحجة الشرعية ٥٤٧
فلله الحجة البالغة في جميع المباني الدينية ٥٤٩
معنى إكمال الدين في الآية المباركة ٥٥٥
معنى بيان جميع ما يحتاجون إليه الناس إلى يوم القيامة ٥٥٧
معنى حديث الثقلين ٥٦١
معنى حديث السفينة ٥٦٥
روايات الدالة على ذكر عدد الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وآله وذكر أسمائهم.٥٦٩

البحث حول الروايات الدالة على خير أنّ القرون قرني ٥٧٣
النقض على دعوى إبن تيمية وفريته...٥٧٥
الإمامة تدخل في عموم ما يحتاجون إليه الناس ٥٧٧
هل الناس يكون لهم إمام في زمن الفتنة أم لا ؟...............................٥٨٩
تصريح علماء أهل السنة من أنّ الحق مع الإمام أميرالمومنين عليه السلام
في حروبه ٥٩٣
بطلان قول من زعم أنّ من حارب الإمام أميرالمومنين عليه السلام كان مجتهداً٥٩٥
دلالة حديث الغدير..٥٩٧
دلالة حديث أدر الحق معه..٦٠٧
المحاربة غاية مراتب البغض ٦٠٩
دلالة حديث موت الجاهلية لمن فارق السلطان بشبر ٦١٣
دلالة حديث من مات وليس في عنقه بيعة ٦١٧
دلالة السنن الصريحة الدالة على نفاق من حارب الإمام أميرالمؤمنين
لي بن أبي طالب عليه السلام...٦١٩
بطلان ما زعمه ابن تيمية من أولوية ترك القتال عند أهل السنة مع
الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام...٦٢١
نصرة ولي الله هي المصلحة العظمى في الحروب ٦٢٤
الإستشهاد بآية إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ٦٣١
من فوائد الحرب التمييز بين الحق والباطل ٦٣٧
من فوائد الحرب قيام الحجة للناس ٦٥٣
معارضة خبر سيصلح الله به بين فئتين للقرآن الكريم ٦٥٥
دلالة خبر ويح عمار تقتلته الفئة الباغية ٦٥٩

دلالة الآيات والروايات على أنّ حارب للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام خارج على إمام زمانـــه ٦٦٧
دلالة حديث من سب علياً.. ٦٦٩
معاوية كان يسب الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام.. ٦٧٩
المحاربــة والــسب مــن أعلــى مراتــب الــبغض للإمــام أميرالمــؤمنين علــي بن أبي طالـب عليه السلام ٦٨٧
دلالـة حـديث اللهـم انـصر مـن نـصره ٦٨٩
معارضة خبر سيصلح الله مع قوله الله تعالى وإن طائفتان ٦٩٣
بطلان خبر ستكون فتنة القاعد ٧٠٣
دلالـة الـسنن الـصحيحة عنـد أهـل الـسنة علـى أنّ محاربـة الإمـام أميرالمـؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علامة النفاق ٧٠٥
معارضـــة خبـــر ســـتكون فتنـــة القاعـــد لأدلـــة وجـــوب نـــصرة الإمـــام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالـب عليه السلام ٧١٣
معارضـــة خبـــر ســـتكون فتنـــة القاعـــد مـــن ومـــات وفـــي عنقـــه بيعـــة إمـــام مات ميتة جاهليـة ٦٢١
نظرية الشيعة فـي الـصحابة.. ٧٢٣
القـــرآن وذم أكثـــر الـــصحابة ٧٢٥
مـــا دل علـــى أنّ الـــصحابة علـــى قـــسمين بطانـــة خيـــرو بطانـــة الـــشر ٧٢٧
دلالة آية انقلبتم على أعقـابكم ٧٢٩
دلالـــة حـــديث الحـــوض ٧٣١
دلالـــة الكتـــاب والـــسنة علـــى أنّ مـــن تقـــدم علـــى الإمـــام أميرالمـــؤمنين علـــي بـــن أبـــي طالـــب عليه السلام خـــارج علـــى امام زمانـــه ٧٣٥

النصوص الدالة على نفي خلافة الخلفاء الثلاثة ٧٤١
ما هو معنى الرافضي عند الشيعة و أهل السنة ٧٤٩
الصحيح في انطباق معنى الرافضي ٧٥٣
ما هو المراد من قوله تعالى كنتم خير أمة ٧٥٩
الكتاب والسنة يدلان على ما فعله الصحابة من المناكير ٧٦٣
من جملة ما فعله الصحابة من المناكير بيعتهم لخلفاء الجور.....٧٦٧
لم يتحقق مقصود الإسلام بعد غصب الخلافة ٧٧٩
ابطال الإسلام سياسة خلفاء الجور ٧٨١
سياسة خلفاء الجور مخالفة الإسلام ٧٨٩
تفرعت على مخالفة خلفاء الجور للإسلام إحداثهم للبدع ٧٩١
الرد على فتوحات الخلفاء ٧٩٣
على فرض صحة الفتوحات نصوصهم تدل على أنّ الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر ٧٩٧
أي ثمرة في الفتح بعد وجود البدع في الدين ٨٠١
بطلان دعوى إبن تيمية في حروب الإمام الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ٨٠٩
الإسلام دين السلم لا الحرب ٨١١
الملاك في حروب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نفس الملاك في حروب رسول الله صلى الله عليه وآله...٨١٧
اعتراف علماء أهل السنة بحقانية الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حروبه ٨١٩
المحارب للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يشمله حديث ستة لعنلهم

الله... ٨٢٣
الناصر للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حروبه يشمله قول النبي صلى الله عليه وآله اللهم انصر من نصره............................ ٨٢٥
النصوص الصحيحة الدالة على أنّ قتال الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كانت على التأويل ٨٢٧
الأدلة الدالة على إمامة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثابتة في كتب أهل السنة ٨٣٩
دلالة حديث خليفتي فيكم على إمامة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.. ٨٥١
دلالة حديث ولي كل مؤمن بعدي على إمامة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.. ٨٥٣
دلالة حديث المنزلة على إمامة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.. ٨٥٧
دلالة حديث الغدير على إمامة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.. ٨٥٩
دلالة حديث من كنت وليه فعلي وليه على إمامة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.. ٨٦١
دلالة حديث الثقلين على إمامة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ٨٦٣
دلالة حديث السفينة على الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.. ٨٦٥
كلام ابن تيمية ٨٦٩

موقف أهل السنة من خلافة الإمام الحسن عليه السلام ٨٧١
البيعة الصحيحة والمشروعة عند علماء أهل السنة هي البيعة مع الإمام الحسن عليه السلام ٨٧٥
أدلة بطلان خلافة معاوية عند علماء أهل السنة ٨٨٣
معاوية إمام الدعاة إلى النار ٨٨٥

هذا الكتاب

تناول هذا الكتاب الفكر الديني بالبحث العلمي والاصولي وبدراسة معمقة مدعومة بقوة الاستدلال ومتانة المنطق في توثيق الواقع وتثبيت عقيدة الحق والدفاع عنها بالحوار الهادف ومناظرة الآخر، والإجابة عما يثيره المعاند من شبهات بحيث لايتطرق إلى تلك العقيدة الشامخة شبهة ولايحوم حولها وصمة ريب باسلوب يلائم جميع الأذواق والمستويات للباحثين عن الحق والحقيقة، والراغبين في الخلاص من مطبات الضياع ودهاليز الضلال، علنا نوفّق في رفد المكتبة الاسلامية بما يزيدها غنىً وزهاءً.

منشورات العطار
ALATTAR PUBLICATION